

مصر القديمة .. أرض الكنانة

عصر أسرة مرنبتاح ورعمسيس الثالث وملحة في تاريخ لوبية

تأليف

د. سليم حسن

الكتاب: مصر القديمة .. أرض الكنانة

الكاتب: د. سليم حسن

الطبعة: ٢٠٢١

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم - الوحدة العربية - مدكور- الهرم - الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ - ٣٥٨٦٧٥٧٦ - ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣



<http://www.bookapa.com>

E-mail: info@bookapa.com

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

دارالكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

حسن ، د. سليم

مصر القديمة .. أرض الكنانة/ د. سليم حسن

- الجيزة - وكالة الصحافة العربية.

٦٧٧ ص، ٢١*١٨ سم.

التقييم الدولي: ١ - ٩٢ - ٦٨٢٣ - ٩٧٧ - ٩٧٨

أ - العنوان رقم الإيداع : ١٣٢٢٣ / ٢٠٢٠

مصر القديمة .. أرض الكنانة

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»



تمهيد

قد دلت البحوث على أن الثقافة المصرية كانت تضرب بأعراقها في ثقافة أفريقيا وتقاليدها، وأن العلاقات الظاهرة بين البلدين ترجع إلى أصل أفريقي. ويُعزى ذلك بطبيعة الحال أولاً إلى الأطوار التي كان لها ارتباط وثيق بحياة القوم الروحية منذ أقدم العهود من حيث الدين واللغة والجنس، وهي عناصر لها أثرها الفعال في تقدم القوم ونموهم، وقد دلت البحوث على أن كل العناصر الأصلية كانت أفريقية النبعة في الأعم؛ وبذلك لعبت مصر بجوارها المباشر لبلاد لوبيا غرباً دوراً هاماً في تاريخها يشبه الدور الذي لعبته في بلاد السودان جنوباً.

ومنذ منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد تطوّر موقف مصر هذا بالنسبة لجيرانها من أساسه؛ إذ قد أغلقت الحدود التي كانت مفتحة بينها وبين البلاد الغربية منها، ومن ثم ابتداء عصر انفصال مصر عن البلاد القريبة المجاورة لها، وكذلك ابتداء عصر ثقافة مصرية قائمة بذاتها خلافاً للعصر السابق الذي كانت تُعدّ فيه جزءاً من الثقافة الأفريقية أو نوعاً منها، وقد فصلنا القول في تطور الأحوال بين مصر والقبائل المجاورة لها من جهة الغرب منذ بداية عصر التاريخ حتى نهاية عصر «رعمسيس الثالث».

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن استعمال كلمة «لوبيين» للدلالة على سكان غربي مصر هو استعمال خاطئ؛ وذلك لأنها لا تعني إلا قبيلة خاصة من سكان شمالي أفريقيا وهم الذين يسكنون الآن الإقليم المسمى «سرنیکا» في البقعة المرتفعة من «برقا»، وهي أقرب جزء من أفريقيا لبلاد اليونان القدامى عن سكان شمالي أفريقيا

شرقيها وغربي وادي النيل، وهم الذين أطلقوا هذا الاسم على كل القبائل القاطنة في غربي مصر.

والواقع أن بلاد لوبيا كانت تتألف من قبائل مختلفة أهمها «التحنو» «والتمحو» «والمشوش» واللوبيون، وأقربهم لمصر صلة قبيلة «التحنو» التي يسكن أهلها على الحدود الغربية مباشرة.

وهؤلاء القبائل كانوا في نضال مع مصر منذ فجر التاريخ. وآخر حروب شنها المصريون قبل «رعمسيس الثاني» في عهد الفرعون «أمنمحات الأول». ولم يكد يوارى التراب «رعمسيس الثاني» هذا حتى قاموا بغزوة شاملة على أرض الدلتا، وقد شجعهم على ذلك القبائل التي هاجرت من شمالي أفريقيا، وكذلك هجرة أهل البحار الذين كانوا آنئذ ينقضون على بلاد الشرق من كل حذب وصوب. غير أن «مرنبتاح» على الرغم من شيخوخته كان لا يزال فتي القلب يضم بين جوانحه روحًا وثابًا، فأعد لهذا الخطر عدته بكل ما لديه من مال وعتاد، فوقف الغزاة عند تخوم بلاده بعد أن صدّهم خارجها في موقعة فاصلة، ولكن شبح الخوف من هؤلاء الغزاة كان لا يزال ماثلاً أمام أعين المصريين، وقد ترك لنا «مرنبتاح» أنشودة عظيمة يصف لنا فيها الهزيمة الساحقة التي أنزلها بهؤلاء اللوبيين، كما أشار فيها إلى ما قام به من أعمال جليلة وما صبه من نكبات وأنزله من ويلات بأقوام البلاد الأخرى المجاورة التي تألبت عليه، وقد ذكر من بينهم قوم بني إسرائيل للمرة الأولى في تاريخ العالم على ما نذكر، ومن ثم تشعبت الآراء وتضاربت الأقوال في حادثة خروجهم من مصر، وفي اسم الفرعون الذي غادروا البلاد في عهده، لدرجة أن بعض المؤرخين أنكروا حادثة خروج هؤلاء القوم من أرض الكنانة، وهي التي جاء ذكرها في التوراة، وقالوا إنها مستعارة من حادثة أخرى وهي خروج الهكسوس من مصر. هذا بالإضافة إلى ما جاء من تضارب في تفسير وإيضاح الطريق التي سلكوها عند خروجهم من أرض الكنانة في شمالي الدلتا وتجاوزهم البحر، وما سكب من مداد في تفسير كلمة البحر الذي

غرق فيه فرعون وقومه، وقد دلت البحوث الأخيرة على أن المقصود بالبحر هنا ليس البحر الأحمر أو بحر القلزم كما يُسمى عادة بل هو «اليم» الذي يطلق على النيل. وقد جاء الخطأ من طريق ترجمة عبارة «يام سوف» التي ورد ذكرها في سفر الخروج في الأصل العبري القديم الذي يرجع عهده إلى زمن البطلمة الأول، أي في القرن الثالث قبل الميلاد تقريبًا، ومعناها «يم الغاب» أو البردي، وهو يؤلف جزءًا من بحيرة المنزلة، غير أن المترجمين الذين قاموا بترجمة التوراة في القرن العاشر تقريبًا قد تصرفوا في ترجمة هذا التعبير فترجموه بالبحر الأحمر؛ ومن ثم حاول المؤرخون ارتكائًا على هذه الترجمة إيجاد حلٍّ مرضٍ، فتخبطوا زمنًا طويلًا في هذه السبيل على غير هدى إلى أن اهتدى بعض الباحثين ومن بينهم مُهندسنا الكبير «علي بك الشافعي» حل هذا المشكل بطريقة علمية بارعة، وقد شرح لنا الطريق التي اتخذها بنو إسرائيل إلى أن وصلوا إلى مقرِّهم بأرض «كنعان» (فلسطين) موطنهم المختار.

وكان هؤلاء اليهود يسكنون في بقعة من بقاع الجزء الشرقي من الدلتا. وكان «رعمسيس الثاني» قد سخرهم في إقامة عاصمة ملكه التي جاء ذكرها في التوراة باسم «رعمسيس» ودلَّت الكشوف الحديثة على أنها «بر رعمسيس» (قنتيرا الحالية)، وهي التي خرجوا منها مؤلِّين وجوهم شطر فلسطين، ومن أجل ذلك أصبح من المرجح أن خروج بني إسرائيل من مصر قد وقع في عهد «رعمسيس الثاني» أو في عهد ابنه «مرنبتاح» غير أن الرأي الأول هو الأرجح. وأنهم خرجوا من «قنتير» إلى «فلسطين» وعبروا بحيرة المنزلة في طريقهم إلى سينا لا البحر الأحمر، ومن ثم إلى فلسطين.

وقد كانت بوادر الأحوال في أواخر عهد «مرنبتاح» تنذر بسوء المنقلب؛ لما حل بالبلاذ من فقر بسبب نضوب معينها من جراء الحروب الطاحنة، والقتلاقل الداخلية بين أفراد أسرة هذا العاهل؛ إذ لم يكد يخنفي عن مسرح الحياة حتى قام التطاحن على عرش البلاذ، وتوالى الفراغنة عليه في فترات متقاربة بالعنف تارة

وبالمؤامرة تارة أخرى، حتى إن المؤرخ الحديث لا يجد أمامه سبيلاً لاستخلاص ترتيب الفراعنة الذين حكموا البلاد في تلك الفترة ترتيباً تاريخياً صحيحاً؛ ولذلك أصبحوا يشبهون عهد هذا العصر بالعصر الذي تلا موت «تحتمس الأول» مع الاحتفاظ للعهد الأخير بأنه كان عهد رخاء للبلاد، بينما كان الأول عهد شقاء ومحن أدّت بمصر إلى الهاوية وطمع فيها آسيوي غاصب يُدعى «إرسو» غزا البلاد واستولى عليها فترة من الزمن إلى أن هبّ المصريون وعلى رأسهم الفرعون «ستنتخت» أحد أبناء مصر الأمجد، فخلص البلاد من حكم هذا الأجنبي، واستردّ لمصر استقلالها وسلطانها.

وقد كان حكم «ستنتخت» فاتحة عهد جديد لمصر وهو عهد «الأسرة العشرين» بفضل الدم الفرعوني الجديد الذي بدأ يأخذ بزمام الأمور في البلاد، ويوجه سياستها إلى الطريق المؤدّية لاسترداد مجدها الغابر وسلطانها المضيع في آسيا وأفريقيا. والواقع أننا لا نعلم عن هذا المخلص العظيم إلا القليل الذي على الآثار الباقية له، وما دونه عنه ابنه «رعمسيس الثالث» الذي يُعد بحق من أعظم الفراعنة الذين ساقهم القدر للنهوض بمصر فترة وجيزة من الزمن، فقد جعل الحياة تدب في أوصالها المتداعية، وتعيد الروح لجسمها المنحل، ولكنه لم يكد يُوارى في التراب حتى خلف من بعده خلف لم يقووا على معالجة الأمراض المنتشرة في جميع نواحي جسم الدولة، وأسرعت الأمور بالدولة إلى الهاوية شيئاً فشيئاً إلى أن انحلت عراها، وتسرب الوهن إلى كل جزء من أجزائها، فعادت سيرتها الأولى من الانقسام إلى مصر العليا ومصر السفلى، ثم إلى مقاطعات.

غير أن عهد «رعمسيس الثالث» (١٢٠٠-١١٦٨ ق.م) الذي كان يعدُّ بمثابة صحوة الموت في تاريخ مصر، كان فترة رخاء وقوة ومجد إذا لاحظنا الأحوال والأحداث التي كانت تقع في العالم الخارجي وفي البلاد المجاورة لملكه؛ فقد استطاع «رعمسيس الثالث» هذا في فترة وجيزة أن ينظم شئون البلاد الداخلية، ويصلح حالة

الزراعة والمنتجات المحلية، فأثرت البلاد ونعم أهلوها؛ وأصبح في مقدوره أن يقيم القصور الفخمة والمعابد الضخمة التي لا تزال على مر الأيام تغالب الدهر وتجذب إليها أنظار الزائرين من كل أنحاء العالم. كما تمكن من إعداد جيش عظيم قوي الأركان حسن النظام، استطاع به أن يتغلب على أعداء البلاد الذين أرادوا أن يجتاحوها من البحر، والذين طمعوا في استيطانها من الغرب، وأخيراً استطاع بقوة هذا الجيش المنظم أن يعيد لمصر جزءاً كبيراً من إمبراطوريتها في آسيا، بعد أن كان قد استولى عليها وعلى مصر «إرسو» عنوة.

وقد دوّن لنا «رعمسيس الثالث» كل مجهوداته الضخمة التي عادت على البلاد بأعظم المنافع وأبقاها في كتابين ضخمين؛ الأوّل نقشه على الحجر، والثاني دوّنه على الورق، وقد أسعد التاريخ الحظ ببقاء الكتاب الأوّل مصوراً على جدران معبد مدينة «هابو» الذي رفع بنيانه هذا العاهل العظيم في «طيبة الغربية» كما حباه بإنقاذ الكتاب الثاني المدوّن على القرطاس من غير الدهر وأحداثه؛ إذ عُثر عليه بين أوراق أخرى في أحد مخابئ «دير المدينة»، وتشاء الأقدار والعناية الربانية أن ينقذه مرة أخرى من لهيب النار التي اندلعت في «الإسكندرية» بالقرب من المكان الذي احتفظ فيه «هاريس» بمجموعته من أوراق البردي وغيرها.

وقد صوّر لنا «رعمسيس الثالث» على جدران معبد مدينة «هابو» الذي كان يشمل في داخل أسواره قصره الفاخر كل مناظر الحروب التي شنتها على أعدائه، وقد ظهر فيها بمظهر الفاتح المظفر، والجندي الشجاع الذي يغامر بحياته في وسط المعركة. هذا بالإضافة إلى ما صوّر من مناظر تكشف لنا عن حياة الملوك في ذلك العصر في قصورهم الخاصة وقت فراغهم، وكذلك طرادهم وحياتهم الدينية، واتصالاتهم الخارجية ومعاملاتهم للأقوام المهزومين، وغير ذلك من صور الحياة.

والواقع أن الفترة التي عاش فيها «رعمسيس الثالث» تُعد من أخرج الفترات في تاريخ مصر، ومن أهم العهود في تاريخ الجنس البشري؛ إذ في تلك الحقبة من

الدهر قامت هجرة عظيمة انحدرت من آسيا الصغرى، ومن شمالي البحر الأبيض المتوسط، وكان غرضها غزو بلاد الشرق، والاستيلاء على مصر. وتدل شواهد الأحوال على أن هؤلاء الأقوام قد أتوا من جزر البحر مثل صقلية وسردينيا، ومن أوروبا، فكان ذلك أول اختلاط لمصر بالأوروبيين، وقد زاد الطين بلة، وعقّد الأمور أمام «رعمسيس الثالث» للقضاء عليهم أن قام أهل «لوبيّا» الأصليون يساعدهم قبائل أخرى، وبخاصة «المشوش»، بالزحف على مصر حتى وصلوا إلى أرض الدلتا، يساعدهم في ذلك أقوام البحار، فأخذ «رعمسيس الثالث» للأمر أهبطه، وتقابل مع اللوبيين والمشوش في مواقع طاحنة انتهت بفوز مصر، وردّ الأعداء على أعقابهم مؤقتاً، وفي تلك الفترة كان أقوام البحار يتأهبون للزحف على مصر بحرًا وبرًا من جهة فلسطين، وقد كان «رعمسيس الثالث» قد علم بنبأ زحفهم من قبل، فاستعد لملاقاهم على ما يظهر في بلاد «كنعان» نفسها، وأحاق بهم هزيمة نكراء. أما أولئك الأقوام الذين أرادوا غزو مصر من البحر فقد فوت عليهم غرضهم؛ إذ أقام الاستحكامات، ونصب المتاريس على ساحل البحر عند «دمياط»، ووقف هو على الساحل مع جنوده يعاضد أسطوله الذي أخذ ينازل أسطول العدو في أول معركة بحرية مصوّرة عُرفت في تاريخ العالم، وقد ترك لنا صورتها على جدران معبد مدينة «هابو» نشاهده فيها وهو واقف كالعملاق بين جنوده يصب على أسطول العدو وإبلاً من سهامه، وقد أسفرت الواقعة عن انتصار عظيم للأسطول المصري.

وبعد هذه الانتصارات على قبائل «لوبيّا» وأقوام البحار لم يبقَ أمامه إلا غزوات قام بها على الخارجين من أهل «سوريا» العليا والولايات المتاخمة لها، وقد أحرز النصر المبين عليهم جميعاً، وبذلك أصبحت الولايات الآسيوية تدين له بالطاعة كما كانت تخضع له بلاد لوبيّا وقبائلها المختلفة.

أما بلاد «كوش»، فتدل النقوش على أنه كان قد غزاها في بادئ حكمه على أثر بعض ثورات هبّت فيها، ومن ثم بقيت موالية له تؤدّي جزيتها سنوياً.

وتدل الوثائق التي في متناولنا على أن «رعمسيس الثالث» قد قضى البقية الباقية من حياته، أي بعد السنة الثانية عشرة من حكمه في هدوء وسلام، وأنه وجه عنايته لإقامة العمارات والمعابد الضخمة في أنحاء البلاد. ولا أدل على ذلك مما جاء في ورقة «هاريس الكبرى» التي تعد أكبر ورقة وصلت إلينا عن تاريخ فرعون مفصلة أعماله؛ إذ يبلغ طولها أكثر من أربعين مترًا، وقد دَوّنت بالخط الهيراطيقي البديع، ولكن مما يؤسف له جد الأسف أن محتويات هذه الوثيقة الفذة، إذا استثنينا الجزء التاريخي منها قد سِيء فهمه إلى زمن قريب جدًّا، فقد تناولها كل من الأستاذين «إرمان» و«برستد» بالبحث والتحليل، وخطوا في فهم المتن خطوات واسعة، إلا أنهما ارتكبا أغلاطًا جسيمة شوّهت الحقائق التاريخية تشويهًا مشينًا إلى أقصى حد، لدرجة أن بعض علماء الآثار، ونخص منهم بالذكر الأستاذ «جاردنر» الضليع في فقه اللغة المصرية، قد تساءل كيف أن علماء اللغة قد فاتهم الغرض الأصلي الذي وضعت من أجله هذه الورقة حتى كتب الأستاذ «شادل» مقاله الرائع عن القوائم التي تحتوي عليها ومغزاها؟ والواقع أن كلاً من «إرمان» و«برستد» قد فهم خطأ أن المعابد والعمائر والمباني التي ذكرت في ورقة «هاريس» وهي الخاصة بالإله «آمون» في «طيبة» والإله «رع» في «هليوبوليس» والإله «بتاح» في «منف»، وكذلك معابد الأقاليم كانت تشمل كل ممتلكات المعابد السابقة، وأن «رعمسيس الثالث» قد أقر هذه الممتلكات، وبذلك ثبت دعواه بأنه هو المُنعم بها كلها. ولكن مقال الأستاذ «شادل» قد جاء على العكس من ذلك، فهو يؤكد بصراحة أن محتويات الورقة لا تتناول إلا الإضافات التي وهبها «رعمسيس الثالث» ضياع المعابد أو المعابد التي بناها هو، وعلى ذلك فما جاء في الورقة لا يمكن أن نقدر به مجموع ثروة الكهنة آنئذ؛ يُضاف إلى ذلك أن «شادل» نفسه قد انساق مع كل من «إرمان» و«برستد» في بعض الأخطاء التي ارتكباها، ولم يمكنه التخلص منها، فقد ظنَّ معهما أن الأرقام المتصلة بالمواد المختلفة تمثل مجموع المنح التي قدّمت خلال مدّة حكم هذا الفرعون كلها وهي واحد وثلاثون سنة، وعلى ذلك قسمها واحدًا وثلاثين جزءًا؛ لكي يصل

إلى متوسط الدخل السنوي للمعابد. ولكن ثبت فعلاً بالبراهين أن هذه الأرقام لا تضع أماناً إلا الدخل السنوي، لا دخل مدة حكم هذا الفرعون كلها. ويكفي أن نقول هنا إن هذا الخطأ الفاحش وحده قد جعل كلا من «برستد» و«إرمان» يقدّر دخل المعابد في عهد «رعمسيس الثالث» بجزء من واحد وثلاثين من قيمته الأصلية، فإذا أضفنا الأوقاف الأصلية التي كانت للمعابد الرئيسية الثلاثة والمعابد الصغيرة قبل تولية «رعمسيس الثالث» وما كانت تنتجها اتضح لنا الفرق الشاسع بين ما قدره «برستد» من أملاك وتابعين لأمالك الآلهة، وبين التقدير الحقيقي بعد فهم المتن على الوجه الصحيح.

وقد وصلنا في بحثنا هنا إلى أن النسبة المئوية من عدد السكان التي كانت تملكها المعابد قد أصبحت على ضوء فهم المتون حوالي ٢٠٪، وأن ما تملكه من أرض مصر الزراعية بدلاً من ١٠٪ قد أصبح ٣٠٪، وهكذا يتضح أماناً جلياً مقدار ثروة الكهنة في تلك الفترة؛ مما مهد لهم السبيل للسيطرة على شئون البلاد الاقتصادية فضلاً عن سيطرتهم الدينية، وقد انتهى بهم الأمر بذلك على إثر سقوط آخر الرعامسة إلى السيطرة السياسية، فتولوا حكم البلاد، وألفوا حكومة دينية في ظاهرها، ولا غرابة في ذلك؛ لأن الناحية الدينية وبخاصة عبادة «آمون» مسيطرة على عقول الشعب والفرعون معاً، كما سيرى القارئ في الترجمة التي وضعناها لورقة «هاريس»، وكما تدل الأرقام التي استخلصناها من دراستها. وعلى الرغم من أن معظم محتويات هذه الورقة خاص بالآلهة ومعابدهم، فإن الجزء التاريخي منها ينير لنا السبيل لفهم النقوش والمناظر التي صوّرها «رعمسيس الثالث» على جدران معبد «مدينة هابو» وبخاصة حروبه.

هذا فضلاً عن أنها تقدم لنا فكرة عن حالة البلاد الزراعية ومنتجاتها المعدنية وما فيها من مصانع ومعامل، وكذلك تحدثنا عن تجارة مصر الخارجية، وبخاصة اتصالاتها ببلاد «سينا» و«بنت» - بلاد الصومال واليمن - وما كانت تجنيه البلاد

من ممتلكاتها خارج مصر، وقد لمح لنا «رعمسيس الثالث» عن حالة الرخاء والأمن في البلاد حتى إن المرأة أصبحت تسير في الطرقات دون أن يعترضها أي فرد من سفلة القوم وأشرارهم. وكذلك أقام المتنزهات في أنحاء البلاد، وغرسها بالأشجار الوارفة يستظل القوم بوارف ظلها في حمارة الصيف. كما أنه أقام العدل في كل ربوع البلاد بين مختلف الطبقات على السواء.

وفي الحق إذا أخذنا معيارًا لحالة السكان وقتئذ، وما كانت تملكه الأسرة المتوسطة من الفلاحين التابعين للمعابد، وجدنا أن الأسرة المصرية وقتئذ كانت أسعد حالًا وأرغد عيشًا من الأسرة المصرية الحالية؛ إذ كان رب الأسرة يملك حوالي سبعة أفدنة ونصف فدان يزرعها ويؤدّي عنها خراجًا بسيطًا، غير أن العمال على ما يظهر لم يكونوا سعداء الحال إذا صدقنا ما جاء في ورقة الإضراب التي تحدثنا أن العمال قد أضربوا في السنة التاسعة والعشرين من حكم «رعمسيس الثالث» بسبب قلة الجرايات، وقد يكون السبب المباشر في ذلك ارتباك الأحوال داخل البلاد، وقيام مؤامرة دبرتها إحدى نساء القصر لاغتيال الفرعون. هذا فضلًا عن ازدياد عدد الأجانب في البلاد، وسيطرتهم على كثير من شئون الدولة، مما أذى إلى تدهورها، وإفساح الطريق للكهنة لتولي حكم البلاد بما لديهم من مال وسلطان، وسترى في الجزء التالي إن شاء الله كيف أن الأحوال في مصر قد أخذت تنحدر شيئًا فشيئًا حتى زال حكم الرعامسة جملة، ودخلت البلاد في طور جديد من تاريخها.

سليم حسن

أبريل ١٩٥٠

الأسرة التاسعة عشر

عهد «مرنبتاح»

ونهاية الأسرة التاسعة عشرة



(١) مقدمة

كان عهد «رعمسيس الثاني» العظيم - على الرغم مما أنجزه من أعمال ضخمة داخل البلاد، وما سار عليه من سياسة خارجية قوية، استردَّ بها كثيرًا من مجدها وسيادتها - يحمل في تضاعيفه عند نهايته بذور الوهن والضعف والركود، فقامت الثورات في أنحاء الإمبراطورية المصرية الآسيوية، كما طمع اللوبيون فأغاروا على الحدود المصرية الغربية، وناصرهم أقوام البحار بعد أن قويت شوكتهم وعظمت قوتهم، فهاجموا مصر في ممتلكاتها، وأغراهم بها أنهم ظلوا عهدًا طويلًا لم يروا جيوش الفرعون تكيل لهم الضربات وتنزل بهم الهزائم، وتشعرهم بقوة مصر ومنزلتها الممتازة بين دول الشرق بعامة.

ولا غرابة في ذلك، فقد كان «رعمسيس الثاني» في أواخر حكمه الطويل قد بلغ من العمر أزدله، كما أسرف في أموال الدولة ومواردها إلى حدٍّ بعيد لإشباع شهواته التي كانت لا تقف عند حدٍّ في إقامة العمائر الدينية، ونحت التماثيل الضخمة لنفسه ولآفته، حتى ملأ بها البلاد وحشدها في المعابد، وقد أفضى ذلك إلى نضوب أموال الدولة في نهاية حكمه، حتى اضطرَّ في آخر أمره إلى نحت تماثيله وإقامة مبانيه من المواد الرخيصة التي لا

تكلفه إلا قليلاً من المال الذي نضب معينه في البلاد، وقلَّ وروده من الخارج بصورة بارزة محسنة؛ يمكن أن يُشاهدها المؤرخ بعينه ويلمسها بيده إذا وازن بين ما تمَّ في باكورة حكمه، وما أنجزه في أخريات أيامه من الأعمال الباقية. وتدلَّ شواهد الأحوال على أن هذا الفقر المادّي قد شعرت به البلاد المجاورة، كما فطنت له الممتلكات المصرية في آسيا وغيرها.



شكل ١: الفرعون مرنبتاح.

وقد زاد الطين بلة أن دولة «خيتا» القوية، التي يرتبط بها وبمصر مصير الشرق قد انحدرت في طريق الانحلال والانهيار، بعد أن كانت صاحبة السيادة على معظم ولايات آسيا الصغرى، فقد أعقب موت عاهلها «خاتوسيل» أزمة داخلية لم تحدثنا الآثار الباقية حتى الآن بشيء كثير عنها، بيد أنه من المحتمل جداً أن هذا التدهور قد يرجع إلى هجوم

جديد قام به أقوام البحر.

(١ - ١) بلاد «خيتا»

فقد تولى عرش الملك بعد «خاتوسيل» الملك «توداخليا»^(١) الرابع حوالي عام ١٢٥٥ ق.م، وفي عهده وعهد خلفه ظل السلام مخيمًا على دولتي «مصر» و«خيتا»، وقد حدثتنا وثائق «بوغازكوى» (عاصمة الملك) عن نشاط بلاد «خيتا» في تلك الفترة، فعلمنا أن والدة الملك «توداخليا» قد أمضت المعاهدة مع مصر في صدر حكمه، وقاسمته السلطان في البلاد بوصفها وصية عليه، وكذلك علمنا أن ابن «توداخليا» المسمى «أرنواندا» قد أدار سكان البلاد بمساعدة والدته «تاواسي» Tawasi. والمعتقد أنه في أواخر عهد دولة «خيتا» العظيمة كان ملوكها قد نهجوا نهج ملوك مصر بأن يتزوج الملك من أخته (راجع H. R. Hall. The Ancient History of the Near East (London and 3rd Edit P. ١٩١٦ (٣٧٤)).

وتدل شواهد الأحوال على أن الحروب الطويلة التي شنتها مصر على هذه البلاد قد استنفدت مواردها؛ ففي عهد الملك «توداخليا» نشاهد أن «توكولتي-أنورتا» (١٢٦٠-١٢٣٢ ق.م) ابن ملك «آشور» المسمى «سلمانزار salamansar» قد أغار على بلاد «سوريا» العليا حليفة «بوغازكوى» وفصلها عنها، وقد انتهز هذا الملك فرصة نضوب معين بلاد «خيتا» وأخضع بلاد «بابل» حوالي عام ١٢٤١ ق.م، وقد خلف «أرنواندا» الرابع ملك آخر يدعى «توداخليا» الخامس على عرش «خيتا»، الذي انتهى عهده الحامل حوالي ١٢٠٠ ق.م، وقد انقطعت عنا فجأة سجلات «بوغازكوى» وتمزقت إمبراطورية «خيتا»، دون أن نعرف على وجه التأكيد الأحداث التي أدت إلى تدهورها وسقوطها من بين دول الشرق العظيمة في تلك الفترة، وإن كان في استطاعتنا أن نصل عن طريق الظن إلى الأسباب التي أدت إلى ذلك السقوط، فقد كانت دولة «خيتا» - في «بوغازكوى» عاصمتها - يدير شؤونها طائفة اسمها «النيزيون»، ولم تصل إلى درجة هامة بين دول الشرق القديم إلا في عهد الملك «شوبيلوليوما»، وقد كانت عملية توحيد

البلاد حتى عهد هذا الملك، ومنذ وصول أهل «خيتا» الآربي الجنس إلى آسيا الصغرى حوالي عام ١٢٥٠ ق.م سائرة على قدم وساق، وتدل الوثائق التي وصلت إلينا من سجلات «بوغازكوى» على أنه كان لا بد من صراع عظيم لتأليف هذه الدولة وتوسيع ممتلكاتها، وهذه الفترة الطويلة التي استغرقت عدّة قرون للوصول إلى مثل هذه النتيجة العظيمة يمكن تفسيرها بالأحوال التي كانت تجري في هذا العهد، فقد كان «النيزيون» قليلي العدد؛ ولذلك لم يكن في استطاعتهم الاستيطان في البلاد التي فتحوها، كما لم يكن في مقدورهم أن يتركوا فيها حاميات كافية للمحافظة عليها، هذا بالإضافة إلى أنه لم تكن لديهم طرق معبدة تسمح لهم بالقيام بحركات حربية سريعة، ويمكن الإنسان أن يفهم أهمية طرق المواصلات إذا اخترنا مثلاً من الأمثلة القريبة منا مثل حروب «فندي Vendee» إذ إن أعداءها تبعوا على قوّتهم؛ لجهلهم بطرقها التي يسلكونها في الفرار ونقل القوّات والأمتعة.

على أن هذه القرون الطويلة التي سلخت في سبيل توحيد آسيا الصغرى تحت سلطان ملوك «خيتا» ليست من الأمور الشاذة؛ إذ نجد أن أول دولة عظيمة قامت في «مسوبوتاميا» - ما بين النهرين - وهي دولة «سرجون آجادا»؛ لم تمكث فترة طويلة وقد قطعت قروناً عديدة قبل تكوينها في الاستعداد وفي محاولات عنيفة لتكوينها. وتدل قوائم الأسر التي وصلت إلينا - على الرغم من الخرافات التي تتخللها - على جهود طويلة مستمرة بُذلت في تكوينها.

ولنا أن نتساءل هل كان هذا الاتحاد وثيقاً ثابتاً؟

والجواب على ذلك بالنفي؛ لأن كل هذه القبائل التي تتألف منها الوحدة الخيتية كانت قد اتحدت - على كره منها - بضغط من الحكومة المركزية التي كانت تقبض على أجزاء الاتحاد بيد من حديد، ولم تندمج - يوماً ما - في وحدة قوية، بل كانت كل ولاية تحافظ على مطامعها وشخصيتها، وهذا هو السبب في أن دول الشرق العظيمة كانت - ولا تزال - تتفكك عراها وتتلاشى وحدتها أمام المغير القوي كما حدث «لآشور»

و«بابل» ودولة «أخميدة»^(٢) وهذا هو بعينه ما أصاب بلاد «خيتا» التي كانت في ظاهرها دولة قوية مترامية الأطراف وفي داخلها متفككة العرا لا يربط أجزاءها صلة قوية؛ فقد أخذت كل القبائل التي أخضعت بالقوة تستعيد استقلالها عند سنوح الفرصة، هذا إلى أن أقوام البحار قد أتوا معهم في هجرتهم بجيوش جرارة جديدة للهجوم على آسيا الصغرى.

وقد رأينا كيف أن ملك «خيتا» «مواتالي» قد استعمل الأقوام الممحق في محاربة مصر، وكيف أنه - بتوجيههم لفائدته - قد أمكنه المحافظة على كيان إمبراطوريته، بيد أن الموقف في هذه المرة كان أشد خطورة، فقد كان هجوم «الإيليريين» الذين استوطنوا الشمال الغربي من شبه جزيرة البلقان سبباً في هجرة الدوريين الذين يؤلفون جزءاً من سكان بلاد «البلبونيز» واستيطانهم جزر «سيكليد» وجزيرة «كريت»، وقد طغت مدنيتهم على المدينة المسينية التي حلت بذورها محل الثقافة المنوانية (كريت)، وقد كانت قبائل «تراقيا» قد وصلت إلى آسيا الصغرى عن طريق البسفور (هلسبونت)، وأخذت أقوام «ماسا» و«دردانيا» وغيرها تنضم إلى حركة هذه الهجرة، وكانت قد بدأت موجة جديدة من «الآخيين» تشق طريقها، فقضت على كل هذه الفياق التي كانت تؤلف جزءاً من أقوام البحر بزحفهم على مملكة «النيزيين» (خيتا) في «بوغازكوى» عاصمة ملكهم، وهي التي كانت قد تألفت فيما مضى بفضل حركة هجرة ماثلة وإن لم تكن في ضخامتها تشبه التي نحن بصدها الآن.

وقد كانت بلاد «آشور» حتى هذا الوقت تعيش في سلام وأمان مع «خيتا» القوية، ولكن عندما تولى زمام الأمور فيها الملك «توكولتي إنورتا» (١٢٦٠-١٢٣٢ ق.م) ورأى أن الانحلال قد أخذ يدب في أرجاء بلاد «خيتا» بسبب الثورات الداخلية التي قامت فيها؛ أخذ في الحال يعمل على مدّ حدود بلاده على حساب جارتها، وقد أنجز ذلك بمهارة وحذق، فتحاشى مهاجمة البلاد التي كانت تحت سلطان ملك «خيتا» مباشرة، كما أنه لم يمس البلاد التي كانت تدين لمصر بالطاعة والولاء، بل هاجم بلاد «سوبار»^(٣) التي كانت تمتد على الشاطئ الأيسر لنهر «الفرات» وجنوب بلاد

«المتنى»، وقد أوغل في هجومه حتى «بابل» وأفلح في الاستيلاء عليها زمنًا. ويدل ما لدينا من معلومات على أن «خيتا» ومصر لم تتدخلوا في وقف بلاد «آشور» عند حدها؛ لأن المهجوم كما يظهر لم يكن موجّهًا لواحدة منهما بالذات، ولا شك في أن ذلك من الأخطاء السياسية العظيمة التي ارتكبتها كل من الدولتين. والواقع أن الخطر الأكبر الذي يهدد كيان «مصر» و«خيتا» هو الغزوات التي قامت بها أقوام الهند الأوروبية، وترجع بدايتها إلى الحملات التي شنّها اللوبيون بمساعدة قبائل الهند الأوروبية في عهد كل من «سيتي الأول» وابنه «رعسيس الثاني» كما ذكرنا ذلك من قبل (راجع مصر القديمة ج ٦).

غير أن هذه الحملات لم تكن حتى نهاية عهد «رعسيس الثاني» تُعدّ خطرًا مباشرًا يهدّد كيان الدولة المصرية أو ممتلكات بلاد «خيتا»، والواقع أن ملك «مصر» كان أحيانًا يستعمل أولئك الأقوام الوافدين جنودًا مرتزقة كما حدث في موقعة «قادش»، فقد رأينا جنود «شردانا» يؤلفون جزءًا مختارًا من جيش «رعسيس الثاني» عند هجومه على «خيتا»، وكذلك استعان ملك «خيتا» هؤلاء الأقوام في حروبه مع مصر، وقد كان من السهل على كل من الدولتين القضاء على أية قبيلة من هؤلاء الأجانب إذا قامت بعصيان أو ظهر منها أخطار يهدّد كيان البلاد.

ويدل ما لدينا من وثائق تاريخية على أنه - في المدة الأخيرة من عهد «رعسيس الثاني» - ظهرت حركة هجرة في إقليم بلاد «البلقان» والبحر الأسود قام بها عدّة أقوام وكان لها أثر سيء في الشرق الأدنى.^(٤)

وكانت هذه الهجرة كالسيل الجارف، فانتشرت في «آسيا الصغرى» وفي جزر «بحر إيجه» وفي بلاد «الإغريق» كما أسلفنا، حتى وصلت إلى بلاد «لوبييا»، ولم تكن هناك قوة في العالم تستطيع وقف هذا الزحف الجبار، فقد كان المهاجمون يصلون إلى تلك الجهات جماعات عن طريق البر والبحر كلما هيأت لهم الظروف، جالين معهم نساءهم وأطفالهم وأمتعتهم. ومن ثم نعلم أن غرضهم الأول كان استيطان تلك البقاع الخصبة الغنية، ولم

تستقر فئة منهم في جهة حتى تدهمها أخرى من المهاجرين وتضطرها إلى النزوح نحو الجنوب. وقد كانت «خيتا» أول بلد أغار عليه هؤلاء الهنود الأوروبيون، وقد ذكرنا من قبل احتمال أن يكون هذا الغزو السبب المباشر في الأزمة التي حدثت في داخل بلاد «خيتا» وأدت إلى الانهيار السريع الذي حاق بهذه الدولة القوية بعد موت عاهلها «خاتوسيل»، ومن المحتمل أن قوم «خيتا» قد حاولوا بادئ الأمر صدّ تيار هؤلاء الغزاة الذين أتوا عن طريق البحر ونجحوا فعلاً بعض الشيء في استيطان بلادها، وإذا كان بعض أهل هذه القبائل الهندية الأوروبية قد تمكن من خرق الحصار الذي ضربه أهل «خيتا» في طريقهم إلى الجنوب والوصول إلى إقليم «سوريا» و«فلسطين»، فإلى «خيتا» يرجع الفضل العظيم في تأخير الهجوم العنيف الذي قام به هؤلاء الأقوام على هذه الجهات.

ومما يؤسف له أن «رعمسيس الثاني» في تلك الفترة كان في أواخر أيام حياته كما كانت بلاده على غير استعداد للقيام بأية حروب على هؤلاء الغزاة.

ولو كان في استطاعة «رعمسيس الثاني» أن يتدخل في صد هؤلاء المهاجرين من أقوام البحر لقضى على الخطر الذي هدد كيان الشرق الأدنى كله، ومن ذلك نرى أن الفرعون المسنّ قد ترك لابنه وخليفته «مرنبتاح» إرثاً مثقلاً بالمصاعب والمشاكل داخل البلاد وخارجها.

وقبل أن نتحدث عن هؤلاء المهاجرين وأصلهم يجدر بنا أن نتحدث بإيجاز عن نشأة الفرعون «مرنبتاح» الذي كان من نصيبه منزلة هؤلاء الأقوام الذين اجتاحتهم الشرق من البر والبحر، فضلاً عن خطر اللوبيين الذي كان يلوح من جهة الغرب.

(٢) «مرنبتاح» قبل تولي الحكم

كان ترتيب الأمير «مرنبتاح» في القوائم التي تركها لنا «رعمسيس الثاني» بأسماء أولاده الذكور الثالث عشر، وأمه هي الملكة «است نفرت»، وقد اختاره والده ولي عهد لعرش بلاده في السنة الخامسة والخمسين من حكمه، وذلك بعد موت الأمير

«خعمواست» الذي ظل وليًا لعهد المملكة المصرية مدّة طويلة.^(٥)

وقد وصل «مرنبتاح» إلى مرتبة الكاهن الأعظم للإله «بتاح» (الكاهن سم) وكان يقوم بالمراسيم الدينية في جبانة «السرابيوم» «بسقارة» للعجل أبيس^(٦) وقد وجد اسمه - فيما عدا تلك القوائم التي عددت أسماء أولاد «رعمسيس الثاني» - على آثار «تل بسطة» و«تانيس» و«هليوبوليس»؛ ومن ثم نعلم أن ذكر اسمه كان محصورًا في آثار الدلتا في الأغلب الأعم. (راجع مصر القديمة ج ٦).

وقد نشر الأستاذ «كيمر» نقوش جعران باسم هذا الأمير من الأهمية بمكان عن حياته قبل تولي الملك. وقد قال بائعو هذا الجعران: إنه عثر عليه مع مجموعة جعارين أخرى مستخرجة من مكان ما شمالي «فاقوس»، والجعران المحقوش باسم «مرنبتاح» في هذه المجموعة من الجعارين مصنوع من حجر «استيتيت» المغطى بطلاء مائل للخضرة وقد جاء عليه المتن التالي:^(٧)

الأمير النائب عن «جب» إله الأرض (أي الملك)، والنطفة الإلهية (أي الابن الإلهي) الذي أنجبه الثور القوي ومن في يده تجمع السهل والحزن (أي البلاد الأجنبية)، واليقظ القلب لتقديم العدالة لأبنائه (أي أسلافه) وللآلهة كلهم، والوحيد الذي لا مثيل له، ومن كل البلاد الأجنبية تحت سلطانه، الكاتب الملكي، وقائد الجيش الأعلى، والابن الملكي «مرنبتاح» المخلد أبدًا.

ومن هذا النقش الهام نعلم أن الابن الملكي «مرنبتاح» كان يشغل وظيفة الكاتب الملكي، وأهم من ذلك أنه كان القائد الأعظم للجيش.

ولا نزاع في أن هذا النقش يشير إلى السنوات الأخيرة من عهد «رعمسيس الثاني» عندما كان طاعنًا في السن، وهو العهد الذي تولى فيه ابنه الثالث عشر «مرنبتاح» القيادة العليا لجيش الفرعون بعد موت إخوته الاثني عشر الذين كانوا أكبر منه سنًا، ونحن من جانبنا نعلم أن الفرعون «رعمسيس الثاني» بعد حروبه التي شنها في النصف الأوّل

من حكمه جنح للسلم وأخذ يحكم البلاد في هدوء مستمر أربعين عامًا تقريبًا. والظاهر أنه في شيخوخته قد اعتزل كل سياسة تؤدي إلى الحرب، وترك أمر حراسة حدود إمبراطوريته بطبيعة الحال لابنه. وتدل شواهد الأحوال على أن هذا الجعران قد عُثر عليه في إحدى المدن الكبيرة التي كان يتخذها الفرعون مقرًا له في الدلتا، وهذه المدينة بلا نزاع هي «برعمسيس» (قنتير الحالية)، فإذا كان هذا الاستنباط صحيحًا وأن هذا الجعران قد وجد فعليًا مع غيره في إناء واحد كما ادعى التاجر الذي باعه، فإنه يجوز لنا أن نتصور أن عظماء القوم في مصر كانوا يقتنون مجاميع تذكارية من الجعارين. وقد لاحظ البعض كثيرًا أن الجعارين التذكارية كانت تُقننى كما تُقننى التحف التذكارية الآن.^(٨) وهذه الموازنة يمكن أن تكون لها قيمة أعظم من ذلك إذا أمكن البرهنة على أن المصريين كانوا يجمعون هذه الجعارين التذكارية كما نجمع نحن الآن المداياات وطوابع البريد.

والواقع أن لدينا برهانًا مقنعًا قد يكون معضدًا لنظريتنا هذه؛ وذلك أننا نجد بعض الجعارين التذكارية مجموعة معًا أحيانًا كما توجد مجاميع المداياات التذكارية معًا، وهذا ما حدث فعليًا في المجموعة التي وجد فيها جعران الأمير «مرنبتاح»، فقد وجدنا من بينها جعرانًا تذكاريًا للملك «أمنتحتب الثالث» الذي حكم قبل «رعمسيس الثاني» بمدة.

والآن يتساءل الإنسان عن تلك المناسبة التي أراد «مرنبتاح» إحياء ذكرها بنقش هذا الجعران الذي لم يصل إلينا منه حتى الآن إلا نسخة واحدة.

والظاهر أن هذه الذكرى كانت بمناسبة تنصيبه وليًا للعهد وقائدًا للجيش، كما يدل على ذلك لقب «الأمير الوراثي» (ربعتي) الذي كان يعني في هذا الوقت نائب الفرعون وولي العهد في آن واحد كما شرحنا ذلك من قبل (راجع مصر القديمة ج ٥).

ويوجد في متحف «برلين» الآن تمثال للإله «بتاح» وعليه اسم «رعمسيس الثاني» وقد كُتب عليه متنان «لمرنبتاح» بوصفه أميرًا، ومن المحتمل أنه كان قد أهداه لهذا الإله في حياة والده.^(٩)

(٣) الفرعون «مرنبتاح» وحروبه مع لوبيا وأقوام البحار

يدل ما لدينا من وثائق على أن اختفاء «رعمسيس الثاني» من مسرح الحياة لم يحدث لها أي أثر ظاهر في حالة البلاد، بل سارت الأمور في مصر على ما كانت عليه في عهد والده، ومنذ ذلك العهد استولى «مرنبتاح» على كل السلطات التي كانت في يده عندما كان ولياً للعهد، ولما حضرت والده الوفاة لم يكن فتياً بعد، إذ يُحتمل أنه كان قد وُلد حين كان أبوه في السادسة والعشرين من عمره، وهي السنة الثامنة من سني حكمه على وجه التقريب، ولم يتولَّ «مرنبتاح» عرش الملك إلا وهو في نحو الستين من عمره، وليس لدينا ما يدل على أنه كان مشتركاً مع والده في الملك كما اشترك «رعمسيس الثاني» مع والده «سيتي الأول».

وآخر أثر لدينا من عهد مؤرخ بالسنة الثامنة من سني حكمه. بيد أن «مانيتون»، على حسب ما نقله عنه «يوسفوس»، يقدر سني حكمه بتسعة عشر عاماً وستة أشهر؛ أو بعشرين عاماً على حسب قول «أفريكانوس»، ولا بد لنا من أن نقبل هذا التقدير مؤقتاً بشيء من التحفظ حتى تنكشف الحقيقة عن مدة حكمه بما تجود به الآثار الدفينة في تربة مصر، ومن ثم نرى أن ملكاً طاعناً في السن قد خلفه آخر بلغ أرذل العمر، والبلاد في هذه الفترة بالذات في حاجة شديدة إلى فرعون فتى ينهض بها، ويدافع عن حدودها المعرضة للخطر، والخطر في هذه المرة بخاصة لم يكن من ناحية آسيا كما اعتاد القوم، بل كان من ناحيتي بلاد «لوبيا» وأقوام البحر؛ لأن العلاقات التي كانت بين الفرعون وممتلكاته وقتئذ في «سوريا» كانت على غاية من الود والصفاء كما يبدو، ولا أدل على ذلك من أن الفرعون قد أرسل الغلال لحليفته «خيتا» في أثناء القحط الذي اجتاح «سوريا». (١٠)

وقد قابل المصريون تولية «مرنبتاح» بالفرح والسرور كما جاء في قصيدة أنشأها لهذه المناسبة وهي:

افرحي أيتها الأرض قاطبة، قد جاء زمن الخير؛ فقد أُقيم سيد على كل الممالك وأتى الشهود إلى مكانه، وهو الذي يحكم ملايين السنين، عظيمًا في ملكه مثل «حور بن رع» محبوب «آمون» الذي يفيض على مصر بالأعياد، ابن «رع» «مرنبتاح» منشرح بالصدق. إيه! يا أيها الأتقياء، تعالوا وشاهدوا! قد قضى الصدق على الكذب وخرّ المذنبون على وجوههم، وولى الطامعون أديبارهم، والماء ثابت لا ينقص، والنيل يحمل فيضاً عظيماً، والأيام أصبحت طويلة، والليالي لها ساعات معدودات، والشهور تأتي في مواقيتها، والآلهة منشرحون سعداء القلوب، والحياة تمر في ضحك وعجب. (١١)

وتدل شواهد الأحوال على أن الأمور في مصر نفسها بعد تولية «مرنبتاح» الملك كانت هادئة كما يقول «إدوردمير»: (١٢) إن «مرنبتاح» في سني حكمه الأولى قد وجه اهتمامه إلى توطيد النظام في ممتلكاته الآسيوية؛ إذ كانت الأحوال قد اضطربت بعض الشيء على أثر التغيير الذي حدث في عرش الملك، وكما يحدث عادة في مثل هذه المناسبات بقيام الأمراء المحلين ببعض الثورات. وقد استند في زعمه هذا على ما جاء في الجزء الأخير من قصيدة النصر التي ألّفت بمناسبة انتصاره على اللوبيين ويقول: إن هذه القصيدة قد أرخت بتاريخ يوم الانتصار على اللوبيين وهو اليوم الثالث من الشهر الحادي عشر من السنة الخامسة، ولكنها ألّفت بطبيعة الحال فيما بعد، ويظهر أن الحوادث التي ذُكرت في هذه القصيدة قد حدثت في زمن قبل زمن تاريخ اللوحة، وإذا كانت قد وقعت واقعة بعد انتصاره على اللوبيين لفصل لنا القول فيها كما هي العادة. أما قول «برستد» على حسب ما جاء في يوميات موظف حدود مؤرخة بالسنة الثالثة من حكم هذا الفرعون: (١٣) إن الفرعون كان في ذلك الوقت في «فلسطين».

فكلام من الصعب تصديقه، والواقع أن مكان الملك الملك والذي كانت ترسل إليه فيه الرسائل هو مدينة «رعمسيس» بالدلتا وهي «برعمسيس» (قنتير الحالية)، وفضلاً عن ذلك قد وصل إلينا مصادفة عدد عظيم من أوراق البردي من السنين الأولى من حكم «مرنبتاح» تصف لنا هذا المقر كما ذكرنا ذلك من قبل (راجع مصر القديمة ج ٦).

وعلى الرغم من وجهة ما قاله الأستاذ «إدورد مير» في هذا الصدد ظن بعض المؤرخين أن ما جاء من وصف عن حالة البلاد المقهورة في آخر قصيدة النصر لا يخرج عن كونه مجرد تفاخر اعتاده الفراعنة منذ أول عهود تاريخهم وأصبح أمراً موروثاً.

وصاحب هذه الفكرة وقائدها هو الأستاذ «إدورد نافيل»، إذ نجده بعد أن استعرض التراجم المختلفة للجزء الأخير من قصيدة النصر الذي أحرزه «مرنبتاح» على اللوبيين^(١٤) يقول: «إنه لا يوجد بين هذه التراجم ما يؤدي المعنى الحقيقي للجمل الأخيرة من هذه القصيدة». وقد تناول ترجمتها الأستاذ «برستد» وغيره وقالوا عنها إنها تعني أن «مرنبتاح» كان مثله كمثل والده، قد قام بحملة مظفرة في «سوريا» و«فلسطين»! وهذا الزعم لا تحققه صيغة المتن ومحتوياته، بل إن هذا النقش لا يخرج عن كونه مديحاً خاصاً بالانتصار العظيم الذي أحرزه «مرنبتاح» على اللوبيين وهزيمة رئيسهم «مري»، وهذا المديح كان قد كُتب بعد الفوز بزمان قليل. ففي السنة الخامسة في الشهر الثاني من الفصل الثالث جاء رسول إلى الفرعون يخبره بهجوم اللوبيين. ويقال إن النقشين العظيمين في مديح الفرعون كانا قد نُقشا في الشهر التالي، وأحدهما في الدلتا والآخر في «طيبة»، وقد وجدت كذلك صورة على لوحة في معبد الكرنك ومما يؤسف له أننا لم نعثر إلا على جزء منها. وهذه القصيدة تشبه قصائد الأعياد التي كانت - في العادة - تُنشد بعد إحراز انتصار عظيم، أو إشارة إلى الخلاص من كارثة؛ والأمثلة على ذلك كثيرة في التوراة. والظاهر أنه من البعيد جداً غزو «مرنبتاح» «سوريا» قبل محاربة اللوبيين؛ إذ لو كان الأمر كذلك لوجدنا إشادة بأعماله العظيمة التي قام بها هناك غير هذه الكلمات القليلة التي جاءت في نهاية متن هذه اللوحة.

ولقد كان من الضروري أن يتحدث المؤلف عن المذبحة العظيمة التي قام بها الفرعون وعن قطع رؤوس الأمراء هناك، وكان لا بد له أن يدون لنا الوصف المفخم العادي عن انتصارات «مرنبتاح»، هذا فضلاً عما قاله «مكس مولر» بحق: «إن «مرنبتاح» الذي عاش في سلم مع «ختيا»، والذي كان مهذباً في ملكه «بلوبيا» لا يمكن

أن يكون قد قام بفتح في «سوريا» في السنين الأولى والثانية من حكمه.» وقد أخذ بعد ذلك «نافيل» يفند ما استنبطه «برستد» من يوميات موظف حدود من وقوع حملة في السنة الثالثة قام بها «مرنبتاح» على «سوريا»، ففند ما جاء في هذه الخطابات بطريقة غير التي استنبطها «إدورد مير» كما أسلفنا.

وقد ختم «نافيل» مقاله بالكلمات التالية:

وهكذا نرى أن الأسطر الأخيرة من لوحة النصر تدل على أن سلامة البلاد كانت تامة، ففي الجانب الأفريقي كان نصره مبيئاً حاسماً، ومن جانب «ختينا» كانت هذه البلاد معه في سلام منذ حكم والده، أما الممالك الأخرى التي يصح أن تصبح أعداء له فقد صارت لا حول لها ولا قوة.

وليس هناك أية إشارة تدل على أن هذه الحالة كانت نتيجة لانتصار الملك؛ إذ لم يذكر هناك بوصفه فاتحاً، ولم يُقَلَّ إنه شخصياً قد فعل أي شيء في تخريب «عسقلان» أو «إنواما Inuamma»، ولا نزاع في أنه من غير المعتاد في المتون المصرية كما نعرفها أن يتغاضى كاتبها عن الأعمال الطبيعية التي قام بها ملك البلاد؛ إذ إن كل نصر وكل نضال كان يُعزى إلى الفرعون نفسه. وفي مصر نجد الأساليب التاريخية لا تزال تحمل الصبغة التي نجدها في أصل التاريخ، فقد بدأ المصري كتابة التاريخ بالتراجم والنقوش التاريخية في مصر - وكذلك سرد الحوادث في التوراة - لا نجد فيها إلا تراجم للملوك أو حوادث متعلقة بأشخاصهم، وفي يوميات الموظف التي أشرنا إليها لا نجد فيها سرد فتح للفرعون «مرنبتاح» في «فلسطين»، بل إن الحملة المظفرة المنسوبة إليه في «فلسطين» لا تخرج عن مجرد نظرية تستند على متينين لا يمدنا واحد منهما بأية إشارة عن هذه الحروب، كما أنهما خاليان من أي برهان إيجابي، ومن أجل ذلك يجب أن تُمحى هذه الفكرة جملة من تاريخ «مرنبتاح».

والواقع أن ما أدلى به الأستاذ «نافيل» قد يكون في ظاهره أقرب إلى الصواب، وبخاصة عندما نعلم أن لوحة نصر «مرنبتاح» كانت مكررة في المعابد المصرية كما سنرى

بعد؛ فهي تصف ما كانت عليه البلاد في الداخل والخارج بعد حرب لوبيا وقبلها كما نرى ذلك في بعض القصائد، اللهم إلا إذا عُثر على متن جديد يؤيد ما فرضه «إدورد مير» وما ادعاه «برستد» في أمر غزوة «فلسطين».

(١-٣) لوبيا وأقوام البحر

والواقع أن الخطر الذي كان يهدد البلاد بعد فترة من حكم «مرنبتاح» قد أتى من ناحيتين:

الأولى من جهة بلاد لوبيا، والثانية من جهة أقوام البحر. وقد كان هذا الخطر موجودًا على حدود البلاد منذ زمن بعيد، بيد أن ما كان «لرعمسيس الثاني» من هبة وسلطان قد عاق أمثال حملات اللوبيين وحلفائهم من الإغارة على التخوم المصرية، ولكن بعد موته بفترة وجيزة نشاهد العاصفة تهب في عهد ابنه «مرنبتاح» على البلاد من الغرب والشمال مما سبب جرحًا بالغًا لأرض الكنانة، وقد ترك لنا «مرنبتاح» نقشًا على جدران «معبد الكرنك» صور لنا فيه الخطر الذي كان يحوم حول البلاد، كما مثل أمامنا المعدات التي أعدها لصدها هذا الخطر والقضاء على العدو الذي تحالف أولًا مع أقوام البحار لغزو مصر طلبًا للقوت والاستيطان.

والواقع أن السنين الأخيرة من عهد «رعمسيس الثاني» كانت سني تدهور مستمر، وقد انتهزت القبائل القاطنة على حدود مصر الغربية تلك الفرصة وأخذ جنودها يزحفون على الأرض الواقعة على حافة النيل الخصيب حتى وصلوا في زحفهم إلى جانب النيل. وقد مكثوا هناك عدة أشهر واحتلوا الواحة البحرية وخرّبوا «واحة الفرافرة»، وقد زاد الطين بلة أن هؤلاء اللوبيين قد ألفوا حلفًا مع أقوام البحر الأبيض المتوسط الذين أخذوا ينقضون على الدلتا من «سردينيا» وفي الجهات الغربية من آسيا الصغرى على الشرق، ويُعد ذكر هؤلاء الأقوام في الوثائق التي تركها لنا «مرنبتاح» أقدم ما عُرف من ظهور الأوروبيين في النقوش والمخطوطات المصرية.

وسنحاول هنا أن نأتي ببعض ما وصل إليه الباحثون في أصل اللوبيين ثم نتبعه بكلمة عن أقوام البحار.

ولما كان اللوبيون لهم صلة وثيقة بمصر كالصلة التي بين مصر وأهل السودان كان من الضروري أن نفرّد لتاريخهم هنا فصلاً خاصاً مختصراً يمكن الباحث أن يعرف منه مدى اتصال هذه البلاد بأرض الكنانة منذ أقدم العهود حتى عهد الأسرة التاسعة عشرة التي نحن بصددّها الآن.

(٢-٣) تاريخ لوبيا

(أ) مقدمة

إن موضوع تاريخ «لوبيا» له أهمية خاصة في تاريخ مصر القديم وسنتناول بالبحث تاريخ «لوبيا» - لا بوصفها بلاداً أجنبية كانت علاقتها بمصر علاقتها خارجية محضة، كما كانت علاقة آسيا وأقوام البحر الأبيض المتوسط بمصر بل للعلاقات الخاصة التي كانت تربطها بها، والواقع أن العلاقات التي كانت بين «لوبيا» ومصر كانت في ظاهرها مثل العلاقات التي كانت بينها وبين جيرانها من الأمم الأخرى وبخاصة في المنازعات الحربية أو في استخدام الجنود اللوبيين في الجيش المصري جنوداً مرتزقة، ولا نزاع في أن المصري منذ فجر التاريخ لم ينظر للقبائل اللوبية إلا بهذه النظرة، فكانت هذه البلاد في نظره كأى بلاد أجنبية أخرى يعلن عليها الحرب عندما كانت تريد توسيع رقعتها على حساب مصر، أو عند إغارة أهلها على الحدود المجاورة، ولكن العلاقات الداخلية الأصلية التي كانت تربط أحد البلدين بالآخر منذ عهد ما قبل التاريخ كانت تتعدى تلك العلاقات السياسية الظاهرة التي نراها في العهد التاريخي بكثير، وذلك أن المصري نفسه لم يكن يميز ذلك الشريط الضيق من الأرض الزراعية الذي كان يربط بلاده بجارتها «لوبيا» قط، وكذلك كانت الحال في أعين اللوبيين، فلم يكن في استطاعة لوي أن يميز الحد الفاصل بين بلاده وبين مصر.



شكل ٢: لوبي.

ومن جهة أخرى نجد أن البحوث العلمية الحديثة قد بدأت تفحص تلك العلاقات الوثيقة التي كانت بين البلدين بعد أن كانت كلها موجهة إلى علاقات مصر بآسيا، ومن ثم أصبح من المهم أن نعرف كيف أن الثقافة المصرية كانت تضرب بأعراقها في ثقافة «أفريقيا» وتقاليدها، وكيف أن العلاقات الظاهرة ترجع في أصلها إلى «أفريقيا»، وذلك يُعزى بطبيعة الحال أولاً على الظواهر التي كان لها ارتباط وثيق بحياة القوم الروحية منذ أقدم العهود من حيث الدين واللغة والجنس، وهي عوامل لها تأثيرها الفعال في تقدم القوم ونموهم، وسيتضح لنا مقدار أهمية ذلك عندما نعلم أن كلاً من هذه العناصر الأصلية كان أفريقي النبعة في الأعم، وأن مصر بذلك قد لعبت - بجوارها المباشر لبلاد السودان جنوباً وبلاد «لوبي» غرباً - دوراً هاماً في تاريخ البلدين.

على أننا - مع ذلك - لا زلنا بعيدين عن الإحاطة التامة بهذا الموضوع، فلا

نستطيع إعطاء فكرة واضحة جلية عن العلاقة بين البلدين، وسنحاول مؤقتًا أن نضع هنا بعض الأحجار التي كان الغرض منها إقامة هذا البناء الذي سيقدم لنا عند إتمامه صورة كاملة عن أصل الحضارة المصرية وكيانها.

والواقع أننا - حتى الآن - نجد الاشتغال بالثقافة الأفريقية وعلم الإنسان الأفريقي من الأمور الضرورية في علم الآثار المصرية التي تجب العناية بها.

وفي الحق أنه من الوجهة الأثرية المصرية لم يجمع إلا النزر اليسير من المواد التي تمكننا من الكلام عن العلاقات بين «مصر» و«لوبياء»، فكل ما كتب في هذا الموضوع ينحصر في المصادر التالية:

(١) Maciver and Wilken, Libyan notes.

(٢) Oric. Bates. The Eastern Libyans.

(٣) MÖller, Die Agypter and ihre Libyschen Nachbarn.

(٤) Scharff: Vorgeschitliches zur Libyerfrage (A. Z.61, 16 ff).

(٥) Wilhelm HÖlscher: Libyer und Ägypter.

وهذه المصادر تحوي كل ما كُتب عن هذا الموضوع بالإضافة إلى ما كُتب عن الجبانات النوبية التي كشف عنها كل من الأثري «فرث»، والأستاذ «ريزنر»، وهو خاص بعصر ما قبل التاريخ، وكذلك نجد بعض المادة فيما كتبه الأستاذ «يونكر» والأستاذ «استايندورف» في هذا الصدد (راجع The Archeological Survey of Nubia, ١٩١٠-١٩١١, ١٩٠٩-١٩١٠, ١٩٠٨-٩, ١٩٠٧-٨ Report for and (also by C. M. Firth

ولا شك في أن الإنسان إذا أراد بحث العلاقات الثقافية والجنسية بين مصر

و«لوبياء» وتصوير الروابط التي تربط بعضهما البعض الآخر، استدعى ذلك بحث ثلاث مسائل كبيرة تختلف كل منهما عن الأخرى اختلافاً بيناً في المصدر، كما أن الوصول إلى صورة كاملة من مجموعها لا يزال من الأمور الصعبة المنال، يُضاف إلى ذلك أن كل مسألة من هذه المسائل في الوقت نفسه تبعد عن الأخرى بمدة طويلة، ومن يطلع على كتاب «أورك بيتس» يفهم بسهولة هذه الصعوبات.

وأول الموضوعات في بحث العلاقات بين البلدين مصدره الوحيد هو المواد الأثرية وحدها؛ لأنه من عالم ما قبل التاريخ وخاص بأقدم العهود المصرية التي يمكن الباحث أن يطلق عليها اسم «العصر الأفريقي» ونقصد بذلك الوقت الذي كانت فيه مصر مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالثقافة الأفريقية المبكرة، أي عندما كانت مولية وجهتها غرباً وجنوباً، ولم يكن ذلك من الوجهة الجغرافية وحسب، بل من الوجهة الثقافية أيضاً التي كانت تتألف منها ثقافة شرق أفريقيا.

والواقع أن مصر في هذا العهد لم تكن قط حداً فاصلاً بين ثقافتين، بل كانت ثقافتها مختلطة، وتعد بمثابة حصن لأفريقيا تحميها من الشرق الذي لم يتسرب منه تأثير ثقافي ما. أما من جهة الغرب فالأمر كان مختلفاً؛ إذ تدل الأبحاث الأثرية التي في متناولنا حتى الآن على أنه في هذا الوقت، أي حوالي منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد، لم يكن بين مصر وغربها أية حدود، بل كانت ضمن دائرة ثقافية تشمل جزءاً من شمال الصحراء وشرقيها.

ومنذ منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد تطوّر موقف مصر هذا بالنسبة لجيرانها من أساسه؛ إذ اختفت الحدود بينها وبين الشرق (آسيا). وقد أغلقت الحدود التي كانت مفتوحة بينها وبين البلاد الغربية منها، ومن ثم ابتداء عصر انفصال مصر عن الأمم الغربية المجاورة لها، وكذلك ابتداء عصر ثقافة مصرية قائمة بذاتها خلافاً للعصر السابق لهذا التاريخ الذي كانت تُعد فيه الثقافة المصرية جزءاً من الثقافة الأفريقية أو نوعاً منها، ومن ثم أخذت العلاقات بينها وبين الغرب تتغير من أساسها، فأصبح منذ ذلك العهد أقوام

غرب النيل يُعدُّون أعداء مصر المتوحشين؛ لأنهم كانوا يهدِّدون أرض الكنانة، ومن أجل ذلك اضطرت حكومة البلاد المصرية - محافظة على بقائها - أن تعمل على الفتك بكل من يهدِّد كيانها أو يمس سلطانها.

والواقع أن علاقات مصر بالبلاد الغربية منها وقتئذ كانت علاقات عداء تتمثل إما في السعي لتوسيع رقعة بلادها، وإما في الدفاع عن كيانها من هجمات أقوام هذه البلاد.

أما الروابط الثقافية مع أقوام الغرب فقد أخذ نفوذها يقل منذ تلك الفترة، ومن ثم أصبح نمو مصر وتقدمها يأخذ مجرى مختلفاً تمام الاختلاف عن الثقافة اللوبية، فأصبح من الصعب معرفة ثقافة تلك البلاد أو جنسيتها؛ ففي الوقت الذي كانت مصر تسير فيه بخطى واسعة في تقدمها ونموها كانت ثقافة البلاد الغربية منها راكدةً ركوداً تاماً، فإذا شاهدنا في العصر التاريخي المصري بعض أشياء جديدة قد يعزوها الإنسان إلى أصل لوبي فلا يمكن أن يُعد ذلك علامة على فوق الثقافة اللوبية على الثقافة المصرية، بل يرجع السبب الظاهري إلى العلاقات السياسية الخاصة بذلك العهد، والواقع أن هذا النمو الثقافي المتعدد النواحي ليس إلا نتيجة لحكومة مصرية منظمة مقابل نظام بدوي ساذج.

وتتمثل لنا العلاقة الجديدة بين البلدين جلياً عندما نجد في المتون المصرية أن مصر تتحدث عن «لوبيا» بوصفها بلاداً أجنبية معادية كغيرها من البلاد الأخرى، ولا شك في أن اللوبيين كانوا قد أصبحوا بالنسبة لمصر قوماً أجنباً وقتئذ، وتُمدُّنا المصادر التاريخية الأثرية بمعلومات عن هذا العهد، غير أن ما تحدثنا به وما يهم المؤلف يختلف عما تُحدثنا به الآثار التي من عصر ما قبل التاريخ؛ إذ تقص علينا - بالكلام والصور - ما جرى من حوادث تاريخية كالحروب التي شنها الفرعون على بلاد «تخنو» (لوبيا) النائرة وهزمهم، كما تقدم لنا صور المعارك الحربية أو سوق الأسرى المختلفين في صفوف مكبلين بالأغلال. ومن هذه المصادر نعرف حقائق عن تاريخ مصر من جهة، ومن جهة أخرى نعلم أشياء عن القبائل اللوبية المختلفة التي ربطتها بمصر علاقة ما فنعرف أسماءها

ومظاهرها. ومن المهم أن نرى سكان غربي مصر الذين كانوا يقطنون على حدودها ليسوا من سلالة واحدة، بل إن أجناسهم وقبائلهم كانت تؤلف سلالات مختلفة، ومن ثم يظهر لنا السبب في صعوبة البحث في تاريخ هؤلاء القوم في عصر ما قبل التاريخ بل في عصر التاريخ أيضاً.

وفي البحث الذي سنتناوله هنا عن هذه البلاد، لا يمكننا حتى الآن أن نعرف إلا من باب التخمين من أي القبائل اللوبية يرجع أصل القبائل التي من عصر ما قبل التاريخ؛ وعلى المرء هنا أن يكتفي حتى الآن - بوجه عام - بالتعبير عن هؤلاء القوم بأنهم من اللوبيين إلى أن تنكشف الأحوال أماناً، ويمكننا أن نتحدث على ضوء معلومات محدودة عن كنههم، بيد أن الموضوع يختلف عندما نقرأ أن «بيتس» قد عثر في «مرسى مطروح» على مقابر لوبية، أو أنه قد وجد في الحفائر التي عملت في جبانات بلاد النوبة آثاراً تثبت وجود علاقة بين «لوبية» والنوبة، ولهذا لا يمكن الأخذ بذلك تماماً عندما يتحدث الإنسان عن علاقات وثيقة بين أقدم التاريخ المصري وبين اللوبيين في ذلك العصر؛ وذلك لأن القبائل اللوبية تختلف في فروعها الأصلية، وأنها ليست متساوية الجنسية؛ لأننا لا نعرف إلى أي قبيلة منها يُنسب هذا الشيء أو من أين أتى.

ومن المهم لموضوعنا تحقيق الجنسية الحديثة لسكان شمال أفريقية - وإن كان من الصعب جداً ذلك - لأن العلاقات في خلال ألف السنة الأخيرة قد تغيرت تغيراً كبيراً جداً حتى أصبح من الحزم ألا نقرن بين هذه السلالة الحديثة والسلالة القديمة، أو نستخلص من ذلك أية نتيجة، وعلى هذا سيكون بحثنا هنا بوجه عام قاصراً على تاريخ هذه البلاد وبخاصة في عهد الدولة الحديثة وهو ما حدا بنا إلى بحث موضوع «لوبيا». وقبل أن نتناول بحث هذا الموضوع يجب أن نقول كلمة عن استعمال كلمة «لوبيا»؛ إذ الواقع أن الكلمة التي نستعملها اليوم وهي بالمصرية - ريبو أو ليو - ليست صحيحة؛ لأنها لا تعني إلا قبيلة خاصة من سكان شمال أفريقيا، وهم الذين يقطنون الإقليم المسمى الآن «سرنیکا» في البقعة المرتفعة من برقة، وهي أقرب جزء من أفريقيا لبلاد اليونان،

وكان قد نزل فيها الإغريق وأطلقوا عليها اسم «ليبون»، وقد أطلق هذا الاسم كُتَّاب اليونان القدماء على سكان شمال أفريقيا وشرقيها غربي وادي النيل. وينبغي أن نحافظ هنا على هذه التسمية وإن كان معناها الإغريقي في الواقع لا يُطلق إلا على الأقوام القاطنين غربي مصر، وهذه التسمية ليست لها معنى من حيث الجنس،^(١٥) بل الواقع أنها تُطلق على القبائل الحامية التي تفرَّع منها عشائر بيض البشرة ومن بينها قبيلة لوبيا. على أن الخلط في استعمال هذا الاسم على هذا النحو في الكتابات الحديثة لم يكن فيه للمصريين القدماء أية جريئة؛ إذ إن المصري في عهد الدولة الوسطى كان يستعمل كلمة «تحنو» للدلالة على هؤلاء القوم، كما أن أهل الدولة الحديثة كانوا يعبرون عنهم باسم «التمحو» بالمعنى الذي يُعبَّر به الآن عن اللوبيين، وعلى ذلك فإننا سنستعمل كلمة «لوبيا» ولوبيين في معناها الجغرافي العام، أو في الحالات التي لا يمكن فيها التحقق من قبيلة من قبائل هؤلاء القوم، ولكن عندما نكون على ثقة من أصل كل قبيلة فإننا سنذكرها بالاسم الدال عليها مثل «اللوبيين» و«التحنو» و«التمحو» و«المشوش».

(ب) التحنو

تدل المصادر المصرية التي في متناولنا حتى الآن على أن مجموعات السلالات الرئيسية التي يتألف منها قوم اللوبيين تُنسب إلى أربع سلالات وهي: «التحنو» و«التمحو» و«المشوش» ثم السلالات «اللوية»، وسنبحث هنا تاريخ هذه السلالات بقدر ما تسمح به الكشوف الحديثة لأهميتها بالنسبة لمصر. وترجع معلوماتنا عن سلالة «تحنو» إلى عهد فجر التاريخ المصري؛ إذ لدينا أثر من مقبرة ملك يدعى الملك «وازي» (لم تُثَبِّت منه الأيام إلا على جزء صغير محفوظ الآن «بالمتحف المصري» وهذا الأثر مصنوع من الإردواز، وينقسم الجزء الباقي منه أربعة صفوف أفقية؛ نُقش في الثلاثة الأولى منه صور ثيران وحمر وغنم على التوالي، ونُقش في الصف الرابع صور شجر، وعلى يمين الشجر نُقشت علامة فُيِّرَت بأنها رمز للفتة «تحنو».^(١٦) وقد عثر على أثر آخر يرجع عهده إلى عصر الملك «نعرمر» أحد أخلاف الملك «وازي» السابق الذكر، وهذا الأثر

هو أسطوانة من سن الفيل نُقش عليها اسم الملك «نعرمر» وأمامه أعداء مكبلون بالأغلال نُقش فوقهم لفظة «تخنو» وقد مُثل على هذا الأثر سكان بلاد «تخنو».

والواقع أنه لولا وجود شواهد أخرى من العصور التالية لما أمكننا أن نصدر حكمنا على حقيقة سحنات هؤلاء القوم بصفة قاطعة. وأهم أثر كشف لنا النقاب عن كنه هؤلاء الناس هو ما عُثر عليه من نقوش في معبد الملك «سحورع»^(١٧) أحد ملوك الأسرة الخامسة، ولكن مما يؤسف له جد الأسف أنه لم يبق لنا من الوثائق الخاصة هؤلاء القوم إلا جزء يسير، ومع ذلك فإن البقية الباقية تقدم لنا صورة صادقة عن هؤلاء القوم؛ إذ قد جاء في النقوش الخاصة بهم العبارة التالية: «ضرب تخنو»^(١٨). وكذلك وُجد في معبد الملك «بيي الثاني»^(١٩) أحد ملوك الأسرة السادسة نسخة أخرى من المنظر الذي وُجد على جدران معبد «سحورع». والظاهر أن تمثيل هذا المنظر على جدران المعابد قد أصبح من المشاهد الرمزية المألوفة الدالة على قوة الفرعون وتغلبه على ما جاوره من البلاد الأجنبية المعادية لمصر، ويُشاهد في هذا المنظر كذلك الفرعون وهو يضرب الأعداء بمقمعه، كما يُشاهد فيه صورة الغنائم التي غنمها من قوم «تمحو»، وتشمل الثيران والحمير والغنم، هذا فضلاً عن قطعان من الماعز لم تُمثل في المنظرين السابقين الخاصين بالعهد العتيق. ويُشاهد كذلك فوق هذه الغنائم وتحتها صور أسرى مكبلين نُقش فوقهم اسماً إقليمين وهما: «باش» و«يكت»، وتدل الظواهر على أنهما إقليمان من بلاد «تخنو»، وفي أسفل الصورة نرى أقارب أمير هذه البلاد، وهم: زوجه وابنته وولده، كما يُشاهد في الركن الأعلى على اليمين من هذا المنظر خلف الأسرى صورة إلهة الكتابة والحساب «سشات» تكتب وتخصي عدد الأسرى، كما يدل على ذلك اللوحة التي وضعت أمامها. وكذلك نشاهد في أسفل المنظور خلف أسرة أمير «تخنو» إلهين آخرين وهما إله الغرب والإله «عش» سيد بلاد «تخنو»، وقد منح هذان الإلهان الفرعون كل خيرات البلاد الأجنبية، وليس من شك في أن هذا المنظر على جانب عظيم من الأهمية؛ إذ يضع أمامنا صورة واضحة كل الوضوح مثلت فيها سحنات هؤلاء القوم وشكل ملابسهم، ومن أجل ذلك يُعد مصدراً عظيماً يُعتمد عليه في هذا الموضوع، وسنصف

أولاً ملابس هؤلاء القوم؛ فأول ما يُلاحظ فيها أن الرجال والنساء كانوا يلبسون لباساً واحداً مشتركاً، وهذه ظاهرة تدعو للغرابة والدهشة، فيرتدي كل من الرجل والمرأة شريطاً عريضاً على الصدر من الجلد مُحلى بورود صغيرة ومزخرفاً بالأشكال الدقيقة، ويتدلى طرفاه على الظهر عمودياً ثم يلف كل الجسم ويتمنطق بحزام مزين بخطوط عمودية وأفقية، وكذلك يرتدي كل فرد كيساً خاصاً بعضو التناسل، ويلبس في وسطه شريطاً عريضاً مستديراً مُحلى من جهة الحزام اليسرى، ولا نفهم الغرض من هذا الملابس الأخير، وقد اعتقد البعض أنه كيس تُوضع فيه السهام وليس ذلك محتملاً، والظاهر أنه مجرد حلية، أما النحر فقد حُلي بعقد ذي خيوط طويلة تختلف في سمكها نُظمت فيها خرزات بيضية الشكل، ويظهر شعر الواحد من هؤلاء القوم طويلاً متموجاً خفيفاً ومسبلاً إلى ما فوق الكتف، ويُشاهد على الجبين خصلة صغيرة نُظمت منتصبة، أما الفرق الوحيد الذي كان يُلاحظ بين ملابس الرجال والنساء - خلافاً للحية - فهو ذيل حيوان يتحلى به الرجل، وكانت الأميرة ترتدي ميدعة قصيرة ربما كانت مجرد حلية للزينة وحسب.

ومن المدهش أن الأميرة الوحيدة الممثلة في هذا المنظر كانت تلبس تحت كيس عضو التناسل ميدعة قصيرة ربما كانت بمثابة حلية قد أضافها الممثل من خياله هو.

أما الأطفال فكانوا يرتدون اللباس الأساسي الذي يحلي الجزء الأعلى من أجسامهم، ولم يُشاهد واحد منهم يرتدي حزاماً أو كيساً لعضو التناسل أو ذيل الحيوان، وهي التي كان يرتديها الرجال والنساء، على أن ما يسترعي النظر في هذه الملابس شيان:

أولاً: أننا لا نجد في المناظر المصرية ملابس للزينة وحدها.

ثانياً: يظهر عليها أنها كانت ذات صبغة سحرية؛ إذ لا نجد من بينها قطعة واحدة حيكت للوقاية أو للمحافظة على الجسم من تقلبات الجو، أو للوقاية من حيوان مهاجم، هذا إذا استثنينا حزام قراب عضو التناسل، أما سائر الملابس فليس له غرض عملي ظاهر بل كانت كلها تُلبس لمجرد الزينة أو لأغراض دينية، أو لتمييز مكانة الرجل بين أفراد قومه.

على أن تميز الرجال بالتحلي بذيل الحيوان لم يأت من باب الصدفة، بل يرجع إلى عقيدة سحرية خاصة بالصيد؛ ولذلك أصبح التحلي به موقوفاً على الرجال وحدهم، وفضلاً عن ذلك نشاهد أن البالغين من الرجال كانوا يلبسون كيس عضو التناسل والحزام، والظاهر أن ذلك كان له علاقة بالختان الذي كان عادة متبعة في مصر عند الرجال الذين لم يبلغوا الحلم، غير أن المدهش في ذلك أن هذا الكيس كانت تلبسه النساء أيضاً وهذه ظاهرة واضحة على الآثار تماماً.

وقد فسرها بعض علماء الآثار بأن الغرض المقصود من لبس هذا الكيس عند قوم «التحنو» قد نُسي، غير أن الأستاذ «مولر» يقول إن لباس الرجال كانت تلبسه الأميرات من نساء «التحنو» وذلك لإظهار مكانتهن، بيد أنه لا يمكن تصديقه؛ لأن الغرض الأول من لبس كيس عضو التناسل هو الإشعار بختان هذا العضو.

وفي اعتقادي أن النسوة كن يلبسنه دلالة على ختانهن أيضاً - كما هي الحال في مصر حتى يومنا هذا إذ نجد الفتيات الصغيرات يُختن. يُضاف إلى ذلك أن الختان كان علامة على الطهارة والنظافة فضلاً عن دلالة على العشق والغرام، فإذا لبسته المرأة كان غرضها أولاً إظهار طهارتها مع إشباع شهواتها وميوها الغزلية.

أما الأمر الثاني الذي يسترعي النظر فهو ما نلاحظه من التشابه بين حلية ملوك مصر وحلية أهل «تحنو»، وقد بدا ذلك واضحاً على آثار معبد الملك «سحورع»؛ إذ نشاهد في ملابس هؤلاء القوم الذيل المعلق في الحزام يرتديه البالغون منهم، وهذا نفس ما نشاهده في ملابس ملوك مصر الذين كانوا يتحلون بتعليق الذيل، وهو من أمارات الملك، يُضاف إلى ذلك أن اللوي كان يتحلى بخصلة من الشعر نظمها وصفها على جبينه بصورة تحاكي صورة «الصل» المقدس الذي كان يتحلى به الفرعون ليحميه شر الأعداء إذا هاجموه.

ويقول الأستاذ «مولر» عن خصلة الشعر التي تزين الجبهة إنها توجد كذلك عند الحاميين الذين يسكنون جنوبي مصر وكذلك عند أهل «كريت»، هذا فضلاً عن أننا

نراها حتى يومنا هذا في شرق آسيا، وقد ظنَّ البعض في أول الأمر أن هذه الخصلة هي الصل نفسه، بيد أن من ينعم النظر يجدها خصلة شعر وحسب.

سلالة التحنو

ولا نزاع في أن أوجه الشبه التي ذكرناها هنا بين ملابس ملوك مصر، أو بعبارة أخرى حليتهم وحلية قوم «تحنو»، قد برهنت بحق على وجود علاقة وثيقة بين المصريين والتحنو من بعض الوجوه، غير أن هذا التشابه لا يتعدى الملابس أي إنه ليس بين الشعبين أوجه شبه في الملامح إلا كما يدعي «إدورد مير» أن المصريين يرجع أصلهم إلى الجنس اللوي، وهم الذين وفدوا على وادي النيل في بادئ الأمر واستوطنوه بوصفهم صيادين ورعاة مواشٍ، ثم أصبحوا فيما بعد زُرَّاعًا،^(٢٠) فضلًا عن وجهي الشبه اللذين ذكرناهما بين ملابس ملوك مصر وبين ملابس التحنو فإن لدينا بعض حقائق أخرى تحدثنا عن أصل هؤلاء القوم، فنلاحظ في نقوش الفرعون «سحورع» السالفة الذكر أن الأمراء المغلوبين على أمرهم من «التحنو» قد أطلق عليهم لقب «حاتي تحنو» أي «أمير تحنو» وقد عثر على أثر نقش عليه هذا اللقب كذلك منحه أمير من هؤلاء القوم في عهد الفرعون «منتوحتب» في بلدة «جبلين»^(٢١) والواقع أن منح أمير أجنبي هذا اللقب يُعد أمرًا غريبًا في بابه، إذ جرت العادة على أنه لا يُعطاه إلا أمير مصري، هذا إلى أن الأمراء الأجانب كانوا في العادة يلقبون «حقاو» وفيما بعد «ور»، يُضاف إلى ذلك أن النقش القصير الذي نجده أمام إلهة الغرب في آثار الملك «سحورع» السالف الذكر يقول: إني أمنحك أمراء تحنو.

وهذا التعبير غريب في بابه؛ وذلك لأن من يمنح في العادة هم القوم أنفسهم لا الأمراء.

ولدينا متنان قديمان يفسران قيمة هذا التعبير وأهميته وعلاقته بأهل تحنو؛ عثر على المتن الأول منهما في مدينة «هابو» بين نقوش يرجع عهدها إلى عصر «تحتمس الثالث»

وعهد «أمنحتب الثالث». وهذا النص خاص بتقديم معبد فيقول فيه:

لقد شحنت سفنه بأقوام من بلاد «إيونتو» من أصقاع النوبة ومن أهل «مونتيو» من بلاد آسيا ومن أهل «حاتيوعا» من بلاد لوبيا. (٢٢)

أما المتن الثاني فيرجع إلى عهد الأسرة الحادية عشرة وهو مقتبس من متون اللعنة التي نشرها الأستاذ «زيتته»، (٢٣) وقد جاء فيه ذكر «حاتيوعا» (أهل «تخنو») وعلى ذلك يمكن القول بأن «أهل تخنو» كانوا في ذلك الوقت أو في وقت معلوم يسمون بهذا الاسم. وعلى الرغم من أن هذا الاسم كان يطلق على قوم «تخنو» فإنه كان في الوقت نفسه ضمن الألقاب المصرية التي كانت تُخلع على حاكم المقاطعة أو أميرها كما كان لقب شرف، ويعتقد الأستاذ «زيتته» أن هذا الاسم قد أُطلق على جيران مصر من باب السخرية؛ لأن خصلة الشعر التي تحلي جباههم مشكلة في هيئة الصل الفرعوني والذيل الذي يعلقونه كانا من خصائص ومميزات ملوك مصر. وهذا التفسير مقبول في شكله ولكن هل من تفسير آخر يوضح لنا أصل هؤلاء القوم؟

فهل يكمن أن يكونوا من أصل لوبي أو أنهم يرجعون إلى أصل مصري؟

والواقع أنهم قد عُدوا منذ زمن بعيد من أرومة مصرية، ويقوي هذه الفكرة اشتراك البلدين في زي واحد، هذا إلى المشابهة في البشرة الخارجية والوجه في كلا السلالتين، يُضاف إلى ذلك أنه قد وُجد اسمان من أسماء أمراء «تخنو» لهما نظائرها بين الأسماء المصرية وهما: «وبي» و«خوتفس»، فالأول اسم قائد معروف عُثر على لوحته العظيمة في «العراية المدفونة» التي يرجع تاريخها إلى الأسرة السادسة (راجع مصر القديمة ج ١).

والثاني معنى اسمه «الحمي من والده» هو اسم كثير التداول بين الأعلام المصرية؛ يُضاف إلى ذلك أن نفس لفظة «تخنو» ترجع إلى أصل مصري معناه «البراق» - وقد تعزي هذه التسمية إلى الملابس البراقة التي كان يرتديها القوم - وكلمة «تخنو» معناها - كذلك - «زجاج» أو «قاشاني»، وقد استعملت لفظة «تخنو» لتدل على الزجاج كما أن

كلمة «صيني» تطلق على «القاشاني» المجلوب من الصين أولاً. والآن يتساءل المرء كيف يتسنى للإنسان أن يبرهن على اشتقاق كلمة «تحنو» بالحجة الدامغة؟

ويمكننا أن نقرر أنها «مصرية»؛ وذلك لأن «التحنو» يختلفون عن اللوبيين الذين يقطنون بجوارهم، ومما له أهمية في هذا الصدد ما نلاحظه من أن قوم «تحنو» لا يتحلون بالريشة المميزة للوبيين وهي شعارهم الخاص، هذا إلى أن أسماء الأقوام الآخرين الذين يسكنون هذه الجهات لا يمتون للمصريين بصلة، بل هم في الواقع لوبيون، في حين أن «التحنو» كانت لهم صلات بمصر، وعلامات مشتركة بين السلالتين، كل ذلك يوحي بالتفكير في أن «التحنو» كانوا في الأصل مصريين، وأنهم سكنوا الوجه البحري؛ ثم هاجروا منه في وقت ما نحو الغرب وسكنوا إقليم «تحنو» الواقع على الحدود المصرية. حقاً لم يصل إلينا حتى الآن أي أثر من بلاد الدلتا يحدنا عن هذه السلالة من الناس، بيد أننا في الوقت نفسه لا يمكننا أن نعد الأثرين اللذين وجدناهما خاصين ببلاد «تحنو» وهما الأثران المنسوبان للملك «وازي» والملك «نومر» مجرد صدفة، بل هما في الواقع أثران قد أقيما ليحدثانا عن انتصار هذين الملكين على هؤلاء القوم، وقد كان ذلك النصر بطبيعة الحال قبل توحيد الوجه القبلي والوجه البحري، وفي استطاعتنا القول بأن أمير هؤلاء القوم الذي كان يُعد أميراً صغيراً بمثابة حاكم مقاطعة «حاتي عا» قد أصبح يطلق عليه «أمير التحنو»، وبتقادم الزمن أصبح هذا اللقب يطلق على كل هذه السلالة التي هجرت موطنها الأصلي، وقد كان هؤلاء القوم الجدد في موطنهم الجديد مخاطبين بأقوام لها ثقافتهم الخاصة، وبخاصة أنهم كانوا آتئذ قد انفصلوا عن مصر التي كانت ذات ثقافة راقية، غير أنهم قد أخذوا بعض الشيء عن ثقافة جيرانهم الجدد، ولا أدل على ذلك من أننا نجد اسم غيرهم في نقوش الفرعون «سحورع» وأعني بذلك قوم «وسا»؛ وعلى الرغم من هذا الاختلاط الجديد فإنهم قد حافظوا على شخصيتهم وتقاليدهم وملابسهم بخاصة.

أما استعمال كيس عضو التناسل فيمكن أن نعزوه إلى أصل لوبي؛ وذلك لأنه كان يُستعمل منذ الأزمان السحيقة هناك، وبقي استعماله مستمراً في حين أن استعماله في

مصر كان قد اختفى منذ عهد مبكر ولم يستعمل بعد إلا في الأحفال الخاصة بالشعائر الدينية، فنشاهد مثلاً الملك «زوسر» يلبسه في حفل «شوط تقديم القربان»،^(٢٤) وفيما بعد نجد أن بعض الآلهة كانوا من وقت لآخر يلبسونه، فمثلاً نرى إله النيل يلبسه،^(٢٥) وكذلك الإله «بتاح تنن»^(٢٦) والإله «جب»^(٢٧) (إله الأرض)، هذا إلى بعض آلهة آخرين أقل درجة من السابقين قد ارتدوه.

أما ما قيل من أن الصيادين المصريين كانوا يلبسون هذا الكيس في أثناء الصيد، وأنهم اتخذوا ذلك عادة فقول مردود، وزعم لا يرتكز على مصادر يعتمد عليها، بل يرجع إلى فكرة خاطئة استند مدعوها على جدران مقبرة حاكم المقاطعة المسمى «سبني» في جبانة بلدة «مير»، ونحن نعلم من جانبنا أن «سبني» هذا وأسرته يُنسبون إلى أصل لوي، وقد حافظ أفراد هذه الأسرة على تقاليدهم القومية الأصلية التي نقلوها من بلادهم.^(٢٨)

وإذا كانت هذه الخصائص المميزة لقوم «تحنو» لا غبار عليها فلدينا أمثلة جديدة قد تعدّ من الأمور السياسية التي يرجع استعمالها إلى احتفال البلاط بالانتصار على الوجه البحري عند توحيد البلاد، ومع ذلك فإنها لا تُنسب إلى أصل لوي، فمثلاً نعلم أن شارقي السيادة الملكية في مصر وهما الصولحان والزخمة يعربان إلى إله «بوصير» المسمى «عنزتي».^(٢٩)

وكان الإله المسيطر على شرق الدلتا قبل توحيد البلاد بزمن بعيد، هذا بالإضافة إلى أن الإله «حور» الذي يمثل الملك كان يقطن المقاطعة الثانية الواقعة في غرب الدلتا، ومن ملابس هذا الإله نشأت عادة التحلي بذيل الثور الذي كان يعلقه الملك في الوجه البحري، ومن أجل ذلك ينبغي على الإنسان بهذه المناسبة أن يتساءل: هل «الصل» الذي يضعه الفرعون على جبينه كان صورة الإلهة «وازيت» التي كانت تمثل في هيئة صل، وأن قوم «التحنو» قد قلدوا ملوك الدلتا في ذلك؟ والجواب على ذلك أن هذا تفسير محتمل جداً.

أرض «التخنو» وموقعها

لقد أطلقنا حتى الآن اسم «تخنو» على أهل هذه السلالة التي ما زلنا نتحدث عنها حتى الآن، والواقع أن هذه التسمية ليست صحيحة، والصحيح أنها تُسمى «حاتيوعا»، أما كلمة «تخنو» فهي في الأصل اسم الإقليم الذي يسكنه هؤلاء القوم، ولا أدل على ذلك من المثلين القدمين اللذين ذكرناهما فيما سلف وجاء فيهما ذكر قوم «حاتيوعا»، هذا ونجد فضلاً عن ذلك أثرًا من عهد الملك «منتوحتب» أحد ملوك الأسرة الحادية عشرة جاء فيه ذكر هذه البلاد إلى جانب قومي «النوبيين» و«الآسيويين» وكذلك جاء ذكرهم في قصة «سنوهيت» بأنهم الذين يسكنون بلاد «تخنو»^(٣٠) والآن يجب علينا أن نحدد موقع بلاد «تخنو»، ولا نزاع في أنها تقع غربي مصر، ويذكر اسم هذه البلاد عادة عندما نسرد أسماء البلاد التي تقع غربي مصر منذ أقدم العصور، وكذلك عندما نذكر جيران مصر فإنها كذلك تذكر بموقعها الغربي منها، وقد ذكرنا في متني «تحتمس الثالث» و«أمنحتب الثالث» أنه تقع في الجنوب بلاد السودان، وفي الشرق بلاد آسيا، وفي الغرب من مصر بلاد «تخنو»، وهذه الأمثلة يمكن مضاعفتها في الأزمان التي تلت عهد هذه المتون، وكذلك نجد أن نقوش «سحورع» قد ذكرت لنا موقع بلاد «تخنو» بأنها في غربي مصر، ومع ذلك فإنه في استطاعتنا تحديد موقع بلاد «تخنو» على صورة أدق، فهذا الاسم يطلق غالبًا على المكان الذي كان يُجلب منه النطرون المستعمل في مصر القديمة لتحضير طلاء أشكال الخزف^(٣١) والزجاج، بيد أن هذه البقعة الصحراوية ليس فيها من الخيرات ما يصلح لسكنى عدد عظيم من الناس، وكذلك يُلاحظ أن تصوير الأشجار ضمن الغنائم التي ظفر بها الملك كما شاهدناه في لوحتي الملك «وازي» والملك «نعرمر» يوحي إلينا بأن أرض «تخنو» لا تشمل بلادًا صحراوية وحسب، بل تشمل كذلك بقاعًا خصبة في غربي وادي النيل، وعلى ذلك لا يسع المرء إلا أن يفكر في وجود واحة في هذه الجهة قد تكون هي واحة «الفيوم»، وقد أكد لنا ذلك الأستاذ «بسنج»، إذ شاهد في نقش من عهد الفرعون «منتوحتب» أحد رؤساء «تخنو» معلقًا في حزامه صور سمك، ومن ثم استنبط أن «الفيوم» هي موطنه، ونعلم فضلًا

عن ذلك أن الإله «سبك» (التمساح) منذ القدم كان يُقدّس في «الفيوم»، وكذلك نجد أن الإله «سبك» في متن يرجع تاريخه إلى عهد الملك «طهرافا» يمثل بلاد «تخنو» كما أن الإله «ددون» كان يمثل بلاد «النوبة» والإله «سبدو» يمثل بلاد آسيا، و«حور» يمثل مصر.

ونشاهد الإله «سبك» نفسه مرات عدة ممثلًا بوصفه سيد بلاد «باش»، وهي كما تحدثنا نقوش الملك «سحورع» جزء من بلاد «تخنو»، وكذلك جاء ذكره في متون الأهرام بأنه «سبك» سيد «باش»، ثم ذكر بعد ذلك مباشرة أهل «أععوا» العظام جدًّا الذين في مقدمة «تخنو»،^(٣٢) وكذلك ذكر اسم «سبك» في «كتاب الموتى» بوصفه سيد «باش» مرات عدة،^(٣٣) وقد تكلم الأستاذ «زيتة» بإسهاب عن موقع بلاد «باش» بوصفها غربي مصر، وبعد مناقشة طويلة قال إنه يجب علينا أن نقرر من المادة التي أوردناها هنا - ما دام ليس هناك ما يناقضها وبخاصة نقوش الأسرة الخامسة - أن بلاد «تخنو» تقع في إقليم «وادي النطرون» و«الفيوم» وأن قوم «تخنو» استوطنوه.^(٣٤)

وهذا الرأي الذي استعرضناه عن موقع بلاد «تخنو» هو ما أدلى به الأثري «هولشر»،^(٣٥) غير أن الأستاذ «جاردنر» قد تناول موضوع موقع بلاد «تخنو» بالبحث من جديد،^(٣٦) وسنورد فيما يلي رأيه لنستخلص من الرأيين نتيجة تقرب من الحقيقة إذا أمكن:

إن كلمة «تخني أو تخنو» هذه هي اسم عريق في القدم عُثر عليه على لوحة تُنسب للملك «وازي»، وكذلك على أسطوانة خلفه «نعرمر» وقد كانت كلمة «تخنو» أو «تيخنو» اسمًا يُطلق على سكان البلاد الذين يسمون «حاتبوعا» وهذا اللفظ كان يطلق على الأمراء المصريين، وهؤلاء القوم الذين نشاهد أزواجهم ورؤساءهم وأولادهم ممثلين على كثير من معابد الدولة القديمة سمر الوجوه كالمصريين، ويعلقون ذبولًا مثل التي كان يعلقها فراعنة مصر، ويحلون جباههم بمخضلة شعر صوّرت في هيئة الصل الذي كان يحلي به الفرعون جبينه، وهذا أمر يدعو إلى العجب والدهشة، وكذلك كانوا يرتدون قرايًا

يضعون فيه عضو التناسل، وكان قدماء المصريين يلبسونه في عصور ما قبل التاريخ، وهذه الخصائص كانت تميزهم عن قوم «تمحو» (اللوبيين)، ويظهر أنه كانت بينهم وبين المصريين قرابة وثيقة، ويلاحظ على لوحة الملك «وازي» أن اسم «تخنو» قد وُضع بين عدد من الأشجار. ويعتقد الأستاذ «نيوبري» أنه شجر زيتون. ومما له أهمية في هذا الصدد وجود نوع من الزيت قد ذُكر باسم «حاتت تخنو» أي «زيت من الدرجة الأولى». وقد كتبت هنا كلمة «تخنو» كما كتب بها اسم هذه البلاد. وقد برهن الأستاذ «نيوبري» على أن شجرة الزيتون تُعد من الأشجار المتوطنة في الشمال الغربي من أفريقية.

وعلى الرغم من أن ملاحظات الأستاذ «نيوبري» لم تساعدنا على تحديد موقع بلاد «تخنو» بالضبط، فإن رأيه القائل بأنها تقع مباشرة في الغرب من الشمال الغربي للدلتا يتفق مع الحقائق التي نعرفها، ففي الحملة التي قام بها الملك «سنوسرت الأول» على أرض «تمحو» نلاحظ أنه قد أحضر معه أسرى - هؤلاء الذين هم في أرض «تخنو» - هذا فضلاً عن إحضاره ماشية كان من المستحيل أن تجد ما يلزمها من طعام إلا في أراضٍ على شاطئ البحر الأبيض المتوسط. هذا ولدينا عدّة معبودات تربط بلاد «تخنو» بغرب الدلتا، منها الإله «تحنوى» أي «صاحب تخنو» فإنه يوجد ضمن آلهة آخرين من آلهة الوجه البحري، ويمكن توحيدهِ بالإله «حور تخنو» الذي ذُكر في مناسبات مماثلة في كتاب «نافيل» المسمى «قاعة العيد».^(٣٧)

وقد وحد الأستاذ «كيس» هذا الإله بالإله «حور تخنو» صاحب الذراع العالية، وقد ذُكر مرات عدّة في عهد الدولة القديمة، وكذلك نجد الإلهة «نايت» صاحبة «تخنو» قد ذُكرت مرة. ولا بد لنا من أن نفحص هنا بعض الحقائق التي دعت «زيتته» وتبعه فيها «هولشر» إلى القول بأن «الفيوم» يمكن أن تكون في الأزمان القديمة ضمن بلاد «تخنو»، فقد دوّن في مناظر المعبد الجنائزي للملك «سحورع» كلمة «باش» وهي المعروفة كثيراً في النقوش المصرية بلفظة «باخو» أيضاً. وهذا الاسم على الرغم من أنه أطلق فيما بعد على جبل يُعرف بأنه الأفق الشرقي لمصر كان في الأصل جبلاً في الغرب، وكان إله «باخو»

هو الإله «سبك» الذي يمثل في صورة تمساح.

ولم تكن عبادة الإله «سبك» قاصرة على «الفيوم»؛ إذ نجد في قائمة مقاطعات القطر المصري الكبرى أنها تصف إله المقاطعة الرابعة من مقاطعات الوجه البحري، وكذلك نرى الإله «سبك» بوصفه ابن الإلهة «نايت» كان يُعبد في المقاطعة الصاوية - نسبة إلى صا الحجر - ومع ذلك فإنه على الرغم من العلاقات الوثيقة التي نجدها بين آلهة الدلتا المختلفين وبين بلاد «تخنو» لا نجد لدينا براهين قاطعة تدل على امتدادها بعيداً جهة الجنوب.

ونشاهد في نقوش «سحورع» أن الأسرى من بلاد «تخنو» كانوا يقدمون للفرعون بوساطة إله الغرب وبوساطة الإله «عش» سيد «تخنو». وكل ما يمكن استنباطه مما سبق هو أن تخنو تقع في غربي مصر. ومما يلفت النظر في هذه النقوش أنه قد احتفل بالاستيلاء على الغنائم العظيمة التي تشمل ثيراناً وحميراً وماعزًا وغنماً، وأن الماعز كانت غير مذكورة في اللوحة التي كانت من عهد الملك «وازي». وما يستنبط من كل الحقائق السابقة هو أن «تخنو» الدولة القديمة وما فيها من آلهة من الوجه البحري، وكذلك ما فيها من أسماء مصرية الأصل، وملابس رؤسائها التي تتفق تمامًا مع كل مظاهر الملابس المصرية، يدل على أن بلادهم كانت تشمل النخوم الغربية للدلتا، أو كانت تقع على حدودها تمامًا.

والمصادر الخاصة «بالتخنو» في الدولة الوسطى قد فصل فيها القول الأثري «هولشر»^(٣٨) أما عن غزوات كل من الفرعونين «مرنبتاح» و«رعمسيس الثالث» - وسأحدث عنها فيما بعد - فنلاحظ أن كلمة «تخنو» وعبارة «قوم تخنو» أو «أرض تخنو» قد استعملت كلها غالباً في معنى تقليدي مبهم، ولكن لما كانت نقوش الكرنك العظيمة التي تركها لنا الفرعون «مرنبتاح» تقول إن أمير «لوبياء» قد انقض على أرض «تخنو» فإنه من الممكن أن نعد التعبير يدل على أن هذا الإقليم ما زال هو الملاصق للدلتا مباشرة من جهة الغرب، وفي هذه الفترة كان سكان «تخنو» يُعدون أجنبان بالنسبة لمصر، ومن المحتمل أنهم كانوا دائماً يعدون من أصل لوي ذوي بشرة بيضاء، ويتكلمون لغة بربرية.

التغير في معنى اسم «تحنو»

أشرنا فيما سبق إلى أن استعمال كلمة «تحنو» بمرور الزمن قد طرأ عليه تغير يُذكر فقد كان لتلك البلاد في بادئ الأمر أهمية جغرافية. ويُلاحظ أنه في عهد «منتوحتب الأول» كان سكان هذه الجهة يدعون سكان «تحنو»، وقد بدأ التغير الجديد عندما ظهرت سلالة جديدة من اللوبيين يسمون «تمحو»، والظاهر أنهم استوطنوا بكثرة على طول ضفة وادي النيل من الجهة الغربية، والظاهرة الجديدة في استعمال كلمة «تحنو» نلاحظها في قصة «سنوهيت» في عهد الملك «سنوسرت الأول»، فقد ذكر لنا أن ولي العهد قد أرسله والده في حملة إلى ساحة الميدان في بلاد «تمحو» ليقضي على هؤلاء «التحنو». ومما يُلحظ هنا أن كلمة «تحنو» لم تخصص بعلامة الإقليم، وأنه أحضرهم من بلاد «تمحو»، وعلى ذلك فإنه يقصد من لفظي «تحنو» و«تمحو» قومًا واحدًا بعينهم، ولما كانت بلاد «تحنو» حتى الآن تُعد أقرب بلاد في الغرب متاخمة لمصر فقد أصبح يُطلق عليها مجرد كلمة «الغرب». ومن ذلك نكون قد وصلنا إلى نقطتين هامتين؛ أولاهما: أن اسم البلاد أصبح يُطلق على سكانها، وثانيتهما: أن استعمال كلمة الغرب أصبح يُطلق على بلاد «تحنو»، ومن ثم أطلق على أهل البلاد «سكان الغرب».

وسنرى بعد أن كلمة «تحنو» تدل على اللوبيين. والواقع أنه لم يكن في الإمكان أن نميز بعد الأسرة الخامسة سكان هذه الجهات على وجه التأكيد، ففي نقوش الفرعون «منتوحتب» نجد أن مميزات ملابسهم قد اختفت، ونجد أن المصادر المكتوبة لا تحدد لهم لنا، والأمثلة على ذلك كثيرة جدًا.

فإذا أخذنا مثالًا واحدًا من نقوش الملكة «حتشبسوت» اتضح صحة ما نقول، فقد ذكرت لنا هذه الملكة في نقوش قاعدة مسلتها بالأقصر أن الجزية من بلاد «تحنو» كانت سبعمائة سن فيل، وذلك ينطبق بطبيعة الحال على سكان بلاد نائية موقعها في الجنوب. (٣٩)

وبعد ذلك البحث الطويل في قوم «تخنو» يجدر بنا أن نوجه أنظارنا إلى القوم الذين يُسمون بحق «لوبيين» وهم قوم نشأوا في البلاد بطبيعتها ذُكروا لنا في الأزمان التاريخية، ويحق لنا أن نطلق عليهم هذا الاسم بسبب إقامتهم الطويلة ونموهم القومي، ويجب أن نؤكد هنا مرة أخرى أن «التخنو» كانوا يُعرفون عند المصريين منذ أقدم العهود من الآثار بأنهم اللوبيون في أوسع معاني الكلمة.

(ج) قوم «تمحو»

كانت دائرة نفوذ مصر في عهد الدولة القديمة قد تخطت حدودها السياسية؛ ولذلك ينبغي لنا أن نفتني الأثر الذي تركه سقوط الأسرة السادسة فيما جاورها من البقاع اللوبية.

والواقع أن ما جلبه الارتباك السياسي الذي حدث في مصر حوالي نهاية الأسرة السادسة قد شلَّ كل مرافق البلاد، وأطمع الأقاليم التي حولها فيها، وقد ظهر ذلك جلياً عندما شاهدنا الأقوام الذين كانوا يسكنون غربي مصر قد تحرروا من أغلالهم وما فرضته عليهم من سلطان، وأصبحوا في أمان وحرية، ولا نزاع في أن هذا التحرر الذي ناله سكان غربي مصر قد مهد الطريق لهم حتى في عهد الأسرة السادسة - للاختلاط بالمصريين. ولا أدل على ذلك من أننا نجد اسم هؤلاء القوم يظهر للمرة الأولى في عهد هذه الأسرة باسم «تمحو»، وهم يؤلفون نسبة عظيمة من سكان «لوبييا». وهؤلاء القوم ذوو البشرة البيضاء من أهل البربر (شمال أفريقيا)، ونعلم أنهم في العهد الكلاسيكي كثروا حتى إنهم كانوا يؤلفون الجزء الأعظم من السكان، يدل على ذلك ما كتبه كثير من المؤلفين الكلاسيكيين (pseudoskulax, ١١٠ pp. II. kallimachos hymni, ٨٥-٨٦ & Lukan Phars X. ١٢٩-١٣١)، وهؤلاء القوم ذوو البشرة البيضاء الذين يسكنون شمال أفريقيا وصحراء «لوبييا» لا بد أنهم كانوا قبل أن يظهر اسمهم في المتون المصرية معروفين لدى الشعب المصري؛ لأنه في عهد الأسرة الرابعة قد عُرف أفراد يُنسبون إليهم مثلوا على الآثار المصرية. والواقع أنه قد صادفنا حالة واحدة لم تتكرر بعد،

ولكن تدل شواهد الأحوال على أن هؤلاء «التمحو» هم الذين تتمثل فيهم الثقافة اللوبية. (راجع Hölscher Ibid p. 25).

والآن يتساءل المرء عما إذا كان العنصر الهام في تاريخ مصر قبل الأسرات، وهو الذي يُطلق عليه «عهد الثقافة اللوبية»، ينسب معظمه إلى هؤلاء «التمحو»؟ وسيكون مدار بحثنا فيما يلي إيجاد بعض الأسباب والعوامل التي تحل لنا هذا السؤال؛ وهو ذو أهمية كبيرة للحكم على الثقافة المصرية.

أقدم الأدلة على وجود قوم التمحو

صادفتنا كلمة «تمحو» للمرة الأولى في النقوش المصرية التي ترجع إلى عهد الملك «بيبي الأول» أحد ملوك الأسرة السادسة، ذكرها لنا العظيم «وئي» قائد الجيش الذي سار لمحاربة قبائل آسيا، وكان جيشه مؤلفاً من فرق مختلفة، من بينها فرقة من قوم «تمحو» ثم جاء ذكرهم بعد ذلك في عهد الفرعون «مرنپ» في النقوش التي خلفها لنا الرحالة «خوفوحر» في حملته الثانية الكشفية (راجع مصر القديمة ج ١).

ولم تكن علاقة مصر وقتئذ ببلاد «التمحو» وثيقة. ولا يمكن أن نفهم من وجود فرقة من هؤلاء «التمحو» في الجيش المصري إلا أنهم كانوا خاضعين للسيطرة المصرية، ولكن من المحتمل أنه كان يوجد جزء منفصل من قوم «التمحو» يعملون في الجيش المصري. والظاهر من حديث «خوفوحر» أن هؤلاء القوم كانوا يسكنون بعيداً عن وادي النيل؛ وذلك لأن الرحلة من «إلفنتين» حتى بلاد «يام» التي أشار إليها «خوفوحر» في كلامه والعودة منها كانت تستغرق مدة تتراوح بين سبعة وثمانية أشهر. ويدل المتن على أن بلاد «تمحو» كانت غربي بلاد «يام».

وقد ذكر لنا المصري القديم في نقوشه مبلغ العداوة التي كانت بينه وبين أهالي «تمحو» في العصر الذي يقع بين سقوط الدولة القديمة وقيام الدولة الوسطى على حسب ما جاء في متن «إبور» أو «تحذيرات نبي»، إذ قد جاء ذكر «النحسى» (النوبيين)

ومما يؤسف له أن المصادر التي في متناولنا عن «التمحو»، وعن «اللوبيين» في عهد الدولة الوسطى ضئيلة. فلا نجد غير ما جاء في قصة «سنوحيت» أي مصدر تاريخي ذي شأن يحدثنا عن علاقة مصر بهذه البلاد، وبخاصة عن تسرب اللوبيين إلى مصر في ذلك العهد الذي كان يُعد بلا شك الفترة التي حدث فيها هذا التسرب. وقد قيل إن اللوبيين قد اختفوا بعض الشيء في عهد الدولة الوسطى، وهذا الزعم لا أساس له من الصحة. ولما كانت المصادر قليلة لدينا في هذا الموضوع فسنحاول أن نضع فكرة عن أحوالهم بقدر ما تسمح به النقوش القليلة التي وصلت إلينا عن اللوبيين في هذا العهد.

لم نعر على اسم اللوبيين في هذا العهد إلا قليلاً جداً؛ فلدينا غير ما ذكر في «متون اللعنة» وهي ليست متوناً تاريخية ذات قيمة، ومتن تنبؤات الحكيم «نفرو رهو» وهو تحذير أدي كتب في عهد «أمنمحات الأول» (راجع كتاب الأدب المصري القديم الجزء الأول) ثلاثة مصادر أخرى جاء فيها هؤلاء القوم؛ الأول: المتون التي من عهد «منتوحتب» وهي التي تكلمنا عنها فيما سبق، والثاني: ما جاء في قصة «سنوهيت» التي يرجع تاريخها إلى بداية الأسرة الثانية عشرة، وهي تقرير مختصر عن حملة قام بها هذا الفرعون على «التمحو» وقد كان قائدها أكبر أبنائه وهو الأمير «سنوسرت» الذي أصبح فيما بعد الفرعون «سنوسرت الأول»، على أن ما جاء عن هؤلاء القوم في هذه الجملة، وما ذكر عن هزيمتهم كما تنبأ به «نفرو رهو» يذكرنا بالحالة الميئسة التي وصفها لنا الكاتب «إبور» في تحذيراته. أما المصدر الثالث: فهو متن لموظف يُدعى «خعوى» من عهد الفرعون «سنوسرت الثالث» عُثر عليه في «وادي حمامات»^(٤١) وكان قد أرسله الفرعون ليحضر له طرائف من بلاد «تخنو».

وليس لدينا غير هذه المصادر عن «لوبياء» شيء يذكر، اللهم إلا بعض متون ليست لها علاقة بخولاء القوم مباشرة. فمثلاً لدينا «لوحة الكلاب»^(٤٢) المشهورة المنسوبة للأمير «أنتف»، وقد أثبت الأستاذ «شارف» في بحثه عن أصل اللوبيين أن بعض أسماء

الكلاب التي ذُكرت على هذه اللوحة هي أسماء لوبية، وقد حقق منها اسمين وهما: «بحكى» أي (باهك) ومعناه: الغزال، و«إبقور» (أباقر) ومعناه: كلب صيد. والظاهر أنهما اسمان أُطلقا على هذين الكلبيين على سبيل التذليل فحسب.

وقد عُثر في «الدير البحري»^(٤٣) على نقش صُور عليه أُسرى من «التحنو»، والظاهر أنه من المناظر التقليدية، وكذلك لدينا منظر مُثل فيه حاكم مقاطعة «القوصية» المسمى «سبني» من عهد «أمنمحات الأول» وقبره في جبانة «مير» نُقش نقشاً جميلاً، فنشاهد على أحد جدرانها حاكم المقاطعة يصحبه تابع يحمل أسلحته وهو في طريقه إلى الصيد، وملابس هذين الرجلين تلفت النظر؛ إذ يرتدي كل منهما كيس عضو التناسل، وكذلك يُلاحظ أن «سبني» يلبس على صدره شريطاً على هيئة صليب كالذي يلبسه النوبيون (راجع Blackman Meir I p. ٢٩ note ٦).

هذا إلى أن تابعه كان يتحلى بريشة في شعره وهي الميزة للوبي، وقد ظن أن هذا الكيس من مميزات ملابس الصيادين في الدولة الوسطى، وهذا زعم خاطئ كما شرحنا ذلك من قبل.

وهذا الكيس لم يصادفنا في النقوش المصرية إلا في حالة واحدة وهي التي نحن بصددنا الآن، وكذلك في قبر ابنه «وخب حتب»^(٤٤) وقد وضع أمامنا «فرشنسكي» التفسير الحقيقي الذي يعزو فيه «سبني» وأسرته إلى أصل لوبي، وهم الذين يميزون بلبس كيس عضو التناسل. وعلى ذلك يكون لبس هذا الكيس عادة من العادات التي جلبت إلى مصر من أفريقيا، وأن أسرة «سبني» قد دخلت مصر في العهد الإقطاعي الأول، وبقي أفرادها محافظين على تقاليدهم الأفريقية. ومن ثم يجب أن نعترف بوقوع هذه الهجرة اللوبية إلى مصر. ويعضد ذلك أنه قد عُثر على تماثيل في مقابر هذا العهد تبرهن على وجود هؤلاء القوم في مصر في عهد الدولة الوسطى؛ إذ قد وُجد^(٤٥) تماثيل صغير يبلغ حجمه خمسة عشر سنتيمتراً مصنوع من الخشب في مقبرة من مقابر «بني حسن» وهو لامرأة «خادمة» وقد قرنه الأثري «جارستانج» بالصور التي في مقبرة «خنوم حتب»^(٤٦)

التي وُجدت على جدرانها صور اللوبيين، ووجد أنه يشبه اللوبيين، غير أن القول بأن هؤلاء القوم الذين مُثلوا على جدران مقبرة «خنوم حتب» هم من الأسرى اللوبيين الذين استولى عليهم كل من «أمنمحات الأول». وابنه «سنوسرت الأول» كما ذكر لنا «إدوارد مير»؛^(٤٧) قول ينطبق على الحقيقة. هذا إلى أنه ليس لدينا أدلة تاريخية تثبت أن الصدرية المنسوبة إلى «سنوسرت الثالث» وهي التي قد مُثل عليها هذا الفرعون وهو يطاء اللوبيين لها أصل تاريخي، بل هي محض تقليد.^(٤٨)

اللوبيون البيض وملابسهم في الأزمان القديمة

اتفقت الآراء منذ ما كتبه الأستاذ «مولر»^(٤٩) عن سلالة «التمحو» ذوي البشرة البيضاء أنهم يُنسبون إلى قبائل البربر القاطنين في شمال أفريقية، وأنهم لا صلة لهم بسلالة «تحنو» ذوي البشرة السمراء، وأن «التمحو» ليسوا فرعاً من «التحنو» كما أن «التحنو» ليسوا فرعاً من «التمحو»، وبحسنا في أصل «التحنو» يؤكد لنا ذلك. وتدل المعلومات التي أدلى بها الأستاذ «مولر» على أنه لا يعلم الشيء الكثير عن «التمحو» غير أن الواقع يناقض ذلك؛ فإن هذه السلالة تُنسب بلا شك إلى البيض، أما من جهة تحقيق ملابسهم ونسبتهم إلى لوبيي شمال أفريقيا الآخرين فإن ما لدينا من معلومات لا يركز على أساس متين. وسنترك الحكم على ذلك لما سنورده من مادة تاريخية خاصة بهذا الموضوع.

والواقع أننا قد وجدنا أناساً ذوي بشرة بيضاء يظهر أنهم ينسبون إلى هذه السلالة في مصر منذ عهد الدولة القديمة. وأقدم مثال لدينا عن ذلك يرجع إلى عهد الأسرة الرابعة، إذ نجد في مقبرة الملكة «مريس عنخ» الثالثة بالجيزة صورة والدتها «حتب حرس الثانية» وهي بنت الملك «خوفو»، وهذه الصورة الأخيرة تُميز بخاصتين؛ أولاهما: أن «حتب حرس» تختلف في نفس الصورة عن «مريس عنخ» الواقعة معها في نفس المنظر، كما تختلف كذلك عن أولادها الذين مُثلوا معها؛^(٥٠) فلون بشرة محياها قد مُثل باللون الأبيض الناصع، ولون شعرها قد مُثل باللون الأشقر المزين بخطوط حمراء أفقية، وبحلي

جبينها خصلة قصيرة. وفي ثانيتهما نلاحظ أن ملابسها تسترعي النظر؛ لأنها بعيدة عن الزي المصري ولا تمت له بصلة، فتتألف من جلباب أبيض ضيق محبوك بشريطين ملفوفين على الصدر ومربوطين على الكتف بعقدة بارزة، وهذا الطراز من الملابس ليس له نظير في مصر، ولم يُعثر على مثله إلا مرة واحدة في رسوم «جبانة الجيزة» في مقبرة «خوفو خعف»؛^(٥١) فنشاهد صورة هذا الأمير - وهو أحد أولاد خوفو - تتبعه والدته لابسة نفس الملابس التي كانت ترتديها «حطب حرس الثانية» في قبر «مريس عنخ» وليس بينهما فرق إلا أن رداءها ليس له إلا عقدة واحدة بدلاً من اثنتين بارزتين على الكتف، ولدينا مثال آخر لهذا الملبس إذ نجد الحطية «مريت نفس» تلبسه (راجع Marriette Mastaba p. 565) وعلى أية حال فإن ملابس هذا الأمير لا يمكن أن يكون لها أية علاقة بملابس «الخنو».

والآن يتساءل المرء عن هذه المرأة، أهي زوجة «خوفو»؟ وأنها هي نفس «حطب حرس» أخت هذا الملك أم لا؟ وقد يزكي ذلك أن ملابسها متشابهة. وبذلك يكون الأمير «خوفو خعف» و«حطب حرس» أخوين؟

وعلى أية حال ليست لدينا صور لأفراد بيض البشرة يمكن نسبتهم إلى اللوبيين، وأول صورة نشهدها من هذا النوع يرجع عهدها إلى الدولة الوسطى. وقد كان «مولر» أول من صادفه أقدم مثال مصور «للتمحوا» في منظر على جدار مقبرة للأمير «خنوم حطب» حاكم مقاطعة «بني حسن» في عهد الفرعون «أمنمحات الأول»،^(٥٢) وهذا المنظر يمثل قافلة مؤلفة من رجال أجانب ومعهم نساؤهم وأولادهم وماشيتهم، وكانوا بطبيعة الحال يقدمون إلى سيدهم حاكم المقاطعة، وأشكال هؤلاء الأجانب مدهشة جداً؛ فالرجال والنساء على السواء بشرتهم بيضاء، وشعورهم سوداء، وعيونهم زرقاء، ويرتدي الرجال جلباب طويلاً، وكانت الذراع اليسرى لكل منهم مغطاة والذراع اليمنى معراة وكذلك الرقبة، وشعورهم قصيرة، ويحلي رأس كل فرد منهم أربع أو خمس ريشات، ولكل منهم مقصوص قصير وعشون، وكان حلي الرقبة يتألف من تعويذة مدلاة بخيط، وهذه

التعويذة على حسب قول «فرنشنسكي» محارة عادية تكون أحياناً بيضية الشكل،^(٥٣) وسلاح الرجل منهم كان يتألف من عصا رماية مصنوعة من الخشب يحملها على الجهة اليمنى من صدره. ويحمل على الجهة اليسرى ريشة ضخمة.

أما النساء فكان يلبسن أثواباً مزركشة أطرافها، ومعقودة من الوسط، وكانت شعورهن مرسلة على القفا وملفوفة من أطرافها، وكن يحملن أطفالهن في سلات على ظهورهن، كما يُشاهد ذلك في أفريقيا حتى الآن،^(٥٤) على أن هذه العلامات التي نجدها مميزة «للتمحو» يمكن الأخذ بها على ظاهرها بسبب ما بينها من تشابه في الطراز، وفي لون الجلد والشعر فيما نشاهده في «تمحو» الأزمان التي تلت هذا العصر. ولكن إذا أردنا أن نثبت أنهم أفريقيون أو آسيويون أو غير ذلك؛ فليس لدينا حجة دامغة، ومما يؤسف له أن هذه الصور لم تُشفع بمتون مفسرة كما يحدث أحياناً. هذا إلى أن لفظة «لوبيين» لم يأت ذكرها في نقوش مقبرة «بني حسن» هذه، أما ما اتخذه «مولر»^(٥٥) دليلاً ليرهن به على أن هؤلاء القوم من «التمحو» - وهي الصورة التي وجدها في الدير البحري، وقد كُتب عليها «رقص التمحو» - فيمكن أن تُتخذ دليلاً عليه لا له؛ إذ إن هؤلاء الراقصين مصريون، ويمثلون رقصة هؤلاء القوم وحسب، هذا فضلاً عن أن وجه الشبه بين اللوبيين الممثلين في مقبرة «خنوم حتب» وبين هؤلاء الراقصين ضعيف جداً وبخاصة إذا لاحظنا أن أول ظهورهم في العهد الإغريقي يختلف عن الصور القديمة اختلافاً بيناً. ولا يصح أن نجزم في القول بأن لوبيي مقبرة «خنوم حتب» هم من «التمحو». إذ إن الموضوع لا يزال متعلقاً ويحتاج إلى درس جديد.

ملابس اللوبيين وأسلحتهم في عهد الدولة الحديثة

يلاحظ في عهد الدولة الحديثة أن اللوبيين كانوا يرتدون ملابس جديدة، بيد أنها لا تختلف اختلافاً أساسياً عن ملابس الأقوام اللوبيين في مجموعها. والعناصر الهامة المؤلفة لهذه الملابس هي: عباءة فضفاضة، وكيس عضو التناسل، وميدعة؛ هذا إلى أن كل فرد كان يسرح شعره تسريحة خاصة، ويرسل ضفيرة على جانب صدغه. وهذه الملابس كان

يرتديها أولاً - على حسب قول الأستاذ «مولر» - قوم «التمحو»، والواقع أنه يقصد الصورة التي تعرّف عليها في مقبرة «خنوم حتب» «بني حسن» وهي التي تحدّثنا عنها فيما سبق. وحقيقة الأمر أننا قد تعرفنا على ملابس هؤلاء القوم للمرة الأولى في آثار الأسرة التاسعة عشرة. وأن «التمحو» هم الذين كانوا يرتدونها. وأقدم مصدر لدينا في هذا الصدد هو الصورة التي عُثِرَ عليها في مقبرة «سيتي الأول»^(٥٦) وهي التي صُوِّرَ عليها أجناس العالم الأربعة المعروفة عند المصريين.

وهذه الصورة تقدم تصويرًا يُعتمد عليه عن قوم «تمحو» الذين عرفناهم بالاسم فقط منذ عهد الدولة القديمة، أي منذ ألف سنة على ظهور اسمهم. ومن هذا الرسم نعرف للمرة الأولى أن «التمحو» كانوا يبيض البشرة. وهذا يؤكّد لنا الزعم القائل بأن لوبي «مقبرة خنوم حتب» كانوا من «التمحو» وسنستعرض هنا شيئًا عن ملابسهم، وتتألف من عباءة فضفاضة تصل من أحد جانبيها إلى طي الساق وتغطي الكتف اليمنى وجزءًا من أعلى الذراع، وفي الجانب الآخر وهو الجانب الأيسر عقدة عريضة، والذراع كلها عارية. ورقعة العباءة قد زُحرفت بألوان مختلفة، وثُبت في ذيلها شريط مخطط عريض. وتحت هذه العباءة كيس عضو التناسل، ولون الشعر أشقر، لا بالطويل ولا بالقصير، وقد زين بخصل صغيرة مرسل بعضها على الجبهة، والبعض الآخر أسدل على القفا، ويحلي الأذنين قرط، ويزين الجيد صدرية، وله ضفيرة جانبية مرسلّة على ظهره، وكان كل لوبي يحلي شعره بريشتين، ويرخي لحيته ويربي شاربه. والرجل اللوي - كما ذكرنا - أبيض البشرة، أسود العينين، ويقول البعض إنهما زرقاوان مثل أعين «التمحو» الذين مثلوا على جدران مقبرة «مرنبتاح»^(٥٧) وأذرعة اللوبيين وسيقانهم محلاة بالوشم بصور معينة الشكل، أو صلبان مستطيلة، وكثيرًا ما نشاهد في هذا الوشم صورة العلامة الدالة على الإله «نايت» كما تدل الصورة على أنهم كانوا حفاة الأقدام. غير أنه قد ذكر لنا في «نقوش النصر» التي تركها لنا «مرنبتاح» على جدران «معبد الكرنك» أنهم كانوا يلبسون أحذية؛ إذ يقول المتن: «إنهم قد تركوا ملابسهم، ومتاعهم، وكذلك أحذيتهم»^(٥٨) ويلاحظ أن كل هذه الملابس كانت في مجموعها عليها مسحة أفريقية؛ فنجد أولاً أن العباءة السالفة

الذكر هي بلا شك جلد ملوّن، وقد كانت العباءة التي شاهدناها في ملابس اللوبيين في مقبرة «خنوم حتب» تشمل جلداً، ولا بد أنها كانت هنا تقليداً، وليس بالجلد الحقيقي، والجلد في الواقع لباس بدائي في كل مكان، ولا بد أنه كان محبباً في «أفريقيا» بوجه خاص، ولكنه في مصر كان قد أخذ يختفي تمشياً مع تقدم مدينتها. ومع ذلك نجد صورته فقط في أقدم المقابر المصرية، كما نشاهد ذلك في مقبرة «الكوم الأحمر».^(٥٩) وفضلاً عن ذلك نجد أن هذا الجلد كما لا يزال حتى الآن يُتخذ رداءً عند القبائل الأفريقية؛ إذ نرى أن قبيلة «توعرج Tuâreg» لا يزال أهلها يرتدون جلد الغزال.^(٦٠) وقد ذكر لنا كُتّاب اليونان الأقدمون أمثال «هيرودوت» و«ديدور» و«سليوس إتاليكوس» الجلود بوصفها ملابس يرتديها أهل «أفريقيا» وذكروا لنا على وجه خاص جلود الماعز، وكثيراً ما نشاهد هذه الجلود ملونة باللون الأحمر.^(٦١)

ويرى الأستاذ «إدوارد مير» أن كلمة «خنوتيو» المصرية التي وجدناها في نقوش «توبوس» ببلاد النوبة الخاصة «بتحتمس الأول» تدل على لابس الجلود. وأنها تعني هنا أهل «تمحو».^(٦٢) ولكن حتى إذا كانت هذه الترجمة صحيحة، فإن نسبتها إلى اللوبيين فيها شك كبير. والواقع أن المقصود هنا هم النوبيون الذين كانوا يرتدون الجلود.^(٦٣)

وعلى الرغم من أننا لا نجد الجلد مستعملاً لباساً عادياً فإننا نجده في كثير من الأحوال يلبس مظهرًا من مظاهر الشرف، فمثلاً نجد رجال الطب كانوا يرتدون الجلد دلالة على عظمتهم.^(٦٤) وكذلك كان الحكام يرتدونه، وكان الكاهن «سم» يلبسه حتى آخر العهد الفرعوني.

ومما يلفت النظر بحق في مظهر هؤلاء القوم بعد ذلك ترجيل الشعر، مما لا نجده على الآثار المصرية، ومع ذلك فإن هذا الزي لا يزال من الأشياء المحببة جداً عند القبائل الأفريقية الموجودة الآن. والخاصية التي يمتاز بها ترجيل الشعر عند قوم «التمحو» هي تقسيم الشعر إلى خصلة منفصلة تكون أحياناً مجدولة وأحياناً على هيئة «شوشة»، كما يُشاهد ذلك الآن بين قبائل «الماساي Massai» أو قبيلة «كيكويس Kikuyus».^(٦٥)

أما عند أهالي «لويبا» فنشاهد فقط «شوشة» مسدلة على جانب الرأس من وقت لآخر، فتكون الشوشة على كلا جانبي الوجه.^(٦٦) ولم توجد أولاً إلا شوشة واحدة على الجانب الأيسر في الجمجمة التي عثر عليها في «قاو الكبير» «زيو بوليس بارفا». وهذه الجمجمة تُنسب إلى لوي، غير أن تاريخها غير مؤكد.^(٦٧) وثانيًا: عُثر على تمثال صغير من الخشب للوي في «مجموعة بسنج» يحلي رأسه شوشة على الجانب الأيمن، وهذا التمثال يرجع تاريخه إلى العصر المتأخر من الدولة الحديثة^(٦٨) ويحدثنا كل من الأستاذ «مولر» والأثري «بيتس» بأن هذه الشوشة لا تزال تُرى حتى الآن في ترجيل الشعر بين القبائل الأفريقية الحالية، مثل قبيلة «أوموش جاه Imushgah» وقبيلة «فولبا Fulbe» القاطنتين في أسفل مجرى نهر النيجر حتى منتصفه^(٦٩) ومن المحتمل أن ما رواه «هيرودوت» في الفصل الواحد والتسعين بعد المائة في الكتاب الرابع عن ترجيل شعر اللوبيين يشير إلى ما ذكر هنا. وليس ذلك مؤكدًا. أما ما قيل عن علاقة هذه الشوشة التي تمثل الطفولة عند المصريين فليس له أصل يُستند عليه،^(٧٠) وكذلك ليس لها علاقة بترجيل الشعر عند أهالي «كريت».^(٧١)

ومثل الريشة كمثال الجلد والشوشة من الأشياء المحببة عند الأفريقيين بوصفها زينة يزين بها الرأس، فقد كان يتحلى بها الزنوج والنوبيون مثل اللوبيين أيضًا، غير أنها كانت ميزة خاصة عند أهالي «لويبا» ومن ثم كانت ترمز عندهم منذ القدم للغرب. ولدينا العلامة الدالة على الغرب في اللغة المصرية القديمة ممثلة بصورة ريشة. هذا إلى أن مخصص الكلمة الدالة على بلاد «تخنو» في نقوش الملك «سحورع» هو ثلاثة رجال على رأس كل منهم ريشة. ونجد مخصص كلمة «منتو»^(٧٢) التي تدل على أعداء مصر ثلاثة رجال يحمل واحد منهم ريشة، وهذا يدل على أن أحد هؤلاء الأعداء كان من «التخنو» القاطنين غربي مصر. وأخيرًا يجب أن نلاحظ هنا أنه توجد في هرم الملك «نفركع» حجرة في الجهة الغربية نقش عليها علامة الغرب وهي رجل وفي يده ريشة.^(٧٣) وإذا كان قوم «تخنو» كذلك يسكنون الغرب وحسب فإن الريشة لا تميزهم بوصفها جزءًا هامًا من ملابسهم، في حين أنها من جهة أخرى تؤلف جزءًا رئيسيًا من ملابس «التمحو» مميزًا لهم. أما

«التحنو» الذين نراهم يلبسون الريشة في نقوش الملك «منتوحتب» فإن ذلك قد أتى من تأثير اختلاطهم «بالتمحو» اختلاطاً فعلياً. والواقع أن أهالي «تحنو» لم يعرفوا الريشة بوصفها جزءاً من ملابسهم كما سنوضح ذلك هنا.

فالريشة لم يكن يتحلى بها اللوبيون وحسب، بل كان يلبسها السواد أيضاً، ومن ذلك نفهم أن الريشة لم تكن رمزاً لقبيلة، أو لباساً خاصاً لقبيلة بعينها، بل كانت علامة شرف أو وظيفة. ولم نشاهد في المواقع الحربية العظيمة التي نشبت في الدولة الحديثة بين المصريين واللوبيين إلا أقلية ممن كانوا يلبسون الريشة. والأمثلة المحدودة التي وصلت إلينا نجدها في السطر السادس من «لوحة إسرائيل» حيث يُقال عن الأمير اللوبي المهزوم المسمى «مريي»:

الأمير المعادي الذي يرى لحاله من اللوبيين قد هرب تحت جناح الظلام وحيداً بدون ريشة على رأسه.

وفي السطر الثامن نقراً:

وعندما وصل إلى وطنه شكاً، وكل إنسان في بلاده كره مقابلة الأمير الذي اختطف منه الحظ ريشته.

وجاء في السطر التاسع من نقوش^(٧٤) الملك «بيعنخي» عند الحديث عن أمراء مقاطعات الدلتا في الأسرة الثالثة والعشرين: كل الأمراء الذين يحملون الريشة.

ولا نزاع في أن المصري عندما كان يندد بفقد أمير «لوبي» ريشته كان يعلم مقدار ذلك في نظر أهل «لوبي»؛ فالرجل الذي كانت تُغتصب ريشته مثله كمثل الرجل الذي كان يُغتصب منه درعه، ولكن في أيامنا نجد في «أفريقيا» أن الريشة كانت تعد في الأصل حلية، وفي بلاد الصول تُعد علامة يحملها كل عدو مهزوم في شعره، وهذه عادة منتشرة في الهند.^(٧٥)

ومن ذلك نعلم أن الريشة لم تكن جزءاً أصلياً من ملابسهم، بل كانوا يحملونها في أوقات الحرب، وفي الصيد، ويؤكد ذلك أن المرأة لم تكن تلبس هذه الحلية قط سوى مثال واحد وُجد في «مقبرة خنوم حتب»، ولا يمكننا الجزم بأن الريشة كانت في الأصل تُعد في جملتها لباس حرب، ثم بدأت تدريجياً تُتخذ رمز للخدمات الخاصة، أو أنها كانت من أول الأمر قد اتخذت هذا المعنى. ونريد الآن أن نقرر بصفة قاطعة - بهذه المناسبة - الوقت الذي فكر الإنسان فيه في استعمال الرمز الهيروغليفي الذي يدل على معنى كلمة «قائد» وهو الرمز الذي مثل بصورة رجل راكع يحمل قوساً ونشاباً ويلبس ريشة على قمة رأسه هكذا والواقع أننا نشاهد هذه الملابس الحربية ممثلة على الآثار المصرية منذ عهد ما قبل التاريخ^(٧٦) وقد أخذت هذه العلامات تختفي بتقدم المدنية بوصفها ملبساً حربيّاً كما لاحظنا ذلك في اختفاء الجلود بوصفها ملبساً، وكذلك كان شأن الريشة.

ومن الأشياء التي تصادفنا في وادي النيل منذ أقدم العهود قراب عضو التناسل وذلك منذ العهد الأفريقي، وهو علامة خاصة رئيسية يتميز بها الأفريقيون. والمسألة التي يجب أن نبحثها هنا الآن هي: هل منشأ هذه العلامة على الآثار المصرية المعترف بها هو قراب عضو التناسل أو عضو التناسل المنتشر؟

والواقع أننا نرى أحياناً القراب فعلاً وأحياناً نشاهد عضو التذكير مصوراً منتشراً في المناظر وفي التماثيل. ويمكن الإنسان أن يقرّر هنا بحق أن قراب عضو التناسل كان مستعملاً منذ أقدم العصور في مصر وفي أفريقيا، ولدينا أمثلة من جبانة «نجع الدير»^(٧٧). وقد بقيت هذه العادة مستعملة عند قوم «تخنو» بعد أن انفصلوا عن مصر، وكذلك بقيت عند اللوبيين المجاورين لمصر وهم الذين اختلطوا بالمصريين في العهد التاريخي. وكذلك نجد في أفريقيا الحالية بعض القبائل تستعمل قراب عضو التناسل مثل قبائل «توجوس Togos» و«داهومي Dahomey» و«موبا Moba» و«تامبرما Tamberma» وكذلك في غربي وأواسط «كامرون» و«يوغندا» و«كوماي Komai» و«بافيا Bafia» و«دورا Durra»^(٧٨) وستحدث عن معنى هذا القراب وأهميته عند

الكلام على الختان في لوبيا.

والآن نتكلم عن الوشم الذي نشاهده في بعض الرسوم مثل الصور الجميلة التي نراها مصورة في مقبرة «سيتي الأول» وما نشاهده مرسومًا على قطع الخزف المطلي التي عُثِر عليها في مدينة «هابو». هذا بالإضافة إلى الوشم الذي نجده على صور مناظرها. (٧٩) ولدينا أمثلة أخرى من آثار «تل العمارنة» كانت تحلي شرفات الفرعون التي كان يطل منها عند إقامة الأحفال الرسمية،^(٨٠) والواقع أن الوشم كان عادة شائعة عند الأقوام البدائيين، والظاهر أن منشأه الأصلي اعتباره علامة مميزة وكان يتحلى به الرجال والنساء على السواء عند إقامة احتفالات خاصة مثل الاحتفال ببلوغ سن المراهقة؛ حيث كان يُوشم النساء والرجال دون استثناء، وكذلك في مناسبات الحزن والانتقام، وقد ذكر لنا «هيرودوت»^(٨١) أن اللوبيين كانوا يلونون أجسامهم باللون الأحمر، أما في مصر فإن الوشم كان لا يستعمل إلا نادرًا جدًا ولا يستعمله إلا النساء، ففي التماثيل المصنوعة من الخزف التي عُثِر عليها في «نقاده» نرى الوشم كان يُعمل على هيئة أشكال هندسية، وكان قاصرًا على النساء. وفي الأزمان التاريخية نجد الحظيات والراقصات يستعملن التزين بالوشم (راجع Kees Kulturgesch. P. 89).

وإتمامًا لموضوع وصف ملابس هؤلاء القوم يجدر بنا أن نتحدث بعض الشيء عن أسلحة اللوبيين في عهد الدولة الحديثة. والواقع أن اللوبي لم يعرف إلا القوس والنشاب^(٨٢) (راجع نقوش مرنباح بالكرك سطر ١٣).

غير أن أقواسهم ليست بالأقواس الخشبية البسيطة، ولكنها كانت أقواسًا مركبة، ولا يمكننا أن نتحدث عن تركيبها بشيء من الدقة والتأكد؛ لأن الصور التي تُركت في المناظر التي خلفوها لنا يظهر أنها مختصرة، ولكن بوجه عام يظهر أن أقواسهم كانت من النوع الذي يُطلق عليه «القوس ذو الزاوية» (راجع Wresz. Atlas II. Pl. ٥٠ a).

ولم نجد في صور المواقع الحربية للوبيا واحدًا قد شد قوسه ليضرب به، بل نجد قوسه ملقى على الأرض أو معلقًا على كتفه أو ممسكًا به في يده ومطلقًا لساقه العنان

(راجع 109, 52, Z. A. Borchardt a. e.).

ولذلك لم نجد في مثل هذا الوضع للقوس السهم مركبًا فيه، ولا يمكن الإنسان إذن أن يحكم على صورة السهم عند اللوبيين، ولكن مع ذلك ينبغي علينا أن نعتقد أن السهم كان مصنوعًا من حجر النار، وأنه كان ذا أسنان وبخاصة أننا صادفناه بهذه الصورة فيما بعد.^(٨٣) ومن جهة أخرى نشاهد في المناظر مرات عدة صورة الكنانة وهي على هيئة قرية (70 Medinet Habu I, pl. 18, II. Pl. 68) وقد كان القوس هو السلاح الوحيد الوطني الذي يستعمله اللوبي وظل يستعمله، وهو سلاحهم الوحيد البعيد المرمى، ولم يُعثر قط في يد اللوبيين المحاربين - في الرسوم - على الرمح أو الحربة وهما سلاحان لم يكونا معروفين عندهم، وقد ترجم الأستاذ «برستد» كلمة «خت عا»^(٨٤) بكلمة «حربة» وهذا خطأ، ويُحتمل أن الترجمة الحقيقية عصا رماية؛ وذلك لأن نقوش الدولة الحديثة لم تظهر فيها هذه الكلمة بوصفها سلاح حرب، غير أن اللوبيين الذين وُجدت صورهم في مقبرة «خنوم حتب» كانوا يحملون عصي رماية، وكذلك نجد في شعائر الإلهة «موت» أنه كان يستعمل هذا السلاح قوم «التمحو» للصيد، وهناك كان يُطلق عليه لفظ «قما» (Hölscher Ibid p. 39).

وأخيرًا يجب أن نعتقد أن هذا السلاح كان نادرًا جدًا ولا يُستعمل إلا قليلًا في الحروب وبخاصة أنه لم يوجد منه إلا عدد قليل جدًا في قوائم مدينة «هابو» عند تحديد الغنائم،^(٨٥) وقد فسر الأستاذ «ولف» هذا السلاح بأنه مقمعة، وهذا جائز أيضًا.^(٨٦)

وكان اللوبي لا يستعمل المقلع سلاح حرب، أما الضاربون بالمقلع الذين نراهم ممثلين على آثار «بني حسن» وهم ذوو البشرة البيضاء فلبسوا - بأية حال - من السلالة اللوبية،^(٨٧) وكان اللوبي يستعمل كذلك - غير القوس في عهد الدولة الحديثة - نوعًا من الأسلحة الجديدة، وأعني بذلك السيف، وكان استعماله قاصرًا على قبيلة «المشوش»، وهذا السلاح لم يكن أصليًا عندهم، وذلك ظاهر من أنهم كانوا قومًا من البدو الرحل الذين يسكنون الصحراء، ولا بد أنهم قد أخذوه عن أقوام البحر عند

اختلاطهم بهم. وهذا السيف يشمل نصلاً من المعدن ومقبضاً من الخشب، وكان طوله عظيمًا جدًا، وكان يشبه السيف الذي كان يحمله جنود «شردانا».^(٨٨) وقد ذكر لنا «رعمسيس الثالث» في قائمة غنائه سيوفًا طول الواحد منها ثلاث أو أربع أذرع، في حين أن طول السيف العادي يبلغ ما بين ستين وسبعين سنتيمترًا. هذا ونجد نادرًا جدًا الخنجر مصورًا على الآثار الخاصة باللوبيين.^(٨٩)

وبقي علينا أن نذكر أن اللوبيين في عهد «رعمسيس الثالث» كانوا يستعملون العربات، وقد ذكر لنا «رعمسيس الثالث» في قائمة غنائه اثنتين وتسعين عربة.^(٩٠)

وتدل شواهد الأحوال على أن اللوبيين لم يأخذوا العربات - مثلما أخذوا السيف - عن أقوام البحار كما يقول فرشنسكي (راجع a Wresz Atlas II, pl 50).

وعربات اللوبيين تشبه العربات المصرية اللهم إلا أن عجلتهم لها أربع شوكات بدلًا من ست في العربة المصرية حينئذ، فلا بد من أن نسلم بأن اللوبي قد أخذ استعمال العربة عن المصري (راجع oller Ibid p. 53)، هذا كل ما كان عند اللوبي من سلاح، ومن ذلك يرى الإنسان أنه كان ينقصه كل الأسلحة التي يحمي نفسه بها مثل الدرع والخنزعة والزرذ، وقد ادّعى بعض علماء الآثار أن اللوبي كان يستعمل الدرع منذ عهد «رعمسيس الثاني» في موقعة «ستورنا»،^(٩١) غير أن ذلك لم يثبت بعد.

اختلاف الملابس في لوبيا وأهميته

نبدأ هنا الكلام على ملابس اللوبيين في عهد الدولة الحديثة بوصف ملابس «التمحو» الذين وجدناهم ممثلين على جدران مقبرة «سيقي الأول»، وقد دلت الموازنة على أنهم مشابهُون للوبيين الذين مثلوا على جدران مقبرة «مرنتاح»؛ على أن عدم وجود الريشة في لباس الرأس عندهم لم يكن بالأمر الهام كما تحدثنا عن ذلك من قبل. ومن أمعن في النظر إلى صور «التمحو» التي رُسمت في منظر الأجناس الأربعة في مقبرة «سيقي الثاني»^(٩٢) يجد أنهم لا يختلفون عن الآخرين على الرغم من رداءة الرسم.

وكذلك نجد بينهم وبين صورة مقبرة «رعمسيس الثالث» صلة، غير أنهم يختلفون عن اللوبيين الآخرين في أنهم بدلاً من لبس كيس عضو التناسل كانوا يلبسون قميصاً قصيراً. وهذا الفرق على الرغم من أنه ضئيل قد لا يلفت النظر إلا أنه من الأهمية بمكان؛ وذلك لأنه يميز لنا بين سالتيين وهما «اللوبيون» و«المشوش» وقد ظهرت الأخيرة في منتصف الأسرة التاسعة عشرة وبدأت تلعب دورها في تاريخ بلاد «لوبييا» كما سنفصل القول في ذلك بعد.

وأول شيء عرفناه عن ملابس «اللوبيين» و«المشوش» جاء عن طريق نقوش «رعمسيس الثالث» في مدينة «هابو»؛ لأن ما ذكر مفصلاً عن حروب «مرنتاح» مع اللوبيين من المتون لم يصحبه صور مفسرة للملابس.

ملابس اللوبيين

ولدينا تفاصيل عن ملابس اللوبيين في مناظر الحروب الأولى التي نشبت بينهم وبين «رعمسيس الثالث»، ونرى في هذه المناظر أن ملابس اللوبيين موحدة، وتشمل عباءة فضفاضة تلف الجسم ويظهر منها أحد الكتفين عارياً، هذا إلى قميص قصير يلبس تحتها، وكان يحلي الرأس «شوشة» جانبية كما كان يزين ذقنه عثنون، وبهذه الصورة كان يُمثل الأمير اللوبي في المنظر الذي رُسم على البرج العالي في مدينة «هابو» مع غيره من الأمراء الأجانب المأسورين.^(٩٣) وقد ذكرنا من قبل أنه يندر وجود اللوبي أو «المشوش» في الحروب يلبس الريشة، وليس لدينا إلا أمثلة قليلة من ذلك مما يدل على أن الريشة كانت رمز شرف خاص، فنجد أنه كان يتحلى بها كل أمير من الذين صُوروا على جدران البرج العالي في مدينة «هابو». على أننا لم نشاهد أحداً يتحلى بها في نقوش جدران المعبد الأخرى إلا مرة واحدة.^(٩٤) هذا ويلاحظ أن اللوبيين كانوا زرق العيون كما يدل على ذلك أحد المناظر في مدينة «هابو» (راجع bid I. pl. 23).

(د) أصل قوم المشوش وملابسهم

يقول الأثري «بروكش» إن «المشوش» سلالة من اللوبيين الموحدين يقوم

«الماساي»، وهم الذين قال عنهم «هيرودوت»^(٩٥) إنهم كانوا يقطعون بجوار «تونس». وتدل البحوث على أنهم ذُكروا للمرة الأولى في خطاب المساجلة الهجائية الذي يرجع عهده إلى الفرعون «رعمسيس الثاني»، وهو المعروف «بورقة أنسطاسي الأولى». (راجع كتاب الأدب المصري القديم). وكذلك ذُكر معهم بعض جنود «الشردانا» و«القهبق» و«النوبيين»، وقد كانوا يؤلفون فرقة في الجيش المصري، وهذا يدل على أنه ربما تكون قد حدثت حروب لوية أُخذ فيها أسرى من قوم «المشوش» في عهد «رعمسيس الثاني» أو قبله. أما في عهد «مرنبتاح» فقد اشتركوا فعلاً في الحروب التي شنّها أمير لوبيا على مصر، كما سنتحدث عن ذلك فيما بعد. غير أنهم في هذه الحروب، وفي الحروب الأولى التي شنّها «رعمسيس الثالث» لم يقوموا إلا بدور ثانوي، ولكن في الحروب التي قام بها هذا الفرعون فيما بعد - ولم تكن من الحروب العظيمة - نجد أنهم قد قاموا بالدور الهام فيها، ومنذ ذلك العهد نسمع عنهم بازدياد مطرد، في حين أن نجم اللوبيين كان آخذاً في الأفول.

وكان الملك «شيشنق» الذي اعتلى عرش مصر عام (٩٣٠ ق.م) من سلالة «المشوش»^(٩٦) ومن ثم نجد كثيراً من الأمراء الصغار كانوا يحملون لقب «أمير» مستعملين إما كلمة «ور» (العظيم) أو كلمة «مس» (الأمير)،^(٩٧) وغالباً ما كانوا يكتبون كلمة «مشوش» باختصار «مي». وقد ذكر لنا «برستد» هؤلاء الرؤساء،^(٩٨) وفي عهد الأسرة الثانية والعشرين كانوا قد استوطنوا «الواحة الداخلة»،^(٩٩) وكذلك داخل مصر. وأحدث إشارة لهؤلاء «المشوش» - إذا استثنينا الإشارات التاريخية كالتى ذكرها الأثري «دي مورجان» في قائمة جغرافية ترجع إلى العهد الإغريقي الروماني في مصر ١٠٠ - هو ما نقرؤه على اللوحة العظيمة التي تركها لنا الفاتح العظيم الأثيوبي «بعنخي» - في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد حيث نجد - على أقل تقدير - ستة من أمراء «مي» قد ذُكرت أسماءهم بوصفهم حكاماً لمدن «الدلتا» ومن بينها مدينتا «بوصير» و«منديس».^(١٠١)

وعلى الرغم من أن «المشوش» كانوا من الجنس اللوي - كما يدل على ذلك التشابه العام في مظهرهم الخارجي في النقوش - إلا أنه كانت توجد فروق مميزة لهم عن

اللوبيين في بعض الملابس، فملابس «المشوش» تكاد تكون موحدة بملابس اللوبيين إلا في شيء واحد، وهو أن اللوبيين كانوا يلبسون تحت العباءة السالفة الذكر قميصًا كما ذكرنا ذلك من قبل، في حين أن «المشوش» كانوا يلبسون بدلًا من هذا القميص كيس عضو التناسل، وخلافًا لذلك نجد أنهم كانوا يلبسون الريشة أحيانًا في شعرهم. وقد ذكر لنا «هيرودوت» كذلك أنهم كانوا يُلَوِّنُون أجسامهم^(١٠٢) على أن هذا الفرق لم يكن من باب الصدفة؛ إذ قد دلت عليه المتون المفسرة للصور، فنجد - فوق المناظر التي مثل فيها المحاربون بالقميص - أنهم «لوبيون» أو «تمحو»، في حين أن التي كان فيها المحاربون يلبسون كيس عضو التناسل كانوا يدعون «المشوش»^(١٠٣).

أهمية الفرق بين ملابس اللوبيين والمشوش والطهارة

عند اللوبيين وكيس عضو التناسل

نعود مرة أخرى إلى ذكر العلاقة بين «اللوبيين» وبين «المشوش»، فقد رأينا أن ملبسيهما لا يختلفان في ظاهريهما، بل يتشابهان كثيرًا جدًا. وأن الفرق الوحيد هو أن اللوبي يلبس القميص بدلًا من كيس عضو التناسل الذي يلبسه «المشوش» وهذا الفرق أساسي وليس من باب الصدفة، وأن القميص كان عنصرًا أساسيًا في ملبس اللوبي، ولم يأت من تأثير الملابس المصرية كما ذكر «مولر»^(١٠٤) وعلى ذلك فلبس اللوبي القميص لا كيس عضو التناسل كان عن قصد. وتدل متون «معبد الكرنك» التي تركها لنا «مرنبتاح» عن حروبه مع اللوبيين، وكذلك بعض النقوش التي تركها لنا «رعمسيس الثالث» في مدينة «هابو»^(١٠٥) عن تقديم الأسرى له في حروبه الأولى التي شنّها على اللوبيين، تدل على أن من يلبس القميص كان لا يُخْتَن قَط، وتلك كانت عادة شائعة عند اللوبيين، وأن المصري كان يقطع عضو التذكير عند أي فرد لم يُخْتَن في الحروب لأن صاحبه كان يُعد نجسًا، ولذلك نشاهد أن اللوبيين وحدهم وهم الذين لم يكونوا يُخْتَنون كانت تُقَطع أعضاء تناسلهم لأنهم نجسون، وقد كان بتر عضو من أعضاء الأعداء المقتولين يُعد فقدانًا مشينًا لا يتأتى مع رجل قد خُتِن. وقد كانت الغيمة العادية التي يحملها

الحارب لهذا السبب هي يد القتيل الذي قتله، وكان اللوي النجس هو الذي يقطع ذكره. والواقع أن الطهارة كانت عادية عند هؤلاء القوم، حتى إنه لم يكن من الضروري أن يُتحدث عنها بوصفها شعيرة ضرورية، كما إنه كان من المفهوم أن عدم الختان يُعد رجسًا، ولذلك تقص علينا نقوش الملك «بعنخي» أن أمراء الدلتا، الذين كان من بينهم في ذلك الوقت بطبيعة الحال أمراء من أصل لوي، لم يسمح لهم بالمثل بين يديه لأنهم لم يُختنوا، فهم نجسون ومن آكلي السمك. وقد كان ذلك من الأشياء المحققة لبيت الملك، ولم يُسمح لأحد بالمثل أمام «بعنخي» إلا «نمارت»؛ لأنه كان طاهرًا نقيًا ولم يأكل أي سمك. (١٠٦)

ولنعد الآن إلى موضوعنا الخاص بالفرق بين ملابس «اللويين» و«المشوش»، لنقرر أن اللوي الذي لم يُختن كان يلبس قميصًا تحت العباءة لأنه لم يعرف شعيرة الختان، وعلى العكس كان لابسو كيس عضو التناسل هم «المشوش» وغيرهم يعرفون هذه الشعيرة ويقद्रونها، فكأنهم كلهم قد أجروا عملية الختان.

وقد كان المفروض في بادئ الأمر أن كيس عضو التناسل يُلبس لضرورة حفظ هذا العضو من الإصابة بأي أذى، من حشرات، أو جروح، أو غير ذلك من أنواع الأذى. غير أن ذلك ليس هو السبب في حالة هؤلاء القوم؛ وذلك لأن كيس عضو التناسل له أولاً أهمية سحرية وشعيرية، وأحياناً تكون له علاقة قوية بموضوع الحب والغزل، أما استعمال هذا الكيس للمحافظة على هذا العضو من الأذى فليس له أي دخل في ذلك، ويعضد هذا الرأي أنه يُلبس أحياناً عند بعض القبائل تحت ملابس أخرى، وهذه هي نفس الحال عند اللويين الذين يلبسون فوقه عباءة طويلة. ويميل «هولشر» إلى الاعتقاد بأن سن البلوغ - على الأقل - كان يلعب دوراً هاماً فاصلاً في لبس هذا الكيس، دون أن يكون له أية علاقة بالأمور الجنسية، وذلك أن الولد عندما كان يبلغ سن المراهقة يُختن ثم يلبس عقب ذلك كيس عضو التذكير^(١٠٧) وهذا يذكرنا بالرسوم التي على معبد «سحورع» حيث نجد الأطفال لا يلبسون كيس عضو التناسل والبالغين منهم كانوا

يلبسونه، ولا نجد هنا أن الغرض من هذا الكيس هو تغطية هذا العضو استحياء، بل على العكس كان يُعد بمثابة زينة لهذا العضو، عندما يكون الغرض الأول من لبسه هو العشق والغرام. وفي اعتقادي أن لبس المرأة كيس عضو الإكثار يعد بمثابة إعلان على أنها قد حُتنت، وأنها طاهرة وناضجة للزواج أيضاً، لا كما يقول البعض أنها كانت تلبسه بسبب عادة سيئة استعملها.

(هـ) «تمحو» الدولة الحديثة هم «لوبيو» نفس هذه الدولة

إن موضوع فحص ملابس «اللوبيين» و«المشوش» قد أصبح مرتبطاً بظهور القميص في ملابس «التمحو» في مقبرة «رعمسيس الثالث»، التي نجد أن «التمحو» فيها يختلفون عن الذين وجدناهم في مقابر الملوك الآخرين، والمناقشة في هذين البابين ينبغي أن يستفاد منها في تحديد اسم «تمحو».

وقد رأينا فيما سبق أن اسم «تخنو» في مجرى التاريخ قد أخذ يدل على اللوبيين تدريجاً، وعلى ذلك فليس من العجيب أن نجد في الدولة الحديثة أن اللوبيين في ملابس «التمحو» يدعون «تخنو»^(١٠٨) على أنه يكون من المدهش إذا حدث العكس فيُدعى اللوبي وهو مرتد ملابس «التخنو» القديمة في الكتابات المفسرة «تمحو»^(١٠٩).

وأخيراً نجد أنه منذ العهود الأولى كان الملبسان مختلطين بعضهما البعض الآخر. فنجد في بعض الرسوم مثلاً أن لباس الرأس الجديد الذي كان يُحلى بشوشة جانبية كان يصحبه الشريط الذي يحلي الصدر على هيئة صليب قديماً.^(١١٠) وهذا دليل على اختلاط القومين بعضهما البعض الآخر. ولا نزاع في أن اختلاط الملبس كما يظهر على الآثار لم يأت عن طريق النقل، بل جاء عن اختلاط الاسمين في التعبير وتوحيدهما. وعندما نرى بعد أن ملبس «التمحو» الجديد الذي عرفنا كل تفاصيله أولاً في عهد الأسرة التاسعة عشرة في مقبرة «سيتي الأول»، وفي عهد الأسرة العشرين كان بالضبط نفس الملبس الذي يلبسه قوم «المشوش». ومن جهة أخرى وجدنا أن ملابس «التمحو» في مقبرة «رعمسيس الثالث» هي نفس ملابس اللوبيين. ويمكننا أن نستخلص من ذلك أن

«التمحو» في تلك الفترة لم تكن قبيلة ثالثة بين «اللوبيين» و«المشوش» بل إنها تمثل فكرة جامعة أصبح يُعبر بها باختصار عن «لوبيي الدولة الحديثة» وعلى ذلك يكون مثل «اللوبيين» كمثل «المشوش» يُعدون من «التمحو» كما يُعد عندنا الآن أهل الصعيد وأهل الدلتا مصريين.

على أنه ليس ثمة ما يعوقنا عن أن نرى في مقبرة «سيتي الأول» أن «التمحو» المصور على جدرانها من قوم «المشوش» الذين نعلم بوجودهم منذ عهد «تحتس الثالث» وإن كان الأستاذ «جاردنر» لا يقبل هذا الرأي.^(١١١) وبخاصة لأن «سيتي الأول» في حروبه مع «اللوبيين» كان - على ما يظهر - على صلة بقوم «المشوش» كما يُفهم من قبر «رعسيس الثالث» أنهم هم نفس اللوبيين، وقد ظهروا قبل حكمه بنحو ثلاثين سنة في عهد «مرنبتاح».

والواقع أن أسلوب الكتابة والتعابير العامة التي نشاهدها في النقوش الملكية، لا يمكن أن تقدم للباحث معلومات دقيقة يمكنه أن يستخلص منها استعمال اسم «تمحو». فإذا فحص الإنسان عبارة المتون، وجد بنفسه قيمة استعمال اسم «اللوبيين» و«المشوش» وغيرهما من أسماء الأقوام. فمثلاً نجد أن «رعسيس الثالث» بعد حروبه الأولى مع «اللوبيين» يصف نفسه بأنه «صاُدُ التمحو»، وبعد نهاية الحرب الثانية معهم نجده يصف نفسه «بمهلك المشوش». وهذا القول في ظاهره يبرهن على عكس وجهة النظر المنتظرة؛ إذ إنه من البدهي أن الملك قد اكتفى في هجمته الأولى على قوم من أهل لوبيا، وأطلق عليهم الاسم العام وهو «اللوبيون»، ولكن لما كان اسم «التمحو» يظهر كثيراً في التقارير الخاصة بتلك الحروب فإنه ذكره في حربه الثانية ليميزها عن الحرب الأولى. والواقع أن اسم «التمحو» كذلك قد اختفى تقريباً في المتون والإيضاحات الخاصة بالحرب الثانية التي شنها «رعسيس الثالث»، وفضل عليه اسم «المشوش»، ونجد في قوائم القتلى والأسرى التي تركها لنا كل من «مرنبتاح» و«رعسيس الثالث» ما يقوي هذا الرأي بصفة قاطعة، وكذلك في المناظر المفسرة بمتون تتبعها، وهي التي نشاهد فيها - الأسرى اللوبيين يخاطبون الفرعون - أن اسم «التمحو» لم يُذكر، بل كان يُذكر

فقط اسما «اللوبيين» و«المشوش».

وأهم من ذلك الحالات التي نجد فيها في الأزمان القديمة اسم «التحنو» قد استُعمل بدلاً منه في الدولة الحديثة اسم «التمحو» في متن قصة «سنوهيت» التي يرجع تاريخ كتابتها إلى الأسرة العشرين، أو الواحدة والعشرين، وكان في النسخة الأصلية التي يرجع عهدها إلى الدولة الوسطى يُذكر «تحنو». غير أننا لا نعلم تاريخ مثل هذه التغييرات، كما لا نعلم العهد الذي يمكن أن تكون قد حدثت فيه. وكل ما نفهمه هو أن كاتب الأسرة الواحدة والعشرين قد أراد أن يصحح لكاتب الدولة الوسطى - على حسب المعلومات التي لقنها في عهده.

موطن التمحو وهجرتهم

أرسل الفرعون «مرن رع» أحد ملوك الأسرة السادسة الرحالة «خوفوحر» أحد أمراء «الفنتين» كما ذكرنا من قبل لاستمالة أمير «يام» ومصالحته - وإقليم «يام» يقع في جهة شمال الشلال الثاني - وعندما وصل «خوفوحر» وجد أنه ذهب لبشن حرباً على أرض «التمحو».^(١١٢) والظاهر أنه من ضروب المستحيل توحيد أرض «التمحو» هذه بالإقليم الشمالي الذي يحمل هذا الاسم الذي سمعنا عنه فيما بعد، وأحسن نظرية وأجرؤها نقترحها هنا هي أن عبارة «أرض التمحو» كانت تُطلق على أي إقليم يغتصبه اللوبيون ذوو البشرة البيضاء، فمثلاً من الجائز أن الجنود الذين جندهم القائد «وني» من أرض «تمحو» في جيشه كانوا قد أتوا من الواحة الخارجة؛ لأنهم لم يذكروا في الجزء الأول من نفس الفقرة التي نتحدث عن الدلتا. ولكنهم ذكروا في الوقت نفسه مع قبائل نوية عدة، بيد أن مما يدعو إلى الحيرة والارتباك كثيراً الإشارة في ترجمة «خوفوحر» لنفسه^(١١٣) حيث يذكر لنا كيف أنه لما أُرسل للمرة الثالثة إلى بلاد «يام» شمالي «وادي حلفا» وجد أن رئيس هذه القبيلة قد سافر إلى بلاد «تمحو» ليضرب «تمح» حتى الركن الغربي من السماء.

والظاهر أن قيام رئيس قبيلة صغيرة من النوبيين بحملة إلى «الواحة الخارجة» يُعد

مشروعاً مستحيل المنال، هذا فضلاً عن أن «الواحة الخارجة» في اتجاه مخطئ مخالف لموطن «خوفوحر» وهو «إلفنتين» كما أنها بعيدة جداً من «يام». وعند وصوله إلى هناك وجد أن رئيسها قد ذهب لمحاربة اللوبيين الذين يُنتظر أن يكونوا على حسب ذلك في مكان أبعد في جهة الجنوب الغربي. وإذا سار الإنسان في هذا الاتجاه لا يصادف أماكن صالحة للسكنى حتى يصل إلى «دنقلة» كما أن واحة «سليمة» لا تكاد تكون في هذه المنزلة، وحتى «دنقلة» فإنه من غير المحتمل أن تكون أرض «التمحو» التي كان ينشدها «خوفوحر» أكثر من «الواحة الخارجة». والواقع أن هذه العبارة كما جاءت في نقوش «خوفوحر» لا يمكن تفسيرها. وأرض «التمحو» التي غزاها «سنوسرت الأول» كما جاء في قصة «سنوهيت» كانت تقع في الشمال الغربي من الدلتا. ومن الجائز إذن أنه في هذا الاتجاه الممتد حتى بلاد «طرابلس» يجب أن يكون موطن قوم «تمحو» الذين ذُكروا فيما بعد، ويُلاحظ أن عبارة قوم «تمحو» في عهد الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين كانت تستعمل على ما يظهر بمعنى مبهم تقليدي في حين أن التسمية الأكثر دقة هي «ليبو (اللوبيون)»، و«مشوش» كما ذكرنا من قبل.

وإذا كان هناك أي فرق بين هذه العبارة والتعبير الآخر التقليدي أي «التحنو» فإنه ينحصر في أن أرض «تحنو» كانت تقرب إلى مصر من أرض «التمحو».

اسم «التمحو»

ذكرنا أن بلاد «التمحو» تمتد على الحدود الغربية المصرية حتى «طرابلس» وكذلك في بلاد النوبة، غير أن «مولر» يعتقد أنهم كانوا يسكنون في غربي «مربوط». وعلى ذلك يرى أن «التمحو» الذين ذُكروا في قصة «سنوهيت» قد بقي اسمهم هنا حتى العهد الإغريقي في لفظة «درماح» ومنه اشتق الاسم اللوبي «دورماح-ثورناح» وفي المصرية القديمة «ترماح».^(١١٤)

والواقع أن هذا الاشتقاق في ظاهره مغرٍ وبخاصة عندما نعلم أن الكلمة اليونانية الأصلية «إترماخ» معناها «أزرق العينين» كما ذكر لنا «فروينوس»^(١١٥) غير أن هذا

الاشتقاق لا يتركز على قواعد علمية صحيحة كما ذكر لنا ذلك «هولشر»^(١١٦) ولا نعلم من جهة أخرى إذا كان حجر «تمحي» له علاقة باسم «تمحو» إذ لا يزال الموضوع معلقًا.^(١١٧)

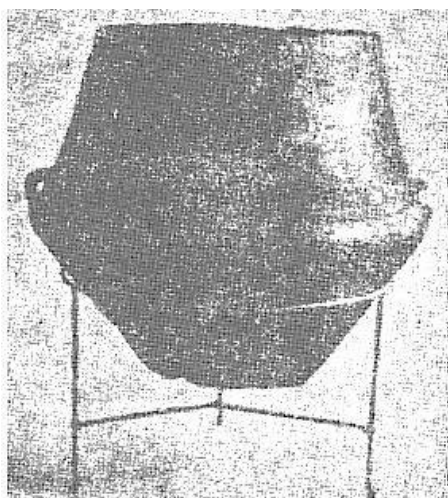
والواقع أنه لا يوجد للآن اشتقاق يُرتاح إليه، ومما تجدر ملاحظته أنه يوجد اشتقاقان قوميان قديمان لهذه الكلمة؛ وذلك لأن الكتابة المعتادة لهذا الاسم تتركب من ثلاثة حروف ساكنة «تمح» كما نشاهد ذلك في نقوش «خوفوحر» وفي قصة «سنوهيت»، ونجد من جهة أخرى في عهد الدولة الحديثة في حالات قليلة اختلافًا بسيطًا في الكلمة مع المحافظة على الأصل، فمثلاً نجد أن الكلمة تُكتب في مقابر الملوك في «متن الأجناس الأربعة» بلفظة «تمحو». وقد قال «بروكش» إن اللفظة الأخيرة مشتقة من «تامح» أي أرض الشمال، وعقب على ذلك بأنه اشتقاق غير صحيح، وقال إنه إما اشتقاق عامي، أو من الجائز أن يكون نوعًا من التورية. ويؤكد صحة هذا الزعم ما جاء في التورية بين كلمتي «تمح» و«تامح» في اسمي الأميرتين اللتين من أوائل عهد الأسرة الثامنة عشرة، وهما «أحمس» سيدة تمحو - أي بلاد النمحو. و«أحمس» سيدة تامح - أي أرض الشمال الدلتا - وقد تحدثنا عن ذلك الموضوع بالتفصيل في الجزء الرابع من هذا المؤلف (راجع مصر القديمة الجزء الرابع). وقد ناقش «بروكش» هذا الاسم، وما فيه من تورية في ترجمته لمتن الأجناس الأربعة التي كان يعتقد المصريون أن العالم يتألف منها وهي: «رمث» (المصريون)، و«العامو» (الآسيويون)، و«النحسيو» (السودان)، ثم «التمحو» وهم (سكان الغرب). (راجع ff A. Z, 29, p. 56).

جولان التمحو وخزفهم الذي عُثر عليه في بلاد النوبة

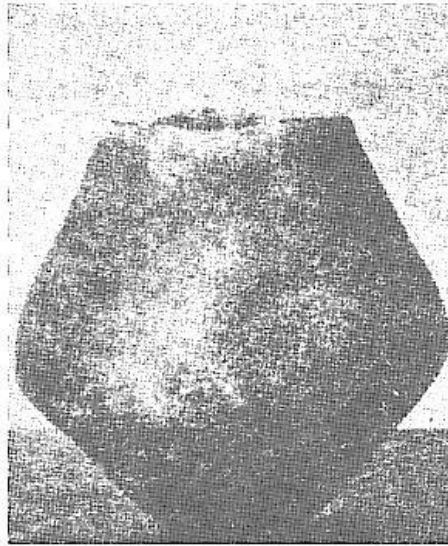
على ضوء الكشف الحديثة

في صيف سنة ١٩٢٣ وجد الرحالة «نيبولد» في رحلته داخل وادي «هوى» وما جاوره عددًا عظيمًا من قطع الفخار^(١١٨) تذكرنا بمجموعة فخار «س» التي كشف عنها الأستاذ «ريزنر» في بلاد النوبة.

ويقع وادي «هوى» هذا على مسافة أربعمئة كيلومتر في الجنوب الغربي من الشلال الثالث، وقد وُجدت قطع فخار أخرى ماثلة لها في رحلة ثانية قام بها بعض العلماء^(١١٩) سنة ١٩٣٢، وبعد ذلك بعام واحد قام الأثري «فوريينوس» برحلة أخرى، وتدل شواهد الأحوال على أن الكشف الأخيرة من هذا الفخار تشبه فخار مجموعة (س) التي كشف عنها كل من «ريزنر» و«فرت» و«استايندورف» و«يونكر»^(١٢٠) في بلدة «كرما» وغيرها من بلاد النوبة، وعلينا الآن أن نلقي نظرة على موضوع قوم «التمحو» فيما يخص الأماكن التي وصلوا إليها في جولاتهم وهو موضوع له مساس بوجود الجنس الأشقر الذي يسكن شمالي أفريقيا. وقد اتفقت معظم الآراء في أيامنا على أن هؤلاء القوم كانوا قد قاموا برحلة أو هجرة من الشمال إلى الجنوب، وهذه النظرية المقبولة في ظاهرها قد أدلى بها «فايد هرب»^(١٢١) و«بروكا». أما النظرية القائلة بأن أقوام البربر البيض الذين يقطنون شمالي أفريقيا يرجع أصلهم إلى قوم الفندال - وهي النظرية التي نجدها في الكتابات العامة التي لا تستند على أسانيد علمية صحيحة - فقد أصبحت نظرية كاذبة من أساسها، وبخاصة بعدما ظهر أنه وُجد في الصور المصرية أناس ذوو بشرة بيضاء.



شكل ٣: آنية من الفخار من «مدنجن» في شرق «هانوفر» بألمانيا.



شكل ٤: آنية من الفخار من المستجدة بالقرب من البداري.

والواقع أنه لا بد من القيام ببحث جدي يركز على مواد أثرية تظهر لنا الرابطة التي ربطت أوروبا بشمال أفريقيا ومصر، وقد عملت في هذا السبيل بعض ملاحظات تقرب فهم الموضوع بعض الشيء، مثال ذلك ما كتبه الأستاذ «شارف» عن أشكال الفخار الأوروبية التي وجد نظائرها في مصر مثل الإبريق الزنبقي الشكل والكنوس والآنية الأنبوبية الشكل التي وُجدت في «نقادة» و«تاسة» وقد كُشف في الثقافة الناسية في قرية «مستجدة» القريبة من «البداري» آنية من الفخار تشبه إلى حد بعيد آنية عُثر عليها في شرق «هانوفر» من عصر البرنز،^(١٢٢) وقد ظل الرأي السائد منذ عشرات السنين يميل إلى الاعتقاد بأن مباني شمال أفريقيا المنسوبة للعصر الميجاليني (الحجري) من أصل أوروبي وأنها تُنسب للجنس الأشقر الذي يسكن هذه البلاد. فهذه الحقائق مضافة إلى العثور على الإبريق الزنبقي الشكل تُعد القنطرة الموصلة إلى المادة الأثرية التي سنتحدث عنها باختصار هنا.^(١٢٣)

ففي مجموع الفخار المصري نجد أن الأواني المحززة قليلة جداً لا توجد حوزوها إلا نادراً في عصر ما قبل التاريخ على الأواني السوداء وهي المعروفة بفخار «بصري» الأسود

الخز واليه يُنسب الإبريق الزنقي الشكل، وأهم أشكاله على هيئة كأس مختلفة العمق. (١٢٤) وأهم مجموعة من الفخار المصري الخززة نراها للمرة الأولى في عهد الدولة الوسطى - وهو العصر الذهبي النوبي الذي يُطلق عليه مجموعة C، والشكل السائد في هذه المجموعة هو الكأس العميق وكذلك الصحن، وعلى الرغم من الفروق الزمنية الكبيرة. فمن الجائز أن نبحت الروابط بين هذا الفخار والفخار الأوروبي، وبخاصة العلاقة بين المجموعة C وفخار الشمال، وقد كتب الأثري «بيتز» فصلاً ممتعاً عن بعثة ثقافة مجموعة C في الصحراء الغربية، وقال: «إن وجود الفخار هناك يُعزى إلى قبيلة من أصل لوي هاجرت إلى هناك، ويرى أنها من قوم «التمحو»» (١٢٥) وقد كان سنده الأكبر في ذلك هو التشابه العظيم بين الجماجم التي وُجدت في مقابر مجموعة C والتي وُجدت في المقابر الميجالينية في شمال أفريقيا، وقد عضد هذا الرأي الأثري «هولشر» ببعض البراهين أهمها ما يأتي:

(أولاً) يمكن تحديد تاريخ المجموعة C من أواخر الأسرة السادسة حتى الأسرة الثامنة عشرة، وهذه الفترة تُعد العصر الذهبي الهام في تاريخ قوم «التمحو». وعندما نؤكد أن «التمحو» على ما يظهر قد سلكوا طريقهم من الجنوب الغربي للصحراء متجهين نحو الشمال فإن الكشف الجديدة تدعم ذلك؛ فعلى مسافة حوالي أربعمائة كيلومتر في الجنوب الغربي من الشلال الثالث يقع في الجهة الشمالية الشرقية منها المكان المسمى وادي «هوى» (١٢٦).

وهذه البقعة الواقعة في صحراء لوبيا الغربية كان قد زارها بعض الرواد مرات فيما بعد، ولكن في السنين الأخيرة قامت صوبها عدة بعوث كان للكشوف التي تمت فيها على يد هذه البعوث أهمية في الحكم على مجموعة C وسنتحدث هنا عنها:

ففي صيف سنة ١٩٢٣ وجد الرحالة «نيوبولد» في أثناء رحلته في مجاهل وادي «هوى» وما جاوره عددًا عظيمًا من قطع الخزف تذكرنا نقوشها وأشكالها بنقوش وأشكال مجموعة C، وقد عثر الميجر «باجنولد» في أثناء بعثته التي قام بها في ربيع سنة ١٩٣٢م

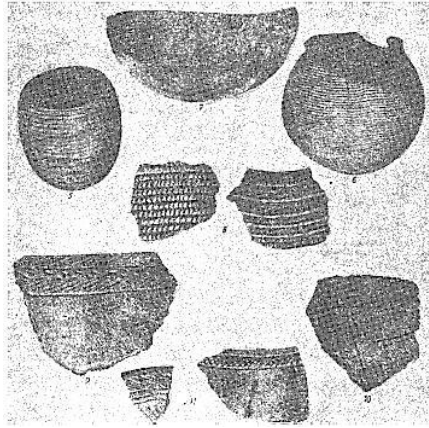
على قطع أخرى مماثلة للأولى،^(١٢٧) وبعد ذلك بسنة جاء كشف الأثري «ليوفروبينوس Leo Frobenius» والكشوف الأخيرة تشبه مجموعة C الخزفية بصورة مدهشة من حيث الشكل والنقش، وقبل أن نبحت هذه الكشوف لا بد أن نذكر كشفًا آخر ذكره «نيوبولد» إذ يصف لنا مبنى قد كشف عنه فيقول: إنه يشمل جدران حاميات من الأحجار المسطحة المنحوتة كانت قد اختبرت بدقة، وقد تخللها فراغ مُلئ «بالدبش» (الأحجار الصغيرة) وعلى الجانب الشمالي الشرقي يوجد جداران صغيران متجهان نحو السور من جهة الجدار الرئيسي.^(١٢٨)

وهذا الوصف لا يدع مجالاً للشك في أن هذا الطراز من المباني هو طراز القبر الخاص بشمال أفريقيا المعروف.^(١٢٩) وقد أُقيم هنا في المساكن الشمالية الشرقية لا في المساكن الجنوبية الشرقية كما هي العادة هناك.

والآن نعود إلى التحدث عن الخزف الذي عُثر عليه في هذه البقعة:

فقد عُثر «فروبينوس» على ثلاثة أوانٍ سليمة؛ وهي طبق كبير شكل رقم ٥ وقدر شكل رقم ٥ وآنية كرية الشكل ذات حافة غائرة شكل رقم ٥. أما القطع الصغيرة التي عُثر عليها هناك فلا يمكن الحكم منها بطبيعة الحال على حجم الآنية أو شكلها بصفة مؤكدة، فلدينا مثلاً قطعة من حافة إناء شكل رقم ٥، يمكن الحكم منها على أن طولها يبلغ حوالي نصف متر وأنها كانت بسيطة جداً في هيئتها وأن فتحتها كانت كبيرة، وهذه الأواني تنقسم مجموعتين لكل منها نقش خاص، فواحدة تشمل فخاراً صغيراً مائلاً للحمرة لطيف المنظر مطلياً بطبقة رقيقة من نفس اللون، وهذه المجموعة تمتاز بطراز من الزخرف يمثل في شكله جدل السلالات المختلفة الأنواع شكل رقم ٥، وقد يصادف أن يكون بين القطع المجموعة من هذه الجهات واحدة تفوق الأخرى في العدد بما فيها من قطع خشنة وهشة ذات لون أحمر مائل للسمر، أو رمادي أسود تكون الزخرفة السائدة عليها خطوطاً، وغالباً ما تكون الحافة مزخرفة أو بارزة بوجه خاص. وفي كلتا المجموعتين تكون «العينات» مطبوعة غائرة، ووجه الشبه بين الأواني التي نحن بصدددها الآن وبخاصة

المجموعة الثانية وبين حرف مجموعة C لا يمكن تجاهله وبخاصة القعب شكل رقم ٥؛ فإن الإنسان يمكنه أن يقرنه بما جاء في تقرير «ريزنر» لوحة (٦١ ب رقم ٥).^(١٣٠)



شكل ٥: أوانٍ، وقطع أوانٍ من وادي «هوى».

وعلى الرغم من التبادل في الشكل بين خزف وادي «هوى» وخزف مجموعة C وما يمكن الإنسان أن يستخلصه منه من نتائج فإنه لا يكون مفيداً وذا قيمة إلا إذا كان مقروناً بتاريخ ما كشف عنه من خزف في وادي «هوى». ولكن مما يؤسف له أن هذه الكشف لم توجد في طبقات معينة من سطح الأرض بل وُجدت كلها سطحية؛ ولذلك لا يمكن تأريخها على حسب الطبقات التي كانت توجد فيها، وبخاصة أن الآلات التي عثر عليها «فروينوس» مع هذا الفخار وهي المصنوعة من الحجر قد وُجدت أنها من أزمان مختلفة؛ إذ قد عُثر على خنجر من العهد الشلياني كما عُثر على بلطة من العهد النبوليتيكي وأخرى مما يوجد مثلها على شاطئ النيل منذ العصر النبوليتيكي حتى عهد الدولة الوسطى،^(١٣١) وقد وُجدت بلطة كذلك في عهد مجموعة C.^(١٣٢)

وعلى ذلك يمكن أن تكون القطع المستخرجة من وادي «هوى» من نفس عصر الخزف الذي وصفناه، غير أن ذلك ليس بالأمر المجزوم به، أما كون صناعة أواني وادي «هوى» أقل دقة وأخشن صنعا من صناعة مجموعة C فإن ذلك لا يؤثر شيئاً في تاريخها بل كل ما هناك يدل على أنها صناعة ريفية إذا ما قُرنَت بالأواني النوبية، وكذلك لا يؤثر

كونها مطبوعة بدلاً من أن تكون غائرة فإن ذلك لا يمكن الاستفادة منه في تحديد زمنها، فمثلاً في بلاد النوبة وجدنا في باكورة العصر التاريخي أواني خزف مطبوعاً عليها زخرفها. (١٣٣)

ونجد أن الخزف الأثيوبي والخزف الذي خلف مجموعة C قد أٌبدل فيه النموذج الغائر بالنموذج المطبوع. (١٣٤)

وإذا عجزنا عن معرفة زمن كشف وادي «هوى» فلا يكون ذلك عقبة في طريقنا وإن سبقت في التكبير مجموعة C؛ لأن مكان الكشف يحمل في طياته الشيء الكثير، ومن الأهمية بحيث يمكننا أن نتزع منه نتيجة عن موطن فخار مجموعة C؛ وذلك لأننا إذا أخذنا بالرأي القائل إن الطريق التي سلكها جالبو هذا الفخار المتقدم في الصناعة كانت من الشرق إلى الغرب في الصحراء؛ كان ذلك من الأمور المستحيلة تقريباً، هذا فضلاً عن أننا في هذه الحالة نقف أمام سؤال هام تجب الإجابة عنه، وهو ما مصير هؤلاء الذين قاموا بهذه الهجرة؟ وبخاصة أننا لا نجد لهم أي أثر! ... وعلى ذلك فالواقع إذن أن هجرة الأقوام الأفريقية العامة في مئة ألف السنة هذه كانت تسير من الغرب نحو الشرق.

ولا تزال معلوماتنا عن تحديد جنس قوم مجموعة C غير واضحة، ويرى الأستاذ «ستيندورف» أن هذا الموضوع لم يُفصل فيه بصورة قاطعة بعد، ولذلك يقول لنا ما معناه: ونحن نقف هنا أمام سؤال لم تصل فيه البحوث إلى حلٍ مُرضٍ فيجب علينا أن نقنع بأننا نبحث في أصل قوم يخيم على سرهم الأصلي ضباب لا يمكن اختراق حجبه، كما أن تاريخه لم يُكتب بعد. (١٣٥) أما الأثري «فرث» فإنه يميل إلى فرض احتمالات مختلفة في تفسير هذا التاريخ (١٣٦) وأما الأستاذ «يونكر» فيقول: إن قوم مجموعة C قد قفوا في هجرتهم من الجنوب الشرقي مجرى النيل الأزرق ونهر الأتبرة طريقاً طبيعية إلى وادي النيل النوبي، أي إنهم هاجروا من بلاد الحبشة الحالية، وهذا ما يخيل لي أنه الطريقة التي انتشر بها قوم مجموعة C الذين وُجدت جباناتهم الجنوبية في «فرس» أي شمال الشلال الثاني. وهذا القول يعضد الرأي الذي يرجحه الأستاذ «ستيندورف» إذ يقول إن

قوم مجموعة C قد أتوا من الجنوب الغربي من «كردفان» واستوطنوا أولاً جهة الشلال الثاني للنيل.^(١٣٧) فليس من المدهش أن نجد صناعة الخزف في كل مكان في «النوبة» وفي «كردفان» ولا يمكن فصلها عن صناعة مجموعة C؛ ولذلك فليس لدينا أي شك في أن هذه الصناعة تعد خلفاً للصناعة القديمة.^(١٣٨) على أن جهود الباحثين عن موطن صناعة مجموعة C في هذه الأصقاع، أو في أقصى الجنوب تقف في وجهها مشاهدات علم الأجناس، إذ - على حسبها - أصبح من المعلوم أن العنصر النوبي في قوم مجموعة C قليل نسبياً، وعلى ذلك لم يستطع هذا العلم أن يلعب دوراً معلوماً. والواقع أن كل أصقاع شمال السودان كانت ممراً حيث نجد أن هجرة أصحاب الخزف الغائر قد تركت فيها بقايا منه، ويعضد ذلك ما جمعه «نيوبولد» من خرافات قبائل السودان وتقاليدهم الخاصة بنزوحهم من الشمال،^(١٣٩) ففي مثل هذه الأساطير التي انتشرت حتى غربي بحيرة «تشاد» نجد هنا وهناك أفراداً شقر الشعر، حمر العيون، وهؤلاء يمكن أن ينعكس في وجودهم ما قام به في الأزمان الغابرة الجنس الأبيض من هجرة عظيمة. ولا يوجد شك في الرابطة التي بين أصحاب الشعور الشقراء وهذه التقاليد، ومن هذا يمكن تفسير وجود الجنس الأبيض في أفريقيا. وكما يقول «نيوبولد» إن هذه الحقيقة في نظره بعيدة عن الشك.

وأخيراً يجب أن نضيف إلى بحث هذين النوعين من الخزف الملاحظات التالية أيضاً: مما لا شك فيه أنه لا توجد أوانٍ سابقة مباشرة لأواني فخار مجموعة C في بلاد النوبة، بل قد ظهرت فجأة كأنها نبتت من الأرض. فلا بد أن نقبل الرأي القائل بضرورة وقوع غزوة أجنبية، غير أننا وجدنا في منطقة مجاورة أواني مماثلة ربما كانت معاصرة لها ولا يوجد شيء بجوارها كما شاهدنا في الحالة الأولى، ويحتمل أنها قد لا تكون في موطنها الأصلي، بل هي في الواقع في محط في طريق المهاجرين، أو الجالسين للفخار النوبي. ونعتقد أننا لسنا على خطأ إذا قلنا إن الآثار التي عُثر عليها في «وادي هوى» هي برهان على فكرتنا في أن هذا كان في طريق هجرة «التمحو». وقد نذهب بعيداً إذا تساءلنا عن آخر ما وصل إليه هذا الخزف؟ وهذا يتطلب بحثاً أثرية خاصة، ومع ذلك فإن النتيجة

التي نستخلصها من مثل هذا البحث كما يظهر لنا هي: لا بد أن تكون الصلة المسلم بها بين «التمحو» - وهم سكان شمال أفريقيا الشقر - وبين هذه الأواني الفخارية ثابتة لا غبار عليها؛ لأنه بعد استطاعتنا الموازنة التي بها عرفنا أن الفخار المصري كانت الزخرفة الغائرة فيه أجنبية كما أوضحنا ذلك فإن ذلك يبدو بنا بطبيعة الحال إلى الموطن المحتمل للقوم الذين نحن بصددهم؛ ونعتقد أن يكون إما «أوروبا» أو إقليم البحر الأبيض المتوسط؛ وذلك لأن الفخار المصري فوق أنه يمتاز بزخرفة خاصة وهي التلوين بوضع طبقة من الدهان كان يفضل من جهة أخرى فخار البحر الأبيض المتوسط، وكذلك غربي وشمالى أوروبا في عهد ما قبل التاريخ؛ بسبب الزخرفة المحززة.

والواقع أن هناك صلة مدهشة من حيث الشكل والزينة بين هذا النوع من الزخرفة وبين الزخرفة الأفريقية لا يمكن أن تكون وليدة الصدفة أو توافق الأفكار. ولا شك في أنه توجد هنا روابط عظيمة قديمة لها أهميتها وضرورتها البالغتان؛ لأنها تجعلنا نطل على دور لعبه هؤلاء القوم لا بظهوره في حالات خاصة في الثقافة المصرية وحسب، بل كذلك في إقامة بنيانها.

وعلى الرغم من القليل الذي نعرفه اليوم في هذا الموضوع فإن المكانة الهامة الخاصة التي يشغلها قوم «اللوبيين» في أعماق التاريخ المصري لها قيمتها التامة.

حقاً توجد أشياء عدة ليست مصرية في مظهرها في العصر التاريخي تماماً، بل يجب أن تعبر كذلك عن الثقافة المصرية تعبيراً صريحاً، ومع ذلك فإنها تُنسب إلى أصل لوبي. ولكن يعوقنا عن التعرف عليها والوصول إلى كنهها قلة المادة التي لدينا عن «لوبييا» في عصر ما قبل التاريخ، ويُلاحظ ذلك بصفة بارزة في الديانة حيث نجد أن العلاقة في الأزمان الموعلة في القدم بعيدة الوصول إليها، فلدينا علاقات مختلفة خاصة بالآلهة المصرية، والآلهة اللوبية مثل الإلهة «نايت» والإله «ست» وعلى وجه خاص الإله «آمون» في مظاهره الدينية المختلفة، وكل هؤلاء الآلهة كانوا يُعبدون في «لوبييا» وفي الصحراء بداهة، ولكن لا بد من إيضاحات أخرى عن عبادتهم في هذه الأصقاع أكثر مما

نعلمه حتى الآن لنفهم الصلات الأساسية التي تربط هذه الآلهة ببلاد «لوبييا».

(٣-٣) هجرة أقوام البحر الأبيض المتوسط وهجومهم على وادي النيل

ذكرنا في الجزء السادس من «مصر القديمة» أن أقوامًا من البحر الأبيض المتوسط ظهروا في مصر، وبخاصة قوم «شردانا» وقلنا إن ظهورهم لا بد أن يكون قبل عهد «رعمسيس الثاني» ويحتمل أن يرجع عهد هؤلاء القوم بالذات إلى أوائل الدولة الحديثة، وقد فصلنا القول بعض الشيء في تاريخهم، وأنهم لم يأتوا إلى مصر في أول الأمر إلا لغزوها. ولا نزاع في أن أقوام البحر الآخرين كانوا على اتصال بمصر منذ أزمان سحيقة في القدم، وتدل شواهد الأحوال على أنه منذ أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد قد وفدت من «أوروبا» والبحر الأبيض المتوسط أقوام من الغرب إلى الشرق.

وكانت أول موجة وصلت إليه في أواخر الدولة القديمة، وكانت قد بُدِرت في هذه الفترة أولى بذور العداء بين المصريين واللوبيين، ولم تُعد بعد الحملة التي قام بها «سحورع» على قوم «التحنو» ضمن هذا العداء؛ لأن هذه الحملة لم يقم بها «التحنو» بدون شك، بل كان غرض «سحورع» منها توسيع نفوذ مصر، ومد حدودها من جهة الغرب. وعلى الرغم من أن المصادر المصرية - حتى عهد الدولة الوسطى وعهد الانحطاط الذي تلاه - ليست واضحة، وعلى الرغم من أن المسابقة بين الأقوام الوافدين من الغرب كانت غاية في الأهمية، فمن المسلم به أن الحدود المصرية قد هددت؛ فقد كانت هناك هجمة لوبية محسنة في العهد الإقطاعي الأول - وإن كانت المصادر قد سكنت عنها، وقد كان زحفهم حتى بداية الدولة الحديثة لا ضرر فيه نسبيًا، ولم يكن صده يحتاج إلى مجهود كبير، وقد بدأت الهجرة بصورة جدية مستمرة من الشمال الغربي في عهد الدولة الحديثة فرحفت أقوام كثيرة على وادي النيل، وواجهت مصر في عهد الأسرتين التاسعة عشرة، والعشرين أخطر الصعاب في صد هجومهم. وقد كان هجوم اللوبيين في هذا الوقت يسير جنبًا إلى جنب مع الهجرة العظيمة التي كانت قائمة في ذلك الوقت في أصقاع شرق البحر الأبيض المتوسط، وهي التي كان يطلق عليها «هجرة أقوام البحر الأبيض المتوسط»، وقد جاءت

في نهاية عهد الثقافة «المنوانية» في «كريت». وفي «بلاد اليونان» كان قد بدأ الزحف الإغريقي الخاص في العهد الذي يطلق عليه «الهجرة الدورية».

والواقع أن البقاع التي حول البحر الأبيض المتوسط في ذلك الوقت كانت في حركة هائلة. ومن المحتمل أن يسلم الإنسان بأن الهجرة «الإليرية» التي كانت متجهة نحو احتلال الأراضي الواقعة حول البحر الإيجي، وهي «البلقان» و«تراقيا» و«آسيا الصغرى»، وكذلك سيل الهجرة الذي كان يتدفق عن طريق بوغاز «جبل طارق» وانتشر في شمال «أفريقيا» - يرجع كله إلى نفس الأصل أي إنه كان هجرة لقوم جدد وفدوا من قلب «أوروبا». (١٤٠)

ومن المدهش أن هؤلاء الأقوام الذين يدعون «بأقوام البحر» في المتون المصرية التي يرجع عهدها إلى الدولة الحديثة لم يتسن لنا أن ندرس أسماءهم إلا عن طريق قرْنهم بما جاء في متون «العصر الكلاسيكي»، أي بعد كتابة النقوش المصرية بنحو ألف سنة تقريباً. وهذه الموازنة كانت مفيدة بطبيعة الحال لأنها توحى - عندما نقابلها في الوثائق المصرية - بأسماء بعض القبائل الآتية من شمال البحر الأبيض المتوسط، ومن «آسيا الصغرى» - وكانوا يهاجرون إلى المواطن التي سينالون شهرة فيها، مثال ذلك قوم «شردانا» وقوم «شكلس» وقوم «بلست» (فلسطين) وقوم «أقابواش» وقوم «مشوش» وهجرتهم جعلت تحديد موطنهم على وجه التحقيق في آسيا الصغرى مستحيلاً، لأنه عند حلول العهد الكلاسيكي كان كثير من أسماء هؤلاء الأقوام قد ازدوج. فنجد واحداً في الشمال الغربي، وآخر في الجنوب، أو في الجنوب الشرقي. فمثلاً نجد «الكليكيين» في «الطرواد» وكذلك نجدهم في «كليكييا» كما نجد «بداسوس» في «الطرواد» و«بداسا» في «كاريا»، وكذلك نجد مملكة «ليسيا» على الساحل الجنوبي والبلاد التي حول نهر Aesepus في «طروادة» وكانت تسمى «ليسيا». وقد أصبح من المستحيل الآن أن نحدد من هذه الأسماء المكان الذي بدأ منه قراصنة البحر، أو أقوام البحار عندما نجدهم يقتحمون «سوريا» و«مصر».

غير أنه في السنوات الأخيرة كان حل رموز اللغة «الختية» شأن كبير في الكشف عن عدد كبير من أسماء أقوام البحر. ولا شك في أن الحقائق التي سنحصل عليها من اللوحات «الختية» عند درسها تمامًا ستكون مرضية أكثر من التي وصلنا إليها من المتون الكلاسيكية؛ وذلك لأن الوثائق «الختية» معاصرة للوثائق المصرية. وكثيرًا ما نعرف منها الأقوام المجاورين لهذه الممالك التي نحن بصدددها، وهذه المعلومات ستساعدنا يومًا على تحديد هذه البلاد زمن حروبهم مع مصر. وصعوبة الموضوع الآن تنحصر في أن درس جغرافية «آسيا» في طفولتها لا يزال غاية في الارتباك، فمثلاً نجد أن «إخخياوا Ahhiyawa» قد حدد موقعها كل من الأستاذين «ماير» و«جاستانج» في «كليكا»^(١٤١). وقد رأى رأيهم الأستاذ «سومر» كذلك،^(١٢٤) في حين أن «فورر» قد وضعها في بلاد اليونان.^(١٤٣)

أما «جوتز» فوضعها في «طروادة» مع إبداء الشك. وقال عنها «هورزني»: إنها «رودس»^(١٤٤). وقد كان اقتراح «فور» الأول أن يضعها في «مفيليا» كما فعل «إدوردمير»، غير أن ذلك لم يقبل، ١٤٥ وهكذا نرى بلبلة في تحديد هذه الأماكن. وسنتأكد من مواقع هذه الأقاليم على مر الزمن كما حُدد موقع «قرواتا» أخيرًا، فقد كانت في وقت من الأوقات تُوضع على ساحل البحر الأسود، وقد حُدد موضعها الآن على وجه التأكيد بأنها «كاتاؤنيا» في الجبال الواقعة في الشمال الشرقي من «كليكا» كما ذكرنا ذلك من قبل (راجع الجزء السادس)، وقد ذكرنا كذلك في الجزء السادس عند التحدث في موقعة «قادش» عن أسماء الأقوام الذين حاربوا «رعمسيس الثاني» مع ملك «ختيا» ووازنا أسماءهم - كما ذُكرت في النقوش المصرية - بنظائرها في النقوش الختية. وتدل الموازنة على أن كل الأسماء المصرية التي وُجدت لها نظائر في الوثائق الختية هي أسماء حلفاء «ختيا» على «رعمسيس الثاني» في موقعة «قادش» وعلى أية حال نجد أن «لوكي» أو «لوكا» (ليسيا) قد ذُكرت قبل ذلك بمائة عام في خطابات «تل العمارنة»، كما أنها ذُكرت بعد «قادش» بخمسين سنة في عهد «مرنتاح» أما القبائل الأخرى التي لم تظهر أسماءها في موقعة «قادش» فهي «أقايواشا» (أخخياوا) وقد هاجمت «مرنتاح» ثم

«تورشا»، وقد هاجمت هذا الفرعون ومن بعده «رعمسيس الثالث» كما سنرى بعد.



شكل ٦: فلسطيني.

وفضلاً عن ذلك فإنه مما يدعو إلى الدهشة أن نجد بعض القبائل البارزة جداً في الوثائق المصرية لم تذكر على ما يظهر في المتون الخيتية، ونخص بالذكر منها «شردانا» و«بلست» (فلسطين). وقبائل «شردانا» - كما نعلم - كان لها أهمية تفوق أية قبيلة أخرى، وكان يحارب منهم عدد عظيم في صف مصر، أو عليها في فترة من الزمن تبلغ حوالي مائتي سنة. أما قبائل «بلست» وهم الفلسطينيون الذين ذُكروا في التوراة فلم يأتوا إلا متأخرين؛ إذ لم يظهر اسمهم إلا في عهد «رعمسيس الثالث». وقد كان لهم أهمية عظيمة في ذلك الوقت. ^(١٤٦) أما القبائل الأخرى الباقية التي لم يأت ذكرها في النقوش الخيتية فلم تكن من الأهمية بمكان، وهي «الشكلش»، ^(١٤٧) و«المشوش»، وأخيراً قبيلة «تكر» أو «ثكل» ^(١٤٨) (زكاروا) ثم قبيلة «وشش» وقد ظهرت قبيلتنا «الشكلش»

و«مشوش» بوصفهما محاربتين «مرنبتاح» و«رعمسيس الثالث» في حين أن «نكر» (زكاروا) و«وشش» قد ظهرتا بعد في الحروب التي شنها أقوام البحار على «رعمسيس الثالث».

ومما سبق يمكن تقسيم أقوام البحار الذين ذُكروا على الآثار المصرية قسمين؛ الأول يشمل الأقوام الذين كانوا معروفين عند دولة «خيتا»، والثاني هم الأقوام الذين لم يُذكروا في النقوش الخيتية، وقد ذكرنا هؤلاء الأقوام الذين كان «خيتا» بهم صلة، وكان معظمهم بطبيعة الحال حلفاءها في موقعة «قادش» (راجع مصر القديمة ج ٦). أما أولئك الأقوام الذين أتوا من وراء أفقهم أقوام «دنى» أو «دنونا»^(١٤٩) «وشردانا» «دردنى» و«إروننى» و«شكلىش»، و«مشوش» و«بليست» و«نكل» (زكاروا) و«وشش». وإذا استثنينا قومي «نكل» و«وشش» وجدنا أن كل هؤلاء قد ظهرتوا قبل «عهد رعمسيس الثالث» أي قبل الوقت الذي استولى فيه على «بوغازكوى» عاصمة «خيتا»، وانتهت بعدها وثائق الدولة الخيتية، وعلى ذلك ينبغي أن يكون اسمها في الوثائق الخيتية إذا كانت دولة «خيتا» لها معاملة معهم. ولكن لما لم نجد هـما مذكورين فمن حقنا أن نقرر هنا أنهما لم يكن لهما مع خيتا أي اتصالات سياسية، ومن جهة أخرى نرى بعض هذه القبائل قد حذف اسمه لأنه لم يكن له أية أهمية تُذكر. ومن الجائز أن هذا ينطبق على الفلسطينيين؛ لأنه لم يصبح لهم شأن يذكر حتى عهد «رعمسيس الثالث» أي عند سقوط «بوغازكوى». وقد كان عدد الفلسطينيين على الشاطئ الشرقى للبحر الأبيض المتوسط لا يُذكر كما يدل على ذلك صورة الحامية عند «قادش» غير أن هذا القول لا ينطبق على «شردانا»؛ لأن قومهم كانوا قد برزوا على مسرح التاريخ منذ ما يقرب من مائتي سنة.

وتنقسم أقوام البحر قسمين؛ الأول هم الذين ذكرهم المصريون و«الخيتا» على السواء، والثاني هم الذين لم يُذكروا، وهذا يكشف عن حقيقة هامة ذلك أننا إذا تركنا جانباً قوم «لوكى» أو «لوكا»، وحلفاء «خيتا» في موقعة «قادش» وجدنا أن القومين اللذين جاء ذكرهما مشتركاً في المتون المصرية والخيتية هما: «أفاياش» و«تورش». ومما

يستحق الذكر هنا أنهما حاربا «مرنبتاح». ومن المعترف به الآن لدى علماء الآثار أن «أقايواش» هم قوم «الأخين Achaens» إحدى ولايات بلاد اليونان (أخيا) وهي «أخخيوا Ahhiyawa»، ومن المحتمل أن قوم «تورش» - في المتون المصرية - هم «تارشا» في المتون «الختية». ويوجد تفسير آخر عن موقع هذه القبيلة وهو مقبول في ظاهره، وهو الذي يجعل «تورش» و«أقايواش» متقاربين في المكان. وذلك إذا قبلنا توحيد «تورش» المصرية بقبيلة «تارشا» الختية، وقد ذكرت مع «آدانيا» على حدود «قزوادنا». وعلى ذلك تكون بلا شك هي «ترسوس» الواقعة في «كليكي»^(١٥٠) وإذا كان هذا الزعم صحيحًا أصبح من الحقائق الهامة أن عددًا من العلماء يريدون أن يضعوا «آخياوا» في «كليكي» كما ذكرنا آنفًا، وأن أهالي «كليكي» كانوا يُسمون قديمًا «هياخين»^(١٥١) وعلى ذلك يصبح من الممكن أن تكون «تورش» في المتون المصرية تمثل أهالي «ترسوس» لا أهالي «طروادة». على أن كل ذلك من باب الاستنباط وحده. والواقع أننا لا زلنا بعيدين عن الوصول إلى الحقيقة، وقد ذكرنا كل الاحتمالات في مواقع هذه الأقاليم عند الكلام على موقعة «قادش»^(١٥٢) ولقد كانت هذه القبائل في الوقت الذي ظهرت فيه الوثائق الختية والمصرية تسكن حول جبال «تورس» وخلفها - وبخاصة على الشاطئ الجنوبي «لآسيا الصغرى». ولا نزاع في أنهم قد بدءوا زحفهم من هناك على «سوريا» ومصر، غير أننا لا نعلم إذا كانوا قد اتخذوا دائمًا موطنهم هناك، أو أنهم قد أتوا من مكان آخر، وإذا كان الأمر كذلك فمن أين؟ ومن المحتمل أن بعضهم أتى في زمن مبكر عن هذا من أقصى الشمال الغربي للقارة.

والإنسان بعد هذا الاستعراض يجد أنه لا يزال أمامنا كثير لتحقيق مواقع هذه الأماكن، والدور الذي لعبته كل قبيلة أو إقليم في غزوهم لمصر في عهد كل من «مرنبتاح» و«رعمسيس الثالث».

ونعود الآن بعد هذا البحث الطويل في شرح الأقوام الذين كانت تتألف منهم بلاد «لوبي» وكذلك الأقوام الذين حاربوا ملك مصر في عهد الأسرة التاسعة عشرة - وبخاصة أقوام البحر في عهد الفرعونين «مرنبتاح» و«رعمسيس» إلى بحث المصادر التي

تركها لنا «مرنبتاح» عن حروبه مع «لوبييا» وأقوام البحر الأبيض المتوسط كما تسميها المصادر المصرية، ثم استخلاص ما يمكن استخلاصه منها. وسنبداً أولاً - كما هي عادتنا - بوضع هذه المصادر أمام القارئ، ثم التعليق عليها.

(٤) حروب «مرنبتاح» مع «لوبييا»

تتخصر المصادر التي نستند عليها في فهم حروب الفرعون «مرنبتاح» مع «لوبييا» في أربعة مصادر أصلية. وهي:

(١) نقوش «الكرنك» الكبيرة.

(٢) عمود القاهرة.

(٣) لوحة «أتريب».

(٤) أنشودة النصر.

(١-٤) نقوش «الكرنك» الكبيرة

يُعد هذا المتن من أطول الوثائق المحفوظة على جدران المعابد المصرية، ويقدم لنا - على ما به من تمشيم - أتم وصف باقٍ عن انتصار «مرنبتاح» على «لوبييا» وقد كانت هذه الوثيقة في الأصل تشمل ثمانين سطراً نُقشت على داخل الجدار الشرقي من جهة الغرب الذي يربط «معبد الكرنك» الأصلي بالبوابة السابعة. ولكن مما يؤسف له أن نهايات الأسطر العليا من هذا المتن قد فقدت بما يقدر بنحو خمس كلمات في آخر كل سطر. وقد كان أول من نشر هذا المتن بأكمله «دميخن»،^(١٥٣) وقد نشره فيما بعد «مريت»^(١٥٤) ثم «دي روجيه».^(١٥٥) غير أنه لا توجد واحدة من هذه النسخ صحيحة تماماً؛ إلى أن جاء «برستد» فنقل هذا المتن بإتقان إلى حد ما؛ ووضع ترجمة له، وقد عثر «لوران» على بعض القطع الضائعة،^(١٥٦) وكذلك نقله «مولر»،^(١٥٧) وهي أحسن نسخة نُقلت حتى الآن. وهالك الترجمة حرفياً مع بعض تعديلات بسيطة في ترجمة «برستد».^(١٥٨)

العنوان

(بداية النصر الذي أحرزه جلالته في «لوبييا») ... «أقاياوش» «تورشاش»، «لوكا»،
(«ليسيا») «شردانا»، «شكلكش»، الشماليون الزاحفون من كل البلدان.

شجاعة «مرنبتاح»

(٢) ... شجاعته في قوة والده «آمون» ملك الوجه القبلي، والوجه البحري
«برع مري آمون» بن «رع» «مرنبتاح حتب-حرماعت» معطي الحياة، تأمل هذا الإله
الطيب النضر ... (٣) ... (والده) كل الآلهة دروعه، وكل مملكة في خوف عند النظر
إليه، الملك «مرنبتاح» (٤) أقفرت، وصيرت خرابًا، وآمرًا أن كل من يغزو حدًا من
حدود مصر يمني نفسه في زمنه ... (٥) ... وكل خططه، وحكمه نفس الحياة، وقد
جعل كل الناس خالين من الهموم في حين أن الرعب من قوته كان في... (٦).

الاستعداد للدفاع

... ليحامي «هيلوبوليس» بلدة «آتوم»، وليحامي «انب اني» بلدة «بتاح تاتن»
ولينجي ... من الشر ... (٧) ... لأنهم (ضربوا) الحيام أمام «بوسطة» (بربرست)
وجعل مسكنهم في بقعة «آتي». (١٥٩)

اعتداء اللوبيين

... (٨) ... لم يعتن بها، وقد تُركت لتكون مرعى للمشاة بسبب أقوام
«الأقواس التسعة»، وقد تُركت خرابًا منذ زمن الأجداد، وكل ملوك «الوجه القبلي»
يسكنون في أهرامهم (٩) ... وملوك «الوجه البحري» ظلوا في وسط مدّهم محصورين في
القصر الحكومي لقلة الجنود، ولم يكن لديهم رماة ليحيبوا عنهم.

تولي «مرنبتاح» عرش الملك واستعداداته

وقد حدث ... (١٠) استولى على عرش «حور»، وقد نُصب ليحفظ بني

الإنسان أحياء، وقد رُفع ملكًا ليحمي عامة الشعب، وقد كان لديه القوة ليفعل ذلك بسبب ... في (١١) ... «مابارا» (اسم بلدة أجنبية) ونخبة رماته قد صُفوا، وفرسانه قد أُحضروا من كل جانب، وكان طليعة جنوده في ... في (١٢) ... ولم يحفل بمئات الألوف في يوم النزال، وقد تقدم مشاته، ووصل الجنود المجهزون بالأسلحة الثقيلة في مظهر جميل قائدان الرماة على كل أرض.

خبر تحالف اللوبيين «وأقوام البحار» على مصر

... (١٣) ... الفصل الثالث قائلين:

إن رئيس «لوبييا» الخاسئ «مريي» بن «دِد» قد انقض على إقليم «تخنو» برماته (١٤) ... «شردانا» و«شكلس» و«أقاياش» و«لوكا» و«تورش» آخذًا كل محارب حسن، وكل رجل قتال في بلاده. وقد أحضر زوجه وأولاده، (١٥) ... قواد المعسكر، وقد وصل إلى الحدود الغربية في حقول «بر-إر Pirire».

خطاب «مرنبتاح»

تأمل، لقد كان جلالته نائراً كالأسد على تقريرهم، (١٦) وجمع رجال بلاطه، وقال لهم: اسمعوا أمر سيدكم. إني أعطي ... كما ستفعلون. قائلًا: إني أنا الحاكم الذي يرفعكم، وإني أصرف وقتي في البحث عن (١٧) ... أنتم كالواحد الذي يحفظ أولاده أحياء، في حين أنكم تنزعجون كالطيور، وأنتم لا تعلمون فضل ما يفعله. هل من أحد عجيب في (١٨) ... هل ستخرب البلاد وتهجر عند غزو كل بلد في حين أن أقوام الأقواس التسعة ينهون تخومها، والثوار يغزونها كل يوم؟ كل ... يأخذ (١٩) ... لينهب هذه الحصون، ولقد نفذوا إلى حقول مصر مرات حتى النهر العظيم، ولقد نزلوا وأمضوا أيامًا كاملة وشهورًا قاطنين (٢٠) ... ولقد وصلوا إلى تلال الواحة واستولوا على صقع «تا-إحه» أي «واحة الفرافرة»، وقد كانت منذ عهد ملوك «الوجه البحري» في سجلات الأزمان الأخرى، ولم تكن معروفة (٢١) ... كالديدان لا يهتمون بأجسامهم، بل كانوا

يجون الموت ويحتقرون الحياة، وقلوبهم متعالية على أهل مصر^(٢٢) ... رؤساؤهم، وقد صرفوا أقواتهم يجوسون خلال الديار محارين لإشباع بطونهم يوميًا، وقد أتوا إلى أرض مصر لبيحثوا عن طعام لبطونهم، وقد كان غرضهم^(٢٣) ... أن أحضرهم كالسمك الذي وقع في الشبك على بطونهم، ورئيسهم كالكلب، فهو رجل تفاخر، خلو من الشجاعة، فهو لم يمكث^(٢٤) ... وقد أفنيت «بد-تي-شو» (الأسبوين) الذين جعلتهم يحملون حبوبًا في السفن للإبقاء على حياة بلاد «ختا» (يشير هنا إلى أن «ختا» كانت ضمن الحلف الذي كان يحاربه) تأمل، إني من الآلهة - كل نفس^(٢٥) ... تحيى الملك «مرنبتاح» معطي الحياة، وبحياة حضرتي، وبأل - كما أفلح بوصفي «حاكم الأرضين»، فإن الأرض ستصير^(٢٦) ... مصر. وقد أوحى^(٢٦٠) «آمون» بالموافقة عندما تكلم الواحد (الملك) في طيبة، وقد ولى كشحه عن «مشوش» ولم يلتفت إلى أرض «تمحو» عند ما يكون^(٢٧) ...

بداية الحملة: ... (والظاهر هنا أن خطاب الفرعون قد انتهى في الجزء الضائع من المتن وبدأ بعد ذلك سير الجنود): ويقود الرماة في المقدمة هناك ليهزموا أرض «لوبياء». وعندما انقضوا كانت يد الله معهم، وحتى «آمون» كان معهم درعًا لهم، وقد أمرت أرض مصر قائلاً^(٢٨) ... مستعد للسير مدة أربعة عشر يومًا.

حلم «مرنبتاح»

وبعد ذلك رأى جلالته فيما يرى النائم كأن تمثال «بتاح» واقف أمام الفرعون له الحياة والفلاح والصحة، وكان مثل ارتفاع^(٢٩) ... فتكلم إليه: خذه أنت عندما مد إليه يده بالسيف، وأقص عنك أنت القلب الخائف، فتكلم إليه الفرعون له الحياة والفلاح والصحة: تأمل^(٣٠) ...

اقترب الجيشين

المشاة والفرسان قد عسكروا بعدد عظيم أمامهم على الشاطئ أمام صقع «برار»،

تأمل إن رئيس «لوبييا» الخاسئ ... في مساء اليوم الثاني من الشهر الثالث من الفصل الثالث (أي الشهر الحادي عشر) عندما سمح الضوء بالتقدم نحوهم. وقد حضر رئيس «لوبييا» الخاسئ المهزوم في تاريخ اليوم الثالث من الشهر الثالث من الفصل الثالث. وقد أحضر (٣٢) ... حتى وصلوا. وقد انقض مشاة جلالته وحيالته سويًا وكان «آمون رع» معهم، والإله «ست» صاحب «أمبوس» يقدم لهم يد (المساعدة).

الواقعة

وكل رجل (٣٣) ... ودمهم ولم يوجد فارًّا من بينهم، تأمل فإن رماة جلالته قد أمضوا ست ساعات يخربون بيوتهم وقد أسلموا للسيف على (٣٤) ... للبلاد. تأمل: وعندما كانوا يقاتلون ... وقد وقف خاسئ «لوبييا» وقلبه خائف وانسحب ثانية ووقف ثم ركع (٣٥) ... نعلاه وقوسه وكنانته بسرعة خلفه وكل شيء كان معه ... وساقاه، وجرى رعب عظيم في أعضائه (٣٦)، تأمل فإنهم ذبحوا ... ممتلكاته، وعدته، وفضته، وذهبه، وأوانيه من البرنز، وأثاث زوجه، وعرشه وأقواسه وسهامه، وكل ممتلكاته التي أحضرها من بلاده (٣٧) مشتملة على ثيران، وماعز، وحمير، وكل ذلك قد حُمِل إلى القصر ليوضع فيه الأسرى، تأمل! فإن خاسئ «لوبييا» كان مسرعًا ليهرب بنفسه، في حين أن (٣٨) كل الناس بين الضباط ... وبين من جرحوا بالسيف. تأمل: فإن الضباط الذين كانوا على جياذ جلالته اقتفوا أثرهم ... وسقطوا بالسهام (٣٩) وحُمِلوا قتلَى.

لفتة إلى الماضي

لم ير ذلك إنسان في تاريخ ملوك «الوجه البحري» (لأن الحرب كانت في الدلتا) تأمل! إن أرض مصر هذه كانت في يدهم، في حالة ضعف في عهد ملوك «الوجه القبلي» (٤٠) وعلى ذلك لم يكن من المستطاع صد يدهم ... هؤلاء ... حُبًّا لابنهم العزيز ليحموا مصر لربما، ولنجاة معابد مصر ولتعلن (٤١) قوة الإله الطيب الجبارة ...

هرب رئيس «لوبييا»: وقد أرسل قائد حصن الغرب تقريرًا إلى بلاط الفرعون له

الحياة والقوة قائلاً ما يأتي: إن «مربي» المهزوم قد حضر، وإنه قد أرحى لساقيه العنان جبناً منه، وقد مر بي في جناح الظلام في سلام (٤٢) ... حاجة، وإنه قد سقط وكل إليه في صف مصر، وإن الافتخارات التي فاه بها أسفرت عن لا شيء، وكل ما قاله فمه قد عاد على رأسه هو، وحالته ليست معروفة أميت هو أم حيي ... وإنك ... من شهرته فإذا كان لا يزال حياً فإنه لن يقود (الجنود) ثانية؛ لأنه قد وقع عدواً لجنوده هو. وإنك أنت الذي أخذتنا لتجعلنا نذبح. (٤٤) ... في أرض «تمحو» (لولوبيا) وقد نصبوا في مكانه آخر من بين إخوته، وهذا الآخر يحاربه عندما يراه، وكل الرؤساء حانقون ... (٤٥)

العودة المضطربة

ثم عاد ضباط الرماة، والمشاة، والفرسان، وكل فرقة في الجيش سواء أكانوا من المجندين، أو من الجنود حملة الأسلحة الثقيلة (٤٦) (وحاملين الغنيمة ...) وسائقين حميراً أمامهم تحمل أعضاء التناسل التي لم تُختن (دلالة على عدد القتلى) من بلاد لوبيا ومعها الأيدي (التي قُطعت دلالة على الموتى) من كل بلد كانت معه (مثل السمك على الكلا) والممتلكات (٤٧) ... أعداء بلادهم. تأمل: لقد كانت كل البلاد مبهتجة حتى عنان السماء وقد رحبت المدن والأقاليم بهذه العجائب التي حدثت. والنيل (٤٨) ... بمثابة جزية تحت الشرفة (أي شرفة القصر الملكي التي كان يطل منها الفرعون على الشعب) ليجعل جلالته يُشاهد انتصاراته.

قائمة بالأسرى والقتلى

قائمة بالأسرى الذين سبقوا من أرض «لوبيا» هذه، والبلاد التي أحضرها معه، وكذلك المتاع (٤٩) ... بين قصر «مرنبتاح حتب حرماعت» (مهلك «التحنو») الذي في «برار» حتى المدن العليا من البلاد مبتدئاً بـ ... الخاصة «بمرنبتاح حتب حرماعت» (٥٠) أولاد رئيس «لوبيا» الذين قطعت وأحضرت أعضاء تناسلهم غير المختونة، ٦

رجال.

أولاد الرؤساء، وإخوة رئيس «لويبا» الذين قُتلوا، والذين أُحضرت أعضاء
تذكيرهم ... (٥١) ... «اللويون» الذين حُمِلت أعضاء تناسلهم غير المختونة:
٦٣٥٩.

مجموع أولاد الرؤساء العظماء:

(٥٢) ... «شردانا»، و«شكلش» و«إقوش» من ممالك البحار الذين لا غلفة لهم (أي
مختونين):

شكلش ٢٢٢ رجلاً.

المجموع ٢٥٠ يداً.

ترشا ٧٤٢ رجلاً (في لبيسوس ٧٥٠).

المجموع (٧٩٠) يداً؟

شردانا (٥٤)

المجموع

الإقوش الذين خُتِنوا وهم المقتولون الذين حُمِلت أيديهم لأنهم (٥٥)
(مختونون)... في أكوام الذين حُمِلت أعضاء تذكيرهم إلى المكان الذي فيه الفرعون
٦١١١ رجلاً

فيكون مجموع أعضاء التذكير غير المختونة (٥٦):

والذين حُمِلت أيديهم ٢٣٧٠ رجلاً.

و«الشكلش» و«التورشا» الذين أتوا بوصفهم أعداء تابعين «للوبيا» (٥٧)

«قهق» و«لوبيون» الذين سيقوا بوصفهم أسرى ٢١٨ رجلاً.

نساء خاسئ «لوبيا» المهزوم اللاتي أحضرهن معه أحياء ١٢ امرأة لوبية.

الجموع الذي أسر (٥٨) ... ٩٣٧٦ من الناس.

قائمة الغنائم: أسلحة الحرب التي كانت في أيديهم، وحملوا غنيمة: سيوف نحاس خاصة بالمشوش ٩١١١.

(٥٩) ... ١٢٠٢١٤ (أسلحة صغيرة؟).

الخيال التي أتى بها - وهي التي كانت تحمل خاسئ «لوبيا» المهزوم - وقد جيء بها أحياء أزواجاً: ١٢.

(٦٠) ممتلكات ... «مشوش» التي استولى عليها جيش جلالته له الحياة والفلاح والصحة الذي حارب مهزوم «لوبيا»: ماشية مختلفة ١٣٠٨ ماعز (٦١) مختلفة ٦٤.

كنوس شراب من الفضة: (تركت فضاء في الأصل).

أواني «ثا-بور»، أواني «رهدت» وسيوف، ودروع، وسكاكين وأواني مختلفة ٣١٧٤.

وقد حملوا (٦٢) ... وأشعلت النار في المعسكر، وخيامهم المصنوعة من الجلد.

مظاهر النصر في القصر

وقد ظهر سيدهم الملك له الحياة والفلاح والصحة في القاعة الواسعة من القصر في حين كان البلاط يرحب بجلالته له الحياة والفلاح والصحة في القاعة الرحبة من القصر في حين كان البلاط (٦٣) يرحب بجلالته له الحياة والفلاح والصحة مبتهجين عند ظهوره

الذي فعله. وخدم جلالته صاحوا فرحًا حتى عنان السماء، والحاشية على كلا الجانبين...

خطاب «مرنبتاح»

(٦٤) (وقال جلالته) ... بسبب الخير الذي فعله «رع» لحضرتي، لقد أُلقيت خطابهم متكلمًا بوصفي إلهًا يُعطى قوة، ومن مرسومه قد جعل الملك «مرنبتاح» له الحياة والفلاح والصحة ... (٦٥) ... يجب أن يضم ... بمثابة رعايا في وسط مدتهم، وكذلك بلاد «كوش» تحمل جزية المقهورين، وقد جعلته يراها في يدي في ... (٦٦) ... رئيسه محضرًا جزيته كل سنة في ... مذبحه عظيمة قد وقعت بينهم، ومن يعيش منهم سيملاً المعابد (٦٧) ... ورؤسائهم المهزومون هاربون أمامي، وقد وضعت في ... ذبحه، وقد عمل شواء اصطيدي كطير بري، وقد أعطيت الأرض (٦٨) ... لكل إله. وقد وُلدوا من فم سيد مصر الوحيد، والمتعدي قد سقط ... (٦٩) ... ومنتصر «رع» وجبار على أقوام الأقواس التسعة، والإله «ستخ» يعطي النصر والقوة «لخور» الملك مبتهجًا بالعدالة، وضاربًا - الملك «مرنبتاح» له الحياة والفلاح والصحة - وإني (٧٠) ... القوي، لم يؤخذ. وقد تأمر «اللوبيون» على أشياء أئيمة ليرتكبوها في مصر. انظر إن حماهم قد سقطوا، ولقد ذبحتهم وقد عملوا (...). (٧١) ... ولقد جعلت مصر تفيض بنهر، والناس تحبني كما أحبهم، وأعطيتهم نفسًا لمدتهم، واسمي يُفرح به في السماء والأرض (٧٢) ... وجدوا، وزمني قد نفذ فيه أشياء جميلة في أفواه الشباب على حسب عظم ميزة الأشياء التي أنجزتها لهم وإنها صحيحة كلها (٧٣) ... عابدًا السيد الممتاز الذي استولى على الأرضين. الملك «مرنبتاح» له الحياة والفلاح والصحة.

جواب البلاط

قالوا: ما أعظم هذه الأشياء التي حدثت لمصر! ... (٧٤) ... و«لوبياء» كالموسل الذي قد أُتي به أسيرًا، ولقد جعلت أهلها كالجراد؛ لأن كل طريق قد امتلأت بأجسامهم ... مانحًا مؤنك إلى فم المحتاج، وإنك تنام مرتاح البال في أي وقت إذ لا

يوجد (٧٦) ...

(٤ - ٢) عمود القاهرة

جزء من عمود الجرانيت محفوظ الآن «بمتحف القاهرة»، وقد كان أول من لاحظته في ساحة بناء وزارة المعارف في القاهرة هو «بروكش» الأثري.^(١٦١) وقد نُقل بعد ذلك إلى المتحف، ونشره أولاً «ماسبرو» بدون صور.^(١٦٢) وتحتوي نقوش هذا العمود على ملخص مختصر عن إعلان الغزو للفرعون، وبذلك يصير النقش الذي نجده في نقوش «الكرنك» الكبرى التي تسبق إعلان الحرب.

والختويات التاريخية لهذه الوثيقة هي ما يأتي: نجد في الجزء الأعلى منظرًا يُشاهد فيه «مرنبتاح» يتسلم سيفًا من إله يقول له: إني أجعلك تقطع رؤوس رؤساء «لوبيا» الذين قد صددت غزوهم. وفي أسفل نجد نقشًا في خطوط عمودية لا يُرى منها الآن إلا ما يأتي: (١) السنة الخامسة، الشهر الثاني من الفصل الثالث (الشهر العاشر) أتى إنسان ليقول لجلالته: إن رئيس «لوبيا» الخاسي قد غزا مع... رجالًا ونساء من «الشكلش» (٢)

(٤ - ٣) لوحة السنة الخامسة من حكم «مرنبتاح»

هذه اللوحة التي يسميها «برستد» «لوحة أتريب»^(١٦٣) ليس لتسميتها أصل. والواقع أن هذه اللوحة عُثِر عليها في عام ١٨٨٢ في «الكوم الأحمر» التابع لقرية «شبرا، زنجي» على مسافة خمسة كيلومترات شرقي «منوف». وقد بقيت هذه اللوحة في مكانها مدة عشرة أعوام، وقد نُقلت بعدها بطريق ترعة «الباجورية» لتوضع في «متحف القاهرة» غير أنها غرقت وبقيت في قعر القناة مدة خمس وثلاثين سنة، ورفعت بعدها ووصلت إلى المتحف في يناير سنة ١٩٢٧ وقُيدت برقم ٥٠٥٦٨.

وهي لوحة من الجرانيت الوردي، وقد كُسرت وضاع جزء طولي منها، وهي

منقوشة من كلا الجانبين، فعلى الوجه دُونَ عشرون سطرًا، وعلى الظهر دُونَ واحد وعشرون سطرًا، وقد نشر «ماسيرو» هذه اللوحة من صورة «شُفت» من الأصل Stempage^(١٦٤) إلا بعض أسطر نشرها أخيرًا «لقبر» بإتقان بعد مراجعتها على الأصل.^(١٦٥) والجزء الأعلى المستدير من هذه اللوحة قد حُلِي على كلا الجانبين بمنظرين متناسبين ظهرًا لظهر حيث نجد الملك واقفًا أمام إله.

فعلى الوجه نجد من جهة اليمين الإله «آمون رع»، ومن جهة الشمال يُحتمل أنه الإله «بتاح» والمنظر الذي على اليسار غير تام، ولم يبقَ منه إلا جزء من صورة الإله «بتاح»، وعلى ظهر اللوحة نجد على اليمين الإله «آتوم»، وعلى اليسار الإله «حوراختي» يقبض بيده على سيفه، ويلبس التاج الأزرق (خبرش) ويلوح بالسيف، ويقدم إلى الإله «حوراختي» أسيرًا راكمًا. وفي المنظر الذي على اليمين لم تبقى إلا صورة الإله «آتوم». وهاك ترجمة اللوحة مع ما فيها من نقص في كلا الجانبين.

(٤ - ٤) متن وجه اللوحة

السنة الخامسة، الشهر الثالث من الفصل الثالث، اليوم الثالث (١) في عهد جلالة «حور» الثور القوي الذي يبتهج بالعدل، ملك الجنوب والشمال (... ..) (٢) صاحب السيدتين، والذي ينفذ قوّته على أرض «تمحو» والملك يصد أعداءه (... ..) (٣) والمهزومين بالخوف الذي ينبعث منه، ملك الجنوب والشمال «بان رع مري آمون بن رع مرنبتاح حرماعت» (... ..) (٤) انتصاراته. ويتحدث عن أعمال شجاعته لبلاد «مشوش» (... ..) (٥) «مرنبتاح حتب حرماعت» معطي الحياة، وهو الذي جعل مصر تستسلم للنوم حتى الإصباح، وعلى ذلك فإنه يأخذ (... ..) (٦) الرعب، كل يوم بسبب الخوف الذي يبعثه في النفوس جاعلاً بلاد «لويبا» تصير تحت قوة الخوف الذي ينبعث منه ملك الجنوب والشمال (... ..) (٧) محوّلاً معسكرهم إلى مكان قفر، ومستوليًا (... ..) (٨) وكل عشب تنبتة حقولهم. ولم يبقَ حقل بعد خصبًا ليعيش منه. (... ..) (٩) والصهاريج مختنقة كالناس العطشى. كالثور القوي الذي يحارب على

الحدود (... ..) (١٠) وقد نطق «رع» نفسه باللعنات على الناس منذ أن تعدوا (...).
 (... (١١) بفهم واحد وهو تابع للسيف الذي في يد «مرنبتاح حتب حرماعت» الابن
 الذي خرج من جسمه (... ..) (١٢) «مرنبتاح حتب حرماعت» معطي الحياة.
 وقبائل اللوبيين منتشرون على الجسور مثل الفئران (... ..) (١٣) قابضين عليهم مثل
 الطيور المفترسة ولم نجد منهم من قد أفلت ومحل (... ..) (١٤) مثل الإلهة
 «سخت» وسهامه لا تطيش عن غرضها في أجسام أعدائه، وأيًا كان قد تبقى منهم
 (... ..) (١٥) فإنهم يعيشون على الأعشاب مثل الأنعام، والواقع أنه سيد الآلهة،
 رب «طيبة» هو الذي (... ..) (١٦) ابنه الذي يحبه، يتمتع باسمه
 (... (١٧) ابن «رع» «مرنبتاح حتب حرماعت» وهذا ما فعله «آمون رع» سيد تيجان
 الأرضين القاطن في الكرنك (... ..) (١٨) ذبح (٩) سكان الصحاري
 (... (١٩) «مرنبتاح حتب حرماعت» (٢٠) وهو...

النقوش التي على ظهر اللوحة

(١) (... ..) نهاية الحدود، ملك الجنوب والشمال «بان رع مري آمون بن
 الشمس مرنبتاح حتب حرماعت» الأسد ذو النظرة النافذة، المملوءة بالفزع (٢) (...
 (... ..) في موضوع قومه وقبائل الأقوام التسعة أمامه مثل نساء الحريم ملك الوجه
 القبلي والوجه البحري «بان رع مرنبتاح» بن «رع حتب» «حرماعت» المتوج (٣) (...
 (... منشرجًا عند مشاهدة الانتصارات (التي تشمل) ما أحرزه سيفه البتار جاعلاً رجال
 حاشيته ينظرونها (٤) (... ..) مثل الأسرى والشاطئان خلفهم مهلين، ومصر في عيد
 (٥) (... ..) قوم «مشوش» قد هُزموا أبدياً بقوة المحارب الشجاع، والثور القوي
 الذي يهزم الأقواس التسعة (٦) (... ..) تعداد الأسرى الذين أحضرهم سيف
 الفرعون البتار له الحياة والصحة والقوة بين الأعداء اللوبيين (٧) (... ..) الذين كانوا
 في الجزء الغربي من (الدلتا) الذين أعطاهم «آمون رع» ملك الآلهة، و«آتوم» سيد
 الأرضين صاحب «عين شمس» و«حوراخي» و«بتاح القاطن جنوبي جداره» سيد

«منف» و«ستخ» (٨) (... .. للملك) «بان» (رع مري آمون ابن «رع» «مرنبتاح
حُب حرماعت») وقتلى صاروا أكوامًا من الجثث بين قصر (٩) (مرنبتاح...) الذي في
«برار» وجبل نهاية الأرض.

(٤-٥) قائمة هؤلاء الناس

أولاد رئيس الأعداء اللوبيين الخاسئ (١٠) (... ..) ستة رجال.

أولاد الرؤساء وإخوة الخاسئ رئيس «لوبياء» المعادي الذين ذُبحوا وحُملوا بوصفهم
ال.

(١١) (... ..) أسر «لوبياء» الذين قُتلوا والذين أُحضرت أعضاء تناسلهم
٦٢٠٠ وفي «متن الكرنك ٦٣٥٩» (١٢) (... ..) أسر لوبية قُتلوا وأُحضرت
أعضاء تناسلهم ... (... ..) رجالًا (١٣) (... ..) مائتي رجل «إقوش»
وأقوام البحر الذين أحضرهم معه الرئيس الخاسئ (١٤) (... ..) وهم الذين أُحضرت
أيديهم، ١٢١٣ رجلًا، وهذا العدد يخالف ما ذكره «مسبرو» وهو ١٢٠١ ومن
«شكلش» ٢٠٠ رجلًا، ومن «طرشا» ٧٢٢ رجلًا (وهذان العددان السابقان قد ذُكرا
في متن الكرنك ٢٢٢، ٧٤٢ على التوالي في السطر ٥٣) (١٥) (... ..) عشرة ...
+ س رجلًا مجموع «اللوبيين» و«الشرداناء» الذين ذُبحوا (... ..) رجلًا (١٦)
(.....) :٣٢ رجلًا.

نساء الخاسئ رئيس لوبيا (... ..) امرأة (في نقوش الكرنك سطر ٥٧ : ١٢
امرأة) (١٧) (... ..) الأعداء اللوبيون رعوس مختلفة (٩) ٩٢٠٠.

(١٨) (... ..) :٨٢٢٤ أقواس :١٠٠٠ (+ س) ذكر «مسبرو»
في نسخته ٢٠٠٠ (١٩) (... ..) آنية «قبت» واحدة وآنية «تبو» من الذهب ٢٠
(+ س) ... (٢٠) (... ..) مازا (٩) (٢١) (... ..) :١٥٩٠ ...

(٦-٤) قصيدة عن انتصار «مرنبتاح»

(راجع كتاب الأدب المصري القديم الجزء الثاني) هذه القصيدة منقوشة على لوحة تذكارية من الجرانيت الأسود وهي المسماة «لوحة إسرائيل»، وقد أقيمت في معبد الملك الجنازي، وكذلك على لوحة في معبد «الكرنك» كما يُستدل على ذلك بقطعة وُجدت هناك، وقد كانت بلا شك قصيدة ذات أهمية كبرى لدى الملك، وهي في مجموعها فخار بالنصر العظيم الذي أحرزه الملك على اللبيين في السنة الخامسة من حكمه ١٢٣٠ ق.م، وبه نجت مصر من خطر عظيم، والقصيدة تزخر بالاستعارات والتشبيهات المختارة مما أسبغ عليها صورة أدبية، وقد وصف فيها الشاعر هزيمة الأعداء بمهارة تدعو إلى الدهشة فكأنها صورة رسمها المثال أمامنا غير أن هذه صورة ناطقة، يُضاف إلى ذلك أن الشاعر وسط هذه المدائح وتلك الأعمال الجسام التي قام بها «مرنبتاح» للذود عن حياض بلاده وتخليصها من غارات «اللبيين» وكسر شوكتهم لم يَفُتْهُ أن وصف الفرعون بالاستقامة والعدل، فهو يعطي كل ذي حق حقه، فالثروة تتدفق على الرجل الصالح، أما المجرم فلن يتمتع بغنيمة ما، وما أحرزه الإنسان من ثروة أتت عن طريق غير مشروع تقع في يد غيره لا في يد أطفاله، ثم نرى الشاعر ينتقل إلى وصف السلام والطمأنينة والرخاء التي سادت البلاد بعد هذا الانتصار بصورة هي المثل الأعلى لما يتطلبه الإنسان في الحياة الدنيا، فحتى الحيوان قد تُرك جائلاً بدون راع، في حين أن أصحابهم يروحون ويغدون مغنين، وليس هناك صباح قوم متوجعين. ولا شك في أن هذا هو عين السلام الذي يتطلبه الإنسان في كل زمانٍ ومكان. وفي ختام هذه القصيدة الرائعة يعدد لنا الشاعر القبائل أو الأقاليم التي أخضعها «مرنبتاح» ومن بينها قبيلة بني إسرائيل، وهذه أول مرة ذُكر فيها هؤلاء القوم في المتون المصرية، ولذلك سُميت هذه اللوحة باسمهم، وكذلك قيل عن «مرنبتاح» إنه فرعون موسى الذي ذُكر في القرآن وغيره من الكتب المقدسة، وهذا طبعاً لا يركز على حقائق تاريخية.

(أ) المتن

التحدث عن انتصاراته في جميع الأراضي، وكل الأراضي جميعًا قد أخبرت بذلك،
وصارت تشاهد جمال أعمال الفروسية.

الملك «مرنبتاح» الثور القوي الذي يذبح أعداءه، جميل الطلعة في ميدان
الشجاعة حينما يهاجم.

إنه الشمس بددت الغيوم التي كانت تخيم على مصر، وقد جعل
«تامرى»^(١٦٦) تشاهد أشعة الشمس.

وهو الذي أزاح تلاً من النحاس من فوق ظهور الشعب حتى يتمكن من منح من
كانوا في الأسر الهواء.

وهو الذي جعل أهالي «منف»^(١٦٧) يفرحون على أعدائهم، وجعل «بتاح تنن»
يبتهج ويشمت بخصومه، وهو الذي فتح أبواب «منف» بعد أن كانت قد أغلقت وجعل
معابدها تتسلم أرزاقها.

وإنه الملك «مرنبتاح» الواحد الفرد الذي يبعث القوة في قلوب مئات الألوف،
ويدخل نفس الحياة في أنوفهم عند رؤيته.

بلاد «التمحو»^(١٦٨) كُسرت في مدة حياته، وأدخل الرعب أبد الدهر في قلب
«مشوش»، وإنه الذي جعل «اللوبيين» الذين وطئوا أرض مصر ينكصون على أعقابهم،
والوجل العظيم في قلوبهم من مصر، وزحفهم قدماً قد انتهى، وأقدامهم لم تقوَ على
الوقوف فولوا هارين.

واخربون منهم بالسهام ألقوا بأقواسهم، وقلب المسرعين منهم قد أعياه المشي
وفكوا قرب مائهم، ثم ألقوا بها على الأرض، وحقائبهم قد مزقت وألقي بها.^(١٦٩)

ورئيس «اللوبيين» النعس المهزوم^(١٧٠) هرب تحت ستار الليل وحيداً، والريشة ليست على رأسه،^(١٧١) ولكن قدميه قد خانتاه (؟) وأزواجه قد اغتصبن أمام وجهه، ومأكولات وجبته قد استُولي عليها، ولم يكن لديه ماء في القرية ليعيش منه.

وكان محيا إخوانه يبدو مفترساً يريد الفتك به، وقد تحارب ضباطه فيما بينهم وخرقت خيامهم وتحولت إلى رماد، وكل متاعه صار طعماً للجنود.

وقد وصل إلى بلاده محزوناً، وكل فرد قد تخلف في أرضه كان يستشيط غضباً (؟) ... الذي عاقبه القدر هو الذي يحمل الريشة الحقيرة!

هكذا كان يتحدث أهل كل مدينة عنه، وأنه صار تحت سلطان كل آلهة «منف» ورب مصر قد لعن اسمه، وأصبح «مريي»^(١٧٢) لعنة «منف» يتناقلها ابن عن ابن من أسرته إلى الأبد، و«بن رع» محبوب «آمون»^(١٧٣) يقتفي أثر أولاده، و«مرنبتاح» منشرح بالصدق قد نصبه القدر له.

وقد أصبح «مرنبتاح» أسطورة «للوبيين» ليتحدث بها جيل عن جيل بانتصاراته قائلين: هل سيكون ضدنا ثانية ... «رع»؟ وهكذا يقول كل شيخ لابنه: «وا أسفاه على «لويبا» لقد أصبح أهلها لا يعيشون بحالتهم الطيبة يمرحون في الحقول. ففي يوم واحد قضى على تجوالهم، وفي عام واحد فنى «التحنو»، وقد حول الإله «ستخ»^(١٧٤) ظهره عن رئيسهم وخربت مساكنهم بسلطانه، ولا يوجد عمل لحمل ... في هذه الأيام،^(١٧٥) إنه لحسن أن يخبئ الإنسان نفسه، ففي الكهف سلامته.»

إنه رب مصر العظيم والقوة الشجاعة متاع له، فمن يجسر على الحرب الآن وهو يعلم كيف يخطو قدماً؟

إن من ينتظر هجومه لغبي أحرق، ومن يتعدّ على حدوده فلا يعلم ما يجنبه له الغد. ويقول الناس منذ زمن الآلهة: إن مصر هي الابنة الوحيدة «لرع» وابنه هو الذي

يجلس على عرش «شو»^(١٧٦) ولن يشرع أحد في التعدي على سكانها، وعين كل إله سترقب كل من ينهبها، ولا شك في أنها ستقضي على أعدائها، ويقول ... عن نجومهم وكل العقلاء عندما ينظرون إلى الريح.^(١٧٧) وقد حدثت أعجوبة كبرى لمصر فكل من يهاجمها يصير أسيراً في يديه (٩) بقرار مجلس الملك الذي يشبه الإله وهو الذي حكم له بالفوز على أعدائه في حضرة «رع».^(١٧٨) و«مري» الخبيث الفعل، ولعنة كل إله في «منف»، هو الذي قد حوكم في «عين شمس» ووجده الناسوع مجرمًا.

وقد قال رب العالمين:^(١٧٩) أعط السيف^(١٨٠) ابني المستقيم القلب، الشفيق «مرنبتاح» محبوب «آمون» الذي عني «منف» ودافع عن «عين شمس»، وفتح البلاد التي أغلقت ليطلق سراح الجم الغفير من المعتقلين في كل إقليم، وليتمكن من تقديم قربان للمعابد، وليجعل البخور يدخل أمام الآلهة وليتمكن من السماح للعظماء لحفظوا ممتلكاتهم، ولصغار القوم ليعودوا إلى مدتهم.

وهذا ما يقوله أرباب «عين شمس» خاصًا بابنهم «مرنبتاح» محبوب «آمون»: سيكون له عمر كرع ليدافع عن الضعيف أمام كل أرض أجنبية، وجعل مصر فوق ... للذي نصبه ليكون مثله الدائم ليتمكن من تقوية سكانها.

انظر إن الإنسان يعيش في أمان في عصر (الملك) الشجاع، ونفس الحياة يأتي من يد الواحد القوي، والثروة تتدفق على الرجل الصالح، ولن يتمتع مجرم بغنيمة (٩) والثروة التي يحرزها الإنسان من طريق غير مشروع تقع في يد غيره لا في يد أطفاله.

وقد قيل هذا:

حينما أتى التعس الساقط «مري» اللوي ليغزو جدران «تن»^(١٨١) الذي جعل ابنه الملك «مرنبتاح» يعتلي عرشه عندئذ قال «بتاح» عن خاسئ لويبا: «لتنقلب كل ذنوبه جميعًا على رأسه، وليسلم إلى يد «بتاح» ليجعله يتقيأ ما ابتلعه كالتمساح» انظر! إن الأسرع عدوًا يلحق بالسرير، والملك يوقع في أحبولته من يعرف قوته. إنه «آمون»

الذي يحطمه بيده ليقدمه إلى روحه^(١٨٢) في «هرمنتس»^(١٨٣) إلى الملك «مرنبتاح» قد أشرق السرور العظيم على مصر، وانبعث الفرح من بلدان «الدميرة» (مصر) وتحدث الناس عن الانتصارات التي أحرزها «مرنبتاح» على «التحنو» (اللوبيين).

ما أعظم حبهم للأمير المظفر، وما أكثر تعظيمهم له بين الآلهة، ما أسعده حظاً رب القيادة، آه! إنه لحسن أن يجلس الإنسان يتحدث والناس تغدو وتروح ثانية دون عائق ما في الطريق، وليس هناك أي خوف في قلوبهم.

وقد تركت المعاقل وشأنها، وأصبحت الآبار مفتحة،^(١٨٤) ومسالكتها سهلة. ومعاقل الحوائط أصبحت هادئة، ولا يوقظ حراسها إلا الشمس، وجنود «المازوي»^(١٨٥) نيام راقدون بلا حركة، أما «النياو» «والتكتن» فإنهم يطوفون بالحقول على حسب رغبتهم، وماشية الحقول قد تُركت تذهب جائلة بدون راع وتعبر ماء النهر.^(١٨٦)

وليس هناك نداء لليل: قف قف؟ بلغة الأجانب.

والناس يروحون ويغدون مغنين، وليس هناك صياح قوم يتوجعون، والمدن أصبحت كرة أخرى معمورة، وذلك الذي زرع غلة سيأكل منها أيضاً.

ولقد وجهه «رع» إلى مصر ثانية، وقد ولد مقدراً له حمايتها، هو الملك «مرنبتاح».

ويقول الرؤساء مطروحين أرضاً: السلام.

ولم يعد يرفع واحد من بين قبائل البدو تسعة الأقواس ١٨٧ رأسه «التحنو» قد خربت.

وبلاد «خاتي» أصبحت مسالمة.

و«كنعان» أُسرت مع كل خبيث.

وأزيلت «عسقلان».

و«جيزر» قُبض عليها.

و«بنوم» أصبحت لا شيء.

وإسرائيل^(١٨٨) خربت وليس بها بذر.^(١٨٩)

«وخارو»^(١٩٠) أصبحت أرملة لمصر.

وكل الأراضي قد وجدت السلم.

وكل من ذهب جائلاً أخضعه ملك الوجه القبلي والوجه البحري «بن رع» محبوب

«آمون» ابن الشمس «مرنبتاح» منشح بالصدق.

معطي الحياة مثل «رع» كل يوم.

(٥) الموقعة الكبرى التي دارت بين اللوبيين والفرعون «مرنبتاح»

سردنا فيما مضى ترجمة حرفية للمصادر التي في متناولنا حتى الآن عن الحرب التي قامت بين «مرنبتاح» وبين غزاة «لوييا» وحلفائهم من أقوام البحار، وكذلك تحدثنا عن أقوام البحر هؤلاء بقدر ما وصلت إليه معلوماتنا، ويلاحظ في كل ما سردناه أن معظم هذه المصادر قد وصلت إلينا من جهة مبتورة مشوّهة بفعل الزمن، ومن جهة أخرى لم نجد فيها من الحقائق التاريخية الخالصة ما يمكن المؤرخ من وضع صورة صادقة عن سير الموقعة، ويرجع السبب في ذلك كله كما هي الحالة في كل النقوش المصرية - إلى أنها وضعت لتكون عقود مدح للفرعون معيّدة ما قام به من أعمال خارقة للمألوف، ومع كل ذلك ففي استطاعة المؤرخ الذي خبر المتون الفرعونية أن يميز منها ما يدخل حيز التاريخ، وما وُضع عقود مدح وثناء لا يمت إلى التاريخ بصلة، وسنحاول هنا أن نضع صورة عن حروب «مرنبتاح» مع هؤلاء «اللوبيين» الذين فصلنا القول في تاريخهم بعض الشيء

لصلتهم الوثيقة بأرض الكنانة في كل عصور التاريخ، كما شرحنا ذلك شرحًا وافيًا.

فقد تحدثنا في الجزء السادس عن حروب «سيتي الأول» ومن بعده «رعمسيس الثاني» مع «لوبييا» (راجع مصر القديمة ج ٦).

والواقع أن حكومة «رعمسيس الثاني» القوية، وما كان لها من نفوذ بين دول العالم كان له تأثير على ما جاورها من الأمم حتى إن قيام هجمات معادية كره أخرى من جانب «اللوبيين» لم تكن لتحدث في تلك الفترة، ولكن نجد بعد موت هذا العاهل العظيم أنه قد هبت العاصفة، وبخاصة أنه في أواخر أيام «رعمسيس» كان قد بدأ الانحلال والوهن يدبان في أرجاء الإمبراطورية المصرية، وقد كان على ابنه «مرنبتاح» أن يتحمل تبعه ما خلفه له والده من إرث مثقل بالصعاب والأخطار المحدقة، وبخاصة إذا صدقنا ما يزعمه بعض المؤرخين من قيام ثورات في أوائل حكمه في آسيا، وأنه كان له بعض المنازعين على عرش البلاد كما أشرنا إلى ذلك من قبل.

(١-٥) النقش العظيم الذي تركه لنا «مرنبتاح» على جدار معبد الكرنك

والنقش العظيم الذي تركه لنا «مرنبتاح» على جدران معبد الكرنك يضع أمامنا صورة عن الخطر الذي كان يتهدد البلاد، كما يصف لنا الاستعدادات التي اتخذها «مرنبتاح» لصد أعداء البلاد المغيرين بصورة لا بأس بها.

وتدل ما لدينا من معلومات على أنه قد ظهر مع قومي «مشوش» و«قهق»^(١٩١) للمرة الأولى قوم «اللوبيين» الذين تحالفوا مع قوم البحار لاقتحام أرض الكنانة، وقد كان عدد جنود قوم «قهق» بالنسبة «للوبيين» و«المشوش» قليلًا، إذ قد انسحبوا من بينهم على ما يظهر غير أننا نجد أنهم كانوا لا بد يؤلفون جزءًا لا يستهان به من الجنود المرتزقة في الجيش المصري ولعبوا فيه دورًا هامًا، ولا أدل على ذلك من أنه في ورقة «أنسطاسي» الأولى التي من عهد «رعمسيس الثاني» نسمع عن جيش يتألف من خمسة آلاف مقاتل منها ١٩٠٠ من المصريين، و ٥٢٠ من جنود «شردانا» و ٨٨٠ من «السود» ومائة من

«المشوش» و ١٦٠٠ من جنود «قهق» (راجع Pap Anast I, 17, 4)، وكذلك جاء ذكر جنود «شردانا» و جنود «قهق» في ورقة «هاريس» الكبرى مرتين وأنهم يسكنون في مصر بكثرة^(١٩٢) ولا نعلم غير ذلك عن هؤلاء القوم شيئاً.

وقد تألف بقيادة الأمير اللوي المسمى «مري بن دد» حلف معادٍ لمصر في السنة الخامسة من عهد الملك «مرنبتاح» في بلاد «تخنو»، ثم زحف على مصر، وتؤكد العبارة التي جاءت في متن «الكرنك» الكبير في السطر الثاني والعشرين وهي: «وقد أتوا إلى مصر ليجتثوا عن طعام بطونهم.» أن الغرض من هجومهم هو البحث عن مواطن جديدة، ووسائل للحياة التي نضب معينها في بلادهم.

والواقع أن لدينا هنا كتلاً بشرية كانت منذ مائة سنة في حركة مستمرة لا يستقر بها مكان، مما لا يسمح لنا عند التحدث عنها القول بأنه كانت توجد للأقوام التي تتألف منها حكومة أو مملكة مستقرة في «لوبيبا». وقد كان الفرعون «مرنبتاح» قد ذهب إلى الجنوب الشرقي من الدلتا ليحصن الجهات الواقعة في منطقة «تل بسطة» - لا «بلييس» - كما برهن على ذلك الأستاذ «جاردنر»، وكذلك أقام تحصينات في «هليوبوليس» على ما يظهر، لمقاومة زحف البدو من الصحراء، وهناك وصلت إليه الأخبار بالخطر الداهم من تقدم «اللوبيين» نحو بلاده، وقد فهم بحق الأستاذ «إدوردمير» أن التصريح الذي جاء في السطر السادس من نقوش «الكرنك» وهو: إنه قد وصل إلى «هليوبوليس» بلدة الإله «تاتن» ليحفظها وليقيها الشر عند المكان المسمى «ترعة إتي» ... لأنهم كانوا قد ضربوا خيامهم أمام «بوسطة» واتخذوا مساكنهم في أرض «إتي».

لا يمكن أن يكون ذا علاقة بموضوع الحرب مع «اللوبيين»، بل إن تاريخ هجوم هؤلاء القوم يبتدئ في هذا المتن بالسطر الثالث عشر وما بعده، وفضلاً عن عدم صحة الرأي القائل بأن «اللوبيين» لم يكن لديهم عائق عن الإيغال بعيداً في داخل مصر، فإن نقوش السطر التاسع عشر تدل بصراحة على أنهم وصلوا فقط حتى النهر الكبير، أي إنهم وصلوا حتى فرع النيل «الكانوبي»، وهذا هو المكان الذي وقف عنده الهجوم اللوي

الذي حدث فيما بعد، وفي السطر الثلاثين حُكي عن الجيش المصري: إن مشاته وفرسانه قد عسكروا هناك في عدد عظيم، وكان أمامهم على الشاطئ بالقرب من المكان المسمى «برار».

ومن ذلك نفهم أن جيش لوبيا المعادي لم يقتحم قط أرض الدلتا.

وقد قام «مرنبتاح» على جناح السرعة بالاستعداد للقيام بهجوم مضادٍ للعدو في مدة لا تتجاوز أربعة عشر يومًا. وفي اليوم الثالث من الشهر الثالث من فصل الفيضان صمم الفرعون على منازل العدو في مكان يقع بين «برار» وجبل «وب تا»، وقد شجعه على ذلك - كما يحدثنا الملك - حلم رأى فيه الإله «بتاح» يقدم له سيفًا، وقد كانت أقوى فرقة مهاجمة من جنود العدو هي فرقة قوم «إقوش» ثم يليها فرقة «الترشا» ثم «الشكلش» و«الشردانا» في حين أن قوم «لوكا» (ليسيا) كان لا يمثلهم في هذه الحرب إلا عدد قليل. أما «اللوبيون» أنفسهم فكان معظم الجيش منهم، وقد انضم إليهم عربات «المشوش» ثم قلة لا تُذكر من قوم «فهق»، وأما تعداد الجيش فإن ما ذكره «مرنبتاح» في نقوشه عن مقدار قتلى الموقعة يعطينا فكرة تقريبية عنه، فيذكر أن من صُرع في ساحة القتال من اللوبيين يبلغ ٦١١١ - وفي رواية أخرى ٦٢٠٠ رجلًا. أما أقوام البحر فبلغ عدد قتلهم ٢٣٧٠ رجلًا، وكان مجموع عدد الأسرى نحو ٩٣٦٧ رجلًا وامرأة، وعلى ذلك يكون قوام الجيش اللوبي وحلفائه حوالي ثلاثين ألف مقاتل، وهذا يدل على أن غزوة «اللوبيين» لمصر لم تكن للسلب والنهب - كما كانت حال الهجمات التي قاموا بها من قبل - بل كان جيشًا له قيادته العليا، ولا شك في أن غرضه الأول كان استيطان مصر واحتلالها.

وقد شجع «مرنبتاح» رؤياه التي رآها في منامه فقام بالهجوم على العدو فعلاً، واستمرت الواقعة ست ساعات حمي خلالها وطيس الحرب وانكشفت عن اندحار العدو اندحارًا مشيئًا، وما بقي منهم أرخى لساقيه العنان مع قائدهم وأميرهم «مربي»، وقد وصف لنا «مرنبتاح» هذه الهزيمة وصفًا شيقًا في قصيدة النصر التي ذكرناها من قبل.

وهكذا أمكن «مرنبتاح» أن يعود إلى عاصمة ملكه مظفرًا بعد أن حفظ مصر من خطرٍ كان يهدد كيائها لم تكن قد رأت مثيله منذ حوالي خمسمائة سنة، أي عندما غزا «الهكسوس» أرض الكنانة.

وتدل البحوث الأخيرة على أن «برار» على الأرجح تقع في المقاطعة الثانية من مقاطعات الوجه البحري (راجع Hölscher Ibid p. 63) أما المكان الذي أطلق عليه هنا جبل «وب تا» فلا يمكن تحديد موقعه على وجه التحقيق.

(٦) قصة خروج بني إسرائيل من مصر وأنشودة انتصار «مرنبتاح»

رأينا في القصيدة الرائعة التي نقشها «مرنبتاح» تخليدًا لذكرى انتصاراته على أقوام لوبيا والبحار وما جاء فيها من وصف خلاب لمدى هذا الانتصار، وما صارت إليه حالة أمير «لوبيا» وأسرته من بؤس وشقاء، وكذلك حالة الأمن والطمأنينة التي سادت البلاد بعد أن أبعد خطر الغزو عنها، هذا وقد جاء في آخرها وصف شامل يدل على استتباب السلام في أنحاء الإمبراطورية المصرية آنذٍ وخضوع أهلها لمصر خضوعًا تامًا، وقد كان أهم ما لفت نظر المؤرخين في هذه الأنشودة هو ذكر قوم بني إسرائيل، وبخاصة لأنه المثل الوحيد الذي عُثر عليه على الآثار المصرية بل لم نجدهم يذكرهم بعد ذلك على الآثار إلا بعد انقضاء أربعة قرون من ذلك التاريخ وذلك في الكتابات المسمارية، يُضاف إلى ذلك أن الجملة التي جاء فيها ذكر هؤلاء القوم قد لفتت الأنظار بصورة مدهشة لما فيها من إشارة خفية وإبهام سُكب في تفسيره والإمالة عن أسرارهِ مدادٌ يغرق ما تبقى من بني إسرائيل في أيماننا. وهذه العبارة هي: «وإسرائيل قد خربت وانقطعت بذرتها.» وعلى الرغم من وجود هذه العبارة في اللغة المصرية القديمة في غير هذا المكان، فإن استعمالها بالذات هنا بالنسبة لبني إسرائيل كان ذا أهمية عظيمة جدًا في بحث موضوع خروجهم من مصر - سواء أكان في ذلك الوقت أم قبله.

وتاريخ بني إسرائيل في مصر لم نجد في النقوش خلافًا للإشارة التي جاءت في الجملة السابقة، ولكن تاريخ هؤلاء القوم كما ذكره مؤلف التوراة - وهو إسرائيلي المنبت

- قد أضفى على حوادثه أهمية لم يخطر ببال مؤلف مصري أن يسبغها عليه في هذا العهد بعينه، بل ربما كان لا يعرف شيئاً عنها، وحتى إذا كان يعلمها فإنها كانت في نظره من الحوادث النافهة التي لا تستحق ذكراً أو تدويناً، إذ إن كل ما كان يهم المؤرخ المصري في عصوره التاريخية كلها هو تدوين انتصارات الفرعون ومفاخره، وما قام به للآلهة الذين كانوا يؤازرونه وينصرونه في المواقع كلها.

وما ذكره لنا كتاب التوراة عن إقامة إسرائيل في مصر ينحصر في العهدين اللذين شملا حياة كل من «يوسف» و«موسى». وإذا كان «موسى» هو المؤلف لهذا التاريخ كما يدّعي كل من الأستاذ «نافيل» والأستاذ «سايس»^(١٩٣) فإنه من الطبيعي أن تكون محتويات هذا الكتاب كما هي. أما بالنسبة لعهد يوسف، فإنه كان من الطبيعي أن نرى أعمال بني إسرائيل غير مذكورة في الوثائق المصرية في عهده، إذ إن «يوسف» على الرغم من أنه كان ذا مكانة في حكومة الفرعون غير أنه لم يتعدَّ أن كان وزير مالية وحسب - كما يُقال - وأن كل عمل عظيم يقوم به ويستحق التسجيل كان لا بد من نسبته إلى الفرعون الذي كانت النقوش تهدف إلى تعظيمه والإشادة بذكوره؛ لأن كل شيء كان من وحيه هو، وعلى ذلك فإن اسم «يوسف» لم يكن ليظهر بطبيعة الحال.

وكان «موسى» من الوجهة المصرية أقل شأنًا من «يوسف»؛ فقد كان كما تقول التوراة لقيطاً في قصر الفرعون ثم هارباً من وجه العدالة ثم متكلماً عن عبيد غرباء.

أما عن الإسرائيليين أنفسهم في أرض «غوشن» (وادي طميلات) فلم يكن لهم مكانة اجتماعية أو سياسية تُذكر، فقد كانوا في عهد «يوسف» من رعاة البدو، وكان كل راعٍ يعدُّ في نظر المصري لعنة، وفي زمن موسى كان الإسرائيليون فوق ذلك كله عبيداً، ومن ذلك نفهم أنهم لم يكونوا بأية حال من هؤلاء الناس الذين كانوا يعنون عادة بتدوين أعمالهم في السجلات الرسمية، غير أنه وُجدت حادثة واحدة تتصل بإقامتهم في مصر كان لها من الوجهة المصرية أهمية سياسية واقتصادية، وذلك أن قيامهم بعمل مشترك وهو قصة خروجهم جملة من الديار المصرية - إذا كان هذا قد حدث فعلاً - كان يهم

الحكومة وقتئذ لما كانوا يقومون به من أعمال السخرة للفرعون في إقامة مبانيه، وعلى ذلك فإن الإشارة إليه في السجلات الحكومية الخاصة بهذا العصر ممكنة، وبخاصة إذا كان هؤلاء القوم يقومون بأعمال جسيمة كبيرة مفيدة للبلاد عامة وللفرعون خاصة، كما نؤهلنا بذلك.

وبخروج بني إسرائيل من مصر انتهت إقامتهم في تلك الديار على وجه عام، وعلى ذلك تكون هذه الحادثة التي جاء ذكرهم فيها في المتن المصرية من الأهمية بحيث استرعت اهتمام المؤرخ المصري وكانت في الوقت نفسه آخر ما ذكر عنهم، ولذلك كان من الطبيعي أن نستنبط من ذلك كله: أنه إذا كان هناك ذكر للإسرائيليين في تلك النقوش المعاصرة لإقامتهم في مصر، فإن ذلك لا بد يشير إلى خروجهم، وفضلاً عن ذلك فإنه ينتظر من المتن أن يسجل لنا انقطاع علاقة هؤلاء القوم بمصر.

وإذا كان ما ذكرناه هنا من فروض مقبولة في منطقته فإن اللوحة التي كشف عنها الأستاذ «فلندرز بيري»^(١٩٤) (انظر عهد «مرنبتاح» ونهاية الأسرة التاسعة عشرة) وهي التي دُون عليها الأنشودة السالفة الذكر تكون قد ذكرت لنا إسرائيل للمرة الأولى والأخيرة أيضاً، وعلى ذلك ننتظر أن تكون الإشارة إلى هؤلاء القوم هنا تشير إلى حادثة الخروج، وعدم وجودهم في مصر. على أن صحة هذا الاستنباط يمكن الوصول إليه بفحص أمرين هامين؛ الأول: العلاقة بين تاريخ الخروج وتاريخ نقوش اللوحة. والثاني: معنى الجملة التي جاءت في الأنشودة خاصة بإسرائيل. وليس لدينا شك في تاريخ النقوش؛ إذ قد وُجد في متن اللوحة التي نُقِشت كما ذكرنا لتخليد الانتصار الذي أحرزه «مرنبتاح» على اللويين وأقوام البحر الذين غزوا أرض الكنانة في السنة الخامسة من حكم «مرنبتاح».

أما تاريخ خروج بني إسرائيل فلا يمكن تحديده بصفة قاطعة، ومن هنا جاء الاختلاف في وضع تاريخ هذه الحادثة في أزمان متباعد بعضها عن بعض بسنين عدة أحياناً، فقد وضعه البعض قبل عهد «أمنحتب الثالث»، ووضعه آخرون في عهد

«رعمسيس الثاني»، غير أن كلاً من الأستاذ «نافيل» و«بيري» و«سايس» وغيرهم قد اتفقت آراؤهم على أن خروج بني إسرائيل قد حدث في عهد الفرعون «مرنبتاح»؛ فيقول الأستاذ «نافيل»: ١٩٥:إني لا أزال مسلماً بوجهة النظر التي أدلى بها «لبيوس» عن موضوع خروج بني إسرائيل - وهي التي يقتضيها معظم الأثرين - أن مضطهد اليهود هو «رعمسيس الثاني» الذي كان حكمه الطويل بداية انحلال الإمبراطورية المصرية، وأن الفرعون الذي يُنسب إليه خروج بني إسرائيل هو ابنه «مرنبتاح».

أما الأستاذ «سايس» فيقول: إن الآثار المصرية تحصر هذه الحادثة في حكم الفرعون «مرنبتاح».

ولدينا بين الأوراق البردية المحفوظة في «المتحف البريطاني» وثيقة تُعرف بورقة «أنسطاسي السادسة» وتشمل خطاباً من كاتب الملك «مرنبتاح» جاء فيه ما يأتي: (راجع مصر القديمة ج٦): إن بعض بدو (شاسو) إيتام (إدوم) قد سمح لهم على حسب التعليمات التي لديه أن يجتازوا حصن إقليم «سكوت» (تل المسخوطة) في «وادي طميلات» ليتاح لهم رعي ماشيتهم بالقرب من بلدة «بتوم» في ضياع الفرعون العظيم.

وهذا الخطاب كُتب في السنة الثامنة من حكم هذا الفرعون «مرنبتاح»، ويظهر منه أن هؤلاء الشاسو كان قد سمح لهم بالاستيلاء على بعض أرض التاج في «غوشن» (وادي طميلات) ومن البدهي أن هذه الحالة لا يمكن أن تحدث إذا كان الإسرائيليون لا يزالون يقيمون في أرض «غوشن» في السنة الثامنة من حكم هذا الفرعون، وعلى ذلك فلا بد أن تكون حادثة الخروج قد وقعت في وقتٍ ما قبل هذا التاريخ، وهذا يجعل تاريخ الخروج على أية حال قريباً من تاريخ نقش اللوحة، وهذا البرهان لا يسمح بتقريب زمن خروجهم أكثر من ذلك، بل يجوز أنه قد يتقدم بهم وستحدث عن ذلك بعد.

وقد جاء في بحوث تاريخ الخروج أن غزو اللبيين لمصر في السنة الخامسة من حكم «مرنبتاح» يحتمل أن يحدث أموراً في شرقي مصر حيث توجد أرض «غوشن» تساعد على هروب الإسرائيليين، وقد كانت الأحوال وقتئذٍ تتطلب أن تُسحب الحاميات

التي على الحدود الشرقية لتقوية الجيش الذي كان يقوم بصدد المغيرين من جهة غربي الدلتا وشمالها، وبذلك لا تُترك إلا قوة قليلة لحماية الحدود، وهذا برهان - إذا صح - يعضد الرأي القائل إن الحادّتين - حرب لوبيا والخروج - قد وقعتا في زمن واحد.

والآن نعود لبحث العبارة التي جاءت عن إسرائيل في لوحة أنشودة «مرنبتاح»، وقد تناول بحثها الأستاذ «نافيل» في مقالٍ خاص، والعبارة الخاصة بإسرائيل قد اقتبسها بعض المحققين دلالة على أن إسرائيل كانوا في الوقت الذي كُتبت فيه اللوحة في «فلسطين»، وقد رأى هذا الرأي الأستاذ «بتري»^(١٩٦) غير أن برهانه ليس مقنعاً، وقد عاضد «بتري» الأستاذ «إدورد مالر»^(١٩٧) أما الأستاذ «نافيل» فإنه في مقاله السابق قد عارض كل ما قاله زميلاه، وبرهن على أن هذا النقش لا يقدم أي برهان على النتيجة التي وصل إليها الدكتور «إدورد مالر» عندما يقول: لا بد أن نعرّف نتيجة للوحة التي كشف عنها «فلنדרز بتري» حديثاً بأنها تدل على أن بني إسرائيل قد خرجوا من مصر قبل «مرنبتاح»، كما أنه لا يعترف باعتقاد «بتري» أن نقش اللوحة يشير إلى حرب وقعت في «سوريا» انتصر فيها الفرعون «مرنبتاح»، وأن الإشارة إلى إسرائيل تدل على أنه كان يوجد في «فلسطين» وقتئذ بعض الإسرائيليين.

وقد ترجم علماء اللغة والآثار الجملة التي جاء فيها ذكر إسرائيل بأوجه مختلفة ننتخب منها ما يأتي:

- (١) وإسرائيل قد أقفروا وبذرهم قد انقطعت (برستد).
- (٢) وقوم إسرائيل قد صاروا قفرًا، ومحاصيلهم قد ذهبت (جرفث).
- (٣) وقوم إسرائيل قد أتلفوا، وليس لديهم غلة (بذر) (بتري).
- (٤) وإسرائيل قد نُحِي وبذرته لا وجود لها (نافيل).

والواقع أن كلمة «بذرة» في ترجمة كل من «برستد» و«نافيل» تدل على الخلف،

وهذا يطابق ما نجده في اللغات الأخرى بمعنى أن البذرة والنسل واحد، ولا نزال نسمع حتى يومنا هذا: إذا انقطع نسل واحد من الناس فإنه يُقال: «قد انقطعت بذرته»، وهذه الترجمة تخالف بطبيعة الحال ترجمة «بثري». ويُلاحظ أن في الأصل المصري تفصيلاً في كتابة كلمة إسرائيل له أهميته؛ فحينما نجد في كتابة اسم قوم من الأقوام الذين ذُكروا مع إسرائيل مخصصاً في نهاية الاسم دل ذلك على البلاد الأجنبية، وهذا المخصص في كلمة إسرائيل غير موجود، بل كُتب بدلاً منه مخصص يدل على أنهم قوم أجانب. والنتيجة التي يمكن استخلاصها من كتابة هذا المخصص هي: أن إسرائيل كانوا أجانب لا وطن لهم، فقد كانوا كما تسميهم التوراة «أبناء إسرائيل» وأنهم ليسوا سكان هذه البلاد أو تلك، ومن ذلك نعلم أن عناصر النقش نفسه تعارض الرأي القائل: بأن الإسرائيليين كانوا يسكنون «فلسطين»، بل على العكس يميل إلى الرأي القائل بأن البلاد التي كانت تفيض بالهن والسلم ولم تكن قد احتلت بعد، فقد كانت «كنعان» (فلسطين) لا تزال الأرض الموعودة لا الأرض المملوكة، وإذا اعترفنا بذلك بالإضافة إلى أهمية الرموز المختلفة المخصصة التي استُعملت للأقوام المختلفين الذين ذُكروا في النقش، وكذلك إذا قبلنا ترجمة الأستاذ «نافيل» ورأيه في كلمة «بذرة» فإنه يصبح من الطبيعي إذن أن يقول: إن النقش يشير هنا إلى خروج بني إسرائيل، وكذلك يعني أنه طُرد من أرض مصر جنس أجنبي من البدو يُدعى «إسرائيل»، ومعهم أولادهم وكل ما يتبعهم، ومن ثم أصبح لا وجود لهم بالنسبة لمصر (راجع Jer XXI، ٣-٦).

والواقع أن ما جاء في متن هذه اللوحة على ما يُظن يعدُّ سجلاً معاصراً لخروج بني إسرائيل مع حوادث أخرى، كما يدل دلالة واضحة على أنه قد وقع في السنة الخامسة من عهد «مرنبتاح» كما يعتقد «نافيل». ولا نزاع في أن نقوش اللوحة فضلاً عن تسجيل الانتصار على اللوبيين تحدثنا عن أحوال الممالك المجاورة بالنسبة لمصر؛ فتدل على أن العلاقات مع الممالك كانت مرضية فيما يمس أحوالها مع مصر، وبهذه المناسبة فُصد ذكر بني إسرائيل، ولا بد أن حادث خروجهم كان من الأهمية بمكان - إذا كان معاصراً حقاً - للحوادث التي سُجلت على اللوحة - حتى أصبح من الطبيعي أن يحتل مكاناً في متنها،

ولكن إذا نظرنا إلى هذا الموضوع من حيث الأسلوب الفرعوني فإن خروجهم من مصر يمثل في صورة طرد قوم بإرادة الفرعون لا هرباً منه، والواقع أن مؤلف هذه الأنشودة قد كتبها بوجهة نظر غير وجهة نظر مؤلف الرواية التي جاءت في التوراة، وعلى الرغم من ذلك فإن ترجمة الأستاذ «نافيل» لا تتعارض مع التعبير الذي استعمل في سفر الخروج ٣١-١٢:

فدعا موسى وهارون ليلاً وقال: قوما فآخرجنا من بين شعبي أنتما وبنو إسرائيل... الخ.

وفي سطر ٣٩ جاء: لأنهم طردوا من مصر ولم يقدرُوا أن يتلبثوا حتى إنهم... وأقوى من ذلك ما جاء في سفر الخروج الفصل الحادي عشر السطر الأول: وقال الرب لموسى قد بقيت ضربة واحدة أنزلها على فرعون والمصريين، وبعد ذلك يطلقكم من ههنا، وعند إطلاقه لكم جملة يطردكم من ههنا طرداً.

وإذا سلمنا بصحة النتائج التي استتبناها مما سبق فإن الأجزاء المختلفة من تاريخ إسرائيل في مصر تتألف بعضها مع البعض الآخر ظاهراً، وتصبح متحدة تماماً مع ما جاء في التوراة وما جاء على الآثار المصرية القديمة.

على أن كل ما ذكرناه هنا عن تاريخ خروج بني إسرائيل ومكثهم في أرض مصر لا يركز على حقائق تاريخية تشفي الغلة، إذ على الرغم من كل ما استعرضناه في هذا الموضوع فإن بعض علماء الآثار لا يزالون ينظرون إلى موضوع خروجهم وأنه حقيقة تاريخية تنطبق على بني إسرائيل - بعين الحذر والحيطه، ونخص من بينهم الأستاذ «جاردنر» فقد قام بينه وبين الأستاذ «نافيل» الذي استعرضنا آراءه فيما سبق نقاش طويل حول هذا الموضوع، وقد ادعى الأستاذ «نافيل» أن «جاردنر» لا يعترف بموضوع الخروج، ولا الطريق التي ساروا فيها، غير أن «جاردنر» في رده على هذا الادعاء لم ينكر طريق الخروج وقصته إنكاراً تاماً إذ يقول: لم يدر بخلدي أن أتعرض لصحة تاريخية خروج

بني إسرائيل أو عدمه. ولكن إذا فحصت الآراء التي اعتقدها في هذا الموضوع فسيكون ذلك من باب الإيضاح؛ إذ ليس هناك مجال لشك أي مؤرخ في أن الإسرائيليين كانوا في مصر في صورة ما، وذلك لأن أسطورة قوية تمثل لنا الأحوال الأولى لقوم في صورة لا يحسدون عليها لا يمكن إلا أن تكون انعكاسًا لضوء حوادث حقيقية قد وقعت مهما كانت الصورة التي وصلت إلينا عنها مشوهة، ولكن غزو الهكسوس ثم طردهم منها فيما بعد يمكن أن يكونا مادة هذه الأسطورة، على أن ذلك لن يحدث فرقًا ما في هذا الزعم إذا أمكننا البرهنة على أن الهكسوس ليس بينهم وبين الإسرائيليين أي اتصال من جهة الجنس؛ وذلك لأن الأمم ترث بكل سهولة تقاليد البلاد التي احتلوها على مضي الزمن. أفلا يكون غريبًا حقًا ألا يترك عهد الهكسوس أثرًا بل آثارًا في قصة العبرانيين؟ وفضلاً عن ذلك إذا لاحظنا أن مجيء يوسف على حسب التقديرات المعقولة كان قد حدث في عهد الهكسوس، فليس هناك كبير شك في أن حوادث عهد الهكسوس قد صُوِّرت بشكل ما في قصة خروج بني إسرائيل. غير أن ذكر مدينة «رعمسيس» (قتنير الحالية)، تدخل في القصة عنصرًا من عهد متأخر. وعلى ذلك فليس من المستحيل أن تكون الاقتباسات التي اقتبسها «يوسفس» من «مانيتون» و«كارمون» توحى بأن حوادث قد وقعت فيما بعد في أوائل الأسرة التاسعة عشرة، وأنها قد اختلطت بذكر حوادث الهكسوس، ولدينا مادة مفسرة تدل على مثل هذه العلاقات الموجودة بين مصر وقبائل البدو الذين يعيشون على تخومها ذُكرت في ورقة «أنسطاسي» السادسة، ولكن ليس لدينا أي أثر يبرهن على وجود احتلال جدي لأي صقع مصري تكون من نتائجه حدوث مأساة كانت مُثلت في كتاب الخروج، وإلى أن يظهر في الأفق براهين تختلف في شكلها عن التي في متناولنا حتى الآن فإنني أؤمن بأن تفاصيل القصة يجب أن تُعد أسطورة، مثلها كمثل قصة بدء الخليقة المذكورة في سفر التكوين، وعلينا أن نسعى في تفسير هذه التفسيرات على فرض أنها أسطورة.

وعلى ذلك فإنني بعيد عن القول بأن كل قصة الخروج خرافية، وقد أوضحت وأكدت بكل صراحة اعتقادي بأن القصة في مجموعها تعكس لنا صورة حادثة تاريخية

معينة وهي طرد الهكسوس من مصر، ويجب أن أضيف هنا بأن هذه النظرية ليست جديدة، فقد دافع عنها الدكتور «هول» في كتابه «تاريخ الشرق الأدنى القديم».^(١٩٨)

والقول بكذب القصة من أولها إلى آخرها شيء، وكون تفاصيلها خرافية شيء آخر بالمرّة، وإني على استعداد للاعتراف بأيّ إذا كنت قد ظننت أن تفاصيل قصة الخروج خرافية وحسب فإنّي أكون قد عرضت نفسي لنقد محقّ، غير أن الأمر على غير ذلك؛ لأن طريقة بحثي في هذا المقال كانت سليمة، إذ سألت القارئ أن يسلم بأن تفاصيل القصة من الجائز أن تكون خرافية ... بل ذكرت استنباطاتي ثم برهنت على صحتها بطريق الحوار المعتادة.

ولا يفوتني هنا أن أشير - قبل الانتقال إلى التفاصيل - إلى كشف جديد يظهر أنه مضاد للفكرة القائلة بصحة الخروج التقليدي، وذلك أن الحفائر التي قام بها الأستاذ «فشر» في «بيسان» قد وجد فيها قلعة مصرية، وعثر فيها على لوحات من عهد «سيتي الأول» و«رعمسيس الثاني»، وأهم من ذلك تمثال «لرعمسيس الثالث»، ويقول «فشر»: إن هذه الآثار المؤرخة تقدم لنا برهاناً كافياً على أن البلدة قد بقيت في أيدي مصرية من عام ١٣١٣ حتى ١١٦٧ ق.م. وعلى ذلك فإن اليهود كانوا قد هاجروا في عهد ملك ما وفلسطين في حوزة مصر، وعندئذ يكون مثلهم في ذلك كمثال المستجير من الرمضاء بالنار. (راجع J E A vol 10 p. 87 ff).

والواقع أن البرهان الأخير ليس ذا قيمة تُذكر؛ لأن بني إسرائيل قد هربوا من مصر، أو خرجوا منها أو طُردوا؛ لتذمرهم من أعمال السخرة التي كانوا يقومون بها للفرعون، وبخاصة في بناء المدن وإقامة المعابد، وهم إذا كانوا قد هاجروا إلى «فلسطين»، فقد كان ذلك هرباً من تلك السخرة.

وقبل أن نتحدث عن الطريقة التي سلكها بنو إسرائيل عند خروجهم من مصر إلى فلسطين، أريد أن أستعرض هنا رأي الأستاذ «أولبريت» في هذا الصدد، إذ إنه على ما يظهر يقرب من الحقيقة فهو يقول: «إن التقاليد التي نجدتها في كتاب الخروج، الفصل

الأول، وهي التي تُحدثنا بأن الإسرائيليين قد أُجبروا على السخرة في إقامة مباني مدينتي «بتوم» و«رعمسيس» اللتين كانتا تُستعملان مخازن، قد دلت الحفائر التي عملت في «تل رطابة» (بتوم) و«بررعمسيس»، على أن الأولى قد أُعيد بناؤها، وأن الثانية قد أُقيمت في عهد «رعمسيس الثاني».

والواقع أن معلوماتنا الطبوغرافية عن شرق الدلتا قد أكدت صحة الرواية التي جاء ذكرها في بداية سفر الخروج، كما جاءت في سفر الخروج نفسه ١٢-٣٧، ١٣-٢٠، يُضاف إلى ذلك أن الأستاذ «ألن جاردنر» الذي كان يعارض في صحة تاريخ هذا الحادث من الوجهة الطبوغرافية قد اعترف بصحته أخيراً كما ذكرنا من قبل،^(١٩٩) هذا ولدينا فضلاً عن ذلك كثير من البراهين على صحة هذا الخروج تاريخياً، وعن طواف هؤلاء القوم في أقاليم «سيناء» و«مدين» و«قادش»، ويرجع الفضل في ذلك إلى التقدم المطرد، الذي حصلنا عليه من الوجهتين الطبوغرافية والأثرية، ويجب أن نكتفي هنا بأنه قد أصبح من المؤكد ألا محل للنقد المبالغ فيه الذي كان يوجه إلى التقاليد التاريخية المبكرة لبني إسرائيل، هذا فضلاً عن أنه قد أصبح من المستطاع الآن تحديد تاريخ خروجهم في حدود مدة معقولة، وقد كان ذلك موضوع جدال طويل - كما ذكرنا من قبل - إذ في عام ١٩٣٧م كُشف في خرائب «لاجاش» (تلو الحالية) الكنعانية عن نقوش هيراطيقية مؤرخة بالسنة ١٢٣١ ق.م - أو بعد ذلك بقليل، ولكن ليس قبل هذا التاريخ - مما يبرهن على أن سقوط هذه المدينة في يد الإسرائيليين كان في هذه السنة أو بعدها، وفضلاً عن ذلك فإن متن لوحة إسرائيل المعروفة من زمن بعيد - الذي سيء فهمه - مؤرخ بالسنة ١٢٣٩ ق.م؛ وهذا يبرهن على أن إسرائيل كانوا فعلاً في غربي فلسطين، وكانوا أصحاب قوة، غير أنهم لم يكونوا قد استوطنوا بعد بصفة قاطعة، وإذا أضفنا مدة القرن أو الجيل الذي تتطلبه التقاليد الإسرائيلية لاحتلالهم شرقي فلسطين، وصلنا إلى تاريخ لا يتجاوز ١٢٦٠ لتاريخ الخروج، ومن المحتمل جداً أن نقدر جيداً لاحتلال إسرائيل شرقي فلسطين وتقدمهم غرباً فيها بقوتهم، وعلى ذلك يكون تحديد خروجهم في باكورة القرن الثالث عشر في حد المعقول، وإذا وضعناه حوالي ١٢٩٠ ق.م، فإننا لا نكون قد حدنا

عن الصواب؛ وذلك لأن السنين الأولى من عهد «رعمسيس الثاني» كانت قد قامت فيها عمارة بلد «بررعمسيس» (قتير الحالية) على قدم وساق وهي التي سماها الإسرائيليون «رعمسيس». (٢٠٠)

والواقع أن هذا الرأي على ما يظهر هو أصوب الآراء التي استعرضناها حتى الآن، غير أن الأستاذ «أولبريت» قد أخطأ في تفسير «بررعمسيس» «بتانيس»؛ إذ إنما هي «قتير» الحالية، وسنرى بعد أن سير بني إسرائيل عند خروجهم كان من «قتير»، وأن هذه كانت بداية الطريق المعقولة لخروجهم.

(٦-١) الطريق التي سلكها بنو إسرائيل عند خروجهم من مصر

تحدثنا فيما سبق عن آراء العلماء في موضوع طرد بني إسرائيل من مصر، وما ذكر فيه من آراء متضاربة، وجدال لا يزال بابه مفتوحاً حتى الآن، ولم يثبت في التاريخ حدوثه بصفة قاطعة؛ لقلة المصادر الحاسمة في هذا الصدد، اللهم إلا ما جاء عن طريق الكتب المقدسة، أما مسألة الطريق التي اتخذها هؤلاء القوم عند مغادرتهم البلاد المصرية إلى فلسطين فقد ظهر أنها أكثر تعقيداً من تحديد تاريخ خروجهم، وقد زاد تعقيداً أنه عند تطبيقه على ما جاء في الكتب الدينية، وما أظهره «موسى» من معجزات في أثناء سيره في طريقه إلى «فلسطين» وبخاصة اختراقه البحر يجعل المؤرخ الذي لا يستند إلا على آثار مادية أو كتابة معاصرة لها يقف مكتوف اليدين، معقود اللسان، لا يحير جواباً شافياً، ومن أجل ذلك كان هذا الموضوع الشائك هدفاً لبحوث طويلة، ونظريات خلافة عديدة طرحها الباحثون على مختلف أنواعهم، فنجد منهم الأثري مثل «بروكش» و«فلنדרزيتري» و«نافيل» و«هول» و«جاردنر» و«أولبريت». ومنهم المهندسون مثل «لبنان دي بلفوند» و«ولكس» و«هنري براون». ومنهم الكيميائيون مثل «لوкас». وكذلك منهم الضباط الحربيون مثل الكولونل المساعد «روبرتسون»، يُضاف إلى ذلك ما كتبه رجال الدين وعلماء طبقات الأرض. وقد كان آخر من تناول هذا الموضوع بالبحث الدقيق المهندس المصري «علي بك الشافعي». (٢٠١) والواقع أنه قد جمع في مقاله الآراء التي

أدلى بما في هذا الموضوع، وأضاف إليها ملاحظاته وبحوثه الخاصة، وخرج منها بنتيجة تُعد حتى الآن أحسن ما وصل إليه العلم الحديث في هذه المسألة الشائكة المعقدة، وقد ناقشت صديقي «علي بك» في هذا الموضوع، واقتنعت إلى حد بعيد بما جاء في مقاله، على الرغم من أن الموضوع في أساسه لا تزال تحوم حوله الشكوك من حيث تفاصيله، وإن كان قد أصبح من المسلم بصحته من حيث إنه واقعة تاريخية حدثت فعلاً، غير أن التقاليد والرواية قد حرفتها في كثير من نواحيها؛ وذلك لأن كتاب العهد القديم لم يصلنا بروايته الأولى التي وُضع عليها أولاً؛ إذ ليس له أسانيد يرتكن عليها، كما نجد ذلك في الأحاديث التي رُويت عن «عُمد» - عليه السلام - وهي التي على الرغم من أسانيدها قد وصل بعضها محرفاً أو مفسوساً.

وسنحاول هنا أن نضع صورة واضحة لهذه الطريق بقدر المستطاع، وسيكون أساسنا في ذلك المصور الجغرافي الذي وضعه «علي بك شافعي» شرحاً لمقاله الممتع الذي سنسير على هديه في كثير من النقاط.

وتدل شواهد الأحوال - على الرغم من كل ما قيل عن طرد بني إسرائيل من مصر - على أن هذا الحادث لم يكن ذا تأثير مستمر في كراهية المصريين لشعب بني إسرائيل، فقد كان في المجتمع المصري طوائف يهودية منتشرة في طول البلاد وعرضها حتى «إلفنتين» (أسوان) جنوباً في مصر القديمة، وقد كانوا أحراراً في إقامة معابدهم وعبادة إلههم «يهوا» دون أية مضايقة أو اضطهاد من جانب المصريين، فقد جاء في الشكوى التي قدمتها طائفة اليهود عام ٤٠٧ ق.م إلى حاكم اليهود المسمى «باغوس»، بسبب هدم كهنة الإله «خنوم» رب الشلال معيدهم، والتي قالوا فيها: إن معبد «يهوا» هذا كان قد أقامه آبائهم في عهد ملوك مصر، وعندما سار «قمبيز» بجيشه على مصر وجد هذا المعبد مقاماً هناك، وعلى الرغم من أن كل معابد آلهة المصريين قد خربت فإنه لم يمد أي إنسان يد الأذى إلى المعبد السابق الذكر. (٢٠٢)

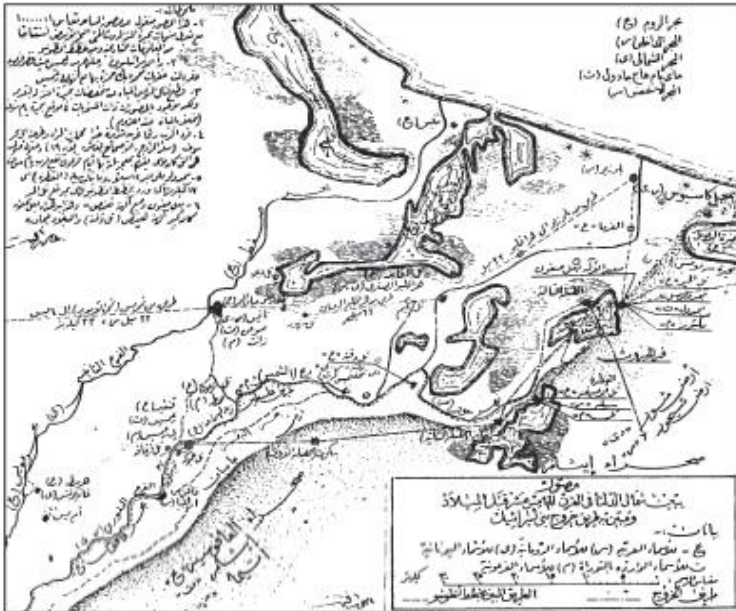
وأهم ما تجب ملاحظته في موضوع خروج بني إسرائيل واقتفاء الطريق التي سلكوها

حتى وصلوا إلى «فلسطين»، أن تكون طوبوغرافية البلاد متمشية مع قصة الخروج، وكذلك الخطوات التي اتبعوها.

والواقع أن هذه القصة قد قُصت في وقت لم تكن الأحوال الجغرافية قد تغيرت في مصر فيه. فأسماء البلاد المصرية كانت عند خروج بني إسرائيل كما هي، وكذلك التفاصيل الصغيرة التي جاء ذكرها في سياق الكلام، مثل الطوار الذي كان بجانب حصن «دفنة» (إدفيانا)، وهو الذي جاء ذكره في التوراة، فقد كشف عنه حديثاً «فلندرزيتري»^(٢٠٣).

ويرجع الفضل إلى أعمال الحفر والبحوث التي قامت حديثاً في «قنتير» وتوجيهها مع «بررعمسيس» وما كتبه الأستاذ «جاردنر» و«بتري» في تسهيل عمل مصور جغرافي للطريق التي سلكها هؤلاء القوم في هجرتهم من مصر إلى «فلسطين»، وقد بدءوا طريقهم من بلدة «رعمسيس» (قنتير)، التي كانت وقتئذ مقر قصر الفرعون وكان موسى يحاور الفرعون فيها، ويلتمس منه السماح لقومه بالخروج من مصر، وقد أمضوا الليلة الأولى في بلدة «سكوت» (تل اليهودية)، وعسكروا الليلة الثانية في «إيتام» على حافة الصحراء، وبعد ذلك حوّلوا طريقهم وضربوا خيامهم في الليلة الثالثة أمام المكان المعروف باسم «فم الحیروت» بين «مجدول» والبحر، وفي هذا المكان لحقهم الفرعون وجيشه في عرباته التي كانت تجرها الصافنات الجياد، يمتطيها الفرسان الذين كانوا من خيرة جنوده، وقد استولى الفزع على بني إسرائيل عندما رأوا الفرعون وجنوده، وعندئذ رفع موسى يده إلى الله فأرسل الله لإغاثته هو وقومه ريحاً شرقية عاتية هبت طوال الليل، وفي الصباح جف مجرى البحر المسمى آنئذ ببحر «يام سوف» - أي يم سوف أو بحر سوف، ومعنى كلمة سوف: البوص - وقد تُرجم خطأ بالبحر الأحمر أو بحر القلزم، فعبروه واستمروا في سيرهم، مما برهن على أن البحر لم يكن عميقاً ولا واسعاً، وقد قاس «علي بك شافعي» عرض خليج السويس قبالة الطور في المكان الذي عبر فيه الكولونيل المساعد «روبرتسون» ووجده حوالي ثلاثين كيلومتراً، مما يبرهن على أن اختراقه من المستحيل، وبعد ذلك ساروا في صحراء «إيتام» مدة ثلاثة أيام دون أن يجدوا ماء، وهذا يبرهن على

أنهم لم يسلكوا المنطقة الرملية ذات العيون المائية المتعددة المتكونة من مياه المطر الساقط على الساحل، ولا بد أنهم كانوا قد ساروا جنوباً، ومن البدهي أن موسى كان مولباً وجهه شطر «مدين» حيث كان حموه وزوجته. ومما سبق نلاحظ أن القصة بسيطة في ذاتها إذا استطعنا أن نجد المدن والأماكن التي مروا بها، وكذلك إذا أمكننا في الوقت نفسه أن نبرهن على أنها تتفق مع متوسط المسافة التي تقطعها قبيلة في سيرها يومياً.



وهاك أسماء المدن والأماكن كما ذُكرت في التوراة:

- (١) «رعمسيس»، (٢) «سكوت»، (٣) «بيداء إيتام»، (٤) «طريق الفلسطينيين»، (٥) «قم الحبروث»، (٦) «بحر سوف»، (٧) «مجدول»، (٨) «بعل زيفون».

وكل هذه الأماكن قد حققها «علي بك شافعي» ووضعتها على مصوره الجغرافي الذي يتفق مع الأحوال التي كانت سائدة زمن الخروج بقدر المستطاع، وعلى حسب

أحدث البحوث (راجع المصور الجغرافي). وهذه البحوث تشمل درس رواسب شمال الدلتا وتآكل البحر، كما أظهر ذلك على المصور الذي وضعه «ببليموس» عام ١٤٢ قبل الميلاد، وقد حُفظت منه صورة في «الفاتيكان»، وقد ساعد على وضع هذه الخريطة ما كتبه الأستاذ «جاردنر» و«فلندرزيتري» عن الطريق الحربية من مصر إلى فلسطين (راجع مصر القديمة ج٦).

وستتناول بالبحث هذه الأماكن واحدًا فواحدًا على حسب ترتيبها الطبيعي:

(أ) بلدة «رعسميس»

برهنت البحوث الحديثة على أن هذه البلدة هي «بررعسميس» التي وُجدت بقاياها في «قنتير» الحالية، وكان قد اتخذها «رعسميس الثاني» مقرًا لحكمه في شمال الدلتا، وقد أسهبنا القول في وصفها، والبحوث التي كُتبت عنها في الجزء السادس من مصر القديمة فلتراجع ثم. وقد كتب «جوتيه» عن هذه البلدة: (٢٠٤) أنها كانت المقر الصيفي لكل من ملوك الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين تقريبًا ومن بينهم «سيتي الثاني»، وقد وجد الأستاذ «حمزة» في «قنتير» لوحة باسم «سيتي الثاني»، وجاء في قصة الراهبة «أثيريا» - وهي السيدة التي قامت بأداء فريضة الحج من «جاليا نربونس Gallia Narbunis»، وحفظت رواية أسفارها في البلاد المقدسة (٥٣٣-٥٤٠م) في مكتبة «أرزو»؛ أن بلدة «رعسميس» تقع على بعد أربعة أميال من «أرابيا». (٢٠٥)

وبلدة «أرابيا» على حسب المصور الجغرافي الذي وضعه الأمير «عمر طوسن» باشا نقلًا عن وصف «جرجس القبرصي» الذي عاش في نهاية القرن السابع الميلادي هي «فاقوس» وكذلك جاء في قائمة الأبرشيات (المقاطعات) المحفوظة في «أكسفورد» أن «أرابيا» هي «فاقوس».

ونحن من جانبنا نعلم أن «فاقوس» تقع على مسافة خمسة أميال من «قنتير» بيد أن خرائب «تل الضبعة» ومعبد «أمنمحات الأول» وأحدهما على اليمين، والآخر على

الشمال من ترعة «الديدمون» ويقع كل منهما على نفس المسافة من «فاقوس»، ومن المحتمل أنهما امتداد للخرائب التي لا نهاية لها التي تتحدث عنها هذه السيدة الحاجة، وهاك ما قصته: ولكن بلدة «أرابيا» على بعد أربعة أميال من «رعمسيس» ولكي نصل إلى «أرابيا» وهي محط رحالنا كان علينا أن نخترق وسط «رعمسيس»، وبلدة «رعمسيس» هذه تتألف من حقول لدرجة أنها لا تشمل مسكنًا واحدًا.

حقًا إنما كانت ظاهرة للعيان لأن سورها كان ضخماً وفيه مبانٍ عديدة، وعلى أية حال فإن مبانيها ساقطة على الأرض وتظهر الآن كأنها لا نهاية لها، بيد أنه لا يوجد شيء الآن منها إلا حجر ضخم طيبي قد نُحِت فيه تمثالان ضخمان يُقال إنهما للقديسين «موسى» و«هارون»؛ لأنه يُقال: «إن بني إسرائيل قد وضعوهما هناك تذكيرًا لهما.»

والرأي المرجح الآن هو أن «قنتير» كانت عاصمة الملك المسماة «بررعمسيس» وهذا يتفق مع الطريق التي سلكها بنو إسرائيل.

(ب) سكوت (تل اليهودية)

كانت أول مسافة قطعها بنو إسرائيل في هجرتهم من «قنتير» إلى «سكوت» وهي التي يجب أن نبحت عن موقعها بين الخرائب المجاورة للصاحية؛ إذ قد ذُكر في التوراة: أنهم لم يسلكوا طريق «فلسطين» (راجع سفر الخروج الفصل الثالث عشر السطر الثالث عشر): ولما أطلق فرعون الشعب لم يصيرهم الرب في طريق أرض «فلسطين» مع أنه قريب؛ لأن الله قال: لعل الشعب يندمون إذا رأوا حربًا فيرجعون إلى مصر.

وهذه المسافة تبلغ نحو عشرين كيلومترًا، هذا مع العلم بأنهم قد بدءوا خروجهم في شهر أبريل. (راجع سفر العدد ٣٣: ٢).

وقد غادروا «رعمسيس» في الشهر الأول في اليوم الخامس عشر منه، وفي اليوم التالي للخروج ذهب بنو إسرائيل إلى الخارج بيد سامية أمام كل المصريين. وبعد الفيضان عندما يكون النيل في منسوب منخفض وكل الحياض جافة؛ يستطيع الإنسان أن يفهم

كيف كان من السهل عليهم أن يسيروا دون أن يبتلوا، وكان كذلك في استطاعتهم أن يعبروا أية ترعة أو مصرف يعترضهم في طريقهم، والواقع أنه كان من الصعب على «موسى» وقومه، ومعهم قطعانهم أن يعبروا بهم في قوارب وقت الفيضان، ويقطعون في يوم واحد عشرين كيلومتراً.

وأهم برهانٍ يمكن الاستناد عليه في تحقيق موقع بلدة «سكوت» وأنه عند «الصالحية»؛ قد استقيناه من ورقة «أنسطاسي» التي يرجع عهدها إلى الأسرة التاسعة عشرة، وهي التي تصف لنا «سكوت» بأنها أرض متاخمة؛ أو على الحدود ويسكنها أجنب، وفيها قلعة تُدعى «ختم سكوت» ومستنقعات تُعرف باسم بحيرات «بتوم مرتباج» التابعة لبلدة «سكوت» وهذه البحيرات لا تخرج عن كونها بحيرة «مهير» ومستنقعات «سعد» و«أكباد» وقد كان الفراغة مغرمين بالصيد والقنص في أعشاب هذه المستنقعات، وكانوا يستعملون قوارب من الغاب للسير فيها، ولا يبعد أنها كانت مخصصة لفراغة الرعامسة الذين كانوا يسكنون «قتير» على مسافة خمسة عشر كيلومتراً من الشمالي الغربي لهذه الجهة.

والطريق إلى «فلسطين» من «بررعمسيس» لا بد أن يكون بمحاذاة الشاطئ الأيمن للنهر؛ غير أن التوراة تقول: إن بني إسرائيل لم يسيروا فيها على الرغم من قربها، ولما كان موسى يخاف على قطيعه وكذلك كان يخشى أن يتبعه الفرعون وجنوده فإنه اتخذ طريق الصحراء بدلاً من طريق «فلسطين».

وقد أسعفتنا وثيقة أخرى من أوراق «أنسطاسي» في تحديد بلدة «سكوت»، وهذه الورقة خاصة بحرب عبد من القصر الملكي جاء فيها (راجع كتاب الأدب المصري القديم ج ١): وبعد، فقد أرسلت من بلاط القصر الملكي وراء هذين العبدین في اليوم التاسع من الشهر الثالث من فصل الصيف وقت المساء. ولما وصلت إلى حصن «سكوت» في اليوم العشرين من الشهر الثالث علمت بأن أخبار الجنوب تقول: قرأ ذاهبين... اليوم... من الشهر الثالث من فصل الصيف، ولما وصلت إلى القلعة أخبرت

أن السائس قد حضر من الصحراء (وأعلن أنهما تخطيا الحدود شمالي حصن «مجدول سיתי» ... الخ).

وليس لدينا قصور ملكية إلا في «قنتير» و«سكوت» لا تبعد إلا مسيرة يوم واحد من «قنتير» وهي في اتجاه الصحراء، وهي الطريق الوحيدة التي يتمكن الهاربون من القصور الملكية من اتخاذها.

(ج) سكوت (تل اليهودية)

والمرحلة التالية من سير بني إسرائيل هي من «سكوت» إلى «إيتام»، والأخيرة ليست بلدة بل «بيداء» كما وُصفت في التوراة (سفر العدد ٢٣ : ٢) : وغادروا من أمام «قم الحبروث»، ومروا من وسط سطح البحر إلى صحراء، ومكثوا مسافرين في صحراء «إيتام» ثلاثة أيام، وضربوا خيامهم في «مارا».

ومن ذلك نعلم أن «إيتام» ببداء وهي العبرية «مدبار»، ومعناها صحراء أو ببداء حيث ترعى الغنم، وكان معسكرهم في «إيتام» على حافة الصحراء (راجع سفر الخروج ١٣ : ٢٠) : ثم ارتحلوا من «سكوت» ونزلوا من «إيتام» في طرف البرية.

وهذا الوصف يؤكد لنا ماهية «إيتام» دون أي شك، وقد كانت أرض «إيتام» (إدوم) يسكنها العرب البدو الذين يسميهم المصريون «شاسو»، وقد كانوا ينزحون حتى الحدود المصرية جرياً وراء الكلاً عندما تتنكر لهم السماء وتحجب مطرها دوتهم، وقد جاء ذكر أهل «إيتام» (إدوم) في ورقة «أنسطاسي» كما ذكرنا ذلك من قبل (راجع مصر القديمة ج٦).

(د) طريق الفلسطينيين

وصف لنا «سيتي الأول» عودته المظفرة من أرض «كنعان» على جدران معبد الكرنك بعد حروبه التي شنها على «الشاسو» وقد أسهبنا القول في وصف هذه الطريق

(راجع ج ٦).

وتدل شواهد الأحوال على أن الفرع الرئيسي للمواصلات بين مصر وفلسطين كان فرع «بلوزيم» فقد كان يمتد إلى ما وراء «دفنة» (إدفينا) و«هرقلة»، ومن ثم إلى «بلوزيم»، وقد كان هناك فرع يأخذ ماءه عند «دفنة» ويسير حتى «ثارو» (تل أبو صيفه). والمصور الذي وضعه لنا «سيتي الأول» ممثلًا بالمصور تظهر فيه بلدة «ثارو» وقد جعل مكانها على مجرى فيه تماسيح ليبرهن على أنها عند نهاية الملاحة النيلية، وفي شرق «تل ثارو» توجد بلدة «مجدول»، وقد كانت أول الأمر معروفة على الطريق المؤدية إلى «فلسطين»، ولا بد إذن أنها كانت على حافة الدلتا، وتحداثا التوراة عن مكان يُدعى «سافنة» (أسوان) وآخر يُدعى «مجدول» بوصفهما الحدين لمصر جنوبًا وشمالًا، وسنرى بعد أن «مجدول» هذه هي «مجدول» التي عبر الإسرائيليون عندها الماء في طريقهم إلى فلسطين، والطريق التي اتخذها «سيتي» إلى «فلسطين» فيها عدد من الآبار في الصحراء (راجع مصر القديمة ج ٦ حيث تجد وصفًا مسهبًا لهذه الطريق وعيون الماء فيها). والآن يتساءل المرء، لماذا لم يختَر بنو إسرائيل طريق فرع «بلزيم» ثم يسرون في محاذاة البحر؟ الواقع أن سبب ذلك يرجع إلى وجود مساحات جبلية على الساحل تُسمى جبل «كاسيوس»، وفي جنوب هذا الجبل توجد بحيرة «سربونيس» ويعتقد «علي بك شافعي» أن جبل «كاسيوس» كان يتألف من كتبان رملية تكدست هناك، كما يُشاهد في «بلطيم» وقد وصفها لنا الحسن الخط المؤرخ «هيرودوت» كما وصف لنا البحيرة، ومن خليج «بلنثيتيك Plinthitic» حتى بحيرة «سربونيس» التي تمتد إلى سفح جبل «كاسيوس» واحد وثمانون ميلًا. (٢٠٦)

وبعد «يونوس» أتى السورين ثانية وساروا حتى بحيرة «سربونيس» بالقرب من المكان الذي يدخل فيه جبل «كاسيوس Cassios» في البحر.

ولهذا السبب كانت بداية الطريق البرية إلى «فلسطين» هي قلعة «ثارو»، ويُلاحظ أن غربي «ثارو» كان فرع النيل الصالح للملاحة حتى «دفنة» وكل بلاد مصر، وقد كان

شاطئا النيل في تلك الأزمان هما الطريقان البريان، وكان الفرع المتجه نحو «ثارو» يُدعى «ماء حور» في حين أن الفرع البلوزي الأصلي كان يُسمى «ماء رع».

(هـ) فهم الحيروث

كان «حور» الإله المحلي لبلدة «ثارو»، وكان يُسمى على الآثار التي عثر عليها هناك «سيد شاسو» أو «المستنقعات»؛ لأنها تقع بين بحيرات البلح وبحيرة المنزل. وقد جففت «قناة السويس» هذه المستنقعات؛ لأن مياهها في مستوى ماء البحر، وقد منعت كل مياه النيل عن المستنقعات الواقعة شرقيها، والمقاطعة التي تقع فيها «ثارو» تُسمى «مسن»، وكان «حور» يُدعى هنا سيد «مسن».

وبلدة «ثارو» لا تقع على الفرع البلوزي كما يدل على ذلك مذكرات «أنتونين»، ولكن من جهة أخرى يقول إن بلدة «دافني» تقع عليه، وهذا هو السبب الذي جعل «جاردنر» يسمي هذا الفرع مياه «حور»، وقد جاء ذكرها في خطاب الكاتب «بييسا» (راجع ج ٦)، وكان الملح الذي يأتي منه يُستخرج من بحيرات البلح ومن الجزء الجنوبي الشرقي لبحيرة المنزل، وكان ماء هذا الفرع من النيل يصب فيهما - ولم يكن لهذه البحيرات منفذ إلى البحر، ولذلك أصبحت مياهها ملحة، كما هي الحال في كل البحيرات التي لا منفذ لها إلى البحر، وهذا الملح هو الذي كان يتحدث عنه الكاتب «بييسا» في خطابه، وفي عصرنا تُستخرج كميات عظيمة منه من بحيرة المنزل عند «دمياط»، وقد رسمه «علي بك شافعي» في مصوره الجغرافي شمالي «ثارو» قليلاً فجعل مياهه تنصب في منخفض كتب عليه: «يمكن ملؤه بالماء إذا احتاج الأمر». ويمكن ترجمة اسم مصب هذا الفرع من الإغريقية بعبار «فم حور» وهذه التسمية لا تختلف كثيراً عن تسمية «فم الحيروث». وجاء في التوراة: «تكلم إلى بني إسرائيل حتى يتحولوا ويعسكروا أمام «بيها هيروث»، بين «مجدول» والبحر». وعلى ذلك كان على «موسى» ألا يسير في خط مستقيم؛ ولذلك وصل أمام «فم الحيروث» بعد مسيرة يوم واحد.

(و) بحر سوف «يامر سوف»، أو «يمر البوص»

يعتقد كثير من الكتاب الذين تناولوا موضوع خروج بني إسرائيل أن «بحر سوف» هذا هو البحر الأحمر، بيد أن الحقائق التاريخية والبحوث الحديثة تكشف عن غير ذلك، وسنتحدث هنا عن كل ذلك ببعض الاختصار.

كُتبت التوراة في الأصل باللغة العبرية، وفي خلال القرن الثالث قبل الميلاد أمر «بطليموس» الثالث على ما يُقال بترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الإغريقية، وهذه الترجمة تعرف بالترجمة السبعينية نسبة إلى الكهنة السبعين الذين ترجموها، ومما يؤسف له جد الأسف أنه لم تصل إلينا نسخة واحدة من الأصل القديم الذي ترجم عنه، وأقدم نسخة لدينا بالعبرية يرجع عهدها إلى القرن العاشر الميلادي، وبالموازنة بين النسختين وجد أنه لم تحدث اختلافات كبيرة بين نسخة القرن الثالث قبل الميلاد المترجمة ونسخة القرن العاشر بعد الميلاد. وحيثما وُجدت فروق فإنها أتت عن طريق المترجمين الذين أرادوا أن يتصرفوا في ترجمتهم بدلاً من تتبع الترجمة الحرفية، ومن ذلك أنهم وضعوا بدلاً من عبارة «يام سوف» (بحر سوف) عبارة «البحر الأحمر» أو «بحر القلزم»، ولا نزاع في أن هذا التغيير كان ذا أثر يَبين فيما كتبه أولئك الذين فحصوا هذا الموضوع، كما ظهر أثره كذلك في بحوث علماء الآثار الذين قاموا بأعمال الحفر في خرائب «وادي طميلات»، فمثلاً نعلم أن وجود تمثال «رعمسيس الثاني» قد جعلهم يعتقدون أن خرائب «تل المسخوطة» هي «بررعمسيس»، وكذلك لما رأوا السور الضخم الذي بُني حول المعبد من اللبن في هذه البقعة تأكدوا أن الإسرائيليين كانوا مسخرين ههنا لصنعها.

وقد كان خروج بني إسرائيل من الموضوعات الخالصة في عصرنا لكل طائفة من العلماء الباحثين، فنجد مثلاً «لينان دي بلفون» الذي كان عمله الأصلي درس قناة السويس البحرية قد اندفع إلى درس خروج بني إسرائيل^(٢٠٧) ولكي يصل إلى حل مشكلة البحر الأحمر وعبره جعله يمتد شمالاً حتى بحيرة التمساح ليجعل التفاصيل التي ذُكرت في التوراة مطابقة للواقع.

وفي عام ١٩٣٦ قام «روبرتسون» بعبر خليج السويس، ولكنه كان على نقيض «لينان»؛ إذ نجد الأخير قد رفع مستوى البحر الأحمر وجعله يصل حتى بحيرة التمساح، على حين أن «روبرتسون» قد خفضه بما يتراوح بين خمس عشرة وعشرين عقدة ليجعل عبره من قبالة الطور ممكنة، وبذلك يقدم للناس اتساعاً معقولاً بين سلسلة الجبال المعروفة باسم «جلال» الشمالية والجنوبية، غير أن كل هذه النظريات السمجة المتكلفة قد تلاشت أمام الكشف الحديث الذي أثبت أن «بررعسميس» هي «قنتير» الحالية، ونظرة بسيطة إلى المصور الجغرافي تفسر ما نقصده من ذلك.

ولا تزال كلمة «سوف» باقية في المتون العربية والعبرية، وتعني بالعبرية (البوص)، وهي نبات يكثر وجوده في المياه الضحضاحة في بحيرة المنزلة، وعند مصبات الترع والمصارف بخاصة، ولا يزال يعيش عليه حتى الآن قطعان من البقر عند فم مصرف بحر البقر، وقد ذكر لنا الكاتب «بييسا» أن «بررعسميس» كانت تأخذ حاجتها من البردي من المستنقعات، كما كانت تأخذ حاجتها من البوص من مياه «حور» والبردي الذي يُسمى الآن «سمار» ينمو عادة في المياه الحلوة نسبياً، ولكن البوص لا ينمو إلا في المياه المالحة تقريباً كالتي في البحيرات، ولهذا السبب يقول الكاتب «بييسا»: إن مياه «حور» كانت تنتج ملحاً، ولا تزال حتى يومنا هذا عادة إقامة أكواخ من البوص شائعة، كما يُشاهد ذلك في «رأس البر» حيث يقيم عظماء القوم عششهم في فصل الصيف من هذا النبات لسهولة تخلل هواء البحر العليل سيقانه، وذكر لنا «بييسا» أن البوص كان يُجلب من مياه «حور» مما يدل على أنه كان ينمو بكثرة في هذه الجهة وبارتفاع عظيم حتى إن بني إسرائيل سموا هذه البحيرة باسمه «يام سوف»، يُضاف إلى ذلك أن كلمة «سوفي» معناها بالمصرية القديمة «البردي» وهو نبات ينبت في الدلتا والحدائق وتُصنع منه الحصر، وهذه الكلمة لم تظهر في اللغة المصرية القديمة إلا في عهد الدولة الحديثة، ويُسمى كذلك بالعبرية «سوف»، وعلى ذلك فإن «يام سوف» يقع في شرقي «تانيس» و«بررعسميس»، فقد ذُكر في التوراة أن الله أرسل رجلاً غريبة ليعبد وباء الجراد فأقصته عن حقول «تانيس» إلى «بحر سوف» الذي تُرجم خطأ بالبحر الأحمر أو بحر

القلزم:فرد الرب ريحًا غربية شديدة جدًا فحملت الجراد وطرحته في «بحر القلزم» ولم تبَقْ جراداة واحدة في كل تخوم مصر

(راجع سفر الخروج ١٠: ٢٠).

ويُشاهد على المصور الجغرافي الذي وضعه «علي بك شافعي» أن «يام سوف» تقع على نفس خط عرض «تانيس» وأن امتداده هو بحيرات البلح قبالة «قنتير».

(ز) مجدول

ذكرنا فيما سبق أن التوراة قد جعلت كلاً من بلدتي «سفنة» و«مجدول» حدًّا جنوبيًّا وشمالياً لمصر على التوالي، والمقصود بذلك الحد الجنوبي والشمالي لمصر من جهة بلاد «كنعان»، ويدل على ذلك مصور «سيقي الأوّل» الذي وضع «مجدول» قبل بلدة «ثارو» على الطريق من «فلسطين» ولم يضعها على مجرى ماء قابل للملاحة مثل «ثارو» وقد كانت معروفة بأنها أول بلدة مصرية على الطريق المؤدي إلى «فلسطين»، وقد جاء ذكرها في مذكرات «أنتونين» على الطريق من «سرابيو» - الواقعة عند نهاية وادي طميلات حتى «بلزيو» - وقد جعل «بيري» «تل الهر» المكان الذي يُحتمل أن يكون هو موقع «مجدول» والقلعة العربية التي على هذا الموقع الآن لا بد أنها أقيمت على مبنًى قديم من هذا النوع يُسمى بالعربية «مجدل» أو «برج» (راجع ما كتبه علي بك شافعي عن هذا المكان).

(ح) بعل زيفون

لقد بقي اسم «بعل زيفون» سرًّا غامضًا على أولئك الكتاب الذين كتبوا عن خروج بني إسرائيل إلى أن كشف حديثًا في «سقارة» عام ١٩٤٠م عن ورقة فينيقية في إحدى الآبار الأثرية ومعها أوراق ديموطيقية، وقد كتب عن محتوياتها الأثري «نويل جيرون»^(٢٠٨) ولما كانت إحدى الأوراق الديموطيقية قد ذكرت الملك «أحمس الثاني»،

وكذلك كانت بعض مميزات الورقة الفينيقية تشير إلى أنهما من عهد واحد، فقد استنبط «جيرون» أن هذه الأوراق قد كُتبت خلال القرن الخامس قبل الميلاد. وتدل محتويات الورقة الديموطيقية على أنها خطاب شخصي يتضرع فيه كاتبه إلى الإله «بعل زيفون» وكل آلهة «دافني» (أدفيينا)، وهذا يدل على أن «بعل زيفون» كان الإله الرئيسي لبلدة «دافني» وقد ختم «جيرون» مقاله بقوله إذا قبلنا النظرية القائلة: إن «مجدول» هي «تل الهر» وأن «يام سوف» هي بحيرة المنزل فإن «بعل زيفون» كان إذن هو الإله الرئيسي لهذا المكان.

(٦-٢) خط سير بني إسرائيل من حدود مصر إلى فلسطين

هذا من جهة مصر، أما عن «سينا» و«نجب» فلسطين وهي الأماكن التي مرَّ بها بنو إسرائيل في طريقهم إلى الأرض الموعودة، فقد أُلقت الاكتشافات الحديثة بعض الضوء على جغرافيتها، والواقع أنه لم يكن يوجد حتى ذلك العهد مدن ومعسكرات ثابتة إلا في «إيتام» على ما يظن، فقد كشف «نلسن جلوك» موطنًا ثابتًا يرجع عهده إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وكذلك في المكان القديم المسمى «إزيون جبر» الآن - وهو القريب من «العقبة» - دلت الحفائر التي قام بها الأثري (١٩٣٩-١٩٤٠) على أن أول مبانٍ كانت قد أُقيمت على أرض بكر في هذه الجهة يرجع عهدها إلى القرن العاشر ق.م. وفي «قادش برنيا» (عين القديرات) ظهر أن أقدم حصن فيها يرجع تاريخه إلى القرن العاشر أيضًا. أما في «سينا» نفسها فقد وُجدت مناجم من النحاس مشغولة في جهات متفرقة في «وادي مغارة» وفي «سرابة الخادم»، غير أن الأولى كانت - على ما يظهر - قد هُجرت بعد الدولة الوسطى في حين أن الأخرى كانت قد ثمرت بدرجة عظيمة في عهد الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين حتى عهد «رعمسيس الخامس» حوالي عام ١٩٤٠ ق.م، وقد وُجدت للفرعون «رعمسيس الثاني» بوجه خاص نقوش كثيرة هناك، وقد كشف عنه «بترتي» عام ١٩٠٥ م، و«استار» عام ١٩٣٠. ونعلم من الفخار الذي جمعه «جلوك» من حول مناجم النحاس في «عرابة» الواقعة جنوبي «إيتام» أنه كانت تقوم هناك أعمال

عظيمة في عصر الحديد المبكر، بيد أنه لا يمكن تحديد تاريخ بعينه لذلك. ولما كان إقليم «مدين» الواقع في الجنوب، والجنوب الشرقي من «العقبة» أغنى بكثير في النحاس الغفل من كل من «سينا» و«إيتام» فإنه لا يبعد أن يكون أهل «موسى» قد بدءوا تثمينها وبخاصة أنه كان بالقرب منهم عملاء ممتازون لشراء هذا المعدن، وأعني بذلك مصر وكنعان، وقد أصبح من المعروف على حسب التقاليد الإسرائيلية المعروفة أن «موسى» قد تزوج من ابنة كاهن مديني يُدعى «جنترو» أو «روئيل» على وجه التأكيد؛ إذ قد جاء ذكره في مناسبات مختلفة؛ هذا إلى أن أسرة «هوبان» بن «روئيل» وصديق «موسى» قد اعتنقا الديانة الإسرائيلية (راجع سفر العدد فصل ١٠ سطر ٢٩، وسفر القضاة ٤: ١١) وكانت عشيرة مدين فضلاً عن ذلك تُنعت كثيراً بلفظ «القنينين» (أي النحاسين) جاء في سفر التكوين ٤-٢٢:

و«صلة» أيضاً ولدت «توبل قاين».

وهو أول صيقل لجميع المصنوعات النحاسية والحديدية.

وبالاختصار نفهم من كل ما سبق أن بلاد «سينا» وبلاد «مدين» كانتا في ذلك الوقت بعيدتين عن رعاة الجمال المتوحشين، وكان يسكنهما قبائل شبه متوطنة تربطهم بمصر وكنعان روابط صناعية وتجارية.

ومما يستحق الملاحظة هنا أن الجمال لم تُذكر في أسفار «موسى» الخمسة إلا مرة واحدة، هذا إذا ضربنا صفحاً عن ذكرها في بعض فقرات قليلة في غير موضعها التاريخي في سفر التكوين أو عند ذكرها مع الحيوانات النجسة، ومن ثم نعلم أن الإسرائيليين الذين سُردوا في الصحراء كانوا على وجه التأكيد يستعملون الحمير في أسفارهم، وعلى ذلك كانوا مقيدين بالسير في طريق مثل التي حددت لهم في سفر العدد ٣٣، حيث نجد أنهم لم يسيروا قط بعيداً عن الواحات أو عن مراعي أرض «نجب» وشرق الأردن. (٢٠٩)

والآن بعد كل هذه الإيضاحات التي كان لا بد منها عن الأماكن التي مر بها هؤلاء

القوم يمكننا أن نتبع طريق خروجهم واقتفاء أثرهم يومًا فيومًا (انظر المصور الجغرافي Bull. Soc. Geog. XXi P. ٢٧-٦).

(أ) اليوم الأول

ثم ارتحل بنو إسرائيل من «رعمسيس» إلى «سكوت» بنحو ستمائة ألف ماشٍ من الرجال خلا الأطفال.

(سفر الخروج ١٢: ٣٧)

ويقول السير «فلنדרزبيري» في كتابه عن إسرائيل:

والكلمة المترجمة هنا بلفظة ألف لها أحد المعنيين: ألف، أو أسرة.

وعلى ذلك يُخفض العدد إلى خمسين وخمسمائة وخمسة آلاف نسمة؛ وذلك لأن عيون الماء التي كانت في طريقهم لا تكاد تمون عددًا أكبر من ذلك، ويعضد هذا الرأي حادثة القابلتين اليهوديتين اللتين طلبتا أمام الفرعون:

وكلم ملك مصر قابليتي العبرانيات اللتين اسم إحداهما «شفرة» والأخرى «فوعه» وقال: إذا استولدتا العبرانيات فانظرا عند الكراسي فإن كان ذكرًا فاقتلاه، وإن كانت أنثى فاستبقياها.

(راجع سفر الخروج ١: ١٥-١٦)

وإذا فرضنا أن عددهم ستمائة ألف بغض النظر عن النساء والأطفال فإن عددهم في مجموعه لا بد أنه كان يبلغ حوالي ثلاثة ملايين نسمة، ونحن نعلم من جانبنا أن متوسط عدد سكان القرية المصرية على وجه عام هو ألفا نسمة، فكيف يتسنى لقابلتين أن تقوما بخدمة مجتمع يبلغ ثلاثة ملايين نسمة، ولكن من المعقول أن هاتين القابلتين يمكنهما أن يرعيا شئون ستة آلاف أسرة، يُضاف إلى ذلك أن عيون الماء لم تكن كافية لمثل هذا

العدد، بل إنه لم يكن في الصحراء من خشب الوقود للطهي ما يقوم بحاجة هؤلاء القوم.

وقد كان لزاماً على الإسرائيليين في أول مرحلة من سفرهم أن يعبروا مجاري مياه، ولذلك فإنهم لو بدءوا خروجهم وقت الفيضان لكان من الصعب عليهم أن يحصلوا على القوارب اللازمة لعبورهم، وقد كانت طريقة ري الحياض مستعملة وقتئذ، وعندما تكون الحياض ممتلئة يضطر الأهليون أن يسافروا على شواطئ الحياض إذا أرادوا ألا يلفتوا الأنظار إليهم كثيراً، ولهذا السبب يظهر أنهم بدءوا خروجهم في شهر «أبريل». رخوا من «رعمسيس» في الشهر الأول في اليوم الخامس عشر منه، في غد الفصح خرج بنو إسرائيل بيد سامية على مشهد جميع المصريين.

(سفر العدد ٣٣: ٢)

(ب) اليوم الأول

وارتحلوا من «سكوت» ونزلوا «بايتام» في طرف البرية.

(راجع الخروج ١٣-٢٠)

(ج) اليوم الثالث

وفي اليوم الثالث كان محرمًا عليهم المسير نحو المشرق: وكلم الرب «موسى» قائلاً: مُر بني إسرائيل أن يراجعوا وينزلوا أمام «فم الخيروت» بين «مجدل» والبحر، أمام «بعل زيفون» تنزلون تجاهه على البحر

(راجع الخروج ١٤: ٢-١).

وهذا التحول عن الطريق المستقيم جعل المصريين يظنون أن الإسرائيليين قد احتبلوا في طريقهم، واستولى عليهم الخوف من أن يضلوا في البiddاء، وعلى ذلك نزلوا عن فكرتهم؛ لأنه في اليوم الثالث كان سيرهم في دلتا النيل، وقد كان أثر ذلك هو: وقسى

الرب قلب فرعون ملك مصر فتبع بني إسرائيل خارجون بيد سامية.

(راجع الخروج ١٤ : ٨)

(د) اليوم الرابع

وكان «موسى» حذرًا؛ لأنه على الرغم من أنه قد حصل على إذن من فرعون بالخروج من البلاد مع أتباعه كان يخاف أن يغير رأيه، ولذلك سلك طريقًا غير الطريق المعتادة، فلم يأخذ طريق الفلسطينيين على الرغم من أنها كانت قريبة كما شرحنا ذلك من قبل.

وعلى الرغم من حذره فإن الفرعون غير رأيه فعلاً وتبع موسى وقومه في ستمائة عربة من خيرة عرباته يسوقها نخبة من فرسانه، وقد لحق المصريون بالإسرائيليين في معسكرهم بالقرب من «يام سوف» ومعناها العبري حرفيًا «بحيرة البوص». واليم بالعربية: (البحر)، وخص بنيل مصر كما جاء في لسان العرب ج ٥، (ويمكن الإنسان أن يراها على المصور)، وتشغل منخفضًا قد بقي حتى الآن تحت مستوى البحر، وقد كُتب عليه في مصور المساحة المصرية «يمكن ملؤه بالماء إذا احتاج الأمر» أي إنه إذا عمل قطع في الشاطئ الشرقي من قناة السويس فإن ماء البحر يملؤه. وقد منعت قناة السويس مياه مصرف بحر البقر القديم من إمداده بمياه النيل مما منع نمو البوص فيه. ويمكن أن يؤخذ منه الملح كما كانت الحال أيام الكاتب «بييسا»، وقد أصبح موسى بهذا الموقف في مأزق حرج، فقد كانت «بحيرة البوص» على يمينه، وحصن «مجدول» بما فيه من حامية أمامه، سادًا الطريق من جهة الشمال، وعلى يساره مستنقعات فرع النيل البلوزي، وخلفه الفرعون وجنوده، فلم يكن لديه أية وسيلة غير طلب العون والرحمة من الله، وقد نالهما، وأشار بعصاه نحو البحيرة على يمينه، ثم أرسل الله ريحًا شرقية. وقد جاء في التوراة أنها ريح شرقية عاتية ظلت تهب طوال الليل، وهذه هي المعجزة، فكان الريح يهب في الاتجاه الصحيح في الوقت المناسب، وكان هبوبه شديدًا حتى جفف الأرض، وبذلك سار موسى

وقومه على اليباس: ومَدَّ «موسى» يده على البحر فأرسل الرب على البحر ريحاً شرقية طول الليل حتى جعل البحر جفافاً، وانشق الماء.

(راجع الخروج ١٤-٢١)

ولا يزال منسوب الماء حتى الآن متأثراً بدرجة عظيمة بالرياح في بحيرة «المنزلة» و«البرلس»، ويلاحظ أن الطريق من «بلطيم» حتى «برج البرلس» تُغطى بالمياه عندما يهب الهواء غرباً ثم تصبح جافة عندما يهب الهواء من الشرق، ويمكن الإنسان أن يسير عليها بالعربة.

أما موضوع غرق فرعون فهو أمر قد فهم خطأ على حسب ما جاء في الكتب السماوية، والواقع أنه لا يمكن الإنسان أن يتصور غرق الفرعون وعربته ومن معه في ماء ضحضاح لا يزيد عمقه على قدمين أو ثلاث، بل المعقول أن خيل الفرعون وعرباته قد ساخت في الأوحال وسقط بعض ركبها مغشياً عليه، وهذا يفسر ما جاء في سفر الخروج ١٤-٢٥:

وخلع دواب المراكب فساقتها بمشقة.

ومما سبق نعلم أن خرافة غرق الفرعون في البحر الأحمر وموته لا أساس لها من الصحة، وقد جاء كل ذلك الخلط من ترجمة «يام سوف» بالبحر الأحمر أو بحر القلزم، هذا فضلاً عن أن ما جاء في القرآن الكريم لا يشعر بأن الفرعون الذي عاصر موسى قد غرق ومات، بل على العكس نجاه الله بيدنه ليكون آية للناس على قدرة الخالق. والتعبير فَأَلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ يعادل التعبير العامي «خلص بجلده»، هذا ويلاحظ أن كلمة «البحر» في اللغة العربية كما جاء في لسان العرب ج ٥: «تطلق على الماء المالح والعذب على السواء»، وقد سبق أن قلنا إن اليم يُطلق على النيل، وعلى ذلك يمكن فهم الآية القرآنية التي جمعت القصة كلها في اختصار رائع على حسب ما ذكرنا من إيضاحات وبراهين سابقة: وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا

أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ *
 الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ
 آيَةً وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (سورة يونس الآيات ٩٠-٩٢).



شكل ٧: مومية مرنبتاح.

(هـ) الأيام الخامسة والسادسة والسابعة

وبعد عبر هذه البحيرة بالكيفية السابقة سار بنو إسرائيل في صحراء «شور» مدة
 ثلاثة أيام، وهكذا أحضر «موسى» إسرائيل من البحر، وذهبوا في بيداء «شور» ومشوا
 ثلاثة أيام في الصحراء، ولم يجدوا ماء.

والبيداء التي على الضفة الأخرى من «يام سوف» تُسمَّى «بيداء شور»، ونحن
 نعلم من جانبنا أن «مياه حور» التي ذُكرت في خطاب «بييس» وهي التي كان يُستخرج

منها الملح تسمى بالمصرية «شبحور» أي بحيرة (حور)، فمن المحتمل أن البيداء التي تقع شرقي هذه البحيرة كانت تسمى ببداء بحيرة «حور» (شبحور). أما باقي الصحراء التي ضل فيها الإسرائيليون ثلاثة أيام فتسمى في فقرة أخرى من التوراة «بيداء إيتام» وهذه البيداء هي الأرض الصحراوية التي على حدود الدلتا الشرقية، وكانت تسمى قديماً عند المصريين «إدوم»، وكان يسكنها «الشاسو» أي البدو، ويدل ما جاء في التوراة على أنه الموقع الذي حدده «علي بك شافعي». وكانت مساكنهم من «حويلة» إلى «شور» التي تجاه مصر (راجع سفر التكوين ٥ : ١٨). وكذلك جاء في سفر «صمويل الأول» ١٥ : ٧ وضرب «شاول» عماليق من «حويله» حتى مجيئك إلى «شور» التي تقابل مصر.

وبعد ذلك سار بنو إسرائيل في شبه جزيرة سينا و«مدین» حتى وصلوا إلى أرض «كنعان» وكانت كل هذه الجهات معمورة كما ذكرنا قبلاً.

هذه هي قصة خروج بني إسرائيل كما حدثتنا بها التوراة وكما تتبعناها على الآثار الباقية بقدر المستطاع، ونريد هنا أن نكرر القول بأن هذا الحادث كان ثانوياً بالنسبة للمصريين، حيواً عند الإسرائيليين، ولذلك لم نجده في النقوش المصرية إلا عرضاً على حين فصلت آياته في التقاليد العبرية تفصيلاً تاماً، وتدل الأحوال كلها على أن هذا الحادث قد وقع فعلاً، غير أن تفاصيله قد دُوت على حسب العقل والتفكير والتقاليد الإسرائيلية، ولذلك يصعب علينا نخله وتمحيصه من الوجهة التاريخية الحضة.

(٧) آثار «مرنبتاح»

(١-٧) مقبرة «مرنبتاح»

أقام «مرنبتاح» لنفسه مقبرة في «وادي الملوك» على مقربة من مقبرة والده «رعسيس الثاني» وقد نُهب قبره على ما يظهر بعد موته بقليل؛ ونُقلت موميته إلى مقبرة «أمنحتب الثاني» حيث وُضعت خطأ في تابوت الفرعون «ستخت». وعندما كُشف عن المكان الذي حُبئت فيه المومية في عصرنا عُرفت شخصية هذا الفرعون من كتابة خشنة

دُوت على لفائف موميته، وقد كان الكاشف لمومية هذا الفرعون الأستاذ «لوريه» عام ١٨٩٨م عندما كشف عن مقبرة «أمنحتب الثاني». وقد أُحضرت المومية إلى «المتحف المصري» عام ١٩٠٠م. ويقول الدكتور «إليوت سميث»: ^(٢١٠) إنه حتى مع عدم وجود البرهان الكتابي على كتف هذا الفرعون باسمه فإنه توجد تفاصيل عدة تحتم وضع هذه المومية في طائفة موميات «رعمسيس الثاني» و«سبتاح» و«سيتي الثاني»، وكذلك تدل هيئة المومية نفسها على أن بينها وبين كل من «رعمسيس الثاني» و«سيتي الأول» اتصالاً كبيراً في الشبه؛ وهذه الأسباب لا نشك في أن هذه مومية الفرعون «مرنتاح». ويدل جسمه على أنه كان رجلاً طاعناً في السن، ويبلغ طوله حوالي أربعة عشر ومائة مليمتر ومتر، ويدل رأسه على أنه كان أصلع تقريباً؛ إذ لم يبقَ في رأسه إلا إطار ضيق من الشعرات البيض على القفا والصدغين، هذا إلى بعض شعرات سود مبعثرة على شفته العليا، وشعرات قصرت على الخدين والذقن.

ويدل منظر وجهه العام على أن محياه يشبه «رعمسيس الثاني» في قسماته بصورة ناطقة، غير أن شكل الجمجمة وأبعاد الجبهة تتفق إلى حد بعيد مع جده العظيم «سيتي الأول».

وتدل المومية على أن عملية التحنيط التي أُجريت فيها كانت ناجحة إلى حد بعيد؛ إذ كان الجسم محفوظاً لم يشبه أي تشويه وخالٍ من اللون الأسود الذي نشاهده في موميات الأسرة الثامنة عشرة.

ويلاحظ أن الجزء اللين من الأنف قد تفرطح بعض الشيء مما شوه منظر الوجه، وقد حشا المخطون حفرة الجمجمة بعد استخراج نخاعها بقطع صغيرة من الكتان الجميل الصنع، وبعض البلسم، أما المنخران فقد حُشيتا بعجينة راتنجية، وكذلك وُضعت طبقة من نفس المادة على الفم والأذنين، كما وُضعت لطة سوداء في مكان الحاجبين، وخلافاً لذلك وُضعت طبقة رقيقة من اللون الأحمر على الوجه، ويلاحظ أن هذا اللون قد ذهب في بعض المواضع، وظهرت تحته لطة بيضاء، وكانت أذناه مثقوبتين مدة حياته، غير أن

الثقبين كانا صغيرين جدًا.

ولوحظ أن فتحة التحنيط كانت في الجنب في المكان الخاص الذي كانت تعمل فيه الأسرات التاسعة عشرة والعشرين والحادية والعشرين أي أمام الحفرة الحرقفية، وبعبارة أخرى لم تكن بعيدة إلى الخلف أو عمودية كما نجد ذلك في بعض موميات الأسرة الواحدة والعشرين وما بعدها، وقد وُضع فوق الفتحة عجيبة بلسم، ثم وُضع فوقها لوحة يُشاهد جزء من طبعتها.

وقد أُزيلت كل الأحشاء من الجسم إلا القلب على ما يظهر، ولا نعلم إذا كان المقصود هنا ترك القلب بأكمله في الجسم كما كانت العادة في عهد الأسرة الواحدة والعشرين أم لا. وعلى أية حال فلا يمكن الجزم بذلك.

وقد دل البحث على أنه كان مصابًا بالتهاب الأورطي إذ قد وُجدت طلع كلسية عليه ظاهرة.

وبدل الفحص على أنه الجسم قد عبث به اللصوص إلى حد كبير، وعلى الرغم من أن الجسم قد صار هيكلًا عظميًا يغطيه الجلد وحسب، فإن ما يلاحظ من غلظ جلد البطن والخصدين يدل على أن صاحبه كان بدينًا بعض الشيء. وقد نُظفت مقبرة هذا الفرعون في أوائل القرن العشرين على يد الأثري «كارتو»، وقد كشف عن غطاء تابوته تحت التراب في حجرة الدفن وهو الآن ظاهر للعيان في مكانه الأصلي. وقد حُفر قبره في أعماق الصخر إلى مسافة بعيدة، ويُشاهد على عتب الباب قرص الشمس وفيه الجعران الذي يمثل الشمس عند الفجر، وصورة إنسان في هيئة كبش يمثل الشمس عند المغيب. كما تُشاهد الإلهتان «إزيس» و«نفتيس» كل منهما على جانب من جانبي الباب، وبعد ذلك يهبط الإنسان في ممر منحدر انحدارًا عظيمًا، ويُرى على اليسار منظر ملون جميل يمثل الفرعون يتعبد للإله «حور-ماخت». وبعد ذلك بقليل نُقشت ثلاثة أسطر عمودية تحتوي على عنوان كتاب مديح «رع» الذي كُتب على هذا الجدار كاملاً، وبقيته على الجدار المقابل، وبعد ذلك تُشاهد صورة رمزية لقرص الشمس يمر بين الأفقيين. وفي القسم

الثاني من الممر يُشاهد على اليسار صورة الإلهة «إزيس» راکعة وبالقرب منها صورة ابن آوى (أنوب) إله الجبانة، وتحدث «إزيس» الفرعون بأنها تمد حمايتها عليه، وتمنح خيشوميه النفس، وعلى الجهة المقابلة على الجدار منظر مماثل للسابق، تأخذ فيه الإلهة «نفتيس» مكان «إزيس». وفي الممر الثالث نشاهد على اليمين صورة جميلة لسفينة الشمس تخرق العالم السفلي يجرها الآلهة، وعلى الجدار المقابل نشاهد سفينة الشمس ثانية وفيها يقف الإلهان «حور» و«ست»، ومن ثم نعلم أن «ست» في هذا العهد كان إلهًا طيبًا لا إله الشر كما هو معروف عنه. وبعد ذلك يلتوي الممر ويؤدي إلى حجرة مثل على جدرانها ملائكة وآلهة من عالم الآخرة، فنشاهد على اليسار عند نهاية هذه الحجرة صورة الإله «أنوب» يقف أمامه اثنان من الملائكة الذين يخدمون «أوزير»، وعلى الجانب المقابل صورة «حور» حامي والدته، وأمامه الملكان الآخريان.

ويمر الإنسان بعد ذلك في حجرة يستند سقفها على عمودين، وشمال الإنسان مباشرة يُشاهد الفرعون أمام «أوزير»، وفوق الجدار المتصل بذلك تلاحظ قطعة ضخمة من الطران ناتئة من السقف لم يهتم العمال بإزالتها، والحجرة التي على اليمين لم تتم بعد، ثم نصل بعد ذلك بواسطة السلم إلى الحجرة التي فيها غطاء التابوت العظيم المصنوع من الجرانيت، والظاهر أن هذا الغطاء لم يُنقل من مكانه إلى حجرة الدفن بل تُرك حيث هو لصعوبة نقله. وبعد ذلك يمر الإنسان في ممر إلى قاعة الدفن المهذمة قديمًا شديدًا، وكان سقفها المقرب محمولًا على ثمانية عمد محطم معظمها الآن، والمناظر التي على جدران هذه الحجرة قد عُثبت بها كثيرًا، ولكن الشيء الذي يلفت النظر فيها بصفة خاصة هو غطاء التابوت الداخلي الذي لا يزال موضوعًا في مكانه الأصلي، فقد كانت مومية الفرعون موضوعة في تابوت من الخشب وكان هذا التابوت داخل تابوت من الجرانيت لم يبقَ منه إلا الغطاء، وقد كان المقصود وضع هذا التابوت في آخر لا يزال غطاؤه يُرى في مكانه في حجرة أخرى كما أسلفنا، وتدل شواهد الأحوال على أنه لم يكن لدى العمال ما يكفي من الوقت للقيام بهذا العمل.

فلدينا قطعتان من الاستراكا عُثر عليهما في «وادي الملوك» نُقش عليهما متون خاصة بقبر هذا الفرعون، والاستعدادات التي اتخذت لتجهيزه في السنة السابعة من حكمه، أي السنة التي توفي بعدها الفرعون على حسب بعض الأقوال، وقد كُتبت كل منهما من الوجهين، غير أنه مما يؤسف له ضياع الجزء الأول من أسطر إحداها من الوجه، ونهاية الأسطر من الظهر، وقد أُرخت بالسنة السابعة الشهر الرابع من حكم «مرنبتاح»، وما تبقى من نقوش هذه الاستراكا نعرف بعض أسماء المؤلفين الذين كانت لهم علاقة بإنجاز هذا القبر، ونخص بالذكر منهم «بانخسي» الوزير، و«ثاي» مدير المالية.

أما الاستراكا الثانية فتبحث في نفس الموضوع، وقد ذُكر فيها حاكم المدينة والوزير «بانخسي» الذي كان يشرف على هذا العمل، وستتحدث عنه فيما بعد، وكذلك ذُكر مدير المالية «ثاي». والمتن الذي على ظاهر هذه الاستراكا يتحدث عن الكاتب «امبو محب» وعن رئيسي الشرطة «نخت مين» و«حورا» اللذين ذُكرا على الاستراكا رقم ٢٥٢٣٧ «بالمتحف المصري» ومنها مؤرخ بالسنة السادسة والستين من حكم «رعمسيس الثاني»، وقد اختفى الاسم الأخير من أسماء هؤلاء الموظفين، بيد أن لقبه قد بقي دالاً عليه، وهؤلاء الموظفون الثلاثة قد ظلوا إذن أكثر من ثماني سنين معاً في وظائفهم، وسنورد هنا ترجمة الاستراكا الثانية على الرغم مما أصابها من تهشيم ثم نفسر ما جاء عليها: السنة السابعة الشهر الثالث من فصل الفيضان، اليوم الواحد والعشرون وهو اليوم الذي ذهب فيه مدير الخزانة «ثاي» ... (٢) عند إغلاق حجرة الدفن لنداء العمال الذين كُتبت أسماءهم في القائمة ... (وقد أعطى) (٤) أربع عشرة جرة من الشراب لأيدي الـ ... (٥) الاثنان والعشرون، وقد ذهب مدير الخزانة لأجل ... (في السنة السابعة الشهر الرابع من فصل الصيف. اليوم الثاني عشر من الشهر، وفي هذا اليوم جرت التماثيل المقدسة إلى ملك الوجه القبلي وملك الوجه البحري «بان رع مري آمون» له الحياة والفلاح والصحة إلى مكانها في حضرة الوزير «بانخسي» (٧) (وفي اليوم الثالث عشر من الشهر الرابع) من فصل الصيف، في هذا اليوم ذهب الوزير «بانخسي» ولم يجد عمالاً في حجرة الدفن فقال: فلثحمل إلى المصنع ... قطعتان من الحجر لكي

... (٩) وقال: فليؤت بالروءاء مع ... السنة السابعة اليوم الرابع والعشرون، الشهر الرابع من فصل الصيف. وفي هذا اليوم جاء إلى المصنع المشرف «رعمسو محب» والوزير «بانخسي» لكي يضعوا على المنزلق ... لوازم التحنيط - اللقافات وغيرها من الأدوات اللازمة لتحنيط الجسم كالعطور ونحوه - الخاصة بالفرعون له الحياة والصحة والعافية في مكانها، وفي اليومين الرابع عشر والخامس عشر ... أتى لإغلاق حجرة الدفن ... وأمر الوزير «بانخسي» أن يكون العمال بالقرب منها.

النقوش التي على ظهر الاستراكا:

السنة السابعة، اليوم الثالث من الشهر الثاني من فصل الفيضان، وفي هذا اليوم جاء الكاتب «انبو محب» ورئيس الشرطة «نخت مين» وقال رئيس الشرطة (المازوي) «حورا»: المقابر ... (٣) فلترفع الحراس، ثم قال عن إرسال الفرعون (له الحياة والفلاح والصحة والعافية) مدير الخزانة «مريوتناح» وكاتب بيت التحنيط «حوى» ... فليذهبا إلى حيث مدخل الوادي لكي يستقبلوا صديق الفرعون (له الحياة والصحة والعافية) (٥) الشهر الثاني من فصل الفيضان. اليوم الرابع عشر، لم يكن قد أتى الوزير «بن سخمت» مع رجال الشرطة فأمر حراس القبور الملكية بالاستمرار في حراستها (٦) إلى أن يعلن قيام رجال الشرطة بذلك، وقد ذهب في اليوم السادس عشر من الشهر الثاني من فصل الفيضان مع الكاتب «حوى»...

(وبقية المتن مهشم).

وهذا المتن على الرغم مما أصابه من تهشيم يكشف لنا عن عدّة حقائق غاية في الأهمية؛ فمنه نعلم أن العمل في قبر هذا الملك كان قائمًا على قدم وساق وبخاصة لأنه كان متقدّمًا في السن؛ وعلى الرغم من ذلك لم يكن في الإمكان إنجازها كما يدل على ذلك غطاء التابوت الخارجي الذي أنزل في القاعة الخارجية، ولم يتم نقله إلى حجرة الدفن عند موت الفرعون الذي قضى في السنة الثامنة من حكمه على ما يظهر - وقد كانت كل أدوات التحنيط يؤتى بها في مكان خاص بالقرب من القبر حتى تتم عملية التحنيط

بجوار مكان الدفن نفسه، كما شرحت ذلك في الجزء الثالث من أعمال الحفر بالجيزة.
(٢١١)

والواقع أن آخر تاريخ لدينا على الآثار من حياة هذا الفرعون هو السنة الثامنة اليوم السابع والعشرون من الشهر الثالث من فصل الفيضان كما جاء على ورقة «بلوني» رقم ١٩٠٤ أي بعد ثلاثة وأربعين يومًا من التاريخ الذي نقرؤه على ظهر الاستراكا التي نحن بصدددها الآن. وهذا يدل على أن الاستعداد لدفن الملك إذا صح أنه مات في العام الثامن من حكمه كان على وشك الانتهاء.

ويدل المتن من جهة أخرى على أن القائمين بإنجاز ذلك العمل هما الوزير ورئيس المالية وهما أكبر موظفين في الدولة، وكانت حراسة المقابر الملكية في يد الشرطة يتسلمونها من حراس الجبانة، وكان على الوزير كذلك أن يسلم المقبرة لرئيس الشرطة ليحافظ على ما فيها من أثاث ثمين خوفًا من عبث اللصوص بها حتى يأتي يوم دفن الملك فتغلق نهائيًا.
(٢١٢)

وغطاء التابوت الذي وُجد في حجرة الدفن يُعد من أجمل الآثار التي عُثر عليها للفرعنة في هذا العهد في هيئة طغراء (خرطوش)، وعلى هذه الطغراء صور سرير عليه صورة الفرعون مضطجعة ومتقنة النحت إلى درجة ممتازة، ويلبس الفرعون «كوفية» على رأسه يحليها الصل الملكي وذراعاها مطويتان على صدره. أما الجزء الأسفل من الجسم فعلى شكل مومية مزملة بالكتان، وقد رُسم عند رأسه الإلهة «نفتيس» راکعة على علامة الذهب رافعة ذراعيها، ونشاهد عند القدمين الإلهة «إزيس» كذلك على علامة الذهب بجناحين مبسوطين، وعلى كلا جانبي رأس الفرعون صورة الإلهة «ماعت» وعلى بطنه إلهة تحمل قرصين، وفي أسفل قاربان للإله «حور»، وبجانب ذلك نجد عدة مناظر ونقوش دينية تشغل سطح الغطاء كله، وقد كُثر فيها ألقاب الملك، ويبلغ طول هذا الغطاء حوالي خمسة وعشرين سنتيمترًا وثلاثة أمتار، وعرضه حوالي متر ونصف، وارتفاعه نحو متر، وقد عُثر في البقايا التي وُجدت في حجرة الدفن على أجزاء من أواني أحشاء مصنوعة من

المرمر، وكذلك على بعض أجزاء من التماثيل الجنية. ٢١٣

وقد عثر اللورد «كارنرفون» و«كارتر» بالقرب من مدخل هذه المقبرة على أوانٍ هامة من المرمر ذات حجم كبير عليها اسم «مرنبتاح»، وقد كُتب على كثير من منها أسماء محتوياتها. (٢١٤)

(٧-٢) معبد «مرنبتاح» الجنازي

تقع بقايا معبد «مرنبتاح» الجنازي في شمال معبد «أمنحتب الثالث» على حافة الصحراء. والظاهر أنه أقام هذا المعبد على مقربة من معبد «أمنحتب الثالث» عن قصد؛ لأن الفقر الذي كان ضارباً أطنابه في البلاد بحالة مزعجة بعد أن أنهكها والده بإقامة مبانيه الضخمة في كل جهات القطر وخارجه؛ جعله يقيم معبده الجنازي في جوار معبد «أمنحتب الثالث» الفخم ليستعمل أحجاره في إقامة معبده، فهشم ما فيه من لوحات وتماثيل، وانتزع أحجاره وأقام بها معبده، وقد ظهر ذلك بصورة مشينة عندما أخذ لوحة «أمنحتب الثالث» العظيمة (راجع مصر القديمة ج٦) واستعمل ظهرها لنقش أنشودة انتصاراته العظيمة التي ذكر فيها مفاخره وما أحرزه من انتصارات على الأعداء وهي اللوحة المعروفة بلوحة بني إسرائيل، ويبلغ ارتفاعها نحو عشر أقدام، وعرضها خمس أقدام. وقد بالغ «مرنبتاح» في إسرافه في استعمال مواد معبد «أمنحتب الثالث» حتى إنه استعمل اللبنيات في بناء معبده.

وقد قلد النظام الذي اتخذه والده في بناء معبده الجنازي وهو المعروف باسم الرمسيوم، غير أنه لفقره لم يبلغ به إلا نصف حجم معبد والده. ومن عظات التاريخ وسخرية القدر وانتقامه أن نرى «مرنبتاح» يخرب في معبد «أمنحتب الثالث» ويبعث به إلى هذا الحد، بيد أن ذلك ليس إلا مثلاً سبقه إليه «أمنحتب الثالث» نفسه، إذ قد أظهرت الكشف الحديثة أنه ارتكب مثل هذه الجريمة مع أسلافه من فراعنة مصر، ولا أدل على ذلك من أن البوابة التي أقامها «أمنحتب الثالث» هذا في معبد الكرنك، وهي

المعروفة الآن بالبوابة الثالثة قد حشى داخلها بأحجار معبدین من أجمل المعابد التي خلفها لنا الفراعنة. فالأول: للملك «سنوسرت الأول» أحد فراعنة الأسرة الثانية عشرة، والثاني: للملكة «حتشبسوت» من فراعنة الأسرة الثامنة عشرة (راجع ج ٥). وقد وُجد لحسن الحظ معظم أحجارها وأقيم واحد منها في جهة من الكرنك ثانية، والثاني وشيك أن قام هناك، وهكذا يكون انتقام التاريخ، وسنرى أن ما جناه «رعمسيس الثاني» على آثار غيره من الملوك قد جناه «مرنبتاح» ابنه على آثار والده وجده، وقد كانت هذه هي الحال في كل عصور التاريخ المصري.

ولم يبقَ من معبد «مرنبتاح» إلا بعض أحجار وأكوام من الخرائب. والطريق من مدينة «هابو» إلى معبد الرمسيوم تمر الآن في وسط خرائب هذا المعبد، وقد كان في الأصل يشمل بوابتين أمام البناء، وقد اختفتا الآن، وخلفهما كانت توجد قاعة ذات ستة عمد على كل من جانبيها، وفي هذه القاعة لوحة «بني إسرائيل» المشهورة، وبعد هذه القاعة يمكن رؤية بقاياها حتى الآن، وخلفها كان الجزء الأصلي للمعبد، وقد كشف عن بقاياها الأستاذ «بيري» عام ١٨٩٦م،^(٢١٥) ولم يبقَ لنا منه سوى اللوحة التي اغتصب حجرها من معبد «أمنحتب الثالث» وإلا بقايا تمثالين من الجرانيت الرمادي حفظ لنا في واحد منهما أحسن صورة لهذا الفرعون.^(٢١٦) ومن الأشياء التي تلفت النظر في هذا المعبد وجود صهريج كبير خارج المعبد في الجهة الجنوبية يوصل إليه باب من المعبد نفسه.

(٨) آثار «مرنبتاح» الأخرى

رأينا أن نهاية عصر «رعمسيس الثاني» وما تم فيه من عمائر، وما أحدث فيه من فن كان ضئيلاً إلى حدٍ بعيد! إذا ما قُرن بما أنجز من أعمال ضخمة في باكورة حكمه؛ ولذلك لما تولى ابنه «مرنبتاح» لم يجد إرثاً عظيماً ينفق منه على إقامة المعابد والقصور كما فعل والده بادئ حكمه، ولذلك كان ما خلفه من مبانٍ عظيمة لا يكاد يذكر، وقد عوض ما فاتته في هذا المضمار باغتصابه كل ما حلا في عينيه من آثار أسلافه، ولم يفلت منه والده ولا جده المباشر، وقد اتبع في ذلك طريقة وحشية خسنة تدل على انعدام الروح

الفنية عنده وعند أولئك القوم الذين قاموا بتنفيذ تعليماته وخططه؛ فقد رأينا أنهم أخذوا ينقشون اسم «مرنبتاح» على كل أثر جميل بعد محو اسم صاحبه بصورة تزور عنها العين وتشمئز منها النفس، ويعافها الذوق السليم، ويأبأها الفن الرفيع والوضيع معاً، فكم من تماثيل جميلة للملوك السالفين قد فُحِي اسمها المنقوش نقشاً جميلاً، ثم كتب مكانها بحروف غليظة سمجة فجأة اسم الفرعون «مرنبتاح» مما شوه الأثر وأضاع معامله أحياناً، وإن كان العلم الحديث قد استطاع إلى حد بعيد في كثير من الأحيان نسبة الآثار إلى أصحابها الأصليين بعد فحص دقيق، وتدل شواهد الأحوال على أن «مرنبتاح» أراد أن يقلد والده العظيم في تخليد ذكره على الآثار في كل مكان بأية طريقة ولذلك نجد اسمه على كل الآثار التي كانت باقية حتى عهده، فالأثر الذي لم يكن في استطاعته نسبته كله لنفسه كان ينقش اسمه عليه بجانب اسم صاحبه الأصلي أو المعتصب، إذ كثيراً ما نشاهد والده قد اغتصب أثراً من ملك سالف أو كتب اسمه عليه وحسب، ثم جاء من بعده «مرنبتاح» فمحا الاسمين ونقش اسمه، أو اكتفى بنقش اسمه وحده، ولذلك لا يدهش الإنسان عندما يرى اسم «مرنبتاح» في كل مكان أثري، وليس من عمل فيه إلا نقش اسمه. وسنذكر هنا الآثار التي قام بصنعها فعلاً، مفصلين القول فيها بقدر المستطاع، كما سننبه إلى الآثار التي اغتصبها من غيره أو اكتفى بكتابة اسمه عليها.

(١-٨) سرابة الخادم

يظهر أن «مرنبتاح» قد قام ببعض النشاط في «شبه جزيرة سيناء» إذ نجد في «سرابة الخادم» مصراع باب عليه اسمه، وكذلك وجدت بعض الأواني التي عليها طغراؤه. (٢١٧)

(٢-٨) أبوقير

عُثر في هذا المكان على تمثال من الجرانيت الأحمر عليه اسم «مرنبتاح» ولكنه كان في الأصل لوالده «رعسيس الثاني» وهو محفوظ الآن بالمتحف المصري. (٢١٨)

(٨-٣) الإسكندرية

وبالقرب من عمود السواري وُجد الجزء الأعلى لتمثال من الجرانيت الأسود عليه اسم «مرنبتاح»، ودل البحث على أنه اغتصبه من «سنوسرت الأول» أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة، أما الرأس فقد عُثر عليه في الحي الغربي. (٢١٩)

(٨-٤) تانيس

لم يترك «مرنبتاح» في هذه العاصمة الدينية الكبرى من الأعمال الأصلية إلا تمثالين من الجرانيت. (٢٢٠) أما ما اغتصبه من الآثار من سلفه في هذا البلد فكثير، نذكر منه ما يأتي:

أولاً: تمثال «بو الهول»، وهو محفوظ الآن «باللوفر» (٢٣٥). نُقش عليه اسم «مرنبتاح» على الصدر والكتف، ويرجع عهده إلى الدولة الوسطى، وكان قد اغتصبه من قبل «سيقي الأول» فكتب اسمه على قاعدته وكتفه، (٢٢١) وكذلك كتب اسمه على تمثال يمثل «بو الهول» وهو الآن «بمتحف القاهرة»، وقد نقش «سيآمون» على كتف التمثال الأيسر اسمه، كما كتب «سيقي الأول» اسمه على القاعدة. (٢٢٢)

ثانياً: ثلاثة تماثيل نقش عليها «مرنبتاح» اسمه، وكلها مغتصبة من «سنوسرت الأول» واحد منها في «برلين» والآخران «بمتحف القاهرة» وكلها من الجرانيت الأسود. (٢٢٣) وكذلك وجد له في «صان الحجر» قاعدة تمثال ضخمة من الجرانيت الرمادي جالس اغتصبه من «سنوسرت الأول». (٢٢٤) ووجدت له قطعة من الحجر عليها اسمه، وقد استعملها ثانية «سيآمون» في محرابه الذي أقامه في «صان الحجر»، (٢٢٥) ووجد له تمثال في «تانيس» أيضاً، (٢٢٦) وكذلك قاعدة تمثال وقطع صغيرة من مجموعة تماثيل تمثل «مرنبتاح» بين الإله «بتاح» وإلهة، (٢٢٧) وأخيراً وُجد له قطعة جرانيت باسمه مثل فيها وهو يتعبد أمام الإله «نفرتم» وأمام الإله «حور» الممثل برأس صقر. (٢٢٨)

(٨-٥) نبيشه

وفي «نبيشه» وُجد له أثر فريد في بابه وهو عمود من الجرانيت الأحمر ليس له تاج، ولكن على سطح قمته الأسطواني المنبسط يقف صقر يحمي صورة الفرعون الراكع، ويمكن قرن هذا الأثر بالأعلام التي على دعائم منصوبة على كلا جانبي التماثيل، والظاهر أنه دعامة ضخمة من هذا النوع نصب في هذا المعبد. (٢٢٩)

(٨-٦) تل بسطة

لم يُعثر للملك «مرنبتاح» في هذه البلدة إلا على قطع من تمثال جالس مصنوع من الحجر الجيري الأبيض ومعه ابنه «سيقي مرنبتاح» الذي أصبح فيما بعد «سيقي الثاني» وقد عُثر عليها في المعبد في قاعة «نخت حر حب» (نقطانب) في الجانب الشمالي من المدخل، وهذه القطع محفوظة الآن «بالمتحف المصري». (٢٣٠)

(٨-٧) تل الربع: (منديس)

وهي عاصمة المقاطعة السادسة عشرة من مقاطعات الوجه البحري، وجد فيها قطع ودائع أساس باسم «مرنبتاح». (٢٣١)

(٨-٨) تل المقدام

عُثر في هذا التل على الجزء الأسفل لتمثال من عهد الدولة الوسطى اغتصبه لنفسه «مرنبتاح» بعد أن كان قد اغتصبه «نحسي» أحد ملوك الأسرة الثالثة عشرة، وهو الآن «بالمتحف المصري» ويرجع عهده إلى الأسرة الثانية عشرة. (٢٣٢)

(٨-٩) تل أم حرب

(أو تل مصطاي: بالقرب من محطة «قويسنا» (مديرية المنوفية))

وُجد في هذه القرية بقايا معبد من العهد المتأخر، وقد استُعملت في بنائه أحجار من معبد قديم كما تدل على ذلك الأحجار التي وُجدت منه باسم «رعمسيس الثاني» وكذلك باسم ابنه «مرنبتاح»، فقد جاء ذكره على ثلاث قطع مختلفة، وقد جاء ذكره مع والده مرتين، وربما يدل على ذلك أنهما كانا مشتركين في الملك غير أن ذلك لم يثبت بعد. (راجع ff A. S. XI p. 165).

(٩) كفر متبول (مركز كفر الشيخ)

يُوجد في قلب هذه القرية مجموعتان من التماثيل، ملقأتان على الأرض تمثل كل منهما الملك «مرنبتاح» واقفاً على قاعدة وبجانبه إله واقف أيضاً وبلغ ارتفاع كبراهما حوالي خمسة وسبعين سنتيمتراً ومترين، وعرضها حوالي متر واثنين وعشرين سنتيمتراً ١,٢٢، ولا يقل وزن كل منهما عن اثني عشر طنّاً، وقد كان أول من رآهما وكتب عنهما «أحمد بك كمال» عام ١٨٩٣م، وقد زار المكان الأثري «جوتيه» عام ١٩٢٢م ونقل نقوشهما ثانية ووصفهما، فقال عن المجموعة الكبيرة إنها ملقاة على الأرض على ظهرها، وإن الكتابة التي على الظهر لم يكن في استطاعته مراجعتها بدقة، ويظهر فيها الفرعون على اليمين مرتدياً «الكوفية» وقرص الشمس الخلى بالصل يعلوه عقاب منتشر الجناحين، وذراعه اليمنى مطوية على صدره، ويقبض بيده على رمز من رموز الملك لم تمكن رؤيته، على حين أن الذراع اليسرى مرسلة على فخذه، ويقبض على جريدة نخل، وهي رمز السنين العدة التي حباه بها الإله، وقد كُتب عليها نقش يدل على كثرة الأعياد الثلاثينية للملك في سلام... الخ، وعلى سرة الفرعون نُقش طغراؤه، وعلى يمينه الإله «رع» برأس إنسان، ولباس رأسه مثل لباس رأس الملك وعلى ظهر المجموعة كُتبت ستة أسطر، مقسمة قسمين أعلى كل منهما مجموعة آلهة، ظهر كل منهما للآخرى، وفي كل مجموعة ترى الإله «رع» أو «آتوم» جالساً يقدم رمز الحياة «حور» الذي يمثل الملك، والنقوش تحتوي على الصيغ العادية، والألقاب الفرعونية لهذا الملك. أما المجموعة الثانية فأقل حجماً من السابقة وهي ملقاة على الأرض بظهرها.

والظاهر أن الملك هو الذي على اليسار والإله على اليمين، وتدل شواهد الأحوال على أنهما ممثلان من حيث الملابس والشكل على نمط صور الفراعنة، وبلغت النظر في نقوش هذين التمثالين ظهور الاسم الحوري للفرعون بصورة جديدة لم تكن معروفة من قبل وهو المفيد «لرع» أو المفيد «لاتوم» وقد جاء في هذا المتن خلافاً للألقاب الفرعونية الصبغة الآتية: إني أمنحك الأراضي الأجنبية تحت سلطان الخوف منك كل يوم. (٢٣٣)

(٩-١) بلبيس

وعُثر على قطعة من الجرانيت الأحمر منقوش عليها اسمه في «بلبيس». (٢٣٤)

(٩-٢) تل اليهودية

وفي «تل اليهودية» وُجد «مرنبتاح» عمود عليه اسمه في المعبد الذي أقامه «رعمسيس الثاني» وهو مهلم الآن. (٢٣٥)

(٩-٣) هليوبوليس

وُجد في «هليوبوليس» مجموعة تماثيل تمثل «رعمسيس الثاني» وابنه «مرنبتاح» والإله «أوزير». (٢٣٦)

(٩-٤) عرب الأطاولة

وُجد في «عرب الأطاولة» جبانة للعجول المقدسة عُثر فيها على تابوت للعجل «منفيس» مؤرخ بعهد «مرنبتاح» وهو محفوظ الآن «بمتحف بروكسل». (راجع 277) and Porter and Moss Speelers. Rec. Des. Insc. Egypt p. 66 (IV p. 59).

(٩-٥) قها

عثر «دراسي» على قطعتين من مسلة باسم الفرعون «مرنبتاح» وهما محفوظتان الآن «بالمتحف المصري» ويبلغ طولهما نحو ستة أمتار تقريباً، والنقوش التي عليهما تدل على كبرياء «مرنبتاح» وتشبهه بالإله «آتوم».^(٢٣٧)

(٦-٩) أتر النبي

في عام ١٩٢٩ كشف «حمزة» بك عن تمثال مهشم للملك «مرنبتاح» لم يتبق منه إلا الجزء الأسفل، ويمثل الفرعون راکعاً، قابضاً بين يديه على محراب صغير في داخله تمثال الإله «رع حور» برأس صقر، وعلى رأسه تاج مؤلف من قرص الشمس يكتفه ريشتان ويستند على قرنين، وعلى قمة المحراب صورة جعل مجسم يرمز به لإله الشمس «خبري». وتدل تفاصيل قميص الفرعون وتفاصيل نعلبه على فن جميل، ويبلغ طول التمثال حوالي متر، ومساحة قاعدته (٠,٣٣ × ٠,٥٧٥ متراً) وقد كتب على واجهة المحراب لقبه الحوري وهو: «حور الثور القوي المبتهج بالعدالة»، ونُقش كذلك على مصراع المحراب الأيسر ألقابه المعروفة وهي: «المنسوب للإلهتين المشرق مثل «بتاح» في مقر مئات آلاف السنين، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «بان رع مري نترو» (روح «رع» محبوب الآلهة) ابن «رع» «مرنبتاح» «حتب حرماعت» «محبوب «بتاح» المنشرح بالعدالة) محبوب «حبي» (النيل) والد الآلهة».

وعلى المصراع الأيمن نجد لقب «حور» الذهبي للفرعون، وهو: «حور الذهبي الذي يجعل مصر عظيمة...» - وهذا اللقب الخاص بحور الذهبي ليس له نظير في النقوش التي كشف عنها حتى الآن - ملك الوجه البحري ... الخ.

وعلى الجانب الأيسر للمحراب نُقشت طغراء الفرعون يسبقها بعض نعوته. وعلى جانب المحراب الأيمن نقوش تماثل التي على الجانب الأيسر. وكذلك على ظهر العمود الذي يرتكز عليه تمثال الفرعون نُقشت طغراؤه وألقاب مماثلة.

وحول القاعدة نقش: ملك الوجه القبلي والوجه البحري، والده «حبي» (النيل)

محبوب الآلهة ... الخ.

وعلى قمة الخراب جعل كبير مجسم وهو رمز إله الشمس «خبرى» يكنفه طغراءان، والمهم في ذلك كله هو صورة الجعل الذي على قمة الخراب، وصورة الإله «رع حور» التي في داخله؛ هذا من جهة، ومن جهة أخرى المكان الذي وُجد فيه هذا التمثال الممثل بهذه الصورة الغريبة في بابها.

وإذا فحصنا عن هيئة التمثال والصورة الداخلية للمحراب والجعران الذي على قمته اتضح لنا جلياً أن «مرنبتاح» كان قد قدمه في معبد من معابد الشمس، ولا بد أن المكان الذي وجد فيه وهو «أتر النبي» هو موضعه الأصلي؛ وتحتم شواهد الأحوال وجود معبد في هذا المكان للإله «آتوم» أقدم الآلهة الشمسية في منطقة «عين شمس»، وهذا الإله كان يوحد بإله الشمس «رع حور» الذي وُجدت صورته في قلب الخراب.

وقد حدث أن الأستاذ «جولنشف» زار هذا الموقع الذي وجد بجواره التمثال عام ١٨٨٩م، ورأى في مكان «الجنابية» القريبة من سكة الحديد بالقرب من المكان الذي وجد فيه التمثال بقايا لتمثال «بو لهول» بدون رأس (وبو لهول هو رمز الشمس) من الجرانيت الأحمر؛ وعليه طغراء الملك «أحمس الثاني» أحد ملوك الأسرة السادسة والعشرين كما وُجد كذلك قطع من الحجر الجيري عليها نقوش في نفس الجهة، وقد قال عنها ما يأتي: «وكل هذه البقايا الأثرية الخاصة بمبنى قديم قد وُجدت عند سفح تلٍ صخري ذي نتوء متجه نحو وادي النيل، ولا بد أن هذا المبنى القديم كان يستند على هذا النتوء، بل من الجائز أن هذا النتوء الصخري كان يؤلف جزءاً من المعبد الذي كان فيه تمثال «بو لهول» وقطع الأحجار الجيرية السالفة الذكر.»

وتدل الظواهر على أن الموقع الذي يحتله هذا المعبد القديم بالنسبة لمدينة «منف» هو «خرعحا» (أي مصر القديمة). هذا بالإضافة إلى أن هذا المعبد يحتمل أنه كان قد أُقيم عند «سفح التل» وقطع في جزء منه، وقد أوحى موقع هذا المكان بالرجوع إلى الفقرة التي جاءت في لوحة «بعنخي» الأثيوبي الأصل التي يذكر لنا فيها هذا الفاتح

الحوادث التالية بعد استيلائه على «منف»: وعندما أشرقت الأرض استأنف جلالته المسير شرقاً في الصباح المبكر، وقدم قرباناً «لآتوم» صاحب «خرعحا» وتاسوع «بريسزت» وكهف الآلهة الذين كانوا فيها. ^(٢٣٨) ثم تقدم جلالته نحو «هليوبوليس» على جبل «خرعحا» على طريق «سب» حتى مدينة «خرعحا».

والواقع أن كشف هذا التمثال في «أتر النبي» في المكان الذي عثر فيه «جولنشف» على الآثار التي ذكرناها قد ألقى بعض الضوء على مكان المعبد الذي زاره «بعنخي» وهو الذي زخرفه فيما بعد الفرعون «أحمس الثاني»، وبعبارة أخرى يمكن أن نقول إن «أتر النبي» هو موقع «خرعحا» القديمة على وجه التأكيد؛ وكذلك معبد «بريسزت» حيث كانت معابد «آتوم» والتاسوع، وكذلك مكان الكهف. ولا نزاع في أن الحراب الذي يشمل في داخله صورة الإله «رع حور» وصورة الإله «خبرى» رمز الإله «رع» على قمته يجعل من الواضح أننا أمام موقع معبد لإله الشمس قد أهدى له التمثال الذي نحن بصدد الآن، وأن هذا المعبد هو كما ذكرنا معبد «آتوم» الذي زاره «بعنخي». وتدل الأحوال على أن معبدي «خرعحا» و«بريسزت» كانا موجودين قبل عهد «مرنبتاح»، كما تدل على ذلك لوحة «رعمسيس الثاني» المؤرخة بالسنة الثامنة من حكمه (راجع مصر القديمة ج ٦). وقد جاء فيها: إن «رعمسيس» كان يتنزه في صحراء «هليوبوليس» جنوبي معبد «رع» وشمالي معبد التاسوع، وأمام معبد «حتحور» سيدة الجبل الأحمر. وهذه التوضيحات الجغرافية أهمية عظيمة؛ لأنها تحدد لنا مكان معبد التاسوع بالنسبة لمعبد «رع» في «هليوبوليس». إذ تدل على ما يظهر على أن «رعمسيس» كان يتنزه في طريق هام معروف يربط «هليوبوليس» ببلاد المقاطعة الهليوبوليتية على الشاطئ الشرقي للنيل بما في ذلك «خرعحا» و«بريسزت» وهما اللذان زارهما «بعنخي».

والطريق التي ذكرت في لوحة «رعمسيس الثاني» تقع بين «هليوبوليس» في الشمال، و«خرعحا» و«بريسزت» في الجنوب. والظاهر أنه كانت توجد طريق مقدسة

تخترق الصحراء، وتربط هذه المدن التابعة لمقاطعة «هليوبوليس» بعضها ببعض الآخر. وتذكر لنا اللوحة اسم هذه الطريق «طريق سب» إلى «خرعحا» (راجع ما كتبه حمزة بك عن هذا الطريق f A. S. XXXVII p. 240). وبهذه المناسبة نذكر أن «مرنبتاح» قد أقام معبدًا في «هليوبوليس» نفسها يُدعى مقام «مرنبتاح حتب حرماعت في بيت رغ»، وهذا المعبد لم يأت ذكره إلا في ورقة «فلبور» ص ٢٨، كما لم يأت ذكره على أي أثر آخر. أما «مخنو» الذي ذُكر اسمه مع ضياع هذا المعبد فهو مالك الأطين التي جاء ذكرها في الصفحات ٢٨، ١٣، ٣١. (راجع Wilbour Papyrus Vol II p. 137 No 79).

(٧-٩) منف

أقام «مرنبتاح» معبدًا لا تزال بقاياه في «كوم القلعة»^(٢٣٩) وقد عثر «كويل» منه على عتب باب،^(٢٤٠) وقد استعمل «مرنبتاح» في إقامته أحجارًا من الأسرة الخامسة؛ وكذلك من آثار أخيه «خعمواست».^(٢٤١)

هذا وقد نقش اسمه على جدران معبد «ميت رهينة» ٢٤٢ كما ذكر ألقابه المعروفة ونقش اسمه على عمود في نفس البناء الذي أقامه «أمنمحات الثالث» وله قاعدة تمثال محفوظة الآن بمتحف «فرانكفورت» وُجدت في هذه الجهة.^(٢٤٣)

(٨-٩) قصر مرنبتاح

وقد كُشف له عن بقايا قصر شرقي المعبد السالف الذكر. عُثر على بعض بقاياه في «كوم القلعة» وكان أول من كشف عن هذا القصر الأثري «إدجار».^(٢٤٤) وقد جاء كشفه عفواً على يد بعض العمال الذين كانوا يستخرجون السمد من هذه الجهة عام ١٩١٤م، إذ عثر على بعض قطع منحوتة في الحجر الجيري الأبيض، وقد قام «إدجار» ببعض الحفائر في هذا المكان أدّت إلى كشف قاعة كبيرة مؤدية إلى أخرى، وقد وجد على مصاريع الأبواب اسم الفرعون «مرنبتاح»، وكان أول شيء لفت نظر الكاشف في هذه

الأحجار أن الرموز الهيروغليفية التي عليها كانت مرصعة بالخزف الأخضر على الأحجار، وهذه الصناعة الغربية تعيد إلى الذاكرة زخرفة حجرات «رعمسيس الثالث» في مدينة «هابو» و«تل اليهودية» كما سنتحدث عن ذلك بعد، ومن ثم استنبط «إدجار» أن هذه الأحجار تدل على وجود قصر «لمرنبتاح»، وهذا القصر يقع فعلاً في الجنوب الشرقي من معبد الذي كشف عنه «بتي» في «ميت رهينة» عام ١٩٠٩، وقد كشف «إدجار» عن الباب الأصلي الواقع في الجهة الشمالية، ووجد في كل من الجدارين الجانبين باباً صغيراً يؤدي إلى قاعة. وجدران هذا القصر من اللبن كما هي العادة في المباني الدنيوية، ولا يزال بعضها باقياً حتى الآن. وتدل شواهد الأحوال على أنها كانت كلها ملونة، بيد أن الرطوبة قد طغت عليها، وكذلك كانت رقعة القاعة الرئيسية مكسوة بالحجر الجيري الأبيض، وكان ارتفاع سقفها حوالي خمسة أمتار ونصف متر، وكل نقوش العمد كانت مرصعة بالزخارف، على حين أن الصور التي كانت على قواعدها محفورة في نفس الحجر وملونة بالأزرق، وكان في وسط كل عمود صورة للفرعون محفورة حفراً بارزاً تمثله وهو خارج من قصره، وتنحصر أهمية هذا الكشف أولاً في أنه قصر ملكي، وثانياً في أن كل الزخرف الذي زين به العمد والأبواب مرصع بالخزف بكمية وفيرة.

وقد قام الأستاذ «فشر» بالكشف النهائي عن كل هذا القصر، فكشف عن البوابة الجنوبية، وعلى جدرانها يُشاهد الفرعون «مرنبتاح» يتقبل علامة العيد الثلاثيني من الإله «بتاح». (٢٤٥)

وقد وُجد في هذا القصر لوحة تذكارية لكاهن الإله «بتاح» المسمى «معي». وفي قاعة العرش نشاهد السدة الملكية محلاة بمناظر تمثل بعض الأجانب، (٢٤٦) وكذلك وُجدت فيه بعض وحدات للموازين. (٢٤٧)

ومن المحتمل أن معبد «مرنبتاح» أو قصره هو الذي أشير إليه في ورقة «فلبور». (٢٤٨)

(٩-٩) أهناسية المدينة

وُجد في معبد الإله «حشف» (حرسفيس) «أهناسيا المدينة» بعض عمد من الجرانيت الأحمر من عهد الأسرة الثانية عشرة، وقد استعملها «رعمسيس الثاني»، وابنه «مرنتاح» في مبانيهما. (٢٤٩)

(١٠-٩) كوم العقارب

وفي «كوم العقارب» القرية من «أهناسيا المدينة» يوجد تمثالان ضخمان «لرعمسيس الثاني»، وقد كتب «مرنتاح» اسمه على أصغرهما حجمًا، ويرجع عهده إلى الأسرة الثانية عشرة، ويبلغ طوله ٣,١٧ مترًا، ويزن حوالي ٢٨٠٠ كجم، وهذان التمثالان قد أُقيما في معبد بُني في هذه الجهة، وهما الآن في «المتحف المصري»، والظاهر أنهما كانا في الأصل للفرعون «سنوسرت الثالث» وعلى الرغم من بعض التشويه الذي أصابهما فإنهما يُعدّان من القطع الفنية التي تمثل الفن المصري في عهد الدولة الوسطى في الأسرة الثانية عشرة. (٢٥٠)

(١١-٩) الأشمونين

في عام ١٩٠١ عثر «شعبان أفندي» مفتش الآثار على تمثال للفرعون «مرنتاح»، وقد صُوّر على جانبه الأيسر صورة الأمير «سيقي مرنتاح». ومعه الألقاب التالية: الأمير الوراثي، رئيس الأرضين، وكاتب الملك، وقائد الجيش الأعظم، بكر الملك المسمى «سيقي مرنتاح». وهذه هي الألقاب التي كان يحملها ولي العهد في ذلك العصر، وقد خلف والده على عرش الملك، والتمثال نفسه ممثل واقفًا على قاعدة في هيئة «حب» وهي رمز العيد، ويلبس جلد الفهد، ويقبض في كل من يديه على إضمامة نقرأ على سمكها اسم «مرنتاح»، وقد كُتب على قميصه: «يعيش الإله الطيب الذي يقيم الآثار، ملك الوجه القبلي والوجه البحري» «مرنتاح» بن «رع» «حتم حر ماعت مري آمون» محبوب «تحت». وعلى ظهر العمود الذي يرتكز عليه التمثال نُقش سطران

عموديان وهما: (١) «حور الثور القوي» - ويُلاحظ هنا أن كلمة «ثور» معناها «السيد الشديد البأس» وهذا المعنى معروف في العربية. الذي يبتهج بالعدالة، وهي التي أعطاكها «رع» قرباناً، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «بان رع»، محبوب الآلهة ابن «رع»، وسيد النيجان «حُب حرماعت»، محبوب «آمون» رب الأثمنين. (٢) حور الثور القوي الذي يبتهج بالعدل: إني أمنحك مكان صدق «رع» بوصفك ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين «بان رع»، محبوب «آمون» ابن الشمس الخ. والظاهر أن «رعمسيس الثاني» كان يشعر بأنه سيعامل بمثل ما عامل الآخرين من اغتصاب آثاره، فنقش اسمه على رقعة قاعدة التمثال من أسفل حتى يظل اسمه باقياً، وهكذا نرى أن الغاصب كان ابنه من صلبه.

وقد عُثر على هذا التمثال أمام المعبد الذي كشف عنه فيما بعد «شعبان أفندي»، وتدل النقوش التي عليه على أنه كان قد اشترك في بنائه عدد من ملوك الأسرة التاسعة عشرة.

وعلى واجهة المعبد من الجهة اليمنى الشمالية نشاهد «مرنبتاح» يقدم القران للإله «تحوت» ولسته آلهة آخرين، وأسفل ذلك نقش طويل يشمل دعاء من الملك للإله «تحوت» رب «الأثمنين» وللآلهة الأخرى الذين معه، وقد عدّد فيه القرابين التي قر بها لهم كما ذكر فيه مناقب الإله «تحوت» وصفاته. (٢٥١)

وفي هذه الجهة وُجدت كذلك قطعة من الحجر عليها بقايا اسم «مرنبتاح». (٢٥٢)

(٩-١٢) محاجر تل العمارنة

وُجد اسم «مرنبتاح» على محاجر «تل العمارنة». (٢٥٣)

(٩-١٣) السريرية

نحت الفرعون «مرنبتاح» محراباً للإلهة «حتحور» في الصخور في هذه الجهة. (٢٥٤)

ويُشاهد على أحد جانبي المدخل لهذا الخراب الملك، وعلى الجانب الآخر الإله «أوزير».^(٢٥٥) وعلى الجدار الأيسر للقاعة ثلاثة مناظر يُشاهد فيها الملك والملكة (مهمشة) أمام إله وإلهة، وأمام «حتحور» وأخيراً أمام «آمون رع». وكذلك نشاهد طغراء «سيقي الثاني» أسفله، وفي الجدار الخلفي ثلاثة تماثيل للملك والملكة و«حتحور»، وعلى الجدار الأيمن للقاعة نفسها يرى الملك وهو يقدم خبزاً للإله «أنوبيس» وصاحبها للإلهة «حتحور» ورمز العيد الثلاثيني للإله «بتاح».^(٢٥٦)

(٩-١٤) العرابية المدفونة

وُجد لهذا الفرعون ثلاثة تماثيل أوزيرية الشكل، وقد ترك منها «مریت» اثنين في مكانهما، وواحد منهما بدون رأس محفوظ «بالمتحف المصري»^(٢٥٧) وقد أصلح «مرنبتاح» على يد كل من «أحمس» كاهن أوزير، و«يويو» الكاهن الأول لأوزير تمثال صقر «لأمنحتب الثاني» كان قد أهده «أمنحتب» لهذا الإله (راجع ج ٦).

(٩-١٥) طوخ (نبت)

يُوجد في هذه البلدة معبد للإله «ست» يرجع تاريخه إلى عهد الأسرة الثامنة عشرة، وقد أعاد بناءه «رعسميس الثاني»، ولكنه الآن مهدم، وقد وُجد على بوابة «رعسميس الثاني» نقش مُؤرَّخ بالسنة الخامسة من عهد «مرنبتاح».^(٢٥٨)

(٩-١٦) معبد الأوزيريون

(راجع مصر القديمة ج ٦): تحدثنا عن هذا المبنى العجيب في الجزء السادس، وقلنا إن معظم النقوش فيه ترجع إلى عهد «مرنبتاح»، وتحوي فصولاً من كتاب البوابات، وكتاب ما في العالم السفلي، و«كتاب الموتى».

وقد نُقش على الجدار الغربي كتاب البوابات، وهو في الواقع رواية أخرى للنقوش التي على تابوت الفرعون «سيقي الأول» المحفوظ الآن «بمتحف ساوون». والواقع أن كل

النقوش التي على هذا الضريح قد قام بها «مرنبتاح» إلا نقوش الحجرة الداخلية، ولا نزاع في أن هذا المبنى كما ذكرنا قد وضع تصميمه الفرعون «سيتي الأول» ليكون ضريحًا له. (٢٥٩)

(١٧-٩) معبد سيتي

وفي معبد «سيتي» في الجزء الذي أقامه «رعمسيس الثاني» نجد في القاعة الأولى منظرًا يمثل موكبًا يسير فيه أولاد «رعمسيس الثاني»، وتحت متن باسم «مرنبتاح»، (٢٦٠) وعند مدخل باب هذه القاعة نجد بقايا متن على عتب وألقاب الفرعون على سمك المدخل الأيسر. (٢٦١)

(١٨-٩) دندرة

يوجد في الجهة الغربية من معبد «دندرة» القديم محراب صغير للإلهة «حتحور» سيدة «ابونت» (دندرة) أقامه الفرعون «منتوحتب الثاني» أحد ملوك الأسرة الحادية عشرة، وهذا المحراب يشمل حجرة صغيرة تبلغ مساحتها مترين وعشرين سنتيمترًا طولًا في مترين وخمسة وأربعين سنتيمترًا عرضًا. وبأما نحو الشرق، وكل نقوشها الداخلية من عهد «منتوحتب»، وتقدم لنا مثالًا رائعًا عن جمال الفن في عهد الأسرة الحادية عشرة (راجع مصر القديمة ج ٣)، وقد أضاف «مرنبتاح» نقوشًا باسمه على مدخل هذا المحراب، وغير بعض الشيء أبعاده الأصلية، إذ نلاحظ من الأحجار التي نقشها «منتوحتب» أن هذا المحراب في الأصل كان لا يزيد عرضه عن ١,٣٢ مترًا، وطوله ١,٨٠ مترًا، وبقيّة الأبعاد نقشها «مرنبتاح» بنقوش غائرة، غير أنها على ما يظهر لم تبق في مكانها، أو انتزعت منه. (٢٦٢) والنقوش الباقية «لمرنبتاح» تشمل اسمه وألقابه وإهداء بابه للإلهة «حتحور» سيدة «دندرة» وربة السماء وسيدة الأرضين.

(٩-١٩) المدمود

عُثر في معبد «المدمود» على قطع من الحجر الرملي وعليها اسم «مرنبتاح».^(٢٦٣)

(٩-٢٠) «طيبة» (الكرنك) معبد منتو

وُجد طغراء «مرنبتاح» وبقايا تاريخ على الجدار الخلفي لمعبد «منتو» بالكرنك،^(٢٦٤) وكذلك كُتب اسمه على مسلة «تحتمس الأول» الشمالية.^(٢٦٥)

وفي الجزء الأوسط من معبد الكرنك نجد «مرنبتاح» مصورًا في صفين يقدم الأزهار «لآمون» و«امنت»، وكذلك أمام «آمون رع».

ووجد لهذا الفرعون تمثال راقع في قاعة الأعياد التي أقامها «تحتمس الثالث».^(٢٦٦)

وفي خبيئة «الكرنك» وُجد له تمثال من الجرانيت الأسود يبلغ ارتفاعه مترًا وخمسة وثلاثين سنتيمترًا، وهذا التمثال صناعته متقنة جدًا إلا أنه مُثل في صورة جامدة خالية من الرشاقة، وتدل نقوشه على أن الفرعون كان قد أهداه إلى الإله «آمون» ملك الآلهة عندما ذهب ليرى والده الذي يحبه في السنة الثانية من حكمه.^(٢٦٧)

(٩-٢١) الأقصر

نقش «مرنبتاح» اسمه في معبد الأقصر،^(٢٦٨) وكذلك وُجد له خارج قاعة «رعمسيس الثاني» تمثالان جالسان على كلا جانبي الباب الشرقي، هما الآن في «نيويورك» بمتحف «متروبوليتان».^(٢٦٩)

(٩-٢٢) معبد الدير البحري

وفي معبد الدير البحري وُجد لهذا الفرعون الجزء الأسفل لمتن مؤرخ بالسنة الثالثة

من حكمه في قاعة العمدة العلوية،^(٢٧٠) وفي معبد الفرعون «سبتاح» وُجدت نقوش باسم «مرنبتاح» على آنية مؤرخة بالسنتين الثالثة والرابعة من حكمه.^(٢٧١)

وبالقرب من معبد «الرمسيوم» وُجد «لمرنبتاح» تمثال في حفرة وهو الآن «بمتحف القاهرة». ^(٢٧٢)

وفي معبد مدينة «هابو» نشاهد له متناً خارج المحراب مؤرخاً بالسنة الثانية من عهده. ^(٢٧٣)

(٩-٢٣) أرمنت

كانت علاقة «مرنبتاح» «بأرمنت» ومعبدتها وثيقة، فقد أصلح سلسلة التماثيل الأوزيرية الشكل التي وُجدت في ردهات المعبد، كما أضاف اسمه على البرج.

ومن الطريف أن «مرنبتاح» محاً اسم والده الذي كان على نقوش بوابة معبد «أرمنت» ووضع مكانها اسمه، غير أن طريقة الحو التي اتبعها كانت غير متقنة؛ إذ وضع طبقة من الجص فوق اسم والده، ثم كتب اسمه عليها، ولكن الجص سقط، وظهر اسم «رعمسيس الثاني» ثانية. ^(٢٧٤)

(٩-٢٤) السلسلة

نحت «مرنبتاح» لنفسه محراباً في صخر السلسلة،^(٢٧٥) ويُعد هذا المحراب من الآثار الهامة التي تركها لنا «مرنبتاح»، ويحتوي على كوة واسعة مرتفعة مقطوعة في الصخر، وفي نهاية هذه الكوة لوحة كبيرة مثل على جانبيها سلسلة آلهة، وعلى جانبي المدخل عمود رشيق المنظر، وقد حلى أعلى المحراب «كورنيش»، ولا تزال بقايا ألوانه الزاهية التي كانت تحليه ظاهرة بعض الشيء حتى الآن. وعلى قمة اللوحة التي في هذا المحراب يُشاهد «مرنبتاح» يتعبد لثالوث «طيبة» وهم «آمون» و«موت» و«خنسو»، ولثالوث آخر من «حرميس» و«بتاح» و«حبي» (النيل). وقد أُرّخ هذا المحراب بالسنة الأولى من حكم

هذا الفرعون في متن أنشودة للنيل، أُشير فيها إلى تأسيس عيد للنيل يقدم له فيها قرابين كثيرة، أصدر بها الفرعون أمراً خاصاً، وعلى الجدار الشمالي نشاهد أربعة صفوف من الصور الإلهية، ففي الصف الأول يظهر الملك مقدماً القربان «لأوزير» و«إزيس» و«رعمسيس الثاني»، وفي الصف الثاني يقرب القربان للإله «سبك» رب «أمبوس» وإلهة، وإلى «حور»، وفي الصف الثالث يقدّم للإله «سبك» رب «السلسلة» و«حتحور» وإلهتين أخريين، وفي الصف الرابع نشاهد صورتين للإله «حعي» (النيل).

وعلى الجدار الجنوبي نشاهد في الصف الأعلى الملك يقرب القربان «لرعمسيس الثاني» ولإلهين، وفي الصف الثاني يقرب للإلهة «أنحور» و«تفنوت» و«جب»، وفي الصف الثالث تقدم الملكة «است نفرت» للإلهة «تاورت» و«تحت» و«نوت»، وفي الصف الرابع نشاهد صورتين للإله النيل «حعي» ثانية.

وبين هذا الخراب والخراب الذي يليه نُحتت لوحة صغيرة أخرى نشاهد عليها «مرنبتاح» يقدم صورة العدالة للإله «آمون رع». وخلف الفرعون ترى صورتين لعظيمين من كبار رجال دولته، أحدهما «بانحسي» وزيره المعروف. (٢٧٦)

وكذلك توجد لوحة لهذا الفرعون منحوتة في الصخر، يُشاهد فيها يتبعه «رومع روى» الكاهن الأول «لآمون» أمام الإله «آمون رع». (٢٧٧)

(٢٥-٩) أسوان

شُهد تمثال ضخيم من الجرانيت الأحمر يمثل «أوزير» بالقرب من معبد «الفيلة»، وكذلك وُجد متن فيه طغراء «مرنبتاح» يحتمل أنه قطعة من ظهر التمثال السالف الذكر. (٢٧٨)

(٢٦-٩) بلاد النوبة

يدل ما لدينا من كشوف حتى الآن على أن «مرنبتاح» لم يكن له نشاط كبير في

بلاد النوبة، وكل ما وُجد له حتى الآن نقش على جدران مدخل معبد «أمدأ» يتألف من ثلاثة عشر سطراً، تشير إلى حملة قام بها هذا الفرعون على هذه البلاد. (راجع Rec. Trav XVIII p. 195).

(٢٧-٩) عمارة غرب

تقع بلدة «عمارة غرب» على الشاطئ الأيسر للنيل، على مسافة ١١٥ كجم جنوبي «وادي حلفا»، وقد وُجد فيها بقايا بلدة قديمة من عهد الدولة الحديثة، وتقع على تل عظيم بالقرب من النهر، وقد كُشف فيها عن معبد بقي من جدرانه الأجزاء الخارجية، وقد زُينت بالنقوش والمناظر، فنشاهد عليها صورة الإله «آمون رع» و«حور» و«مين» و«بتاح» و«رعسميس الثاني». أما داخل المعبد فقد كان أحسن حفظاً من خارجه، إذ إن كل الصف السفلي من النقوش محفوظ، وفي كثير من الأماكن بقيت ألوان الأشكال الأصلية محفوظة، ولم تُشوه الصور بيد أن الزمن قد عدا عليها، ومدخل هذا المعبد الرئيسي من الشمال. ونشاهد على نهاية الجدار الجنوبي للبوابة نقشاً أُرخ بالسنة السادسة من عهد «مرنبتاح»، ويقص علينا عودة جيش منتصر في السنة الخامسة، وهذا النقش بطبيعة الحال يشير إلى حروب «مرنبتاح» مع بلاد «لوبياء» وانتصاره عليها، والمثل نفسه يظهر أنه صورة مطابقة للوحة في معبد «أمدأ». ٢٧٩.

وقد عُثر لهذا الفرعون على آثار أخرى مبعثرة في متاحف العالم، نخص بالذكر منها ما يأتي:

(١) جذع تمثال بدون رأس موجود الآن بمجموعة «مرى كوفر». (راجع Weidemann, Gesch. 497).

(٢) قاعدة تمثال في متحف تورين. (راجع Lanzone, Catalogue Turin 1382).

(٣) قطعة من تمثال في متحف كوبنهاجن. (راجع Schmidt Musee (de'Copenhgne, 19

(٤) لوحة يقدم فيها أسرى للإله «بتاح» محفوظة الآن بمتحف فلورنس. (راجع (Schiaparelli, Catalogue, Florence 1601

(٥) تمثال «بو لهول» باسم «مرنبتاح» من الجرانيت الأحمر بمتحف باريس. (راجع De (Rouge Mon. Egyptien du Louvre, 23

(٦) ذكر الأستاذ «جاردنر» عدة تماثيل اغتصبها هذا الفرعون وقد كتب عليها أنه محبوب الإله «ست» سيد «أواريس»، ونخص بالذكر منها تمثالاً ضخماً يوجد الآن بمتحف برلين، اغتصبه من «أمنمحات الثالث». (راجع J. E. A. vol ٥ p. 255).

(١٠) أسرة مرنبتاح

لم يُعرف حتى الآن زوجة للفرعون «مرنبتاح» غير الملكة «إست نفرت»، يُحتمل أنها التاسعة في ترتيب أولاد «رعمسيس الثاني» وقد ذكر اسمها على لوحات السلسلة وكانت تُلقب ربة الأرضين، وهذا يدل على أنها كانت الوارثة للملك.

وكذلك لم يكن من أولاد هذا الفرعون على الآثار على ما نعلم حتى الآن إلا ولد واحد وهو «سيقي مرنبتاح الثاني» الذي خلفه على عرش الملك على حسب إحدى الروايات كما سنفصل القول في ذلك بعد. هذا ولم يُعرف له من الإناث إلا ابنة واحدة تُدعى «إري نفرت» وقد جاء ذكرها على بردية إحصاء لتوريد الأغذية، وهاك ما جاء فيها خاصاً بهذه الأميرة: توريد للحظية «إري نفرت» بنت الفرعون مرنبتاح: خمس فطائر «سعب» من الخبز الجيد، وخمسة أرغفة للأكل، وإناءان من الجعة (راجع Rec. Trav. (XVII, p. 152

(١١) عبادة مرنبتاح

لم نصادف في النقوش المصرية ما يدل على تأليه هذا الفرعون إلا لوحة واحدة عُثر عليها في معبد «السرابيوم» حيث نشاهده يُعبد عليها (راجع Petried, Hist. III, p. 106).

وقد وُجد له جعارين عدة مثل فيها مع «تحتمس الثالث» أو مع سلفه «رعمسيس الثاني» (راجع Petrie, Hist of Egypt III p. 106).

(١٢) الموظفون والحياة الاجتماعية في عهد «مرنبتاح»

(١-١٢) الوزراء في عهد مرنبتاح

(أ) وسرمنتو

كان «وسرمنتو» من أسرة عريقة في المجد يرجع عهدها إلى حكم الفرعون «رعمسيس الثاني» فقد كان والده يشغل وظيفة الكاهن الأول لمقبرة الفرعون «تحتمس الثالث» ويُدعى «خسنو»، وقد تزوج من خمس نساء رزق منهن بأسرة كبيرة العدد، كانت كلها تشغل وظائف هامة في الدولة (راجع مصر القديمة ج٦). وقد أنجبت زوجه «معيا» التي كانت تحمل لقب مغنية «آمون» «وسرمنتو» وكان يحمل لقب الأمير الوراثي، وحاكم المدينة، ولا نعلم عنه شيئاً غير ذلك.

(ب) بانحسي

لم يُعثر حتى الآن على قبر هذا الوزير غير أنه ترك لنا بعض آثار تدل على مكانته عند الفرعون «مرنبتاح»، وكان يحمل الألقاب التالية: العامل بإرشادات جلالته، وحامل المروحة على يمين الفرعون، والوزير القاضي، ونائب «نخن» وكاهن «ماعت» وحاكم المدينة، والوزير، والأمير والوراثي، ورئيس الأرض قاطبة، ووالد الإله المحبوب (لقب

كاهن)، وكاتم أسرار بيت المال، ومدير الملابس كلها، والمشرف على كهنة الآلهة كلهم، ومن يقترب من الملك (بجواره) ويعرف تعاليمه. (٢٨٠)

وقد نحت لنفسه مقصورة في المحراب العظيم الذي نحتة لنفسه «حور محب» في جبل السلسلة، وقد تحدثنا عنه فيما سبق، وتقع مقصورة «بانحسي» في الجهة الجنوبية، ونشاهد على سمك المدخل في الجزء العلوي الفرعون «مرنبتاح» والملكة «است نفرت» والأمير «سيتي مرنبتاح» والوزير «بانحسي» أمام الإلهين «آمون رع» و«بتاح» يتعبدون لهما، وفي الجزء الأسفل نرى الفرعون «مرنبتاح» واثنين من حاملي المروحة ثم الوزير «بانحسي» أمام الإلهين «حوراخي» و«ماعت» وجزءًا من متن، (٢٨١) وكذلك نشاهد عليها منظرين يتعبد فيهما «بانحسي» للفرعون «مرنبتاح». (٢٨٢)

ونشاهد في رواق محراب «حور محب» على الجدار في الجزء الأسفل لوحة تمثل عليها «مرنبتاح» يتبعه موظف واقف أمام الآلهة «آمون رع» و«منتو» و«سبك» و«حتحور» ونرى في الأسفل «بانحسي» راکعًا ومعه أنشودة للإله «آمون رع». (٢٨٣)

وكذلك نجد في هذا المحراب لوحة نشاهد عليها «مرنبتاح» تتبعه الملكة «است نفرت» حاملة الصاجات، والوزير «بانحسي» يقدم رمز العدالة للإله «آمون رع» و«موت»، وقد أرخ هذا المنظر بالسنة الثانية من عهد هذا الفرعون. (٢٨٤)

ونشاهد من جهة أخرى هذا الوزير مُصورًا على جدران معبد «وادي حلفا». (٢٨٥)

وقد جاء ذكر هذا الوزير على الاستراكا التي تحدثنا عن أعماله في حفر مقبرة الفرعون «مرنبتاح» وتجهيزها بالأثاث وما يلزم من مواد لعملية التحنيط.

(١٢-٢) الكهنة في عهد «مرنبتاح»

يدل ما لدينا من نقوش على أن «رومع روى» كان يقوم بدور الكاهن الأول للإله «آمون» في عهد الفرعون «مرنبتاح» كما فصلنا القول في ذلك (راجع ج ٦ مصر

القديمة).

(أ) «أنحورمس» الكاهن الأكبر للإله «أنحور»

يُعد تاريخ «أنحورمس» بمثابة واحدة من اللوحات التي نصادفها في وسط مجاهل التاريخ المصري القاحل في كثير من نواحيه، وسنرى أن حياته تكشف لنا عن صفحة مجيدة من شئون هذا العهد المختلفة.

موقع قبره وأهميته

نحت الكاهن «أنحورمس»^(٢٨٦) الذي عاش في عهد الفرعون «مرنبتاح» قبره في سفح منحدر من الجبل المطل على الشاطئ الغربي للنيل، الواقع خلف قرية «نجع المشايخ»، وتُوجد في هذه الجهة قبور عارية من النقوش. ومن جهة أخرى نجد طائفة من المقابر بعضها من هذا العصر في جنوب الوادي الضيق الذي يقع خلف هذه القرية، فهناك نجد قبر الكاتب الملكي لأراضي الفرعون ويدعى «إمي سبا»، ويحتوي على بعض مناظر من الحياة الريفية. وما يؤسف له أنه لم يُنشر شيء يستحق الذكر عن هذه المقابر المعروفة منذ زمن بعيد، وكل ما نعلمه هو ما نشره «مسبرو» ويشمل بعض أسطر ذكر فيها طائفة من ألقاب «أنحورمس».^(٢٨٧)

وبعد ذلك زار الأثري «سايس» هذا القبر عام (١٨٨٣-١٨٨٤) واقتصر على تدوين بعض ملاحظات ضئيلة. ٢٨٨ وقد قال في أول الأمر إنه ليس عنده من الوقت ما يكفي لنقل نقوش هذا القبر، وبعد ذلك قال إنه نقل ما بقي من نقوشه، ويقول «مسبرو» إنه منذ سنة ١٨٨١ قامت حفائر في قرية «نجع المشايخ» للكشف عن معبد أقامه «رعمسيس الثاني» وهو الذي جدده ابنه «مرنبتاح» وقد كُشف فيه عن تماثيل ولوحات كثيرة، ويذكر لنا «سايس» نقوشاً من عهد «أمنحتب الثالث» و«رعمسيس الثاني» في هذا المعبد وتمثالاً للإلهة «سخمت»، وهذه حقيقة هامة لمعرفة كنه المعبد. والواقع أن نتائج الحفر في هذا المعبد لم تسفر إلا عن ثلاث مجموعات للكاهن «أنحورمس» محفوظة

«بالمتحف المصري» وحسب. (٢٨٩)

وكان ضمن ما عُثر عليه خلالها تمثال كاتب ملكي، ومدير ضياع «أوزير» ويُدعى «توري» ومعه زوجه (راجع مصر القديمة ج٦) وكذلك حامل علم يُدعى «منمس» من عهد «رعمسيس الثاني». (٢٩٠)

وفي يناير سنة ١٩١٣ قام الأستاذ «كيس» الأثري و«بسنج» بزيارة مقابر «نجع المشايخ» ونقلا جزءًا كبيرًا من النقوش هناك، وفي عام ١٩٣٧ زار الأستاذ «كيس» المقبرة مرة أخرى، ونقل باقي النقوش وصوّر ما أمكن تصويره لصعوبة التصوير في هذا المكان، والواقع أن الشريط الضيق من الأراضي الزراعية الواقع على الشاطئ الشرقي للنيل قبالة «جرجا» حتى جنوبي «جبل طريف» يدخل ضمن مقاطعة «طينة»، وكذلك يدخل في نطاقها كل من «نجع الدير» و«نجع المشايخ». وقد كان هذا المكان في الأزمان القديمة يُدعى «بحدت». (٢٩١)

ويُرى في قوائم البلدان ثلاث مدن بهذا الاسم، فغير «بحدت» هذه «بحدت أدفو» و«بحدت» الشرقية الواقعة في غربي الدلتا، وقد سمى اليونان هذا المكان «ليبدو تنبوليس» *Lepidotonpolis* وهو اسم سمكة كان الأهليون يعبدونها في هذه الجهة، (٢٩٢) وكانت المعبودة المحلية الخاصة في «بحدت» هذه هي زوج الإله «أنخور» رب «طينة» التي تُدعى «محيت» أو «منت» وتمثل في صورة لبؤة، وكانت تتصف بكل صفات الإلهة «سخمت» إلهة «هليوبوليس». (٢٩٣)

وقد اتخذت مكانها المختار هنا كما اتخذت مثيلاتها في الشكل أماكنها في «الكاب» و«دير الجراوي» و«سيوس أرتيميدوس» و«طهنا» وكذلك في «أخميم» المجاورة. وقد دلت النقوش فضلاً عن تمثال «سخمت» الذي كشف عنه «سايس» في رقعة المعبد، على أن معبد «نجع المشايخ» كان قد أُقيم بنوع خاص للإلهة «محيت». وتشاهد صورة صغيرة لإلهة برأس لبؤة، وقرص الشمس بجوار اسم «رعمسيس الثاني»

على تمثال «منمس» الذي عُثر عليه في «نجع المشايخ» سنة ١٨٨٨،^(٢٩٤) وقد كُتب على كتف تمثال «أنحورمس» الذي قدم نذرًا في عهد الفرعون «مرنبتاح» اسمًا الإلهين: «أنحور - شو» بن «رع» و«محيت» القاطنة في «بحدت»، وكذلك نجد صيغة تقديم القربان الموجهة إلى الفرعون «أمنحتب الأول» الذي كان يحمل محراب تمثاله أمامه، وإلى الإلهة «محيت» القاطنة في بحدت لكي يقدم له كل المأكولات التي مُنعت عنه، ويدهي أن «أنحورمس» على الرغم من أنه كان صاحب سيطرة في عهد «مرنبتاح» بوصفه الكاهن الأول للإله «أنحور»، ورئيس كهنة كل آلهة «طيبة»، كان له علاقة وثيقة بالمعبد الجديد الذي أقامه «رعمسيس الثاني» للإلهة «محيت» صاحبة «بحدت» (نجع المشايخ) وهو يقع بجوار قبره مباشرة، في حين أن أسرة الكهنة الأول قد دُفنت كلها في عهد «رعمسيس الثاني» في «العراة المدفونة»، ومن المحتمل أن «أنحورمس» نفسه الذي كان يحمل لقب «الذي يملأ قلب رب الأرضين، ومدير أعمال في كل آثاره»^(٢٩٥) هو الذي قام بالإصلاح الذي عُمل في عهد «مرنبتاح» في هذا المعبد، ولذلك وضع تمثاله فيه.

وتنحصر أهمية ترجمة «أنحورمس»، كما رواها هو عن نفسه، في أننا نجد فيها حالة ظاهرة تدل على أن موظفًا حربيًا قد انتقل إلى وظيفة كاهن متقاعد يعيش منها، وهاك ترجمته لنفسه: الكاتب الملكي وكاتب المجندين لرب الأرضين، والكاهن أعظم الرائين «لرع» في «طينة»، ورئيس الحجرة للإلهين «شو» و«تفنوت»، والكاهن الأكبر للإله «أنحور»، «أنحورمس» المرحوم، والذي يرجو لسيده الملك «مرنبتاح» الأعياد الثلاثينية والصحة، رب التيجان، معطي الحياة مثل «رع» أبدئيًا يقول: لقد كنت الطفل النبيه عند الفطام، والمستقيم صبيًا، والمدرّب غلامًا، العارف فقيرًا. وكنت مسكينًا فأجّء في الفصل دون مخالفة، وكنت إنسانًا ألاحظ وأجيد «الحل»، وكنت محبوبًا من سيده «الفرعون» ومفيد الآلهة دون أن يمل قلبي العمل على نفعهما، وكنت يقظًا للسفينة فلم تسمح لي بأي نوم، وكان في استطاعة الحراس أن يناموا بسبي، وكنت شجاعًا في البر دون أن يصيبني إعياء وقطعت فيه مسافات عديدة إنسانًا يمشي على الأرض، وكنت كاتب الفرسان المجندين الذين يخطئهم العد ولا يقدر إنسان أن يحصّهم، وكنت ترجمانًا لكل

أرض أجنبية لسيدي، وكاتباً قوياً في خدمته، وكان سيدي يخاطبني أمام الأرض قاطبة ممتدحاً، وكنت محظوظاً أمام الملك بسبب الاستشارات اليومية وبسبب إطرائه لي، ولذلك كان الرفاق يقولون: «ما أعظم حظوتك» وكنت إنساناً نشأه قومه وحماه أتباعه منذ جعل الملك مكانتي قوية باختياري نديماً له، وكنت كاهناً وحاجباً ملكياً للإله «شو» ملأت بيت ماله، وكنت مشرفاً على مخازن غلاله التي جعلتها طافحة بالغلال، وكنت نافعاً لبيت الإله، وقوياً في الحقل ... والناس الذين خُلقوا من أجل «شو». وكنت منتبهاً ومستعداً في كل يوم لخدمة سيدي، وكنت مفيد الرأي للآلهة و... على رأس (الجلس)، وكنت إنساناً يسير على طريقة الإله دون اعتداء على «قوانينه»، وكنت امرأً ينحني عندما يدخل قدس الأقدس، وامتدح الإله مرات لا عداد لها، وكنت...

تعليق

طفولة «أنخورمس» ومدة دراسته: إن التقرير الذي قدمه لنا «أنخورمس» عن سني حياته الأولى غريب في تعبيراته؛ فقد ذكر لنا أدوار مدة رضاعه حتى فطامه، ثم تكلم عن حياته وهو طفل صغير فغلام، وكذلك تحدث لنا حتى عن فقره في صباه، أي إنه كان رجلاً لا وظيفة له ولا دخل يستولي عليه. والواقع أن افتخار القوم بالعدم كان من الأمور المألوفة التي جرى عليها العرف في عهد «تل العمارنة»، فكان موضع فخر لأولئك الذين وصلوا إلى مكانة عالية بعد فقر مدقع. فقد كنا نسمع في هذا العهد كثيراً أنه مما يفخر به الرجال الذين كانوا بجانب الفرعون وقاموا له بأعظم الخدمات أنهم من أصل وضيع، وأنهم نالوا ما نالوه من رفعة ومكانة بجدهم واستقامتهم في خدمة الفرعون بما لهم من شخصية. ولدينا أمثلة ناطقة تحدثنا بذلك، وأهم ما يلفت النظر من أولئك: حامل المروحة على يمين الملك وكتاب الفرعون وكتاب المجندين والقائد «معي» (راجع الجزء الخامس) حيث يقول: كنت رجلاً وضيع الأصل أباً وأماً، ولكن الأمير وطد مكانتي فقد جعلني أعظم ... بفيضه عندما كنت رجلاً لا أملك شيئاً ... الخ. وفي عهد الرعامسة الأول نجد مثلاً

لذلك في كتابة رسام على لوحة محفوظة الآن في «ليدن Lyden VI

« حيث لم يستعمل فيها كلمة «نمخ» الدالة على الفقر في الأصل كما هي الحال في عهد العمارنة، بل استعمل الكلمة الكلاسيكية «حورو» (فقرير الحال)، فيقول: لقد كنت إنساناً فقير الحال من جهة أسرته وصغيراً في قريته، ولكن سيد البلاد قد تعرف عليّ... ورفعني على الندماء.

ومما يجذب النظر في العلاقة بين هاتين الحالتين: حالة «أنحورمس» وحالة الرسام أن الأب في كل من الحالتين كان يشغل وظيفة مماثلة للتي كان يشغلها الابن، فقد كان والد «أنحورمس» المسمى «بن نب» يشغل وظيفة كاتب المجندين لرب الأرضين مثل الابن، وأن والد المفقن المذكور كان حفاراً مثل والده.

ولكن مما لا نزاع فيه أننا بدأنا نجد في عهد الدولة الحديثة خروجاً عن العادة المعروفة التي كانت تخول للولد أن يرث والده في وظيفته أو عمله، وذلك عندما ظهر أفراد أخذوا يثيرون شخصيتهم ويخلعون عن أنفسهم قيود هذا التقليد الأعمى ويشقون طريقهم في الحياة كل على حسب استعدادده وما أوتي من قوة وعزيمة ونفس طموح وشخصية ممتازة، وقد تحدثنا عن ظهور الفرد وشخصيته في مثل هذه الأحوال، وبخاصة عندما أخذ يناجي ربه ويظهر ورعه بشخصيته لا بالتعاليم التي ورثها عن آبائه وأجداده (راجع مصر القديمة ج ٦).

حياته الحربية: تدل شواهد الأحوال على أن مدة خدمة «أنحورمس» في الجيش يقع معظمها في عهد «رعمسيس الثاني» وهذا فضلاً عن خدمته في مدة «مرنبتاح» التي لم تتجاوز عشرة الأعوام. وقد كانت وظيفته الرئيسية «كاتب المجندين الملكي لرب الأرضين»، ومن ترجمته لنفسه يمكننا أن نعرف الخطوات الأولى التي خطاها نحو العلا؛ فقد كان في بادئ الأمر يعمل في الأسطول في وظيفة ثانوية، إذ كان يعمل بوصفه مشرفاً على المجدفين، ثم ترك هذه الوظيفة واشتغل في الجيش البري، ثم تنقل فيه في أماكن عدة وأخيراً ارتقى إلى وظيفة «كاتب مجندين» - وعلى ذلك لم يعد بعد جندي ميدان - لجنود عربات الحراس الخاص. وهناك قام بخدمات خاصة؛ إذ كان يعمل في جيش

«مرنبتاح» الذي حارب اللويين وأقوام البحار، وكذلك عمل ترجمانًا في «فلسطين» وغيرها، وقد كانت خدماته المتصلة، والوظائف التي تقلب فيها نحو المجد سببًا في لفت أنظار الفرعون إليه وجعله ممتدحًا أمام الأرض كلها من شرفة قصره كما كانت العادة. هذا إلى أنه رفعه إلى رتبة «نديم».

وفي ترجمة حياته لنفسه يذكر لنا قبل تقلده وظيفة الكهانة أنه كان «كاتب مجندين»، ونحن نعلم من تراجم حياة أفراد آخرين عدة أن وظيفة «كاتب مجندين» كانت ذات أهمية عظمى، وأن حاملها كان يعد من أقرب المقربين إلى الفرعون، وسنذكر فقط على سبيل المثال «أمنحتب بن حبو» الشهير الذي شغل هذه الوظيفة في عهد «أمنحتب الثالث» (راجع مصر القديمة ج ٥)، والواقع أن «أنحورمس» كان يحمل أرفع ألقاب الدولة على حسب ترتيبها المعتاد، فكان يلقب «بالأمير الوراثي، والحاكم، وحامل خاتم ملك الوجه البحري، والسمير الوحيد»، هذا فضلاً عن أنه كان يُنعت «عين ملك الوجه القبلي، وأذني ملك الوجه البحري، والكاهن والد الإله المحبوب، ومن يملأ قلب سيد الأرضين».

ومن المعلوم أن الموظفين الحربيين ورؤساءهم كانوا في وقت السلم يكلفون بالأعمال المدنية العادية، ومن الجائز أن «أنحورمس» كان قد كُلف من قبل «رعمسيس الثاني» ومن بعده ابنه «مرنبتاح» بالقيام بتجديد معبد «نجع المشايخ»؛ ولذلك كان يُلقب «الذي يملأ قلب سيد الأرضين، ومدير الأعمال على كل آثاره» (٢٩٦)

والظاهر أنه كان ذا علاقة وثيقة بالفرعون «مرنبتاح»؛ نعلم ذلك من بداية الترجمة لنفسه وهو: «الذي يتمنى لسيدته أعيادًا ثلاثينية وصحة».

ومثل هذه التعبيرات نصادفها كثيرًا في تراجم كهنة «آمون» في عهد الأسرة الثانية والعشرين «بالكرنك». فمثلاً نجد أن الرجل الذي يحمل النعوت: «عيني ملك الوجه القبلي في الكرنك» و«لسان ملك الوجه البحري» يتبع ذلك بذكر: «الذي يتمنى أعيادًا ثلاثينية لسيدته بجانب الآلهة التي في هذه الأرض» (٢٩٧)

ويظهر ذلك جلياً فيما يقوله كاهن آخر من كهنة «آمون» في نفس العصر: ٢٩٨ لقد قدمت إلى القصر في عيد تنويع الملك طاقة حملتها للفرعون من «طيبة» وتمنيت لرب الأرضين أعياداً ثلاثينية.^(٢٩٩) ولا بد إذن أن هذا الرجل كان عضواً في حفلة تنويع الملك في «منف» ضمن الكهنة الذين اجتمعوا من كل أنحاء البلاد حاملين طاقات الأزهار التي تحمل السعادة في طياتها من معبد «آمون» ليقدموها إلى الفرعون.

وكذلك كانت الحال مع «أنحورمس» فلا بد أنه فكّر في أن يقدم للفرعون طاقة أزهار لمناسبة عيد تنويجه أو لمناسبة أخرى، كما شاهدنا عظماء القوم يقدمون طاقات الأزهار إلى «سيتي الأول» حينما عاد منتصراً من «سوريا» (راجع مصر القديمة ج٦)، وقد يجوز أن الفرعون كان يقوم في هذه الحالة بزيارة إلى «طينة» تلك المدينة المقدسة من قديم الزمان.

مجال حياته في الكهانة: ليس لدينا في ترجمة حياة «أنحورمس» ما يدل على أنه بعد أن ختم حياته في سلك الوظائف الحربية قد أصبح كاهناً إلا فقرة مهشمة، ومع ذلك فإن فيها ما يكفي. ولدينا هنا برهان لا يتطرق إليه الشك في وجود وظيفة كهانة في معابد البلاد كانت تعطي معاشاً للموظفين الذين تقدمت بهم السن، وكان أول ظهور هذه الوظيفة في عهد الرعامسة، ولكي نحكم على «أنحورمس» في تقلده هذه الوظيفة يجب أن نعرف إذا كان لوالده أو لأمه أي حق في تقلد وظيفة دينية في «طينة» ومثل هذا الادعاء في أحقية وراثته هذه الوظيفة قد لعب دوراً حاسماً في مصير أسرة «بنيتر» في «الهييا» في العهد الساوي. وقد تحدثنا قبل (انظر مصر القديمة ج٦) عن أسرة في عهد الأسرة التاسعة عشرة شغل أفرادها منصب «الكاهن الأول» للإله «أنحور» مع وظائف أخرى ثانوية مدة أجيال عدة، ولا نعلم أية علاقة للكاهنين «حورا» و«منمس» وعلاقتهم بالكاهن «أنحورمس». ولا يمكن أن نقطع في الواقع إذا كان من باب الصدفة توافق اسمه «أنحورمس» مع اسم إله «طينة» الأكبر المسمى «أنحور» أم لا، وبخاصة أن «مرنبتاح»

قد دعاه للقيام بإنجاز أعمال لهذا الإله، هذا على الرغم من أن والده «بن نب» لا يحمل على تمثاله المحفوظ «بمتحف القاهرة» أي لقب كهانة (رقم ١١٣٦).

وقد كان الكاهن الأكبر لهذا الإله في عهد «رعمسيس الثاني» هو «نمنس». وتدل شواهد الأحوال على أن «أنحورمس» كان رجلًا حديث العهد «بطينة» جيء به في عهد «مرنبتاح» ليشغل هذه الوظيفة، ولا نزاع في أنه عاش قبل ذلك العهد مع أسرته في «طيبة» وقد تزوج من اثنتين. ولدنا له في معبد «نجع المشايخ» تماثيل مثل عليها معها (القاهرة رقم ١٠٩٣)، وقد كانت إحدهما تُدعى «تاورت حتب» وتُلقب «ربة البيت» زوجته الأولى. وكانت كل من زوجتيه سواء أكانت المتوفاة أم التي مُثلت معه في مقبرته «بنجع المشايخ» وهي التي تُدعى «ربة البيت» «سخت نفرت» - تحمل لقب «مغنية آمون» ملك الآلهة أو «آمون رع» سيد «الكرنك».

وقد نالت «سخت نفرت» زوجه لقب «رئيسة» حريم الإله «أنحور»، وهذا اللقب كان يحمله نساء وكهنة «أنحور» العظام، غير أن «أنحورمس» نفسه كان يحمل لقب الكهانة: صاحب اليدين الطاهرتين أمام «آمون رع»، ملك الآلهة في العاصمة الجنوبية. ويدلنا على العلاقة الوثيقة التي كانت بين «طيبة» و«أنحورمس» - وبخاصة المدينة الغربية - ما نشاهده في تمثاله الراكع (رقم ٥٨٢)، إذ يحمل محرابًا فيه صورة الملك «أمنحتب الأول» المعروف بأنه الإله الحامي «لطيبة الغربية». والواقع أن «أنحورمس» كان قد ترعرع في «طيبة» وتزوج هناك، ومن المحتمل أنه قام بأول خدمة كهانة فيها في عيد الوادي، وتدل الآثار على أن وظائف الكهانة في معبد «آمون» «بطيبة» كان يشغلها بعض رجال البلاط في عهد ملوك «اللوبيين» في الأسرة الواحدة والعشرين.^(٣٠٠)

وقد كان من نتائج الحكومة اللاهوتية التي كان فيها الإله هو المسيطر الوحيد على أقدار البلاد أن وجدنا علاقات أخرى له بالكهنة، ومن المهم هنا أن نعرف شيئًا عن كيفية تغذية الموظفين الحريين في عهد الرعامسة.

وورقة «هاريس» الكبرى تقدم لنا في هذا الصدد أمثلة كثيرة من عهد «رعمسيس

الثالث» لم يلتفت إليها أحد حتى الآن أو كان قد أسيء فهمها من قبل؛ فنقرأ في قوائم الهبات لمعابد الأقاليم التصريح التالي: «بيت رعمسيس» في ضيعة الإله «مين» صاحب «إبو» (أخميم) يقول «إنشفنو» مدير البيت - كان فيما مضى قائداً^(٣٠١) - وفي ضياع معبد «وبوات» إله «أسيوط» نجد كذلك اثنين من القواد يعيشان من ضياع هذا المعبد وهما: «تخوت محب» و«إنشفنو» السالف الذكر، وقد فهم «شادل» المعنى المقصود من ذلك بأنهما كانا يعيشان من هبات الملك الحاكم «رعمسيس الثالث». ومن ثم نفهم أن مثل هذا القائد المسمى «إنشفنو» كان من الممكن أن يجمع بين وظائف أخرى هامة غير وظيفة «مدير البيت» التي كان يتقلدها، وإذا قرنا ذلك بحالة «أنخورمس» فإن وظيفة الإشراف التي كان من المحتمل أنه يشغلها في عهد كل من «رعمسيس الثاني» و«مرنبتاح» في إقامة المباني الجديدة في «نجع المشايخ» تكون مماثلة لذلك. ولا نزاع في أن تعيينه في وظيفة الكاهن الأكبر للإله «أنخور» صاحب «طينة» وكذلك تقليده منصب «المشرف على كل الكهنة في طيبة» يؤكد ذلك أو يتفق مع ما نقول إلى حد بعيد.

وتدل شواهد الأمور على أن الطريقة في ملء وظيفة الكهانة في المعابد الرئيسية في عهد الرعامسة كانت تجري على حسب القاعدة القديمة الأصلية المبنية على توارث «وظيفة الكهانة» على وجه عام على شريطة أن يكون أمر الاختيار موكولاً إلى الإله نفسه، وهذا نفس ما حدث في اختيار «نب ونف» في عهد «رعمسيس الثاني» عندما انتخب رئيساً لكهنة «آمون» في «الكرنك». وقد كان من الطبيعي أن يسلم المرء بوجهة النظر بأن كل عظماء بيته من أصغر موظف إلى القائد الأعلى في الجيش بما لهم من مكانة ومستقبل كانوا أهلاً لملء وظائف الكهانة، وأن يتقلدوا كل وظائف الكهانة الثانوية دائماً، ومن جهة أخرى كان المنتظر إذن من الفرعون الذي يعين الكهنة للإله كما جاء في لوحة الإصلاح أن ينتخب الكاهن المطهر والكاهن خادم الإله حتماً من أولاد أشراف، وأن يكون كل منهما ابن رجل معروف المكانة، وقد ذكرنا من قبل أن عهد «اخناتون» كان على نقيض هذه الفكرة، وأنه ترك المجال لكل شخص على حسب ما تؤهله له مواهبه الشخصية، وبذلك فتح طريق الرقي أمام كل فرد ذي مقدرة وفطنة، وقد كان

«أنحورمس» يعمل على محو هذه الفكرة التي كانت لا تزال باقية في عهد «مرنبتاح»، فقد نال مركزه الديني فقط بما أظهره من إخلاص وتفانٍ للإله؛ ولما كان في الأصل من بيت فقير فإنه لم يكن له الحق في أن يُحتسب له معاش مثل أولئك الذين ورثوا الوظائف التي تخول لهم حق التمتع بمرتب دائم. وقد كان هذا الإجراء صحيحاً في دائرة ضيقة، والواقع أن القبول في المدارس التي كانت تعد الأفراد للوظائف الكبيرة كان لها شروط معلومة، وبخاصة من حيث مركز الوالدين، وبقيت هذه الحال كذلك إلى أن اتسعت دائرة حق التعليم لرجال الجيش وجنوده في عهد الدولة الحديثة عندما كان لرجال الجندية شأن يُذكر، ولكن على مر الأزمان وتغير الأفكار وتفاوت الطبقات بخاصة في العصور المتأخرة نشأت هذه الفروق الاجتماعية، وفاضلت بين طبقات الشعب، وقد ظهرت جلياً عند التعيين في وظائف الكهنة، فكانت القيود القديمة من حيث الحسب والنسب لا بد منها، ولا أدل على ذلك من المثل الذي ذُكر في تقرير الطبيب العالم المسمى «وزاحور رست» عندما أراد أن ينشئ مؤسسة جديدة للطب في «سايس» في حكم «دارا الأول» ملك الفرس الذي فتح مصر إذ يقول: «إني أضع أساسها وكل تلاميذها من أولاد رجال معروفين، فلا يكون فيها ابن فقير». ومن ذلك نعلم أن التقديرات الرسمية لم تكن وحدها في مختلف الأوقات المتغلبة على ما يجب أن يكون، بل كان من البدهة أن نجد مستلزمات الحكم يكون لها القول الفصل بصفة بارزة، فنجد أنه كان بطبيعة الحال في أوقات الحرب؛ من الختم أن ينظر نظرة خاصة لمعاش الجنود الذين قضوا زهرة شبابهم في خدمة البلاد للدفاع عنها.

وفضلاً عن ذلك نرى أن الكاتب. على الرغم من أنه كان يمجّد صناعته ويرفع من قدرها في عهد الدولة الحديثة؛ كانت الوظائف الحربية ووظائف الكهانة في رأيه ليست بعيدة عن وظيفته في قدرها وخطرها، حتى إنه عندما كان يدخل في خدمة المعبد يشعر بضيق داخلي في نفسه، وكانت هذه هي الحالة حقاً كما نعلم من مجال حياة الكاهن الأكبر «باكنخنسو» في عهد «رعمسيس الثاني»، فقد كانت العادة الجارية آنذ أن أبناء الكهنة بعد تمضية المرحلة الأولى من تعليم المدرسة؛ يقومون بتأدية خدمة حربية إلى حين.

ويلاحظ ذلك بوجه خاص مدة الحرب كما حدث في حالة خاصة معروفة اضطرت الشبان من الكهنة أن ينخرطوا في خدمة الجيش، كما يدل على ذلك عهد «مرنبتاح»، وقد كان لذلك تأثير لا بأس به، والواقع أنه من مثل هذه الأدوار المحددة يمكننا القول بأن معظم الكهنة ذوي الزعامة في أواخر عهد الرعامسة كانوا في الأصل موظفين.

وقد أشرنا قبل إلى مستقبل «حرحور» وسلفه «أمنحتب بن حبو».

وقد أبرز لنا «أنحورمس» في ترجمته لنفسه بوجه خاص إدارته لأموال معبد الإله «أنحور»؛ فقد ملأ خزانته، وجعل مخازن غلاله ملاءى بالحبوب بوصفه «المشرف على المخازن». ولا نزاع في أن بيت المال ومخازن الغلال كانتا الإدارتين الاقتصاديتين اللتين يعتمد عليهما أمر المعبد وحسن سير الأمور فيه، وكذلك نجد الحال عند تنصيب «نب ونف» الذي كان عمله حتى لحظة تعيينه قاصراً على الإشراف على كهنة الآلهة كلهم في الجنوب حتى «حراي حر-آمون» (طيبة الغربية) وشمالاً حتى «طينة»، فإن الملك قد نزل عن هاتين الإدارتين لكاهن «آمون» الأكبر الجديد، وقد ذكر صراحة؛ إذ يقول الملك له: «إنك الكاهن الأكبر «لآمون» وخزانة ماليته، وقد أصبحت تحت خاتمك مخازن غلاله.» (راجع مصر القديمة ج ٦).

ويشير أحد ألقاب «أنحورمس» الأخرى إلى إدارة أموال المعبد، وهو المشرف على مخازن غلال «أنحور»، وكذلك اللقب النادر: «المشرف على قرى الباب الكبير» (القصر) التابعة للإله «شو» بن «رع» في الوجهين القبلي والبحري. ومن ثم نعلم أن الكاهن الأول للإله «أنحور» كان القيم على ضياع «شو أنحور» في قرى القطرين جميعاً، وكانت هذه الضياع بدورها تحت إدارة «مدير بيت» محلي. وقد كان «أنحورمس» بوصفه أكبر كاهن في دائرة هذا الإله يحمل لقب المشرف على كهنة آلهة «طينة» كلهم أي مقاطعة «تاور» وما تحتويه من قرى وبلدان وبخاصة «نجع المشايخ».

وقد كان امتداد «الأبراشية» أو المقاطعة، يختلف في حدوده على حسب شخصية الكاهن الذي يديرها، وكان ذلك بطبيعة الحال وفقاً على إدارة الفرعون.

ففي أوائل حكم «رعمسيس الثاني» مثلاً كان تحت إدارة «نب وننف» الذائع الصيت بوصفه رئيس كهنة هذه الجهة كل الإقليم الذي على الشاطئ الأيمن من «طينة» حتى «طيبة». وتشعرنا ألقاب أسرة كهنة «أوزير» في «العرابة» في عهد «رعمسيس الثاني» أن دائرة نفوذ مقاطعة «طينة» التابعة للعرابة لم تكن تحت إدارة الكاهن الأكبر للإله «أنخور» - إله «طينة»؛ وقد وصل إلينا من مقاطعة «طينة» في عهد «تحتمس الثالث» - وتلك حالة خاصة نؤه عنها صراحة - أن الفرعون قد كلف كاهنها الأكبر للإله، «أوزير» صاحب «العرابة» بالقيام بأعباء هذه الوظيفة ست سنوات، على أن يكون في الوقت نفسه قائماً بعمل رئيس كهنة الإله «حور» في معبد «مين» إله «أخميم» (المقاطعة التاسعة من مقاطعات الوجه القبلي).

والألقاب الثانوية التي كان يحملها «أنخورمس» بوصفه كاهناً أكبر نجدها برمتها تقريباً في ألقاب أسرة رؤساء كهنة هذا الإله في «طينة» وبخاصة الكاهنين «حورا» و«منمس» اللذين عاشا في عهد «رعمسيس الثاني» (راجع مصر القديمة الجزء السادس).

وقد كان من نتائج التفسير القائل بأن الإله «شو» (أنخور) في عهد الدولة الحديثة - هو إله شمسي - أن نقل رؤساء كهنة «طينة» اللقب الهيليوبوليتي القديم: «أعظم الرائين» إليه، كما حدث ذلك في «أرمنت» و«الكرنك». ومنعاً للبس بإله «هليوبوليس» سموه «أعظم الرائين لرع في طينة».^(٣٠٢) وقد كان الكاهن الأكبر «منمس» يُسمى كذلك الكاهن «سم» أعظم الرائين في «طينة».

ومن ألقاب كهنة «طينة» في الدولة الحديثة لقب ثانوي يدل على الرابطة التي بين الإله «أنخور» والإلهة «محيت» من جهة، وبين الإلهين القديمين «شو» و«تفنوت» من جهة أخرى، وهذا اللقب هو: سيد حجرة «شو» و«تفنوت». وهذا اللقب كانت تحمله أسرة «منمس» في عهد «رعمسيس الثاني» بصورة منتظمة، وبعد ذلك نجده منتشرًا جداً في الأزمان المتأخرة.

ونعرف من جهة أخرى أن «أنحورمس» كان يُلقب «حاجب الإله» «شو» عندما يظهر». وهذا اللقب كان يحملُه موظف بوصفه المتكلم عن الفرعون، غير أننا لم نجد أحدًا من الآلهة يحملُه.

ومما يؤسف له أننا لا نعلم إذا كان «لأنحورمس» أسرة في «طينة» أم لا؛ والواقع أنه لم يُشاهد له أي طفل ممثل أو مذكور على جدران قبره، بيد أنه في الدعاء الذي نُقش بجوار زوجته «سخت نفرت» على جدار المدخل، نجد أن لها أمنية تخاطبه بها قائلة «أن تكافأ على ما فعلته، وأن يتسلم ابنك وظيفتك» الكاهن الأول للإله «أنحور». ولكن هذا مجرد دعاء اعتاد القوم ذكره.

(ب) «ثانفر» الكاهن الثالث للإله آمون

وقبره في «ذراع أبو النجا» رقم ١٥٨، وقد عاش في عهد الفرعون «مرنبتاح»^(٣٠٣) وقد صور عليه «القبر» صورة مزار نفس القبر على الجدار الغربي من الحجرة الأولى على يسار تماثيل جالسين، وستكلم عنه فيما بعد.

(ج) «رع إيا» الكاهن الرابع للإله «آمون»

وقبره في «ذراع أبو النجا» رقم ١٥٩، وليس في هذا القبر ما يلفت النظر من جهة الزخرف إلا سقفه المحلى بطيور جاثمة على نبات البشنين،^(٣٠٤) ومن جهة أخرى رسم على جداره الجنوبي صورة مزار صاحب المقبرة الجنائزية، وهذه الصورة وغيرها مما وُجد على جدران مقابر هذا العصر تعطينا فكرة عن هيئة مزار القبر، وبخاصة عندما نعلم أننا لا نكاد نجد مزارًا حافظًا لصورته الأصلية الخارجية لما أصابها من التهديم والتخريب على كر الأيام الدهور. وقد غني بجمع صور هذه المزارات التي صورها المصري بنفسه على جدران المقابر الأثري «ديفز» وكتب عنها مقالًا ممتعًا وضعه بالصور، بيد أنه لم يجزم بأن هذه الرسوم تمثل الحقيقة (راجع ff p. 25 JEA vol. 24).

ومعظم هذه الرسوم يرجع عهدها إلى الأسرة التاسعة عشرة، وقد نقلها «ديفر» من مقابر «شيخ عبد القرنة» ومقابر «الخوخة» ومقابر «ذراع أبو النجا» ومقابر «قرنة مرعي»، هذا إلى رسمين من «دير المدينة».

وقد جمع أحد الأثريين مادة كافية أمكنه بها أن يعيد بناء مزار صغير أصبح في استطاعتنا به أن نتصوره كما كان على حقيقته، وهو من مزارات الأسرة الثامنة عشرة. (٣٠٥)

والواقع أن بداية هذه الأسرة لا تمدنا بأنواع مختلفة هندسية في هذا الصدد، إذ نجد المقابر المصورة في تلك الفترة لا تحتوي إلا على مجرد باب له إطار و«كورنيش» في أعلاه، وموضوع على طوار وأسكفة، ولكن في نهاية هذه الأسرة يظهر ضمن أجزاء المزار - كما يُشاهد في الصور - خط من المخاريط تحت «الكورنيش» (راجع Winlock. Bull. 1982 M. M. A. Fb. p. 29٦ & AZ. 70.)

وفي عهد الأسرة التاسعة عشرة نجد نموذج مزار صغير فوق بناء المزار، وتدل القطع التي عُثِر عليها على أن هذه الأهرام كانت منتشرة في «دير المدينة»^(٣٠٦). لا نجد أثرًا لهذه الأهرام على منحدرات تل «شيخ عبد القرنة» على الرغم من أنها كانت تظهر في صور المقابر المتأخرة، ويوجد هرم في «العساسيف» يُحتمل أنه تابع لمقابر العصر الصاوي المجاورة. وفي ذراع «أبو النجا» سلسلة أهرامات مقامة من اللينات على المرتفعات العلوية، ويمكن أن تكون في الأصل للأهرام المصورة في مقبرتي «رع إيا» و«ثا نفر» اللتين تكلمنا عليهما سابقًا. ونهاية قمة الهرم المصور كانت ملونة باللون الأسود وأحيانًا باللون الأزرق كما نشاهد ذلك في مقبرة «نفر رنب» المسمى «كترو» (راجع مصر القديمة ج٦). وحجارة قمة الهرم الأصلية التي وجدت في «دير المدينة» من الحجر الجيري، وقد نُقش عليها صورة إنسان يتعبد ويصلي للآلهة الشمسية.^(٣٠٧) وتُوجد كوة صغيرة في منتصف وجه الهرم عُثِر عليها في نفس الجبانة، والمعتقد أنها كانت تنظم صورة بارزة خلف لوحة ولها ما يقابلها في صورة وجه ينظر إلى المتفرج من فوق اللوحة الملونة

فتظهر كأن رجلاً ممسكاً بها من الخلف، كما يُشاهد ذلك في مقبرة «باسر»^(٣٠٨) ومقبرة «نخت آمون» (رقم ٣٤١) على الجدار الجنوبي الغربي.^(٣٠٩)

وقد كانت الواجهات ذات العمد معروفة في مقابر عهد الأسرة الثامنة عشرة، ولكن على قدر ما وصلت إليه معلوماتنا لم نجدها مصورة على جدران هذا العصر، ولكنها كانت منتشرة في عهد الأسرة التاسعة عشرة.

كما يُشاهد ذلك في مقبرة «امنمأبت» رقم ٤١ وترجع إلى عهد «رعمسيس الأول» أو «سيتي الأول»،^(٣١٠) وكذلك مقبرة «ثاي»^(٣١١) وستكلم عنه فيما بعد، ومقبرة «ثانفر».^(٣١٢)

وقد وُجدت اللوحات التي صُوِّرت عليها هذه المزارات في أثناء تنظيف ردهات المقابر، وكذلك وُجدت منحوتة على الجدران المصقولة خارج المقبرة أو في الداخل، وهذه اللوحات كانت تصور غالباً كما نشاهدها في مقبرة «نفر نبت» السالف الذكر^(٣١٣) وفي مقبرة «خنسو» رقم ٣١ وهي من عهد «رعمسيس الثاني».^(٣١٤)

ولقد أصبح المكان العادي لرسم صورة المقبرة منذ عهد «أمنحتب الثالث» يُوضع في نهاية الموكب الجنائزي عند النقطة التي كانت تؤخذ منها المومية من تابوت المتوفى وتُنصب أمام المزار، ويوضع أمامها وخلفها طاقات من الأزهار، وكانت النسوة الحزينات يعانقنها كما كان يسندها أحد المشتركين في الجنائز، ذكراً كان أو أنثى أو كاهناً في صورة الإله «أنوب» رب الجبانة، ويُشاهد على جانبي المقبرة خط يمثل تل الصحراء المنحدر، وهو الذي كان يظن أن الحجرات الداخلية تحترقه، ومن هذا التل كانت تخرج إلهة الغرب وتمثل عادة في صورة امرأة، وأحياناً تمثل في صورة البقرة «حتحور» كما يُشاهد ذلك في مقبرة «نفر سخرو» كاتب القرابين المقدسة لكل الآلهة،^(٣١٥) وفي مقبرة «نخت آمون» رئيس المديح في «الرمسيوم» رقم ١٩،^(٣١٦) ويلاحظ أن الإلهة «حتحور» هنا كانت تمد ذراعيها مستقبلية المتوفى الذي يكون في هذه اللحظة قد نزع عن نفسه غطاء موميته

وخرج من تابوته كأنه خارج من شرنقة، وعندئذ تُوضع عليه ملابس الأحياء ثانية ويدخل في الحياة الجديدة التي سيعيش فيها خلف القبر ويصل إليها من بابه، كما يُشاهد ذلك في مقبرة «امنمأبت» السالف الذكر. (٣١٧)

ورسوم هذه المزارات يمكن ترتيبها كالآتي:

(١) إطار باب بسيط محلى بكورنيش وله مدخل في الوسط، وأحياناً نجد صفًا من المخروطات تحت الكورنيش، كما نشاهد ذلك في مقبرة «رع موسى» رقم ٥٥. (٣١٨)

(٢) نشاهد نفس الصورة السالفة، ولكن نجد على الباب صورة هرم، وأحياناً نرى عمداً تكنف الباب، وغالباً ما نشاهد لوحة أمامه. (٣١٩)

(٣) نشاهد مبنى له كورنيش وعلى قمته هرم وله مدخل على الجانب ثم لوحة. (٣٢٠)

(٤) نشاهد قاعة ذات عمد وبجانها هرم قائم بذاته فيه باب على طوار ذي كورنيش بمثابة قاعدة يركز عليها. (٣٢١)

هذه نظرة عاجلة لأشكال المزارات في عهد الأسرة التاسعة عشرة، ومنها نعلم أن المصري لم يكن جامداً في تطور المباني، بل كان يفكر ويخترع باستمرار. ونعود الآن إلى منظر المزار الذي في مقبرة «رع إيا» وقد نشره «بورخاوت» بمناسبة الكلام على الكرنيش المحلاة بقوالب مخروطية الشكل. (٣٢٢)

ونجد صورة المزار في هذا القبر على الجدار الجنوبي، ويلاحظ أنها تمتد حتى نهاية الجدار، ولذلك لم تكن هناك مسافة كافية لتستقبل إلهة الغرب المتوفى، أو لتمتد الصحراء إلى ما بعد باب المزار كما كان ذلك في غير هذه المقبرة، ويلاحظ هنا صفان من المخروطات عند قمة الهرم، وفي أسفل الكورنيش نشاهد طاقة من الأزهار مستندة على يسار المزار خلف موميتين تقفان على طوار. وحجرة الدفن قد مثلت أسفل الصورة.

(١٢-٣) «بن إزن» (ويسمى «رعمسو امبر آمون» أو «مرايونو»)

يدل ما عُثر عليه من آثار لهذا الرجل على أنه كان ذا مكانة ممتازة في بلاط الفرعون «مرنبتاح»، وقد وُجدت له لوحتان؛ إحداها «بمتحف القاهرة»، والأخرى بمتحف «بروكسل»، ويُرى على لوحة القاهرة يتعبد للإله «أوزير»، وقد أخطأ الأثري «رو» في قوله: إن «بن إزن» يتعبد للفرعون «مرنبتاح»؛ لأنه في الواقع يتعبد للإله «أوزير»، والطغراء التي بجواره لا تدل إلا على اسم الملك الذي عاش في عهده (راجع ff Gardiner, Wilbour Pap. II, p. 12).

والمتن الذي نجده على لوحة القاهرة - وهو الذي ذُكر فيه اسم الفرعون «مرنبتاح» - يدل على ما يظهر على أن «بن إزن» قد وفد إلى مصر في عهد «رعمسيس الثاني» من بلدة «زار باسان» وهي بلا شك «زير بباشاني» التي ذُكرت في لوحات «تل العمارنة» أي «بيسان» الحالية، ويدل هذا المتن أيضاً على أنه في عهد «مرنبتاح» قد سُمي باسمين مصريين وهما «رعمسو امبررع» و«مرايونو»، وتقلد مناصب «حاجب الفرعون الأول» و«حامل المروحة على يمين الفرعون» والساقي «طاهر اليدين أمام رب الأرضين» و«ساقي الفرعون الأكبر لحجرة القربان الفرعونية» و«ساقي الفرعون العظيم للذبيحة».

ويقول الأثري «رو» استنباطاً مما سلف: إن حياة «بن إزن» يمكن موازنتها بحياة «يوسف» الذي سماه الفرعون بعد دخوله مصر بوقت ما باسم مصري وهو «زافيناث» ورفعته إلى مكانة عليية. (٣٢٤)

أما اسم والد «بن إزن» الآسيوي فلا يُعرف وقد سُمي باسم مصري، على أنه - على الرغم من ذلك - مخصص بعلامة تدل على أنه اسم أجنبي وهو «إي-باعا» ولا نعرف شيئاً عن أمه ولا اسمها. (٣٢٥)

وقد عُثر على نقش صغير محفوظ الآن بمتحف «بروكلين» عليه «رعمسو امبرع» يتعبد أمام الإلهة «حتحور» سيدة الجميزة الجنوبية، وكان والده يُدعى «إيوبو» الكبير كما يقول «كابار»^(٣٢٦) ويُحتمل أنه هو نفس «إيوبو» الذي كان يعمل خازنًا في عهد «رعمسيس الثاني».

وقد عُثر له كذلك على لوحة في «غراب»^(٣٢٧) قد رُسم عليها نفس هذا الموظف يتعبد أمام تمثال «تحتمس الثالث»، وإذا لخصنا ما في الوثائق السالفة عرفنا أن هذا الآسيوي كان يشغل منصبًا من أعظم المناصب في بلاط «مرنبتاح»، وقد أثبت تعلقه بمدينة «هيلوبوليس» المقدسة بتعبده للإلهة «حتحور» التي كان لها محارب في كل عهد من عهود التاريخ المصري في آسيا وفي شبه جزيرة «سينا» وفي «بيلوص» (جبيل). وكذلك تعبد للفتاح الكبير «تحتمس الثالث» بوصفه الفاتح لآسيا واحسن إلى أهلها؛ ولذلك كانت عبادته شائعة في مدنها، وقد أكد الأستاذ «إرمن» منذ زمن بعيد، الأهمية التي كانت لهؤلاء الساقين العظام والحجاب في بلاط ملوك الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين.

وقد ذكر الأستاذ «شيرني» أنه نشر في سجل استراكا «المتحف المصري» وثيقتين جاء فيهما أن «رعمسيس امبرع» هذا كان مكلفًا مع الوزير بإعداد مقبرة «مرنبتاح» سيدهما.

ومن كل ما سبق نفهم أن هذا الآسيوي الذي كان مغمور الذكر قد أصبح في نظرنا شخصية بارزة.

(١٢ - ٤) «ثاي» ويسمى كذلك «تا»

الكاتب الملكي لمراسلات رب الأرضين، وقبره في جبانة «شيخ عبد القرنة»^(٣٢٨) رقم ٢٣، وتعد مقبرة هذا العظيم من أجمل المقابر التي بقيت لنا من عهد الأسرة التاسعة عشرة. وإن كان بعض مناظرها قد طُمس، فعلى جدران الردهة في الصف الأسفل نشاهد

منظرًا يمثل الإدارة الملكية،^(٣٢٩) وفي أسفل هذا نشاهد قردًا يهاجم إوزة.^(٣٣٠) وفي الصف الأوسط نشاهد تكفين الموميات،^(٣٣١) وفي هذه الردهة نشاهد قاعدة لمشاعل مخروطية الشكل صُوِّرت في قاعة هذا القبر، وهي جديرة بالفحص لأنها غريبة في بابها حتى إنَّها لم يُفهم كنهها في بادئ الأمر، وقد ظهرت في عهد الرعامسة وأشرنا إليها في المقبرة رقم ٥١ (راجع مصر القديمة ج ٦)، ولا غرابة في أن تظل غير مفهومة إذا علمنا أن كل مقابر عصر الرعامسة لم تُنشر بعد نشرًا علميًا اللهم إلا المقبرتين اللتين نشرهما «ديفز» وتحدثنا عنهما ببعض التفصيل في الجزء السادس، وستحدث عن موضوع هذه المشاعل، أو المصابيح بعد الفراغ من ذكر بعض مناظر هذه المقبرة.

ففي القاعدة نشاهد منظرًا فوق مدخلها مُثل فيه سفينة الإله «آتوم» يقدم له «مرنبتاح» القربان.^(٣٣٢)

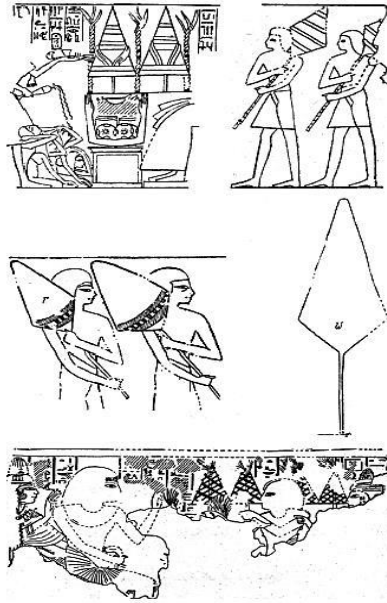
وفي الصف الأعلى من جدار القاعدة نشاهد «ثاي» أمام «أمنحتب الأول» والملكة «أحمس نفرتاري» وهو يتعبد لهما، وقد كانا يُعدان من أكبر الآلهة الحامين لجبانة «طيبة» الغربية.^(٣٣٣) وفي ممر المقبرة نرى في الجزء الأسفل موكبًا جنازيًا تنتحب فيه النسوة^(٣٣٤) ومعهن أقارب المتوفى.^(٣٣٥) وفي الصف الأعلى نقرأ متناً للمتوفى وزوجه يقدمان للإله «أوزير» بوساطة الإله «حور» ابنه،^(٣٣٦) وفي الحجرة الداخلية نُقش على الجدار ألقاب المتوفى في منظر تطهير،^(٣٣٧) وفي الخراب نشاهد صورة الملكة «أحمس نفرتاري» وصورة «أمنحتب الأول» وصورة «رعسيس الثاني» أمام المائدة، كما نشاهد صورة البقرة «حتحور» خارجة من الغرب.^(٣٣٨)

(١٢ - ٥) الشعلة

وموضوع المشاعل أو المصابيح في مصر القديمة له أهمية كبرى، ولذلك سنفحصه هنا على ضوء الشعلة أو الشمعة الجديدة التي ظهرت في مقابر الأسرة التاسعة عشرة، وهذه المشاعل التي سنتخذها نقطة البداية في بحثنا هنا توجد في مقبرة «وسرحت» رقم

(٥١)، (٣٣٩) وقد لوحظ أنها موضوعة بجانب مائدة القربان بين صاحب المقبرة وزوجه، من جهة كاهن يقوم بتأدية واجبه بمبخرة وإناء ماء، وتحتوي على مخروطين أبيضين محليين بأشرطة حمر وصفر وموضوعين على عمودين قصيرين مشتين في الأرض يكنفهما ثلاث فتائل مشعلة، كل منها مؤلف من ثلاثة خيوط مجدولة كالحبل ومربوطة من الوسط ومن النهاية بخيط، وكل حبل يظهر أنه يحتوي فتيلته الخاصة لوجود ثلاثة ألسنة من اللهب منفصلة فيه راجع شكل ٨.

ووجود هذين المخروطين من المشاعل المتقدمة يجعلنا نستخلص من هذه الأشكال الهرمية المنظر نوعاً من المصاييح، وبخاصة عندما نرى في مقابر أخرى من عهد الرعامسة مصاييح هرمية الشكل مشتعلة عند نهايتها. (٣٤٠)



شكل ٨: المشاعل (١).

والأمر الذي لا يمكن الفصل فيه بصفة قاطعة هو فائدة هذه المخاريط التي أصبحت شائعة الاستعمال في عهد الأسرة التاسعة عشرة، وهل كانت للاستصباح مثل

المشاعل التي معها أو كانت للتبخير، أو أنها كانت تُستعمل في كلتا الحالتين؟ ومن المدهش أنه على الرغم من أنها للإضاءة، أو للإيقاد، فإن الكيفية التي كانت توقد بها لم يستدل عليها قط، وحتى في عهد الأسرة الثامنة عشرة لم نعرف ذلك إلا عند ختامها، فقد رأينا المشعلة وهي توقد، ولا نعلم إذا كان المفروض في ذلك أن يقوم بذلك المتوفى في أثناء الليل، أو عند الأعياد المسائية، أو لسبب شعيري أو خرافي.

ولا بد أن الشريط كان لا يُستحب القبض عليه باليد عند استعماله، كما لا يمكن أن يستمر مشتعلًا طويلاً؛ ولذلك كان من الطبيعي أن يبحث الإنسان عن طريقة أفضل من كلتا الطريقتين السابقتين، وبخاصة عندما أصبح من المعتاد عند أصدقاء المتوفى أن يقدموا له الشعلة شخصياً. والفتائل التي استُعملت فيما بعد كانت كذلك أكبر من هذه، وأحياناً تكون ثلاثية الشكل، وكانت تُنصب مستقيمة على قاعدة موضوعة على الأرض.

وفي خلال الأسرة الثامنة عشرة كان تقديم فتيلتين لإقامة الشعيرة يقوم به في العادة كاهن، كما نشاهد ذلك في رسوم مقبرة «يوم رع» (٣٩)، ومقبرة «حوى» نائب «كوش» (٤٠)، ومقبرة «حوى» نحات «آمون» (٥٤)، ومقبرة «قن آمون» مدير بيت الفرعون (٩٣). هذا إلى أنه في مناسبة الأعياد كان أهل المتوفى يمكنهم أن يقدموها مثني مع علبة من الشحم لتموينها، وهذا هو ما يُعرف بتأدية شعيرة تقديم النور للمتوفى في الجبانة المظلمة.^(٣٤١) وهذه الشعيرة كانت تختلف منطقياً عن شعيرة تقديم إناء من البخور للتضمين حيث نجد شريطاً يُوضع منتصباً في القدر.^(٣٤٢) ونشاهد على الجدران الغربية لمقابر الأسرة التاسعة عشرة في «دير المدينة» شريطاً أو شريطين أو ثلاثة منتصبين في مسرحة واحدة يقدمها إله يُسمى «سزقي» يُنعت برب الهيب للإله «أوزير» أو للإله «أنوبيس» عندما تغيب الشمس وراء التلال الغربية، وأحياناً تمثل عين «حور» على مثل هذه المسرحة، وقد عُثِرَ ذلك في مقبرة (٢١٨) بالعبارة التالية: «إشعال نور لك»، وفي هذه الحالات تكون المشاعل على هيئة فتائل أو أقراص مخروطية الشكل وتُضاء من طرفها راجع شكل ١٠.

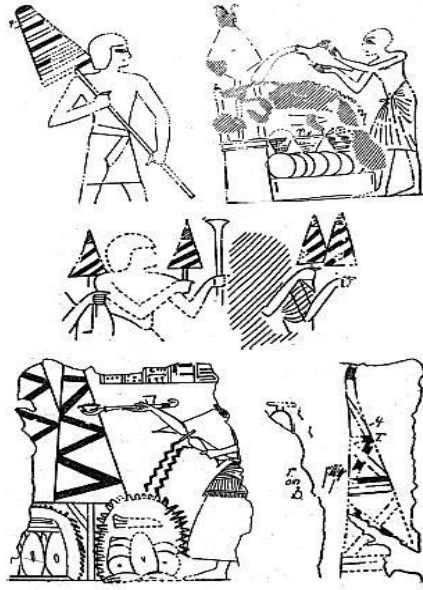
أما الشمعدان الذي عُثر عليه حديثاً في مقبرة «توت عنخ آمون» فيشبه المسارج التي وصفناها فيما سبق، وهو شريط كالحبل منتصب في قذح له مقبض يُؤمن بالزيت على الدوام، أو يُصب فوقه الشحم، أو يُوضع في المسرحجة. ولا نعلم على وجه التحقيق الغرض الأول من هذا الشمعدان الذي يشبه تماماً الشمعدان الحديث، أكان للإضاءة أم للبخور؟ وإذا كان الغرض منه الإضاءة فإنه لم يكن يخلو من دخان ينبعث منه.

ولم تكن الفتيلة هي النوع الوحيد المستعمل للإضاءة حتى في الأسرة الثامنة عشرة، إذ نشاهد في المناظر التي على جدران المقابر مصابيح هرمية الشكل يؤتى بها للمتوفى للإضاءة، وإن كانت تظهر بأشكال قد يخطئ الإنسان تفسيرها بالنسبة لأشكال الإضاءة التي استعملت فيما بعد فهي معينة الشكل. ويظن الإنسان لأول وهلة أن كلاً منها يحتوي على مخروط من الشحم مقلوب على مقبض مخروطي الشكل أيضاً. ولكن يُحتمل أن هذا لا يخرج من كونه كتلة من الشحم، أحد طرفيها مدبب ليوقد منه، والثاني مستطيل في وسطه عصاً يُحمل منها، ولم يُرَ في الصورة أي نور يدلنا على طريقة إشعاله. وقد كان أول ظهوره في المقبرة رقم (٧٥) وهي مقبرة «أمنحتب ساسي» الكاهن الثاني للإله «آمون» في عهد «تحتمس الرابع»^(٣٤٣) انظر شكل ٨ (راجع مصر القديمة الجزء الخامس)، حيث نجد ثلاثة أو أكثر من هذه المصابيح محمولة خلف حامل أواني القربان، وكان الغرض منها أن تستعمل في وقت تناول المتوفى وجبته.

وأخيراً نجد في مقبرة «موسى» كاتب الخزانة والمشرف على ضياع «تي» في أملاك «آمون» رقم (٢٥٤) - وقد عاش في نهاية الأسرة الثامنة عشرة - منظرًا قد رُسم رسمًا خشبًا نشاهد فيه بخورًا أحمر، أو شحمًا معطرًا يلقبه رجل على واحدة من ثلاث الشمعات المنصوبة فوق المائدة، اثنتان منها على هيئة فتيلتين عاديتين تحترقان، والثالثة على هيئة مخروط هرمي معين الشكل مضيء من أعلاه انظر شكل ٩، ومن ذلك نجد تقاربًا بين المصابيح والمشاعل التي ظهرت في عهد الأسرة التاسعة عشرة.

والصورة التي بدأنا بها البحث في المقبرة رقم (٥١) تُعد بداية عصر جديد

لأشكال المصاييح التي وجدنا لها الآن نظائر في العصور التي قبلها، وفي هذه الحالة نرى أن الفتائل هي التي تحترق، لا المخاريط التي نلاحظ عليها من الآن فصاعدًا أنها مسطحة القاعدة ومزينة بأشرطة أفقية، وما عدا ذلك نجد أشرطة ملفوفة حول المخاريط لتجعلها متماسكة، والشعيرة التي كانت تُستعمل من أجلها هذه المصاييح المخروطية الشكل كانت تُسمى «إيقاد النور»، وكان يتبعها تبخير القربان وتطهيره بالماء. ثم النساء النائحات على المتوفى، وكانت الشعيرة الأخيرة من الإضافات المميزة التي أُدخلت في عهد الرعامسة، وذلك على نقيض اشتراك أهل المتوفى في تناول وجبة رجوعه إلى الحياة التي كانت تُقام وسط مظاهر الفرح والابتهاج في عهد الأسرة الثامنة عشرة. والظاهر أن هذا النوع المتين من المشاعل أو المصاييح قد أصبح شائع الاستعمال، وأصبحت العادة بين أصدقاء المتوفى أن يأتوا بالمشاعل إليه مثنى مشتعلة ويثبتونها بوساطة مقابضها في الأرض أو على مائدة، وهذه الموائد كانت في الغالب على هيئة الأصص المصنوعة من الطين لغرس الأشجار فيها^(٣٤٤) انظر شكل ٨، ١٠ وكانت هذه في الواقع طريقة مناسبة لغرس مقابض المصاييح التي كان شكلها من باب الصدفة يشبه شكل الشجر، وهذا النخيل كان يعجب خيال المصري كثيرًا، وبخاصة إذا كانت هذه المشاعل مستعملة للتضميخ - حتى ولو كان ثانويًا - لأن ذلك يعيد إلى خيال المصري صور الأشجار التي تحمل البخور، وهي التي أحضرها المصريون من بلاد «بنت» وزرعوها في أصص في معبد «الدير البحري» وغيره.



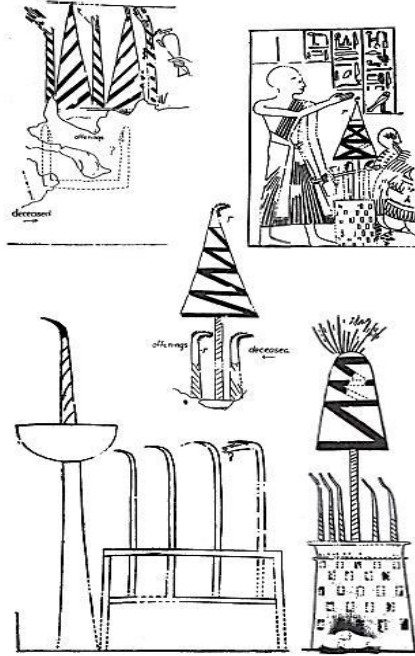
شكل ٩: الشعلة (٢).

والواقع أن المشاعل المخروطية الشكل لم تُصوّر إلا في مقبرة «بني» خادم مكان الصدق. (راجع مصر القديمة الجزء السادس) انظر الشكل ٨، ٩ وقد عاش في عهد «رعمسيس الثاني» ولكنها لم تُرسم إلا على جدارين منها؛ لأن المقبرة كان يملكها مع رجل آخر يُدعى «كاسا»،^(٣٤٥) ويظهر من الدخان واللهيب اللذين يمكن رؤيتهما يتصاعدان من شكل رقم انظر الشكل ٨ أمام المشاعل المحمولة أن مخروطين أو فتيلتين قد ثبتا إما على المائدة أو بجانبها. ولا نعلم إذا كان الغرض منهما هو إحراق القربان أو الإضاءة. ويُلاحظ في هذا المثل الذي ذكرناه أن العمود الأبيض الذي يُحمل على المخروط يمتد في داخله حتى القمة وأنه ملتهب في نهايته، ومن الجائز إذن أنه غابة سريعة الالتهاب، أو شعلة جامدة مستعملة بمثابة شريط وأن ما حوله من الشحم كان لتغذيته وجعله يضيء مدة طويلة.

ويُلاحظ أن الشعلات المقدمة هنا لا يقدمها كهنة، بل يقدمها أطفال المتوفى

بوصفها مظاهر إضافية لهدايا أخرى، لا بوصفها شعيرة دينية.

وتدل شواهد الأحوال على أن كل صور الشعل المخروطية التي كانت تُقدم في المقابر كانت تُرسم منتصبة على قواعد أو موائد، أو في أصص بالقرب من القربان، وكان معها فتيلتان. وأحياناً كانت تبلغ الفتائل خمساً كلها مضاءة.



شكل ١٠: الشعلة (٣).

وعلى الرغم من أن لدينا براهين غير مباشرة على أن المخاريط - أو من المحتمل الفتائل أيضاً - كانت لها قوة التبخير، فإن هذه الشعيرة لم تكن تتم بإضاءتها فقط، إذ لم يكن بدّ من وجود كاهن، أو ابن للمتوفى يقوم مقام الكاهن ليخمر ويظهر القربان؛ ولذلك نجد أن تقديم الشعلة لا يصحبه عادة متن. ولكننا نجد في ردهة مقبرة «ثاي» رقم (٢٣) متناً طويلاً مضافاً للمنظر يذكر لنا الصفات المفيدة التي تنجم عن وجود المضىء، وفي

هذا المنظر كذلك نشاهد كاهنًا على اليمين يبخر ويظهر القربان أمام المتوفين - الرجل وزوجه - وبين القربان والمقرب لهما أُقيمت قاعدة شعلة انظر الشكل ٩، كما توجد كذلك قاعدة أخرى لقربان ومعها إناء عطور أو دهن، وإناء مشتعل للبخور موضوع على عمود ذي رأس بردي الشكل، وهاك ما جاء في هذا المتن: (أوله مهشم) ... للسنة الجديدة مقدمًا قربانًا «لأوزير» (تا) - (وهو اسم ثانٍ «لثاني» صاحب المقبرة) - كاتب سجلات رب الأرضين، في اليوم المذكور، معطرًا بزيت (مرت) ومشعلًا نورًا، وواضعًا قربانًا «لأوزير تا».

سلام عليك يا شعلة «أوزير تا»، سلام لك يا عين «حور»، يا من ترشدين الآلهة في الظلام، ويا من تقودين «أوزير تا» من أي مكان له إلى المثنوى الذي يرغب أن يكون فيه روحه. وإني أمد مصباح «أوزير تا» الجميل بالشحم الجديد ... والدك «جب» وأملك «نوت» و«أوزير» و«إيزيس» و«ست» و«نفتيس» حتى يضيئوا وجهك. ولكي يفتحوا بتلك الأصابع الخمس من الزيتون (خمسة مشاعل من زيت الزيتون؟) وهي التي يُفتح بها فم الإله، وقد أعطيت ... وأعطي على الأرض، وقد أعطى في حقول «يارو» في ليلة عيد أول السنة السعيد (؟) إلى ... وقد أعطيت ماء الآلهة العذب، وقد أعطاك الآلهة كذلك من الماء العذب ال ... النجوم الطاهرة التي لا تغرب، والنجوم الثابتة. ليت شعلة «أوزير تا» هذه الجميلة تكون سرمدية، وليت شعلة «أوزير تا» هذا تفلح كما يفلح «آتوم» سيد ... في «هليوبوليس»، ليت شعلة «أوزير تا» الجميلة تفلح كما يفلح اسم «شو» وكذلك «تفنوت» و«جب» و«نوت» و«إيزيس» و«نفتيس» و«حور» و«وازيت» ... و«تخوت». ليت هذه الشعلة الجميلة ملك «أوزير تا» تسعد في سفينة المساء، وفي سفينة الصباح، وليتها لا تخيب ولا تتلف أبدًا. إن «أوزير تا» قد ضعف طهوره، وإن السماء مفتوحة لك، والسماء مدحوة أمامك، والطرق في الجبانة مهدة لك، وإنك تروح وتغدو مع «رع»، وتروح في مشيتك مثل أرباب الأبدية، وإن «حبي» (إله النيل) هو الذي سيعطيك الماء، وإن «نبر» (إله الغلال) سيعطيك الخبز، و«حتحور» تقدم لك الجعة، والبقرة «حسات» (إلهة) تقدم لك اللبن، أنت يا «أوزيرثاني» يا من

طهوره «مضاعف» ا.ه.

ويُلاحظ في هذا المتن أنه موجه لشعلة واحدة جميلة، ولا بد أن ذلك يشير إلى الشعلة المخروطية الشكل، وأن الغرض منها هو الإضاءة، ومع ذلك نجد أنه قيل عن استعمالها الثانوي للتبخير إن له صدقاً في نهاية هذا المتن حيث نلاحظ أن الغرض المطلوب من إقامة هذه الشعيرة كان طهور المتوفى؛ ففي مقبرة «أمنمحات» رقم (٨٢) وهو كاتب «آمون» وحاسب غلاله، نجد - كما نجد هنا - أن العيد الذي كان يحتفل به هو عيد أيام النسيء الخمسة التي تأتي في آخر السنة،^(٣٤٦) فكانت إضاءة المشاعل مساء يوم رأس السنة من مظاهر هذا العيد الخاصة؛ ففي مقبرة «أمنمحات» نجد أنه قد استُحضرت خمس شعلات لهذه الأيام الخمسة التي كانت تُعد الأيام التي وُلد فيها «أوزير» و«حور» و«ست» و«إيزيس» و«نفتيس» على التوالي. وكذلك كانت تُجلب شعلتان أخريان ليوم رأس السنة، ولعيد اتحاد الأرواح، وكذلك الشعلة اليومية. ٣٤٧ وهذه الشعلات الخمس قد أُحضرت في مقبرة «ثاي» ووُضعت على المنضدة؛ ولهذا نجد إشارة خاصة لأولاد «جب» و«نوت» الأربعة: «أوزير» و«ست» و«إيزيس» و«نفتيس». ومن المحتمل أن الشعلة المخروطية الشكل الكبيرة كانت مخصصة ليوم رأس السنة نفسه.

(١٢-٦) بنتاور

ويُلقب ساقى الفرعون

وقد وُجدت له لوحة في «العرابة» مؤرخة بالسنة الأولى من حكم «مرنبتاح»

(راجع Marriette Abydos II, p. 46).

(١٢-٧) رعمسييس حرو

وُجدت له لوحة مؤرخة بالسنة الأولى من عهد «مرنبتاح» وهي محفوظة الآن

«بمتحف اللوفر» وهي مهشمة، ويحمل عليها لقب «موظف حجرة الملك»، كما كان

يُلقب «غاسل يدي سيده» (راجع Boreux, Guide. Cat. I, p. 92).

(١٢-٨) معي

مدير عيد «آمون» في كل أعياده (Champ. Notices Desc. I, 649 to I, 18 262).

(١٢-٩) حورا

الكاتب المشرف على مائدة الفرعون (راجع Pierret Rec. Insc, ٩) وُجد له تمثال محفوظ الآن «بمتحف اللوفر».

(١٢-١٠) خع امتير

وقبره في جبانة «شيخ عبد القرنة» (راجع L. D. III, 199, g).

(١٢-١١) قن حر خبشف

كان يُلقب كاتب القبر، أي إنه كان كاتبًا مكلفًا بالمراسلات الخاصة بالعمال الذين كانوا يشتغلون في مقبرة الفرعون «مرنبتاح» في «أبواب الملك»، كما كان مكلفًا بتموين العمال الذين يعملون في حفر هذه المقبرة. وقد عدد الأستاذ «شيرني» المصادر التي ذُكر فيها اسم هذا الكاتب، كما ذكر لنا ذلك الأستاذ «جاردنر» فيقول: إن الكاتب «قن حر خبشف» كان شخصية معروفة جدًا. وقد ظهر بوجه خاص في النقوش التي على الصخور التي نقلها الأستاذ «اسبيجلبرج». والنقش رقم ٥٨٠ من هذه النقوش مؤرخ بالسنة الأولى من حكم «مرنبتاح»، وقد ذُكر هذا الكاتب مرتين في ورقة «صولت» رقم ١٢٤، ويرجع تاريخها إلى عهد «سيتي الأول» أو بعده بقليل، ولكنها على أية حال قبل عهد الفرعون «ستنتخت»، وأقدم تاريخ للكاتب «قن حر خبشف» جاء على استراكا «بالمتحف البريطاني» بتاريخ العام الثاني والأربعين من حكم «رعمسيس الثاني» وقد جاء

ذكره على عدة مجاميع من الاستراكا المحفوظة «بالمتحف المصري» (راجع No. ٢٥٧٧٩, ٢٥٧٨٠, ٢٥٧٨٣, ٢٥٧٨٤, ٢٥٧٨٥) وقد أُرِخت بالسنين الأولى والثانية والرابعة ما بين حكم «مرنبتاح» و«سيتي الثاني» وفي استراكا «بمتحف القاهرة» (No. ٢٥٨٨٢ Rt.) سطر «قن حرخبشف» الكاتب خطابًا للوزير «خعي» - وهو الذي كان يتولى الوزارة في عهد «رعمسيس الثاني» في السنة الثانية والأربعين، وكذلك في السنة الرابعة والأربعين، هذا وقد وُجد اسمه في القبر رقم ٢١٦ «بدير المدينة»، ويرجع تاريخ هذا القبر إلى عهد «رعمسيس الثاني»، ولا بد أن قبره كان في «دير المدينة» أيضًا غير أنه قد خرب تمامًا أو أنه لا يزال قائمًا ضمن المقابر التي لم يُعرف اسم صاحبها للآن، وقد ذكر الأثري «بليت» أن قبره يرجع إلى عهد الأسرة العشرين. (٣٤٨)

وقد عثر على بعض آثار باسمه، ولا شك في أنها من قبره؛ منها مائدة قربان، (٣٤٩) وحوض قربان، (٣٥٠) وعارضة باب، (٣٥١) وحوض قربان آخر (٣٥٢) وفي «متحف القاهرة» عدة استراكا يظهر أن كاتبها هو «قن حرخبشف»؛ ويدل الخط المكتوب به ظهر ورقة كتاب الأحلام على أنه من تحبيره.

وقد وصل إلينا منه خطاب كتبه للوزير «بانحسي» الذي تحدثنا عنه فيما سبق والجزء الخاص بالتحيات للوزير والثناء على الفرعون من هذا الخطاب سهل الترجمة، ولكن الجزء الذي يتحدث عن مطالب العمال ورؤسائهم تظهر فيه صعوبات لغوية لم يمكن التغلب عليها، هذا بالإضافة إلى أن المتن فيه فجوات، وهاك ما أمكن ترجمته: إن الكاتب «قن حرخبشف» لمقبرة الملك «بان رع» العظيمة، محبوب «آمون بن رع» «مرنبتاح» المسرور بالصدق في بيت «آمون» يرسل أخبارًا سارة لسيده حامل المروحة على يمين الفرعون وعمدة المدينة ووزير الوجهين القبلي والبحري «بانحسي» في حياة وسعادة وصحة، وهذا خطاب لإعلام سيدي، وإخباره بما يسر، ذلك أن المكان العظيم (القبر الملكي) للفرعون الذي تحت سلطان سيدي في نظام حسن، وجدراؤه في أمان ولم يصبه أي ضرر. وفضلاً عن ذلك فإن العمل في المكان العظيم للفرعون يسير بنظام تام،

ويعمل الإنسان فيه على حسب إرادة الفرعون، سيده الطيب، وقد أنجز البناء الأبدي بإتقان. ليت الفرعون سيدي يمضي حياته بوصفه سيد كل أرض، وليته يحكم كما حكم «رع» والده مسيطرًا على كل ما يحيط به قرص الشمس، في حين أن كاتب الملك الحقيقي محبوبه وحامل المروحة على يمين الفرعون، والفم الذي يهب الطمأنينة في الأرض قاطبة، وصاحب الخطوة الأولى عند جلالته، والستار العظيم للأرض جمعاء، والبوابة العظيمة الحامية لجلالته، ومن أوامره مطاعة كلها، ومن مشاريعه كلها لا يخطئ واحد منها، عمدة المدينة والوزير «بأنخسي» في حظوته كل يوم. أخبار سارة أخرى لسيدي إذ إننا لسنا ... بالمعاول والجبس وعمال الفرعون قد أنجزوا ... المعاول التي كانت في أيديهم، وأرجو أن يقصها على المشرف على خزانة الفرعون ويكتب إلى «بياي» وكيل خزانة الفرعون، وأرجو أن يورد معاول ومكاتل، وليته يكتب إلى وكيلي العمال ليمدانا بالجبس، وليته يكتب إلى الكتاب ليجعلهم يعطوننا أرزاقنا؛ لأن المشرف على مائدة القربان المسمى «بياي» كان هنا حتى اليوم ولم نرهم ... وبسبب بعد المسافة عنهم التي من أجلها سيدنا الفرعون يكون

والأسطر القليلة الخاصة بحاجيات العمال في مقبرة «مرنبتاح» لها أهمية عظيمة، وقد كشفت لنا بحوث علماء الآثار الحديثة في هذا الصدد كثيرًا عن حياة هؤلاء القوم وشخصياتهم، غير أننا لم نعلم إلا القليل عن كبار الموظفين الذين كانوا يشرفون عليهم والمسؤولين عن إطعامهم. (٣٥٣)

(١٣) حالة البلاد بعد «مرنبتاح»

يدل ما لدينا من الآثار الباقية على أن «مرنبتاح» لم يمكث على عرش الملك أكثر من ثماني سنوات، وليس لدينا حتى الآن ما يثبت أنه قد حكم عشرين عامًا كما ذكر لنا «مانيتون» (راجع مصر القديمة ج٦)، وتُعد الفترة التي تلت موت «مرنبتاح» فترة اضطراب وقلق في داخل البلاد بسبب الثورات التي قامت من أجل عرش الملك والتطاحن عليه بين أفراد أسرة هذا العاهل. وهذه الفترة من الزمن في حكم البلاد تشبه

الفترة التي مرت علينا في تاريخ التحامسة بعد موت «تحتمس الأول»، وهاتان الفترتان من تاريخ البلاد لا زالتا غامضتين على الرغم مما بذله المؤرخون والأثريون للوصول إلى كشف النقاب عنهما.

والواقع أن البلاد بعد عهد «مرنبتاح» كانت في حالة إعياء وفقير داخلي بالعين؛ فقد كانت - قبل عهد «مرنبتاح» - منهكة في الحروب التي شنها «رعمسيس الثاني» على البلاد المجاورة، كما أنه كذلك كان قد استنفد مواردها في إقامة المباني الدينية والتمثيل الهائلة التي ملأ بها البلاد من أقصاها إلى أقصاها، حتى إن ابنه «مرنبتاح» أي ابن «رعمسيس الثاني» لما تولى عرش الملك لم يجد من المال ما يمكنه من إقامة آثار لنفسه، فاعتصب آثار أسلافه كما ذكرنا، وقد زاد الطين بلة تألب بلاد «لوبياء» عليه ومهاجمة ممالك البحر لمصر، ولم يكن في استطاعته صدهم عن احتلال الدلتا إلا بشق الأنفس، ومع ذلك نجد أن هؤلاء الأقوام كانوا قد أخذوا يتسربون إلى البلاد ويتخذون لأنفسهم مساكن فيها، بل وكانوا يشغلون أيضًا بعض وظائف الدولة الهامة، ومن أجل ذلك نجد أنه لما توفي «مرنبتاح» كانت الأمور مهية لقيام الاضطرابات وتأليف الأحزاب التي نجدها تنمو وتترعرع في مثل هذه الأحوال لانعدام الشخصية القوية التي تضرب على أيدي العابثين والنفعيين؛ وقد بقيت البلاد حقًا في اضطراب مستمر منذ نهاية حكم «مرنبتاح» حتى مجيء «رعمسيس الثالث» الذي خلصها زمنًا من الفوضى التي كانت تهدد كيانها وتسير بها نحو الانحلال أولاً ثم الفناء آخرًا.

وتتجلى مظاهر الفوضى في البلاد في تلك الفترة فيما نشاهدها من انعدام الآثار التي تحدد لنا تتابع الملوك الذين جاءوا بعد «مرنبتاح»، ولا يزال المؤرخون مختلفين في أمرهم في هذا الشأن حتى الآن، وقد طلع علينا الأثري «إمري» برأي جديد حل بعض المشكلات التي تجعل ترتيب أواخر ملوك هذه الأسرة هو الرأي الذي أخذ به «بيري» مقبولًا، وأن ما اتبعه «مسبرو» من ترتيب لا يتفق مع الواقع، ٣٥٤ وقد أصبح الترتيب المتفق عليه حتى الآن مؤقتًا عند معظم المؤرخين وعلماء الآثار المصرية هو:

(١) سبتي مرنبتاح (سبتي الثاني)، (٢) «نموس»، (٣) «رعمسيس سبتاح»، وأخيراً: (٤) الملكة «توسرت».

وتدل البراهين التي أوردها «إمري» على أن ترتيب «بترى» هو الصحيح (راجع الثاني) منقوشاً على اسم «رعمسيس سبتاح» لا يمكن أن يتفق مع ترتيب «بترى» في تتابع أسماء هؤلاء الملوك، وقد فسر «مسبرو» ذلك بقوله: إنه عند موت «سبتاح» تزوجت «توسرت» الفرعون «سبتي الثاني». وقد أكد هذا الرأي الأساور الفضية التي وُجدت لها باسم هذا الملك، والنظرية المعقولة بالنسبة لخلافة الملوك وتتابعهم في تلك الفترة تتوقف على أمر واحد كما يقول «إمري» وهو: هل كان هناك ملك ثالث يُدعى «سبتي»؟ ونحن من جانبنا نعلم بوجود أمير على بلاد «كوش» في تلك الفترة يُدعى «سبتي» (راجع مصر القديمة ج ٥). وقد شغل هذه الوظيفة في عهد «سبتاح» إلى أن تولى وظيفته هذه آخر يُدعى «حورا» (راجع مصر القديمة ج ٥) في السنة السادسة من حكم هذا الفرعون، ويتساءل «إمري» هل تزوجت الملكة «توسرت» بعد موت «سبتاح» من «سبتي» نائب بلاد «كوش» وجعلته شريكاً لها على عرش البلاد؟ فإذا كان الرد بالإيجاب فإنها تكون نظرية مقبولة تحل المشكلة، وعلى ذلك يمكن أن يكون القبر رقم ١٥ للملك «سبتي الثاني» وأن الطغراءات التي وُضعت زوراً في مقبرة «توسرت» رقم ١٤ «بأبواب الملوك» لحاكم بلاد النوبة «سبتي» زوجها أي «سبتي الثالث»، وبذلك يمكن تفسير وجود مقبرتين للملك واحد. وكذلك تشير الأساور الفضية إلى «سبتي الثالث» - حاكم بلاد النوبة. وعلى هذا الزعم يمكن تفسير السبب الذي من أجله نجد أن الزوجة الملكية العظيمة التي نقشَت عليها هي «توسرت» لا «تاخت»، وهذه النظرية التي طلع علينا بها «إمري» براقعة خلافة في شكلها جذابة في موضوعها غير أنه ينقصها السند التاريخي الصحيح، وسيبقى الموضوع معلقاً إلى أن تجود الآثار المغمورة تحت الأرض في منطقة «أبواب الملوك» ببرهان جديد لا يحتاج إلى فروض.

- (١) راجع: G. Contenau, La Civilisation Des Hittites et Des Hurrites Du ff ٤٥٥ Maspero, The passing of the Empires p. (٢) راجع: (١٩٤٨ff (Paris ١٠٧Mitanni P.
- (٣) «سوبار» و«سوبارتو». وهذه التسمية قد أُطلقت فيما بعد على «سوريا» الشمالية ومنها اشتق على ما يظهر اسم «سوار» و«سوارا» وأخيرًا «سوريا» (راجع Hrozny, Histoire De L'Asie Anterieure p. (١٢).
- (٤) راجع: ff ٥٤٤pp. ١Ed. Méyer Gesch II, (٥) راجع: مصر القديمة الجزء السادس.
- (٦) راجع: ٢١Mariéte Serapéum III, p. (٧) راجع: ff ١٠٥A. S. XXXIX p.
- (٨) راجع: ١٣١J. E. A. V. p. (٩) راجع: (٧٥٥٣ ٨٥Aegyptische Inschriften II Berlin p.
- (١٠) راجع: ٥٣Mariette, Karnak Pl. (١١) راجع كتاب الأدب المصري القديم ج ٢.
- (١٢) راجع: ٥٥٧pp. ١Ed. Meyer Gesch II, (١٣) راجع: ff ٦٣٠Br. A. R. III §
- (١٤) راجع: ff ١٩٥pp. ٢J. E. A. vol. (١٥) راجع: (٥٩٩p. ١٣Le page Renouf, (P. S. B.
- (١٦) راجع: ff ٥٧, p. ٥٢A. Z. (١٧) راجع: ١Borchardt, Sahure II. Pl.
- (١٨) راجع: ١٦٧Urkunden I. p.

- (١٩) راجع : ٢٧A. S. ٥٧p.
- (٢٠) راجع : Hölscher, Libyer und Ägypter p. ١٦.
- (٢١) راجع : Bates, p. ١٥ note ٢.
- (٢٢) راجع : Dümichen, Hist. Insch. II. Taf. ٣٦, d L. ٨, Miss f; & Mem.
- Tr. ١٥, pl ١٢, L. ٩, ff.
- (٢٣) راجع : Sethe, Achtung. ٢٦.
- (٢٤) راجع : ٢٧A. S. ١٠٨p. ٣pl.
- (٢٥) راجع : Borchardt, Sahure I, p. ٥٠ & pl. ٢٤.
- (٢٦) راجع : Daressy, Statues de Divinités Cat. Gen. No. ٣٨٠, ٦pl.
- (٢٧) راجع : J. E. A. vol. ١٢, ١٦٣p.
- (٢٨) راجع : Blackman, Mier I. pl ٦.
- (٢٩) راجع : Sethe, Urgeschichte ٧٩f.
- (٣٠) راجع : Bissing, Denkm. Taf. ٣٣, and Sinuhe, Gardiner Notes pp. Aa;
- ١٠ and ١٥٣ JEA, ٢٢, p. ٣٥.
- (٣١) راجع : Lucas, Ancient Egyptian materials & Industries p. ١٠٦.
- (٣٢) راجع : Sethe, Pyramiden Texte L. ٤٥٦a.
- (٣٣) راجع : Naville, Totenbuch kap. ١٢٥, Schlussrede.
- (٣٤) راجع : Hölscher, Ibid. p. ٢١f.
- (٣٥) راجع : Gardiner, Onomastica I. p. ١١٦ff.
- (٣٦) راجع : Gardiner, Onomastica I. p. ١١٦ff.
- (٣٧) راجع : Naville, Festival Hall pl. ٢٠, ٧.
- (٣٨) راجع : Hölscher, Ibid p. ١٩.

- (٣٩) راجع: ٣٧٣Urkunden, IV p.
- (٤٠) كتاب الأدب المصري القديم، الجزء الأول، ٩٠ Gardiner, Admonitions. P. texts ١٤, ١٣.
- (٤١) راجع: ١٣٦L. D. II, pl. a.
- (٤٢) راجع: Lange-schafer, Grab and Denkstein des Mittleren Reiches II ١٣٩; Capart L'Art Eg. II pl. ٢٠٥١٢ (cat. Gen) No.
- (٤٣) راجع: ١٣Navelle, The XI Dynastie Temple at Deir-el Bahri III pl. ٣-٢.
- (٤٤) راجع: ٨Blackman Ibid pl.
- (٤٥) راجع: ١٣٨f, pl. ١٣٩Garstang, Burial Customs p.
- ٤٦ راجع: ٤٥Newberry, Beni Hassan I, pl.
- (٤٧) راجع: f ٢٨٠ p. ٢Ed. Meyer, Gesch I,
- (٤٨) راجع: ٢٠ and ١٩De Morgan, Fouilles à Dahshur pl.
- (٤٩) راجع: ٣٨Möller, Ibid p.
- (٥٠) راجع: ٧& ٥pls. ٦٧p. ١٥١Nr ٢٥Boston Bull.
- (٥١) راجع: ٩fig. ٩p. ١٨٩Nr ٣٢Boston Bull.
- (٥٢) راجع: ١٤, Tomb ٤٧and ٤٥Newberry, Beni Hssan I pl.
- (٥٣) راجع: a ٥٠Wreszinski, Atlas II, pl.
- (٥٤) راجع: and ١٦٧; Wresz. Atlas p. ١٦٨Capart; Art Primitif. p.
- ٣٠Hölscher Ibid p.
- (٥٥) راجع: ١ note ٤٥Möller Ibid p.
- (٥٦) راجع: a ١٣٦L. D. III,
- (٥٧) راجع: b. and ٤٨; L. D. Erg Bd Taf ١, ١٥٩Rosellini, Mon, Stor, pl.

.٢٠١Text III p.

.٥٨٤Br. A. R. III § :راجع

.٧٦Quibell, Hierakonpolis II. Pl :راجع

f; Môller Ibid ٩pl ١١٠Lyon, Travels in Northern Africa p. :راجع

.Note ٤٦p.

.٢٧٨; Silius Italicus III, ٣, ٤٩; Diodor III, ١٨٩Herodot. IV, :راجع

.٨١p. ١Ed meyer. Gesch II, :راجع

.٢٣Davies and Gardiner, Tomb of Huy pl. :راجع

.١, ٩and ٣. ٣Junger, Kleidung und Umwelt pl. :راجع

.٤, ٩, Junger Ibid Pl. ٣٨-٣٣Negertypen Abb. :راجع

.١٨Medinet Habu I. Pl. :راجع

.٢٥Petrie, Diospolis Parva pl. :راجع

.٦. N. ٣٤Hölscher. Ibid p. :راجع

.١٣١; and Bates p. ١٢١Max Müller. Eg. Research II. P. :راجع

note. ٥٠; Max Müller Ibid p. ٥٢p. ٢Ed. Meyer, Gesch. I, :راجع

.١

.ff ٣٣Palace of Minos II, p. :راجع

.٤٦٢Wb. III. P. :راجع

.٤٧Borchardt, Nefererkara p. :راجع

.١١Urk III, :راجع

١٢١; Max Müller. Eg. Res II p. ٥٢, p. ٢Ed Meyer, Gesch I, :راجع

.٢Note

; Maciver-Mace, El-Amrah and ٢, ٢Taf. ٢١, ٦١A. Z. :راجع

- . ٤٦, D ١٤ Abydos pl.
- (٧٧) راجع: d ٤٧ and pl. ٤٨ Mace, Naga-ed-Der p.
- V. Luschan, in Globus, and Junger Kleidung and Umwelt p. راجع: (٧٨)
- .ff ١٠٧
- (٧٩) راجع: ١, pl. ١ ff. Medinet Habu ٤٩ p. ١٠ and ٩, ٣ pl. ١١ A. S.
- (٨٠) راجع: Davies, El Amarna V, Frontispiece
- (٨١) راجع: ١٧١ Herodot. IV.
- (٨٢) راجع: ١٠ note ٣٩ Hölscher Ibid. p.
- (٨٣) راجع: ١٠ note ٣٩ Hölscher, Ibid p.
- (٨٤) راجع: Br. A. R. IV § III
- (٨٥) راجع: Br. A. R. IV § III
- (٨٦) راجع: ٣٢ Wolf, Bewaffung p.
- (٨٧) راجع: ١٣٩; Bonnet Waffen p. ١٥ a note ٥٠ Wresz. I. pl.
- (٨٨) راجع: ٣٩ Medinet Habu I, pl.
- (٨٩) راجع: ١٨ Ibid I, pl.
- (٩٠) راجع: ٧٥; ٧٢ Ibid II pl
- (٩١) راجع: ff ١٠٦, p. ٥١ A. Z.
- (٩٢) راجع: b ٢٠٤ L. D III
- (٩٣) راجع: a ١٦٠ Wresz. Atlas II Taf
- (٩٤) راجع: ٧٤ Medinet Habu II, pl.
- (٩٥) راجع: ١٩١ Herodot. IV.
- (٩٦) راجع: ff ٨٣ J. E. A, XXVII p.

- (٩٧) راجع: J. E. A, XIX p. ٦٩A. Z, XXI, p. ٢٣.
- (٩٨) راجع: Br. A R. V, Index. pp. ٨٨, ٥٣.
- (٩٩) راجع: J. E. A, XIX p. ١٩ ff.
- (١٠٠) راجع: Kom. Ombos. No. ١٦٨.
- (١٠١) راجع: Urk III, ١١, ٤٦.
- (١٠٢) راجع: Herodot IV, p. ١٩١.
- (١٠٣) راجع: Ibid II, ١٩ Medinet Habu I, pl. ٧٧, ٧٤.
- (١٠٤) راجع: Möller Ibid, p. ٥٠.
- (١٠٥) راجع: De Rouge, Insc Hierog. Pl. ١٧٩-١٩٨ ; and Medinet Habu I, ٣-٢٢ pl.
- (١٠٦) راجع: Urk. III, ٥٤ L. ١٤٩ ff.
- (١٠٧) راجع: Ed. Meyer, Gesch I, ٢ p. ٥٥.
- (١٠٨) راجع: Medinet Habu II pl. ١١٨ b.
- (١٠٩) راجع: Ibid fig. A.
- (١١٠) راجع: Wresz, Atlas II, Taf ٥٠ and ٥٠ a.
- (١١١) راجع: Gardiner, Onomastica p. ١١٩.
- (١١٢) راجع: Urk I, ١٢٥ f.
- (١١٣) راجع: Ibid. I, ١٢٥, ١٣ ff.
- (١١٤) راجع: Herodot, IV, ١٦٨ Ptolemaios IV, ٥, ٢٢.
- (١١٥) راجع: Frobenius, Volks-Märchen der Kabylen I, p. ١٧ Moller ;
- Ibid p. ٨٤.
- (١١٦) راجع: Hölscher, Ibid p. ٥٠.

Brugsch, Dic. Geog. des Alten Agypten, Leipzig (1852) II p. : راجع (١١٧)
78.

A Desert Odyssey of a Thousand Miles in Sudan notes and : راجع (١١٨)
٣-١ ff. pls. ٤٣, ١, No. ٧Records

. ٤٧p. ٢٢ ff, J. E. A, ١٠٣, ٨٢Geographical Journal : راجع (١١٩)

. ٥٥Hölscher, Ibid p. : راجع (١٢٠)

; Rev. ٦٠٥٨, ٨Bull, De la soc. D'anthrop. II series : راجع (١٢١)
ff ٣٩٣, ٥d'Anthrop.

.b ٤a and ٤. Abb. ٥٤Hölscher, Ibid p. : راجع (١٢٢)

. ٥note ٢٤ and p. ٦note ٤٥Scharff, Grundzüge p. : راجع (١٢٣)

. ٢٦Petrie, Prehistoric Egypt Corpus, : راجع (١٢٤)

. ١ ff, Appendix ٢٤٥Bates, ibid p. : راجع (١٢٥)

.((Map ٤٩, ٢٢J E A, : راجع (١٢٦)

. ٣-١ ff ٤٣, ١No. ٧Sudan Notes and Records : راجع (١٢٧)

. ٧٩, ١No. ٧Sudan Notes and Records : راجع (١٢٨)

. ٩٢ fig. ٢٤٧Bates, p. : راجع (١٢٩)

. ٥٥Hölscher, Ibid p. : راجع (١٣٠)

. f ٤٧Scharff. Altertumer, d. Vor und Fruhzit I p. : راجع (١٣١)

. ٤ ff and pl. ٦١No. ٧Sudan Notes and Records : راجع (١٣٢)

. ٥pl. ٨Griffith, Oxford Excav. In Nubia in L. A. A. A. : راجع (١٣٣)

, and Reisner, Kerma IV. P. ٦٩Maciver-Woolley, Buhen pl. : راجع (١٣٤)
٣٨٢.

. ٦Steindorff, Aniba I, p. : راجع (١٣٥)

- (١٣٦) راجع: Firth II p. ١٩ .
- (١٣٧) راجع: Steindroff, Ibid, and Erman in ZDMC, ٤٦, ٥٧٧ .
- (١٣٨) راجع: Sudan Notes and Records ٧No. ٢, ١٨ ff .
- (١٣٩) راجع: Ibid ٧No. ٢, ٢٩ P. ff .
- (١٤٠) Hölcher Ibid p. ٥٩ .
- (١٤١) راجع: British School of Archeology in Jerusalem ١٩٢٣ .
٣. Index of Hittite Names p. ١ Supplementary Papers
- (١٤٢) راجع: Die Ahhijava Urkunden ٣٢٧ Pub. In Abh, München .
- Phil-Hist. Abt. ١٩٢٣ .
- (١٤٣) راجع: Forschungen ١, p. ٩٥ .
- (١٤٤) راجع: Arch. Orient. ١, ٣٣٣ ff .
- (١٤٥) راجع: Kretschmer in Glotta ٢١, ٢١٤, ٢١٥, ٢٢٤ .
- (١٤٦) و«بلست» أو «بلستي» (فلسطين) قد جاء ذكرها أولاً في النقوش التي من عهد «رعمسيس الثالث»، وقد جاء ذكر البلد على تمثال مغتصب في عهد غير مؤكد. ويظن «ستايendorf» أنه عهد الأسرة الثانية والعشرين، وقد اغتصبه شخص يُدعى «بيتز» رسول «كنعان» «لفلسطين». وقد ذكرها في نقوش «رعمسيس الثالث» حيث نجد أن القوم الذين يحملون هذا الاسم من أقوام البحار الذين غزوا مصر وسوريا من الجزر وكانوا متصلين بصفة خاصة بقوم «نكر» الذين كانوا يمثّلونهم في الشكل والأسلحة، وكانوا يلبسون لباس الرأس نفسه المحلى بالريشة مسلحين بالحراب والدرع المستدير والسيوف الطويلة العريضة، والخناجر المثلثة الشكل التي كان يستعملها قوم «شردانا» ولما كان قوم «نكر» في قصة «ون آمون» (راجع الأدب المصري القديم ج ١) التي يرجع عهدها إلى الأسرة الواحدة والعشرين؛ يقطنون بلدة «دور» فإننا لا نكون قد حدنا عن جادة الصواب إذا اقترحنا أن «بلستي» أي (الفلسطينيين) كانوا يسكنون على الساحل من جهة الجنوب بعد «دور» حتى إذا لم

يكن هناك براهين تعضد هذا الزعم. يُضاف إلى ذلك أن قرن «بلست» بكنعان على التمثال السالف الذكر يمكن أن يعضد هذا الزعم بعض الشيء، والآن يجب أن نحاول هنا تلخيص البراهين التي ترمي إلى تحديد موطن الفلسطينيين الأصلي قبل ذلك العهد، فالتقاليد العبرية تتفق هي والتقاليد الإغريقية على أن الفلسطينيين من جنس أجنبي، وقد كانوا لا يُختنون، وهم في ذلك يختلفون عن الساميين، ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن الأدلة القليلة التي لدينا تشير إلى أن «بلستي» أو فلسطيني عصر «رعمسيس الثالث» لم يهاجموا من مصر من جهة البحر وحسب بل تدل الشواهد كذلك على أنهم قد ساروا براً مختربين آسيا الصغرى على ما يظهر قاصدين شمالي «سوريا». والظاهر أنه في هجرتهم هذه كانت نساؤهم وأولادهم يستعملون العربات التي تجرها الثيران المسمنة التي نراها مصورة في الموقعة البرية في نقوش مدينة «هابو».

وأخيراً لم نجد أي شيء يتعارض مع ما جاء في متون مدينة «هابو» عن أن الفلسطينيين كان مثلهم كمثل حلفائهم قد بدءوا غزواتهم من جزر البحر الأبيض، هذا إلى أننا لم نجد ما يدحض التقاليد التي وردت في التوراة أو فيما كتبه الإغريق من أن الفلسطينيين قد جاءوا إلى فلسطين عن طريق «كريت». ولكن فروق التسليح التي بين المنويين (كريت) والفلسطينيين مضافاً إليها قرص «فياستوس» الذي كانوا يلبسونه قد جعل من المحقق أن «كريت» لم تكن الموطن الأول للفلسطينيين مهما كان طول مدة إقامتهم هناك في طريقهم إلى مصر و«فلسطين» أما موطنهم الأصلي فيمكن أن يُبحث عنه في مكان ما في شمال بحر إيجه، ومن المحتمل أن احتلالهم للجزر هناك كان إحدى مراحل هجرتهم وقد أخذ بعض المؤرخين حديثاً يربطون اسم «بلستي» باسم «بلاسوي» لما بين الاسمين من التشابه اللفظي، غير أنه من المستحيل إعطاء رأي قاطع في ذلك الأمر (راجع Gardiner, Onomastica, ٢٠٥).

(١٤٧) الشكش: هم أهل «صقلية» وعلى حسب ذلك الظن تكون الغزوات التي وقعت في عهد كل من «مرنبتاح» و«رعمسيس الثالث» قد بدأت من غربي البحر الأبيض المتوسط، وهذا الرأي يوافق ما جاء عن علاقتهم باللوبيين، وكذلك وُجدت تماثيل صغيرة من الرنز في «سردنيا» وكذلك كأس من الفضة عُثر عليه في «شيويزي» وقد رُسم عليه بعض الخوذات التي تشبه خوذات «شردانا» ويقول الأستاذ «مسبرو» أن

هؤلاء القوم قد هاجروا من «ليديا» وأن الشردانيين كذلك من أصل آسيوي، غير أن قوله هذا لا يركز على سند (راجع Onomastica ١, p. ١٩٧).

(١٤٨) النكر: أحد أقوام البحر الذين هاجموا «مصر» و«سوريا» في عهد «رعمسيس الثالث» ومن المحتمل أنهم قوم من سكان الجزر، جاءوا في عهد الغزوة الكبرى، وفي قصة «ون آمون» نعلم أن «نكر» كانوا يحكمون بلدة «دور» الواقعة على الساحل الفينيقي، وهي جنوبي «الكرمل» وقد ذُكروا فيما بعد بأنهم قراصنة بحر، ثم اختفوا بعد ذلك من مسرح التاريخ، وقد عُملت محاولات لتوحيد قوم «نكر» بقوم أو مكان مذكور في التوراة بلدة «رفلاح»، ويقول الأستاذ «هول» الذي ذكر هذا الاقتراح أن «نكل» أو «نكر» يجوز أن تعدها «صقلية» أحسن من أن تكون «شكلش» ويجبذ هذه الفكرة كذلك الأستاذ «ألبرت» وهذه الموازنات لا تركز إلا على مشابهة الصوت، ولذلك لا يعتمد كثيراً عليها (راجع Onomastica ١, P. ١٩٩, ff).

(١٤٩) دني: وتكتب عادة «دنونا». وهذا الاسم يُطلق فقط على قبيلة تعيش في سهل «أرجوس» من بلاد اليونان، ولكن تُستعمل في «الإلياذة» دلالة على اليونان عامة، ولا نجد لها في النقوش المصرية إلا في متن «أمنثوي» وفي متون «رعمسيس الثالث» أي إن هؤلاء القوم لم يُذكروا بين حلفاء «ختنا» الذين حاربوا «رعمسيس الثاني» هذا ولم نجد كذلك بين أقوام البحار الذين تحالفوا على مهاجمة «مصر» مع أمير «لوبياء» في عهد «مرنبتاح» وقد ذُكروا فقط أربع مرات في حروب «رعمسيس الثالث» وفي الملخص التاريخي الذي كتبه «رعمسيس الثالث» نجده يقول: لقد دُبحَت قوم «دنونا» في جزرهم (راجع ورقة هارس). والجملته التي بعد ذلك تشير إلى أقوام «نكر» و«بلست» و«شردانا» و«وشش» من سكان البحر، ونجد في صور مدينة «هابو» صفًا من أهل «دنونا» مثّلوا بلباس رأس فيه ريش يرتدون قميصًا مخططًا كالفلسطينيين الذين صُوروا في الصف الأسفل منهم، وفي المتن الخاص بهذا المنظر نقراً: «إن سيفي قد طرح هؤلاء الذين أتوا ليفخروا بأنفسهم وهم «بلست» و«دنونا» و«وشش»».

وفي النقوش الكبيرة الخاصة بحروب السنة الثامنة من عهد «رعمسيس الثالث» جاء ما يأتي: وحلفهم كان يشمل «بلست» و«نكل» و«شكلش» و«دني» (دنونا) و«وشش».

ونزيد على المعلومات السابقة أنه يُحتمل توحيد «دنونا» مع «دانون» من حيث الهجاء المخض. أما من حيث التاريخ فيُحتمل أنها كانت موحدة بها، وبخاصة أن ذكرها مع «فلسطين» يتطلب قوّمًا لهم أهمية، وتدل أسطورة حروب «طروادة» على أن حركة «دانا» نحو الشرق من بلاد الإغريق نفسها كانت من الأمور المعروفة، هذا فضلًا عن أننا إذا استثنينا الإشارة التي وردت عنهم في ورقة «هاريس» فليس لدينا ما يدل على أنهم كانوا يسكنون في جزر (راجع Onomastica ١، ١٢٤-٢٧).

(١٥٠) راجع: Gotze, A. J. A., ٤٠، ٢١٣.

(١٥١) راجع: Herodot VII، ٩١.

(١٥٢) راجع مصر القديمة الجزء السادس.

(١٥٣) راجع: Dumichen، Historische Inschriften ١، ٢-٦.

(١٥٤) راجع: Mariette، Karnak ٥٢-٥٥.

(١٥٥) راجع: De Rouge، Insc. Hierog pp. ١٧٩-٩٨.

(١٥٦) راجع: A. S. IV، pp. ٢-٤.

(١٥٧) راجع: Max Möller، Egypte Research I pl. ١٧-٣٢.

(١٥٨) راجع: Br. A. R. III § ٥٧٤ ff.

(١٥٩) راجع: J. E. A. Vol. V. P. ٢٥٨.

(١٦٠) أي هز رأسه بالموافقة، وذلك من عمل الكهنة طبعًا.

(١٦١) راجع: Brugsch، Geschichte p. ٥٧٧.

(١٦٢) راجع: A. Z. ١٨٨١ d. ١١٨.

(١٦٣) راجع: Br. A. R. III § ٥٩٦.

(١٦٤) راجع: A. Z. ١٨٨٣ p. ٦٥-٦٧.

(١٦٥) راجع: A. S.، ٢٧ p. ١٩ ff.

(١٦٦) مصر.

(١٦٧) لأن الضغط عليهم كان شديدًا، إلا أن «بتاح» ظهر للملك في الحلم وأمره بأن يتشجع.

(١٦٨) من القبائل اللوبية.

(١٦٩) حتى يسهل الفرار.

(١٧٠) صفة لازمة على الدوام للرؤساء الأجانب المهزومين.

(١٧١) العلامة المميزة للوبيين.

(١٧٢) اسم الرئيس.

(١٧٣) اسم الملك.

(١٧٤) اسم آخر للإله «ست» الذي أخذ الآن مظهرًا حربيًا.

(١٧٥) قد يكون هذا عمل الليبيين السلمي فقد كانوا حمالين للقوافل.

(١٧٦) إله الهواء وهو ابن «رع».

(١٧٧) يحتمل أن الفقرة كلها فاسدة التركيب ويحتمل أن المقصودين هنا هم المنجمون والسحرة.

(١٧٨) كل القطعة تتفق مع محاكمة «حور» و«ست» في «هليوبوليس» حيث قامت براءة «حور» وإدانة «ست».

(١٧٩) «رع».

(١٨٠) وازن ذلك بما جاء في النقوش البارزة التي تمثل إلهًا يعطي الملك هذا السلاح الذي يشبه المنجل.

(١٨١) «منف» مدينة «بتاح تن».

(١٨٢) يعتبر الملك كجزء من الشخص الإلهي.

(١٨٣) أرمنت.

(١٨٤) المقصود محاطات الآبار الحصنة في الصحراء.

(١٨٥) اسم قبيلة نوبية يشتغل رجالها جنودًا وشرطة عند المصريين.

(١٨٦) الذي يُحدّ مراعيها، ولم تُسرق كذلك على الجانب المقابل لهذه المراعي.

(١٨٧) اسم قديم لجيران مصر المعادين لها.

(١٨٨) هذا هو أول عهدنا باسم إسرائيل، بل هي المرة الأولى التي ذُكر فيها الاسم في نصر مصري، وبموازنته بأسماء أخرى نجد أن كلمة إسرائيل كتبت لتدل على شعب لا على بلد، وعلى ذلك فإن الكاتب قد عد الإسرائيليين قبيلة بدوية تقيم في فلسطين.

(١٨٩) تشبيه كثير الاستعمال لبلدة خريت.

(١٩٠) سوريا.

(١٩١) «قهق» أو «جهج»: والكتابة الأولى لهذه الكلمة هي المتفق عليها (راجع Gauth. ١٦٠ Dic. Geogr. V, f). وقد أصبح من المعلوم أن بلاد «كهك» التي أحضر منها «أحمس بنخبت» غنيمة في عهد «أمنحتب الأول» (راجع ٣٦ Urk IV, ٤)، تُعد أرضاً أخرى يحتمل أنها في بلاد النوبة، وعلى ذلك فإن ما جاء في ورقة «أنسطاسي» الأولى (Anst. ١٧, ٤) من ذكر «الشردانا» و«القهق» و«المشوش» و«النحسيو» (النوبيون) بوصفهم فرقاً في الجيش المصري يُعد أقدم إشارة لهؤلاء القوم. وفي متون الفرعون «مرنبتاح» التي نحن بصددّها الآن قد جاء ذكر «القهق» مع اللوبيين بوصفهم أسرى (راجع I. ٢٨ Muller. Eg. Research, I pl. ٥٧). وفي ورقة «هاريس» (٧٨, ٥) نجد أنهم قد ذُكروا مع «الشردانا» بوصفهم محاربين في الجيش المصري، وهذان الطرازان من الجنود الأجانب قد جاء ذكرهما في نفس الورقة (Ibid ٧٨-١٠) بأنهم يعيشون في أمان في بلاد ملكهم، ومما يلفت النظر أن «القهق» لم يُذكروا ضمن قائمة أقوام «لوبيا» الذين اقتحموا الدلتا وغزوها قبل عهد «رعمسيس الثالث» (Ibid ٧٧, ٣) وعلى ذلك فإنه خلافاً لذكرهم في عهد «مرنبتاح» ليس لدينا من يبرر الرأي القائل بأنهم من اللوبيين. وفي «متحف تورين» بعض متون يُقال إنها كُتبت بلغة «القهق» في متن سحري (راجع Plyte and Rossi pap. Turin, ١٣٨, ٢).

(١٩٢) راجع: ١ Pap. Harris, ٧٦, ٧٨, ١٠, ١٠, Comp. Ed. Meyer Gesch II,

١ f. ٥٨٤p.

- (١٩٣) راجع : Sayce The ١٩١٣Nville, Archeology of the Old Testament
 . ١٩١٥Higher Creticism and The Monuments,
- (١٩٤) راجع : th Ed. P. ١٠Hall, The Ancient History of the Near East
 . ff ٤٠٨
- (١٩٥) راجع : . ٩٣p. ١٩١٣Archeology of the old Testament
- (١٩٦) راجع : . ٣٥Petrie, Israel in Egypt p.
- (١٩٧) راجع : . ١٩٠١ Journal of the Royal Asiatic Society. Jan.
- (١٩٨) راجع : st Edition p. ١Hall, The Ancient History of the Near East
 . ٩-٤٠٨
- (١٩٩) راجع : . ١٢٧J E A XIX p.
- (٢٠٠) راجع : . ff ١٩٤Albright. From the Stone Age to Christianity p.
- (٢٠١) راجع : Bulletin de la Societe Royale de Geographie D'Egypt Tome
 ff. Historical Notes on the Pelusiac Branch, The Red Sea ٢٣١XXI,
 . Canal, and The Route of the Exodus
- (٢٠٢) راجع : . ٩٧-١٩٦Peet, Egypt and The Old Testament p.
- (٢٠٣) راجع : . ٥٠Petrie Tanis II, Nebesheh and Defenneh p.
- (٢٠٤) راجع : . ١٢٨-١١٥A. S. XXXII, p.
- (٢٠٥) راجع : . ٢٦٣J. E. A. V, p.
- (٢٠٦) راجع : . ٢٦٧Bull. Soc. Geogr. Ibid p.
- (٢٠٧) راجع : Memoires Sur les principaux travaux d' utilité publique
 . ١٩٨executés en Egypte par Linant de Bellfonds p.
- (٢٠٨) راجع : . ٤٦٠-٤٣٣A. S. L. Part II p.
- (٢٠٩) راجع : . ١٩٥Albright From The Stone Age to Christianity p.

- (٢١٠) راجع : ١٠٨A. S. VIII p.
- (٢١١) راجع : ٦٩Excavation at Giza Vol III, p.
- (٢١٢) راجع : ٨-١٦٧A. S. XXVII p.
- (٢١٣) راجع : ١١٨-١١٦A. S. VI p.
- (٢١٤) راجع : ٢٢١J. E. A. Vol VI p.
- (٢١٥) راجع : ٢٤٨Weigall, Guide p.
- (٢١٦) راجع : ١٠٨p. ٤١ Petrie Hist. of Egypt III, fig.
- (٢١٧) راجع : ٤-١٣٠, ١١٧Weill, Recueil Insc. Sinai
- (٢١٨) راجع : ١٢٢. Pp. ٩٨Borchardt. Stat. Und Statuetten II pl.
- (٢١٩) راجع : ٤-٣pp. ٦٠ Ibid II pl.
- (٢٢٠) راجع : Petrie, Tanis II pl. VII
- (٢٢١) راجع : ١٥Porter and Moss, IV p.
- (٢٢٢) راجع : ١٥Ibid p.
- (٢٢٣) راجع : ٣٧٤٨٢, ٣٧٤٦٥; Cairo Mus. N. ٧٢٦٥Berlin Mus N,
- (٢٢٤) راجع : (١٧-١٦, II pp. ٦٥. b.) cf p. ٨Petrie, Tanis I pl. II,
- (٢٢٥) راجع : ٢٠Porter and Moss, IV p.
- (٢٢٦) راجع : ١٢٥Rifaud, Voyage p.
- (٢٢٧) راجع : ١١٦Montet: Les Nouvelles Foulles pl. LXVI p,
- (٢٢٨) راجع : ٣١Petrie Nebesheh p.
- (٢٢٩) راجع : ٣١Petrie Nebesheh p.
- (٢٣٠) راجع : ٤٥Naville, Bubastis pl. XXXVIII D of p.
- (٢٣١) راجع : ١٨Naville, Ibid p.

c and Borchardt Ibid II. Pl. ٦٣ Mariette, Mon. Divers pl. : راجع (٢٣٢)
. ٨٩-٨٧, pp. ٨٩

. ٩-١٦٦ A. S. XXIII p. : راجع (٢٣٣)

. ٢٧٩ A. S. XIII p. : راجع (٢٣٤)

Petrie, Hyksos and Israelite Cities pi. XVI. XVIa, and : راجع (٢٣٥)
. ٤١ Naville, Mound of the Jews and Griffith Tell el Yahudiyeh p.

. ٦٥ Griffith, Ibid pl XXI p. : راجع (٢٣٦)

. ١٣١ A. S. XIX p. : راجع (٢٣٧)

. ١٠١-١٠٠ Piankhi, Stela I, : راجع (٢٣٨)

. ١١٦ Porter and Moss, III p. : راجع (٢٣٩)

. ٢٠ A. S. VIII, p. : راجع (٢٤٠)

. ٢٢٣ Porter and Moss, Ibid p. : راجع (٢٤١)

. ٢٦ A. S. III p. : راجع (٢٤٢)

. ١٠٦٦ Brughesh, Thesaurus p. : راجع (٢٤٣)

. ff ٩٧ A. S. XV p. : راجع (٢٤٤)

Jr. Egyptian Expedition in Pensylvania University Museum : راجع (٢٤٥)
and ٧٩ fig. ٢١٥ pl id. Ib. p. ٨٩-٧٧) figs, ١٩١٧ Journal VIII (: راجع (٢٤٤)
. ٨٤ fig. ٢٢٤

. ٨٢ fig. ٢٢١ Ibid p. : راجع (٢٤٦)

. ٤٧, p. ٢٧ J E A, : راجع (٢٤٧)

. ١٣ Welbour Pap. II p. : راجع (٢٤٨)

. ١١٨ Porter and Moss IV p. : راجع (٢٤٩)

. ٣٨-٣٣ A. S. XVII p. : راجع (٢٥٠)

- (٢٥١) راجع : ٢٢٣-٢١١ A. S. VIII p.
- (٢٥٢) راجع : ١٦٨ Porter and moss, III p.
- (٢٥٣) راجع : ٤ Petrie, Tell el Amarna p.
- (٢٥٤) راجع : ١٢٠ Porter and Moss, III p.
- (٢٥٥) راجع : b. a ١٩٨ L. D. III p.
- (٢٥٦) راجع : e, e ١٩٨ L. D. III p.
- (٢٥٧) راجع : ٩٤ Borchardt, Cat II pl. ٥-١٠ pp.
- (٢٥٨) راجع : ٧٠, ٦٨ Petrie, and Quibell Nagada and Ballas pp.
- (٢٥٩) راجع : ١٦٠ J. E. A. XII p.
- (٢٦٠) راجع : ٨-٢٠٦ Lefebvre, Fouilles à Abydos A. S, XII pl.
- (٢٦١) راجع : ٢٠٦ Ibid p.
- (٢٦٢) راجع : ٢٢٦ A. S. XVIII p.
- (٢٦٣) راجع : ١٩٣٢ & ١٩٣١ Rapport, Medamoud p. VII () figs33-5, p. 9-58
- (٢٦٤) راجع : ٢٧٢ Champ. Notices Desc. II p.
- (٢٦٥) راجع : ١٢٩ Ibid p.
- (٢٦٦) راجع : ١٠٤ Weigall, Guide p.
- (٢٦٧) راجع : ١٤-١٣ Vol II p. ٤٢١٤ Legrain, Cat. Gen No.
- (٢٦٨) راجع : ١٠ Jequier, L'Architecture I. pl.
- (٢٦٩) راجع : ٢٣١, ٢٣٠, ٢٢٧ pp. ١٩٢٢ Winlock, Metro. Bull. Nov.
- (٢٧٠) راجع : b ١٩٩ L. D III,
- (٢٧١) راجع : ٢٧ A. Z. LVIII p.

- (٢٧٢) راجع : ٧-١٥٦, and p. ١١٠ Borchardt, Ibid II pl
- (٢٧٣) راجع : c ١٩٩L. D. III
- (٢٧٤) راجع : pls XI, XVII, XVIII, CV ١٦٥, ٥; ٤ Temple of Armant p.
- (٢٧٥) راجع : ٢١٧Porter & Moss V p.
- (٢٧٦) راجع : ff ٣٧٠ Weigall, Guide p.
- (٢٧٧) راجع : (١١٠٠٠; Champ. Mon. C. ٢L. D. III,
- (٢٧٨) راجع : ٢٢٩Porter and Moss, V,
- (٢٧٩) راجع : ١٥٤, p. ٢٤J. E. A,
- (٢٨٠) راجع : Die Veziere Des Pharaonen Reichs, Von Arthur Weil, p.
- ١٠٤
- (٢٨١) راجع : ٢١٠Porter and Moss II, p.
- (٢٨٢) راجع : g ٨٥L. D. Text IV p.
- (٢٨٣) راجع : ٢٣, ١٩and II, ٨-٦٤٧, ١ Champ. Notices Desc.
- (٢٨٤) راجع : ٢١٢; Porter and Moss V, p. ٣٦٠ Baedeker's Egypt p.
- (٢٨٥) راجع : ١٤ Pillar ١٦٣, ١٦٢Rec. Trav. XVII,
- (٢٨٦) راجع : ff ٧٧, II, p. ٧٣A. Z.
- (٢٨٧) راجع : ٧٨Mariette, Mon Divers pl.
- (٢٨٨) راجع : (١٧٢) p. ١٨٨٥P. S. B. A.
- (٢٨٩) راجع : ١٠٩٣, ٥٨٢Borchardt. Cat. Gen II, Stat. & Statuetten ,
- ١١٣٦
- (٢٩٠) راجع : ٥٤٨, ١١٤١ Ibid,
- (٢٩١) راجع : ٧٣Kees, Horus and Seth II p.

- (٢٩٢) راجع : Kees, in Pauly Wissowa Re und Ebenda Thinis. Thinites
- (٢٩٣) راجع : f ٥٦ Junker, Onoris Legende p.
- (٢٩٤) راجع : ٥٤٨ Borchardt, Stat. U. Statuetten II,
- (٢٩٥) راجع : b Architrave ٧٨ Mariette, Mon. Divers pl.
- (٢٩٦) راجع : ٧٩b and p. ٧٨ Mariette, Mon. Divers pl.
- (٢٩٧) راجع : ٥٥٩ Borchardt, Stat. u. Statuetten II p.
- (٢٩٨) راجع : ٧٤ Legrain, Stat, III p.
- (٢٩٩) راجع : ٦٧ Kees. Kulturgeschichte p.
- (٣٠٠) راجع : ١٠٥ Kees Zur Innenpolitik der Saitendynastie p.
- (٣٠١) راجع : H. Schaedel Die Listen ٢-١b, ٦١; ١٢a, ٦١, ١ Pap. Harris
٧٢. P. ٦ des Grossen Pap Harris Leipzig Agyptol. Stud H.
- (٣٠٢) راجع : ff ٢, p. ٦٧; Anthes A. Z. ٨٢, p. ٥٣ Kees, A. Z.
- (٣٠٣) راجع : ٢٤٠; and L. D. III, p. ٥٣٧ Champ. Notices Desc. I, p.
- (٣٠٤) راجع : Northampton, Spiegelberg and Newberry, Theban
- ٦ fig ٩ Necropolis p.
- (٣٠٥) راجع : and ١٩٢٧ Rapport Sur Les Fouilles de Dier el Medineh (
- ٢٩p. ٧٠, and A. Z. ١١٩, ١١٨) pp. ٢٨
- (٣٠٦) راجع : (١٩٢٨ Rapport. Dier el Medineh (١٩٢٩) ٩٥p. ٥٣fig
- (٣٠٧) راجع : .) pl. XV, XCI ١٩٢٤ (٣-١٩٢٢ Ibid,
- (٣٠٨) راجع : ٩. And Davies Ibid fig. ١٣٤, ١٣٢ Porter and Moss I,
- (٣٠٩) راجع : ١٠ Davies Ibid fig
- (٣١٠) راجع : ٧; Davies Ibid, fig. ٧٤ Porter and Moss I, p.
- (٣١١) راجع : ١٣ Davies Ibid, fig.

- (٣١٢) راجع : Ibid, fig. ١٥ .
- (٣١٣) راجع : Ibid, fig. ٨ .
- (٣١٤) راجع : Ibid, fig. ١١ .
- (٣١٥) راجع : Porter and Moss, I, p. ١٦٧ .
- (٣١٦) راجع : Ibid, p. ١٨٢ .
- (٣١٧) راجع : Davies, Ibid, ٧ .
- (٣١٨) راجع : Davies, Ibid, ١, ٢ .
- (٣١٩) راجع : Davies, Ibid, ٤, ٥, ١٠, ١٢, etc .
- (٣٢٠) راجع : Davies, Ibid, ٨, ٦ .
- (٣٢١) راجع : Davies, Ibid, ٧, ١٥ .
- (٣٢٢) راجع : Borchardt, A. Z, ٧٠ p. ٢٨, fig ١ .
- (٣٢٣) راجع : Borchardt, Ibid fig ١ .
- (٣٢٤) راجع : JEA. X p. ٢٠٠ .
- (٣٢٥) راجع : A. S. XL. P. ٤٥ VIII pl. & .
- (٣٢٦) راجع : Chronique D'Egypte, ٢١ ٣٧p. ff .
- (٣٢٧) راجع : Loat, Gurob pl. XV .
- (٣٢٨) راجع : Porter & Moss I, p. ٦٣ plan. ٥٩ .
- (٣٢٩) راجع : A, Z. XLIV p. ٥٩ ff .
- (٣٣٠) راجع : Wresz. I, ١٢٣ B .
- (٣٣١) راجع : Ibid p. ١٢٤ .
- (٣٣٢) راجع : Dumichen, Hist. Insch. II, XLIV f .
- (٣٣٣) راجع : L. D. III, p. ١٩٩ d .

- (٣٣٤) راجع : (A ١٢٣ Wresz, I, ١-٤).
- (٣٣٥) راجع : g ١٩٩ L. D. III.
- (٣٣٦) راجع : Dumichen, II, XLIV, e, ١١-١٤.
- (٣٣٧) راجع : Ibid XLIV C.
- (٣٣٨) راجع : h ١١٩ & L. D. III, p. ٢٥٣e, cf. Tset III, p. ١٩٩ L. D. III.
- (٣٣٩) راجع : ٩ J. E. A. X, pl. V, p.
- (٣٤٠) راجع الصور ٨، ٩، ١٠.
- (٣٤١) راجع : ٩٧ Gardiner, The Tomb of Amenmhat, Pl. XXIII; Ibid, p. ١٠٠ in Pl. XLVI.
- (٣٤٢) راجع : Theban, Tombs Series III, pl. XVII.
- (٣٤٣) راجع : ٢ pl. V, fig. ١٠ JEA.
- (٣٤٤) راجع : ١٤, ١١ Ibid. fig.
- (٣٤٥) راجع : ٨, ٧ Ibid. fig.
- (٣٤٦) لا تزال عادة الاضائة عند القبور في الأعياد شائعة حتى الآن.
- (٣٤٧) راجع : ٩٧ Gardiner, The Tomb of Amenmahat pl. XIV p.
- (٣٤٨) راجع : bottom line ٣ Plyte and Rossi, Pap. De Turin.
- (٣٤٩) راجع : Pl. XII ٢٤ - Rapport Dier el Medineh (1923).
- (٣٥٠) راجع : ٥-١٩٢٤ Ibid (p. ٤٩).
- (٣٥١) راجع : ١٩٥ Op. Cit p.
- (٣٥٢) راجع : ٦٧ p. ١٩٢٩ Ibid.
- (٣٥٣) راجع : Hieratic Papyri in the British Museum Third Series Chester.
- ff ٢٤ Beaty, Vol I, text p.
- (٣٥٤) أما «إدورد مير» فيقول في شأن تتابع هؤلاء الملوك ما يأتي: «إننا نعرف من هذا العهد

ثلاثة ملوك لهم مقابر في «وادي الملوك»، اثنان منهم يُعدان غير شرعيين، وقد نُحِي اسماهما من الآثار القليلة التي ظهرا عليها، وأولهما هو «منمس» وهو مغتصب؛ لأنه ليس من دم ملكي، فأمه «تاخعت» كانت لا تحمل إلا لقب الأم الملكية العظيمة، وعلى ذلك لم تكن زوجة ملكية أو بنت ملك على الأقل مثل زوجه الوحيدة «بكنور» وأنه ذكر لنا في «مبعد القرن» الذي نشاهده فيه يمجّد آمون «وسيتي الأول» «ورعمسيس الثاني»، وهنا وضع «سبتاح» اسمه فوق اسمه، أنه هو ابن آمون، والبذرة المقدسة التي خرجت من أعضائه، وابن «حور» المحبوب مثل ملك الوجه القبلي، والجميل مثل ملك الوجه البحري الذي أرضعته «إيزيس» في بلدة «خميس» (في الدلتا مثل حور) ليحكم هذه الأرض. وعلى الرغم من أن هذا الوصف يمكن أن يُقال عن كل ملوك مصر فإن الأستاذ «برستد» (Br. A. R. III, ٦٤١) يفسر ذلك بأن هذا المدعي كان ملكاً حقيقياً مثل «حور» عندما كان مستتراً عن عيني «ست» وترعرع في عهد مطاردة «ست» له، وبعد ذلك تولى عرش مصر منتصراً، والظاهر أن «مرنبتاح» قد طوح به غير أنه لم يمتكث على العرش طويلاً وقبره قد هدم تحديماً شاملاً وقد أسقطه بدوره «مرنبتاح سبتاح» وجلس مكانه على العرش على حسب ما جاء في النقوش حتى السنة السادسة من حكمه، وقد اشتركت معه زوجته «توسرت» ولها قبر عظيم وقد حفر بجوارها وزير ماليته «باي» لنفسه قبراً عظيماً، ولا بد أنه كان قد لعب دوراً هاماً في ولاية العرش في ذلك العهد. وقد خلفه على العرش «سيتي الأول» وقد محّا اسم سلفه في حين أنه على ما يظهر قد تزوج من «توسرت» وبنى لنفسه قبراً بجانب قبرها وبقي يحكم معها، وقد عده أخلافه ملكاً شرعياً. ومات في السنة السادسة من سني حكمه؛ وتدل نقوش على قطعة من الحجر الجيري دُون عليها يوميات عن العمل في قبره، على أن خليفته على العرش هو «رعمسيس سبتاح»، وأنه بعد وقف العمل أربعة أيام في قبره حداً عليه استمر دون عائق، ومن ذلك نفهم أنه لم تحدث أية قلاقل من جراء تغيير الجالس على العرش. والملك الجديد لا يُعرف له إلا آثار قليلة، ويلاحظ هنا أن سجل اليوميات السالف الذكر قد نشره «دارسي» (راجع Rec. Trav. ٣٤، ١٩١٢)) وبحث معه النقوش الأخرى المتعلقة بهذا الموضوع وقد استنبط بحق أن «رعمسيس سبتاح» لا يمكن توحيده مع «مرنبتاح سبتاح»؛ وذلك لأن لقب عرش كل منهما كان مختلفاً عن الآخر تماماً. ومن المدهش أن «رعمسيس بتاح» قد ولى في السنة الأولى من حكمه نائب ملك في «كوش» يُدعى «سيتي»، وقد كان هذا الموظف بعينه يشغل هذه الوظيفة مدة ثلاث سنوات في عهد «مرنبتاح سبتاح» - ولا يمكن توحيد «سيتي» هذا حاكم «كوش» «بسيتي الثاني» كما

يسلم البعض بذلك - والملوك الذي يتلوه على الآثار هو «ستخت» والد «رعمسيس الثالث» وهذا كل ما جادت به علينا الآثار الخاصة بهذا العصر، والواقع أنه لا يمكننا أن نجزم على وجه التحقيق بعلاقة الملوك بعضهم ببعض ولا ندلي بالأسباب التي تعضد ادعاء كل منهم لذلك. وهاك ترتيب ملوك هذه الفترة كما رتبهم «إدورد مير»:

(١) مرتتاح: حكم ٨ سنوات على الأقل.

(٢) امنمس: حكم ما يقرب من سنتين.

(٣) مرتتاح سبتاح: حكم ٦ سنوات.

(٤) سبيتي الثاني: حكم ٦ سنوات.

(٥) رعمسيس سبتاح: عدة سنوات.

(٦) أرسو: عدة سنوات.

أي إنهم حكموا حوالي ٣٢ سنة تقريباً (١٢٣٢-١٢٠٠).

هذا الترتيب هو الذي اتبعه «دريون» و«فنديه» (راجع Ed Meyer Gesch II, p. ٥٨٥ and Peuple D'Onient, Egypte p. ١ note).

سيّتي مرنبتاح



تولى الملك بعد «مرنبتاح» ابنه الأكبر «سيّتي مرنبتاح» أو «سيّتي الثاني». وتدل النقوش التي لدينا على أنه كان في أيام والده هو الوالي على العرش، إذ كان يحمل الألقاب التالية: الأمير الوراثي، والحاكم، ورئيس الأرضين، وكاتب الملك، والقائد الأعلى للجيش؛ هذا فضلاً عن لقب الكاهن «سم» الذي كان يحمله. وهو الكاهن الأكبر للإله «بتاح».

وفي تل «بسطة» عُثر على قاعدة تمثال جالس «لمرنبتاح» ومعه ابنه «سيّتي مرنبتاح» ويُلقب بولي العهد. ^(١) وكذلك يُشاهد مع والده على مناظر مقصورة «بانحسي». ^(٢)

وقد تولى الحكم في السادسة والخمسين من عمره تقريباً، وإذا كانت «تاخعت» هي بنت «رعمسيس الثاني» كما تدل على ذلك الألقاب التي تحملها وهي: البنت الملكية، والزوجة الملكية العظيمة، والتي ضمت إليها «حور» فإنها كانت لا تزال في السنة الثالثة والخمسين من حكم «رعمسيس الثاني» أميرة، إذ كانت آنذاك تبلغ الخامسة والعشرين من عمرها تقريباً. وكان «سيّتي مرنبتاح» نفسه وقتئذ في السنة الثالثة والعشرين من عمره، ويُحتمل أنهما قد تزوجا بعد ذلك مباشرة. ^(٣)



شكل ١: الفرعون سيتي (الثاني) مرتباً.

(١) مبانیه

وقد دلت الكشف الحديثة على أن هذا الفرعون كان ذا نشاط نسبي في إقامة المباني في معبد الكرنك بنوع خاص، وربما كان السبب في ذلك رغبته في إرضاء كهنة «آمون» وطمعه في أن ينحازوا إلى جانبه في ذلك الوقت المضطرب، ولذلك نجد له بعض إضافات ونقوش في أنحاء هذا المعبد.

وقد أثبتت الحفائر التي قام بها «شقرية» في السنين الأخيرة في «الكرنك» أنه أقام معبداً صغيراً للإله «آمون» هناك. (راجع Chevrier: Le Temple Reposoir (De Seti II, a Karnak).

(١-١) معبد استراحة «آمون»

كان أول من نوه عن وجود معبد باسم هذا الفرعون هو الأثري «لجران»^(٤) في عام ١٩١٣م، وقد لمح «مریت» إلى وجود مباني هذا المعبد الخارجية؛ لأنه تكلم عن

بعض الصيغ الدينية، وقد نسبته بحق «لسيقي الثاني».^(٥)

ويحتوي هذا المعبد على ثلاث محاريب متوازية لتوضع فيها السفن المقدسة لثالوث «طيبة» وهم: «آمون» و«موت» و«خنسو».

ويقع في الجزء الشمالي الغربي من الردهة الكبيرة لمعبد «آمون»، ومحوره عمودي على محور المعبد الكبير. وتركيب المعبد بسيط في ذاته، فواجهته الرئيسية يخترقها أبواب ثلاثة يؤدي كل منها إلى أحد المحاريب الثلاثة؛ فالباب الأوسط يؤدي إلى محراب «آمون» وهو في العادة أكبر من الآخرين، ويحتوي على ثلاث مقاصير في الجدار الخلفي، والمحراب الغربي مَهْدَى للإلهة «موت» ولا يحتوي إلا على مقصورتين في الجدار الخلفي، والمحراب الشرقي مَهْدَى للإله «خنسو» ويحتوي على مقصورتين في الجدار الخلفي أيضًا، ولكن يشمل فوق ذلك ثلاث مقاصير منحوتة في الجدار الشرقي.

والظاهر أن «سيقي الثاني» قد عُني عناية خاصة بمباني هذا المعبد فلم يغتصب من مباني أسلافه، بل وضع أساسه بأحجار من الكوارتسيت المستخرج من «الجبل الأحمر» القريب من القاهرة، وهو الذي تباهى «أمنحتب الثالث» بعمل تماثيله منها في «طيبة» الغربية، وقد وُضعت على طبقة سميكة من الرمل.

وجدران هذا المعبد سميكة جدًا أكثر من اللازم لمبني بهذه الأهمية؛ «فالمدماك» الأول الذي فوق الأساس من الكوارتسيت، وكذلك إطارات الأبواب. أما باقي المباني فمن الحجر الرملي العادي المستخرج من «جبل السلسلة» والظاهر أن الجدار الغربي لم يكن قد تم تنسيقه.

(أ) المناظر الخارجية

زُينت واجهة المعبد الرئيسية بصف واحد من المناظر يشاهد فيها بعض الشخصيات وهم واقفون، والملك يقدم القران لآلهة مختلفين، وعلى عتب الباب الكبير نقش تام يشمل اسم الملك ولقبه، ولكن نقوش عارضتي الباب المصنوعتين من

الكوارتسيت لم تتم بعد، وقد رُسمت دون تفصيل.

وعلى الواجهة الشرقية على الجدار الشرقي الرئيسي بعض إشارات في ثلاثة صفوف عمودية. ونجد المناظر على الجدار نفسه مقسمة صفين يمثل كل منهما منظر قربان يقدمه «سيبي الثاني» لآلهة «طيبة»، وهم من جانبهم يكافئون بطول العمر والسلام والسيطرة على الأقواس التسعة، وبالأعياد الثلاثينية إلخ، وهكذا على الجوانب الخارجية الأخرى.

(ب) النقوش الداخلية

نشاهد على جدران المحارب تمثيل المناظر التي تتحدث في هذه المحارب، أي نشاهد الملك يقدم القربان أمام السفن المقدسة «لآمون» و«موت» و«خنسو» ثم أمام الثالث معًا.

وكان الملك مرسومًا يسبق ابنه، غير أن الأخير قد مُحي - ولا بد أن خلفه هو الذي فعل ذلك بسبب المشاحنات التي كانت قائمة على تولي العرش بعد «سيبي الثاني» - في محراب «آمون». وكانت المناظر مصورة بحيث تواجه الناظر إليها في المحراب الرئيسي، كما كانت في محراب «موت» ولكن الأمر لم يكن كذلك هنا؛ لوجود ثلاث كوات في الجدار الشرقي، والجدران الخلفية لهذه المحارب الثلاثة يحتوي كل منها على صف من النقوش فوق الكوات مثل فيها الآلهة جالسين. وفي المحراب الأوسط - أي محراب «آمون» - نجد الكوات يعلوها قرص الشمس الجنح وسطر من المتون على جزأين محورهما وسط الجدار. وهذه العناصر لا توجد فوق كوات الحرابين الآخرين. وجوانب الأبواب ليست مزخرفة على نسق واحد في المحراب الأوسط وفي المحارب الأخرى الجانبية، ففي المحراب الأوسط نجد جانبي الباب قد زُخرفا بأربعة أسطر أفقية بطغراءات موزعة عمودية، وسطر أفقي من الكتابة يقدم لنا روايات مختلفة لألقاب الفرعون يفصل الأسطر التي تحتوي الطغراءات. أما جوانب الأبواب في الحرابين الآخرين

فيحتوي كل منهما على منظر قربان في صف واحد.

ويلاحظ هنا أن نقوش هذا المعبد قد حُفرت بالنقش الغائر على حسب طراز هذا العصر، غير أنها ليست عميقة في نقشها، كما نشاهد ذلك في معابد «رعمسيس الثاني» وأخلافه.

وأهم النقوش التي في محراب «آمون» ما نجده في المقصورة فوق السفينة المقدسة؛ خطاب «آمون رع» سيد الأرضين: يا بني من ظهري، ومن أحبه، يا سيد التيجان «سيقي مرنبتاح»، إني مسرور مما فعلت، وإن قلبي مغتبط، وإني أهب جمالك الحياة والسعادة، وإني أعطيتك القوة في كل البلاد الأجنبية، وأمرأؤها يقومون بالتضرع إلى وجهك، وهم يأتون منحني وجزيتهم محملة على ظهورهم خوفاً منك.

وزينة رأسك على وجهك الجميل، وشعرك المستعار يتآخى مع الصلبن اللذين على جبينك، وإني أجعله يلمع بقدر ما تمكث الآثار التي أقمتها لي في «الكرنك» حتى الأبدية.

وتجد على طول الجدار الشرقي تحت الصف الرئيسي المتن التالي الذي يحدثنا عن تقديم المعبد للإله «آمون» وهو: «حور» الثور المنتصر الخبوب من «رع» سيد التاجين، حامي مصر. وغال البلاد الأجنبية - «حور»، قاهر «نبتى»، عظيم الانتصارات في كل الممالك - ملك الوجهين القبلي والبحري، سيد الأرضين «وسر خبرو رع مري آمون» - ابن «رع» سيد التيجان (سيقي مرنبتاح)، لقد أقام هذا أثراً لوالده «آمون رع» ملك الآلهة مثوى له لملايين السنين من الحجر الأبيض الجميل الرملي، وبأبواب من الأرز الحقيقي، واسمه الجميل هو (مثوى «سيقي مرنبتاح» في معبد «آمون») وقد أقام (هذا) له ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر خبرو رع مري آمون» ابن الشمس «سيقي مرنبتاح» محبوب «آمون».

وكذلك نجد في محراب «خنسو» الفرعون يقدم الخراب لإلهه «خنسو» في «طيبة»

الملقب «نفر حتب» «حور» الثور المنتصر، محبوب «رع»، سيد الإلهتين، حامي مصر، وغال البلاد الأجنبية «حور الذهبي»، عظيم الانتصارات في البلاد الأجنبية كلها، ملك الوجهين القبلي والبحري، وسيد الأرضين، «وسر خبر ورع مري آمون» ابن «رع» سيد التيجان «سيتي مرتتاح». لقد أقام هذا بمثابة أثره لوالده «خنسو» في «طيبة» «نفر حتب» بانيًا له مكانًا جديدًا «عظيمًا» من الحجر الرملي الأبيض الجميل المتقن الصنع. وعمل هذا له ابنه ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر خبر ورع» محبوب «آمون» ابن «رع» «سيتي مرتتاح» محبوب «خنسو» في «طيبة» «نفر حتب».

وفي محراب الإلهة «موت» نشاهد على الجدار الشرقي في الجزء الجنوبي الملك يخلق فوق العقاب. ويتبعه أمير ملكي لا يزال في طفولته يصب الماء أمام المقصورة الصغيرة التي تستر القارب المقدس الحلي برأس «موت»، وقد كتب فوق الفرعون ألقابه: «المحسوب من «موت» العظيمة سيده «إشرو» وملكة الآلهة كلهم».

وكتب فوق الأمير الصغير: التبعيد «لموت» العظيمة، وانشراح روحها، وتقبيل الأرض أمام (عين رع) سيده كل الآلهة ... الساحرة الكبيرة التي تسكن في المحراب «رعيت» سيده الواحة (٢).

ليتها تحرس ابنها سيد الأرضين «وسر خبر ورع» محبوب «آمون» لكل الحياة والثبات والسعادة بطول عمر مثل الشمس مخلصًا ليتها (؟) تعطي الخطوة ... في صحة على الأرض، وأن أكون محترمًا ... جلالته لهذا الإله المفخم «آمون رع» ملك الآلهة. الأمير الابن الأكبر للملك «سيتي مرتتاح» «المبرأ».

ولا نعلم من هو هذا الأمير؛ لأن اسمه لم يُذكر في النقوش.

أما باقي نقوش المعبد فليس فيها ما يلفت النظر، بل كلها تحتوي على تقديم القربان والعطور بوساطة الفرعون، ومخاطبة الآلهة شاكرين له صنعه وما يحبه وكل ما يتمناه في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

أما آثار هذا الفرعون الأخرى في معبد الكرنك فهي كالآتي:

(١) نجد له سطرين من النقوش على البوابة الرابعة، وكذلك نُقش اسمه وألقابه مع متن «لتحتمس الرابع»^(٦).

(٢) نقش متناً على عارضة باب في معبد «آمون» الكبير بالقسم الشرقي مع نقوش «لتحتمس الثالث» (راجع Porter and Moss, II, p. ٣٣).

(٣) عثر «لجوان» في الزاوية الجنوبية الشرقية من قاعة العمد الكبرى لمعبد «آمون» على عدة أحجار منقوشة كانت تؤلف الجزء الأعلى من الجدار، وقد أرخت بعهد الفرعون «رعمسيس الثاني» غير أن «سيتي الثاني» قد وضع عليها اسمه عليها. والمتن الذي نُقش على هذه الأحجار يشمل أنشودة للإلهة «وازيت» وقد وُجدت هنا مهمشة، غير أنها موجودة برمتها في معبد «رعمسيس الثالث» الذي أقامه «لامون» في معبد الكرنك العظيم، وقد نشر هذا المتن «بركش»^(٧).

(٤) البوابة السابعة: نجد عند مدخل هذه البوابة كوة صور عليها «سيتي الثاني» مع ثالوث «طيبة» (راجع Jequier, L'Architecture I, pl. ٥٦ (٣)).

(٥) البوابة العاشرة: نجد اسم «سيتي الثاني» منقوشاً على قطعة جرانيت في هذه البوابة (راجع Porter and Moss, II, p. ٦٣).

وله لوحة من الجرانيت عُثر عليها بين تماثيل «بو لهول» (Rec. Trav. XIV, ٣٠, ٣١).

(٦) معبد «موت»: أقام هذا الفرعون بوابة هذا المعبد وقد زيد فيها في عصر البطالسة، وأمام البوابة الأولى أقام هذا الفرعون مسلتين صغيرتين لم يبقَ منهما إلا واحدة الآن (راجع Mariette, Karnak p. ١٧).

(٧) البوابة السادسة: نقش اسمه على البوابة السادسة من معبد الكرنك (راجع Mariette, Carnak p. ٣٠). وكذلك قام بإصلاحات في الردهة التي في شرق البوابة السادسة (راجع Champ. Notices II, p. ١٣٩). وعلى الجدار الغربي بين البوابة الثانية والبوابة الثامنة كتب اسمه (راجع Champ. Notices II, ١٩٤).

(٨) البوابة التاسعة: نجد على هذه البوابة أنشودة للإله «آمون رع» (راجع L. D. III, ٢٣٧, A. Z. XI, ١٧٤c). وكذلك وُجد عند هذه البوابة تمثال «لبو لهول» كُتب عليه اسمه ولكنه مغتصب (راجع Champ. Notices II, ١٧٤).

(٩) معبد «خنسو»: كتب هذا الفرعون اسمه على «كرنيش» هذا المعبد (راجع Weidemann. Gesch, ٤٨٢).

(١٠) معبد الأقصر: نقش اسمه على قاعة عمد «أمنحتب الثالث» (راجع Ibid).

(١١) الرمسيوم: وُجدت ألواح من الخرف باسمه (راجع Quibell, Ramasseum p. ٩).

(١٢) : مدينة «هابو»: توجد خلف المعبد لوحة منحوتة في الصخر باسمه اغتصبها من «ستنتخت» (راجع L. D. III, p. ٢٠٤d).

(١٣) الحمامات: وُجد اسم «سيتي الثاني» على صخور وادي الحمامات (راجع Golenischeff Hammamat, II).

أما سائر آثاره في أنحاء القطر فهي كالآتي:

(١) الإسكندرية: يُوجد بها عمود من الجرانيت باسم «سيتي الثاني» (راجع Rec. Trav

.(٢١٧ and L. D. Text I, p. ١٧٨ VII, P.

(٢) تانيس: قطع من الحجر عليها اسم هذا الفرعون (Petrie, Tanis II, pl. VII,)
١٩, ١١ p.

(٣) تل بسطة: وُجدت صورته وهو أمير على تمثال من Naville, Bubastis p.
٤٥.

(٤) تل الفراعين: يوجد في «متحف برلين» سيف عليه طغراء «سيقي الثاني» يحتمل أنه
من هذا المكان. (٨)

(٥) هليوبوليس: وفي «متحف جلاسجو» قطعة حجر عليها اسم هذا الفرعون (٩)
وكذلك عُثر على جزء مسلة «لرعمسيس الثاني» اغتصبها «سيقي الثاني» لنفسه.
(١٠)

(٦) منف: وُجد في معبد «ميت رهينة» قطعة من عمود عليها اسمه (١١) وكذلك نُقش
اسمه على قطعة من معبد «بتاح». (١٢)

(٧) أطفيح: عُثر في هذه الجهة على الجزء الأسفل من تمثال راعع يقبض على محراب فيه
تمثال «إزيس حتحور». وقد عُثر عليه في أساس بناء في الجنوب الشرقي لهذه
القرية، (١٣) وهذا التمثال من الجرانيت الصلب، ارتفاعه ٦١ سنتيمترًا، ويمثل «سيقي
الثاني» راعيًا على قاعدة مستطيلة، وقد وُجد اسمه وبعض ألقابه على القاعدة،
وعلى عمود ظهر التمثال.

وهذا الفرعون قد أقام لنفسه قصرًا في الفيوم أيضًا (١٤) وآخر في «منف».

(٨) الأشمونين: وُجد اسمه على تمثال مغتصب من «رعمسيس الثاني» (١٥) وقد كشف
«ريدر» عن بقايا معبد وقصر له في هذه الجهة. (١٦)

(٩) جبل أبو فودة: نقش «سيتي الثاني» اسمه بحروف ضخمة جداً على الصخور المطلة على النيل على الشاطئ الأيسر، قبالة محط «بني قرة»، ويبلغ ارتفاع الطغراء ثمانى أقدام وعرضها أربع أقدام.^(١٧)

(١٠) العرابة: وُجد اسمه على قطعة من الحجر عثر عليها «بصري» في مقبرة «إتم حتب».

(راجع porter and moss, v, p. ١٠٠).

(١١) دشنا: عُثر على قطعة حجر عليها اسم «سيتي الثاني» مستعملة في أسكفة شيخ.^(١٨)

(١٢) المدمود: قطعة من عمود باسم «سيتي الثاني» مستعملة في أرضية الكشك الجنوبي.^(١٩)

(١٣) أرمنت: نقش اسمه على بوابة «تختمس الثالث».^(٢٠)

(١٤) السلسلة الغربية: نجد على سمك الباب الجنوبي الأوسط للقصور الكبيرة لوحة للفرعون «سيتي الثاني» أمام ثالوث «طيبة» ومنتها مؤرخ بالسنة الثانية.^(٢١)

(١٥) بلاد النوبة: لم يُذكر اسم «سيتي الثاني» في بلاد النوبة إلا على آثار قليلة؛ فذكر مرتين على جدران معبد «بوسمبل» (e f ٢٠٤ L. D. III,) ومرة في جزيرة «بجة» (راجع Champ. Notices I, p. ٦١٤ and L. D. Text IV, p. ١٧٥) وأخرى في جزيرة «سهيل» (راجع De. Morgans. Cat, de. Mon. I, ٩٥ No. ١٤٤).

(٢) تماثيل «سيتي الثاني»

يوجد لهذا الفرعون تماثيل ضخمة يبلغ ارتفاعه ٤,٦٥ متراً مصنوع من الجرانيت

الأحمر، ويلبس على رأسه التاج المزدوج، ونُقش اسمه وألقابه على قاعدته وعلى العمود الذي يستند عليه وعلى العصا التي يمسكها بيده اليسرى، أما ما يقبض عليه في اليد اليمنى فلا يُعرف كنهه بالضبط، ويقول «اسبيجلجرج»: إنها علبة تشمل الألقاب الملكية. (٢٢)

وفي «المتحف البريطاني» يوجد له تمثال جالس من الحجر الرملي. (٢٣)

وفي «المتحف المصري» له تمثال مع الملكة زوجته. (٢٤)

وأخيرًا يوجد له تمثال في «تورين». (٢٥)

(٣) آثار أخرى له

وقد وُجد له لوحة من الخشب يتعبد فيها للإلهين «آمون» و«بتاح». (٢٦) وفي «متحف أشموليان» يوجد له طبق من حجر استياتيك عُثر عليه في بلدة «غراب». (٢٧)

وفي «متحف ليفربول» قاعدة تمثال اغتصبها لنفسه «أمنمس» أحد أخلافه. (٢٨)

وفي «تورين» و«ليدن» له لوحات صغيرة محفورة باسمه (راجع Aegypt. Monuments). وجعارينه كثيرة معظمها مطلية بلون زاهٍ.

(٤) أسرته

لم يُعرف لهذا الملك إلا زوجة واحدة وهي «تاخعي»، وأولاده الذكور هم - على ما يُقال: «أمنمس» و«سبتاح» و«ستنخت»، وابنته الوحيدة هي «تاوسرت». وقد تولوا الحكم كلهم - على حسب بعض الآراء - على التوالي كما سنرى بعد.

ولا نعرف على وجه التأكيد من أولاد الملكة «تاخعي» إلا «أمنمس» أما الباقون فلا نعرف أمهاتهم.

(٥) قبر «سيتي مرتبتاح»

يقع قبر «سيتي الثاني» على مسافة قريبة من مقبرة «تاوسرت» ابنته، ويحمل رقم (١٥)، وقد حكم هذا الفرعون خمس سنين، وموميته أخفاها الكهنة في مقبرة «أمنحتب الثاني» حوالي عام (٩٦٠ ق.م) عندما أخذت اللصوص تعبت عبثاً مشيناً بموميات الملوك، وقد عثر عليها الأستاذ «لوريه» ضمن الموميات التي كانت محفوظة بهذا القبر.

وقبره يُعد الأول من نوعه الذي قُطع في الصخر دون انحدار إلى أعماق بعيدة في الصخر. وتدل نقوشه على تقدم كبير في أسلوب الحفر بالنسبة للمقابر الملكية التي سبقتها. ويظهر ذلك جلياً في نقوش دهليزه الجميلة.

ومما يلفت النظر في نقوشه أن طغراءات هذا الفرعون وصوره القريبة من المدخل قد مُحيت ثم نُحتت من جديد، وتدل شواهد الأحوال على أن الطغراءات نفسها قد أزيلت ونُقش مكانها غيرها. وتخطيط المقبرة نفسه لا يدع مجالاً للظن في أن هذا القبر كان قد بدأه ملك آخر قبله. والظاهر أن «سيتي الثاني» كان قد أقصى عن الملك مدة فُمحيت أسماؤه من المقبرة، ولكنه لما عاد من نفيه أعادها ثانية. ويشاهد على نقوش الدهليز من اليسار الملك يتعبد للإله «بارع» والإله «نفرتم»، وعلى اليمين يتعبد للإلهين «رع» و«سكر». وهذا الدهليز يؤدي إلى آخر يُشاهد على جدرانها المغطاة بطبقة من الملاط أن ألوانه لم تكن قد تمت بعد.

وهذا الدهليز الأخير يؤدي إلى حجرة صغيرة نُقش على جدرانها أشكال مختلفة للملك وعدد كبير من الرموز المقدسة كل منها في محرابها الخاص، ثم يدخل الزائر بعد ذلك قاعة محمولة على أربعة عمد يتفرع منها ممر آخر منحدر، وقد صُوِّر على هذه العمد الآلهة «نفرتم» و«حور» و«حرمخيس» و«بتاح» و«أنوبيس» و«حور» عماد والدته، و«ماعت» و«جب». وبعد ذلك ينتهي القبر فجأة بعد مسافة قليلة؛ مما يدل على أن الملك قد تُوفي قبل أن يتم. ويُلاحظ أن الجدران قد تم تلوينها بسرعة، ويُشاهد على السقف صورة كبيرة للإلهة «نوت» إلهة السماء رُسمت كذلك على عجل. وقد وُجد

في القبر قطع من بقايا تابوت هذا الفرعون،^(٢٩) ولدينا قائمة عن الأيام التي كان يشتغل فيها العمال والأيام التي كانوا يستريحون فيها في فترة تبلغ ثمانية وخمسين يومًا. ومما هو جدير بالملاحظة في سجل هذه الأيام أنها تتفق مع الأيام المحددة للراحة في الشهر وهي الأيام التالية: الأول، والتاسع، والعاشر، والتاسع عشر، والعشرون، والتاسع والعشرون، والثلاثون، هذا غير الأيام العديدة التي كان يقف فيها العمل.

والظاهر أنهم كانوا يعملون في حفر قبر الفرعون «سيتي». وهذا المتن قد كُتب على قطعة من الخرف مؤرخة بالسنة الأولى في الشهر الثالث من فصل الزرع، اليوم الثالث والعشرون من عهد «سيتي الثاني»،^(٣٠) وهذه الاستراكون (الخرف) تشبه الاستراكون الأخرى التي كتب عنها «دارسي» أيضًا،^(٣١) ومنها نعلم اليوم الذي تُوفي فيه هذا الفرعون وهو التاسع عشر من الشهر الأول في فصل الشتاء من السنة السادسة، والاستراكون الأخيرة سجل للعمل الذي تم في «جبانة طيبة»، ولا نزاع في أنه كان في قبر هذا الملك. وقد كان له سجل لكل يوم من السنة السادسة الشهر الثاني من فصل الصيف، اليوم السادس عشر وما بعده. ولم يحدث أي تغيير في سنة الحكم في أول السنة الجديدة، أي في اليوم الأول من الشهر الأول من فصل الفيضان، والتواريخ المختلفة التي تلت ذلك تدل على أن السنة السادسة قد استمرت حتى يوم موت الملك، ومن ذلك يتضح جليًا أن سني حكم الفرعون كانت تُعد في ذلك العهد من أول يوم تولية الملك العرش، ففي اليوم التاسع عشر من الشهر الأول من فصل الشتاء نجد الملاحظة التالية: إنه اليوم الذي أتى فيه رئيس الشرطة «نخت مين» قائلًا: إن الصقر قد طار إلى السماء (أعني «سيتي الثاني») وإن آخر قد اعتلى مكانه.

وبعد ذلك توجد ملاحظة تشبه السابقة، جاء في أولها:

السنة الأولى لتاريخ سني حكم الملك الجديد، اليوم التاسع عشر من الشهر الأول من فصل الشتاء.

وتدل شواهد الأحوال - من إشارات أتت بعد - على أن الملك الجديد هو

«سخن رع سبتن رع رعمسيس سبتاح»، وهذا الرأي هو رأي الأستاذ «جاردنر»^(٣٢) وهو يخالف ما قرناه سابقاً في ترتيب هؤلاء الملوك؛ إذ المتفق عليه هو أن «أمنمس» كان خليفة «سيتي الثاني».

(٦) معبد «سيتي الثاني» الجنازي

لم يُعرف حتى الآن مكان المعبد الجنازي الذي أقامه «سيتي الثاني» لنفسه، ولكن جاء ذكره في الوثائق المصرية التي ترجع إلى عهد هذا الفرعون. فمثلاً نشر الأستاذ «جاردنر» لوحة «بلجاي»^(٣٣) ونجد فيها اسمي موظفين كانا يقومان بجمع الضرائب لهذا المعبد الذي كان يُدعى «بيت سيتى مرنبتاح» في ضيعة «آمون»، وكذلك نجد آنية خمر دُكر عليها اسم «كرم بيت سيتى مرنبتاح»، وقد وُجد هذا الإناء في ودائع الملكة «تاوسرت»^(٣٤).

ولدينا خطاب نموذجي مفروض أن موظفًا إداريًا قد كتبه، ومضمون هذا الخطاب ما يأتي: سافر موظف من معبد «سيتي الثاني» الجنازي من «طيبة» منحدرًا في النهر نحو «نارعمسيس» ومعه عدة سفن تسير في قناة «بتي» حيث تقع كروم الفرعون، وبعد أن أجرى التفتيش على الموظفين تسلم النيبد والحاصيل الأخرى من الكروم وحملها على ظهر السفن، ثم سار منحدرًا في النيل حتى مقر الملك «برعمسيس» حيث سلم حمولة سفنه إلى المراقبين وعمال المعبد الجنازي، وقد كان واجبه بطبيعة الحال أن يرسلوها إلى «طيبة» في الوقت المناسب.^(٣٥)

ومن هذا الخطاب نعلم أن معبد «سيتي الثاني» كان له شأن كبير، وأن «برعمسيس» كانت مركز الإدارة العامة، وأن «طيبة» كانت العاصمة الدينية وحسب. وهاك نص الخطاب برمته:^(٣٦) تحية أخرى لسيدي مخبرًا إياه أي قد وصلت «نارعمسيس مري آمون» الواقعة على شاطئ قناة «بتي» بالفلك التابعة لسيدي، وكذلك بقاري تعدية الماشية ملك (قصر ملاين السنين) للملك «سيتي الثاني» في ضيعة «آمون» (اسم معبد

«سيتي الثاني»). لقد جمعت كل عمال البساتين التابعين لبساتين قصر ملايين السنين ملك «سيتي الثاني» في ضيعة «آمون»، ووجدت أن هناك سبعة بستانين، وأربعة شبان، وأربعة رجال مسنين، وستة أطفال، ومجموعهم واحد وعشرون. وأحيط سيدي علمًا أن كمية النبيذ التي وجدتها محتومة في يدي رئيس البساتين «ثاتري» هي (١٥٠٠) مكيال من النبيذ، و(٧٠) مكيالًا من نبيذ العنب غير المطبوخ، و(٥٠) مكيالًا من الباور، و(٥٠) حقيبة رمان، و(٥٠) سلة «بتر» من الفول، و(٦٠) كرحت، وقد حملت معها سفينتي المواشي التابعتين لقصر ملايين السنين ملك «سيتي الثاني» في ضيعة «آمون»، وسافرت منحدرًا في النهر إلى بيت «رعمسيس» محبوب «آمون» الروح العظيمة للشمس، «حور» الأفق، وسلمتها إلى مراقبي قصر ملايين السنين ملك «سيتي الثاني» في ضيعة «آمون». وإني مرسل ذلك لأخبر سيدي.

وفي هذا الخطاب إشارة واضحة لمقدار ما كان يحبسه على مثل هذه المعابد من الأطيان في مختلف جهات القطر، إذا علمنا أن ما جاء به هنا كان من خراج الكروم وحدها. هذا فضلًا عما تدل عليه هذه المقادير من حياة البذخ والترف التي كان يتمتع بها موظفو المعابد وكهنتها من الأرزاق الوفيرة التي كانت تأتيهم من هذه الأوقاف الطائلة، وسنرى بعد أن هذا الملك كان مهتمًا بالأوقاف الإلهية، وبخاصة أوقاف آلهة «طيبة» العظام وعلى رأسهم «آمون رع» ملك الآلهة، فقد أمر بإعادة بناء المؤسسات الخاصة بتموين معبده وبخاصة حظيرة الدواجن والطيور، ويحتمل كذلك مخازن الغلال أيضًا وهي التي كانت تشرف على البحيرة المقدسة الواقعة في داخل المعبد العظيم كما سنرى بعد.

(٧) الموظفون والحياة الاجتماعية في عهد «سيتي الثاني»

(١-٧) الوزراء في عهد «سيتي الثاني»

لم يأت ذكر وزراء بارزين إلى الآن في عهد هذا الفرعون، وكل ما لدينا هو بعض أسماء وزراء جاء ذكر أسمائهم عرضًا على الأوراق البردية التي من هذا العصر.

(أ) مري سخمت

جاء اسم هذا الوزير في ورقة «بولوني» وكان يحمل لقب «الوزير»،^(٣٧) وستحدث عن الورقة التي ذكر فيها فيما بعد.

(ب) بارع محب

ذكر اسم هذا الوزير في ورقة «صولت»،^(٣٨) وكذلك ذكر في نقوش «وادي الحمامات»،^(٣٩) وعلى حسب ما جاء في ورقة «صولت» يُعد أنه جاء قبل الوزير «أمنمس» وكان يحمل الألقاب التالية: «الأمير الوراثي، والحاكم، ونائب «نخن»، والكاهن الأول، وعمدة المدينة، والوزير».

(ج) أمنمس

ذكر اسم هذا الوزير في ورقة «صولت»^(٤٠) أيضًا، كما جاء ذكره على قطعة من إناء،^(٤١) وذكر اسمه كذلك على آثار «الكرنك»^(٤٢) ويحمل اللقب العادي: «عمدة المدينة، والوزير».

(د) «مس سوي»

نائب الفرعون في بلاد السودان (راجع الجزء الخامس).

(٧-٢) كهنة الإله «آمون الأول» بالكرنك في عهد «سيتي الثاني»

(أ) محوي

دلتْ الكشوف الحديثة على أن الكاهن الأكبر للإله «آمون» في «الكرنك» في عهد «سيتي الثاني» هو «محوي»، وأن ما استنبطه الأثري «لفبر» عن هذا الكاهن كان صحيحًا، وما قاله «لجران» من أنه عاش في عهد «رعمسيس الثاني» ليس له نصيب من

الصحة كما سنبين ذلك فيما يلي. فلهذا الكاهن تمثالان محفوظان «بالمتحف المصري» أحدهما صغير الحجم جميل الصنع، والثاني نُحِتَ بالحجم الطبيعي تقريبًا.^(٤٣) وكل من التمثالين يمثلُه راکعًا وممسکًا مرة بيده أمامه محرابًا صغيرًا به صورة الإله «آمون»، ومرة مائدة قربان، ويرتدي شعراً مستعاراً مجدولاً مسبلاً على كتفيه، ويأترز بالثوب الفضفاض المتشني ذي الكمین الواسعین، وهو الثوب الذي كان یلبسه الكاهن الأول في الاحتفالات في عهد الأسرة التاسعة عشرة، ونشاهده في غير ذلك ممثلاً على نقوش «جبل السلسلة» في مقصورة «حور محب».

ألقابه

يحمل «محوي» على تمثال «متحف القاهرة» رقم (٤٢١٥٧) الألقاب التالية: الأمير الوراثي، والحاكم، وكاتب الملك الحقيقي الذي يحبه الملك، والمشرف على كل كهنة الآلهة في الوجهين القبلي والبحري، والمشرف على بيت المال، والمشرف على مخازن «آمون»، ورئيس كهنة «آمون». وفي نقوش «السلسلة»^(٤٤) يُلقب كذلك: الأمير الوراثي، والحاكم، ورئيس كهنة كل آلهة «طيبة»، والكاهن الأعظم «لامون» في «الكرنك».

أما على تمثال «متحف القاهرة» رقم (٣٦٨١٠) فلا يحمل إلا لقب «الكاهن الأعظم لامون»، وقد وضع «لجران» هذا الكاهن في السنة الأربعين من حكم «رعسميس الثاني» في حين أن «لفبر» وضعه في عهد «سيتي الثاني»،^(٤٥) وهذا الرأي الأخير هو الذي أثبتته النقوش التي وُجدت على اللوحة الجديدة التي عثر عليها «شفرية» في معبد «الكرنك».^(٤٦) ونقوش هذه اللوحة وما يحيط بالمكان الذي وُجدت فيه تكشف لنا عن صفحة جديدة في تاريخ «معبد الكرنك» وعناية الملوك به في هذا العهد وغيره، وعما كان للكاهن «محوي» من منزلة ويد طولى في خدمة إلهه الأعظم «آمون رع» ولذلك آثرنا أن نفصل القول في محتوياتها بعض الشيء.

عثر المهندس «شفرييه» في أثناء الحفائر التي قام بها في الجهة الجنوبية من البحيرة المقدسة في معبد «الكرنك» على لوحة من عهد «سيتي الثاني». وتدل شواهد الأحوال على أن هذا الأثر له علاقة ببقايا المبنى الذي وُجدت فيه، وهو ما سنفحصه هنا، وهذه البقايا هي التي يُطلق عليها اسم مباني الفرعون «بساموت» أحد ملوك الأسرة التاسعة والعشرين، والجزء المحفوظ من هذه اللوحة المنحوتة في الحجر الرملي كان في الأصل من قطعة حجر ضخمة من باب في مدخل صغير أو جدار يبلغ ارتفاعها ١٨٢ سم، وعرضها متر واحد، وسمكها يبلغ حوالي ٣٤ سم. ولا بد من أن هذه اللوحة كانت مسندة إلى جدار؛ لأن سمكها الضيق لا يسمح بنصبها قائمة بذاتها، بل كانت ترتكز على ما يظهر على كتلة عالية من الحجر متصلة بما يبلغ ارتفاعها حوالي ٢٥ سم، وتحتوي على الجزء الأسفل المكمل للنقوش، وكذلك الجزء الضائع.

ويُشاهد على الجزء الأعلى المستدير لهذه اللوحة صورة الفرعون «سيتي الثاني» يقدم القربان أمام ثالث «طيبة»، وقد نُقش فوقه: «سيد الأرضين «وسر-خبرو-رع محبوب آمون»، وسيد التيجان «سيتي مرنبتاح» معطي الحياة مثل «رع» سرمدياً». ويرتدي ثوباً فضفاضاً يتدلى منه ذيل الثور، وينتعل حذاء، ويلبس على رأسه قبعة محلاة بالصل الملكي وبشريطين، وقد وقف أمام مائدة قربان وبإحدى يديه علامة الحياة وبالأخرى صولجان يشير به. وقد بدت مائدة القربان عالية لما كُدس عليها من طيور، ويتدلى في أسفلها طائران، ووضع فوقها آنية فيها ثلاث فتائل، مما يدل على أن المنظر يمثل إحراق قربان، وعلى يسار مائدة القربان يجلس الإله «آمون رع» سيد عروش الأرضين، ورئيس «الكرنك» على عرشه يحلي رأسه ريشتان عاليتان، وفي إحدى يديه علامة الحياة، وفي الأخرى الصولجان «واس»، وخلفه تقف الإلهة «مورت» سيدة السماء، وأميرة الآلهة، ويحلي رأسها تاج مصر المزدوج، وخلفها يقف الإله «خنسو نفر حتب» يتدلى من رأسه جديلة شعر مسبلة على صدره وله لحية، ويحلي جيده عقد، وفي أسفل هذا المنظر المتن التالي: «حور» الثور القوي، محبوب «رع» صاحب السيدتين (التاجين)، حامي مصر، قاهر البلاد الأجنبية «حور» قاهر نبي «أي ست»، عظيم

الانتصارات في الأراضي كلها، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، وسيد الأرضين «وسر خبرو رع» محبوب «آمون» بن «رع» رب التيجان «سيتي مرنتاح» محبوب «آمون» ملك الآلهة، معطي الحياة. يحيا الإله الطيب ابن «آمون رع» البذرة الإلهية لرب الآلهة، والبيضة الطاهرة الخارجة من «رع»، وحامي أرباب الكرنك، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر خبرو رع» محبوب «آمون» ابن «رع» «سيتي مرنتاح» معطي الحياة، الملك المحبوب مثل «آمون»، الطويل العمر مثل «رع»، العظيم في ملك «منتو» وابن «منتو» والمارد الشجاع القلب، الفتى، والثور الغاضب الحاد القرنين، وصاحب الخطوات الواسعة مثل «ست» ابن «نوت» ملك الوجه القبلي والوجه البحري، وسيد الأرضين، «وسر خبرو رع» محبوب «آمون» بن «رع» رب الآلهة.

لقد عمل هذا أثرًا لوالده «آمون رع» ملك الآلهة، فقد جدّد له حظيرة دواجن ملأى بالأوز والكرابي، وطيور «ززن» ودواجن مستنقعات، وطيور ماء، وحمّام وبعام (قمري)، وطيور (سشا) لتموين مائدة قربان الإله من أجل والده «آمون».

وقد أقامها رجاء أن يعطي ابنه سيد الأرضين «وسر خبرو رع» محبوب «آمون» الحياة.

وتحت هذا المتن سبعة أسطر أفقية وتشمل دعاء، ولم يبقَ منها إلا أوائل الأسطر، بيد أنه في استطاعتنا معرفة طول الأسطر من جلسة الكاهن الأول للإله «آمون» راكمًا أمام هذه الأسطر، رافعًا يده تضرعًا وهو يقرأ الدعاء. ولحسن الحظ قد حفظ لنا اسم الكاهن «محوى» سليمًا، وهو الذي حدث اختلاف عن العهد الذي عاش فيه، كما ذكرنا ذلك قبلاً. ومن النص الذي أمامنا لم يصبح لدينا أي شك في أن هذا الكاهن الأكبر للإله «آمون» كان يقوم بأداء وظيفته في عهد «سيتي مرنتاح» في عهد «رع ميسس الثاني» كما ذكر ذلك لنا «لجران».

وما تبقى من هذا الدعاء هو: «صلاة» (لآمون رع ... يأتي بعد ذلك نعوت مختلفة، والذي) «موت» سيدة «اشرو» (... نعوت أخرى (و) خنسو) شو في - طيبة

وخنسو - (نعت ...) (١٤) أنت رب الأرضين (وسر خبرو رع مري آمون) ... وعلى ذلك يعطيك حياة جميلة في (بيت آمون ...) (١٦) آمون لأجل الروح ... (ألقاب مختلفة رئيس كهنة كل الآلهة) ورئيس كهنة «آمون» بالكرنك «محوى» المرحوم.

ويلاحظ أن المتن مهشم لا يكاد يفهم منه إلا القليل جداً، ولكننا نعرف منه أن «محوى» كان رئيس الكهنة.

ومن محتويات المتن كله نفهم أن «سيتي الثاني» قد أمر بإقامة حظيرة دواجن من جديد «لآمون» رب الكرنك لتموين موائد الآلهة بالطيور على غرار من سبقه من الملوك كما يدل على ذلك ما جاء في لوحة «نوري» في عهد «سيتي الأول» (راجع مصر القديمة ج٦) إلخ الذي حصد المزارع الشاسعة لإمداد قربان «أوزير» بالطيور ومختلف أنواع الحيوان، ومثل «رعمسيس الثالث» الذي رصد حظائر الدواجن اللازمة للإله «بتاح» في «منف».^(٤٧)

والسؤال الهام الذي لدينا الآن هو: أين كانت حظيرة الدواجن من معبد الكرنك؟ وما الذي تبقى منها حتى الآن؟

ولا بد من أن نبحث عن هذه الحظيرة التي كانت تزرع بالأوز وطيور الماء في المباني التي كانت على ضفاف البحيرة المقدسة، وهي التي كانت مغمورة بقطعان الأوز في عهد «تحتمس الثالث»،^(٤٨) وقد دل البحث الذي قام به الأستاذ «ركي» على أنها تقع في الجهة الجنوبية من البحيرة بالقرب من المكان الذي وجدت فيه لوحة «سيتي الثاني»، وليس هناك أي شك في أنها قد أُقيمت في المباني التي على البحيرة.

ويلاحظ حتى الآن أن البقعة الواقعة بين الشاطئ الشرقي والشاطئ الجنوبي من البحيرة، وكذلك السور الكبير، لم تُحفر كلها على الرغم من أن مبانيها تبشر بنتائج غاية في الأهمية، ولا بد من أنه في هذا المكان الذي لم يُكشف عنه بعد كانت توجد مباني للمصالح المختلفة لإدارة أملاك المعبد. وتدل الظواهر على أنه يوجد في هذه الجهة بقايا

مبنى عظيم يقع مباشرة جنوبي البحيرة المقدسة، ويُنسب إلى الملك «بساموت» أحد ملوك الأسرة التاسعة والعشرين. وقد بقي إلى مدة قريبة لم يعرف كنهه، غير أن الموضوع كما يقول الأستاذ «ركي» ليس معقدًا إلى هذا الحد، لأنه يمكن عمل تصميم له قد لا يختلف كثيرًا عن الذي وضعه «لبسيوس». هذا فضلًا عن أنه لدينا ما يكفي من بقايا النقوش التي وُجدت فيه مما نستطيع به الكشف عن ماهية هذا المبنى، والغرض الذي أُقيم من أجله، ويمكننا أن نستخلص من النقوش الباقية على الجدران ما يأتي:

لقد أقام ملك الوجه القبلي والوجه البحري «بساموت» لوالده «آمون رع» سيد عروش الأرضين، ورب السماء، وملك الآلهة والإلهات للوجهين القبلي والبحري، والمسيطر على «طيبة» ورئيس الكرنك، مخزن غلال نظيفًا جديدًا مملوءًا بالمأكولات، وكل الأشياء الطبية لتجهيز مائدة قربان الإله، وإمدادها يوميًا؛ ولذلك سيصبح محبوبًا من الإله «آمون» وكل الآلهة، ويمنح الحياة مثل «رع» إلى الأبد.

ومن ثم نفهم أن المبنى المنسوب إلى الفرعون «بساموت» هو مخزن غلال يتألف من جزئين وحوله يمتد شريط من الأرض عرضه ٥٥,٥ مترًا وعمقه ٢٨,٧٥ مترًا في الجزء الأول، وعمق الجزء الثاني ١٦,٧ مترًا، ومقسم إلى عدّة ردهات أمامية. أما حجرات المخازن التي كانت تُملأ بالغلال فكان يحلي مدخلها أحواض من الحجر، أو أوان ذات مقاعد يصل إليها الإنسان من ثلاثة مداخل عُملت حول البناء، وفي المدخل الجنوبي منها بُنيت مقصورة، وفي نهاية كل مدخل باب من الحجر المنحوت يؤدي إلى حجرة منفصلة في نهايتها محراب صغير من الحجر الرملي. ومن بقايا النقوش التي في هذا المبنى نعرف منها أن الفرعون «بساموت» يقف أمام ثالث «طيبة» مقدمًا القربين، وقد نُقل جزء من أحد المحاريب إلى «برلين»، ومنه نعلم أنه كان في قسم من أقسام مخازن القربان. وعند مدخل القسم الأوسط من هذه المخازن على مسافة مترين أمام المقصورة حاجز من خشب في وسطه باب.

وأمام الجزء الأوسط من القسم الشمالي من بيت المخازن أُقيم في الردهة الأمامية

صف من العمد مؤلف من ثمانية وحدات كثيرة الأضلاع محمل عليها السقف. ويتصل بالردهة الوسطى الأمامية مكان جانبي لا يوجد فيه حجرات لخزن الغلال يمكن معرفة الغرض منه من مدخله المصنوع من الحجر الذي بُني بالحدار في جدار الردهة الشمالية.

وقد تعرّف الأستاذ «هربرت ركي» على هذا الباب، وفسره بأنه باب نفق ضخّم للأوز تصعد إليه الطيور من البحيرة إلى حظائرها المتصلة بالردهة الأمامية من الجهة الغربية.

(راجع^(٤٩) ما كتبه «كابار» عن هذا الموضوع).

والظاهر أن هذا المخزن قد أقامه «بساموت»، وقد وُجد اسم هذا الملك على عوارض الأبواب، وعلى نقوش المحارب الصغيرة. وعلى أية حال فإن البناء لا يظهر أنه بناء جديد برمته، بل يدل ما تبقى من النقوش التي على العمد، وعلى باب المخزن الغربي، على أنه جُدّد: «وإن ما قد تداعى قد عُمِل من جديد للأبدية»، ومن ثم نعلم أنه كان يوجد هنا مبنى قديم، ولذلك يُحتمل أن القطع التي عُثِر عليها فيه باسم «رعمسيس الثاني» كانت من هذا المبنى. وقد شاهد هذه النقوش «ماريت»^(٥٠) وكذلك جدد «سيقي الثاني» فيه حظيرة الطيور فحسب. هذا بالإضافة إلى أنه قد وُجد اسم الفرعون «بساماتيك»^(٥١) على عمود مُلقًى في الردهة الأمامية.

وعلى ذلك يمكننا القول بأنه توجد أجزاء من مباني قديمة في البناء المنسوب للفرعون «بساموت» من بينها نفق الأوز الذي أشرف على إقامته «محوى» رئيس الكهنة في «الكرنك».

و«محوى» هذا لا يفخر مثل أسلافه رؤساء الكهنة بمواهبه في إقامة العمائر على الرغم من أنه قد أقام هذه الحظيرة من جديد، كما قام برحلة لقطع الأحجار من جبل السلسلة، وهي التي بنى منها «سيقي الثاني» أجزاء من معبد «آمون» الصغير الذي أسسه في «الكرنك». ولكن نجده في مقابل ذلك يحمل بين ألقابه وظيفة كان لا يحملها إلا

القليل جداً من الشخصيات الذين تقلدوا وظيفة «الكاهن الأكبر لآمون»، وهذه الوظيفة هي «كاتم سر الملك» أو «كاتب الملك الحقيقي». ولا نشك في أن «محوى» كان متصلاً بشخص الفرعون الذي كان يحبه، وقد رقاها الفرعون تقديرًا له في مجال الكهانة، وجعله الكاهن الأول لآمون.

ويتساءل الإنسان: هل بقي «محوى» كاهنًا أول «لآمون» حتى مماته أو لا؟ وشواهد الأحوال تدل على أنه لم يبقَ في وظيفته هذه حتى أواخر أيام حياته؛ وذلك لأن تمثال القاهرة رقم (٣٦٨١٠) قد اعتُدي عليه اعتداءً شائنًا، فقد شوه وجهه ثم أُصلح إصلاحًا فاسدًا. وكذلك يُلاحظ أن اليدين وماء القربان التي كان يحملها قد اختفت، هذا إلى أن المتن الذي كان منقوشًا على التمثال قد هُشم منذ الأزمان القديمة عمدًا. ومع ذلك فإنه كما رأى «لجران» يمكن أن نخمن في وسط هذا التهشيم الذي أصاب التمثال - وبخاصة على الميدة - أن عبارة «الكاهن الأول» قد نُحيت وحدها من بقايا لقب «محوى» المصحح فيما بعد، في حين أن اسم «آمون» قد بقي في كل مكان لم يُمس بسوء.

وليس لهذا الخو معنى إلا أنه قصد به إخفاء شخصية «محوى»، فأزيل اسمه ووظيفته على يد أعدائه في أيام حياته بمجرد تخليه عن وظيفته، وليس من الضروري أن نفرض لتبرير هذا العمل المشين أن الملك الذي رقاها هو نفس الملك الذي غضب عليه وجرده من حظوته التي أنعم بها عليه.

والواقع أن الارتباك الذي حدث في أواخر الأسرة التاسعة عشرة كان كافيًا بتفسير ما حاق بتمثال «محوى» وإن كان تمثاله الآخر لم يُصب بأي سوء، ويرجع السبب في ذلك أن رجال الدين كانوا وقتئذٍ في تقلب مستمر لا يكاد الواحد منهم يملك عهدًا طويلاً في وظيفته. وقد جاء في ورقة «هاريس» الأولى - التي سنفحصها في حينها - وصف موجز للفوضى التي كانت تعم البلاد، وبخاصة بعد نهاية عهد «سيتي الثاني» (راجع Pap. Harris I, pl. ٦-٧٥٢).

وهذا ما يفسر لنا في أي أحوال عاش الكاهن الأكبر «محوى» ففاسم أهل البلاد
حظوظها وربما كان نصيبه أن جُرد من وظيفته (راجع ff ١٢٤p. ٧٣A. Z).

(ب) إيري

الكاهن الأكبر في «منف»، وقد وُجد له تمثال صغير محفوظ الآن «بمتحف
اللوفر». (٥٢)

(٣-٧) سيأمون

كاتب وُجد اسمه في «أسبايدا» على الصخر. (٥٣)

(٤-٧) مري

وُجد لهذا الرجل لوحة منقوشة في صخور «بوسمبل»،^(٥٤) ويحمل لقب الوكيل،
وكاتب خزانة رب الأرضين ورئيس جيش الأرضين في بلاد النوبة، ووكيل بلاد «واوات».
وهذا النقش عُثر عليه في معبد «بوسمبل» جنوبي المعبد. (٥٥)

(٥-٧) نخت مين

رئيس الشرطة «المازوي»، وقد مات في حياته «سبتي الثاني»، وهو الذي جاء بخبر
الوفاة مكتوب على «استراكون». (٥٦)

(٦-٧) «باسر» كاتب

وقد كتب نبأ تولية «سبتي الثاني» على استراكون أيضاً. (٥٧)

(٧-٧) كاما

المشرف على اصطبل الفرعون، وُجد اسمه على نقش في «وادي حلفا». (٥٨)

(٨) الثقافة في عهد «سيتي مرتبتاح»

تدل أوراق البردي التي أرخت بعهد الفرعون «سيتي مرتبتاح» على أن الأدب كان مزدهراً إلى حد ما في عهده، وبخاصة أن قصة الأخوين المشهورين تُنسب إلى «سيتي مرتبتاح» عندما كان لا يزال ولي عهد للبلاد، وهذا يبرهن على أنه كان من أصحاب الذوق الأدبي في تلك الفترة. وقد وصل إلينا حتى الآن عدد من أوراق البردي من عهده أهمها «ورقة أنسطاسي الرابعة»، وقد أرخت بالسنه الأولى من حكمه،^(٥٩) و«ورقة أنسطاسي الخامسة»، وتشمل خطاباً كتبه قائد رديف إلى قائدين آخرين للرديف على الحدود، ويسأل فيه عن عبيدين قد هربا، (راجع كتاب الأدب المصري القديم الجزء الأول).

نص الخطاب:

إن قائد رديف «زكو» «كماكور» يكتب إلى قائد الرديف «آني»، وإلى قائد الرديف «بكنبتاح» (داعياً لهما) بالحياة والفلاح والصحة، وأن يكونا في خطوة «آمون رع» ملك الآلهة، وفي خطوة حضرة الملك «سيتي الثاني» سيدنا الطيب. وإني أقول «لرع-حوراخي»: (احفظ فرعوننا) سيدنا الطيب في صحة، ودعه يحتفل (بملايين) الأعياد الثلاثينية، ونحن كل يوم في حظوته. وبعد: فقد أرسلت من قاعات القصر الملكي وراء هذين العبيدين في اليوم التاسع من الشهر الثالث في فصل الصيف وقت المساء، ولما وصلت إلى حصن «زكو» في اليوم العاشر من الشهر الثالث من فصل الشتاء، علمت أن الأخبار من الجنوب تقول إنهما قد مرّا ذاهبين ... اليوم من الشهر الثالث من فصل الصيف، ولما وصلت إلى القلعة أُخبرت أن السائس قد حضر من الصحراء (وأُعلن) أنهما تخطيا الحدود شمال حصن (مجدول) «سيتي» الذي ... مثل «ست» (الإله).

وعندما يصل خطايي إليكم اكتبوا إليّ بكل ما حدث عنكم. أين وجد أثرهما؟ وأي حارس عثر عليهما؟ ومن هم الرجال الذين اقتفوهما؟ اكتبوا إليّ بكل ما عمل من

أجلهما، وكم رجلاً اقتفى أثرهما؟ ولتعيشوا سعداء.

وكذلك لدينا «ورقة أنسطاسي السادسة» التي كُتبت في عهد هذا الفرعون،^(٦٠) وكذلك عُثر على الجزء الأخير من خطاب يُقال إنه من عهد «سيتي الثاني» في مدينة «غراب»، وهذا الخطاب من سيدة من علية القوم خاص ببعض الأجانب الذين كانوا تحت رعايتها، لتقوم على تعليمهم أو تدريبهم على شيء ما، وقد أعقب ذلك الخطاب مذكرة ذُكر فيها قصر «سيتي الثاني» في «منف» ومؤرخ بالسنة الثانية من حكمه، وقد ذُكر في السطرين الأخيرين من هذه المذكرة: تسلم إيصالات بسمك قد ورد بمثابة ضرائب.

وعلى ظهر هذه الورقة نجد ذكر توريد زيت أو توزيعه، كما نجد كذلك توريد سمك، هذا إلى توزيع الخبز والجمعة.^(٦١)

أما «ورقة أوربني» التي تشمل قصة الأخوين، فقد تكلمنا عنها فيما سبق. (راجع الجزء السادس من مصر القديمة)

وأهم ورقة لدينا من عهد هذا الفرعون على ما يظهر هي «ورقة بولوني» رقم (١٠٦٨)، وتشمل خطاباً حقيقياً يكشف لنا عن بعض الأحوال في مصر^(٦٢) في هذا العهد، ويصف لنا بخاصة دقة النظام والحراسة على الحدود بين مصر و«سوريا»، وعن عمل السخرة واستخدام العبيد الأجانب من الآسيويين فيها، وما لأصحابهم عليهم من حقوق، وأنه لم يكن من حق أي فرد الاستيلاء عليهم غير ملاكهم ما داموا ليسوا ملكهم، وأن القضاء كان يفصل في مثل هذه الأحوال عند حدوث أي اعتداء، ولو كان المعتدي هو وزير البلاد نفسه؛ إذ كان عليه أن يبرئ نفسه لأنه كان يُعد نبراس العدالة، حتى إن البيت الذي كان يقضي فيه للناس كان يُسمى «بيت ماعت في المدينة».^(٦٣)

وهاك نص ما جاء في هذا الخطاب حرفياً:^(٦٤)

العنوان

(من) كاتب مائدة الشراب «باكنأمون» (إلى) كاهن معبد «تخوت» «رعموسي».

إن كاتب مائدة الشراب «باكنأمون» يحكي والده «رعموسي» كاهن المعبد المسمى «تخوت» مسرور في منف بحياة وعافية وصحة في حظوة «آمون رع» ملك الآلهة. إني أتحدث إلى «رع حوراخي» عند شروقهِ وعند غروبه، وإلى «آمون» وإلى «برع» وإلى «بتاح رعمسيس مري آمون» (له الحياة والعافية والصحة)، وإلى كل الآلهة والإلهات أرباب بيت «رعمسيس مري آمون» (له الحياة والعافية والصحة)، وإلى روح «برع حوراخي» العظيمة: ليتهم يعطونك العافية، وليتهم يعطونك الحياة، وليتهم يمنحونك الصحة، وليتني أراك سليماً، وليتني أضملك إليّ. وبعد: لقد تسلمت من البريد معلومات دَوَّنتها أنت تحييي بها، وإن «برع» و«بتاح» يشاطرانك فيها. ولست أعلم إذا كان غلامي قد وصل إليك؟! والواقع أنني عندما أرسلته إلى بلدة «سخم بحتي» أعطيته خطاباً في يده ليوصله إليك. وبعد: لا تسكت عن الكتابة باستمرار، فاجعلني إذن أسمع عن آرائك.

انظر: إن عندي معلومات جمعتها عن سوري معبد «تخوت» وهو الذي كتبت لي عنه، وقد عرفت عنه أنه كان عاملاً في حقول معبد «تخوت» تحت إشرافك في السنة الثالثة، الشهر الثاني من فصل الصيف، اليوم العاشر. وهو الآن أحد عبيد سفينة نقل قد أحضره قائد الحامية. وأعلم أن اسمه السوري «نقدي» بن «سررت» وأمه تُدعى «قدي» من أرض «إرواد» وهو عبد لسفينة هذا البيت في سفينة الضابط «كنر». والملاحظ عليه يقول: إن رئيس نائب الجيش لجنود «إيوعتي» الفرعونية (له الحياة والعافية والصحة) المسمى «خعموي» هو الذي استولى عليه واستخدمه بوصفه مالكة الذي جلبه. وقد أسرع إلى نائب الجيش الأعلى لجنود الفرعون (له الحياة والعافية والصحة) فنفي ذلك قائلاً بشدة: إن الوزير «مري سخمت» هو الذي استولى عليه ليستخدمه، وإنه هو سيده الذي جلبه. فأسرع إلى الوزير «مري سخمت» فنفي هو وكتابه قائلين: إنا لم نره. وقد

كنت يومياً وراء رئيس جنود «سكت» الأعلى قائلاً له: مر بأن يرد الفلاح السوري التابع لمعبد «تخوت»، وهو الذي استوليت عليه لأن كاهنه هو الذي جلبه. والآن قد رفعت عليه دعوى أمام محكمة العدل العليا «قنيت».

وبعد: فقد سمعت بموضوع عصا «تخوت» التي كتبت لي عنها إنه لم يحضر ٦٥ لي «حبت» (أي عصا تخوت)، وإني سأرسلها فلا تشغل نفسك بها، غير أنه من الخير أن تجعلها تُحمل إليّ، وسأردها (أي عندما تحمل إليه يردها ثانية بعد قضاء مأربه منها). وبعد؛ لا تفكر في الأمر الخاص بالحبوب، لقد فحصته ووجدت أن ثلاثة رجال وشاب، أي (أربع نسيمات) يعملون سبعمائة حقيبة، ولقد تباحثت مع رؤساء من يمسون دفاتر الغلال وقلت لهم: خذوا ثلاثة الزراع الخاصين بالإله ليقوموا بالخدمة هذه السنة، (أي جندوهم هذا العام في العمل)، وقد أجابوا: سنفعل ذلك. سنفعل ذلك. سنسغي لطلبك.

وهكذا تحدثوا إليّ، وإني الآن أمكث معهم إلى أن يرسلوا الكتابات الخاصة بالتسجيل إلى الحقول، وإنك تعلم كل ما سأجعلهم يفعلون لك. فكل رجل يورد مائتي حقيبة وهو ما قرر وجوب عمله، والنتيجة التي تكون لك من رجلين وشاب هي ٥٠٠ حقيبة. أما عن هذا المزارع السوري الذي كنت أعطيته، فإنه قد أعطيت إياه مدة شهور الصيف، وعلى ذلك فإن صيفه سيعد مضيئاً عليك ما دام حياً. (راجع Wilbrur Pap. II, p. ١١٥).

والمفهوم من هذا الخطاب أن الكاهن على ما يظهر كان يأمل نظراً لاختفاء العبد السوري، أن مقدار سبعمائة الحقيبة التي كان ينتظرها وهي ما ينتجها ثلاثة رجال وشاب سينقص إلى خمسمائة حقيبة أي بنقص رجل واحد. والظاهر أن الأستاذ «ولف» قد أخطأ فهم هذه القطعة جملة عند ترجمة هذا الخطاب، وبخاصة أنه لم يفهم أن الذين قاموا بهذا العمل هم جنود. والجنود في أوقات السلم كانوا يقومون بأعمال الفلاحة وغيرها.

- (١) راجع: A. S. VIII, p. ٤٥ Naville, Bubastis pl. XXXVIII, p. ٢١١.
- (٢) راجع: Porter & Moss, V. p. ٢١٠.
- (٣) راجع: Maspero, Guide p. ١٤٩ & Petrie, Hist, III, p. ١٢٣.
- (٤) راجع: Legrain, Karnak p. ٧٥.
- (٥) راجع: Mariette, Karnak p. ٨.
- (٦) راجع: Champ. Notices II, p. ١٣١.
- (٧) راجع: ff; & Brugsch, Recueil de Monuments Egypt. III; ٢٧٣ A. S. XV, p. ٢٧٣.
- (٨) راجع: (A. Z, pl. V, Fig ٦١) p. ٢٠٣٠٥, Berlin Mus: ٢.
- (٩) راجع: Ibid p. ٦٤.
- (١٠) راجع: Ibid p. ٧٠.
- (١١) راجع: A. S. III, p. ٣١.
- (١٢) راجع: P. S. III, p. ٢٢٢.
- (١٣) راجع: A. S. III, p. ٢١٣-١٤.
- (١٤) راجع: Griffith, Kahun Pap. Pl. XL; Ramesside Administrative Documents p. IX.
- (١٥) راجع: P. S. VI, p. ١٦٧.
- (١٦) راجع: (Metteilung ١٩٣٧ p. ٢٢-١٩).
- (١٧) راجع: A. S. XI, p. ١٧١.
- (١٨) راجع: Bull. Inst. Fr. Archeol. Oriental IX, ٨٨.
- (١٩) راجع: (Rapport Medamoud ١٩٢٦ p. ٢٤٥٧ (٧١) fig. ٤١).
- (٢٠) راجع: Temple of Armant Text p. ١٦٤, ١٦٣.
- (٢١) راجع: L. D. Text IV, p. ٨٥.
- (٢٢) راجع: JEA Vol ٧, p. ١١٦, p. ١١٦; Boreux, Guide I, pl. II, p. ٤١.

- (٢٣) راجع : ٤٣ Arundale and Bonomi, Gallery. Br. Mus.
- (٢٤) راجع : ١٤٩ Maspero, Guide p.
- (٢٥) راجع : ١٣٨٣ Lanzone, Cat. Turin No.
- (٢٦) راجع : ١٣٨ British Mus,
- (٢٧) راجع : ٢٣ Ashmolean Museum, Petrie, Illahun pl. XIX,
- (٢٨) راجع : ١١٩ Petrie, Hist. III, p.
- (٢٩) راجع : ٢١١ Weigall, Guide p.
- (٣٠) راجع : ff ١٧٢ A. S. XXVII, p.
- (٣١) راجع : ٤٦ Daressy. Rec. Trav. XXXIV, p.
- (٣٢) راجع : ١٩١ J E A, V, p.
- (٣٣) راجع : ٥٧-٤٩ A. Z. L. pp.
- (٣٤) راجع : ٣ Petrie, Six Temples at Thebes pl. XIX, No.
- (٣٥) راجع : ١٨٩-١٨٨ J. E. A. V. p.
- (٣٦) راجع : ٩, ٧-١٠, ٦ Pap. Anastasi IV,
- (٣٧) راجع : ٣٥, pl. ١٢; JEA ٩٢, p. ٦٥; Wolf A. Z, ٢, II, ١٠٨٦ Pap. Bologne
- (٣٨) راجع : ٣, ١, ١٢٤ Pap. Salt.
- (٣٩) راجع : note ١٥, ٥٦٢; Proceeding ١ Golenischeff Hammamat II, No.
- (٤٠) راجع : ١٧, ١, ٢ Pap. Salt.
- (٤١) راجع : Varucchi, Vatic. Phot. Portner Aus Der Samlung Spiegelberg
- (٤٢) راجع : ٥٢٤; SBA. XV, ١٢, ١, ٤٦ Mariette, Karnak,
- (٤٣) راجع : ٣٦٨٠, and journales D'entree No. ٤٢١٥ Vegrain Cat. Gen. No.
- (٤٤) راجع : ١٣٧ p. ١٩٠٤ (٥ A. S.
- (٤٥) راجع : ٢٥٩, ١٥٤ Lefebvre, Histoire Des Grandes Pretres etc p.
- (٤٦) راجع : ١١ pl. ١٤٠ p. ٣٦ A. S.
- (٤٧) راجع : ٤٨ Pap. Harris I,
- (٤٨) راجع : ٥-١, ٧٤٥ Urk, IV,

- (٤٩) راجع : Chronique D'Egypte ٢٦ Juillet ١٩٣٨ p. ٣١٢.
- (٥٠) راجع : Mariette, Karnak Text p. ١١ and pl. ٢, P. S. B. A. ١٨٨٤-٥ p.)
ff ١٠٨.
- (٥١) راجع : Wiedemann. P. S. B. A. VII, ١٠٩.
- (٥٢) راجع : Pierret, Recueil Insc. Louvre I, p. ١٠.
- (٥٣) راجع : Petrie, Season p. ٦٩١.
- (٥٤) راجع : L. D. III, ٢٠٤ e.
- (٥٥) راجع : Champ. Notice p. ٧٨.
- (٥٦) راجع : J. E. A. V, p. ١٩٠.
- (٥٧) راجع : Ibid p. ١٩١.
- (٥٨) راجع : Rec. Trav. XVII, p. ١٩٢.
- (٥٩) راجع : Wiedemann, Gesch p. ٤٨.
- (٦٠) راجع : Wiedemann, Gesch p. ٤٨٣.
- (٦١) راجع : Gardiner, Ramesside Administrative Documents p. ١٨-١٤.
- (٦٢) راجع : A. Z. ٦٥ p. ٩٢.
- (٦٣) راجع : J E A. ٢٧, p. ٦٦.
- (٦٤) راجع : Wolf A. Z, ٦٥ p. ٨٩-٩٧.
- (٦٥) أي الرسول الذي أرسلته.

الفرعون «أمنمس»



إن مكانة هذا الفرعون في ترتيب ملوك الأسرة التاسعة عشرة لا تزال غامضة، فقد وضعه - كما قلنا من قبل - «إدوارد مير» بعد الفرعون «مرنبتاح» مباشرة. وقد تبعه في رأيه بعض المؤرخين.

وإذا كان هو الأمير الذي لم يُسمَّ باسمه على آثار معبد والده الذي نشره «شفرييه» حديثاً، وقد مثل مراراً يتبع والده، ويحمل لقب ولاية العهد الأمير الوراثي، والابن الأكبر للملك «سيقي مرنبتاح» - فلا بد أنه تولى الملك وهو صغير، وربما قامت من أجله المنازعات على العرش. والظاهر أنه هو ابن «تاخعت» التي تزوج منها «سيقي الثاني» وهي إحدى بنات «رعمسيس الثاني» وقد رُسمت معه في قبره^(١)

ويحتمل إذن أن المشاحات التي قامت بينه وبين خلفه قد جاءت عن طريق الحزبية والتشيع لابن آخر ربما كانت والدته تنتمي إلى أرومة ملكية عريقة. والواقع أننا لا نعرف للملوك الذين خلفوا هذا الملك أمماً، أو أمهات معينات، ولذلك يعتقد أن حزب هذا الأمير قد تغلب على حزب «توسرت» التي صوّرت نفسها مع والدها في قبرها بوصفها وارثة للعرش. وكانت تحمل لقب «سيدة الأرضين» كما فعلت «حتشبسوت» مع والدها «تحتمس الأول». وقد كانت أسباب عدم استيلائها على العرش - على ما يظهر - في بادئ الأمر هي نفس الأسباب التي حالت بين «حتشبسوت» وبين عرش البلاد في أول أمرها (راجع مصر القديمة الجزء الرابع).



شكل ١: الفرعون «أمنمس».

ومما يؤسف له جد الأسف أنه ليس لدينا آثار مؤرخة لهذا الفرعون، ويُحتمل إذن أن حكمه كان قصيراً للغاية، واللوحه التي وُجدت له «بالقرنة» وهي التي تحدثنا عنها فيما سبق كانت من عمله؛ لأن لقبى الملك فيها يتفقان مع ما ذُكر على آثار أخرى له. ^(٢) ولكننا - من جهة أخرى - نجد أن اسم «رع» في ألقابه يختلف هنا عن اسم «أمنمس».

ويوجد في «متحف ليفربول» قطعة من منظر ^(٣) يُشاهد فيها الإله «آمون» يقدم رمز العيد الثلاثيني لهذا الفرعون، مما يشعر بأن فترة هذا العيد قد حلت في عهده. غير أن هذا كان تقليدًا أعمى لا يدل على شيء من هذا القبيل في كثير من الأحوال (راجع الجزء السادس من مصر القديمة). والمظنون أنه حكم خمس سنوات (راجع مصر القديمة الجزء السادس) على حسب رأي «مانيتون».

ولدينا لوحة من «العراية المدفونة» مثل عليها موكب تبعه منظر رقص وليس عليه إلا طغراء باسم «أمنرع مس Amenra messes». ولا بد أنه من عهده، ^(٤) كما يقول

«بترى». (٥)

هذا ونجد اسم هذا الملك في بعض الجهات. فقد نُقش اسمه فوق اسم «مرنبتاح» في معبد «القرنة»، (٦) وكذلك نجده اغتصب قطعة من الحجر نقش عليها اسمه - وكانت باسم «مرنبتاح» - خلف «الرمسيوم». (٧)

وفي مدينة «هابو» نجد اسمه منقوشاً على الجدار الأمامي. (٨)

وفي «وادي حلفا» يحتمل أنه نُقش اسمه على المعبد «الجنوبي» (٩)

آثاره

أما الآثار التي عُثر عليها له حتى الآن فقليلة جداً، وهي قاعدة تمثال مغتصبة من «سيبي الثاني» محفوظة الآن بمتحف «ليفربول». (١٠)

وقد وُجدت جعارين باسمه، (١١) وجزء من خاتم أزرق. (١٢)

مقبرة «أمنمس»

قبر هذا الفرعون في «وادي الملوك» وقد كتب اسمه عليه «رع-بن-ماعت ستبن رع أمنمس، حاكم طيبة»، وهذا القبر يواجه زائر هذا الوادي عندما يسير متجهاً نحو الجنوب على الطريق الرئيسية. ولما كان أخلاف هذا الفرعون لم يعترفوا بتمليكه فقد محاه أحدهم - عن قصد - النقوش والأشكال التي على جدران قبره حتى لا يكاد يُرى منها الآن شيء.

وتدل شواهد الأحوال على أن هذا القبر كان مخفياً عن الأنظار ولا يعلم بمكانه أحد بعد موته، ولا أدل على ذلك من أن الفرعون «ستنتخت» الذي تولى عرش الملك بعده بما لا يزيد عن اثني عشرة سنة قد أخذ يخفر قبره في هذه الجهة، ولكن لم يلبث أن وجد العمال في أثناء العمل أنهم قد نفذوا إلى قبر الفرعون «أمنمس» غير عالين بوجوده هناك. وهذا دليل على أن قبور الملوك كانت تُخفر في الخفاء وبكل تكتم من جانب العمال وإلا فكيف يمكن تفسير هذه الظاهرة؟ ومن المحتمل أن «ستنتخت» أو

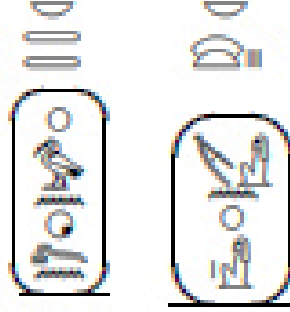
«رعمسيس الثالث» هو الذي أخفى النقوش، ويُحتمل كذلك أن المومية الملكية قد حُمِلت من «وادي الملوك» ودُفنت في مكان حقير، إذ لم يُعرف لها أثر حتى الآن. وهذا القبر لم يُنظف بعد، ومن المحتمل أن المومية لا تزال فيه تحت الأنقاض. ويُستعمل الآن مكانًا مختارًا يتناول السياح فيه الغداء. ^(١٣)

وقد عُثر على جزء من تابوته. ^(١٤) وقد صُوِّرت الملكة «باكت ورنرو» على جدران هذا القبر. ^(١٥)

هوامش

- (١) راجع: Petrie, Hist. of Egypt III, p. ٣٨.
- (٢) راجع: Lepsuis, Konigsbuch p. ٤٧٨ a-c.
- (٣) راجع: Liverpool Mus. Catalogue p. ٥٢.
- (٤) راجع: Mariette, Abydos II, ٥٢.
- (٥) راجع: Petrie Hist. III, p. ١٢٧.
- (٦) راجع: L. D. III, e ٢١٩.
- (٧) راجع: Rec. Trav. X, ١٤٣.
- (٨) راجع: L. D. III, d ٢٠٢.
- (٩) راجع: Rec. Trav. XVII, p. ١٦٢.
- (١٠) راجع: Liverpool Ibid p. ٥٢.
- (١١) راجع: Flinders Petrie, scarabs ١٦٥٠.
- (١٢) راجع: Wiedemann, Gesch p. ٤٨٤.
- (١٣) راجع: Weigall Guide p. ٢٠٦.
- (١٤) راجع: Mission Archeol Fr. II, p. ١٥٥.
- (١٥) راجع: Ibid. III, pl. ٥٦ and D. III, g ٢٠٢..

الملك «مرنبتاح سبتاح» والملكة «تاوسرت»



يوجد^(١) على الآثار ملكان باسم «سبتاح» أحدهما يُدعى «مرنبتاح سبتاح»، والثاني يُدعى «رعمسيس سبتاح». والأوّل يُلقب «أخن رع سبتن رع»، والثاني يُلقب «سخن رع سبتن رع»، وقد كان الأخير إلى زمن قريب يعتبر أنه «رعمسيس التاسع» أحد ملوك الأسرة العشرين، إلى أن برهن الأثري «دارسي» على أنه أحد ملوك الأسرة التاسعة عشرة؛ ولذلك اقترح تسميته «رعمسيس الثالث»، وبذلك يجعل الملوك الذين يحملون هذا الاسم اثني عشر فرعونًا لا أحد عشر. غير أن الأثري «جوتيه»^(٢) على العكس تبع رأي «ماسبرو» القائل بأن طغراء «رعمسيس التاسع» هي في الواقع الطغراء التي استعملها «مرنبتاح سبتاح» في السنة الأولى من حكمه، ويُحتمل في السنة الثانية أيضًا. ويقول «جاردنر»: إن هذا الرأي ليس مقطوعاً^(٣) به.



شكل ١: الفرعون «سبتاح».

ولما كان التاريخ يحدثنا أن بعض الملوك قد غيروا ألقابهم التي سُموها بها في بادئ الأمر، فمن المحتمل أن رأي «جوتيه» على جانب من الصحة، وبخاصة أننا لا نعرف لهذا الملك المسمى «رعمسيس سبتاح» أي أثر بعينه، كما أننا لا نعرف له قبراً ولا معبداً جنازياً، ولذلك سنغض الطرف عنه - سواء أكان ملكاً حقيقياً أم اسماً آخر للفرعون «مرنبتاح سبتاح».

والظاهر أن «مرنبتاح سبتاح» قد تولى عرش الملك بعد أخيه «أمنمس» وتزوج من «تاوسرت» التي أقصاها - على ما يظهر - حزب «أمنمس» عن العرش. وقد كان حامل خاتم الملك «باي» قد اشترك في قلب عرش الملك؛ لأنه كان من أنصار «تاوسرت»، يدل على ذلك ما جاء في أحد نقوشه: «حامل الخاتم الأعظم لكل البلاد حتى حدودها، مثبتاً الملك على عرش والده»^(٤) وقد وُضع اسمه على قطعة من الحجر،

وعلى ألواح من الذهب وخواتم في قطع ودائع الأساس كلها التي وُجدت للملك «سبتاح» كالتى وضعها الملك لنفسه، وذلك يدل على أنه قد استمر في إدارة شئون البلاد بصورة بارزة تدل على قوة عظيمة بعد أن ثبت سيده على العرش.

ويُعد «باي» الموظف الوحيد الذي كان له امتياز في أن يُدفن مع الملوك في واديهم. وقد قام «سبتاح» بدوره بعد أن استتب له الأمر في محو آثار الملك «أمنمس» البغيض، ونقش اسمه واسم زوجته «تاوسرت» بدلًا من اسم «أمنمس». ولدينا جُعل نُقش عليه اسمه واسم الملكة «تاوسرت» معًا.^(٥)

وليس لدينا متون كثيرة عن حكمه وما حدث فيه. وأهم ما عندنا نقش عن بعثة أرسلها - إلى بلاد «كوش» لجلب الجزية - «سيقي» نائب «كوش» في عهده، من رجالها «بياي» الذي كان يحمل الألقاب التالية: «حامل المروحة على يمين الفرعون، وكاتب الملك، ورئيس المالية، والكاتب الملكي لإدارة الخطابات الفرعونية، ومدير القصر في «برآمون: بيبي». وقد أتى ليتسلم جزية بلاد «كوش».^(٦) و«بياي» هذا هو ابن «سيقي» سالف الذكر. وجاء معه «حورا» رسول الفرعون عن كل البلاد.^(٧)

وفي السنة السادسة أرسلت بعثة ثانية، وقد كان «حورا» هذا وقتئذ قد رُقي إلى وظيفة حاكم «كوش» وحل مكانه ابنه «وبختنا» في وظيفة «رسول الفرعون». ولا نرى - غير ما ذكرنا - لهذا الفرعون على الآثار تواريخ قط حتى الآن.

وفي اعتقادي أن الملكة «توسرت» التي يقول عنها «مانيتون» إنها حكمت أكثر من سبع سنين قد استمرت في حكم البلاد بعد زوجها «سبتاح» الذي على ما يظهر حتى الآن قد مات بعد السنة السادسة من حكمه، ولدينا فضلًا عن هذا آثار تدل على أن «توسرت» قد ظلت في الحكم حتى السنة الثامنة كما سنذكر ذلك (وقد اشترك معها في الملك «سيقي الثالث» كما يقول «إمري»). وقد أقام «سبتاح» لنفسه معبدًا جنازيًا ومقبرة على غرار الملوك الآخرين.

(١) المعبد الجنائزي

أقام «مرنبتاح» لنفسه معبدًا جنائزيًا يقع شمالي معبد «أمنحتب الثالث»، وقد قام الأستاذ «بتري» بجفائر لتنظيف بقايا هذا المعبد عام ١٨٩٦ (راجع Petrie, Six Temples at Thebes pp. ١٦-١٧). وقد وجد كل أبنيته مخربة وتبلغ مساحته ثلث معبد الملكة «توسرت» تقريبًا. ولم يتبقَّ منه إلا الخنادق التي كانت قد قُطعت في الصخر ووُجدت مملوءة بالرمل. وليس لدينا علم بما تم من بنائه في عهد صاحبه. وقد عُثر في أساسه على ثمانى ودائع أساس انتشرت منها في أنحاء العالم، وتوجد منها قطعة في متحف «مرسليا»، (راجع Rec. Trav. XIII, p. ١١٢)، وهذه الودائع في الأصل كانت تحتوي على حوالي مائة وخمسين لوحة صغيرة مطلية، وجعارين أيضًا، وحوالي مائتين وثلاثين خاتمًا، ومائة لوحة صغيرة مصفحة بالفضة والذهب، وكلها باسم الفرعون «سبتاح»، هذا إلى حوالي مائة لوحة من هذه الأشياء باسم حامل الخاتم الملكي «باي»، وأكثر من مائتين وألف من النماذج المطلية والخواتم، وحوالي مائة وخمسين من نماذج آلات. تُضاف إلى ذلك الأواني الملونة المصنوعة من الفخار والأحجار وغيرها. وقد وُجد في مكان كل وديعة قطعة من الحجر الرملي عليها طغراء هذا الفرعون وأخرى مشابهة باسم «باي» وألقابه.

وليس لدينا للفرعون «سبتاح» صور إلا التي في قبره. ويقول «بتري»: إنها رءوس للملك «سيتي الثاني» أو رءوس للفرعون «ستنتخت» على أن هذا الموضوع يحتاج إلى بحث دقيق (راجع Petrie, Hist III, p. ١٣٢).

(٢) مقبرة سبتاح

كشف عن هذا القبر الأثريان «ديفر» و«أيرتون» (The Tomb of Siptah, Davies and Ayrton). ويقع على الممر الشمالي المؤدي إلى مقبرتي «توسرت» و«سيتي الثاني»، وتُرى صور هذا الفرعون بجانب الملكة على جدران الدهاليز الأولى

للمقبرة، وقد دخل أنصار الملك الذي كان يناهض «سبتاح» بعد دفنه بمدة وجيزة المقبرة ومحو اسمه أينما وجدوه، وقد حمل الكهنة موميته إلى مقبرة «أمنحتب الثاني» ودفنوها هناك، وقد ظلت فيها إلى أن كشف الأستاذ «لوريه» عن مقبرة «أمنحتب الثاني» هذا. والظاهر أن الكهنة الذين وضعوه في مقبرة «أمنحتب» قد أعادوا كتابة طغراء «سبتاح»، والحجرات الداخلية من قبره قد تداعت على مرّ الزمن، ولا يمكن الزائر الآن إلا مشاهدة الدهاليز الأولى وهي محلاة بالمناظر الدينية الجميلة، فيُرى على اليمين والشمال عند المدخل صورة آلهة العدل المجنحة، وعلى اليسار صورة جميلة للفرعون «سبتاح» يخاطب «حور مأخت» إله الشمس، وبعد ذلك يُشاهد صور الشمس العادية وهي تمر بين الأفقين، وبقرب قعر الجزء الذي يمكن الوصول إليه من القبر يُرى على اليسار منظر فيه مومية الملك أو «أوزير» تحرسها الإلهتان «إزيس» و«نفتيس» والإله «أنوب»، وفوق ذلك وأسفل منه صور لابن «آوى» حامي الجبانة يجلس عند أبواب العالم السفلي (Weigall, Guide p. ٢٢٦ ff). ويلفت النظر في هذا القبر كذلك رسوم السقف على الرغم مما أصابها من تهميش (راجع Capart Thebes p. ٣١٠ fig. ٢٢٩). وصندوق هذا الملك في «متحف القاهرة».^(٨)

وتماثله الجيبة في «متحف متروبوليتان» بنيويورك،^(٩) ومجوهراته في «متحف القاهرة».

(٣) آثار «سبتاح»

وليس لهذا الفرعون آثار منقولة تذكر غير ما ذكرناه إلا ما يأتي:

(١) محراب صغير فيه «آمون رع»، وهو «بالمتحف البريطاني».^(١٠)

(٢) قطعة من تمثال عليها اسمه محفوظة الآن «بمتحف الفاتيكان».^(١١)

(٣) وجعارين هذا الفرعون قليلة، بل نادرة. وقد وجد اسمه مع اسم «توسرت» على

(٤) آثاره في بلاد النوبة

وُجدت له نقوش عدة في بلاد النوبة سنذكرها عن التحدث عن رجال عصره.

(٥) الموظفون والحياة الاجتماعية في عهد «مرنبتاح سبتاح»

باي

لا نعرف من الآثار التي لدينا موظفًا يحمل لقب «وزير» في عهد هذا الفرعون، ولكن الرجل الذي كان مسيطرًا على زمام الأمور في عهد كل من «سبتاح» و«توسرت» هو حامل الخاتم «باي»، ويؤخذ - من اسمه - أنه من أهل الدلتا. ومعناه «الروحي» نسبة إلى الكيش رب «منديس». وقد ترك لنا هذا العظيم لوحة منقوشة على الصخور الغربية من «أسوان»^(١٣) تدل على ما كان له من نفوذ وسلطان في طول البلاد وعرضها، وقد نوهنا عن ذلك من قبل. فنشاهد على هذه اللوحة الملك «سبتاح» على عرشه، وخلفه حامل الخاتم «باي»، وأمام الفرعون يقف «سيقي» متمدحًا. والنقش الذي فوق «باي» هو: «حامل الخاتم الملكي، والسمير الوحيد، ومقصي الكذب، ومقدم الصدق، ويمكن الملك من عرش والده، ومدير مالية البلاد الأعظم «رعمسيس-خع-م-تروباي» (= رعمسيس المضىء بين الآلهة) «باي».» وفوق «سيقي» كُتب المتن التالي: المديح لك يا أيها الملك العظيم، من ابن الملك صاحب «كوش» وحاكم بلاد الذهب ملك «آمون»، وحامل المروحة على يمين الفرعون، والمدير العظيم لبيت الملك، وكاتب وثائق الملك (له الحياة والفلاح والصحة) «سيقي».

ولدينا نقش آخر في «السلسلة» مماثل للسابق يظهر فيه الملك «سبتاح» يقدم الأزهار «لآمون» ويظهر فيه «باي» خلف الفرعون، وفوقهما معًا المتن التالي:

تقديم المديح «لآمون رع» وتأدية الطاعة لحضرته، ليته يحفظ ابنه رب الأرضين

«أخن رع ستبن رع» (سبتاح).

ونُقش فوق «باي»:

ليتهما (أي آمون وسبتاح) يمنحان - اعترافاً للعدل - ويكافئان من يعمله (العدل) الحياة السعيدة، والقلب الرضي، وبهجة اللب، وتملك الصحة، لروح رئيس المالية الأعظم للأرض كلها، من يثبت الملك على عرش والده، ومن يحبه (الملك) «باي». (١٤)

وكذلك نجد اسمه على صورة العجل «منفيس» التي عُثر عليها في «العرب» وهي موجودة الآن «بالمتحف المصري». (١٥)

وقبر هذا العظيم بين مقابر الملوك في جبانة «وادي الملوك»، ويقع في نهاية الوادي الجنوبية على يمين الطريق المؤدية لمقبرة الملكة «توسرت»، ويحمل هذا القبر رقم (١٣).

وأهمية هذا القبر تنحصر في أنه هو القبر الوحيد الذي أُقيم لغير ملك بحجم المقابر الملكية، ولم يُنظف بعد في أيامنا، وهو مفعم الآن بالأتربة. (١٦)

وفي معبد «أمد» نجد في قاعة العمود على جانبي الباب المؤدي إلى الممر نقشين هامين من عهد الملك «سبتاح». فعلى الجهة الجنوبية صورة «توسرت»، وعلى الجهة الشمالية صورة حامل الخاتم «باي»، والقرب منه طغراء «لسبتاح» بدون صورته. (١٧)

سييتي

ابن الملك صاحب «كوش»، وهذا الحاكم هو الذي يقترح «إمري» في مقاله عن ترتيب أواخر ملوك هذه الأسرة أنه «سييتي الثالث» الذي تزوج من «توسرت» بعد موت «سبتاح»، وقد وُجدت له خمسة نقوش في بلاد النوبة ذكرنا منها ما اشترك فيها مع «باي».

وله غير ذلك نقش في معبد «بوسمبل» نشره «برستند» ونصه: (١٨)

(١) الحمد لآمون، لبتة يتفضل بالحياة والسعادة والصحة لروح رسول الفرعون في كل الأراضي، ورفيق قدمي سيد الأرضين، والمقرب من «حور» في قصر (الملك)، وسائق عربة جلالته الأول المسمى «رخ بحتوف»، لقد أتى جلالته ليثبت ابن الملك صاحب «كوش» «سيتي» على كرسيه في السنة الأولى من حكم رب الأرضين «رعمسيس سبتاح». (١٩)

(٢) وكذلك له نقش على الجدار الشمالي من معبد «بوسمبل» (٢٠) وهذا النقش مقسم صفين أحدهما فوق الآخر. ففي الجزء الأعلى مثل الملك يقدم البخور لخمسة آلهة وهم: «آمون رع» رب عروش الأرضين، والآلهة «موت» سيدة «أشرو»، والإله «بارع حوراخي» الإله العظيم، والإله «ست» عظيم القوة محبوب «رع»، والآلهة «عشتارت» ربه السماء.

والصف الأسفل قد خُصص كله لنائب الملك في «كوش» وأسرته والصلاة التي يتضرع بها للآلهة الذين في الصف الأعلى. وقد مثل «سيتي» في الوسط مرتدياً الجلباب الأبيض الطويل الواسع من الأمام رافعاً يديه وأمامه النقش التالي:

أقدم التضرع «لآمون رع» و«حوراخي» ليمنح الحياة والعافية والعمر الطويل أتباع أرواحهم، لأجل روح الأمير الوراثي، والحاكم، وابن الملك صاحب «كوش»، والمشرف على بلاد الذهب «لآمون» وحامل المروحة على يمين الملك، وكاتب رسائل الفرعون. والرئيس الأول في اصطبل ملك الوجه القبلي، وملك الوجه البحري، والكاهن الأول لإله القمر (تحت)، والمشرف على المالية، والمشرف على خطابات الفرعون في بلاط «قصر رعمسيس مري آمون».

ويقف خلفه ابنه كاتب الملك، ومدير قصر رعمسيس محبوب «آمون» «حور محب» وخلف الأخير ابن آخر يُدعى «مري رع» الكاهن والد الإله «لآمون» ملك

الآلهة. وقد وُجدت لابنه الأول «حور محب» نقوش أخرى.^(٢١)

(٣) وفي معبد «بوهن»^(٢٢) نجد النقش التالي: السنة الأولى من حكم الإله الطيب «رع ميسيس بتاح» معطي الحياة. الثناء لحضرتك يا «حور» سيد «بوهن»، ليتة يمنح الحياة والسعادة والصحة، والقدرة على الخدمة والخطوة والحب روح رسول الملك في كل الأراضي الأجنبية، وكاهن إله القمر (تحوت) الكاتب (المسمى) «نفر حور» بن «نفر حور» كاتب سجلات الفرعون (له الحياة والفلاح والصحة) عندما حضر بمكافآت لموظفي النوبة، وليحضر لابن الملك صاحب «كوش» في رحلته الأولى.

(أي إنه دُونَ هذا النقش في هذه المناسبة).

(٤) وفي جزيرة «سهيل» نجد نقشاً^(٢٣) مؤرخاً بالسنة الثالثة من حكم هذا الفرعون وهو: السنة الثالثة، الشهر الأول من الفصل الثالث، اليوم العشرون، الثناء لحضرتك يا أيها الملك القوي، ليتة يمنح الخطوة روح حامل المروحة على يمين الملك وابن الملك صاحب «كوش» وحاكم البلاد الجنوبية «سيتي».^(٢٤)

حورا

سائق جلالته، ورسول الفرعون لكل أرض: وُجد لهذا الموظف نقش في «معبد بوهن» ٢٥ مؤرخ بالسنة الثالثة من حكم «سبتاح» جاء فيه:

سائق جلالته الأول، ورسول الفرعون لكل البلاد، لأجل أن يمكن الرؤساء على كراسيهم وسار قلب جلالته «حورا» بن «كاما» المظفر، التابع للإصطبل العظيم الفرعون الخاص بالبلاط، عمله (أي النقش) في السنة الثالثة.

وُوجد له نقش آخر مؤرخ بالسنة السادسة في نفس المكان^(٢٦) جاء فيه: السنة السادسة من عهد ملك الوجه القبلي والوجه البحري «آخن رع ستبن رع» بن «رع» القائم بعمل السائق الأول لجلالته، ورسول الملك لكل بلد «ومخوش» (٩) ابن الملك

صاحب «كوش» «حورا» (هكذا) (٢).

بياي

رئيس الرماة

كانت وظيفة رئيس الرماة من الوظائف الهامة في حكومة السودان التابعة لنائب الفرعون مباشرة، وقد كان صاحب هذه الوظيفة على رأس القوات التي تُوضع تحت تصرف ابن الملك صاحب «كوش» لحفظ النظام في بلاد النوبة. والظاهر أن الحملات التأديبية الكبيرة كانت تحت إشراف الفرعون مباشرة، أو تحت إشراف ضباط عظام من الجيش يرسلون بقوات خاصة، وقد كان يحمل وظيفة «رئيس الرماة» في عهد الملك «سبتاح» الضابط «بياي»، فقد عُثر له على نقوش عدة في بلاد النوبة وهي:

(١) نقش في «بوهن»^(٢٧) ويحمل فيه الألقاب التالية: «حامل المروحة على يمين الملك، وكتب الفرعون، والمشرف على المالية، وكتب ديوان الملك لرسائل الفرعون، ومدير القصر في «بر آمون» بياي.» لقد أتى ليتسلم جزية أرض «كوش». والنقش مؤرخ بالسنة الثالثة.

(٢) وله نقش مؤرخ بالسنة الثالثة أيضاً في نفس المكان، ويحمل فيه الألقاب التالية: «حامل المروحة على يمين الفرعون، والمشرف على خزانة رب الأرضين.»^(٢٨)

(٣) وكذلك له نقش آخر غير مؤرخ في نفس المكان^(٢٩) ربما كان قبل النقش السابق في تاريخه ونقوشه مهشمة بعض الشيء، وهي: «رسول الفرعون (لكل أرض)، والذي يمكن موظفي ابن الملك من أماكنهم، وسائق جلالته الأول ... «بياي» التابع للبلاد.»

(٤) وأخيراً وُجد له نقش في «أمد» نُقش عليه: «حامل المروحة على يمين الملك، ورئيس الرماة.»^(٣٠)

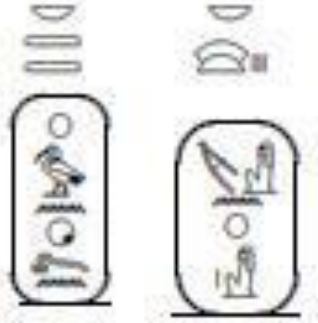
(١) قد تحدّث إلينا بهذه المناسبة الأستاذ «ريزنر» في مقاله عن نواب «كوش» (p. ٦J. E. A.)
 (٤٩) عن ترتيب ملوك الأسرة التاسعة عشرة فيقول: إن ترتيب ملوك هذه الأسرة الذين
 جاءوا بعد الفرعون «رعمسيس الثاني» قد استقر الأمر فيه نهائياً بعد المقال الذي كتبه
 «دارسي» عن الملك «رعمسيس سبتاح» (Rec, Trav, XXXIV)، والاستراكون التي
 نشرها تبرهن على أن «رعمسيس سبتاح» قد خلف الملك «سيقي الثاني» مباشرة في
 السنة السادسة من حكمه، وهو العام الذي تُوفي فيه. والتغير الذي حدث في نقوش
 جدران الرمسيوم يبرهن على أن «أمنمس» قد جاء بعد «مرنبتاح» في حين أن نقوش
 «العرابة» تبرهن على أن «أمنمس» كان قبل «مرنبتاح سبتاح». والنقطة الوحيدة التي
 تحتاج إلى إجابة هي توحيد اسمي «رعمسيس سبتاح» و«مرنبتاح سبتاح». وقد حاول
 «مسبرو» أن يقدم البراهين على ذلك (راجع، ١٠A. S. pp. ١٣١-١٣٨) فيقول: إن
 نائب «كوش» «سيقي» قد عُيّن في السنة الأولى من عهد «رعمسيس سبتاح» وإنه كان
 لا يزال في وظيفته في السنة الثالثة من حكم «مرنبتاح»، ثم عُيّن بدلاً منه «حورا» قبل نهاية
 السنة السادسة. والألقاب التي يحملها في نقوش معبد «بوسمبل» (راجع، ١٠A. S. p. ١٣٨)
 أي في عهد «رعمسيس سبتاح». وفي نقوش جزيرة «سهيل» (راجع، L. D. III, p. ٢٠٢b)، وعلى الصخور الواقعة على الطريق من «أسوان» للفيلة (Ibid, ٢٠٢c)
 وهي من عهد «مرنبتاح سبتاح» كلها تدل على أن هذين الملكين موحدان ولا بد أن
 يكون «مرنبتاح سبتاح» قد خلف «رعمسيس سبتاح». ثم يبرهن «مسبرو» فضلاً عن
 ذلك على أن «رعمسيس سبتاح» في نقش «بوسمبل» السالف الذكر و«مرنبتاح سبتاح»
 في قبره يحملان اسمًا حوريًا واحدًا، ويستنبط من ذلك «مسبرو» أن «سبتاح» قد اتخذ
 لنفسه أولاً الاسم واللقب «سخعن رع» و«رعمسيس سبتاح»، ثم قام برحلة إلى
 «بوسمبل» وبعد عودته مباشرة؛ أي بعد توليه الملك بشهرين أو ثلاثة، غيّر اسمه إلى «أخن
 رع مرنبتاح سبتاح»، وهذا إجراء يلفت النظر على ما يظهر، ولكن يُحتمل أنه كانت هناك
 ظروف غير عادية دعت إلى ذلك؛ إذ كان همُّ «سبتاح» المحافظة على بلاد النوبة وزواجه
 من «توسرت» أرملة «سيقي الثاني» (٤) وهما الأمران اللذان كانا لا يجعلانه يطمئن بدوئهما

على عرش الملك، هذا فضلاً عن الدور الذي قام به «باي» الذي لم يظهر اسمه إلا بعد تغيير الاسم. ويرجع الفضل «لباي» هذا في توطيد ملك هذا الفرعون؛ إذ كان يحمل لقب «صانع الملك»، ولا نزاع في أنه كانت هناك أحداث سياسية يخشى عاقبتها في أثناء توليه العرش في السنة الأولى من حكم «سبتاح»، وعلى أية حال سنصل إلى النتيجة وهي أن «مسبرو» على حق في استنتاجه، وعلى ذلك يكون ترتيب الملوك الذين أتوا بعد «رعمسيس الثاني» هو: «مرنبتاح»، «أمنمس»، «سبي الثاني» و«سبتاح» وهو غير ما ذكره «بيري».

- (٢) راجع: Gauthier, *Livre des Rois* Vol. III, p. ١٤١ Note ١.
- (٣) راجع: J E A. V, p. ١٩١.
- (٤) راجع: L. D. III, a ٢٠٢.
- (٥) راجع: Flinders Petrie, *Scrabs*, ٣١٥.
- (٦) راجع: Buhen. Randall-Maciver p. ٢٦.
- (٧) راجع: Rec. Trav XVII, p. ١٦٢.
- (٨) راجع: Daressy, *Cercueils des Cachettes Royales* pp. LXI ١٩-٢١٨.
- (٩) راجع: Metropolitan. Bull. XI, Jan. ١٩١٦. ١٨p. ٩ and ٨figs. Vernier, ٩; Bijoux et orfèveries (Cat. Cairo) pp. ٩٥-٨, ١٣٧-٤٠, ١٨٤-٥, pls. XX.
- ٣١XXV, XXVI, XXVIII, and Porter and Moss I, p.
- (١٠) راجع: Rev. Archeol. I Serie III.
- (١١) راجع: Wiedemann, *Gesch* p. ٤٨٥.
- (١٢) راجع: Fraser, *Scarabs* No. ٣١٥.
- (١٣) راجع: L. D. III, c ٢٠٢.
- (١٤) راجع: L. D. III, p. a ٢٠٢.
- (١٥) راجع: Naville, *Tell El yahudia* p. ٦٧.
- (١٦) راجع: Weigall, *Guide* p. ٢٠٩; Baedeker (١٩٢٨) p. ٣٠٨.

- (١٧) راجع : Weigall, Guide p. ١-٥٤٠ .
- (١٨) راجع : Br. A. R. III, § ٦٤٢ .
- (١٩) هذا هو الاسم الذي كان يحمله «سبتاح» في السنة الأولى من حكمه كما أشرنا إلى ذلك من قبل.
- (٢٠) راجع : Maspero, A. S. X, p. ١٣٢ .
- (٢١) راجع : J. E. A. Vol ٦ p. ٧٤ .
- (٢٢) راجع : Randell-Maciver Buhen p. ٢٥ § Br. A. R. III, ٤٣ .
- (٢٣) راجع : L. D. III, b ٢٠٢ .
- (٢٤) راجع : Br. A. R. III § ٦٤٦ .
- (٢٥) راجع : Randell Maciver Buhen p. ٣٨ § Br. A. R. ٤٦٥ .
- (٢٦) راجع : Randall Ibid § ٣٦ Br. Ibid ٦٥ .
- (٢٧) راجع : Randall Ibid p. ٢٦ .
- (٢٨) راجع : Ibid p. ٣٩ .
- (٢٩) راجع : Ibid p. ٤٣ .
- (٣٠) راجع : Gauthier, Amada, Temple p. ١٠٨ .

الملكة «توسرت»



لقد وضع «مانيتون» الملكة «توسرت» في آخر قائمة ملوك الأسرة التاسعة عشرة، وقال عنها إنها حكمت سبع سنين. وتدل الآثار التي لدينا على أن لها تواريخ حتى السنة الثامنة من حكمها، غير أن الرسوم التي تركتها لنا مبهمة، لغموض العصر الذي عاشت فيه، وللتطاحن على عرش الملك في تلك الفترة. وأظن أن أكبر عقبة وقفت في سبيلها إلى اعتلاء العرش منفردة طوال المدة التي عاشت فيها أنها كانت امرأة على الرغم من أنها - على ما يظهر - كان لها من الألقاب الشرعية ما يؤهلها لتولي العرش. وإذا أخذنا بنظرية «إمري» في أنها تزوجت من فرد آخر يُدعى «سيتي» بعد وفاة «سبتاح» فإنه يكون «سيتي» الذي كان حاكمًا لبلاد النوبة، وبخاصة إذا علمنا أنه لم يُذكر على الآثار بعد السنة السادسة نائبًا للنوبة. وعلى ذلك يعد «سيتي» هذا «سيتي الثالث» بين ملوك مصر كما ذكرنا من قبل. غير أن العقبة الوحيدة التي تقوم في وجه هذا الحل هو أننا وجدناها تؤرخ لنفسها وحدها بالسنة الثامنة كما جاء على استراكون نشرها «دارسي»^(١) وهي محفوظة الآن «بالمتحف المصري» على الرغم من اشتراك «سبتاح» معها. وهذا هو نفس ما فعلته «حتشبسوت» التي ادعت أنها وارثة «تحتمس الأول» في حياته واشتركت معه في الملك، وكما ادعى «تحتمس الثالث» أنه فرعون البلاد منذ زمن والده «تحتمس

الثاني» متجاهلاً حكم «حتشبسوت» على مصر، ويُخيل إلي أنه بعد موت «سبتاح» قوي حزب «توسرت» وظلت على العرش حتى ماتت أو خلعت، على أن ذلك لا يمنع أنها تزوّجت من «سيقي الثالث» المزعوم.



شكل ١: الملكة توسرت.

معبد «توسرت» الجنائزي

وقد بدأت في إقامة معبد جنائزي في الشمال من معبد «مرنبتاح»، وهو الآن مخرب تمامًا، ومُغطىً بالأتربة، ويقع في داخل مساحة مُهدت في الصخر، وقد قام بالكشف عن بقاياها الأستاذ «بيري» عام ١٨٩٦ م.^(٢)

وقد كان هذا المعبد في حجمه يقرب من معبد «مرنبتاح»، وقد عُثر فيه على تسع ودائع أساس في خنادق كانت مملوءة بالرمل. وهذه الودائع تشمل كل منها لوحة من الحجر نُقش عليها طغراء الملكة، وعلى فخار وجعارين مطلية عددها ٢٤٦، وصور بط مطلية، ورءوس ثيران وعجول، وأفخاذ بقر وسمك، وأزهار بشنين وغير ذلك، ويبلغ

عدددها ١٢١٤، وعلى خواتم عدددها ٤٣، ونماذج آلات من النحاس عدددها (٣) ٧١ الخ.

ولكن مما يؤسف له أنه لم يبقَ من المعبد أي أثر من الأحجار المنقوشة. والمظنون أن هذا المعبد لم يسر العمل فيه، وإلا بقيت لنا منه بعض البقايا التي تخلفت من أحجاره عند نقلها إلى مكان آخر إذا فُرض أنه قد خرب فيما بعد. ومن المحتمل إذن أنه لم تنجز فيه مبانٍ كثيرة فعلاً، ولا بد أنه كان قد بدئ فيه قبل البدء في بناء معبد «سبتاح» بزمنٍ قليل. كما يقول «بتري»^(٤) لأن طراز كل الأشياء التي وُجدت فيه تختلف عن طراز ما وُجد في معبد «توسرت»، ومع ذلك فقد وُجد في مجموعة الجعارين ما يدل على أنه لم يمضِ طويل زمن بين إقامة كل منهما.

وبالإحاطة أنما قد نظمت نقش طغرائها بمهارة ليشبه طغراء جددها العظيم «رعمسيس الثاني» «وسرماعت رع». وقد كُتب طغراؤها الثاني بأربعة أشكال، غير أنها كلها بقراءة واحدة: «ست رع» «محبوب آمون»، وهذه الملكة قد ظهرت في تاريخ «مانيتون» باسم «توريس» وحكمت سبع سنوات. وهذا يتفق مع الاستراكون التي وُجدت باسمها المؤرخة بالسنة الثامنة كما ذكرنا على وجه التقريب.

ومن الطريف ما يُقال من أن سقوط «طروادة» كان في عهدها، وهذا دليل - إن صح - له قيمته عن مقدار ما لتواريخ «مانيتون» من الصحة.

ولم تحدّثنا الآثار عن كيفية انتهاء حكم هذه الملكة، غير أننا نعلم من نقوش «رعمسيس الثالث» أن البلاد قد وقعت في فوضى واختلال وسوء نظام أدت إلى تسلط رجل آسيوي من دم غير ملكي على البلاد وهو «إرسو»، إلى أن جاء والد «رعمسيس» العظيم «ستنتخت» وأنقذها مما حل بها من مصائب وويلات، ودرج بها نحو العلا مرة أخرى بفضل خلفه العظيم «رعمسيس الثالث» الذي أحيا مجد البلاد، وناضل عن استقلالها في فترة من أخرج الفترات في تاريخ أرض الكنانة.

وقبرها في «جبانة وادي الملوك»، وهو الذي اغتصبه «ستنتخت» لنفسه،

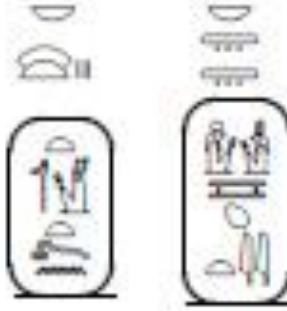
وستحدث عنه فيما بعد.

هوامش

- (١) راجع: Daressy Ostraca No. ٢٥٢٩٣.
- (٢) راجع: Petrie, Six Temples at Thebes pp. ١٣-١٦ XXII cf. XXVI Plan pl. ..
- (٣) راجع: Ibid XVI, XVII.
- (٤) راجع: Petrie, Hist. of Egypt III. p. ١٢٨.

الأسرة العشرون

نهاية الأسرة التاسعة عشرة



رأينا فيما سبق أنه كان من الصعب - ولا يزال - أن نحدد تتابع الملوك الذين خلفوا الفرعون «مرنبتاح»، كما أن الآثار لم تمدنا بمعلومات وثيقة تبرر لنا ما صلة النسب بين هؤلاء الملوك. وقد اضطررنا أن نثبت فيما مضى المقترحات المختلفة التي جادت بها قرائح المشتغلين بالتاريخ والآثار المصرية في هذا الصدد. ولعل لمؤرخي مصر القديمة عذراً في بلبلة آرائهم في هذا الموضوع، وعدم الاستقرار على رأي واحد ثابت؛ فقد وصف لنا «رعمسيس الثالث» في وثيقة تركها لنا تُعد من أعظم ما خلفه التاريخ المصري من حيث الروعة والإتقان والمعلومات القيمة عن حالة البلاد في نهاية الأسرة التاسعة عشرة، وأعني بذلك «ورقة هاريس» العظيمة الأولى المشهورة وستكلم عنها بإسهاب فيما بعد.



شكل ١: الفرعون ستنتخت.

والواقع أن هذا الوصف يشعر بالارتباك والخراب للذين حلقا بالبلاد في تلك الفترة، وقد نطق بهما «رعمسيس الثالث» عندما أراد أن يظهر لعظماء قومه ورجال بلاطه وقواد جيشه ومواطنيه ما قام به من أعمال جلييلة للبلاد هو ووالده من قبله، فاستمع إليه: ^(١) قال الفرعون (وسرماعت-محبوب آمون) «رعمسيس الثالث» (له الحياة والفلاح والصحة) الإله العظيم للأمرءاء، وقواد البلاد، والمشاة، والخيالة، وجنود «شردانا»، وللرماة العديدين، وكل مواطن مصري.

الفوضى السابقة

اسمعوا حتى أخبركم بأنعمي التي عممتها عندما كنت ملكًا على الشعب. لقد غُزِيَتْ مصر من الخارج، وأقصى كل رجل عن حقه، وظل الناس بدون رئيس (فم أعلى) سنين عدة من قبل حتى أتى عليهم حين من الدهر كانت مصر في أيدي أمرءاء، وحكام مدن، وذبح الرجل جاره، عظيمًا كان أو حقيرًا. وقد توالى على ذلك وقت فيه سنين عجاف، وكان معهم «أرسو» وهو سوري المنبت، الذي نصب نفسه رئيسًا (على

البلاد)، وقد جعل كل البلاد تابعة له قاطبة، وجمع كل رفاقه، ونهب ممتلكاتهم (أي ممتلكات المصريين)، وقد ساووا بين الناس والآلهة فلم يقربوا قرباناً في المعابد.

حكم «ستنتخت»

ولكن عندما جنح الآلهة للسلم ليضعوا البلاد في مكانها الحق على حسب حالتها العادية، مكثوا ابنهم الذي خرج من أعضائهم أن يكون حاكماً (له الحياة والفلاح والصحة) على كل أرض يملكها عرشهم العظيم، وهو «وسرخع رع ستين مري آمون» (له الحياة والفلاح والصحة) ابن «رع» «ستنتخت» «مرع» محبوب «آمون»؛ وقد كان مثل «خبري-ست»^(٢) في بطشه، وأعاد تنظيم البلاد كلها بعد أن كانت في فتن، وذبح الخارجين الذين كانوا من أرض مصر، وظهر على عرش مصر العظيم، وكان حاكماً (له الحياة والفلاح والصحة) للأرضين على عرش «آتوم»، وقبل المقبلين بوجوههم الذين كانوا قد اختبئوا، وكل رجل عرف أخاه الذي كان قد حُوصِر (أي الذي كان في مكان محصن)، ومكن المعابد بالقرايين لخدمة تاسوع الآلهة على حسب قوانينها المعتادة.

وقد نصبي وارثاً لعرش «جب»، وكنت الرئيس الأعظم لأراضي مصر، والمشرف على كل الأرض بوصفها وحدة مجتمعة، ثم ذهب ليستريح في أفقه مثل تاسوع الآلهة، وعُملت له المراسيم التي عُملت «لأوزير»؛ فنُقل في سفينته الملكية على النهر، وثوي في مضجعه الأبدي غربي طيبة (Harris Pap. I, pl. ٧٥).

ولا نزاع في أن ما قصه علينا «رعمسيس الثالث» يظهر لنا بوضوح تام أن معلوماتنا تصوير ضئيلة إذا لم تستند على صور تاريخية.

والواقع أن ما وصل إلينا من آثار لا يحدثنا بأي شيء عن هذا الآسيوي «إرسو» الذي ذكر «رعمسيس الثالث» أنه حكم البلاد، كما أنها قد صممت صموثاً تائماً عن الدور الحاسم الذي لعبه «ستنتخت» في تطهير البلاد وإعادةها إلى ما كانت عليه من طمأنينة وسلام.

وكل ما لدينا من عهد «ستنتخت» بعض آثار ضئيلة لا تشرفه قط بوصفه مخلصاً

للبلاد.

آثاره

في «سراية الخادم» «بسينا» لوحة أقامها «أمنمأبت» و«سيتي» اللذان عاشا في عهده. ^(٣) ومما يدهش له أن معظم آثاره - إن لم يكن كلها - مغتصبة من الملوك السابقين، ونخص بالذكر منها ما يأتي:

(١) «نييشة»: وُجد في هذه البلدة تمثالان في صورة «بو لهول» من الجرانيت الأسود يرجع عهدهما للدولة الوسطى. وقد اغتصبهما نخبة من ملوك الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين كل بدوره، فقد كُتب اسم «سيتي الثاني» على الصدر، واسم «ستنتخت» على الكتف، واسم «رعمسيس الثالث» على مقدمة الشعر المستعار، وعلى القاعدتين نجد اسم «باي» حامل خاتم «سبتاح» ^(٤) ولا يُعرف كيف يمكن تعليل مثل هذه الظاهرة إلا بما نراه في أيامنا من أعمال تشويه الآثار بكتابة الأسماء عليها، والغرض منها التذكار.

(٢) «قبة توفيق»: وُجد في هذه الجهة عقد باب من الحجر الرملي مبني في بوابة، وقد نُقش عليها اسم هذا الفرعون. ^(٥)

(٣) «القاهرة»: وُجد فيها عمود مؤلف من قطع باسم «أمنحتب الثالث»، وقد اغتصبه «مرنبتاح» ثم «ستنتخت»، ويُحتمل أنه مجلوب من «هليوبوليس»، وقد وجد مبنياً في جامع التركمان عند باب البحر. ^(٦)

(٤) «العراة»: وُجدت في «العراة» لوحة باسم كاهن هذا الفرعون المسمى «مرسأف»، وقد ظهر فيها الفرعون يتعبد للفرعون «ستنتخت» وللملكة «تي من أست» زوجة، في حين نرى في أعلى اللوحة الفرعون «رعمسيس الثالث» يقدم القران للآلهة وقد وُجد كذلك لوحان آخران عليهما اسم هذه الملكة استعمالاً ثانية في رقعة في معبد «العراة» عام (١٩٠٣). ٧.

(٥) معبد «موت» بالكرنك: وُجدت طغرائته على البوابة. (٨)

(٦) مدينة «هابو»: وُجدت له لوحة مُثل عليها مع «رعمسيس الثالث» (٩) وأخرى

اغتصبها من «سيتي الثاني» (١٠) وقد وُجد له جعران باسمه في مجموعة «فلبور». (١١)

وقد جاء في ورقة «فلبور» أن هذا الفرعون كان له ضيعة في بلدة «منعخ» الواقعة على مقربة «جبل الطير» و«السريية»، والظاهر أنها كانت وقفًا على قربان تمثال له كما يدل المتن على ذلك صراحة. (١٢)

قبر «ستنتخت»

وقد دُفن هذا الفرعون في مقابر «وادي الملوك»، وتقع مقبرته في أقصى الجنوب من هذه الجبانة، وتحمل الآن رقم ١٤. والواقع أن هذه المقبرة كانت قد حفرتها في الأصل الملكة «توسرت»؛ ولذلك نجدها مصورة هي وزوجها الملك «ستنتخت» في ممراتها الأولى. ولكن لم يكد يتقدم العمل في الممر طويلاً - كما يقول «ويجول» في أعماق الجبل في القاعات الداخلية - حتى مات «ستنتخت» على ما يظهر، وتزوجت «توسرت» من «سيتي الثالث» (٩) كما يقترح «إمري». وعلى ذلك نرى صور هذا الفرعون في حجر هذا القبر الداخلية مع «توسرت». وبعد موت هذه الملكة حدث الارتباك والفوضى اللذان تحدثنا عنهما في مصر. ومن المحتمل أن هذا القبر قد نُهب في تلك الفترة، وعندما أعاد «ستنتخت» النظام والسلام إلى ربوع البلاد بدأ في نهب قبره رقم ١١. ولكنه غرض الطرف عنه، وفضل اغتصاب مقبرة «توسرت». فغير الصور والنقوش ووضع فوقها طبقة من الجص، وزاد في حجم المقبرة، وقد أفلتت بعض مجوهرات هذه الملكة من أيدي اللصوص والنهابين، ووُضعت في مكان أمين بأمر من «ستنتخت» نفسه على ما يظهر، فقد عُثر عليها في المقبرة رقم ٥٦ من مقابر «وادي الملوك» وهي غير منقوشة، ولا نعلم من الذي دُفن فيها. ١٣ وقد عُثر عليها المستر «تيودور ديفز» في عام ١٩٠٨ ويُقال إن جسمها قد تُرك في مكانه في المقبرة. أما مومياء «ستنتخت» فقد أصابها على ما يظهر التمزيق والعطب بأيدي اللصوص إذ لم يُعثر عليها قط.

وتدل الأحوال على أن الكهنة الذين أخفوا موميات بعض الملوك في مقبرة «أمنحتب الثاني» قد دخلوا قبر «ستنتخت» ووجدوا هناك مومية ظنوا أنها لهذا الفرعون، من أجل ذلك وُجد القبر بطبيعة الحال في ارتباك، ومحتوياته مشتتة، فوضعوا هذه المومية في تابوت «ستنتخت» وحملوها إلى مخبئها، إلى أن كشف عنها «لوريه» في عصرنا. وعندما فُكَّت لفائفها عُرِفَتْ أنها لامرأة. ومن المحتمل أنها مومية الملكة «توسرت»؛ وذلك لأن ملكات كل هذا العصر كن يُدفن في مقابر «وادي الملكات». وقد بقي هذا القبر مفتوحاً يزوره السياح في العهد الإغريقي، وقد نُظِفَ الآن. وعندما يدخل الإنسان الدهليز الأول يُشاهد على اليمين صور «توسرت» و«سبتاح» في حضرة الإله «بتاح» والإلهة «حرمخيس» وآلهة آخرين، وعلى الجدار المقابل نشاهد الملكة «توسرت» والفرعون «سبتاح» واقفين أمام الآلهة «حرمخيس» و«أنوب» و«إزيس» وغيرهم. والدهليز الثاني مخزَّب. وفي الثالث نشاهد على اليمين والشمال طغراءات وصورة للفرعون «ستنتخت» مصورة على طبقة من الجص وُضعت فوق الصور الأصلية لصاحبة القبر «توسرت». وبعد ذلك ننقل إلى قاعة صغيرة تؤدي إلى حجرة كبيرة، ونشاهد فوق بابها الإلهين «أنوب» و«حور» يتعبدان للإله الأعظم «أوزير»، وبعد ذلك نستمر منحدرين إلى قعر المقبرة، فنشاهد في طريقنا حجرتين لَوْنَتَ جدرانهما بأشكال خشنة من عهد «ستنتخت» على طبقة من الجص وُضعت فوق نقوش «توسرت» الأصلية. وبعد ذلك نصل إلى قاعة يتركز سقفها على ثمانية عمد، وهذه كانت حجرة الدفن الأصلية للملكة «توسرت».

وتدل شواهد الأحوال على أن هذه الحجرة عندما نُحِتَتْ كان «سبتاح» قد مات، وأن «سيتي الثالث» - على حسب رأي «إمري» - قد حلَّ محله زوجاً لها؛ وذلك لأننا نرى صورة الملك الأخير على أحد عمد هذه القاعة من اليسار، وقد أضاف بعد هذه الحجرة الملك «ستنتخت» دهليزين عندما اغتصب القبر. وأخيراً نصل إلى القاعة التي دُفِنَ فيها «ستنتخت» وفي وسطها نجد غطاء تابوته ملقًى على جانبه، وهو مصنوع من الجرانيت وقد نُقِشَ نقشاً جميلاً، ويصور لنا صورة «أوزير» مضطجعاً. أما حوض التابوت نفسه فقد هُشِمَ. والظاهر أنه لم يُغتصب من مكان دفن الملكة «توسرت» بل عمل

خاصًا به.

وتدل النقوش على أن هذا الفرعون قد بدأ لنفسه حفر المقبرة رقم ١١ التي دُفن فيها بعد ابنه «رعمسيس الثالث»، ولكنه بعد أن استمرَّ في العمل مدة تركها واغتصب مقبرة «توسرت» كما ذكرنا. والمدهش في تاريخ الفرعون «ستخت» أننا لا نعرف كيف أصبح صاحب السيادة في البلاد ثانية بعد أن غزاها الآسيويون، ولا نعرف الصلات التي كانت تربطه بالأسرة البائدة. وكل الدلائل تشعر بأنه لم يكن ملكًا شرعيًا كما يُقال إنه ابن «سيتي الثاني»؛ إذ لو كان الأمر كذلك لتكلم ابنه «رعمسيس الثالث» بنغمة أخرى عندما وصف لنا حالة البلاد في عهد والده. ولدينا معلومات يكتفيها الغموض والإبهام عن هذه الحوادث الأخيرة التي وقعت قبل تولي «رعمسيس الثالث» في الأساطير القومية عندما تحدث «مانيتون» عن الملك «أوزارسيف Osarsiph» على حسب رأي الأستاذ «إدوارد مير».^(١٤) إذ نعلم أنه عندما قص قصة الحركة الدينية التي قام بها «أمنحتب الرابع» نجد أنه قلبها ووضعها في عهد «مرنتاح» الذي جعل اسمه هناك «إمنوفيس» وجعل ابنه «رعمسيس الثالث». وفي عهد «إمنوفيس» هذا اقتحم الأعداء البلاد المصرية آتين من «أورشليم» وهم - كما يُقال - من نسل «الهكسوس» الذين طردوا من أرض الكنانة، وأمام هذا لم يجسروا على القيام بأية مقاومة، بل على العكس ولوا الأدبار نحو بلاد «إتيوبيا» (النوبة)، وقد جعل ابنه «رعمسيس» في كفالة صديق له. وقد اتخذ الأجانب مع المجذومين تحت قيادة «أوزارسيف» وخربوا الأرض، ومدَّها، ومعبدها، مدة ثلاثة عشر عامًا. وبعد ذلك عاد «إمنوفيس» ثانية، وقضى عليهم مع ابنه «رعمسيس»، وطاردهم من البلاد مقتفيًا أثرهم في الصحراء حتى بلاد «سوريا».

ولا شك في أن المدقق يرى في هذه الأسطورة المشوهة صدًى لسيطرة «إرسو» على البلاد المصرية؛ لأن ذلك كان حادثًا قد وقع وانقضى زمنه دفعة واحدة، في حين أن «أمنحتب الرابع» وأخلافه من بعده كان لهم دائمًا السيطرة على جزء من بلاد «سوريا». أما «ستخت» فقد نُسي ولم تُدون أعماله، وكذلك ابنه العظيم «رعمسيس الثالث». وقد نُسبت هذه الحادثة في الحال إلى «مرنتاح» لاتصاله به. وهكذا نرى مؤرخنا المصري

«مانيتون» يشير إلى هذا الحادث من بعيد، على الرغم من أنه لا يفهم ترتيب الحوادث من الوجهة التاريخية.

هوامش

- (١) راجع: ff ٣٩٧, Br. A. R. IV, § ٧٥ Harris pap. I, pl.
- (٢) إله الحرب وقتئذ.
- (٣) راجع: ١١٨ Weil, Recueil Inscrip. Sinai p.
- (٤) راجع: ١١١-١١٠ Petrie, Mebesheh pp.
- (٥) Griffith, Tell el yahudyah in Naville Mound of the Jews pl. XXI, cff ٦٥p.
- (٦) راجع: ٤٩٠; Wiedemann ibid p. ٤٦ Rec. Tnav. XXXV, p.
- (٧) راجع: ١٣٤; Petrie, Hist. III, p. ٥٢ Mariette, Abydos II, p.
- (٨) راجع: ٢٦١; Benson and Courlay Temple p. ٧٦ L. D. Text III, p.
- (٩) راجع: d ٢٠٦ L. D. III,
- (١٠) راجع: d ٢٠٤ L. D. III,
- (١١) راجع: ١٣٤ Petrie, Hist. III, p.
- (١٢) راجع: ١٥٦ & ١٥٥ Wilbour Pap. II, p.
- (١٣) راجع: ٢٢٨ Weigall Guide p.
- (١٤) راجع: ٥٨٣, ٤٢١, p. ١ Ed. Meyer, Gesch. II,

رعمسيس الثالث

١٢٠٠ - ١١٦٨ ق.م



تولى «رعمسيس الثالث» الحكم بعد موت والده «ستنتخت» الذي لم يمكث على عرش الملك أكثر من عامين كافح في خالهما - على ما يظهر - كفاحًا عنيفًا لطرد الغزاة وتثبيت نظم الحكم في البلاد. والظاهر أنه قد أشرك ابنه «رعمسيس الثالث» في الحكم. فلما انفرد «رعمسيس» بالحكم أثبت للعالم والتاريخ أنه خلف صالح لوالده، كما أثبت أن الدم الملكي الجديد كان له خطره في إنحاض البلاد من كبوتها التي سقطت فيها خلال عهد آخر ملوك الأسرة التاسعة عشر الضعاف.

والواقع أن مثل هذه الأسرة في بدايتها كمثل الأسرة التاسعة عشرة عندما تولى ملوكها زمام الأمور في البلاد؛ إذ ساروا بها قدمًا حتى بلغت في عهدهم مكانة عليّة. ولسنا مبالغين إذا قلنا إن «رعمسيس الثالث» قد جمع في شخصه تلك القوة الحربية، والقدرة السياسية التي امتاز بها «سيتي الأول» ومن بعده ابنه «رعمسيس الثاني». ولا غرابة في أن نرى «رعمسيس الثالث» ينحو دائمًا في أعماله نحو «رعمسيس الثاني»، وإن لم تكن الأحوال مُهيأة له لتنفيذ مقاصده.



شكل ١: الملك «رعمسيس الثالث» يُتَوَجَّهُ الإلهان «حور» و«وست».

ووجه الشبه بين أعمال الملوك الأول للأسرتين التاسعة عشرة والعشرين عظيم جداً، فالأولى أنقذت البلاد من الفوضى الداخلية التي ورطها فيها «إخناتون» وأخلافه كما أعادت للبلاد مجدها المضيع في الخارج بعض الشيء. والثانية خلصت البلاد من أيدي الأجنبي الغاصب الذي استولى عليها، كما دافعت عن حدود البلاد ووقفت زحف اللوبيين من الغرب، وأقوام البحار من الشمال والبحر، وقد كان خطرهم عظيماً جداً، ولولا شجاعة «رعمسيس الثالث» وحسن تديره لملت بالبلاد كارثة أعظم ضرراً وأشد خطراً من غزو الهكسوس الذين اجتاحتوا البلاد في عهد الأسرة الثالثة عشرة. ولكن كان من سوء طالع مصر أن عدد الملوك العظام في كلتا الأسرتين لم يكن كبيراً، ففي الأولى يتوالى ثلاثة فراعنة عظام، وفي الثانية لم يتوال على عرشها إلا ملكان عظيمان، ثم خلف من بعدهما خلف من الملوك الضعاف ساروا بالبلاد نحو الهاوية. ومن ثم أخذ ضوء مصباح الملك يخبو شيئاً فشيئاً حتى انطفأ جملة في عهد «رعمسيس الحادي عشر».

وعهد «رعمسيس الثالث» حافل بالأعمال العظيمة والأحداث الجسيمة؛ فقد ناصره الحظ، ورافقه حسن الطالع طوال مدة حكمه إلا السنين الأخيرة التي كدرت صفوها بعض الأحداث الداخلية المحضة التي لا تخلو منها بلاد في كل زمان ومكان مما سنفصل فيه القول بعد.

ولقد ظل اسمه لامعًا حتى بعد مماته؛ إذ حُفظت لنا أعماله العظيمة إلى الآن بصورة رائعة لم يحظَ بمثلها ملك من الملوك الذين سبقوه. وقد وصلت إلينا كما دونها هو وكما يريد في كتابين ضخمين: الأول نقش على الحجر على معبده الجنائزي الذي يُعد أضخم بناء لملك مصري بقي لنا سليمًا، وهو المعروف باسم مدينة «هابو». ويُعد من أحسن المعابد التي بقيت محفوظة لنا حتى الآن. أما كتابه الثاني فهو وثيقته الكبرى التي دونها مدة حياته عن أعماله السياسية والدينية العظيمة، وهي أكبر وأضخم وثيقة بقيت لنا من عهد الفراعنة، ويبلغ طولها أكثر من أربعين مترًا. وقد دُونت بأحسن خط هيراطيقي عُرف حتى الآن.

ومن هاتين الوثيقتين الفذتين سنحاول أن نضع صورة عن الحياة المصرية في هذا العهد في الداخل، ونصف ما كان للبلاد من علاقات مع الممالك المجاورة من وجوه شتى. والظاهر أن «رعمسيس الثالث» لم يقيم بأية حروب في أول حكمه كما جرت العادة عند معظم ملوك مصر، بل وجَّه معظم عنايته إلى إصلاح الأداة الحكومية، وتنظيم الجيش وتقويته، ووضع أسس معابده. وقد كان ذلك من الأمور الضرورية التي تحتتمها الأحوال لرجل مثل «رعمسيس الثالث» يريد أن يجعل مصر صاحبة السيادة والسلطان في الشرق كما كانت من قبل. وقد وصف لنا الحالة بنفسه عند توليه العرش، وما عمله للبلاد، وسندعه يحدثنا بنفسه عن ذلك كما جاء في «ورقة هاريس» فاستمع إليه: ^(١)

توليته العرش:

وبعد ذلك تَوَجَّني أبي ^(٢) «آمون رع» سيد الآلهة، و«رع آتوم» و«بتاح» جميل الوجه بوصفي سيد الأرضين على عرش من أنجبني، وقد تسلمت وظيفة والذي بسرور،

وارتاحت البلاد وابتهجت بنعمة السلام، وكانت مسرورة عندما رأني حاكمًا (له الحياة والعافية والصحة) للأرضين مثل «حور» عندما دُعي ليحكم الأرضين على عرش «أوزير»، وقد تُوجت بتاج «أنف» الذي يحمل الصل، وقد ليست التاج ذا الريشتين مثل الإله «تاتن»، وجلست على عرش «حوراخي»، وليست شعار الملكية مثل «آتوم».

(١) حالة البلاد الداخلية

ونظمت مصر طوائف تحتوي سقاة القصر، والأمراء العظام، ومشاة عديدين، وفرسانًا يُعدون بمئات الألوف، وجنود «شردانا» وجنود «قهق» الذين لا يُحصون، وتابعين يُعدون بعشرات الألوف، وعبيد سخرة لمصر.

حروبه:

وزدَّت في حدود مصر، وهزمت الذين غزوها في بلادهم، وذبحت قوم «دنين» الذين يسكنون في الجزر؛ وقوم «ثكل» والفلسطينيين الذين قد صاروا رماذًا، و«شردانا» و«مشوش» سكان البحر أصبحوا كأن لم يغنوا بالأمس، فقد أخذوا أسرى دفعة واحدة، وأحضروا أسارى إلى مصر مثل رمل الشاطئ، ووضعتهم في حصون مكبلين باسمي. وقد كانت طوائفهم عديدة يُعدون بمئات الألوف، وفرضت عليهم كلهم جزية من الملابس والحبوب من المخازن وشون الغلال سنويًا، وأهلكت قوم «سعر» وقبائل «الشاسو» (البدو) فنهبت خيام قومهم وممتلكاتهم، وكذلك ماشيتهم مما يخطئه العدو، وقد كُبلوا وسبقوا أسرى جزية لمصر، وقدمتهم للآلهة عبيدًا في معابدهم.

تأمل فإني سأخبرك عن أشياء أخرى حدثت في مصر في زمن حكمي. فقد كان اللوبيون» «والمشوش» يسكنون مصر، ونهبوا مدن الشاطئ الأيمن من «منف» حتى «كربن»^(٣) (كارابانا)، وقد وصلوا حتى النهر العظيم على شاطئيه، وهم الذين نهبوا «كارابانا» وقد وصلوا حتى النهر العظيم على شاطئيه، وهم الذين نهبوا مدن «جوتوت» (كانوب) خلال سنين عديدة في أثناء إقامتهم بمصر.

تأمل لقد أهلكتهم ودمجتهم في وقت واحد، وأخضعت «المشوش» واللوبيين، و«الاسبت» (أساباتا) و«الكيش» (كاكاشا) و«الشاي» (شاي) و«الهس» (هاسا) - و«البكن»^(٤) (باكانا) وقد طُرحوا أرضاً مكسدين مضرجين بدمائهم، وجعلتهم يولون الأدبار دون أن يطنوا تخوم مصر، وحملت منهم أسرى عديدين ممن أفلتوا من سيفي مُكْتَئِبِينَ كالطيور أمام خيلي، وكانت زوجاتهم وأولادهم يُعدون بعشرات الآلاف، وماشيتهم تُعد بمئات الآلاف، وقد أسكنت قوادهم في حصون باسمي، وأعطيتهم ضباطاً من الرماة، ورؤساء من القبائل، وقد وُسِّمُوا وأصبحوا عبيداً مطبوعاً عليهم اسمي، وأصبحت زوجاتهم وأطفالهم على هذه الحالة، وقيدت ماشيتهم لحساب بيت «آمون»، وقد أصبحت قطعاناً له مدى الدهر.

هذا وصف موجز قدمه لنا «رعمسيس الثالث» عن حالة البلاد عندما تولى عرش الملك وما قام به من أعمال عظيمة في بابي السياسة والحرب لوضع الأمور في نصابها. ونرى منه أن الخطر الأكبر الذي كان يتهدد البلاد هو غزو اللوبيين لها، وقد أشار لنا فيه إلى حروبه الأولى مع هؤلاء القوم.

والواقع أنه ترك لنا تقارير مفصلة، ومناظر حربية شاملة عن حروبه التي شنها عليهم وعلى غيرهم من أقوام البحار الذين انضموا إليهم لاغتيال مصر. وستحدث فيما يلي عن حروبه التي اشتبك فيها مع هؤلاء الأعداء على حسب الترتيب التاريخي الذي تركها لنا مصوراً على جدران معبده الجنائزي في مدينة «هابو».

(٢) حروب «رعمسيس الثالث»

لقد ترك لنا «رعمسيس الثالث» مناظر ممتعة، ومتوناً ضافية عن حروبه مع الممالك المجاورة لبلاده، والنائية عنها، على جدران معبده الكبير الذي أقامه في «طيبة» الغربية، وهو المعروف الآن بمعبد مدينة «هابو». والظاهر أنه رتبها ترتيباً تاريخياً كما فعل «سيقي الأول» على جدران «معبد الكرنك».

(٢-١) حروبه في النوبة

وتدل المناظر والمتون التي تركها لنا هذا الفرعون على أنه قام بحروب مع بلاد النوبة في أوائل حكمه. غير أن المناظر هنا مهشمة ولا يمكن معرفة كنهها إلا بقرئها بمناظر الحروب الأخرى التي جرت في بلاد النوبة، وصُوِّرت على المعابد الأخرى مثل معبد «بيت الوالي» و«معبد الدر» ومعبد «بوسميل». وقد دلت الموازنة على أن هذه المناظر كنت في معظم الأحيان تقليدية.^(٥)

ولا ندري هنا أقام «رعمسيس الثالث» بحروب فعلية على بلاد «كوش» لتعديهم على حدود البلاد المصرية كما يقول هو أو لم يقوم؟! وقد ساق «رعمسيس الثالث» أقصاهم الذين تعدوا على حدوده.^(٦)

فنشاهد في منظر (١٠ PI.) «رعمسيس الثالث» في عربته يساعده جنود مصريون وآخرون أجانب يهاجم بلدة نوبية، ثم يذكر لنا المتن أنه كان شجاعاً في قيادة عربته ... وجميلاً في ساحة الشجاعة عندما هاجم العدو. وقد كان ينظر للرماة من الأعداء كأثم نساء، وقد صير بلاد «كوش» كأن لم تغن بالأمس، مضرجين بدمائهم أمام خيله، وبعد أن أحرز النصر نجده يقود أمامه (١٠ PI.) ثلاثة صفوف من الأسرى السود وبصحبه جنود من المصريين، وفي منظر آخر نجده (١١ PI.) يقود هؤلاء الأسرى ويقف أمام «آمون» و«موت» في محراب. ويُشاهد بين الملك والإلهين الجزية النوبية مكدسة. ويقول المتن الذي نُقش أمام الفرعون: تقديم الجزية على يد الملك لوالده «آمون رع» ملك الآلهة بعد أن عاد جلالته وقد أحرز النصر على ممالك «كوش» الحاسنة، ورؤساء هذه الممالك في قبضة يده، وحزيتهم أمام جلالته، وتشمل ذهباً، ولازورداً، وفيروزجا، وكل حجرٍ غالٍ. وإثما قوة والده «آمون» التي رسمت له الشجاعة والنصر على كل مملكة. وأرض «كوش» أصبحت مكبلة، ومذبوحة في قبضته، كما أن الآسيويين وأقوام الأقواس التسعة في وجلٍ منه.. وقد أجابه الإله «آمون» على مقاله هذا بالكلمات التالية:

لقد عدت في سلام بعد أن نخبتم الممالك، ووطئت بالأقدام قراهم، وقد سقت

الأعداء أسرى - على حسب ما قررت لك من شجاعة ونصر.

وأخيرًا تذكر لنا النقوش أن هؤلاء الأسرى طلبوا إلى الإله «آمون» أن يمنحهم النفس الذي هو منحه: تأمل، إننا تحت نعليك.

وكذلك يقولون للفرعون: الشاء لك يا ملك مصر، وشمس الأقواس التسعة، امنحنا النفس الذي هو منحتك حتى نخدم صليك.

ومما سبق نفهم أنه كانت قد حدثت بعض اعتداءات من جانب النوبيين على الحدود المصرية، وأن «رعمسيس الثالث» نفسه قام على رأس جيش من المصريين والجنود المرتزقة، وهزم الأعداء بعد أن خرب قراهم، وأجبرهم على دفع الجزية - هذا إذا صدقنا ما جاء في النقوش، وهو ليس ببعيد؛ لأن البلاد المصرية كانت في هذه الفترة في حالة من الضعف. ويُحتمل جدًا أن القبائل المتاخمة لمصر قد انتهزت الفرصة، وأغارت على الحدود المصرية، ولذلك قيل عن «رعمسيس»: «إنه ساق أقصاهم الذين تعدوا على الحدود»، يُضاف إلى ذلك أنه كان من عادة كل فرعون أن يبدأ حكمه ببعض الحروب جريًا على نهج أسلافه؛ ليظهر ما له من قوة وبطش.

(٢-٢) الحرب الأولى على اللوبيين

ترك «رعمسيس الثالث» عن حروبه الأولى مع اللوبيين سلسلة مناظر رائعة، ومنتًا مؤرخًا بالسنة الخامسة يمكن الباحث أن يستخلص من مجموعها صورة مفهومة عن هذه الحروب. وهذه المناظر مصورة على الجدارين الغربي والشمالي الخارجين للمعبد الكبير وهي:

(أ) المناظر

المنظر الأول

(Ibid pl. ١٣) يُشاهد فيه «رعمسيس الثالث» يتسلم سيفه المعقوف من الإله «آمون» في حضرة الإلهين «تحت» و«خنسو»، وهذا المنظر يرمز إلى التصريح الإلهي

بنشوب الحرب ومنح الفرعون النصر. وبعد ذلك نشاهد «رعمسيس الثالث» يخرج من المعبد بعد أن تسلم العهد بالحرب من الإله «آمون» وفي يده سيف معقوف وقوس، ويتبعه إله الحرب «منتو»، ويسبقه كهنة يحملون أربعة أعلام لأربعة آلهة وهم على التوالي: الإله «وبوات» فاتح الطريق و«خنسو» و«موت» والإله «آمون»^(٧) وقد نُقش أمام الملك المتن التالي: لقد سار جلالته وقلبه قوي في شجاعة وبطولة إلى بلاد «تمحو»، هذه الخاتمة التي تحت سلطان جلالته، وإنه والده الذي سيره في رزانة من قصر «طيبة»، وقد منحه سيفاً ليصد به أعداءه، ويهلك من لم يكن خاضعاً له، وإن الطرق التي لم تكن مطروقة من قبل قد فُتحت أمامه أبدياً ...

نشاهد بعد ذلك كل إله من الآلهة يخاطب الملك ويعدّه بالمساعدة كل على حسب ما امتاز به؛ فالإله «منتو» «إله الحرب» يذبح له الأعداء، والإله «وبوات» يفتح له كل طريق يؤدي إلى النصر، والإله «خنسو» يجعل يديه قويتين على الأقواس التسعة، والآلهة «موت» تكون له حرزاً سحرياً إلى الأبد. أما الإله «آمون» فإنه سيذهب معه إلى المكان الذي يرغب فيه جاعلاً قلبه مبهتجاً في الأراضي الأجنبية، ولأجل أن ينشر الرعب منه، ويولد الرهبة في كل أرض أجنبية. وهكذا نجد أن الآلهة كانت تلازم الفرعون في حروبه، كل منهم يحمل علمه، ويؤدي وظيفته الخاصة به. وهذا دليل على تغلغل نفوذ رجال الدين في كل أمور الدولة - حتى في حروبها. وبعد ذلك نشاهد الفرعون يركب عربته على رأس جيشه يشن أول حرب على «لويبا».

والمنظر يصوّر لحظة تمثيلية عند بداية إعلان الحرب؛ إذ عندما ينفخ في البوق إيذاناً بالحرب، ويستعد الجيش يركب الفرعون عربته، وخلفه أتباعه المقربون والأمراء، وأمامه يسير حرسه الخاص.^(٨) ثم يقول لنا المتن الذي أمام الملك إنه قد حضر إنسان ما ليخبر جلالته أن «التحنو» يتحركون، وهم يتآمرون. وقد تجمعوا واحتشدوا في جمع ما لا يُحصى من «لوبيين» و«سبد» و«مشوش»، وهم أهل بلاد قد احتشدوا ليزحفوا قاصدين أن يجعلوا أنفسهم سادة مصر. وقد وصل جلالته عند أفق الإله المسيطر (أي في معبد «آمون رع») ليصلي من أجل النصر ولأجل أن ينال سيفاً بتاراً من والده «آمون» سيد

الآلهة. وقد بعثه بالقوة ويده معه ليقضي على أرض «تمحو» التي تعدّت على حدوده. فالإلهان «منتو» و«ست» هما حمايته السحرية عن يمينه وعن شماله، والإله «وبوات» يخترق الطرق أمامه، وقد جعلوا سلطانه قويًا، وقلبه شجاعًا، لي طرح أرضًا البلاد المتفخرة. وبعد ذلك نجد «رعمسيس» في عربته سائرًا نحو «اللوبيين» ويتبعه جنود من المصريين والأجانب، وأمام الملك عربة تحمل علم الإله «آمون» الذي لم يكن يدُّ من وجوده مع الفرعون في ساحة القتال، وعندئذ ينفخ في البوق إيدانًا بالمسير. وقد كانت طوائف الجنود الأجنبية تسير على اليسار على حسب جنسيتها^(٩) (Ibid pl. ١٧).

بعد ذلك نشاهد «رعمسيس» في عربته يهاجم اللوبيين الفارين، يساعده جنود من المصريين والأجانب، ويحدث في صفوفهم الذعر، فينقض «رعمسيس» على اللوبيين الذين فقدوا روحهم المعنوي. ويظهر أنهم كانوا يحاربون في مكان صحراوي قد خُضب بدماء غزيرة، وقد كان يؤازر الفرعون فرسانه المصريون، والمشاة الأجانب (راجع Ibid ١٩ pl.).

وقد وصف الفرعون معمعة الوغى بما يأتي: الإله الطيب في صورة «منتو»، عظيم البطولة مثل ابن «نوت» (ست) قوي الساعد، عظيم الفرع منه عندما يُرى في المعمعة مثل اللهب المبتلع أمامه (الصل)، ثابت الذراع الأيمن عندما يشدُّ عنه القوس، وسريع الساعد الأيسر... قابضًا على القوس، وهاجمًا إلى الأمام، وهو عالم بقوّته في النزال، وأنه يضرب مئات الآلاف، وقد هزم قلب أرض «تمحو»، وأعمارهم وأرواحهم قد انتهت؛ لأن ابن «آمون» قوي الساعد يتابعهم كالشبل عالمًا ببطشه، وهو ثقيل الصوت، تخر الجبال لاسمه عندما ينطلق زفيره، سيد الأرضين «رعمسيس الثالث».

وبعد ذلك نشاهد «رعمسيس الثالث» في شرفة يحتفل بانتصاره على اللوبيين فيرى واقفًا في الشرفة، وعربته منتظرة خلفه، وهو يخاطب موظفيه الذين يجيئون بكل احترام. ثم نرى الضباط المصريين يقودون الأسرى من اللوبيين، في حين أن الكتبة يُحصون عدد الأيدي. وأعضاء الإكثار التي كانت أمامهم في كومتين. وهذا المنظر قد وقع في

حصن من الحصون المصرية، وقد كُتب فوقه متن مهشم ... القوي للفرعون «له الحياة والفلاح والصحة» المهزومون من اللوبيين أمام البلدة «وسرماعت رع محبوب آمون طارد التمحو»، وهذه البلدة كان لها شأن في الحروب اللوبية ثانية وستتكلّم عنها فيما بعد.^(١٠) وقد أخذ الفرعون يخاطب موظفيه ورفاقه الذين كانوا بجانبه إذ يقول: تأملوا الإنعامات العديدة التي أتمها ملك الآلهة «آمون رع» على الفرعون ابنه، فإنه قد أودى ببلاد «تمحو» و«سبد» و«مشوش» الذين كانوا لصوصًا يعيشون الفساد في مصر يوميًا، ولكنهم أصبحوا مطروحين أرضًا تحت قدميه، وأقدامهم قد بُترت ولم يبقَ منهم أحد. وقد انقطعت أقدامهم عن أن تطأ مصر أبدًا بالنصيحة الطيبة التي عملها جلالته، وهي أن تحافظ على مصر التي كانت قد خربت، فافرحوا وابتهجوا حتى عنان السماء؛ لأنه قد ظهر كالإله «منتو» ماديًا في حدود مصر، وإن ساعدي لعظيم وقوي، قاهر الأقواس التسعة بما عمله لي والذي سيد الآلهة «آمون» ثور والدته، ومبدع جمالي.

وقد أجابه الموظفون على ذلك بالجواب العادي الذي كله إطراء وتعظيم.

وقد كُتب فوق كومتى أعضاء الإكتار والأيدي ما يأتي:

مجموع أعضاء الإكتار (١٢,٥٣٥)، مجموع الأيدي (١٢,٥٣٥).

مجموع أعضاء الإكتار (١٢,٦٨٠)، مجموع الأيدي ١٢,١٢,٥٣٢ + ...

مجموع الأيدي (١٢,٦٦٠).

(وكل هذه الأعداد يجب أن تُقبل بتحفظ؛ لتهشم المتن).

وبعد هذا يأتي منظر نشاهد فيه «رعمسيس الثالث» يحتفل بنصره على اللوبيين - على الجدار الجنوبي للردهة الثانية من المنظر الذي في الشرق الأقصى من الصف الأسفل - فيرى «رعمسيس» جالسًا بدون تكلف في عربته يلاحظ إحصاء ثلاث كومات من الأيدي، وكومة من أعضاء الإكتار، كما نشاهد موظفين يقودون إليه أربعة صفوف من الأسرى اللوبيين. وقد استرعى نظرنا هنا في الجزء المحفوظة ألوانه في المنظر أن قرحية العين

زرقاء. ^(١١) وكُتِبَ فوق كومات الغنيمة ما يأتي: تقديم الغنائم في حضرة جلالته و«التحنو» الساقطين من اللوبيين، وقد بلغوا ألف رجل، وثلاثة آلاف يد، وثلاثة آلاف عضو إكثار. وبعد ذلك يخاطب الفرعون الأمراء، و«تشريفاتي» الملك، والموظفين، والرفاق، وكل قواد المشاة، والفرسان قائلاً: ابتهجوا حتى عنان السماء؛ لأن ساعدي قد هزم «التحنو» الذين أتوا مسلحين وقلوبهم واثقة من مناهضة مصر، ولقد برزت لهم كالأسد؛ فدستهم وحولتهم إلى أكداس، وقد كنت أتبعهم كالصقر المقدس عندما يلمح طيراً صغيراً في وكر، وكان سيفي ... إلى أن يُوضع في غمده (؟) وسهمي لم يطش عن إصابة سيقانهم، وكان قلبي يخور كالثور في ساحة الوغى مثل «ست» عندما يثور، ونجبت مشاتي، وحيت الفرسان، وغطت ذراعي القوم، وهدمت أرواحهم، وانتزعت أقواسهم، وحرقت قلبي قراهم، وإني مثل «منتو» بوصفي ملك مصر، والفرع مني قد هزم الأقواس التسعة، ووالدي «آمون» الفاخر قد خصني بكل البلاد تحت قدمي في حين أني ملك مخلد على عرشه.

بعد ذلك يعود «رعمسيس» إلى أرض الوطن من حملته على بلاد «لوبياء» فيرى وفي ركابه جنوده، وموظفوه يسوقون الأسرى من اللوبيين أمام عربته مكبلين في السلاسل والأغلال. ^(١٢) وبعد وصوله نراه يقدم هؤلاء الأسرى للإلهين «آمون» و«موت» فنشاهده يقود ثلاثة صفوف من اللوبيين «لآمون» و«موت» الموضوعين في محراب، وبعد ذلك يشكره «آمون» قائلاً: فلتشكر لأنك قد أسرت هؤلاء الذين هاجموك، وهزمت من اعتدى على حدودك، وإني منحتك هيبتي في شخصك حتى يصبح مقدورك قهر الأقواس التسعة، ويدي درع لصدرك تمنع عنك الشر، وإني قد منحتك ملك «آتوم»، وإنك تظهر على عرش «رع».

أما الإلهة «موت» سيدة السماء فترحب به قائلة: مرحباً في سلام يا بني، يا محبوبي «حور» الكثير السنين، الذي يحمل شجاعة ساعد والده «آمون» ونصره عندما تظهر على عرش «رع».

وبعد ذلك يجيبهم الفرعون بأنه هزم بلاد «التحنو» وأفناهم، وحطم قوى «المشوش» الخ. (١٣)

وفي المتن خمسة وسبعون سطراً، ولكن لوحظ عند تحليل محتوياته أنه يشمل سرد حوادث تُؤرِّخ عادة بالعام الثامن. (١٤) وقبل أن نضع أمام القارئ نص هذا المتن، ونستخلص منه ومن المناظر التابعة له سير الواقعة؛ يجدر بنا أن نخلله هنا باختصار حتى يتسنى فهم سير الحوادث فيه؛ لما يحتويه من أساليب وجمل كلها فخر وأوصاف تغطي على لب الموضوع الأصلي.

(١) نقراً تاريخ الواقعة والإطراء العادي للفرعون (من سطر ١-١٣).

(٢) إشارة إلى هزيمة حاقت بالأموريين (من سطر ١٣-١٧).

(٣) كل الأراضي التابعة لـ «رعمسيس الثالث» (من سطر ١٧-٢٠).

(٤) الوصف الحزن لحالة مصر قبل عهد «رعمسيس الثالث» (من سطر ٢٠-٢٢).

(٥) صفات القائد «رعمسيس الثالث» وشجاعة جيشه (من سطر ٢٢-٢٠).

(٦) الحروب الأولى اللوية التي تؤرخ تقليدياً بالسنة الخامسة (من سطر ٢٦-٥١).

وفي هذه الفقرة نجد خطط اللوبيين وهجومهم (من سطر ٢٦-٢٨).

ثم فشل خططهم بحكمة «رعمسيس» وقوته، وهذا الجزء يحتوي بعض سياسات غامضة، ثم هزيمة اللوبيين (٣٣-٣٦) وانتصار «رعمسيس» واستعباد الأسرى (٣٦-٣٩) ونصيب اللوبيين الذين بقوا على قيد الحياة، وما أصابهم من عنت (٣٩-٤٢). اللوبيون يندبون سوء حظهم (٤٢-٥١).

(٧) الحروب الشمالية التي يؤرخها الأثريون بالسنة الثامنة (٥١-٥٩)، وتشمل جزية أهل الشمال براً وبحراً (٥١-٥٤)، تسليم أهل الشمال وأسراهم (٥٤-٥٩).

(٨) كل بلد أصبح لا حول له ولا قوة أمام بطش «رعمسيس» (٥٩-٦٦).

(٩) إدارة الملك الحكيمة الماهرة التي ضمنت السلام والسعادة لمصر (٦٦-٧٥).

والواقع أن هذا المتن قد اختصر بعض الحوادث التاريخية اختصاراً مخلاً، وما على القارئ إلا أن يقرن ما جاء في الجزء الذي يشمل من سطر (٢٥-٧٥) في هذا النقش بما جاء تمثيله في «ورقة هاريس».

وهاك نص المتن كما جاء على جدران المعبد:

(١) السنة الخامسة من عهد جلالة «حور»: الثور القوي، الذي مدَّ حدود مصر، صاحب السيف البتار، القوي الساعد، وذابح «التحنو»، ومحبوب الإلهتين، عظيم الأعياد الثلاثينية مثل والده «بتاح»، (٢) ومحطم «التمحو» في أكوام في أماكنهم، «حور» الذهبي، الشجاع، رب القوَّة، وجاعل الحدود أينما أراد في اقتفاء أعدائه ... (٣) والخوف منه والرعب درع لمصر، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، السيد الفتي اللامع، والمنير مثل القمر عندما يولد ثانية ... (وسرماعت رع-مري آمون) (٤) ابن «رع»: «رعمسيس الثالث»، بداية النصر الذي بدأه «رع» بقوة مصر، وقد عاد حاملاً السلام، والتاسوع جعل ... (٥) قوياً السيد المقدام السباق، ومن منظره مثل ابن «نوت» (الإله «ست») ليجعل الأرض قاطبة كإنسان واحد فرح ... (٦) ملك الوجه القبلي والوجه البحري: (وسرماعت رع مري آمون)، ابن «رع»: «رعمسيس الثالث» الحاكم العظيم الحب، وسيد السلام، ومن منظره مثل «رع» عند الفجر، ومن الفرع منه ... (٧) لصله، الممكن على عرش «رع» بوصفه ملك الأرضين، والبلاد من أقصاها إلى أقصاها قد نجت، والغني والفقير ... (٨) قد تجمعوا واتحدوا معاً في حكمه، ملك الوجه القبلي، والوجه البحري: (وسرماعت رع-مري آمون) ابن «رع»: «رعمسيس الثالث»، الملك الجبار الشجاع الموجد (حبه) وإنه يرى ... عندما يثور، الحامي الذي يوثق (٩) فيه، ومن قد ظهر في مصر، صاحب الغايات البعيدة، والسريع الخطا، والضارب كل أرض، والمستشار، صاحب الخطط الممتازة، والمجهز بالقوانين، والجاعل قومه في سرور (١٠)، ومن اسمه قد نفذ في قلوبهم إلى الظلام نفسه (عالم الآخرة)، وفخاره والرعب منه

قد وصلا إلى نهاية الأرض، وقد صيرت الأرض إلى _ وخربت في آن واحد (١١) ولا يعرفون أسيادهم. وقد أتوا خاشعين يرجون نفس الملك الذي في مصر من «حور» (الملك): الثور القوي، عظيم الملك، ملك الوجه القبلي والوجه البحري: (وسرماعت رع مري آمون) ابن «رع»: «رعمسيس الثالث» جدار مصر (١٢) العظيم، حامي أجسامهم. وقوته كقوة «منتو» مخضع «الأقواس التسعة»، وهو طفل إلهي عندما يطلع مثل «حوراخي»، وهو يشبه «آتوم»، في أي وقت يظهر فيه ويفتح فمه بالنفس (١٣) للناس؛ لأجل أن يمد الأرضين بطعامه كل يوم، وإنه الابن الشرعي، حامي تاسوع الآلهة الذين يخضعون له الممالك العاتية.

إشارة عامة لهزيمة «الأموريين»

إن رئيس «آمور» قد أصبح رماذًا (١٤) وبذرتة لا وجود لها. وكل قومه أخذوا أسرى، وشتتوا وأخضعوا، وكل من بقي على قيد الحياة في بلاده كان يأتي بالثناء (١٥) ليرى شمس مصر العظيمة تطلع عليه، وجمال قرص شمس مصر أمامهم - الرعان^(١٥) (الشمسان) اللذان يطلعان ويضيئان (١٦) على الأرض: شمس مصر والشمس التي في السماء، ويقولون: الرفعة «لرع»، إن أرضنا قد خربت، ولكننا (١٧) في أرض حياة قد محي فيها الظلام، ملك الوجه القبلي والوجه البحري: (وسرماعت رع مري آمون) ابن «رع»: «رعمسيس الثالث».

كل البلاد تابعة «لرعمسيس»

وقد اجتشت السهول والأقاليم الجبلية (١٨) وحملت إلى مصر عبيدًا، وقدم أهلها كلهم معًا للتاسوع، والرضا، والطعام والمؤن غزيرة في الأرضين (١٩)، والجمهور يبتهج في هذه الأرض، ولا حزن فيها؛ لأن «آمون رع» قد مكن ابنه في مكانه، حتى إن كل ما يحيط به قرص الشمس قد أصبح موحدًا (٢٠) في قبضة يده. والأعداء من الآسيويين واللوبيين قد سيقوا، وهم الذين قد خربوا مصر فيما مضى حتى جعلوا الأرض أصبحت قاحلة في خراب تام منذ بدء الملوك، في حين أنهم اضطهدوا الآلهة، وكذلك كل فرد، ولم

يكن هناك بطل (٢٢) يستقبلهم عندما ثاروا.

صفات الفرعون في القيادة، وجسارة جيشه

والآن لقد وُجد شاب مثل المارد المجنح (ست)، وهو قائد داهية مثل «تخوت» كلماته ... (٢٣) وإنما تخرج منه كأنها تعويذة من ... التي تخرج من فم رب الكل، وجنوده أصواتهم ثقيلة فهم كالثيران (٢٤) على استعداد ... في ساحة الواقعة، وخيله كالصقور عندما تلمح طيورًا صغيرة (...). (٢٥) زائرًا مثل الأسد، وهو مستفز وهائج. وفرسان العربات لهم من القوة ما للإله «رشف» (إله الحرب) فهم ينظرون إلى عشرات الألوف كأنهم نقط، وقوته أمامهم كقوة الإله «منتو» (٢٦)، واسمه والفرع منه يحرقان السهول والأقاليم الجبلية.

(ب) الحرب اللوبية الأولى التي يؤرخها علماء الآثار تقليدًا بالسنة الخامسة

خطط هذه الحرب وهجوم «اللوبيين»

لقد أتى أهل بلاد «التمحو» مجتمعين معًا في مكان واحد، ويشملون «اللوبيين» و«السبد» و«المشوش» ... (٢٧) ... وقد اعتمد جنودهم في خطتهم، وأتوا بقلوب واثقة: «سنتقدم بأنفسنا!» وخططهم التي كانت في نفوسهم هي: «سنعمل!» وقلوبهم كانت مليئة (٢٨) بالأعمال الخائنة وبالضلال، غير أن خططهم قد حُطمت وقُلبت جانبًا في قلب الإله. وقد طلبوا رئيسًا بأفواههم، غير أن ذلك لم يكن في قلوبهم. وإنه الإله الواحد الممتاز (٢٩) هو الذي عرف خطة (صائبة)، وهذا الإله الآن سيد الآلهة قد عمل لعظمة مصر بالنصر المخلد، ليجعل أهل الممالك الأجنبية يطلبون بقلوبهم (٣٠) من الملك العظيم أن ينصب رؤساء لهم.

وقد كان جلالته نافذ البصيرة داهية مثل «تخوت»، وقد رُئيت قلوبهم وخطتهم، وحكم عليها في حضرته، وكان جلالته قد ربى ولدًا صغيرًا من أرض «تمحو» وهو طفل، وقد عضده (٣١) بقوة ساعديه، ونصبه عليهم رئيسًا لينظم الأرض. وهذا لم يُسمع به

من قبل^(١٦) منذ أن بدأ الملوك. والآن كان قلب جلالته مريعاً وباطشاً كالأسد المختبئ (٣٢) متحفزاً للوثوب على الماشية الصغيرة، وقد كان حقاً كالثور القوي الساعدين، والحاد القرنين ليهاجم الجبال نفسها مقتفياً أثر من هاجمه. وقد سخر الآلهة من (٣٣) خططهم؛ لأنهم جعلوا قوّته تناهض من تعدّى حدوده. وقد انقض عليهم جلالته كلهيب النار المنتشر في هشيم كثيف، وكالطيور التي في شبكة (٣٤) فدرسوا كأنهم حزم القمح وأصبحوا هشيمًا، وألقوا على الأرض مخضبين بدمائهم، وكانت هزيمتهم ثقيلة (٣٥) لا حدًّا لها: تأمل! لقد كانوا في حالة سيئة بلغت عنان السماء؛ لأن مجموعهم الكثيفة قد اجتمعت سوياً في مكان ذبحهم، وأقيم منهم هرم في عقر دارهم (٣٦) بقوة الملك، الشجاع في شخصه، السيد الأوحد، القوي مثل «متنو» ملك الوجه القبلي والوجه البحري: (وسرماعت رع) «رعمسيس الثالث».



شكل ٢: أحد رؤساء اللوبيين الذين هزمهم «رعمسيس الثالث».

وقد أحضر كل من بقي حيًّا أسيرًا إلى مصر. أما الأيدي، (٣٧) وأعضاء الإكثار فكانت لا تُحصى، وسيقوا أسرى، وكُبلوا تحت شرفة الملك، وقد اجتمع رؤساء الممالك الأجنبية ناظرين إلى يؤسهم. أما محكمة الثلاثين (٣٨) وحاشية الفرعون فقد كانوا باسطين أيديهم على رحبها، وتهليلهم قد ارتفع حتى عنان السماء بقلوب راضية وقالوا: إن «آمون رع» هو الذي قرر الحماية للملك أمام كل أرض والسياح (٣٩) والرسل من كل أرض قد أزيلت قلوبهم وانتزعت، ولم تبقَ بعد في أجسامهم، واتجهت وجوههم إلى الملك كما تتجه إلى «آتوم» (الشمس).

وقد كسر العمود الفقري لأهل «التمحو» طوال الأبدية، ولم تعد بعد أقدامهم (٤٠) تطأ حدود مصر. أما قوادهم فقد نُظموا وصُفوا زمراً بالانتصارات، ووسموا باسم جلالته العظيم، والذين هربوا كانوا تعساء (٤١) يرتعدون، ولم يكن في مقدور أفواههم أن تستذكر طبيعة أرض مصر. وأهل «التمحو» هربوا وجروا، وقوم «المشوش» كانوا في حيرة في أرضهم (٤٢) واجتشت جذورهم، ولم يكونوا في حالة واحدة، وكل جزء من أجسامهم صار ضعيفاً من الفرع، وقالوا: إنها هي التي تقصم ظهورنا - مشيرين إلى مصر - (٤٣) وسيدها هو الذي قد قضى على أرواحنا إلى أبد الأبدين، وكانت حالتهم تسوء عندما يرون ذابحهم مثل جزاري الإلهة «سخت» (إلهة الحرب) وهم الذين كانوا يقتفون أثرهم. وإن الإنسان ليصيبه الفرع، ويتملكه الخوف أمامهم (٤٤) «وإذا لم تجد خطواتنا طريقاً للسير فإننا نقطع الأراضي حتى نهايتها». وإن جنودهم لن يحاربوا في جانبنا في أي موقعة. فهناك تهاجمنا (٤٥) نيراننا برغبة منا، ونحن قانطون! وقلوبنا قد نُزعت، وقوتنا قد نفدت! فسيدهم مثل «ست» محبوب «رع»، ونداؤه للواقعة مسموع (٤٦) مثل نداء المارد المنح، وإنه يقفو أثرنا مذنبًا، ولا رحمة عنده. ويجعلنا نولي الأدبار عند ذكر مصر أبدًا. ولقد كان اندفاع أنفسنا نحو (٤٧) الموت سخيًّا، فكنا الموقدين النار التي أدخلنا فيها أنفسنا، وبذرتنا قضى عليها، وبخاصة «دد» و«مشكن» و«مري»، هذا إلى «ورمر» و«تتمر» (٤٨) وكل رئيس معًا هاجم مصر من «لويبا» أصبح في النار من أوله إلى آخره. وقد رد الآلهة الجواب بذبحنا؛ لأننا قمنا بمجوم قصداً على مقاطعهم. ونحن نعلم

قوة مصر العظيمة! إن «رع» قد وهبها حامياً جباراً يظهر مضيقاً مثل ... (٥٠) دعنا
نقبل الأرض! فسيفه عظيم وبتار ... (٥١) ملك الوجه القبلي والوجه البحري
«وسرماعت رع مري آمون»: «رعمسيس الثالث».

(ج) الحرب الشمالية التي يؤرخها علماء الآثار تقليدياً بالسنة الثامنة من حكم
«رعمسيس»

لقد ارتعد أهل الممالك الشمالية في أجسامهم، وهم الفلسطينيون (بلست)
و«الشكر» ... (٥٢) وقد قُطعوا عن بلادهم، وأتوا وأنفسهم كسيرة، وقد كانوا محاربين
(ثر) على اليابسة، وطائفة أخرى على البحر. أما الذين أتوا على البر فقد هُزموا ودُبحوا
... (٥٣)، وكان «آمون رع» خلفهم قاضياً عليهم، والذين دخلوا في مصبات النيل
كانوا مثل الطيور التي وقعت بالأحولة، وصيروا ... (٥٤) أسلحتهم، وقد أُزيلت
قلوبهم وانتزعت، ولم تعد بعد في أجسامهم، وقوادهم سيقوا ودُبحوا وأُلقي بهم على
الأرض، وكُتفوا ... وصاحوا قائلين (٥٥): يوجد أسد مهاجم، مفترس قوي قابض
بمخالبه، وهو السيد الوحيد الذي أتى إلى مصر ولا نظير له، وهو محارب مسدد السهم
لا يطيش قط ... (٥٦) نهايات المحيط، وكانوا يرتعدون جميعهم (قائلين): إلى أين
نذهب؟ ويلتمسون السلام آتين بخضوع خوفاً منه، عارفين أن قوتهم قد نفدت، وأن
أجسامهم أصبحت ضعيفة (٥٧)؛ لأن هيبة جلالته أمامهم كل يوم، وهو كالنور الواقف
في ساحة القتال، وعينه على قرنيه متأهباً لمهاجمة منازل برأسه، وهو محارب جبار ...
(٥٨) نداء الواقعة، العداء، رب القوة، ناهب كل أرض، حتى إنهم يأتون مسلمين بخضوع
فرعاً منه، وهو فتى غض مغوار مثل «بعل» في ... (٥٩) الملك الذي ينجز الخطط،
 ورب النصائح، وما يفعله لا يخيب بل يحدث مباشرة، ملك الوجه القبلي والوجه البحري
«وسرماعت رع مري آمون» ابن «رع»: «رعمسيس الثالث».

والويل لها، تلك الأراضي (حتى ما تحيط به الأرض) ... (٦٠) التي يتآمر أهلها
- في قلوبهم - على مصر. فإنه السيد العظيم المنتصر، ملك الأرضين، والرعب منه

والفرع قد طوح بالأقواس التسعة؛ لأنه كالأسد - ضخم (٦١) الزئير على قمم الجبل - والإنسان يخاف من بعيد بسبب هيئته، وهو مارد مجنح، واسع الخطأ، ذو جناحين، وهو الذي في نظره ملايين الأميال (إتر) ^(١٧) كأثما (٦٢) مجرد خطوة، وهو فهد عارف بفريسته، قابض على منزله، ويده تحطم صدر من يتعدى على حدوده، وهو نائر رافعاً ذراعه اليمنى (٦٣) ومفتحاً المعمة، وقاتلاً مائة ألف في أماكنهم أمام خيله؛ لأنه ينظر إلى تكتل الجمع كأثم جنادب مهزومون منحلون (٦٤) طحنوا كالدقيق، وإنه قوي القرنين، معتمد على قوته حتى إن الملايين وعشرات الألوف يحتقرون أمامه، وصورته كصورة «منتو» عندما (٦٥) يبرز. وكل بلد تجهدها نفسها له عند مجرد ذكر اسمه: وهو حاكم ممتاز الخطط مثل الإله «تاتن» يمد البلاد قاطبة بكل قانون (٦٦) قوي الساعد، عظيم القوة في السهل والحزن، وكل شيء عمله يحدث مثل أعماله، ساكن «هرموبوليس» (تخوت) ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسرماعت رع مري آمون» ابن «رع»: «رعسيس الثالث».

وإن قلب مصر لفرح بتملك بطل مثله، حتى إن الأرض أصبحت على (٦٧) ارتفاع ظهرها (أي مرتاحة) لا تدمر فيها، وهو مرسل ظلاً للناس يجلسون (في راحة) في زمنه، وقلوبهم واثقة لأن قوته هي حمايتهم (٦٨). وإنهم يعرفون ساعديه، وإنه الصقر الإلهي الذي يضرب ويقبض. وإنه قد أوجد جيوشاً بانتصاراته، ومألاً مخازن (٦٩) المعابد بغنائم ساعده جاعلاً الآلهة راضين بإنعاماته، وبذلك كانوا على يمينه وعلى شماله ليطرحوا أرضاً الأقواس التسعة: ليتهم (الآلهة) يجعلون قوته (٧٠) على كل من يهاجمه كالتى أعطاه إياه «آمون» والده الفاخر وهو الذي تجتمع الأرضان تحت قدميه، ملك الوجه القبلي والوجه البحري: (وسرماعت رع مري آمون) ابن «رع»: «رعسيس الثالث».

أما «حور»: فهو عظيم السنين، وبذرة «رع» الإلهية (٧١) التي خرجت من جسمه، والصورة الفاخرة الحية لابن «إزيس»، الذي خرج من الفرع مُحَلَّى بالتاج الأزرق مثل «آتوم»، والعظيم الفيضانات النيلية التي تحمل طعامها لمصر (٧٢)، في حين أن القوم والمواطنين يتمتعون بالأشياء الطيبة، والملك الذي يقيم «العدالة» لرب الكل،

ويقربها كل يوم أمامه، ومصر والأرض في سلم في عهده (٧٣)، والأرض كلها كلوح (سهلة منبسطة)؛ لأنه لا يوجد طمع، وفي استطاعة المرأة أن تذهب حيث شاءت بملابسها على رأسها دون أن تعاق خطواتها إلى المكان الذي ترغب فيه. والممالك الأجنبية تأتي منحنية (٧٤) لشهرة جلالته بجزيته وأطفالهم على ظهورهم، وأهل الجنوب وأهل الشمال على السواء يمتدحونه، وينظرون إليه كما ينظرون إلى «رع» عند الفجر، وهم خاضعون لخطط وقوانين الملك الجبار، الحاكم صاحب الخطط ذات الأثر (٧٥)، مثل خطط صاحب الوجه الجميل «بتاح» ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين صاحب الساعد القوي: «وسرماعت رع مري آمون» ابن «رع»: «رعمسيس الثالث» معطي الحياة مثل «رع» في الخلود.

ولا نزاع في أن القارئ يجد نفسه غارقاً في بحر لجي من الصفات والنعوت، وعبارات المدح والإطراء للفرعون عند قراءة سطور هذا المتن الطويل، وإذا أردنا تصفيته وغربلته وجدنا أن الحقائق التاريخية التي يحتويها ضئيلة جداً، ولكن هذا هو الواقع في معظم متون الأسرة التاسعة عشرة بوجه خاص؛ إذ قد نحا الملوك نحو «رعمسيس الثاني» في قصيدته المشهورة التي نقشها على جدران معابده العظيمة.

وعلى أية حال فإنما لا تزال مصدرنا الوحيد عن هذه الحروب.

ومن جهة أخرى إذا فحصنا محتويات هذا المتن، الذي تُنسب حوادثه إلى السنة الخامسة من حكم هذا الفرعون، لوجدنا أنه لا يقتصر على حروب الفرعون لبلاد «لوبيّا» كما هو المشهور، بل نجده يشير إلى وقوع حروب أخرى بينه وبين ممالك الشمال أو أقوام البحار، كما يُعرفون بذلك الاسم.

على أنه من المعلوم لدى علماء الآثار أن الحروب التي وقعت بين «رعمسيس الثالث» وهؤلاء الأقوام تؤرخ بالسنة الثامنة كما سنرى بعد. فهل الإشارة في المتن الذي بين أيدينا الآن تشير إلى حرب وقعت قبل السنة الخامسة، وهي السنة التي حارب فيها «اللوبيين»، أو أن هذا المتن عندما نُقش على جدران معبد مدينة «هابو» سبق الحوادث

وأشار إلى حروب السنة الثامنة مع أنه مؤرخ بالسنة الخامسة؟ وذلك لأن النقوش في كثير من هذه المعابد تُكتب بعد وقوع الحوادث بسنين عدة، ومع ذلك تؤرخ بالتاريخ الهام الأول كما حدث ذلك في وثيقة الإهداء الكبرى التي نقشها «رعمسيس الثاني» على أحد جدران معبد «العرابة المدفونة» وأرخها بالسنة الأولى من حكمه. ومع ذلك ففيها من الحوادث ما يشير إلى أعمال جرت بعد هذا التاريخ (راجع مصر القديمة الجزء السادس). هذا فضلاً عن أن العبارات التي جاءت في هذا المتن ومتن السنة الثامنة فيها تشابه كبير.

وعلى أية حال فإن كلا الرأيين جائز، ولكن المرجح أن المتن قد كُتب سابقاً لزمنه.

(د) الحملة الأولى اللوبية (حوالي عام ١٩٤ ق.م)

لقد انتهز «اللوبيون» فرصة عدم استقرار الأحوال الداخلية بعد وفاة «مرنبتاح» في مصر، كما فعلوا ذلك من قبل في مدة الفوضى التي حدثت بين عهدي الدولتين القديمة والوسطى، وسعوا فيها ليحصلوا لأنفسهم من جديد على مكان في مصر؛ ولذلك أعلنوا الثورة وصمموا على احتلال البلاد الواقعة على الحدود، والإقامة فيها، والاستيلاء على الوديان العالية، وسلب أماكنها، وقالوا: «إنا نريد أن نستقر في مصر»، وهكذا تكلموا بصوت واحد، وهجموا على حدود مصر. وقد ظلوا سنين عديدة يضطهدون سكان غربي الدلتا حتى قام «رعمسيس الثالث» بحملته الأولى التي نحن بصددنا الآن في السنة الخامسة، محاولاً طردهم من الحدود المصرية والقضاء عليهم.

وقد ذكر «مولر» ١٨ أن «ستنتخت» قام بطردهم في عهد مبكر، غير أنه لم يذكر لنا المصدر الذي استقى منه هذا الخبر. ولكن يجب أن نسلم هنا بأن حماية الحدود وتحصينها قد حال بين هذا العدو وبين استيطانه في الدلتا فعلاً، وتدل الوثائق التي لدينا على أن هؤلاء القوم كانوا على الحدود، وأنهم لم يتعدوها في سكناهم، ويؤكد ذلك الوصف الذي جاء في «ورقة هاريس» الكبرى؛ إذ نعلم منها أن «اللوبيين» و«المشوش» قد هجموا على مصر، ونهبوا المدن الواقعة على إقليم الشاطئ الغربي من «منف» حتى

«كاربانا»، وقد وصلوا في زحفهم حتى النهر العظيم على كلا شاطئيه. ولا بد أن اعتداء هؤلاء القوم على البلاد، ووصولهم حتى فرع النيل الكانوبي كان حادثاً فردياً. وعلى ذلك تكون الحدود التي وقفت عندها اعتداءات «اللوبيين» تنحصر في مدن إقليم الشاطئ الغربي، والظاهر أنها كانت تمتد في خط من «منف» حتى «كربانا»، وكانت «منف» تُعد أهم مدينة في جنوبي الدلتا قبل تفرع فرع «كانوب». وبلدة «كاربانا» هذه التي جاء ذكرها في «ورقة هاريس» تقع جنوبي بلدة «كانوب» المسماة باسم هذا الفرع من النيل عند مصبه.^(١٩) وقد علمنا فيما سبق بوساطة الملابس أنه يوجد فرق ظاهر بين الحرين اللتين شنهما «رعمسيس الثالث» على «اللوبيين»، إذ شن إحدهما على قوم «اللوبيين» والأخرى على قوم «المشوش»، ويؤكد لنا ذلك ما جاء في المتن العظيم الذي دوناه فيما سبق، وكذلك المناظر التي تركها لنا «رعمسيس الثالث» عن هذه الحرب، وما يستنبط «فرشنسكي» من متون الحرب اللوية الأولى؛ إذ نجد اسم «التمحو» قد ذُكر بكثرة بالنسبة لاسمي «اللوبيين» و«المشوش»، وأن أعداء «رعمسيس» في هذه الحرب هم في الأصل أهل «التمحو»، ولكن من جهة أخرى قد رأينا أن كلمة «التمحو» في هذا الوقت لا تعني ما كانت تعنيه في الأزمان السالفة لهذا الوقت، وأن «رعمسيس» قد اكتفى هنا بذكرهم في هذه الحروب الأولى بصفة عامة بدلاً من تعداد أسماء القبائل الأخرى التي كان يتألف منها الشعب اللوي؛ لأنهم كانوا الجنس السائد. والواقع أنه في حين أننا نجد بنوع خاص كلمة «تمحو» تُستعمل فقط في التعبيرات العامة فإننا نجد النقوش في المواقف المعينة تستعمل الاسمين الآخرين - اللوبيين والمشوش - كما أشرنا إلى ذلك من قبل.

ولدينا فقرات في المتن الكبير تكشف بصفة قاطعة عن الأعداء الذين حاربوا مصر في الموقعة الأولى. ففي سطر (٤٧) من نقوش السنة الخامسة نجد أن قواد الأعداء في هذه الحرب هم «دد» و«مشكن» و«مري» و«رمر» و«ثمر» وكل رئيس معاد قد هاجم مصر من «لوبييا». ويُضاف إلى ذلك أننا نجد في الصور التي تمثل تقديم الأسرى صورة المدينة التي وقعت فيها الواقعة ومعها بقايا متن قصير يذكر لنا الانتصار الذي

أحرزه الفرعون «رعمسيس الثالث» على الأعداء اللوبيين أمام المدينة، وهاك النص: ...
الفرعون (له الحياة والفلاح والصحة) الخاسئين اللوبيين أمام بلدة «وسرامعت رع مري
آمون طارد التمحو». (٢٠)

وهذا البرهان يعززه برهان آخر نجده في نقش كتب في الحرب اللوبية الثانية كما
سنرى وهو يتكلم عن انتصار المصريين على «المشوش» الذين كانوا يزحفون على مصر.
وهاك النص (٢١) الذي كُتب فوق الحصن: المذبحة التي أوقعها جلالته بين أعداء البلاد من
«المشوش» الذين أتوا إلى مصر مبتدئين من بلدة «رعمسيس الثالث» الواقعة على جبال
«وب تا» إلى «حوت شع» (قرية الرمل)، وقد وقعت مذبحة بينهم امتدت ثمانية
أميال. (٢٢)

وهذه الموازنة تدل دلالة واضحة على أن أغلبية القوم الذين حضروا الحرب الثانية
كانوا من «المشوش»، وهذا لا يحتاج إلى برهان آخر.

وعلى أية حال نجد أن محصول المتن الطويل المقعم بالأوصاف والاستعارات لا
يتعدى ما جاء فيه عن الحربين إلا حقائق ضئيلة. وقد قرأنا في المتن الأول ذكر عدد من
الأمرء ومن بينهم الأمير «ثتمر»، وقد ذكر كثيراً بدون سبب بأنه هو القائد للأعداء في
الحرب الأولى. وليس لدينا ما يدل على ذلك في المتن، وكذلك لدينا اسمان من بين الأمرء
الخمسة الذين ذُكروا في هذا المتن وهما: «دد» و«مري». ويلاحظ أنهما ذُكرا في متون
«مرنبتاح». وتدلل شواهد الأحوال على أن هذين الأميرين لم يشتركا في حروب
«رعمسيس الثالث» بل نُقل اسمهما من نقوش «مرنبتاح» وحُشرا هناك كما أثبت لنا ذلك
المؤرخ «بيتس». (٢٣) حقاً كان للأمير «مري» في حروب «مرنبتاح» ستة أولاد، ولكن
ليس من المعقول حسابياً أن «دد» كان لا يزال على قيد الحياة وقت نشوب المعركة بين
«لويبا» و«رعمسيس الثالث». هذا فضلاً عن أننا سمعنا عن الأمير «مري» أنه هرب من
ساحة الواقعة، وأن «مرنبتاح» نصب مكانه أخاه. ولذلك يخامرنا الشك في ذكر هذا
الاسم في هذه الحروب والتي قبلها، اللهم إلا إذا كانا شخصين مختلفين باسم واحد، وهذا

جائز أن يُسمى الابن باسم والده.

وتدل المناظر التي تركها لنا «رعمسيس الثالث» على أنه أبعد عن مصر خطر «التمحو» في موقعة دارت رحاها أمام بلدة «رعمسيس مري آمون طارد التمحو»^(٢٤) ويُحتمل أنها كانت في السنة الخامسة من حكمه؛ لأنه ليس لدينا تاريخ معين ليوم الموقعة، والسنة التي حدثت فيها.

وبعد الموقعة خاطب الفرعون جنوده قائلاً: تأملوا النعم الجمّة التي أداها «آمون رع» ملك الآلهة للفرعون طفله. فقد قضى على أرض «تمحو» و«سبد» و«مشوش»، فقد كان أهلها لصوصاً ينقضون على مصر يومياً، غير أنهم أصبحوا ساجدين تحت قدمي، وقد اجثت جذورهم، وليس لهم وجود بأية حالة، وقد انقطعت أقدامهم عن أن تطأ أرض مصر إلى الأبد؛ وذلك بفضل النصائح الغالية التي قدمها جلالته للعناية بمصر التي كانت قد خربت، فافرحوا وهللوا حتى عنان السماء؛ لأنني قد ظهرت مثل «منتو» ماداً حدود مصر، وإن ساعدي عظيم وقوي يهزم الأقواس التسعة بفضل ما فعله لي والدي رب الآلهة «آمون كمفيس» مبدع جمالي.

وقد جاوبه الضباط ورجال البلاط بالإجابة العادية. وبعد ذلك نرى الفرعون يشرف على عد الأسرى وغنائم الحرب وهي تُقدم له. وقد بلغ عدد القتلى (١٢٥٣٥) قتيلاً. والأسرى ألف أسير.^(٢٥) أما عن أعمال الشجاعة وما فعله الفرعون فتوجد في المتن الكبير التي ذكرناه آنفاً. وكذلك فيما جاء في «ورقة هاريس».

(٢-٣) حروب «رعمسيس الثالث» في آسيا مع أقوام البحر المؤرخة بالسنة الثامنة من حكمه

(أ) المصادر

لم يكد يستقر الأمن في ربوع مصر إلا سنين قلائل جداً؛ إذ في السنة الثامنة من حكم «رعمسيس» أخذ أقوام البحر الذين تحدّثنا عنهم فيما سبق ينقضون على مصر من

البر والبحر. والمصادر التي نستقي منها أخبار هذه الحروب هي:

- (١) المتن الكبير المؤرخ بالسنة الثامنة، وقد نُقش في الردهة الأولى على الجدار الغربي شمالي الباب الكبير في داخل معبد مدينة «هايو».^(٢٦)
- (٢) المناظر التي خلفها «رعمسيس الثالث» على الجدار الشمالي (Ibid, pls. ٢٩-٤٤).

(٣) ما جاء في «ورقة هاريس»، وقد ذكرناه فيما سلف.

والمتن الذي نُقش على البوابة الثانية خاص كما قلنا بالحروب الشمالية التي شنها «رعمسيس الثالث» على أقوام البحر كما تحدثنا المتون المصرية، ولحسن الحظ نجد أن الجزء الخاص في هذا المتن بالأحداث التاريخية قد أخطأته يد التخریب؛ لأن الجزء المتآكل موجود على اليسار، والثغرة الكبيرة التي على اليمين - على ما يظهر - لا تحتوي إلا عقود مدح نُظمت للفرعون. ولدينا من أمثال هذه المدائح الشيء المكرر الكثير.

وهذا المتن بوجه عام أقرب فهمًا للقارئ الحديث من أي قصيدة أخرى من قصائد «رعمسيس» التي نُظمت في مواقعه الحربية، وتنقسم ثلاثة أقسام كالعادة وهي: (١) مقدمة مديح، (٢) تقرير بليغ عن انتصارات الفرعون، (٣) وأخيرًا أنشودة نصر. ويُلخَّص المتن فيما يأتي:

(١) التاريخ، ومديح عام للملك ١٢-١ سطرًا.

(٢) خطبة للفرعون ١٢-٣٨ وتحتوي:

(أ) «رعمسيس» بوصفه مختار الإله «آمون» للملك، ومخلص مصر من ويلاتهما (١٢-١٦).

(ب) الحروب الشمالية (١٦-٢٦).

(ج) هجوم الشماليين (١٦-١٨).

(د) «رعمسيس» مستعد لمواجهة الهجوم (١٨-٢٣).

(هـ) هزيمة الشماليين (٢٣-٢٦).

(٣) ذكر المنافع التي عادت على مصر في عهد «رعمسيس الثالث» ٢٦-٣٨ وهاك النص:

(١) السنة الثامنة في عهد جلالة «حور»: الثور القوي، والأسد الشديد البأس، الجبار الساعد، وذو الذراع القوي، وآخذ الآسيويين أسرى؛ ومحبوب الإلهتين: الضخم القوة مثل والده «منتو»، مهلك الأقواس التسعة المطرودين من أراضيهم؛ «حور» الذهبي: الإلهي عندما خرج من الفرج، والابن المختار الشرعي (٢) «حوراخي» والملك، ووارث الإلهة المنعم، وصانع صورهم على الأرض، ومضاعف قربانهم، ملك الوجهين القبلي والبحري، سيد الأرضين: «وسرماعت رع مري» ابن «رع»: «رعمسيس الثالث»، الملك والسيد الشجاع، بعيد مرمى الساعد، وسالب النفس (٣) الممالك بحارة جسمه، عظيم الشهرة، الهاجم عندما يرى الواقعة مثل «سخت» وهي تهاجم ساعة الغضب، الماهر، الشجاع في الفروسية، والأسر وهو على قدميه، والسريع كالشهب المنقضة التي في السماء، ملك الوجه القبلي والوجه البحري: «وسرماعت رع مري آمون»؛ (٤) ابن «رع» رب التيجان: «رعمسيس» الهاجم في معمة القتال كالإنسان المبتهج. وإنه ينظر إلى الملايين منهم كأهم مجرد قطرة، والفرع منه عظيم، وإنه كلهيب ممتد حتى أقاصي الأرض، وجاعل الآسيويين يولون الأدبار - من حربه - في ساحة القتال. أما الثوار الذين لا يعرفون مصر أبداً فإنهم يسمعون بقوته، (٥) ويأتون مادحين، وأعضاؤهم ترتعد بمجرد ذكره، ومسلمين بقلوبهم خوفاً منه، وإنهم يتحدثون عن ظهوره، ويقولون لقومهم: إن شكله وجسمه هما شكل «بعل» وجسمه تماماً، وإنه شجاع في الحشد لا مثيل له، وإنه يقتل (٦) الملايين بمفرده، وكل البلاد في نظره حقيرة لا أهمية لها. ويُقال «إنه يظهر تماماً كالشمس». والسياح والرسل الذين يُشاهدونه في مصر ينحنون وينثنون أمامه. وإنهم يقولون يومياً: إن «منتو» في صورته الحقيقية هو الذي في مصر! (٧)، وإنكم لن ترفعوا

رءوسكم لأن ساعده قوي! دعنا نذهب، دعنا ننظم له مديناً سوياً، دعنا نلتمس منه صلحاً، راجين نفساً لأنفسنا لأنه في قبضة يده، ملك الوجه القبلي والوجه البحري: (وسرماعت رع محبوب آمون) ابن «رع»: «رعمسيس الثالث». وإنه جميل عندما يظهر ملكاً مثل ابن «إزيس»، (٨) المنتقم، أسن أولاد «آتوم»، والسيد الوحيد عندما يكون مزداناً بالألوان، مرتدياً التاج الأبيض، ولايساً التاج المزدوج، جميل الطلعة عندما يتحلى بالريشتين مثل «تاتن»، وإن حبه وجماله مثل جلالة «رع» عندما يشرق في الفجر، وجميل عندما يجلس على العرش مثل «آتوم» بعد أن تسلم شارة ملك «حور» و«ست»، والإلهتان: إلهة الجنوب، وإلهة الشمال، (٩) يختلان مكانتهما على رأسه في حين أن يديه تقبضان على الصولجان المعقوف والسوط أيضاً، وإنه محارب شاعر بقوته مثل ابن «نوت» وهيبته في قلوب الأقواس التسعة، والمؤن والذخائر غزيرة في عهده كما كانت في عهد والده صاحب الوجه الجميل، «الفيضان العظيم»، وإنه الواحد المحبوب بوصفه ملكاً مثل «شو» بن «رع»، (١٠) وعندما يطلع على الناس يكون الفرح به كالفرح بالشمس، وإنه قوي مقدم في تنظيم الأراضي، ومصر، ولبه فطن مثل لب «تحوت»؛ وإنه يتكلم ويعمل فتوجد الأمور (ومثله في ذلك مثل) «بتاح» القاطن جنوبي جداره، وقوانينه حاضره ممتازة، وهو منقطع النظر، وهو مثل «رع» في ملكه عندما بدأ العالم، ملك الوجه القبلي والوجه البحري: (وسرماعت رع محبوب «آمون») ابن «رع»: «رعمسيس الثالث» الغني بآثاره، والغزير المخلفات، والعظيم الأعاجيب، وجاعل المعابد في عيد بالطعام والذخيرة (١١) وابن «رع» حقاً الذي خرج من ظهره، ومن أنجبه أسن الآلهة والدهم، ومن عهد إليه وهو صبي ملك الأرضين، والحاكم على كل ما تحيط به الشمس، والدرع العظيم (١٢) حامي مصر في زمنه، وبذلك يجلس الناس تحت ظل ذراعيه الجبارتين، ومن جعل الأراضي تقول: «إن شهرتك - قوية - وُضعت فوق بلادنا». ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين: (وسرماعت رع) «رع» مري «آمون») ابن «رع» رب التيجان: «رعمسيس الثالث».

والملك نفسه يقول: اصغوا إليَّ (١٣) يا أهل الأرض مجتمعين معاً، يا رجال

الحاشية، وأبناء الملك، وحُجَّاب القصر، وكل سكان مصر، وطوائف الجنود، وكل شاب في هذه الأرض! وجهوا التفاتكم إلى أقوالي لتعرفوا طريقة إمدادي لكم (١٤) ولتعرفوا قوة والدي الجليل «آمون كمفيس» خالق جمالي. إن سيفه العظيم البتار هو سيفي بوصفه مددًا ليجعل كل أرض طريقحة تحت إخص قدمي. وإنه كتب لي النصر، ويده معي. كل فرد يتعدى على حدودي يُذبح في قبضي، وإنه يختار ويجد (١٥) من يختاره من بين مئات الألوف. وعلى ذلك فأني ممكن على عرشه في سلام. ولقد كانت مصر ضالة لا راعي لها في حين أنهم كانوا يحملون أحزانًا بسبب الأقواس التسعة، غير أنني أحطتها وثبتها بساعدي الشجاع. ولقد ظهرت مثل «رع» ملكًا في مصر وحميتها (١٦) وأقصيت عنها الأقواس التسعة.

أما أهل الممالك الأجنبية فقد تآمروا في جزرهم. وقد أزيلت الأراضي وشُتت في ساحة الوغى في وقت واحد، ولم تكن هناك أرض يمكن أن تقف أمام أسلحتهم من بلاد «خاتي» و«قودي» و«كركميش» و«برث» (١٧) (إزراوا «كليكيّا») و«يرس» (الآشيا = قبرص) ولكنهم سُحقوا في وقت واحد. وقد نصبوا معسكرات في مكان في «آمور» فأتلفوا أهلها، وأصبحت أرضها كأن لم تغنْ بالأمس. وقد كانوا آتين قُدَمًا نحو مصر عندما كان اللهيب مجهزًا أمامهم.

وقد كان حلفهم مؤلفًا (١٨) من (أقوام) «بلست» (فلسطين) و«نكر» و«شكلس» و«دين» و«وشش»، وقد استولوا على الأراضي حتى دائرة الأرض وقلوبهم آمنة واثقة قائلين: إن خططنا ستنجح.

وكان قلب هذا الإله رب الآلهة على (١٩) استعداد ليحبيلهم كالطيور، وقد جعل قوتي ثابتة كما جعل خططي تفلح... يخرج متدفقًا كمعجزة. وقد نظمت حدودي في «زاهي»، وجهزت أمامهم الأمراء وقواد الحاميات، وجنود (٢٠) «مريانو» (وهم طائفة الجنود الممتازين في آسيا)، وأمرت بتحصين مصب النيل ليكون بمثابة جدار قوي بالسفن الحربية والسفن المسطحة وسفن السواحل المسلحة؛ لأنها كانت مجهزة تمامًا من مقدمتها

حتى مؤخرتها بمحاربين مسلحين. أما رجال الرديف (٢١) فكانوا يتألفون من خيرة رجال مصر، وكانوا كالأسود الزائرة على قلل الجبال، وكذلك كان الفرسان يتألفون من عدائين من الرجال المنتخبين من كل فارس طيب كفاء، وكانت جيادهم ترتعد فرائصها، مستعدة لسحق (٢٢) الممالك تحت سناكبها. وقد كنت «منتو» المقدام واقفاً ثابتاً على رأسهم حتى يروا ما تأسره يداي، ملك الوجه القبلي والوجه البحري: (وسرماعت رع مري آمون) ابن «رع»: «رعمسيس الثالث». وإني رجل أعمل بدون قيد، شاعر بقوته، وبطل مخلص جيشه (٢٣) في يوم الوغى. وهؤلاء الذين وصلوا إلى حدودي قد أفنيت بذرتهم، وقلبهم وروحهم قد أفنيا إلى أبد الآبدين. والذين أتوا قدماً على البحر كان اللهب الشامل أمامهم عند مصبات النيل، في حين أن سياجاً من الحراب قد أحاط بهم (٢٤) على الشاطئ مقتلين ومكدسين أكواماً من أولهم إلى آخرهم، وسفنههم وسلعهم قد سقطت في الماء.

ولقد جعلت الممالك ترتد عند ذكر مصر؛ لأنهم ينطقون باسمي في أرضهم فإنهم عندئذ يحرقون (٢٥) ومنذ أن جلست على عرش «حوراختي» و(الصل) ثبت على رأسي مثل «رع»، لم أدع الممالك تشاهد حدود مصر حتى تتفاخر هناك بذلك للأقواس التسعة. ولقد استوليت على أرضهم، وحدودهم أضيفت إلى حدودي. ورؤساؤهم (٢٦) وأهل قبائلهم أصبحوا ملكي، وهم يمجدونني لأني أسير على هداية خطط «رب الكل» والذي الإلهي الجليل، سيد الآلهة.

ابتهجي يا مصر حتى عنان السماء؛ لأني حاكم الأرضين على عرش «آتوم»، وقد أوجدتني الآلهة لأكون ملكاً (٢٧) في مصر لأقويها، ولأصد عنها (أهل) السهول والممالك الجبلية، وقد خصوني بالملك عندما كنت لا أزال فتياً، وفاض زمي بالأرزاق والمؤن. وقد وهبت ساعداً قوياً بسبب أنعمي للآلهة والإلهات بقلب رضي، وإني أبداً آلامكم (٢٨) التي في صدوركم، وأجعلكم تجلسون آمنين بلا انقطاع. وإني أهزم الآسيويين ... أراضيهم، وإنهم لمرضى؛ لأنهم يتذكرون اسمي يومياً. ملك الوجه القبلي

والوجه البحري: «وسرماعت رع مري آمون» ابن «رع»: «رعمسيس الثالث». لقد (٢٩) سترت مصر وحيثها بساعدي الشجاع منذ أن بدأت أحكم بوصفي ملك الوجه القبلي والوجه البحري على عرش «آتوم» ... بمثابة غيمة يدي، مثل التي غنمته رهيبي من الأقواس التسعة. ولم تقف أرض ثابتة عند سماع اسمي، ولكنهم (٣٠) يتكون مساكنهم مبتعدين عن أماكنهم مشتتين ... أمامهم. وإني ثور هاجم معتمد على قرنيه، ويدي تصبح ماثلة لقلبي (٣١) على حسب قوتي. وإن قلبي يقول لي: «اعمل» ... وظيفتي مثل «رع» ومثل الإله «ست»، ثائرًا في مقدمة سفينة الشمس، وإني آتيكم بالابتهاج في حين يكون البكاء (٣٢) في البلاد الأجنبية، والرعب في كل أرض ... الذي عملته. وقلبي يثق في إلهي (رب الآلهة)، «آمون رع» الشجاع، رب السيف؛ لأني علمت أن قوته أعظم (٣٣) من قوة الآلهة الآخرين، والعمر المقدر من السنين هو الذي في يده ... شجاع. ولا تمر لحظة واحدة في حضرتك لا يكون فيها خراب بفضل الخطط والنصائح (٣٤) التي في قلبي لخلق مصر من جديد، وهي التي كانت قد دُمرت. أما عن الممالك (الأجنبية) التدمير لمدنهم. خربت في وقت واحد، وأشجارهم وكل قومهم قد أصبحوا هشيماً (٣٥)، وإنهم يستشيرون قلوبهم: إلى أين سنذهب؟ ورؤسائهم يأتون وجزيئهم وأطفالهم على ظهورهم إلى مصر.

وإني قوي شجاع، وخططي ناجحة، ولن يخيب ما فعلته، وأخلاقي ممتازة لأني (٣٦) تعلقت بهذا الإله، والد الآلهة ... (والدي) وإني منتبه لخرابه، وتزداد رغبتني في مضاعفة قربانه من الطعام بالإضافة (٣٧) لما كان له من قبل، وقلبي يحمل الصدق يوميًا، وما أمقته هو الغش الذي تعلمه الآلهة الراضون به، وأيديهم درع لصدري (٣٨) ليزيلوا الشرور والآلام التي في جسمي. ملك الوجه القبلي والوجه البحري، حاكم الأقواس التسعة، سيد الأرضين: «وسرماعت مري آمون» ابن «رع» من صلبه، محبوبه، رب التيجان: «رعمسيس الثالث» معطي الحياة والثبات والرضا مثل «رع» أبد الأبد.

هذا هو المتن الذي تركه لنا «رعمسيس» عن هذه الحروب، أما المناظر التي

صُوِّرت على جدران المعبد لتمثل سير هذه الحرب فتنحصر في عدة مشاهد طريفة تساعد على فهم المتن. (٢٧)

ومما تجدر ملاحظته هنا أن المتن المفسرة لهذه المشاهد تكاد تكون منقولة برمتها إلا أشياء ضئيلة من المتن الكبير الذي ذكرناه الآن، ولذلك لم نجد هنا داعيًا لإعادة ترجمتها ثانية. وهاك وصفًا مختصرًا لهذه المشاهد على حسب ترتيبها على جدران المعبد.

(ب) اللوحة «٢٩»

«رعمسيس الثالث» يوزع المهمات لجنوده لمحاربة أقوام البحر - ويُشاهد «رعمسيس» واقفًا على منصة، يشرف على توزيع العدة لجيشه، وفوق هذا المنظر يُرى نافخ بوق ينفخ في نفيره، في حين نرى حاملي الأعلام الموظفين يحيون الفرعون، وأسفل هذا يُشاهد أمير يصدر أوامر يدونها كاتب. وهناك كتبة آخرون يسجلون وحدات الجيش، ويرصدون المهمات التي صُرفت. ويُشاهد الإنسان من بين هذه قبعات وحرابًا، وأقواسًا، وسيوفًا، ودروعًا، وزرذًا، وكنانات ودرعًا واحدًا بين الأسلحة، وعدد الحرب التي وُزعت، والأمير الذي مُثل هنا هو ولي العهد.

(ج) اللوحة «٣١»

«رعمسيس الثالث» في طريقه إلى بلاد «زاهي» لمحاربة أقوام البحر في عربته. هذه الصورة مثلت على الجدار الخارجي الشمالي للمعبد، ويُرى فيها «رعمسيس الثالث» في عربته ذاهبًا لمقابلة أقوام البحر، ويصاحبه جنود من المصريين والأجانب، وأمام الملك عربة تحمل علم «آمون». ويُشاهد الجنود الأجانب يمشون في وحدات منفصلة على حسب جنسياتهم.

(د) اللوحات «٣٢ - ٣٤»

«رعمسيس الثالث» في موقعة برية مع جيوش أقوام البحر البرية، ويُشاهد في المنظر «رعمسيس الثالث» في عربته يهجم في قلب قوات «أقوام البحر» الذين ساد

بينهم الارتباك وسوء النظام. وقد كان يساعده مشاة مصريون وفرسان، وجنود أجنب مرتزقة. ويُشاهد أقوام البحر يرخون لسيقاتهم العنان، كما يفرون في عرباتهم. وكان نساؤهم وأولادهم يفرون بأمعتهم المحملة على عربات ثقيلة تجرها الثيران.

(هـ) اللوحة «٣٥»

«رعمسيس» يصطاد أسوداً^(٢٨)

في هذا المنظر «رعمسيس الثالث» في عربته يصطاد أسوداً، وعلى قاعدة المنظر فرق من الجنود تسير، ويحتمل أنهم كانوا ينتقلون من الواقعة البرية على اليمين^(٢٩) إلى الواقعة البحرية على اليسار.^(٣٠) وهذا المنظر غاية في الاختصار. والظاهر أن «رعمسيس الثالث» أراد أن يروح عن نفسه بين الموقعين فقام بصيد الأسود، كما فعل سلفاه العظيمان: «تحتس الثالث» (راجع الجزء الرابع) و«أمنحتب الثالث» (راجع مصر القديمة الجزء الرابع).

(و) اللوحات «٣٧-٣٩»

«رعمسيس الثالث» وأسطوله في ساحة القتال مع أسطول «أقوام البحار».^(٣١)

في هذه المناظر خمس سفن لأقوام البحر تطاردها بشدة أربع سفن مصرية، وقد صُوِّر انحلال أسطول أهل الشمال بصورة بارزة. ويُرى على الشواطئ «رعمسيس الثالث» ورماته يرسلون وأبلاً من السهام على العدو المهزوم، وتحت الموقعة صفان من الأسرى يُقادون لينضموا للاستعراض العام.^(٣٢)

(ز) لوحة «٤٢»

«رعمسيس الثالث» يحتفل بانتصاره على أقوام البحر^(٣٣)

يُشاهد «رعمسيس الثالث» في مكان مشرف أمام حصن، يقدم له موظفوه أسرى أقوام البحار، والكتاب يسجلون إحصاء كومتين من الأيدي المقطوعة. وعلى اليمين في

أسفل المنظر يُساق الأسرى إلى موظفين يَسْمُوهُمْ بالنار على الكتف، وبعد ذلك تُقيد أسماؤهم طوائف.

(ح) لوحة «٤٣»

«رعمسيس الثالث» يقدم أسرى من اللوبيين وأقوام البحر لثالوث «طيبة»

يقود «رعمسيس الثالث» صفين من أسرى أقوام البحار واللوبيين لثالوث «طيبة» الذي وضع في محراب. (٣٤)

(ط) لوحة «٤٤»

«رعمسيس الثالث» يقدم أسرى أقوام البحر للإلهين «آمون» و«موت»

«رعمسيس الثالث» يقود ثلاثة صفوف أسرى من أقوام البحر «لآمون» و«موت»، ويُشاهد الإله يمد سيفاً نحو الملك.

(ي) نظرة عامة في محتويات هذه المصادر وسير الموقعة

وعلى الرغم مما يحتويه هذا المقت الطويل من حشو في إطراء أعمال الفنان، فإنه - بالإضافة إلى المناظر التي خلفها لنا «رعمسيس الثالث» لتفسير سير القتال وما جرى فيه من أحداث - يُعد من أوضح الوثائق التي وصلت إلينا إلى الآن عن سير الحروب في مصر القديمة.

ففي السنة الثامنة من حكم هذا الفرعون نشاهد الفرعون يقوم بالإشراف على توزيع المهمات لجنوده استعداداً للواقعة التي كان يُنتظر أن تدور رحاها بينه وبين أقوام البحر الذين تحدثنا عنهم فيما سبق برّاً وبحراً. والمهم هنا أن نجد الفرعون نفسه - بوصفه القائد الأعلى - يقوم على هذه العملية، يعاونه فيها ولي عهده. وقد وُزعت على الجنود خوذات الحرب، والحراب والأقواس، والسيوف، والدروع، والزرر، والكنانات، ومن ثم

عرفنا الآلات التي كانت تُستعمل عند المصريين في شن الحروب وقتئذ. ويُلاحظ أن الفرعون كان يشرف على تسجيل وحدات الجيش على مختلف أنواعهم وجنسياتهم، وبعد أن تم إعداد الجيش وتنظيمه نرى الفرعون في عربته في طريقه لمقابلة جيش «أقوام البحر» في بلاد «زاهي» التي كانوا قد احتلوها بعد أن استولوا على بلاد «خيتا» و«قودي» و«قرقميش» و«قبرص» و«كلبكيا»، وقد كان آخر مطافهم أن وضعوا رحالهم في بلاد «آمور». وقد سار «رعمسيس الثالث» في المقدمة ولم يسبقه إلا عربة نُصب فيها علم الإله «آمون» الذي كان يرجو منه النصر على هؤلاء الأعداء الأقوياء الذين كانوا يجتاحون كل ما في طريقهم. وقد سارت فرق الجيش الذي كان يتألف من مصريين وأجانب وفق المكان الخاص بها، وما أن وصل «رعمسيس الثالث» إلى مكان الأعداء من أقوام «البلست» (الفلسطينيين) و«السكر» و«الشكلش» و«الدين» و«قوم وشش» حتى كان على أهبة الاستعداد، إذ كان الفرعون سبقهم في تحصين حدود البلاد وبخاصة «زاهي» فقد أمد قوات الحاميات بالعتاد وجنود «مريانا» الذين امتازوا بشجاعتهم وقوة بطشهم في «آسيا»، هذا فضلاً عن أنه كان قد أعد تحصين مَصَابِ النبل بالسفن الحربية وسفن السواحل وغيرهما من أنواع السفن التي كانت تحمل الزاد والعتاد حتى أصبحت كأنها جدار قوي لا يقوى أحد على اختراقه والاقتراب منه. وقد شدَّ من أزر هذه التحصينات جيش قوي من الرديف من خيرة أبناء مصر الذين كانوا كالأسود الكواسر، يزارون ويبتترون الاندفاع إلى حومة الوغى، كما ينتظر الأسد فريسته على قُلل الجبال، وبجانب هؤلاء جيش من الفرسان المهرة انتخبهم الفرعون من خيرة أبناء مصر وعلية القوم أصحاب الكفاية، وقد جُهِزوا بجياد تَهْتَر أعطافها فرحاً للنزول في ساحة الوغى لندك جثث الأعداء تحت سنايكها. وفوق كل ذلك أحاط «رعمسيس الثالث» الشاطئ الذي كان يُنتظر أن يغزو العدو البلاد منه بسياج غُرست في جوانبه الحراب.

ولم يكد «رعمسيس الثالث» يلتقي بعدوه في «زاهي» على ما يظهر بَرًّا، حتى انقض على قلب قوات «أقوام البحار» الذين قد ساد بينهم الارتباك، وحل في صفوفهم سوء النظام. وقد اشترك في هذه المعركة المشاة المصريون والفرسان والجنود المرتقة، وبعد

قليل أسفرت الواقعة عن هزيمة ساحقة لأقوام البحر؛ إذ نشاهدهم يولون الأدبار على أقدامهم وفي عرباتهم. أما أولادهم ونساؤهم فكانوا يهربون بأمعتهم التي حُمِلت على عربات ثقيلة تجرها الثيران.



شكل ٣: عربات الفلسطينيين وحلفائهم.



شكل ٤: الموقعة البحرية بين «رعمسيس الثالث» وأقوام البحر.

والظاهر أن «رعمسيس الثالث» بعد أن أحرز هذا النصر المبين على «أقوام البحر» في هذه الواقعة البرية التي لا نعرف مكان وقوعها بالضبط أراد أن يسري عن نفسه بالصيد والقنص تشبهاً بما كان يفعله الفرعنة العظام في عهد الأسرة الثامنة عشرة من أمثال «تحتمس الثالث»، و«أمنحتب الثاني»، ولذلك نراه يصوب سهامه على الأسود التي كانت تقع صرعى أمامه، ولا يبعد أن يكون ذلك في طريقه إلى مصر للدفاع عن مصب النيل الذي كان يُتوقع أن يدخل منه العدو بسفنه إلى أرض الكنانة.

(ك) الموقعة البحرية

كان «رعمسيس الثالث» كما أسلفنا قد اتخذ العدة لحماية مصب النيل من هؤلاء المغيرين الذين أرادوا أن يغزوا مصر براً وبحراً، وقد شاهدنا أنهم أخفقوا كل الإخفاق في الوصول إلى حدود مصر؛ ولذلك يقول «رعمسيس»: هؤلاء الذين وصلوا إلى حدودي قد فنيت بذرتهم، وقُضي على قلبهم وروحهم إلى أبد الآبدين. أما الذين أتوا قدماً بجراً إلى الشاطئ فإن اللهيب الملهب كان ينتظرهم عند مصبات النيل، في حين أن سباجاً من الحراب قد أحاط بهم على الشاطئ، وانتهى بهم الأمر إلى أن جُروا إلى الشاطئ محاصرين ومطروحين أرضاً على الجسور قتلى مكدمين أكواماً عن بكرة أبيهم، وأمتعته سقطت في الماء. وحقاً فإننا نشاهد أسطول العدو المؤلف من خمس سفن تطاردها أربع سفن من الأسطول المصري بكل قوة وعنف حتى انحل الأسطول المعادي انحلالاً تاماً. وقد كان «رعمسيس الثالث» خلال نشوب المعركة يقف على الشاطئ ومعه رماته يرسلون وإبلاً من السهام على العدو المهزوم. وقد انتهت المعركة بالنصر المبين للمصريين، وهي أول موقعة حربية بحرية^(٣٥) مصورة عُرفت في التاريخ العالمي. وقد ظهرت فيها كل الحركات الحربية التي جرت خلال المعركة بشكل رائع. وبعد الواقعة شاهد صفين من الأسرى سيقوا لاستعراضهم أمام الفرعون الذين قدمهم بدوره إلى «ثالوث طيبة» الذين كتبوا له الفوز، وأمدوه بنصر من عندهم. وقد ترك معظم الفارين البلاد، ولم يتخلف عنهم إلا الفلسطينيون الذين استوطنوا الإقليم الساحلي الذي يمتد بين «غزة» و«جبل الكرمل». وهؤلاء هم الذين سُمِّيَ باسمهم الإقليم الذي سكنوه، وقد بقي كذلك حتى أيامنا. أما قوم «الثكر» - وهم قوم بحارة - فقد كانوا يجتفون القرصنة في البحر الأبيض المتوسط.

(٢-٤) الحرب اللوبية الثانية

قامت الحرب الثانية التي نشبت بين مصر وسكان «لوبيا» في السنة الحادية عشرة من حكم «رعمسيس الثالث». والمصادر التي وصلت إلينا عن هذه الحرب خمسة وهي:

(١) المِتن الكبير المؤرَّخ بالسنة الحادية عشرة، وهو منقوش على الجدار الشرقي داخل الردهة الثانية لمعبد مدينة «هابو» الكبير.^(٣٦)

(٢) يوجد في منظر الواقعة المصورة على الجدار الشرقي جنوبي البوابة الكبيرة من الردهة الأولى نقشان، وهما بداية النقش الكبير الثالث، ونقش آخر^(٣٧) لا يحتوي إلا على جمل اصطلاحية في تمجيد الفرعون وذكر نعوته، وبعض إشارات بسيطة عامة عن الحرب.

(٣) القصيدة التي أنشئت احتفالاً بحروب السنة الحادية عشرة.

(٤) المناظر التي تركها لنا «رعمسيس» على جدران المعبد.^(٣٨)

(٥) ما جاء في «ورقة هاريس» وقد ذكرناه من قبل.

وسنحاول هنا أن نضع ترجمة للمتن الكبير على الرغم مما أصابه من تهشيم وتكسير. هذا فضلاً عما به من صعوبات لغوية لم يمكن التغلب عليها حتى الآن. ومع ذلك يمكن الإنسان أن يتتبع منه سير الحوادث كما قُصت من الوجهة المصرية.

وتسهيلاً لمتابعة المتن نضع التحليل التالي:

(١) التاريخ والعنوان والمديح العام للملك (من سطر ١-١٤).

(٢) الحرب اللوبية الثانية (من سطر ١٤-٣٥).

وتشمل:

(أ) هجرة قوم «المشوش» لاستيطان مصر (من سطر ١٤-١٥).

(ب) إحباط خطط «المشوش» واستعداد «رعمسيس الثالث» للوقوف أمامهم

عند زحفهم على مصر (من سطر ١٥-١٨).

(ج) سير «رعمسيس» لحماية حدوده (من سطر ١٨-١٩).

(د) الواقعة (من سطر ١٩-٢٣).

(هـ) هزيمة «المشوش» (من سطر ٢٣-٢٥).

(و) فرار «المشوش» واختفاء أثرهم (من سطر ٢٦-٣٥).

(٣) «المشوش» يندبون حظهم (من سطر ٣٥-٤٨).

(٤) تسليم «المشوش» (من سطر ٤٨-٥٦).

(٥) فخار «رعمسيس» بأعماله (من سطر ٥٦-٦١).

(٦) خاتمة ومديح «رعمسيس» (من سطر ٦١-٦٢).

وهاك نص المتن: (١) السنة الحادية عشرة، الشهر الرابع من الفصل الثالث، اليوم ١٠ + س من عهد ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين: (وسرماعت رع) ابن «رع» رب التيجان. «رعمسيس الثالث»: فاتحة نصر مصر (٢) الذي سجله الملك العظيم، الذي يتقبل عرش الابتهاج، ويدبر ملك «رع»، ويوسع ملك مصر، ويصد «الأقواس التسعة». إن الفزع قد حل في كل أرض على يد السيد (٣) الأوحد، الذي خلق السموات والأرض منذ كانت الدنيا «آمون رع» ملك الآلهة، والثور الجبار حاد القرنين، والآن قد خلق قلب هذا الإله الأرض مرة أخرى ليضع بصورة فاصلة (٤) حدود مصر، بفضل الانتصارات العظيمة، وقد انتخب (الإله) سيدًا واحدًا قد خلقه، وهو البذرة (٥) التي خرجت من صلبه، شاب إلهي، وصبي (٦) وحيه، عظيم البطش، قوي الساعد، صاحب الخطة النافذة، رب النصائح، ثابت الجنان، (٧) ماضي الخطط، ومن يعرف الحياة مثل «تخوت»، فطن مثل «شو» بن «رع» (وسرماعت رع مري آمون) (٨) وهو البيضة التي قد خرجت من «رع»: «رعمسيس الثالث» السيد الفتي الشجاع، ومن قد وعد (٩) بالنصر وهو في الفرج، والقوة العظيمة السامية مثل «منتو»، وقد كلف

بتحطيم (١٠) الأراضي وهزيمة أهلها، وصدهم عن مصر. والإلهان «منتو» و«ست» معه في (١١) كل واقعة، و«أنات» و«عشتارت» درع له، في حين أن «آمون» يميز (١٢) كلامه (أي يوجه قراراته). وإنه لا يولي الأدبار عندما يحمل بقوة مصر على الآسيويين، ولم تبقى أرض يرفع (١٣) أهلها رؤوسهم مناهضين مصر؛ لأن الإله قد جعلهم يُسحبون بعيداً ليقضى عليهم، وإن السيد الأوحده هو الأسد القوي الشجاع؛ لأن مخليه على استعداد كأنه أجبولة، وأنهم يمشون بعيداً ويأتون وأجسامهم ترتعد ليضعوا (١٤) أنفسهم تحت ذراعيه كالفران، ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين (وسرماعت رع مري آمون) ابن «رع» رب التيجان: «رعسيس الثالث».^(٣٩)

وقد كان رئيس «المشوش» السابق آتياً من قبل أن يُرى - أي من قبل أن يعرف المصريون مجيئه - مهاجراً ومعه أهله، وانقضوا على «التحنو»^(٤٠) الذين أصبحوا رماداً، فقد خربت وأفقرت مدنتهم، ولم يعد لبذرهم (١٥) وجود.

وإن وصية هذا الإله الطيب أن يُذبح كل غازٍ لمصر دائماً ويقول: «الويل له؛ لأنه يسير قدماً نحو النار». وقد قالوا بصوت واحد: «سنستوطن مصر»! واستمروا في اختراق حدود الكنانة، وهناك حاصرهم الموت (١٦) وهم في طريقهم، وقد حاق بخططهم السيئة الفشل في أجسامهم، وصُدت تهديداتهم بفضل ... الإله واتجهوا نحو السموات والشمس رافعين أكفهم أمامهما، وقد ضيعوا زمناً طويلاً (١٧) خلفهم ولم يبقَ أمامهم إلا لحظة. وبعد ذلك دخلوا في العهد السيئ؛ لأنهم وجدوا جلالته كأنه الصقر المقدس الذي يستولي عليه الغضب عندما يرى الطيور الصغيرة ... راحة ... في وجهه. وكان الحامي له «آمون رع»، وقد كانت يده معه لتحول عنه وجوههم، وليهلكهم (١٨) ملك الوجه القبلي والوجه البحري (وسرماعت رع مري آمون) ابن «رع»: «رعسيس الثالث».

وقد سار جلالته بشجاعة، وساعده قوي، وقلبه معتمد على والده سيد الآلهة، وقد كان كالنور الجبار ... مزوداً بقطعان من الماشية البحرية، ومشاته (١٩) وفرسانه ملكت النصر، والرجال الأقوياء الذين دربهم على القتال حاربوا بشجاعة في حين كان

هو جدارًا صلبًا، وثابتًا في زمنهم ... شاذًا القوس، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين: (وسرماعت رع مري آمون).

وقد كان جلالته مختبئًا ومختفيًا ... (٢٠) ليأخذ أسرى، وكان صوته يزأر ويرعد «كبو لهول» الجنح (يعين الإله «ست») ... على أعدائه، ولم يُصد ... وسهمه يصيب المرمى ... وأنفه ومخبله ... (٢١) وكل ... أمامه على أعدائه، وقد كان خطرًا وقويًا كالفهد، جاريًا وواسع الخطا، ومندفقًا إلى ... خيل، وحراب، وسهام. وقد (٢٢) دُبحوا في أماكنهم، وقلوبهم قد أُنِي عليه، وأرواحهم هُزمت على الأرض، وأُسكت أفواههم عن الفخار عند ذكر مصر لأنهم قد صاروا إلى ... وروحهم ... (٢٣) وأسلحته كانت عليهم كالشبكة، ويده على رأسهم. وهو يقطع إربًا إربًا، وهو يحيط خياشيمهم وأجسامهم. وقد انضم «مششر» بن «كبر» ورئيسهم إلى ... وانتشروا على الأرض ... يد ... (٢٤) وارتقى تحت أقدام جلالته، وأولاده وأهل قبيلته وحيشه قد أصبحوا لا شيء، وعيناه لم تريا وجه الشمس، وجنوده المحاربون قد أُسروا ... ونساؤهم وأطفالهم ... (٢٥) وكُيلت أيديهم ووضعت الأغلال في أعناقهم بوصفهم أسرى، وأثقلت ظهورهم بأولادهم وسلعهم، وأُحضرت إلى مصر ماشيتهم وخيلهم، واغتصبت ... ولم يُر ذلك منذ زمن الإله، وقد أُحضروا ...

(٢٦) وقد أخذوا درسًا لمدة ألف ألف جيل، وقد سجدوا على وجوههم، واغتصبت أرضهم (؟)

وقد انقطعت افتخاراتهم ولم يفلحوا. وقد وضعهم «آمون رع» أمام (البطل) الثور القوي المعتمد على قرنيه، (٢٧) والقادر على الخوار، ومهاجم منزله بقرنيه، رب الأرضين «وسرماعت رع مري آمون بن رع»: «رعسيس الثالث» الطارد بقوته، والذابح بسيفه، والغاصب ... وإنسان عينهم قد أصابه الحول فصار غير قادر على النظر. (٢٨) والطرق قد سُدَّت في وجوههم، والأرض كانت كاللدوامة

خلفهم تبتلع أهليهم. وأسلحتهم سقطت من أيديهم، وذهب عن قلوبهم الثبات ... ضالين ومرتعدين، يتصبب منهم العرق، والصل ... (٢٩) الذي كان رأس شمس مصر عليهم وحرارة «سحمت» (إلهة الحرب) العظيمة قد اختلطت بقلوبهم، حتى إن عظامهم أصبحت محترقة في وسط أجسامهم، والشهاب المنقض كان مريعاً في اقتفاء أثرهم، وكانت البلاد في سرور مبتهجة برؤية أعماله الظافرة، رب الأرضين: «وسرماعت رع مري آمون» ابن «رع»: «رعسيس الثالث». (٣٠) وكل الباقيين على قيد الحياة من يده قد فروا إلى بلادهم، ومستنقعات الدلتا خلفه ... كانت شعلة عظيمة ترمي باللهيب من السماء باحثة عن أرواحهم لتقضي على بذرقهم التي كانت لا تزال في أرضهم. وتعاويز «تخوت» السحرية قد حولت وجوههم وسقطوا من أولهم إلى آخرهم في أماكنهم، (٣١) ومزقت يده صدر المعتدي على حدوده وسدّت حناجرهم وخياشيمهم، وخرت ... لا ينفك - عندما يكون غاضباً - سنه ولا مخلبه عن رأس «المشوش»: ملك الوجه القلي والوجه البحري رب الأرضين: «وسرماعت رع مري آمون» ابن «رع» رب التيجان: «رعسيس الثالث». (٣٢) والويل «للمشوش» وأرض «تمحو»؛ لأن غائل رأسهم هو ملك مصر وملك كل أرض، وقد انخنا له كما انخنا «لست» بوجوه منكسة وقد أصبحوا عرجاً. وقد أصبح «المشوش» و«التمحو» في حزن ويأس. وقد نهضوا وفروا إلى أقاصي الأرض (٣٣) وأعينهم كانت على الطرق ناظرة وراءها جادين في الهرب، وفارين في دعر شامل متقهقرين، والسكين على مرأى منهم ... والآلهة ... في وسط مصر، (٣٤) وحرارتهم قد انتزعت واسمهم قد دُمر على الأرض، وأقدامهم أصبحت خفيفة على الأديم، وقد ذهب الثبات عنهم، وسيد مصر العظيم ... كان عليهم، قوياً، تأمل! ... كل لحظة (٣٥) ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب التيجان: «وسرماعت رع مري آمون» ابن «رع»: «رعسيس الثالث».

ويقول من رأوه لأهل قبيلتهم: إن الذي يقفوا أثراً هو «منتو» في صورة إنسان منقض علينا ... لدرجة الإعياء (٣٦) وإنه يتبعنا مثل «ست» عندما يرى

العدو، وإنه ينظر إلى مئات الآلاف كأهم أرجال، تأمل! إن الحالة تسوء معنا حتى عنان السماء كالماشية البرية التي تمر بباب أسد ... يقرض (٣٧) ... لهم، وإنا كالبن الذي يُدرى وخلفه الريح، فأسلحتنا أصبحت لا شيء، شُتت بين أيدينا، وروحهم تعس، وقلوبهم قد فني ... عظيم ... بين الأقواس (٣٨)، لقد احتبلنا وقد جُرُّونا كأننا في شرك، وقد جعلتنا الآلهة ننعم بنجاح عظيم، وما ذلك إلا لتقربنا لنهزم على يد مصر. دعنا نعقد هدنة مع ... ليخربونا، وإن مصر (٣٩) لظافرة منذ زمن الآلهة والأبدية، وإن قوتها هي التي تجري في أجسامنا، وسيدها هو الذي في السماء؛ لأن طبيعته مثله. ^(٤١) ونحن نرى ... رب التيجان: «رعمسيس الثالث»، (٤٠) وهو يظهر مثل أشعة الشمس، وفخاره ورهيته مثل «منتو»، ونحن مأخوذون بنوبة رعدة ... (٤١) مسيطراً في الواقعة. وإنه يخلق وقت إعياء لهم مترئساً يميناً وشمالاً دون خطأ حتى إننا أصبحنا مثل غابة كثيفة يقذف بها الهواء، ومقتحمًا ... (٤٢) وإنه (٤٢) يقفو أثرنا، يذبنا مثل الصقر الإلهي، ونحزم حرماً مثل حصيد القمح، وإنه يرسل علينا السهم تلو السهم كالشهب المنقضة ... (٤٣) يحوطنا، وبذلك نجعل أمامه، والطريق إلى الخلاص قد انعدمت، ولكن النور في مكانه. وإن الإله قد استولى علينا فريسة كالماشية البرية التي احتبلت في وسط غيضة، وقد كان مريعاً ... (٤٤) هائجاً على مئات الألوف ... في قلبه، وقد رفعنا أكف الضراعة أمامه بأيدينا على رءوسنا، غير أنه لم يلتفت، ولم ينظر إلى مديحنا. بل إنه يطيل فقط في إعيائنا. ومن يبقى في الظلام يُجر (٤٥) إلى الخارج. ^(٤٢) ونحن ... وقد ألقى بنا أمام أنفسنا، وقد هلك قبلنا مثل ... كالأدغال. وقد سمعنا بذلك من آباء والدنا، وقد قالوا (٤٦) عن مصر: إنها هي التي تقصم ظهورنا، وقد رجونا لأنفسنا حتفها بإرادتنا، وأرجلنا تسوقنا إلى النار. وقد تسبب «اللويون» في ارتباكنا وارتباكهم أنفسهم لأننا أصغينا إلى نصائحهم، والآن قد انتزعت قلوبنا (٤٧) ونحن في طريق الجريمة مثلهم. ^(٤٣) وقد أخذنا درساً أبدياً، وإن حالتهم لتسوء عندما يرون حدود مصر؛ لأنه سيئاً بنفسه الأرض المقدسة، ^(٤٤) وإن الذي (٤٨) فيها هو «منتو» قوي الساعد والجبار،

و... في الواقعة وإنكم لن تقتربوا منه، ملك الوجه القبلي والوجه البحري (وسرماعت رع مري آمون) ابن «رع» رب التيجان: «رعمسيس الثالث». وقد أيدت أرض «مشوش» دفعة واحدة. أما «اللويون» و«السيد»^(٤٥) فقد أهلكوا حتى إن بذرتهم أصبحت لا وجود لها. (٤٩) وأمهااتهم وحظياتهم أصبحن عقيمت في وسطهم، وبذلك لم تُولد لهم أطفالهم من قبل ... في الرعب والخوف محزونين، ومسلمين بقلوبهم بفضل بطش جلالته. (٥٠) وحرارتك تحرق (?) وأجسامهم مثل نار أتون ... وفرع وهيبة (٥١) الثور، الجبار، الهاجم، ناشر الصل،^(٤٦) ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين: (وسرماعت رع مري آمون) ابن «رع» رب التيجان: «رعمسيس الثالث» ... الفرع منك، وهناك يقبض عليهم ... (٥٢) ... الضعف والخطأ، وسيعقدون اتفاقاً حاملين جزيتهم على ظهورهم ... آتين بالمديح ليجعلوه (٥٣) الإله الطيب، رب الأرضين، الذي يجعل حدود بلاده كيف شاء في السهول والممالك الجبلية. ملك الوجه القبلي والوجه البحري ... الخ.

وأما «حور» فهو الغني بالسنين، والبيضة التي خرجت من «رع» من صلبه، (٥٤) فقد أمره بأن يكون السيد الوحيد الممكن على عرشه، وأرض «زاهي»، وأرض «نخسي» (النوبة) تحت نعليه، وساعده يمد مصر، وإنه يصنعها بجواره، وإنه يسلب النفس من الممالك وبذلك لا يفلاحون، وجلالته (٥٥) مثل «بعل» على قمم الجبال، ملك عظيم الملك مثل «آتوم». وإن قلب مصر لفرح بالنصر؛ لأن «آمون رع» قد ردّ الجواب في صالحها، في حين أن ابنه يظهر (٥٦) ملكاً على عرش «آتوم»، وكل ما تحيط به الشمس قد أصبح في قبضته، ملك الوجه القبلي والوجه البحري ... الخ.

وإنه يخاطب الأمراء الملكيين، وكبار الموظفين وقواد المشاة (٥٧) والفرسان قائلاً: أعبروا التفاتكم لكلما تي وعوها لأني أتحدث إليكم، وأعرفكم بأي ابن «رع» الذي خرج من صلبه، وإني أجلس على (٥٨) عرشه بفرح منذ أن مكنتي ملكاً وسيداً على هذه الأرض، وإن نصائحى لطيبة، وخططي منفذة، وإني أحمي مصر وأدافع عنها، وأجعلها

تتوي راضية في (٥٩) زمني؛ لأني أقهر لها كل بلد تغزو حدودها، وإني كثير الفيضانات التي تحمل المون، وحكمي قد غمر بكل الأشياء الطيبة، وإني ملك منعم على من يوثق به (٦٠) ورحيم، ومأنح النفس لكل خيشوم، وقد هزمت «المشوش» وأرض «التمحو» بقوة ساعدي، وقد جعلتهم مطروحين أرضاً. انظروا (هنا) إنهم أمامكم. (٦١) ولست مبالغاً؛ لأن قوة «آمون» هي التي استولت عليهم، ليتهم يمنح ملايين الأعياد الثلاثينية ابنه رب الأرضين: (وسرماعت رع مري آمون) ابن «رع» رب النيجان: «رعمسيس الثالث» معطي الحياة أبدياً. وإن الملك (٦٢) مثل «رع» الثائر، وقلبه قوي مثل قلب والده «منتو»، وساعده قد استولى على سجناء أسرى، وأهل بلاد «المشوش» و«التمحو» قد كنفوا في حضرته، وأصبحوا هم وجزيته من نصيب بيت والده الفاخر «آمون» الذي كتفهم تحت نعليه، رب الأرضين: (وسرماعت رع مري آمون) ابن «رع»: «رعمسيس الثالث».

(١) قصيدة عن الحرب اللوبية التي وقعت في العام الحادي عشر من حكم «رعمسيس الثالث»

هذا المتن الطويل يعالج موضوع الحرب اللوبية الثانية، أو حرب المشوش، غير أنه كُتب بروح شعري مصطنع أكثر من المتن السابق. وقد أصاب المتن تهشيم مخزن بفعل الزمن. هذا إلى أن لغته صعبة، وترتيب حوادثه التاريخية غير مؤكد. ومع ذلك يوجد فيه بعض صور حية، مما يجعلنا نأسف جد الأسف على عدم وصول المتن إلينا سليماً بأكمله، وسنحاول هنا - قبل ترجمة ما بقي منه - تحليل محتويات بكل تحفظ.

(١) التاريخ والمديح العام الذي يُوجّه للفرعون (من سطر ١-٧).

(٢) العلاقات السلمية السابقة مع الممالك الأجنبية (من سطر ٧-١٠).

(٣) «رعمسيس» حامي مصر (من سطر ١٠-١٤).

(٤) الفرعون لا يُقهر في ساحة القتال (من سطر ١٤-١٨).

(٥) هزيمة سابقة للأجانب - ويُحتمل أنه يشير إلى الحرب اللوبية الأولى - (من سطر ١٨-٢٣).

(٦) الهجوم الجديد الذي قام به «المشوش» يُسحق (من سطر ٢٣-٢٦).

(٧) «كبر» يحاول عبثًا التدخل من أجل ابنه (من سطر ٢٦-٣٤).

(٨) قطعة مهشمة تَهشِمًا عظيمًا، تشمل خطابًا مشرقًا على لسان المصريين، وبعض لمحات عن حالة «المشوش» السينة (من سطر ٣٤-٥١).

ويُلاحظ أن كثيرًا مما جاء في هذه القصيدة قد وضح في المنظر الذي على الجدار الشرقي، في الصف الأسفل من الردهة الأولى بالمعبد الكبير.^(٤٧) وفي هذه اللوحة نشاهد «مششر» أسيرًا أمام الفرعون، في حين أن والده «كبر» الذي جاء يطلب الصلح ويرجو العفو عن ابنه، ويُشاهد ويده مرفوعة. وسنشاهد فيما يلي أن غزوة «المشوش» كانت في الواقع بمثابة هجرة الغرض منها استيطان مصر؛ إذ نجد في المتن الإشارة إلى أسر، وقيائل، ونساء. ويدل على ذلك قوائم الأسرى والغنائم.^(٤٨) وفوق متن القصيدة منظر يُشاهد فيه «رعمسيس الثالث» يضحى بأسرى لوبيين من نوعين أمام الإله «آمون» الذي يقدم له أقاليم مختلفة بأسرى، وأسماء الأسرى مأخوذة من قائمة جغرافية نُقِشت على نفس برج هذه البوابة.^(٤٩) وقد كُتِبَ أمام الملك: «سحق رؤساء كل إقليم». وكُتِبَ أمام «آمون»: كلمات نطق بها «آمون رع» ملك الآلهة وسيد السماء، وحاكم «طيبة»؛ لقد منحتك كل القوة، تسلم السيف يا أيها الملك الجبار! لقد منحتك السهل والحزن تحت قدميك. وهاك متن القصيدة: (١) السنة الحادية عشرة، الشهر الثاني من الفصل الثاني، اليوم الثامن، في عهد جلالة «حور» الثور القوي، عظيم الملك، محبوب الإلهتين، العظيم الأعياد الثلاثينية مثل «تاتن»، «حور» الذهبي: الكثير السنين مثل «آتوم» الملك، حامي مصر،

ومكبل الأراضي الأجنبية، (٢) ملك الوجه القبلي والوجه البحري ... الخ «آمون رع» ملك الآلهة و«موت» العظيمة سيدة «أشرو» و«خنسو» في - طيبة - «نفرحتب» ليتهم يمنحون مليوناً من الأعياد الثلاثينية (٣) ومئات الألوف من السنين لابنهم، رب التيجان «رعمسيس الثالث» ... البذرة الإلهية للشجاعة، القوي ... المحبب عن مصر، وصادٍ عدوها (٤) وحاميها، ومنجيها في الحرب ... القوي تحت ... المخترق قلوب الآسيويين، القوي ... السيد الذي يعمل ... (٥) العامة، والممكّن الأرض دفعة واحدة دون تراخ، الملك الجدير بالابتهاج، سيد الملكية مثل والده «رع» منذ أن بدأ يحكم، جميل الوجه، السيد السار في النصيحة، (٦) جميل الرأس حينما ظهر مرتدياً التاج (اتف) ملك الوجه القبلي والوجه البحري ... الخ، والحاكم الذي جعل اسمه مثل جبل من ... (٧) في أعماق الظلام.

ولم تكن هناك ثوار في الأراضي القاصية فيما سبق، ولم يُروا منذ زمن الآلهة، بل كانوا يأتون مسترحمين كلهم، وحاملين (٨) جزيئهم، ومقدمين الخضوع، ومقبلين الأرض له مثلما فعلوا للإله «ست»، وقلبيهم وأرجلهم قد غادرت البلاد، وأماكنهم نُقلت، (٩) ولم يستقرُّوا في مكان، وقد أسرع بهم كل أعضائهم من تلقاء نفسها كأنما كان خلفهم عصا ليطلبوا الصلح، ملك الوجه القبلي والوجه البحري ... الخ (١٠).

وهو الملك الذي يغمر مصر بالسرور، ويهزم الشر والغش في قلب الأرضين، وإنه لرحيم حتى إنه يُقال عنه: معطي الحياة غير متعب القلب (١١) دع النفس يزداد في فمه كل يوم، وإنه مسيطر وصاحب خطط جميلة، فطن حتى وهو طفل، ونصائحه مثل نصائح القمر (القمر هو الإله «تحت» بعد مجدد الشباب) منذ أن خلقت الأرض، وما فعله يحدث (١٢) ... ممتاز مثل الذي يخرج من فم رب الإله، ابن «آمون» من صلبه، والذي خرج من جسمه، وجلس على عرشه ... (١٣) ليهزم «الأقواس» ويسحق كل أرض، ... وهو الشجاع والظافر ... الظافر عليهم مشتين، ورهبتة في كل جزء (١٤) والذعر الذي ينبعث من محياه لكل أرض، ملك الوجه القبلي والوجه البحري،

والحاكم الشجاع، رب الأرضين «وسرماعت رع» الخ ... (١٥) المثبت كالنور أمامهم شاعراً بقوته، وإنه يصوّب نظره على سحب المختبئين (من الأسرى) وحشدهم ... (١٦) كالجدار، طاحناً عظامهم المنتشرة على الأرض تحت حافره ... (١٧) وهو ... عند رؤية حشد من المحاربين الأقوياء، عظيم مختبئ ... أعضاءه نائرة في جسمه ... (١٨) كل بلد يعتدي على حدوده، ملك الوجه القبلي والبحري الخ. الساخطون ... سائرين إلى الأمام ليزحفوا (١٩) على مصر، وقد كانوا متخبطين الثانية عشرة، ويبلغ طوله ٣,١٧ متراً، ويزن حوالي ٢٨٠٠ ومحصورين ومقبوضاً عليهم، وقد أصبحوا ... حرارة الـ ... (٢٠) وقد شُويت، وهذان التمثالان قد عظامهم وأُحرقت في وسط أعضائهم حتى إنهم كانوا يمشون على الأرض مثل من يمشي مقيداً، (٢١) وقد دُبحَت جنودهم الأشداء في المكان الذي كانوا يمشون فيه. وقد حُرِّموا النطق أبدياً، وهُزِّموا دفعة واحدة، وقُبِضَ على عظامهم الذين كانوا (٢٢) يرأسونهم، وكُتِفوا كالطيور أمام الصقر، وكل من هرب أخفى نفسه في وسط الأدغال، وقد جلس ورأسه على حجره (٢٣) أو منبطحاً يقدم تحيات خاشعة.

وقد وضعوا خطة التآمر بالعصيان مرة ثانية لينهوا حياتهم على حدود مصر. وقد جمعوا أهل السهل والحزن (٢٤) من مراكزهم. وقد جلبوا لأنفسهم الموت يسيرهم إلى مصر آتين على أرجلهم إلى ... التي في حرارة الرائحة وتحت لهيب جبار (٢٥) وقد هاجمتهم حرارة جلالته مثل «بعل» في السماء. وقد كان كل جزء منه موفور الشجاعة والقوة، وقد وُضعت له خطة طيبة ليستولي على جمعهم، وذراعه اليمنى وذراعه اليسرى (٢٦) يمتدان من تلقاء أنفسهما وتنقضان عليهما كالسهم لتدبحهم في حين أن ذراعه كانت عظيمة وقوية مثل ذراع «منتو» والده.

وقد أتى «كبر» (٢٧) يرجو الصلح كالرجل المغتمى ... (٢) وقد ألقى سلاحه على الأرض هو وجيشه وصاح حتى عنان السماء متضرعاً لابنه. وهناك جمدت (٢٨) قدماه ويده ولم يبدِ حراكاً في مكانه ولا يعلم دخائل أفكاره إلا الله. وقد انقض عليهم

جلالته (٢٩) كجبل من الجرانيت، حتى إنهم طُحنوا وسُحقوا واختلطوا بالأرض وكانت دماؤهم - في المكان الذي كانوا فيه - كالماء، (٣٠) وجثثهم سُحقت في المكان الذي كانوا يمشون عليه. وقُبض على «كبر» وسُيق إلى حيث دُبح، وأُسِر رجال جيشه الذين كانت قلوبهم تعتمد عليه (٣١) لحمايتهم، وقد دُبح وهو مكبل ومكتف كالطير على أديم العربة تحت موطئ جلالته (٣٢) وقد كان مثل «منتو»، وقد كانت قدماه جبارتين على رأسه، وقد ذبح قواده أمامه في قبضته. وقد كانت نصائحه (٣٣) موفقة وخططه لقصره نافذة أمامه في حين كان قلبه قد أنعش. وكان كالأسد المنتصر المزجر ممزقاً الماشية البرية بنابه، ملك الوجه القبلي والوجه البحري الخ (٣٤).

أما المصريون فإن قلوبهم كانت تبتهج عند رؤية انتصاره ويفرحون جميعاً في كل جهة ويقولون: (٣٥) مرحباً بك في سلام ... والأعداء طُرحوا أرضاً أمام خيلك ... (٣٦) ... لنا أعمال شجاعة في قلوبنا ... (٣٧) مادين ... وسأخلص أهل قبيلتي و... (٣٨) ... ولم يفلت منهم واحد ليذهب إلى المدينة ... (٣٩) ... انتهت مدة حياتهم تحت ... (٤٠) ابن «رع» «رعمسيس الثالث» ... طرقهم ... (٤١) ... هزموا على أديمها ... (٤٢) ... الآلهة خلفهم طاردين ... (٤٣) ... النصر ليحبلوهم لجلالته مثل الطيور وأسلحته جزرت فيهم (٤٤) ... وخيله هجمت تدوس في وسطهم حتى إنهم انتهوا وقضي عليهم ضحية (٤٥) ... التفتوا نحو الآلهة والإلهات في عيد يُشاهدون ذبحهم. وكل الذين هربوا من تحت أسلحته قد طُرحوا أرضاً وجُدلوا ... مستنشين النفس لخياشيمهم ومختبئين وقد اقتربوا في ذلة في الـ (٤٧) ... وأجسامهم لا تعرف ... (٤٨) ... وأهل قبائلهم قد شُتتوا في الجبال (٤٩) وأُلْقوا كالحشيم وقد سيقوا في السلاسل أسرى وكذلك نساؤهم. وإن حرارة جلالته والرعب (٥٠) منه هو الذي جعلهم يطرحون أرضاً، وصيرهم أذلاء لمصر ملك الوجه القبلي والوجه البحري الثور المخيف، حاد القرنين، ذابح «التمحو» و«المشوش» بساعده الشجاع «وسرماعت رع مري آمون بن رع».

(٢) المناظر التي على جدران المعبد الخاص بحرب السنة الحادية عشرة

ترك «رعمسيس الثالث» عدّة مناظر خاصة بحروبه الثانية التي شنها على اللوبيين غير أنها ليست أحياناً صريحة واضحة كالتي تركها لنا عن حروبه الأولى.

وهاك أهم المناظر التي قد نفهم منها شيئاً:

(١) اللوحة ٦٢: «رعمسيس الثالث» واستعراض حاشيته:

يُشاهد «رعمسيس الثالث» في عربته يصحبه جنود من المصريين والأجانب، ورجال الحاشية يأخذون في السير على صوت البوق. وعلى الرغم من أن هذا المنظر ينذر بإعلان حرب فإن النقوش التي جاءت مفسرة أو تابعة له عامة لم تشعر بحرب خاصة، وهذا المنظر قد مثل على الجدار الغربي في نهايته الشرقية في الردهة الأولى.^(٥٠)

(٢) اللوحة ٦٨: «رعمسيس الثالث» يشتبك مع «اللوبيين» في موقعة:

وقد مُثل هذا المنظر على البرج الشمالي للبوابة الأولى على الواجهة الغربية الصف الأسفل.^(٥١)

ويُشاهد في أسفل هذا المنظر الجنود المصريون يهون تشتيت شمل اللوبيين، وفي أعلى المنظر نرى «رعمسيس الثالث» وقد نزل من عربته ليربط أسيرين من اللوبيين، ويلاحظ أن معظم المتون المكتوبة فوق صورة الفرعون مقتبسة من المتن الكبير.

وقد كُتب فوق الأسرى ما يأتي: الأجانب الذين استولى عليهم جلالته أسرى: ٢٠٥٢ أسيراً، والذين قُتلوا في أماكنهم ٢١٧٥ قتيلاً.

(٣) اللوحة ٧٠ «رعمسيس الثالث» يقفّي أثر اللوبيين الفارين:^(٥٢)

ويُرى فيه «رعمسيس الثالث» في عربته يطارد اللوبيين البائسين، ويساعده في هجومه جنوده المصريون مشاة وخيالة على السواء، وكذلك يُشاهد جنود مصريون في

حصنين يفوقون سهامهم ويقذفون ناشيبيهم على العدو الهارب، وقد كُتب فوق الحصنين النقش التالي: «المجزرة التي أوقعها جلالته بالأعداء من أرض «المشوش» الذين أتوا إلى أرض مصر مبتدئين من بلدة «رعمسيس الثالث» التي على جبل «وب تا» (قرن الأرض) إلى بلدة «حوت شعت» (قرية الرمل) موقعًا بهم مذبحًا تمتد ثمانية إتر (الإتر = ميلًا وربع ميل تقريبًا).» وقد حدد «جاردنر» موقع هاتين البلديتين في الشمال الغربي من الدلتا، والمسافة بينهما هي ثمانية إتر - أي حوالي عشرة أميال تقريبًا. (٥٣)

(٤) اللوحة ٧٢: «رعمسيس الثالث» يتابع مطاردة العدو الفار:

ويُشاهد «رعمسيس الثالث» في هذا المنظر في عربته يصحبه جنود مصريون وأجانب وموظفون مصريون وهو يطارد اللوبيين الفارين، وهذا المنظر يشبه المنظر يشبه المنظر السالف الذكر، غير أن النقوش المفسرة تختلف بعض الشيء؛ فيلاحظ أنه قد كُتب فوق الموقعة المجزرة التي أوقعها جلالته بالأعداء من بلاد «المشوش» الذين أتوا إلى مصر مبتدئين من بلدة «حوت شعت» حتى بلدة «وسرماعت رع مري آمون» التي على جبل «وب تا» وهي مذبحًا تمتد ثمانية إتر، فيلاحظ في هذا المتن أن ترتيب ذكر البلدين قد عكس؛ فقد ذُكرت البلدة هنا باسم «وسرماعت رع مري آمون» بدلًا من اسمها «رعمسيس الثالث» في المتن السابق في اللوحة رقم (٧٠). (٥٤)

وقد قال «جاردنر»: إنه لا يمكننا تعليل هذا التغيير،^(٥٥) غير أن «شادل» قد علل ذلك بقوله: إن اسم هذين البلدين واحد، ولكن غُيّر من «رعمسيس الثالث» إلى «وسرماعت رع»^(٥٦) لأسباب سنتحدث عنها عند الكلام على ورقة «هاريس».

(٥) اللوحة (٧٣): «رعمسيس الثالث» يسوق رؤساء اللوبيين أسرى: (٥٧)

يُشاهد في هذا المنظر «رعمسيس الثالث» ينزل من عربته ويجر لوبيين خلفه وهما اللذان كانا مكبلين في المنظر الذي على اللوحة رقم (٦٨).

(٦) اللوحة (٧٤): «رعمسيس الثالث» يستعرض ثلاثة صفوف من المسجونين

الذين يقودهم ضباط مصريون:

وفي هذا المنظر نجد الفرعون يخاطب ولي عهده بوصفه الكاتب الملكي الأعلى للجيش، ليلغ عن رأيه في الأعداء المقهورين.

(٧) اللوحة (٧٥): «رعمسيس الثالث» يستعرض الأسرى اللوبيين والغنائم:

وهنا نشاهد ولي العهد والوزيرين يقدمون «لرعمسيس الثالث» الأسرى والغنائم التي استولى عليها في الحرب اللوبية الثانية. ويرى الملك واقفًا على منصته وفي حضرته موظفوه، كما يرى الكتاب يسجلون عدد كومة من أعضاء الإكثار والأيدي المقطوعة.

ويلاحظ أن الضباط المصريين يقودون الأسرى، ويحمل بعضهم الغنائم التي استولى عليها منهم. وكتب فوق هذا المنظر تفصيل للغنائم التي استولى عليها، ولما كانت من الأهمية بمكان فإننا سنوردها هنا وبخاصة لأنها تدل - على ما يظهر - على أن المهاجمين كانوا يريدون الاستيطان في مصر.

مجموع الأيدي المقطوعة ٢١٧٥.

الغنيمة التي استولى عليها سيف الفرعون البتار من المشوش الحاسيين:

عدد	
١	رئيس «المشوش»
٥	العظماء من الأعداء (رجال)؟
٥	بعض الرؤساء (؟)
١٢٠٠	رجال من «المشوش»
١٥٢	الشبان
١٣١	أولاد
١٤٩٤	فيكون المجموع

نساؤهم	٣٤٢	امراة
عذارى	٦٥	
بنات	١٥١	

فيكون المجموع الذي استولى عليه سيف جلالته البتار من الأشخاص المختلفين = ٢٠٥٢.

«المشوش» الذين ذبحهم جلالته في أماكنهم ٢١٧٥ رجلاً وسلعهم وقطعائهم ... ١٢٩ + س، وسيوف طول الواحد منها أربع أذرع عددها ١١٦ سيفاً، وسيوف طول الواحد منها ثلاث أذرع وعددها = ١٢٣، وأقواس عددها = ٦٠٣، وعربات عددها = ٩٢ وكنانات عددها = ٢٣١٠، وعمد عربات عددها = ٩٢، وأزواج خيل عربات وحمير عددها = ١٨٤.

وفوق الصف الأسفل من المنظر:

مجموع أعضاء التكاثر ٢١٧٥.

الحيوانات التي استولى عليها سيف جلالته البتار من «المشوش» الخاسنين، وهي التي أُضيفت إلى القطعان التي قررها جلالته من جديد لوالد «آمون رع» ملك الآلهة:

عدد	
١٠٥	ثيران
١٢٢	ثيران طويلة القرون
٧٥ (٩)	ثيران مخصية
٩١	عجول عمرها سنة

٦١	عجول
٤٢٠	بقرات
١٢٢	عجلات بقر
١٥٢	عجلات سنهها سنة
١٦١	عجلات بقر
١٣٠٩	مجموع الماشية
٤٦٤	حمير
٣٤٣٦	ماعز
٢٣١٢٨	غنم
٢٨٣٣٧	مجموع الحيوانات المختلفة
٥٧٠٠	ماعز
٥٨٠٠	غنم

مجموع الحيوانات التي أُحضرت معه:

٣٦٠٩	ماشية
١٨٤	خيل
٨٦٤	حمير
٩١٣٦	ماعز
(٩) ٢٨٩٢٨	غنم
٤٢٧٢١	مجموع الحيوانات التي استولى عليها سيف الفرعون البتار

وإذا وازنا بين عدد الحيوانات التي استولى عليها الإله «آمون» وما استولى عليه الملك على ما يظهر نجد أن «آمون» استولى على ثلاثة أثمان مجموع الماشية ولم يستول

على شيء من الخيل، وعلى ثلاثة أثمان الحمير وأربعة أخماس الماعز - لأنها كانت مقدسة له - وعلى ثلثي كل الحيوانات، والباقي على ما يظهر كان يستولي عليه الفرعون.

(٨) اللوحة (٧٧): «رعسيس الثالث» يعود حاملاً لواء النصر من حملة لوبيا:

فيُشاهد هنا «رعسيس الثالث» يسوق أمام عربته صفين من الأسرى اللوبيين ويحيي الفرعون طائفة من الكهنة يحملون في أيديهم بطاقات الأزهار الرسمية، وقد رحب به الكهنة بكلمات مدح وثناء، وهذا المنظر يذكرنا بمنظر «سيتي الأول» عندما عاد من حملته في «سوريا» واستقبله عظماء القوم عند الحدود بطاقات الأزهار في أيديهم (راجع ج ٦ مصر القديمة).

(٩) اللوحة (٧٨): «رعسيس الثالث» يقدم الأسرى اللوبيين للإلهين «أمون»

وزوجه «موت». (٥٨)

(٣) ملخصي الحرب اللوبية الثانية

لم تكن الهزيمة التي لحقت باللوبيين في العام الخامس على يد «رعسيس الثالث» في آخر حرب نشبت بين «لوبيا» و«مصر»، بل جاءت على أعقابها حرب أخرى في السنة الحادية عشرة من عهد هذا الفرعون، ولم يكن الموقف لناها هذه المرة هم اللوبيون وحدهم بل كان العامل الأكبر في إشعالها قوم «المشوش» الذين نزحوا من شمال أفريقيا يطلبون العيش الناعم في أرض مصر التي عرفوا خيراتها منذ زمن طويل يرجع إلى عهد «رعسيس الثاني». (٥٩)

وتدل شواهد الأحوال على أن أمير المشوش المسمى «مشاشار» بن «كبر» قد أفلح في عقد حلف مع بعض قبائل من اللوبيين لم يذكر اسمها في المتون وقام بغارة جبارة على الأراضي المصرية، فانقضوا أولاً على أهالي «تخنو» وهم أهالي لوبيا الأصليون القاطنون في صحراء غربي الدلتا مباشرة، وبعد إخضاعهم تماماً قاموا بحملتهم على الديار

المصرية، ولذلك يقول المتن المصري:

وكان رئيس المشوش سابقاً قد أتى مهاجرًا ومعه أهله، وانقضوا على بلاد «تخنو»
الذين أصبحوا رماذًا، فقد خربت مدنهم وأصبحت قفرًا، ولم يعد لبذرهم وجود.

والمقصود «بالتخنو» هنا كما يقول «هولشر»^(٦٠) هم اللوبيون كما جاء في السطر
السادس والأربعين من المتن الكبير: لقد تسبب اللوبيون في ارتباكنا وارتباكهم؛ لأننا أصغينا
إلى نصيحتهم.

وبذلك نسبوا الهزيمة التي حاقت بهم في حروبهم مع مصر إلى هؤلاء القوم من
اللوبيين. وقد كان غرضهم الأول هو أن يتخذوا البلاد المصرية وطنًا لهم.

والواقع أن «المشوش» وأنصارهم قد أخذوا يزحفون على البلاد المصرية حتى
ضواحي «منف»، وتدل الغنائم التي حصل عليها «رعمسيس الثالث» على أن هؤلاء لم
يكونوا من الأقوام الهمج، بل كانوا مسلحين بأحسن الأسلحة ومجهزين بأمتن العدد، فقد
كانت سيوفهم عظيمة يبلغ طول الواحد منها أربع أذرع وثلاث أذرع، وكانوا كذلك
مسلحين بالأقواس والعربات والكنانات والخيول والحمير لحمل الأثقال، ولذلك نجد أن
«رعمسيس الثالث» أخذ يستعد لمنازلتهم، فنشاهده في أحد المناظر يتأهب للمسير مع
جنوده من المصريين والأجانب عند سماع بوق إعلان الحرب. ثم سار بجيشه لمقابلة العدو
في موقعة دارت رحاها في اليوم ... عشر من الشهر الرابع من فصل الحصاد «مري» في
المكان الواقع بين الحصن المسمى «حوت شعت» (جبل الرمل) والبلدة المسماة
«رعمسيس الثالث»، وقد خلف لنا «رعمسيس الثالث» على جدران معبد مدينة
«هابو» القصيدة التي دوّنها بعد هذه الحرب احتفالًا بالنصر الذي أحرزه على العدو،
وقد دُونت بعد نشوب الموقعة بنحو ستة أشهر، وتؤرخ باليوم الثامن من الشهر الثاني من
فصل الزرع - الثامن من أمشير.

والظاهر أنها أُرّخت خطأ بالسنة الحادية عشرة، وبذلك يمكن اعتبارها قصيدة

كُتبت بمناسبة الاحتفال بالنصر الذي أحرزه «رعمسيس»،^(٦١) وليس في استطاعتنا تحديد موقع المكانين اللذين حدثت فيهما - أو بينهما - الحرب على «المشوش» بصفة قاطعة الآن على الأقل.

وقد وصل إلينا وصف مكان هذه الموقعة في متنين صغيرين في النقوش التي على جدران المعبد، جاء في الأول: الخجرة التي أجراها جلالته بين الأعداء الذين جاءوا من أرض «المشوش» إلى مصر مبتدئين ببلدة «رعمسيس الثالث» التي تقع على جبل «وب تا» (بداية الأرض) إلى قرية «حوت شعت» (قرية الرمل) موقعاً مذبحة طولها ثمانية «إتر» (نحو عشرة أميال).

وجاء في المتن الثاني: الخجرة التي أجراها جلالته بين الأعداء من بلاد «المشوش» الذين هاجموا مصر من قرية «حوت شعت» حتى مدينة «وسرماعت مري آمون» التي تقع على جبل «وب تا» موقعاً مذبحة طولها ثمانية «إتر» (نحو عشرة أميال).

وأول ما يلاحظ في هذين المتنين أنه استعمل في اسم المدينة المسماة باسمه، اسمه في الأولى ولقبه في الثانية. على أنه لا يوجد في التسامح والحرية التي استعملت في هذه التسمية ما يدعونا إلى توحيد هذه المدينة المزدوجة الاسم بالمدينة المسماة «بروسرماعت رع مري آمون» التي جاء ذكرها في «ورقة هاريس»،^(٦٢) ويُحتمل أن في تغيير الاسم في هذين المتنين ما يدعو إلى الظن بأن الموقعة لم تقع في أحد البلدين، بل وقعت في البقعة التي بينهما. ولم تحدثنا المتون بشيء عن اقتفاء أثر العدو من أحد الحصنين إلى الآخر. والمحتمل جداً^(٦٣) أن المصريين قد حصروا الغزاة بين هذين البلدين وأصلوهم بسهامهم وأبلاً من المقذوفات كلما أرادوا الارتداد من حصنٍ إلى آخر. هذا فضلاً عن قتال الجيش للعدو في البقعة التي تقع بين هذين المكانين، ولا بد أن العدو في نهاية الأمر قد اضطر إلى التسليم. ونرى في الصور التي تركها لنا «رعمسيس الثالث» اقتفاء أثر العدو في عربته يساعده في هجومه المشاة والخيالة، كما نشاهد الجنود المصريين في الحصنين السالفي الذكر يرسلون وأبلاً من السهام على «المشوش». وقد حدد «جاردنر» موقعهما في غربي

الدلتا. وقد اشترك «رعمسيس الثالث» في هذه الموقعة على الرغم من أن ابنه كان هو القائد الأعلى للجيش، إذ نشاهده يسوق الأسرى بنفسه، كما نراه ينزل من عربته، ويكيل لوبيين ويجرهما خلفه، وفي نهاية الموقعة يستعرض «رعمسيس» صفوف الأسرى ويخاطب الرئيس الأعلى للجيش ويحدثه عن رأيه في الأعداء المقهورين، كما نشاهده في منظر آخر يستعرض الأسرى والغنائم، معًا يقدمهم له ولي العهد والوزيران. ويلاحظ أن القواد المصريين قد أجبروا الأسرى على حمل الغنائم وتقديمها.

وقد كان عدد القتلى نحو ٢١٧٥، وكانوا يُحصون إما بعدد الأيدي المقطوعة أو بعدد أعضاء الإكثار المبتورة، كما كانت العادة في الحروب المصرية. أما عدد الأسرى فقد بلغ ٢٠٥٢ نفسًا من بينهم رئيس «المشوش» نفسه «مشاشار»، ومن بينهم النساء والعدارى والأطفال أيضًا. أما الغنائم فكانت كثيرة، وتشمل أسلحة وعربات كما ذكر ذلك من قبل.

أما الماشية فكان عددها عظيمًا جدًا، بلغ ٤٢٧٢ رأسًا، وتشمل ثيرانًا، وأبقارًا من مختلف الأنواع والأعمار، وماعزًا وغنمًا. وقد أهدى الفرعون الجزء الأعظم منها للإله «آمون» الذي آزره في ساحة القتال، وقد بلغ ما قدمه له من الحيوان حوالي الثلاثين مما يدل على عظم شأن «آمون» وكهنته.

وبعد هذا النصر المبين في ساحة القتال نشاهد الفرعون «رعمسيس الثالث» عائدًا من ساحة المعركة يسوق صفوف الأسرى، وقد استقبله الكهنة يحملون طاقات الأزهار، ويحيون الفرعون بآيات المديح والثناء على ذلك الانتصار الباهر، وبعد ذلك نشاهد الفرعون يقدم الأسرى للإلهين «آمون» و«موت» ليكونوا عبيدًا لهما في معبديهما وضياعهما.

ومما تجدر ملاحظته هنا أن المتون المصرية يُفهم مما جاء فيها من تعداد الأسرى والأطفال والنساء والماشية والحيوانات المنزلية، أن أهل المشوش كانوا يقصدون بغزوتهم

هذه هجرة شاملة لسكنى مصر.

ولم يَحْنُ الوقت بعد لأن نحدد القوى الاقتصادية وغيرها، التي كانت تنطوي عليها غزوة «المشوش» لبلاد مصر، غير أنه من المؤكد أنها كانت ذات علاقة بعدم الاستقرار في كل أنحاء البلاد الواقعة في شرق البحر الأبيض المتوسط في هذا الوقت، وبخاصة موجات الغزو التي كان أقوام البحر يقومون بها من جهة، وتخطيط دولة «خيتا» وحصار «طروادة» ومحاولة اللوبيين فيما سبق استيطان مصر من جهة أخرى.

وخلاصة القول أن نتيجة هذه الهجمة العنيفة التي قام بها «كبر» وابنه «مشاشار» الهزيمة الساحقة، وقد أتى «كبر» يرجو الفرعون العفو عن ابنه، وكان الجواب على هذا الرجاء القبض عليه، ثم قتله هو بسيف الفرعون وأسر جيشه. وهكذا كانت نهاية هذه الحرب الضروس في صالح المصريين لوقت ما؛ إذ سنرى بعد أن هؤلاء «المشوش» أنفسهم وسيعودون كرة أخرى لفتح مصر وتكوين دولة فيها.

(٢-٥) الحروب الأخرى التي شنها «رعمسيس الثالث» على الآسيويين

لدينا غير مناظر الحروب التي تمثل لنا انتصارات «رعمسيس الثالث» على «أقوام البحار» مناظر أخرى على جدران معبد مدينة «هابو» عديدة، ليس لها تواريخ معينة. والظاهر أن الغزوات التي توالى من «آسيا الصغرى» قد حطمت أقوام شمال «سوريا»، وقد انتهز «رعمسيس الثالث» هذه الفرصة ليغزوها، فكان أول ما قصد مدينة «أرزوا Arzawa»؛^(٦٤) فيُشاهد «رعمسيس الثالث» في عربته يتبعه مشاة من المصريين يهاجم حصنين، وقد أمطرهما الفرعون وأبلاً من السهام، ولم يلبث أن أخذ جنود «خيتا» المدافعون يختل ميزانهم، وتسود صفوفهم الفوضى التامة، ويُشاهد الجنود المصريون وقد دخلوا الحصن الأعلى من القلعة، وقد قُذِفَت أبوابه من أعلى، وبعد ذلك يُرى أحد رجال «خيتا» يرفع في يده موقدًا رمزًا للخضوع والتسليم، وقد كُتب على الحصن الأسفل: «مدينة أرزوا».

(أ) «رعمسيس الثالث» يهاجم مدينة «توب»^(٦٥)

يُشاهد «رعمسيس الثالث» في عربته واقفًا بسيفه مشهورًا يهاجم - بمساعدة رماة من المصريين، ومن مشاة «الشردانا» - مدينة محصنة، ويلاحظ أن الفرعون كان يضرب شخصية عظيمة من الأعداء، ويرى الجنود المصريون وهم يقطعون الأشجار التي حول المدينة، ويحطمون البوابة، ويتسلقون سالماً منصوبة على الجدران، ولكن عندما رفع جندي سوري موقدًا - وهو رمز التسليم - نفخ جندي مصري في البوق علامة على إحراز النصر، وقد كُتب تحت الحصن: «توب» الخبيثة.^(٦٦)

وفي منظر آخر يُشاهد «رعمسيس» يهاجم حصنًا سوريًا،^(٦٧) فينزل من عربته ويهاجم الحصن، في حين أن حرسه وأتباعه ينتظرون خلفه، ولا يمضي طويل زمن حتى نرى السوريين يسلمون. وبعد هذا النصر يُرى «رعمسيس» يستعرض الأسرى السوريين في ثلاثة صفوف، يقدمهم له الضباط المصريون بقيادة ولي العهد، ٦٨ ثم يعود «رعمسيس» بعد هذه الحروب حاملاً لواء النصر من «سوريا»، فيرى في عربته سائقًا أمامه صفيين من الأسرى الآسيويين،^(٦٩) وبعد ذلك نراه في منظر آخر يقدم أسواره وغنائمه للإلهين «آمون» و«خنسو» اللذين كانا في محراب. ومن الغنائم التي يقدمها الفرعون أوان دقيقة الصنع.

(ب) حروب «رعمسيس» في بلاد الأموريين

والظاهر أن «رعمسيس» قام بحملة ثانية لخاربة «الأموريين» إذ نشاهده في منظر ينزل من عربته ويهاجم حصنًا وهو على قدميه، يساعده في ذلك جنود من المصريين ومن «الشردانا» الأجانب، ثم يلاحظ أن السوريين قد نكسوا حراهم، وفي آن واحد رفع أحدهم الموقد علامة على الاستسلام،^(٧٠) وقد كُتب على الحصن المتق التالي: كلام نطق به رئيس بلدة «آمور» الخاسئ وأهل قبيلته في حضرة الحاكم الطيب، مثل «منتو»: «امنحنا النفس الذي تمبه حتى نستطيع تنفسه عند التحدث بشهرتك، لابن ابننا،

وذكراك...»

وبعد ذلك نرى «رعمسيس» يحتفل بانتصاره هذا على السوريين.^(٧١) فنشاهده يقف على منصة يحيط به أتباعه، ثم تُعرض عليه ثلاثة صفوف من الأسرى الآسيويين يقدمهم له ولي العهد وموظفون مصريون، وقد تكلم الفرعون وأجابه الموظفون بالعبارة الاصطلاحية المألوفة. وقد نُقش فوق صورة ولي العهد ألقابه وهي: «ولي العهد، والكتاب الملكي، والقائد الأعلى للجيش».^(٧٢) وهو الذي أصبح - فيما بعد - «رعمسيس الرابع».

وأخيرًا نجد «رعمسيس الثالث» في نهاية هذه الحروب كلها يقدم لثالوث «طيبة» أسرى يمثلون الحملات التي قام بها في بلاد «لوبيّا» و«آسيا»، وعندئذ يخاطبه ثالوث «طيبة» بكلمات طيبة، ثم يرد عليهم الفرعون معترفًا لهم بالجميل، وبأنهم هم الذين ناصروه وأعزوه حتى استولى على كل هذه البلاد؛ ومن أجل ذلك يقدم لهم كل ما غنمه ويقول مخاطبًا «آمون»: لقد استوليت على أهلهم وكل ممتلكاتهم، وكل حجر غالٍ فاخر في بلادهم أضعه أمامك يا سيد الآلهة، فهب من تحب! لبتك تعطي تاسوعك مثل ذلك، وإنما قوة ساعدك التي استولت عليهم، فالذكور منهم يعملون في مخازنك، ونساؤهم يَكُنَّ إماء لمعبدك، وإنك قد جعلتني أمد حدودي إلى حيث شئت، دون معارضة في أي أرض ... الخ.^(٧٣)

وبعد تقديم هؤلاء الأسرى نرى «رعمسيس الثالث» في آخر الأمر يضحى برؤساء كل الممالك التي تغلب عليها أمام الإله «آمون».^(٧٤)

وهنا نشاهده وهو يذبح أسرى من أجناس مختلفة أمام «آمون» الذي يمد له السيف، في حين نرى إلهة مقاطعة «طيبة» تقود له خمسة وعشرين ومائة إقليم أجنبي، يُرمز لكل منها بطغراء فيه اسم الإقليم، كأنه أسير في عنقه الأغلال.^(٧٥)

وإذا صدّقنا ما جاء في هذه القائمة عن البلاد التي فتحها، أو أخضعها

«رعمسيس الثالث»، فإن الجيش المصري يكون قد وصل في فتوحه حتى «غُر الفرات»، غير أننا نشاهد على هذه القائمة أقوامًا قد اختفوا منذ زمن بعيد، مما يدل على أنها نُسخَت من قوائم قديمة، وبخاصة قوائم «رعمسيس الثاني» الذي كان يريد سميهِ «رعمسيس الثالث» أن يقلده في كل شيء، وكذلك من قوائم الفاتح العظيم «تحتمس الثالث»؛ ولذلك يجب أن ننظر إلى ما في هذه القوائم بكثير من الحذر والتدقيق؛ إذ لا نعلم حتى في إقليم «الأرنت» إذا كان المصريون قد أمكنهم المحافظة عليه أم لا، ويُخيل إلينا أن الغرض الأساسي الذي من أجله قام «رعمسيس الثالث» بحملته على بلاد «سوريا» وبلاد «آمور»، هو خوفه من التعدي على أملاكه في بلاد «فلسطين»، التي كانت مرتبطة بمصر ارتباطاً وثيقاً منذ أقدم عهود التاريخ المصري، وحتى بلاد «فلسطين» نفسها كادت تفلت من أيدي المصريين؛ لأن كل الإقليم الساحلي قد احتله الفلسطينيون الذين وفدوا مع «أقوام البحار»، واحتلوا هذا الجزء من ساحل «البحر الأبيض المتوسط»، ولكن يدل ما لدينا من آثار على أنه كان في مقدور مصر أن تستمر في سيطرتها على بلاد «كنعان»، في عهد الملوك الذين خلفوا «رعمسيس الثالث» مدة ما. ولا أدل على ذلك من الكشوف التي عُملت في «مجدو» حديثاً؛ إذ وُجد فيها قاعدة تمثال للفرعون «رعمسيس السادس».^(٧٦)

ومما يلفت النظر في هذه الحروب الأخيرة التي شنها «رعمسيس الثالث» على «آسيا» بعد حربه مع بلاد «لوبيّا» في السنة الحادية عشرة من حكمه؛ أننا لم نجد في النقوش ما يؤكد لنا بصفة قاطعة تواريخ تدل على أن هذه الحروب قد وقعت بعد الحرب اللوبية الثانية، غير أن شواهد الأحوال تشعر بذلك، وبخاصة ترتيب المناظر التي تركها «رعمسيس الثالث» على جدران معبد مدينة «هابو»؛ لأنها كانت قد نُقشت - على ما يظهر - على حسب ترتيبها التاريخي، كما فعل من قبله «سيتي الأول» في نقوشه التي على جدران معبد «الكرنك» (راجع الجزء السادس من مصر القديمة)، على أنه من الجائز جداً أن «رعمسيس» لم يَقم بهذه الحروب إلا بعد القضاء على «أقوام البحار» من جهة الشمال، والقضاء على إغارة «اللوبيين» وأقوامهم في الغرب، وإلا لكان قد عرّض

بلادها نفسها لخطر ساحق من جهة «لوبييا» إذا كان قد قام بحرب للغزو والفتح في «آسيا» مع وجود أهل «لوبييا» شوكة لظهوره في الغرب.

وعلى أية حال فإن موضوع تاريخ هذه الحروب لا يزال يكتنفه بعض الغموض.

(ج) قصيدة بركات «بتاح»^(٧٧)

لم يقتصر «رعمسيس الثالث» على تقديم الأسرى «لثالث طيبة»، بل نراه في مكان آخر يقدم أسرى من مختلف البلاد التي استولى عليها، أو يدعي أنه استولى عليها للإله «بتاح» أكبر آلهة «منف» عاصمة البلاد القديمة، وقد قاد هؤلاء الأسرى في مجموعة من الأفراد كل منهم يمثل الإقليم الذي أتى منه؛ ومن أجل ذلك نجد الإله «بتاح تاتن» يلقي خطاباً طويلاً شعرياً يقرر له فيه الحياة الطويلة، والحكم المثمر، ثم يرد عليه الملك محبباً إياه بوعود عظيمة له. وهذه القصيدة قد دوّنها «رعمسيس الثاني» لنا بصورة تختلف كثيراً عن التي نحن بصدددها.

والواقع أن الروايتين - على ما يظهر - قد أخذتا من مصدر ثالث أصلي «منفي» على أية حال (راجع الجزء السادس من مصر القديمة). والقصيدة التي نُقشت على جدران معبد مدينة «هابو» كما هي، تحوي أخطاء كثيرة، ولكنها كُتبت من وجهة نظر «رعمسيس الثالث»؛ ولذلك نجد فيها بعض التغيير، وقد دوّنها في السنة الثانية عشرة من حكمه، أي بعد فراغه من الحروب التي أخذ على عاتقه القيام بها، وهي التي اضطرت له الأحوال العالمية في عصره إلى خوض غمارها. وقبل إثبات نصها هنا نأتي بملخص قصير عنها:

(١) التاريخ ومقدمة (من سطر ١-٣).

(٢) خطاب موجه للملك (من سطر ٣-٣٩):

(أ) الاعتراف بالملك بوصفه ابن الإله (من سطر ٣-٥).

- (ب) الابتهاج بولادة الملك (من سطر ٥-٩).
- (ج) هدايا «بتاح» للملك المولود حديثاً (من سطر ١٠-١٣).
- (د) «رعمسيس» يمنح الملكية (من سطر ١٣-١٤).
- (هـ) الوعد بسعة الرزق (من سطر ١٤-٢٠).
- (و) الوعد بالكثرة في الملباني (من سطر ٢٠-٢٣).
- (ز) العاصمة والوعد بالأعياد الثلاثينية والأعياد والحياة الطويلة (من سطر ٢٣-٢٨).
- (ح) الوعد بالنصر والأسرى (من سطر ٢٨-٣١).
- (ط) الوعد بالإمبراطورية (من سطر ٣١-٣٥).
- (ي) كل الأرض تابعة لرعمسيس (من سطر ٣٥-٣٩).
- (٣) جواب «رعمسيس الثالث»: (من سطر ٤٠-٥٤).
- (أ) الاعتراف بدينه البنوي (من سطر ٤٠-٤٤).
- (ب) مباني معبد مدينة «هابو» وتكوينه من أجل الإله «بتاح تاتن» (من سطر ٤٤-٥٤).

وهاك النص:

السنة الثانية عشرة في عهد جلالة «حور» الثور القوي، عظيم الملك، محبوب الإلهتين، كثير الأعياد الثلاثينية مثل «تاتن»، «حور» الذهبي، الكثير السنين مثل «آتوم» الملك حامي مصر، وغال الممالك الأجنبية، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين: (وسرماعت رع مري آمون) ابن «رع» رب التيجان: «رعمسيس الثالث».

خطاب وجهه «بتاح تاتن» والد الآلهة، إلى ابنه ومحبيه من صلبه، وهو إله مقدس، كثير الحب، كثير في أعياده الثلاثينية مثل «تاتن» ملك الوجه القبلي والوجه

البحري، سيد الأرضين: (وسرماعت رع مري آمون) ابن «رع» رب التيجان: «رعمسيس الثالث».

إني والدك، وقد أنجبتك، فجميع جسمك من الآلهة، لأني قد تقمصت صورة (٤) الكيش، رب «منديس»، وعاشرت والدتك الفاخرة؛ لكي أصور شكلك مثل لأني أعرف أنك حامي، ومؤدي النعم لحضرتي، ولقد أنجبتك مشرقاً مثل «رع»، ورفعتك أمام الآلهة لتكون ملك الوجه القبلي والوجه البحري: (وسرماعت رع مري آمون): ابن «رع»: «رعمسيس الثالث». وإن رفاق (٩) «بتاح» مبتهجون، وآلهة والدتك «مسخت» متمتعة بالسرور، والمبجلات التابعة لبيت «بتاح» و«حتحور» بيت «آتوم» في عيد. وقلوبهن فرحة، وأيديهن تحمل الدفوف مبتهجات عندما يرين طلعتك البهية، وإن حبك مثل حب جلالة «رع» والآلهة والإلهات يتمدحون بجمالك مثنين ومقربين القربان لحضرتك، ويقولون لي: إنك والدنا المبجل، وإنك قد أنجبت لنا إلهاً مثل نفسك، ملك الوجه القبلي والوجه البحري: (وسرماعت رع مري آمون) ابن «رع»: «رعمسيس الثالث».

(١٠) وعندما شاهدتك انشرح قلبي، وطوّقتك في حضني الذهبي، وأحطتكم بالحياة والرضا، وحبوتك بالصحة والسرور، (١١) وأشريتكم الغبطة وفرح القلب، والبشر والرفعة، وجعلت محياك قدسياً مثلي، لأني اخترتك. (١٢) فطناً مهيباً، ولبك مدرك، ونطقك ممتاز، ولا يوجد شيء لا تعرفه؛ لأنك ماهر في نصائح الحياة، وعلى ذلك فإنك تجعل عامة الشعب يعيشون بتدابيرك، ملك الوجه القبلي والوجه البحري (وسرماعت رع مري آمون) ابن «رع» «رعمسيس الثالث».

لقد جعلتك ملك السرمدية، وحاكماً باقياً أبداً، وسويت جسمك من ذهب، وهذه (١٤) الإلهة قد ظهرت مثبتة على رأسك، ومنحتك وظيفتي الإلهية، وبذلك تحكم الأرضين ملئاً على الوجه القبلي والبحري.

ومنحتك فيضانات حاملة الميرة لتغدق على هذه الأرض الثراء والطعام والرزق،

وبذلك تغمر المياه هذه الأرض في حضرتك، والصيد يوجد في كل مكان تمشي فيه. ولقد منحتك الحب والحصاد (١٦) لتمير مصر، والحبوب هناك تكون كرمال الشاطئ، ومخازن غلالهم تبلغ عنان السماء ارتفاعاً. وأكوامها كالجبال، والفرح والرضا يعمان (١٦) برؤيتها والطعام والأعياد في جوارك نفسه، وهذه الأرض (١٧) بمناصرتك لها، ومنحتك السماء وموجوداتها. و«جب» (إله الأرض) يقدم لك ما فيها، ومستقعات الطير تقود لك سكان السموات، و«سخت حور» (البقرة المقدسة أم حور) تحمل رزق أرواح «رع» الأربعة عشرة، وإني وضعتها بجوارك. وإنك تفتح كل فم لتغني من تريد مثل والدك «خنوم» الحي، لتحبو الشجاعة والنصر حكمك مثل (حكم) «رع» عندما حكم الأرضين، ملك الوجه القبلي والوجه البحري: (وسرماعت رع مري آمون) بن «رع»: «رعمسيس الثالث».

وإني أجعل الجبال تخرج لك آثاراً ضخمة قوية، وأن يجلب لك كل حجر ثمين، وكل معدن جميل. وأجعل كل قلب مفيداً لك بأعمالهم في كل حرفة قيمة، وكل ما يمشي على اثنتين أو على أربع، وكل ما يطير ويرفرف. ولقد جعلت قلب أهل كل أرض يقدمون لك أعمالهم بأنفسهم، والعظيم والصغير على السواء يؤدون منافع لحضرتك، ملك الوجه القبلي والوجه البحري: (وسرماعت رع مري آمون) ابن «رع» (٢٣) «رعمسيس الثالث».

وقد أقيم لك مقر عظيم شريف لتقوي حدود مصر: بيت «رعمسيس الثالث» الكثير الخيرات لمصر (٢٤) وإنه ممكن على الأرض مثل عمد السماء، وجلالتك ثاو في قصره، وأقمت مدناً مسورة فيها مكان لسكاني؛ لتستطيع الاحتفال بالأعياد الثلاثينية (٢٥) التي احتفلت بها فيها. وإني سأعقد (على رأسي) تيجانك بيدي عندما تظهر على عرشك المزدوج، والآلهة والناس فرحون (٢٦) باسمك عندما تشرق في الأعياد الثلاثينية مثلي. وإنك تسوي الصورة وتبني محاريبها كما فعلت في الزمن الأزلي (٢٧) وإني منحتك سني أعيادي الثلاثينية، وحكمي، وسكني، وعرشي، وإني أمد جسمك بالحياة الطيبة،

وحمايتي السحرية تحيطك بمثابة (٢٨) تعويذة وإني أعضدك وبذلك تصبح كل أرض في خوف منك في حين أن مصر مفعمة بجمالك، ملك الوجه القبلي والوجه البحري (وسرماعت رع مري آمون) ابن الشمس «رعسيس الثالث».

ومنحتك شجاعة ونصرًا، (٢٩) وقوتك في قلوب «الأقواس»، وإني أرسل الرعب في الأراضي من أجلك، والآسيويون تحت قدميك أبد الأبد، وإنك تشرف يوميًا (٣٠) ليقدم لك أسرى يديك. ورؤساء كل الممالك تقدم لك أطفالها أمامك، وإني أسلمهم لك جميعًا (٣١) في قبضتك لتفعل ما تشاء بهم، ملك الوجه القبلي والوجه البحري (وسرماعت رع مري آمون) ابن «رع»: «رعسيس الثالث».

إني أضع الرهبة منك أمام الأرضين في حين أن حبك يملأ (٣٢) وجوههم، وإني صوت نذير حريك في الممالك الثائرة في حين أن الخوف منك يحيط بالجبال، والرؤساء يرتعدون فرقًا عند مجرد ذكرك، وهناك تسود (٣٣) مقمعتك فوق رؤوسهم، وإنهم يأتون إليك بصوت واحد راجين الصلح من حضرتك، وإنك تجعل من تشاء يحيا وتذبح من تريد، تأمل! إن عرش (٣٤) كل أرض تحت سلطانك، وإني أجعل المعجزات العظيمة تحدث لك، وكل حالة طيبة تصيبك، والأراضي في عهدك في حبور، (٣٥) ومصر تفرح عند طلعتك، ملك الوجه القبلي والوجه البحري (وسرماعت رع مري آمون) ابن «رع»: «رعسيس الثالث». وإني أتحرك ٧٨ (؟) وأعدك بالشجاعة والنصر، والرؤساء (٣٦) والأشراف يساعدونك. والسماء والأرض قد اهتزتا بالفرح، ومن فيهما في سرور بما أوتيت. أما الجبال والمياه والجدران، وما على الأرض من أشياء فإنها تهتر (٣٧) عند اسمك المنتصر، وذلك عندما ترى القرار الذي قررت، فكل أرض عبيد لقصرك، وإني قد عرفتهم أن (٣٨) يقدموا أنفسهم شخصيًا في خضوع لحضرتك حاملين جزيئهم، وما سلبه رؤسائهم وسلعهم بمثابة إتاوة لشهرة (٣٩) جلالتك، وأولادهم وبناتهم عبيد لقصرك ليطمئنوا قلبك مثل ما طمأنوا قلب «رع»، ملك الوجه القبلي والوجه البحري (وسرماعت رع مري آمون) بن «رع»: «رعسيس الثالث».

(٤٠) كلمات قالها الملك المقدس رب الأرضين، صاحب صورة «خبري» الذي خرج من جسم إله، ومن أنجبه «بتاح تاتن» سيد الأرضين (وسرامعت رع مري آمون) في حضرة (٤١) والده الذي خرج منه «تنن» والد الآلهة: إني ابنك، ولقد وضعتني على عرشك، في حين أنك أوصيت لي بحكمك، ولقد سويتني (٤٢) في صورة تشبهك؛ في حين أنك منحتني ما خلقت، وجعلتني السيد الأوحده كما كنت لتوطد مصر في (٤٣) حالتها الطبيعية، وإني أسوي الآلهة الذين خرجوا إلى الوجود من جسمك في صورهم وأجسامهم وألوانهم، وقد جهزت لهم (٤٤) مصر على حسب رغبتهم، وبنيتها بـ ... والمعابد.

وجعلت معابدك عظيمة على الجبل «سيد الحياة» (اسم لمدينة هابو) وأقامتها بكل عمل ممتاز (٤٥) فأبوابها كانت ... من الذهب الجميل، والزخرف من كل حجر شريف غالٍ، وردتها ... مثل أفق «رع» مشرق (٤٦) ... عند الفجر ... الناس عند طلعتك ... يفرحون بوجهك الجميل. وإني قد سويت صورك المقدسة (٤٧) التي تتوي في وسطها، وأمددتها بكهنة وخدم آلهة، وعبيد وحقول وماشية (٤٨) مزيدًا بذلك القرب الإلهية، ومفعمها بالهؤن. وضاعفت لك الأعياد فضلًا عما كانت عليه من قبل لأجعل محرابك في عيد ثانية (٤٩) ... لروحك، أما شحمها فقد وصل إلى عنان السماء، حتى إن الذين في السماء قد تسلموه ... (٥٠) ... الذي عملته لك ... (٥١) ... بنات أخضر نضر ... لك كل يوم. وقلبي يقدم (٥٢) ... في قوتك أي وإنك في السماء وعلى الأرض، ... (٥٣) وإنك تعطيني حكمًا رفيعًا وانتصارات عظيمة لساعدي، وعلى ذلك فإن كل البلاد تحت قدمي، ومصر ... (٥٤) ملك الوجه القبلي والوجه البحري، سيد الأرضين، حاكم مصر العظيم، وسيد كل بلد أجنبي: (وسرامعت رع مري آمون) ابن «رع» من جسمه، محبوبه، سيد التيجان: «رعسيس الثالث» معطي الحياة مثل «رع» أبدًا.

(٣) أعمال «رعمسيس»

(١-٣) ورقة «هاريس» وقيمتها

خلف «رعمسيس الثالث» للتاريخ العالمي أهم إرث مدون بالقلم على القرطاس تركه ملك في تاريخ الشرق القديم، وهو ورقة «هاريس» الأولى العظيمة التي تحدثنا عن كل حياته من البداية إلى النهاية، وما قام به من أعمال عظيمة في ميادين السياسة والدين والاقتصاد والاجتماع؛ ولذلك آثرنا أن نضع أمام القارئ ترجمة كاملة لكل محتويات هذه الوثيقة الفذة، ثم نتناولها بعد ذلك بالتحليل والإيضاحات التي تكشف عن خبايا محتوياتها، وقد ظلت مغلقة أمام الباحثين الذين فحصوها حتى زمن قريب جداً مما أدى إلى فهم حالة البلاد في عصر الفرعون «رعمسيس الثالث» بصورة خاطئة لا يمكن تصورها، ولا أدل على ذلك مما كتبه الأستاذ «جاردنر» عن أهمية هذه الورقة وما أدى إليه سوء فهمها من التورط في أخطاء تاريخية مشينة وقع فيها كل من الأستاذين «برستد» و«إرمان» ولا تزال كتب التاريخ مشحونة^(٧٩) بها، وهاك نص ما قاله «جاردنر» في هذا الصدد: ولقد كان الرأي الذي استقر عليه علماء الآثار منذ خمسة أعوام عن ورقة «هاريس الأولى»؛ النتائج التي وصل إليها في وقت واحد تقريباً كل من الأستاذين «برستد»^(٨٠) و«إرمان» منذ ثلاثين سنة قبل هذا التاريخ، ولكن في عام ١٩٣٦ ظهر في عالم التأليف مقال عن محتويات هذه الورقة سقط كالقنبلة في وسط آرائنا المتشقق عليها وهي التي كوَّناها عن هذه الورقة من قبل؛ وذلك أن كلاً من «برستد» و«إرمان» قد استمسك برأيه، وهو أنه على الرغم من أن ورقة «هاريس» الأولى تذكر بصراحة الإنعامات والهبات التي أغدقها «رعمسيس الثالث» على معابد العواصم الكبيرة، وعلى معابد الأقاليم، فإن هباته المزعومة كانت تشمل كل ممتلكات المعابد السابقة، وأن الفرعون قد أقرَّ هذه الممتلكات القديمة، وبذلك ثبت دعواه بأنه هو المنعم بها كلها.

وقد جاء المقال الذي كتبه الأثري «شادل»^(٨١) على العكس من ذلك مؤكداً بصراحة من جديد الرأي الأول القائل بأن محتويات الورقة لا يتناول إلا الإضافات التي

وهيها «رعمسيس الثالث» لضياح المعابد. وإذا كان هذا الرأي هو الصحيح فإن هذه الوثيقة لا يمكن أن تُستخدم بوجهة النظر التي استخدمها فيها كل من «برستد» و«إرمان» وهي تقدير مجموع ثروة الكهنة. وإني أرغب في أن أضع رأيي كتابة، وهو أن «شادل» قد برهن تمامًا على وجهة نظره، ولو نظرنا إلى الوراء فيما كُتب عن هذه الورقة لوجدنا أنه من الصعب علينا أن نتصور كيف أن الرأي المناقض لما قرره «شادل» قد بقي سائدًا مدة طويلة كهذه.

وعلى الرغم من ذلك نجد أن «شادل» نفسه في بعض تفاصيل هامة لم يكن في مقدوره أن يتخلص من أغلاط بينة شارك فيها سلفيه «برستد» و«إرمان»؛ وذلك أن أقسام الورقة الرئيسية تشمل فصلًا مخصصًا للهبات السنوية التي كانت تُقدم للمعابد من أتباعها خلال الإحدى والثلاثين سنة التي حكمها هذا الفرعون. والجزء الرئيسي من هذه الفصول يحتوي على مواد منفصلة - مثل المعادن والأدوات والحيوانات الخ - مشفوعة بأرقام تدل على المقادير والأعداد. وهذا الجزء الرئيسي مسبوق في أربع حالات من بين خمس بعنوان افتتاحي يختلف قليلًا في الشكل عن كل من هذه الحالات الأربع الأخرى. وهاك ترجمة لأكمل عنوان من بين هذه العناوين، وهو الذي يتصدر المواد في القسم المخصص لمدينة «طيبة»: ^(٨٢) السلع والضرائب وإنتاج الناس، وكل التابعين لقصر الفرعون (وسمرامت رع مري آمون) في ضيعة «آمون» ^(٨٣) في الأقاليم الجنوبية والشمالية التي تحت إدارة «رعمسيس الثالث» المتحد في السرور في ضيعة «آمون» ^(٨٤) التابعة «لإبت» (الأقصر) ولمعبد «رعمسيس» حاكم «هيلوبوليس» في ضيعة «خنسو» ^(٨٥) وخمسة القطعان من الماشية التي حُفظت لأجل هذا البيت (أي كل ضيعة آمون ملك الآلهة) وهي التي (أي السلع والجزية والحصول) وضعها الملك «وسمرامت رع» الإله الأكبر بمثابة هبة في خزائهم ومخازنهم، وشون غلالهم منحة سنوية. ^(٨٦)

وإذا نظرنا إلى معالجة «إرمان» لهذا الموضوع وجدناها من الغرابة بمكان، إذ إنه لما فحص الأرقام المتصلة بالمواد المختلفة وجد أنها عالية، فقفر في استنباطه إلى أنها تمثل

مجموع المنح التي قُدمت في خلال مدة حكم هذا الفرعون^(٨٧) كلها، وعلى ذلك قسمها واحداً وثلاثين جزءاً؛ لكي يثبت متوسط الدخل السنوي.

وعلى أية حال فإن الأرقام التي حصل عليها بهذه الكيفية كانت منخفضة أكثر مما يجب أن يكون بالنسبة لإيرادات كل سنة، ولذلك نجد أن «إرمان» عاد فقال: إنها لم تكن الواردات السنوية الكاملة التي كان يؤتى بها من هذا المصدر، بل إنها ضرائب ثانوية فقط. ويكفي ما لحصناه هنا من هذا الطراز من البحث للكشف عن نقط الضعف التي تشوب البحوث السالفة. والواقع أنه في مقدورنا تقديم البراهين القوية لإظهار أن هذه الأرقام لا تضع أمامنا إلا الواردات السنوية لا وارد كل مدة حكم هذا الفرعون، ومن جهة أخرى نجد أن هذه الأرقام السنوية ليست في ذاتها عالية.

(أ) مقدمة

هذه لمحة عن أهمية هذه الورقة كما قدمها لنا الأستاذ «جاردنر». والآن سنتكلم عن الورقة نفسها، وعن المكان الذي وُجدت فيه، والظروف التي أحاطت بها. وكذلك سندكر موجزاً بسيطاً عن محتوياتها حتى يتسنى للقارئ تتبع المتن الذي سنورده بعد.

إن الوثيقة التي نطلق عليها في أيامنا «ورقة هاريس» العظيمة، أو «ورقة هاريس» الأولى تُعد من أهم المصادر التاريخية في الأسرة العشرين؛ إذ الواقع أنها تلقي كثيراً من الضوء على المسائل الاقتصادية والدينية الخاصة بهذا العصر، وكذلك توضح لنا نظام إدارة المعابد، والأحداث التاريخية بصورة جلية، وقد كتب عنها الباحثون على مختلف أنواعهم؛ فتناولوا كل المتن أو بعضه، كلٌّ على حسب ميوله.

وقد كان أهم موضوع فيها قتله الأثريون والمؤرخون فحصاً واستقصاء هو الجزء الخاص بملخص تاريخ هذه الفترة، وقد أظهر الباحثون في بحثه براعة حتى أصبح وليس فيه زيادة لمستزيد.

وقد كُتبت هذه الورقة بخط غاية في الوضوح؛ مما جعلها من هذه الناحية تمتاز على

أثرها في جودة الخط وحسن تنسيقه، من بين ما نشاهده في الأوراق المخطوطة بالخط الهيراطيقي في عصر «الرعامة». وقد ذكر لنا الأستاذ «إرمان» عدد الكتاب الذين اشتركوا في تدوينها، وأظهر أن المتن قد أُلّف من عدة أجزاء رُكبت معًا في وثيقة واحدة يبلغ طولها أربعين مترًا وخمسة سنتيمترات، وعرضها اثنين وأربعين سنتيمترًا ونصف سنتيمتر. وقد قطعها مشتريها المستر «هاريس» تسعًا وسبعين صفحة، ونشرها الأثري «برش» الأمين «بالمتحف البريطاني». ومن ثم أصبح يُشار إلى صحائفها بهذه الكيفية.

(ب) المكان الذي وُجدت فيه هذه الورقة

عُثر على هذه الورقة عام ١٨٥٥ ميلادية مع أربع إضمامات أخرى من البردي في مكان ما بالقرب من معبد «الدير البحري». وقد وصلت إلى يد أحد تجار الآثار في نفس الوقت، واشتراها منه في العام نفسه المستر «هاريس» الإنجليزي الأصل، وأول مذكرة وصلتنا عن هذه الورقة كانت عام ١٨٥٨م؛ أي بعد بيعها بثلاث سنوات.

والواقع أنه منذ أن كتب الأستاذ «إرمان» مقاله الممتع عن «ورقة هاريس» نجد أنه ظهرت كتابات عن المكان الذي وُجدت فيه هذه الورقة تدل على سوء فهم، حتى أصبح لا يمكن الأخذ بما جاء فيها؛ ولذلك يجب فحص المكان الذي وُجدت فيه الورقة على ضوء المعلومات التي وصلت إلينا عنه.

والمعلومات المكتوبة التي في متناولنا عن هذه الورقة يظهر أنها تنحصر في المذكرة التي كُتبت عنها عام ١٨٥٨م، أي بعد ثلاث سنين من شرائها. وقد نشر بعضها أو كلها الأثري «برش» عام ١٨٧٦م عندما نشر محتويات الورقة في مجلد ضخّم. ومما يؤسف له جد الأسف أن الأثري «استروف» الروسي لم يفهم كنه هذا التقرير الذي كتبه «برش» وهو في مجموعه يتفق مع ما كتبه «أيزنهاور» عام ١٨٧٢؛ وقد كتب الأخير ترجمته بالألمانية فقط، ولما لم يكن في متناولنا أحسن من هذا المختصر فإننا سنضعه أمام القارئ بعض التصرف كما يقول «بورخارت»:^(٨٨) يقع المكان الذي وُجدت فيه هذه الورقة

خلف معبد مدينة «هابو» في الوادي المؤدي إلى «دير المدينة» على مسافة خمس وعشرين ومائتي خطوة على التل الواقع في الركن الشمالي الشرقي من سور معبد «دير المدينة»، وعند سفح التل الجنوبي للوادي على مسافة عشرين قدمًا من سطح الأرض توجد حفرة في الصخر مملوءة بالموميات، غير أنها لم تكن قد فُتحت للمرة الأولى كما تدل شواهد الأحوال؛ إذ كانت الموميات قد مُزقت في الأزمان القديمة إربًا إربًا. وقد وُجد في هذه الحفرة تحت هذه الموميات الممزقة ثغرة صغيرة في الصخر تشمل إضمامات من البردي موضوعة معًا. وقد كانت هذه الثغرة مغطاة بقطع الخزف المختلطة بالطين والأثرية. ولم يوجد في الحفرة إلا بعض ملابس الموميات وعظامها. وهذا المكان - على ما يظهر - لا بد أنه كانت قد أُقيمت فيه مقابر خشنة الصنع، غير أنها قد هُدمت ولم يوجد ما يدل عليها غير لبنة واحدة محتومة.

ويتساءل الإنسان: هل كُتب هذا التقرير في نفس المكان الذي وُجدت فيه هذه البردية وغيرها؟ أم كُتب بعد ثلاثة أعوام في الإسكندرية في مسكن المستر «هاريس» أي عندما اشترى هذه الأوراق؟ ويُجيب للباحث أن المعلومات التي جاءت في هذا التقرير تدل على أن التقرير قد وُجد في نفس المكان الذي وُجدت فيه هذه الأوراق؛ لما جاء فيه من دقة الملاحظة وتحديد المسافات.

وبدل الموقع الطبوغرافي الذي وُصف في التقرير على أن هذا المكان يقع في الجنوب والجنوب الغربي بين المقابر التي في الوادي الذي يقع فيه «دير المدينة»، أو في أحد المنازل التي كانت تُبنى باللبن في «قرية العمال» المعروفة وقتئذ. وهذه المنازل التي كان يسكنها الموظفون أو العمال التي كانت تُستعمل فيما بعد للدفن بالجملة، وقد كانت تُحفظ في مثل هذه البيوت الأوراق التي يملكها السكان الأقدمون كالوثائق الخاصة بسرقة المقابر وغيرها، ومن بين هذه ورقة «رعسيس الثالث» المعروفة بـ «ورقة هاريس». وعلى ذلك فليس هناك ما يدعو إلى عدم إمكان وجود أوراق مثل هذه في هذا المكان.

والسؤال الثاني هو: من الذي أمر بتأليف ورقة «رعسيس الثالث» الكبيرة

المعروفة بورقة «هاريس» الأولى؟

وقد أجاب على هذا السؤال الأستاذ «إرمان» بقوله: إنها كتبت بعد موت «رعمسيس الثالث» وأرخت بيوم وفاته. أما «استروف» فيقول: إنها كتبت في عهد «رعمسيس الرابع»^(٨٩) لمعاودة الكهنة. ويقول «شري»: إن هذه الورقة قد كتبت بخطوط مختلفة؛ مما يدل على أنها لم تُكتب كلها في تاريخ واحد.^(٩٠) أما «بوخارت» فله رأي مغاير لكل من سبقوه؛ إذ يقول: إن هؤلاء الباحثين - على ما يظهر - قد غاب عنهم شيء صغير يحتاج إلى دقة ملاحظة، وذلك أن تاريخ الورقة قد وُضع بعد الفراغ من كتابة أجزائها المختلفة؛ إذ يُلاحظ في الجزء الأول من الصفحة الأولى بوضوح أن التاريخ الذي كان سيُوضع للورقة عامة لم يكن محددًا؛ ولذلك تُركت له مسافة كبيرة خالية، فكان يُحتمل أن يكون اليوم التاسع والعشرين من الشهر، وعلى ذلك كان من الضروري أن يشغل حيزًا كبيرًا، فترك له - على هذا الزعم - مسافة كبيرة. ولكن وجدنا أن التاريخ الذي استقر عليه الرأي نهائيًا لم يشغل الحيز الذي ترك لتدوينه فيه، وكان صغيرًا وترك الباقي خاليًا (انظر فصل أعمال رعمسيس)، فإذا كانت نسخة الوثيقة النهائية قد بُدئ في كتابتها بعد موت «رعمسيس الثالث» كما يظن البعض فإنه لم يكن هناك داعٍ لترك مسافة أكبر من اللازم لوضع التاريخ فيها.

وتدل شواهد الأحوال على أن النسخة النهائية لهذه الوثيقة قد بُدئ في كتابتها في مرض الفرعون الأخير، وأن هذا التاريخ الذي على الصفحة الأولى هو يوم وفاته، وقد وُضع بعد مماته مباشرة. أما الأجزاء المكتوبة بخط مغاير - وهي التي يُشاهد فيها «رعمسيس الثالث» يدعو الآلهة من أجل خلفه «رعمسيس الرابع» - فمن الجائز أنها تكون قد كتبت في عيده الثلاثيني عندما كان ابنه يُشاركه فعلاً في حكم البلاد.^(٩١)

(ج) محتويات ورقة «هاريس»

تألف ورقة «هاريس» من مقدمة، ثم الكلام عن «طيبة» ومعابدها الخاصة بالإله

«آمون»، ثم عن «هليوبوليس» ومعابدها الخاصة بالإله «رع»، و«منف» ومعابدها الخاصة بالإله «بتاح». وأخيرًا المعابد الصغيرة المختلفة، ثم ملخص. وتُختَم الورقة بالجزء التاريخي الخاص بالأحداث العظيمة التي وقعت في عهد الفرعون «رعمسيس الثالث». وستتبع في ترجمة هذه الوثيقة الطبعة التي نشرها حديثًا «إركسن».^(٩٢)

صفحة ١

مقدمة

(١) السنة الثانية والثلاثون، الشهر الثالث من فصل الصيف، اليوم السادس في عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسرماعت رع مري آمون» له الحياة والفلاح والصحة ابن «رع» «رعمسيس حق اون» (حاكم «هليوبوليس») له الحياة والفلاح والصحة - محبوب كل الآلهة والإلهات. (٢) الملك المشرق في التاج الأبيض مثل «أوزير» الحاكم، مضيء العالم السفلي مثل «آتوم» سيد عرش البيت العظيم في قلب الأرض المقدسة (الجبانة)، المخترق الأبدية بوصفه ملك العالم السفلي، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسرماعت رع مري آمون» ابن «رع» «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» الإله العظيم يقول (٣) مادًا ومتعبدًا ومشيًا على النعم، والأعمال الجليلة العدة التي عملها بوصفه ملكًا على الأرض وهي:

آلهة طيبة: بيت والده الفاخر «آمون رع» ملك الآلهة و«موت» (٤) و«خنسو» وكل آلهة «طيبة».

آلهة «هليوبوليس»: بيت والده الفاخر «آتوم» رب الأرضين الهليوبوليتي و«رع حوراخي» والإلهة «أوس عاست» سيدة «حتب» وكل آلهة «عين شمس».

آلهة «منف»: بيت والده الفاخر «بتاح» (٥) العظيم القاطن جنوبي جداره رب «عنخ تاوي»، و«سخمت» العظيمة محبوبة «بتاح» و«نفرتم» حامي الأرضين، وكل آلهة «منف».

كل الآلهة: والآلهة الأجلاء، وكل آلهة وإلهات الجنوب والشمال (٦).

الناس: وكذلك كل الإنعامات الجميلة التي عملها لأهل أرض مصر، وكل بلاد ليجمعهم معًا ليخبروا الآباء (٧) كل آلهة وإلهات الجنوب والشمال، وكل القوم من أغنياء وعامة وأهل الشمس (البشر) بالإنعامات العدة والأعمال العظيمة الكثيرة (٨) التي قام بها على الأرض عندما كان حاكمًا عظيمًا على مصر.

هذه المقدمة تشمل رءوس الفقرات الخمس التي تتألف منها هذه الورقة، وبعبارة أخرى تلخص لنا هذه المقدمة الأعمال الجليلة التي أسداها «رعمسيس» لكل من الآلهة الثلاثة العظام وأسرههم الذين كانت عبادتهم سائدة في طول البلاد وعرضها. وقد ذكرهم على حسب مكانتهم، فابتدأ بالإله «آمون» رب «طيبة» وكان أعظم الآلهة شأنًا في مصر وإمبراطوريتها، وذكر معه زوجه «موت» وابنه «خنسو» ومن هؤلاء الثلاثة يتألف ثالوث «طيبة».

ثم ذكر الإله «آتوم» رب «هليوبوليس» وهو أقدم آلهة هذه الجهة، وشفعه بالإله «حوراختي» ثم الإلهة «أوس ساعت» سيدة «حنب» (واللفظة الأخيرة «حنب» تدل على مكان في هليوبوليس) والإلهة «أوس عاست» قد تعني هنا الإلهة «حتحور» ومن هؤلاء الآلهة الثلاثة يتألف ثالوث «عين شمس».

وتذكر لنا المقدمة بعد ذلك بيت الإله «بتاح» العظيم القاطن جنوبي جداره - أي جنوبي معبده القائم في «منف» - ومعه زوجه «سخمت» إلهة القوة والحرب وابنها «نفرتم» ومن هؤلاء يتألف ثالوث «منف» العظيم.

ثم يذكر لنا «رعمسيس» ما قام به من أعمال عظيمة للآلهة الآخرين في شمال البلاد وجنوبها، وكذلك ما أسداه للبلاد الأخرى من إنعامات عديدة، وأعمال جليلة ليكون ذلك بمثابة شاهد عدل على حسن صنيعه وجميل صفاته، عندما كان حاكمًا على الأرض مدة حكمه التي دامت اثنين وثلاثين عامًا.

وهكذا نرى من هذه المقدمة أن «رعمسيس الثالث» كان حريصاً كل الحرص على تخليد حسن الأحداث والسمعة الطيبة في الحياة الدنيا والآخرة، فكان يحرص على أن يكون مضيئاً مثل إله الشمس «آتوم» في العالم السفلي عندما كان يخترقه مثله كل يوم عند الغروب ليعود إلى الحياة الدنيا ويشرق عليها، ويرى عن كثب ما تركه من أعمال جليلة للآلهة والناس أجمعين.

القسم الخاص «بطيبة»

مقدمة: يجب علينا قبل ترجمة القسم الخاص بمعابد الآلهة الثلاثة وهم: «آمون» و«رع» و«بتاح» في ورقة «هاريس» أن نتحقق من أسماء المعابد التي أضافها «رعمسيس الثالث»، وبذلك يمكن فصل الأملاك المستجدة في عهد هذا الفرعون من الأملاك القديمة التي كانت تملكها الآلهة قبل عهده، وبمذه الكيفية يمكننا أن نصل إلى تكوين صورة واضحة عن الزيادة في الأوقاف والمباني التي أقامها ووهبها هذا الفرعون كهنة كل إله من هذه الآلهة الثلاثة، وسنبداً بالمعابد التي زادها «رعمسيس الثالث» لآلهة «طيبة» وبخاصة الإله «آمون رع». ولا نزاع في أن المواد الأثرية التي كُشفت حتى الآن قد سهلت علينا تحديد المعابد التي أضافها «رعمسيس الثالث» للإله «آمون» وأسرته كما جاءت في ورقة «هاريس» (راجع ورقة هاريس من ص ٣-٢٢).

وقد جاء ذكر المعابد الطيبية وأسمائها في ثلاثة مواضع مختلفة من هذه الورقة وهي:

(١) المقدمة: ص ٣ سطر ٩.

(٢) القائمة الأولى: ص ١٠ سطر ١١.

(٣) القائمة الثانية: ص ١٢ أ، ١٢ ب.

وقد ناقش الأستاذ «برستد» هذا الموضوع^(٩٣) وبدأ كلامه بقوله: إن القائمة الأولى والمقدمة يحتوي كل منهما على ممتلكات الإله «آمون»، وأنهما ليست مجرد أوقاف

جديدة، وعلى هذا الأساس بدأ يفحص محتويات هذا الجزء من الورقة عن أسماء المعابد الكبيرة المعروفة، وقد جمع أسماء المعابد المذكورة فيه،^(٩٤) وقال: إن معبد «آمون» الكبير هو - «وسرماعت رع» محبوب «آمون» في ضيعة «آمون» - قد جاء ذكره بهذا الاسم (راجع «هاريس» ٥-٧) في حين أن معبد الأقصر الخاص بالإله «آمون» لم يُذكر، ويقول كذلك إنه قد ذُكر في القائمة الأولى معبد الأقصر باسم معبد «رعمسيس الثالث» في ضيعة «آمون» (راجع هاريس ١٠-٥)؛ وعلى ذلك لا يكون لمعبد آمون الكبير - أي معبد الدولة - عبيد كما يعتقد «برستد»،^(٩٥) وأن عبيده كانوا ضمن عبيد معبد مدينة «هابو» الذي أقامه «رعمسيس الثالث». ولكن لا يكاد يوجد لدينا أي سبب يخول ذكر معبد صغير كالذي جاء ذكره في «هاريس» ص ١٠-٦، وينفرد بالذكر مع العلم بأن الرعايا التابعين لخدمته لا يزيدون على تسع وسبعين نسمة. والواقع أن هذا المعبد كما سنرى بعد «لرعمسيس الثالث» وقد أقامه في الأقصر.

وبدل ما جاء في ورقة «فلبور» على أن معبد الكرنك من عهد الفرعون «رعمسيس الخامس» كانت أملاكه مستقلة تحت إدارة منفردة؛ ولذلك يقول الأستاذ «جاردنر» الذي فحص هذه الورقة: إنه لمن الأمور الهامة جدًا أن يجد الإنسان معبد «الكرنك» يلعب دورًا بارزًا بوصفه مؤسسة تملك أطيافًا خاصة قائمة بذاتها تمتد شمالًا حتى جوار «أهناسية» المدينة وبخاصة عندما نعرف أن «برستد» قد طلع علينا بالنظرية القائلة إنه في عهد «رعمسيس الثالث» كانت أملاك وإدارة معبد «الكرنك» مختلطة بأملاك وإدارة معبد الفرعون نفسه في مدينة «هابو». وهذا الاستنباط مما جاء في ورقة هاريس قد عارضه «شادل» منذ بضع سنوات مضت، غير أن البراهين التي دلل بها «شادل» ضئيلة، وإنه لمن المهم أن يكون في استطاعتنا أن نعصد رأي «شادل» بمادة جديدة (راجع Gardiner Wilbour Pap. II, p. ١١).

وكذلك نلاحظ أن «برستد» لا يفرق بين اسم الملك وبين لقبه عند استعمالهما في أسماء المعابد، فنجد مثلاً يسمي معبد «الكرنك» الصغير مرة باسم «معبد رعمسيس

الثالث في ضيعة آمون»^(٩٦) ومرة أخرى يسميه «معبد وسرماعت رع محبوب آمون في ضيعة آمون»^(٩٧).

والواقع أن هذا الاستعمال خاطئ، ولا بد من ملاحظة الفرق بين استعمال اسم «رعمسيس الثالث» واستعمال لقبه في مسميات المعابد، فالمعبد المسمى باسمه لا يدل إلا على اسم المعبد المسمى به، والمعبد المسمى بلقبه لا يدل إلا على اسم المعبد المسمى بلقبه وحسب. وعلى هذا الأساس يمكن تمييز أسماء المعابد بسهولة، وكذلك يمكن استخلاص نتيجة من الأجزاء الثلاثة التي يحتويها القسم الخاص «بطيبة» في ورقة «هاريس» وهي التي ذكر فيها أسماء معابد «آمون» على مختلف أنواعها، وبهذه الكيفية يمكننا الوصول إلى أن ما استنبطه الأستاذ «برستد» عن أسماء المعابد خاطئ من أساسه.

ولكن الأستاذ «جاردنر»^(٩٨) قد ذكر لنا أنه في النقوش الداخلية في معبد مدينة «هابو» يوجد اسم حصن على الحدود الغربية أقامه «رعمسيس الثالث» للدفاع عن البلاد من هجمات اللوبيين، وقد كُتب اسم هذا الحصن في مكانين مختلفين، فكتب في إحدهما باسم «رعمسيس الثالث» وفي الآخر بلقبه «وسرماعت رع محبوب آمون»، وهذا يناقض الرأي الذي أدلى به «شادل» لأول وهلة، أي إن كلاً منهما لا بد أنه يطلق على مكان خاص به، ولا نزاع في أنه يبدو من الصعب وجود حل لهذه الظاهرة، وعلى ذلك لا بد أن يفرض الإنسان في هذه الحالة أن اسم الحصن قد تغير بتغير الظروف كما يحدث في أيامنا هذه.

والواقع على ما يظهر أن اسم الحصن كان يُسمى في نهاية الانتصار الذي أحرزه «رعمسيس الثالث» في حروبه الأولى مع لوبيا «بلدة» «وسرماعت رع محبوب آمون» الذي صد اللوبيين». وقد ظن «برستد» بحق أن هذا الحصن قد أُقيم في نهاية هذه الحروب الأولى ليكون حماية للبلاد المصرية^(٩٩)، ولكن لدينا صورة أخرى عن الحروب الثانية التي شنها هذا الفرعون على اللوبيين في السنة الحادية عشرة من حكمه أيضاً ويظهر فيها هذا الفرعون في ساحة القتال في موقعة وقعت بين حصنين، واحد منهما

يُدعى «وسرماعت رع محبوب آمون» ويُفسر بأنه هو المكان الذي يقع على قرن تل الأرض.

هذا ونشاهد أخيراً اسم نفس هذا المكان مرة أخرى، ويمثل الحروب التي وقعت أمام الحصن، واسمه هو «رعمسيس الثالث» وهو المكان الذي على تل قرن الأرض. وقد كُتب نفس الاسم على نفس الصورة، غير أن النقوش مهشمة بعض الشيء، وقد رسم «شادل» قطاعاً لمعبد مدينة «هابو» ويُن عليه الأماكن التي كُتب عليها اسم هذا الحصن مكرراً ثلاث مرات. ولا نزاع في أن الاسم الأصلي لهذا الحصن هو: «وسرماعت رع مري آمون» أي الاسم الذي ذُكر في حروب «رعمسيس الثالث» الأولى مع اللوبيين، وعندما أريد نقش الجانب الداخلي من البوابة الأولى كانت الحامية لا تزال تحمل اسمها القديم، وفيما بعد عندما أُريد نقش الجدار الشمالي الواقع بين البوابتين في مدينة «هابو» كان قد فكر في تغيير اسم هذا الحصن وقد حدث فعلاً. وإذا كان هذا الجزء الأخير من المعبد هو آخر جزء زُين فيه فإن ذلك يؤيد الرأي القائل بأن الحروب السورية التي وقعت بين مصر والآسيويين قد جاءت بعد الحروب التي شنها «رعمسيس الثالث» على اللوبيين في السنة الحادية عشرة من حكمه؛ وذلك لأننا لا نرى في داخل الردهة الأولى من معبد مدينة «هابو» إلا صور الحروب اللوبية الثانية. وقد أدلى الأستاذ «برستد» بهذا الرأي (راجع Br. A. R. IV, § ١٣٣)، وهو رأي صائب، ولكن من جهة أخرى يجد المؤرخ صعوبة في تعليل مثل هذه التغيرات في كتابة اسم هذا الحصن. ويقول «شادل» في تعليل ذلك (راجع Schaedel, Ibid p. ١٩) أنه قد ذكر «ورقة هاريس» (في ه ٥١ أ) سطر ٥) اسم مكان يقع على الشاطئ الغربي للنيل على مقربة من «نقراش» وهو بناء جديد أقامه «رعمسيس الثالث» على ما يظهر بعد السنة العاشرة من حكمه في وقت السلم، وقد سُمي هذا المكان بلقب الفرعون «وسرماعت رع مري آمون» مما جعله يختلط باسم الحصن الواقع على الحدود الغربية السالف الذكر؛ ولذلك فإنه تحاشياً لذلك غير اسم الحصن وجعله باسمه «رعمسيس الثالث» لا بلقبه كما كان من قبل.

والواقع الذي لا مراء فيه أن هذا التغيير قد حدث في الوقت الذي كان يُنقش الجانب الداخلي من البوابة الأولى - أي الاسم الثاني - والجدار الخارجي الشمالي؛ وذلك لأنه لا يعقل أن مكاناً واحداً يمكن أن يكون له اسمان في وقت واحد، ويعتقد «جاردنر» (١٩٧JEA, v, P.) أن اسم المكان المركب من لقب «رعمسيس الثاني»: «وسرماعت رع ستين رع» يُحتمل أن يكون هو اسم مقر الرعامسة: «بررعمسيس مري آمون» غير أن البراهين المثبتة لذلك ليست مشجعة على استنباط مثل هذه النتيجة لتغير الاسمين في الشكل كما ذكرت من قبل. ففي ورقة «انستاسي» رقم ٨ يوجد اسم مكان مكتوب بالاسم الأول «لرعمسيس الثاني» (٣٤ Ibid No.)، وكذلك كُتب اسم مكان آخر بلقبه (أو اسمه الثاني) (راجع ٣٥ Ibid No.)، ولا يمكن أن يكون الاسم في الحالتين واحداً؛ ولذلك يظن «شادل» أن الاسم الثاني وهو «وسرماعت رع ستين رع مري آمون» اسم قلعة أقامها «رعمسيس الثاني» بالقرب من العاصمة.

وفيما يلي سلسلة أسماء المعابد التي ذُكرت في مقدمة «ورقة هاريس» خاصة بالإله «آمون» وأسرته:

(١) معبد ملايين السنين السامي: وهو الاسم الذي يُطلق على معبد «رعمسيس الثالث» الجنائزي في مدينة «هابو» والقصر التابع له (راجع ١١/هـ / ٤/ الخ)، وقد كُتب اسم هذا المعبد في مرسوم الأوقاف في مقدمة تقويم الأعياد المنقوش على جدران معبد مدينة «هابو» بصورة مفصلة هكذا: معبد ملايين السنين لملك الوجهين القبلي والبحري «وسرماعت رع مري آمون» الموحد مع الأبدية في ضيعة «آمون» (راجع Mdeinet Habu ١٤٠ Festkalender ٥٥, ٥٦).

وهذا ينطبق على الاسم الذي جاء في ورقة «هاريس» (١٠/٣/هـ) وهو معبد ملك الوجهين القبلي والبحري «وسرماعت رع مري آمون في ضيعة آمون».

وقد بقي اسم معبد «مدينة هابو» يُذكر حتى نهاية الأسرة العشرين؛ فنجدته في ورقة «أبوت» التي دُونت في السنة السادسة عشرة من حكم «رعمسيس التاسع»، ففي

هذا المثن نجد رعايا من معبد مدينة «هابو» مذكورين وكانوا تحت سلطان الكاهن الأكبر «لامون» المسمى «امنتب» (راجع Abbot, ١٣, ١٤)، وإذا قرنا ما جاء في هذه الورقة بما جاء في ورقة «هاريس» (١٠/٣/هـ) نجد أن الإدارة قد تغيرت؛ وذلك أنه في عهد «رعمسيس الثالث» كان معبده الجنائزي ضمن إدارة ممتلكاته تحت سلطان جماعة من كبار الموظفين. ويرى «شادل» أنه بعد وفاة «رعمسيس الثالث» كانت إدارة كل من معبد «رعمسيس الثالث» الجنائزي في مدينة «هابو» ومعبد «آمون» العظيم تحت إدارة واحدة عامة (Schaedel Ibid p. ٢٢) كما كان معبد الأقصر الصغير (١٠/٦/هـ) منذ البداية تحت إدارة الكاهن الأكبر «لامون». والواقع أن مركز إدارة جبانة «طيبة» كان في نهاية الأسرة العشرين في معبد مدينة «هابو» كما يظهر ذلك من ورقة سرقة المقابر (راجع Peet, The Great Tomb Robberies of the Twentieth Dy. I, p. ٣٧).

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن التعبير «ملايين السنين» الذي استعمل في اسم معبد مدينة «هابو» (٣/١١/هـ) كان يستعمله المصري صفة لكل المعابد الجنائزية الملكية المقامة على الضفة اليمنى للنيل (راجع Schaedel, Ibid p. ٢٢).

(٢) معبد «رعمسيس الثالث» في ضيعة «آمون»: وهذا الاسم يُطلق على المعبد الصغير الذي أقامه «رعمسيس الثالث» في الكرنك. وقد اعتقد الأستاذ «برستد» أن اسم المعبد الكبير والصغير واحد (Note A ١٩٥ Br. A. RIV, §)، غير أن هذا الرأي خاطئ؛ لأنه ذكر في ورقة «هاريس» (٥/٧/هـ) باسم «وسرماعت رع مري آمون» وليس كما ذكر هنا باسم «معبد رعمسيس الثالث في ضيعة آمون»، يُضاف إلى ذلك أن ورقة «هاريس» تذكر صراحة (٥/٤/هـ) أن «معبد رعمسيس الثالث في ضيعة آمون» في مدينتك «طيبة» المقابل لردتهك يا رب الآلهة، أي إن هذا المبنى يقع بالقرب من معبد الكرنك الكبير، وقد ذكر اسم هذا المعبد في ورقة «هاريس» بهذا الاسم (راجع ١٢/١٠/هـ، ١٢ (١) ٢).

(٣) معبد «رعمسيس الثالث» الذي يتحد مع السرور في الكرنك (٥/٦/١٥ الح): هذا معبد صغير أقامه «رعمسيس الثالث» في «الأقصر» ويتضح هذا من فحص الفقرة التي ذُكر فيها، فقد جاء بعد هذا الاسم ما يأتي: لقد جعلت الأقصر في عيد لك بالآثار العظيمة، فقد أقيمت لك هناك معبدًا مثل مقام رب الكل.

ويتضح من ذلك بطبيعة الحال أن الملك يشير هنا إلى إقامة مبنى جديد للإله «آمون». والجزء الأول من الجملة السابقة يدل على أن لها علاقات بمد أجل عيد الأقصر «أبت». والواقع أنه قد جاء صراحة في ورقة «هاريس» (١٧/٥) (١/٥) أن «رعمسيس الثالث» قد مد عيد الأقصر إلى سبعة عشر يومًا، وهذا العيد الذي كان يقتصر في عهد «تحتمس الثالث» على أحد عشر يومًا فقط قد زيد في مدة انعقاده عدة مرات (راجع Wolf, Das School Fest Von opet Leipzig ١٩٣١ p. ٧١). هذا ولدينا عن صحة اسم هذا المعبد شاهد آخر؛ إذ قد عُثر على لوحة «لرعمسيس الثالث» في معبد الأقصر الكبير استعملت في الأزمان المتأخرة سنادًا لتمثال «رعمسيس الثاني» (راجع Rec. Trav. ١٦ p. ٥٥ f) وكان يُسمى عليها هذا المعبد في متن مهشم: (الملك) ... الذي ضاعف قربانه في الأقصر ... والذي أقام بيتًا في الأقصر على يمين والده «آمون رع» السامي الذي يسيطر على حريمه لأنه يأوي إليه كل عشرة أيام ... (ويسمى هنا العيد) ... وهو مكان لذهاب سيد الآلهة لعيد الأقصر الجميل.

وفي هذا المتن - على ما يظهر - برهان على وجود هذا المعبد في الأقصر. ومن الغريب أن «برستد» قد ذكر لنا هذه اللوحة (Br. A. R. IV. § ١٧٦) ويقول: إن «رعمسيس الثالث» قد بنى محرابًا على جانب النهر في معبد الأقصر غير أنه مع ذلك لم يستتبط أن المبنى الذي ذكره في ورقة «هاريس» هو هذا المحراب. ولا نزاع في أنه كان «لرعمسيس الثالث» نشاط هندسي في معبد الأقصر يدل على ذلك نقش تركه لنا يتحدث فيه عن تجديد مبانٍ وقد نقشه على الجدار الخارجي خلف معبد الأقصر وهذا

النقش هو: تجديد الأثر الذي عمله «رعمسيس الثالث» في معبد والده «آمون رع».

وتدل شواهد الأحوال على أن المبنى الذي نتحدث عنه هنا يقع بين الردهة الأمامية وبين النيل حيث نجد مكانه في أيامنا بقايا سوق رومانية. ومن المحتمل أن فكرة مد أجل عيد الأقصر على يد «رعمسيس الثالث» كانت بمناسبة إقامة هذا المعبد الصغير. ومن الطريف أن معبد «رعمسيس الثالث» في «الأقصر» له اسم يشبه في تركيبه اسم المعبد الصغير الذي نحن بصددده الآن، وهو «معبد رعمسيس الثالث الذي وحد بالأبدية».^(١٠٠) ولا غرابة في ذلك فإن «رعمسيس الثالث» كان يقلد سلفه «رعمسيس الثالث» في كل شيء.

وأمام كل هذه البراهين الواضحة عن موقع هذا المعبد نرى أن إضافة عبارة «إبت أسوت» (الكرنك) (٥/٧/هـ) إلى اسم المعبد لا تغير شيئاً؛ إذ الواقع أن أولئك الذين بحثوا هذا الموضوع من قبل قد تعثروا في فهم هذه النقطة بدون سبب ظاهر فنجد مثلاً أن الأستاذ «برستد» قد وحد هذا المعبد بالمعبد الذي يليه، وهو الذي أقامه «رعمسيس الثالث» بجوار معبد الإلهة «موت»؛ ولذلك نجده يقول في المقدمة التي كتبها عن ورقة «هاريس»: إن معبد الأقصر لم يُذكر، ومع ذلك نجده في القائمة الأولى (١٠/٥/هـ)، وأن معبد «رعمسيس الثالث» في ضيعة «آمون» يقصد به معبد الأقصر. وهذا كلام مضلل، فيجب علينا ما دمنا نجد انسجاماً في الموضوع أن نعترف بأن الاسم الذي جاء في المقدمتين الأولى والثانية من ورقة «هاريس» هو لمعبد واحد.

ولا بد أن نعلن هنا في صراحة أن صورة «آمون» صاحب «الكرنك» هي التي كانت تُحمل سنوياً إلى «الأقصر» لزيارة المعبد. وعلى ذلك فليس في وضع هذا الاسم بهذه الكيفية أي حرج.

(٤) معبد «وسرماعت رع مري آمون» في ضيعة آمون: هذا بلا شك هو اسم المعبد الصغير الذي أقامه «رعمسيس الثالث» في معبد الإلهة «موت» «بالكرنك». وبالجملة الخاصة بهذا المعبد التي ذُكرت في ورقة «هاريس» (٥/٧/هـ) تدل على ذلك

صراحة، وهي: لقد جددت مبانيك في طيبة المنتصرة بفخامة، وهي مكان راحتك الخبوب بجانب ابنتك ...

أما قول «برستد» إن اسم هذا المعبد هو اسم معبد الدولة الكبير «بالكرنك»^(١٠١) فقول مردود؛ إذ في هذه الحالة يكون لمعبد الدولة العظيم من العبيد ٩٧٠ نسمة كما جاء في ورقة «هاريس» (١٠/٣/هـ) في حين أن معبد «رعمسيس الثالث» الجنازي في مدينة «هابو» يملك ٦٢٦٢٦ نسمة. وقد لاحظ «برستد» نفسه استحالة هذه النسبة، ولذلك يقول إن اسم المعبد الذي ذكر في ورقة «هاريس» (١٠/٤، ٢/١٢) هو «معبد رعمسيس مري آمون في ضيعة آمون» لا يُطلق على معبد «آمون» الكبير، بل على معبد «آمون» الصغير^(١٠٢) غير ملاحظ أنه في هذه الحالة يكون للمعبد اسمان مختلفان، وعلى ذلك فهو يرى أن معبد «آمون» الكبير لم يُذكر في قائمة «هاريس» الأولى، وأن عبيده قد أحصوا ضمن عبيد معبد مدينة «هابو».^(١٠٣) ()

ومما لا شك فيه أنه كان بجوار معبد مدينة «هابو» وبجوار معبد «الكرنك» الكبير في هذه الأوقات أملاك كبيرة، وبوجه خاص إدارة خاصة لتدبير أمرهما. ويمكن معرفة ذلك من تقويم الأعياد رقم (٥٨) بمدينة «هابو»^(١٠٤) حيث كان معبد مدينة «هابو» في الأصل يعد مصدراً للغلال الضرورية وقد تلاشى هذا الاسم فيما بعد، وأصبح يُدعى «ضيعة آمون رع ملك الآلهة».

وعلى ذلك يكون لدينا إدارتان اقتصاديتان منفصلتان يورد إليهما القمح للأعياد، غير أن ذلك الرأي لا يمكن أن يكون على حسب ما زعمه «برستد» وهو أن عبيد المعبدتين في القائمة الأولى كانوا منضمين معاً، في حين أنه كان لكل معبد إدارة خاصة ودخل خاص، كما كانت الحال بالتأكيد في أواخر عهد الأسرة العشرين.^(١٠٥) ومن المدهش أن الإنسان عندما يلقي نظرة على اسم «معبد رعمسيس» الصغير الواقع في الجنوب لا يجده في مكانه بالنسبة لترتيب متن المقدمة في القوائم (١٠/٤، ٢/١٢) في حين أنه ذُكر في القائمتين الأولى والثانية في المكان الثاني. وإذا ألقينا نظرة فاحصة على

القائمة الأولى وجدنا أن المعابد لم تُرتب على حسب ضخامتها، ومن المحتمل جدًا أن الكاتب قد عمل هذا التغيير على حسب اسم الفرعون ولقبه، فنجد أنه كُتب في رأس القائمة اسم معبد مدينة «هابو» وهو الذي رُكبت عناصره باسم الملك «رعمسيس الثالث» ثم دُوّن في القائمة في المكان الثاني المعابد التي رُكبت عناصرها بلقب هذا الفرعون وهو: «وسرماعت رع مري آمو»، وقد نتج عن ذلك أن المعبدتين اللذين كُتبا باسم «رعمسيس الثالث» وهما اللذان يتبعهما القطعان المختلفة لم يُلاحظ في كتابتهما تبادل الاسمين لأسباب غامضة.

ولن نكون بعيدين عن جادة الصواب إذا قلنا: إن هذا المعبد الذي أقامه «رعمسيس الثالث» في معبد «موت» «بالكرنك» قد أُهدي للإله «آمون» وقد هُشِمَ قَسِيمًا ذريعًا، ومع ذلك نجد في القطع المنقوشة الباقية ما يشير إلى أصله، فقد جاء على بعضها عن الملك ما يأتي: «الممتاز بالآثار، بالعمل الأبدي في معبد والده سيد الآلهة.» (١٠٦)

(٥) معبد الكرنك الكبير (هـ/١٠ - ١٢/٧): إن الفترتين المقتبستين هنا في ورقة «هاريس» قد فصل كل منهما عن الكلام السابق في البردية بمسافة. مما يدل على ابتداء كلام جديد هنا. ونجد مثل هذه المسافة في نهاية السطر الثالث من الصفحة الخامسة من الورقة، أي قبل ذكر المعابد الصغيرة. ولم يُذكر لنا - على ذلك - اسم لمعبد الدولة الكبير؛ وذلك لأن «رعمسيس الثالث» لم يُصَفْ إليه مباني جديدة عظيمة، وكل ما فعله في هذا المعبد تحسينات عدة، مثال ذلك إهداء محراب من قطعة واحدة من الجرانيت (هـ/١٠)، وألواح تذكارية من المعدن (هـ/٦ الخ) وما أشبه ذلك. هذا بالإضافة إلى ضم الأوقاف التي ورثها المعبد من الملوك السابقين، وهذه الأوقاف كانت معلومة للكل، وبخاصة أن هذا المعبد كان أكبر المعابد - بقطع النظر عن معبد مدينة «هابو» - الذي كانت تندفق عليه الأرزاق.

ولا شك في أن الجملة التالية تشير - بلا نزاع - في ورقة «هاريس» (هـ/٦/٣)

إلى «معبد الكرنك»: كل مرة تشرق فيها على عرشك الفاخر في الكرنك

والأعمال التي قام بها «رعمسيس الثالث» في معبد الدولة «بالكرنك» هي:

(١) صورة «رعمسيس الثالث»: راکعاً ومعه أرواح مدينتي «ب» (بوتو) و«نخن» على جدران حجرة القربان في معبد «تحتمس الثالث» بالكرنك. (١٠٧)

(٢) وُجد في رقعة هذا المعبد صورة تمثل «رعمسيس الثالث» ومعه أسرى من اللوبيين. (١٠٨)

(٣) يُشاهد على الواجهة الشمالية من البوابة الثامنة بعض مناظر تمثل «رعمسيس الثالث» بصحبة الآلهة؛^(١٠٩) ففي منظر نشاهد «حور» و«تحت» يطهرانه، وفي آخر يتوجه الإلهان «آتوم» و«رع»، وفي ثالث يقود الإلهان «خنسو» و«موت» إلى حضرة الإله «آمون رع» وإلهة. (١١٠)

(٤) وجد في ردهة المعبد قطعة من منشور «لآمون رعمسيس الثالث». (١١١)

(٥) وُجد في الردهة التي بين البوابة التاسعة والبوابة العاشرة في الجزء الغربي مسلة صغيرة «لرعمسيس الثالث».

(٦) أقام هذا الفرعون مبنًى بالقرب من الركن الشمالي الغربي من البوابة الثالثة. (١١٢) وقد أشرنا فيما سبق إلى أنه تُوجد إدارة خاصة، وأملاك خاصة لمعبد الدولة لم تأتِ في ورقة «هاريس»، وأن هذه لم تكن من هبات «رعمسيس الثالث»، ولم يظهر اسمه في القائمة الأولى كذلك، ولا نجد فيها إلا الإنعامات الفعلية التي منحها هذا الفرعون.

(٧) معبد خنسو (١٣/٧/هـ): وقد ذُكر هذا البناء في ورقة «هاريس» كذلك في صفحة (١٠) سطر (١٣) وصفحة (١٢/أ) سطر (٣) باسم: «معبد رعمسيس في ضيعة خنسو». (١١٣) ومن المعلوم أن بناء هذا المعبد قد تم بعد موت «رعمسيس

الثالث».

وقد ذُكر في مقدمة الجزء الخاص «بطيبة»، ثم ذُكر في أملاك «آمون» بالوجه البحري (هـ/٨/٢، ١٢)؛ ففي السطر الخامس من الصفحة الثانية عشرة ذُكرت له ضيعة النبيذ (غذاء مصر)، وليس من الضروري أن نعترف هنا بأن المتن يشير إلى كرم كان ملكاً «لرعمسيس الثاني» ثم غيره «رعمسيس الثالث» باسمه، بل ينبغي أن نعلم هنا فقط أن «رعمسيس الثالث» قد أعاد ذرع أشجار الكروم من جديد، وجهزها، ونماها. ولا بد أن ذلك كان هو الواقع، وبخاصة عندما نعلم أن عهد الخراب الذي وقع بين الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين كان قد أتى على الأخضر واليابس، وفي هذه الحالة يجب علينا ألا نبحث عن ضيعة النبيذ هذه في قائمة الحقائق والحمايل التي ذُكرت في ورقة «هاريس» (هـ/١١/٦).

وأخيراً ذكرت لنا ورقة «هاريس» (هـ/٨/١٣، ٣/٩) معبدتين في بلاد أجنبية أحدهما في «كنعان»، والآخر في «بلاد النوبة»، وقد أقيما للإله «آمون». ولكن يظهر أن «رعمسيس الثالث» قد استولى عليهما باسمه؛ ولذلك لم يظهر في القائمة الأولى، حيث نجد أن كل ما جاء في الورقة ينحصر في المباني الجديدة التي أقامها هو باسمه، وقد ذكر «رعمسيس الثالث» التماثيل الجديدة التي أقامها في ورقة «هاريس» (هـ/٩/٤-٧)، والخاتمة (هـ/٩/٨-٩)، وينتهي هذا الجزء التقديمي، وبذلك أصبح لدينا صورة ظاهرة عن هذه المقدمة وهي:

(١) دعاء ... هاريس ٣، ١-٣، ١١.

(٢) المعابد الطيبية ... هاريس ٣، ١١-٨، ١.

(٣) ضياع الوجه البحري ... هاريس ٨، ٢-٨، ١٢.

(٤) الأملاك في البلاد الأجنبية ... هاريس ٨، ١٣-٩، ٣.

(٥) التماثيل ... هاريس ٩، ٤-٩، ٧.

(٦) الجمل الختامية ... هاريس ٩، ٨-٩.

وفي القائمة الأولى نجد أن المباني التي قام بها «رعمسيس الثالث» قد ذكرت معًا (١٠/هـ، ٣-٦) ومعها القطعان التي أهداها «رعمسيس الثالث» (١٠/هـ، ٧-١١)، وكذلك ذكرت مدينة «رعمسيس» (١٠/هـ-١٢)، وفي ختام هذه القائمة ذكر معبد «خنسو» الذي لم يكن قد تم ١١٤ بعد (١٠/هـ-١٣).

أما القائمة الثانية فقد ذكرت فيها المعابد التي أقامها «رعمسيس الثالث» كما جاء ذكرها بنفس التسلسل في القائمة الأولى.

وما جاء في القائمة الأولى ينحصر في المباني الجديدة التي أقامها «رعمسيس الثالث» على حسب ما حققته البراهين الأثرية والمصادر اللغوية، وكذلك لم يُذكر في هذه المقدمة إلا المحاصيل الجديدة التي أهداها هذا الفرعون. وسنرى برهانًا أكيدًا عن عدد أتباع المعابد فيما بعد.

ويمكن استخلاص النتائج الآتية من هذا الفصل:

(١) تدل المقدمة على توزيع جغرافي ظاهر لهذه المباني.

(٢) لم يُذكر إلا مباني «رعمسيس الثالث» الجديدة التي أقامها حقيقة، وهي التي ظهرت أسماءها في القائمتين الأولى والثانية.

(٣) وقد ذكرت في الأجزاء الثلاثة كلها المباني التالية «لرعمسيس الثالث» الخاصة «بطيبة» على حسب ترتيب القائمة الأولى، وهي:

(أ) معبد مدينة «هابو».

(ب) معبد «رعمسيس الثالث» في معبد الإلهة «موت».

(ج) معبد «الكرنك» الصغير.

(د) معبد «الأقصر» الصغير - ولم يثبت أثرًا بعد بصفة قاطعة.

(هـ) معبد «خنسو».

هذه نظرة عامة في محتويات الجزء الخاص «بطيبة»، وهاك ترجمته حرفيًا:

صفحة ٢

يُشاهد في مقدمة هذا القسم منظر يمثل «رعمسيس الثالث» واقفًا يتعبد أمام «ثالوث طيبة» (آمون رع - موت - خنسو)، وقد كُتب فوق «آمون»: ««آمون رع» ملك الآلهة، وسيد السماء، وحاكم طيبة.» وكُتب فوق الإلهة «موت»: ««موت» العظيمة سيدة «أشرو».» وكُتب فوق «خنسو»: ««خنسو» في طيبة «نفرحتب».» (وعبارة «نفرحتب») لقب يُطلق على «خنسو» ومعناه «الراحة الجميلة».

ما قاله الملك: إني أتحدث بالتضرعات والمدائح والصلوات والثناء والأعمال الجليلة، والإنعامات التي عملتها لك في حضرتك يا رب الآلهة.

صلاة للآلهة ويتبعها تعداد أهم المباني والهدايا. (١١٥)

صفحة ٣

مقدمة: (١) المدائح والصلوات والأعمال الجليلة، والإنعامات التي عملها لبيت والده الفاخر «آمون رع» ملك الآلهة، وللإلهة «موت» والإله «خنسو» وكل آلهة «طيبة». (٢) قال الملك «وسرماعت رع مري آمون» (له الحياة والفلاح والصحة ابن رع) «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» (له الحياة والفلاح والصحة) الإله العظيم في مديح هذا الإله والده الفاخر «آمون رع» ملك الآلهة، والإله الأزلي الذي كان في البداية (٣) الإله المقدس خالق نفسه، وصاحب الذراع المرفوعة، ومن تاجه (اتف) رفيع، وصانع

كل كائن، وخالق كل موجود، ومن يخفي نفسه عن الناس والآلهة.

موت الفرعون: (٤) أعطني أذنك يا رب الآلهة، وأصغ لصلواتي التي أقدمها لك، تأمل! إني آت إليك إلى «طيبة»، بلدك الخفية، وإنك قدسي بين التاسوع الذي صور بصورتك. وإنك قد غبت في «سيد الحياة» (الجنة التي (٥) في غرب طيبة) مفرق العالي أمام ردهتك الفاخرة، ولقد انضمت إلى الآلهة أرباب العالم السفلي مثل والدي «أوزير» رب الأرض المقدسة (العالية). فدع روحي ليكون مثل أرواح التاسوع الإلهي الذين يأوون بجوارك (٦) في الأفق الأبدي، وامنح أنفي النفس وروحي الماء، ودعني أكل الخبز والطعام من قربانك المقدس، واجعل جلالتي فاخرًا ممكنًا في حضرتك (٧) مثل الآلهة العظام أسياد العالم السفلي. وليتك تجعلني أغدو في حضرتك وأروح كما يفعلون. ومر أن تكون شهري مثل شهرتهم على أعدائي، وثبت قرباني المقدم لحضرتي (٨) ليخلد يوميًا إلى الأبد. ولقد كنت ملكًا على الأرض حاكمًا على الأحياء، ولقد مكنت التاج على رأسي كما فعلت، وقدتني في سلام إلى القصر الفاخر (٩) وجلست على العرش مسرور القلب، وإنك أنت الذي مكنتني على عرش والدي كما فعلت «لحور» على عرش «أوزير»، وإني لم أظلم، وإني لم أحرَم (١٠) آخر مكانه (عرشه)، وإني لم أتعد الأوامر التي كانت أمامي، إنك قد منحتني السلام ورضا القلب بين قومي، وكل البلاد كانت تنضرع أمامي، وإني أعرف الأشياء الممتازة التي فعلتها (١١) بوصفك ملكًا، وقد ضاعفت لك الإناعم والأعمال الجليلة.

معبد مدينة «هابو»^(١١٦): ولقد أقمت لك البيت الفاخر لملايين السنين، ممكنًا على جبل «رب الحياة» أمامك.

صفحة ٤

(١) قد أقيم من الحجر الرملي، والحجر الرملي الصلب، والجرانيت الأسود، والباب من السام والنحاس المطروق، وبواباته من الحجر تناطح السماء (٢) مزينة

ومنحوتة بآلة الحفار باسم جلالتك العظيم، وأقيمت سورًا حوله متقن الصنع، وله منزلقات وأبراج (٢) من الحجر الرملي (٣) وحفرت بحيرة أمامه تفيض بماء «نون» (المحيط الأزلي أو النيل) ومغروسة بالأشجار والخضر مثل الدلتا.

هبات المعبد ومعداته: ومألت بيوت المال بسلع أراضي مصر (٤) من ذهب وفضة وكل حجر ثمين بمئات الألوف، ومخازن غلاله كانت تفيض بالغلal والقمح، والحقول والقطعان كانت في كثيرها مثل رمال الشاطئ، وفرضت له الضرائب على (٥) أرض الجنوب كما فرضتها على أرض الشمال، وسعت إليه بلاد النوبة وأرض «زاهي» حاملين إتاواتهم، وقد ملئ بالأسرى الذين أعطيتني إياهم من بين أهل الأقواس التسعة، هذا بالإضافة إلى الشباب الذين دربتهم بعشرات الآلاف (٦) وصنعت تماثلك الكبير الجالس في وسطه (وسط المعبد) واسمه الفاخر «آمون ممنوح الأبدية»، وكان مزينًا بأحجار ثمينة حقيقية مثل الأفق (أو إله الأفق)، وعندما يظهر يكون السرور في رؤيته، (٧) وقد صنعت له أواني المائدة من الذهب الجميل، وأخرى من الفضة والنحاس مما يخطئه العد، وزدت القرابين الإلهية التي كانت تقدم أمامك من خبز ونيبذ وجعة وأوز سمين، وثيران عدة، (٨) وعجول محصية، وعجول، وبقرات عدة، ووعول، وغزلان مقدمة في مجزرتة. وجلبت آثارًا عظيمة من المرمر وحجر «بحس» (الصلب) (٩) المنحوت بعناية قد نُصب على يمين وشمال مدخله، ونُقش باسم جلالتك العظيم أبدئيًا، وتماثيل أخرى من الجرانيت والحجر الرملي، وجعارين (١٠) من الحجر الأسود قائمة في وسطه، ونُحت تماثل «بتاح سكر» و«نفرتم» وتاسوع السماء والأرض كلهم ثاوون في محرابه المغشي بالذهب اللطيف والفضة (١١) المطروقة، المرصعة بالأحجار الثمينة الحقيقية الممتازة الصنع.

قصر الفرعون والمباني المتصلة به: وأقيمت لك قصر الملك الفاخر في وسطه مثل قصر «آتوم» العظيم الذي في السماء، وعمده (١٢) وقوائم الأبواب والأبواب مصنوعة من السام، والشرقة العظيمة التي يظهر فيها الفرعون من الذهب الجميل.

سفن المعبد: وبنيت له سفنًا تزخر بالشعير والقمح لتصدر (مصعدة في النيل).

(١) لمخازن غلاله بدون انقطاع، وبنيت له سفناً لخزانة المالية، عظيمة على النهر، محملة بسلع عديدة لأجل ماليته الفخمة.

أرض المعبد: (٢) وكان محاطاً بالحدائق والأماكن ذات الحجرات المألئى بالفاكهة والأزهار من أجل الصلین اللذین علی جبینک، وبنيت قصورها (٣) وزودت منتزهاتها بالنوافذ، وحفرت بحيرة أمامها مغروسة بأزهار البشنيين.

معبد الكرنك الصغير^(١١٧): الذي أقامه «رعمسيس الثالث» في معبد «موت». (٤) وأقامت لك أفقاً خفياً في بلدتك «طيبة» أمام ردهتك (معبدك) يا سيد الآلهة المسمى: بيت «رعمسيس الثالث» في ضيعة «آمون»^(١١٨) الثاوي مثل السماء حاملاً «آتون» (الشمس)، وأقامته (٥) وكسوته حجرًا رملياً وجعلت له أبواباً من الذهب الجميل، وملأت خزانته بالسلع التي (٦) جلبتها يداي لأحضرها أمامك يومياً.

معبد الأقصر الصغير: وزينت لك «ابت الجنوبية» (الأقصر) بالآثار العظيمة، وبنيت لك فيها بيتاً مثل «عرش رب الكل» (اسمه) معبد «رعمسيس»^(١١٩) حاكم «هليوبوليس» (له الحياة والفلاح والصحة) (٧) الموحد بالسرور في الكرنك.

الأعمال التي قام بها «رعمسيس الثالث» في معبد موت: ولقد جددت مبانيك بامتياز في «طيبة» المنتصرة، وهي مكان راحة قلبك، بجانب أختك^(١٢٠) (أي موت) واسمه: «معبد وسرماعت رع مري آمون في ضيعة آمون» مثل (٨) محراب رب الكل، وهو مبني من الحجر، بمثابة أعجوبة أسست لتكون عملاً خالداً ومدخله من حجر الجرانيت، والأبواب (٩) والعوارض من الذهب، وأمددته بالشباب الذين دربتهم حاملين القرابين بمئات الألوف. (١٠) وأقامت لك محراباً سرياً في قطعة واحدة من الجرانيت الجميل، ومصرعاه من النحاس المطروق منقوشان باسمك الإلهي (١١) وصورتك العظيمة ثاوية فيه مثل «رع» في أفقه ممكناً على عرشه حتى الأبدية في ردهتك العظيمة الفاخرة.

أواني العبادة: وصنعت (١٢) لك مائدة قربان كبيرة من الفضة المطروقة مشغولة بالذهب الجميل، ومرصعة بذهب «كتم» تحمل صور السيد (الملك) (له الحياة والفلاح والصحة) من الذهب المطروق، ومائدة قربان تحمل قربانك المقدس المقرب أمامك.

صفحة ٦

(١) وصنعت لك قاعدة آنية عظيمة لأجل ردهتك المشغولة بالذهب الجميل ومرصعة بالحجر، وأوانيها من الذهب فيها النبيذ والجنة لكي تقرب أمامك كل صباح.

عيد الظهور: (٢) وصنعت لك مخزنًا لعيد الظهور^(١٢١) مجهزًا بالعبيد والإماء، ومؤنّتهم بالخبز والجنة، والثيران، والطيور، والخمر، والبخور، والفاكهة، والخضر قربانًا طاهرًا أمامك يوميًا. وهي إضافة إلى القربان الإلهية التي كانت من قبل.

حلي لتمثال العبادة: (٣) وصنعت لك تعويذة فاخرة (عينًا لتدراً الحسد) من الذهب مطعمة، وقلائد عظيمة وأزرارًا من ذهب «كتم» كاملة لتربطها بجسمك في كل مرة تظهر فيها على عرشك العظيم في الكرنك (٤) وصنعت لك تمثالًا من الذهب المطروق ثاويًا في المكان الذي يعرفه^(١٢٢) في محرابك السامي.

لوحات سجل: (٥) وصنعت لك لوحات عظيمة من الذهب المطروق منقوشة باسم جلالتك العظيم عليها تضرعاتي (٦): وصنعت لك لوحات أخرى من الفضة المطروقة منقوشة باسم جلالتك العظيم بمراسيم المعبد^(١٢٣) (٧) وصنعت لك لوحات عظيمة من الفضة مطروقة ومنحوتة بالمسحل، وتحمل المراسيم وقوائم البيوت والمعابد التي أقمته في مصر خلال حكمي على الأرض (٨) لكي أديرها باسمك أبد الأبدين، وإنك الحامي لها الجيب^(١٢٤) عنها (٩) وقد صنعت لك لوحات أخرى من النحاس المطروق من مخلوط مؤلف من ستة أجزاء^(١٢٥) من لون الذهب منقوشة ومنحوتة بالمسحل باسم جلالتك العظيم بمراسيم المعبد (١٠) وكذلك المدائح العدة التي عملتها لاسمك، وقلبك كان مسرورًا يا سيد الآلهة.

منخل لإقامة الشعائر: (١١) وصنعت لك إناء عظيمًا من الفضة الخالصة، حافته من الذهب، منقوش باسمك، وكان عليه منخل بالشغل المطروق من الفضة، ومصفاة عظيمة من الفضة لها منخل ورجلان. (١٢٦)

تماثيل من ذهب^(١٢٧): (١٢) وزخرفت تماثيل «موت» و«خنسو» اللذين سؤيا وصُنعا من جديد في بيوت الذهب، وقد صُنعا من الذهب الجديد وغُشيا بطبقة جميلة كثيفة من الذهب الجميل، ورُصعا بكل حجر ثمين صنعه «بتاح»، ولهما أطواق من قدام ومن خلف (١٣) ومجهزان بأزرار من ذهب «كتم»، وقد ثُويا بقلب راض، بسبب الأعمال العظيمة التي قمت بها لهما.

صفحة ٧

اللوحات: (١) وصنعت لك لوحات عظيمة لمدخل معبدك مرصعة بالذهب الجميل، بأشكال مطعمة بالذهب (كتم) تحملها قواعد كبيرة مشغولة بالفضة، وعليها أشكال مطعمة بالذهب حتى مستوى الأرض.

الحب: (٢) وقدمت لك عشرة آلاف حقيبة من الحب لتموين قراييك الإلهية اليومية، لتحمل إلى «طيبة» كل سنة، لكي تضاعف مخازن غلالك بالشعير والقمح. (٣) وأحضرت إليك أسرى أهل «الأقواس التسعة»، وهدايا الأراضي والممالك لردھتك، وجعلت الطريق إلى طيبة كالقدم (ممهدة) لتهدي سبيلك، وتُحمل عليها مؤن كثيرة.

القرب الموقوتة: (٤) وأسست لك قربًا في أعياد أوائل الفصول لتكون قربانًا أمامك عند كل ظهور لك، وقد مُؤنت بالخبز والجمعة، والثيران، والدجاج، والنبيد، والبخور، والفاكهة التي يخطئها العد، وقد فُرضت من جديد على الأمراء والمفتشين بمثابة زيادة للإنعامات التي عملتها لأجل حضرتك (كا).

السفينة المقدسة: (٥) وصنعت لك سفينتك الفاخرة المسماة «وسرحت»، وطولها ثلاثون ومائة ذراع؛ على النهر من خشب الأرز العظيم. من الضيعة (الملكية)،

وهي ذات حجم عظيم مغشاة بالذهب الجميل، حتى سطح الماء، مثل سفينة الشمس عندما تطلع إلى الشرق، ويحيا كل إنسان عند رؤيتها، وفي وسطها محراب عظيم من الذهب الجميل مطعم بكل حجر ثمين كأنه قصر (مزين) بـ«بروس كباش»^(١٢٨) من الذهب، من قدام ومن خلف، ومجهز بصالل تلبس تاج «أتف».

محاصيل «بنت»: (٧) وقد قدت إليك بلاد «بنت» محملة بأشجار المر لكي تحيط بيتك كل صباح (بالعير)، وغرست لك جميعاً معطراً في ردهتك (معبدك) وإنهم لم يروها، (أي أشياء «بنت») من قبل منذ زمن الإله (أي منذ زمن «درع») عندما خلق الدنيا.

أسطول البحر الأبيض المتوسط: (٨) وصنعت لك سفن نقل، وسفنًا مسطحة وزوارق مزودة برماة مسلحين بأسلحتهم على الأخضر العظيم (البحر الأبيض)، ومنحتها ضباطاً من الرماة، وضباط سفن يديرها نوابي عديدون لا حصر لهم، لنقل محاصيل أرض «زاهي» والممالك التي في نهاية الأرض إلى خزائنك في «طيبة المنتصرة»^(١٢٩).

الماشية والدجاج: (٩) وكونت لك قطعاناً في الجنوب والشمال تشمل حيوانات كبيرة، ودجاجاً، وحيوانات صغيرة بمئات الألوف، يقوم عليها مشرفون للماشية، وكتاب، ومشرفون على ماله قرن. ومفتشون ورعاة عديدون يحافظون عليها، ولديهم علف ليقربوا إلى حضرتك في كل أعيادك حتى يرضى قلبك بما يا حاكم التاسوع.

الكروم والأشجار: (١٠) وأنشأت لك كروماً للنبذ في الواحة الجنوبية، والواحة الشمالية كذلك لا حصر لها، وأخرى في الجنوب دُوت في قوائم عديدة قد تضاعفت في الأرض الشمالية بمئات الألوف، وأمددتها بالبستانيين من أسرى الممالك الأجنبية، ولها بحيرات قد حفرتها ممدودة (١١) بأزهار البشنيين و«الشدح»، ونبهذا كالماء الجاري لتقدمها أمامك في «طيبة المنتصرة»، وغرست مدينتك (١٢) «طيبة» بالأشجار، والخضر، ونبات «إسي» وأزهار «منهت» لخيشوميك.

معبد «خنسو»: (١٣) وأقيمت معبدًا لابنك «خنسو» في «طيبة» من الحجر الرملي الجميل، والحجر الرملي الأحمر، والحجر الأسود (الجرانيت)، ومَوَّهت عوارض أبوابه بالذهب في أشكال مرصعة بالسام مثل أفق السماء.

صفحة ٨

(١) وطعّمت تماثيلك في بيوت الذهب بكل حجر فاخر ثمين مما أحضرته يداي.

محراب في العاصمة: (٢) وأقيمت لك حيًا في مدينة الأرض الشمالية. وأسسته ملكًا لك أبدئيًا، ويُسمى «بيت رعمسيس حاكم هليوبوليس» - له الحياة والفلاح والصحة - عظيم الانتصارات إلى الأبد. (٣) وقد جعلت له مصر وجزيئها، وقد تجمعت في وسطه الناس من كل أرض، ومُد بالحدائق الكبيرة، وأماكن للتنزه، فيها كل خمائل النخل محملة بفاكهتها (٤) وله طريق مقدسة (طريق الكباش المؤدية إلى باب المعبد) يضفي عليه البهجة أزهار كل بلد: نبات «إسي»، والبردي، وأزهار «ددمت» فيه كالرمل.

كرومه وشجر زيتونه: (٥) وصنعت له كرمًا يُسمى «كنكمي» (غذاء مصر) مغمورًا مثل الأرضين في أراضي الزيتون العظيمة، يحمل عنبًا يحيط بها جدار حولها يقدر بإتر (مقياس طول = ميلًا وربع ميل تقريبًا)، وغُرس بالأشجار العظيمة (٦) في كل طرقاته المتعددة، وفيه الزيت أكثر من رمل الشاطئ ليؤتى به إلى حضرتك، إلى «طيبة المنتصرة». وكان الخمر كالماء الجاري لا حصر له، ليقدم (٧) أمامك قريبًا يوميًا. (٨) وبنيت لك معبدك في وسط رقعتها، مثبتًا بالعمل. وأحجاره ممتازة من «عيان»، وبابه وعوارضه من الذهب الموشى بالنحاس، والأشكال المنقوشة كانت من كل حجر غالٍ مثل باب السماء المزدوج.

تمثال العبادة: (٩) وسويت تماثيلك الفاخر لإقامة أحفال الأزهار به مثل «رع» عندما يضيء الأرض بأشعته، واسمه العظيم الفاخر هو: «آمون رعمسيس حاكم

هليوبوليس»، وملأت بيته بالعبيد والإماء الذين جلبتهم من أرض البدو «ستيو» (١٠) وكهنة المعبد المؤقتون كانوا أولادًا لرجال عظماء، قد نشأهم. وكانت بيوت ماله تفيض بالخاصيل من الأرض كلها، ومخازن غلاله بلغت عنان السماء، وقطعانه تضاعفت (١١) أكثر من الرمل، وحظائر الماشية تقدم لحضرته قربانًا يوميًا غزيرة وطاهرة أمامه، وكانت حظائر التسمين تشمل الأوز السمين، وحظائر الدواجن فيها الطيور البرية (١٢) وكانت الحدائق ممدودة بالنبيذ، وممونة بفاكهتها والخضر وكل أنواع الأزهار.

معبد «بلاد النوبة»: (١٣) وأقمت لك معبدًا فاخرًا في بلاد النوبة «تا-بدت» منقوشًا باسمك الفاخر، وهو يشبه السماء، واسمه «بيت رعمسيس حاكم هليوبوليس» - له الحياة والفلاح والصحة - عظيم الانتصار، ثابت باسمك أبدئيًا.

صفحة ٩

معبد «زاهي»: (١) وبنيت لك بيتًا خفيًا في أرض «زاهي»^(١٣٠) مثل أفق السماء الذي في القبة الزرقاء، واسمه «بيت رعمسيس حاكم هليوبوليس» - له الحياة والفلاح والصحة - في «باكنعان» بمثابة قربات ملكية (٢) باسمك. وسويت تماثلك العظيم الثاوي في وسطه، واسمه «آمون رعمسيس حاكم هليوبوليس» - له الحياة والفلاح والصحة - وقد حج إليه آسيويو «رتنو» حاملين (٣) جزيتهم أمامه؛ لأنه كان مقدسًا. وأحضرت أهل الأرض جميعًا من أجلك، حاملين إتاواتهم لينقلوها إلى «طيبة»^(١٣١) مدينتك الخفية. (٤) وصنعت لك تماثيل في مراكز مصر، وقد كانت لك وللآلهة الذين يحفظون هذه الأرض، وأقمت لهم معابد؛ وحدائق تشمل خمائل (٥) وأراضي، وماشية صغيرة وماشية كبيرة وعبيدًا عديدين، وهم ملك لك أبد الدهر وعينك عليهم، وأنت حاميتهم إلى الأبد (٦) وصنعت تماثيلك العظيمة الكبيرة التي مراكزها في أراضي مصر. وأصلحت معابدها (٧) التي كانت مخربة، وضاعفت قرايبتها المقدسة، المقدمة لحضراتها بمثابة زيادة في القربات اليومية التي كانت من قبل.

القوائم: (٨) انظر؛ لقد دَوَّنت كل ما فعلت أمامك يا والدي الفاهر المقدس، يا رب الآلهة، حتى يعرف الناس والآلهة هباتي التي (٩) عملتها لك بقوة عندما كنت على الأرض.

(د) ثروة المعابد

صفحة ١٠

ضيعة «آمون»

(١) قائمة بالسلع، والماشية، والحدائق، والحقول، والسفن؛ والمصانع (للسفن) والبلاد التي منحها الفرعون بيت والده الفاهر (٢) «آمون رع» ملك الآلهة، و«موت» و«خنسو» وكل آلهة «طيبة» بوصفها ملكية إلى أبد الأبدين.

التابعون للمعابد: معبد مدينة «هابو»: (٣) معبد ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسرماعت رع مري آمون» - له الحياة والفلاح والصحة - في ضيعة «آمون» في الجنوب والشمال تحت إدارة موظفيه، المجهز بكل سلعة: ٦٢٦٢٦ نسمة. (راجع Note ٣٦ Wilbour, Pap. II, p. ٤).

معبد «رعمسيس الثالث» في ضيعة «آمون»: (٤) معبد الملك «وسرماعت رع مري آمون» - له الحياة والفلاح والصحة - في ضيعة «آمون»، في الجنوب والشمال تحت إدارة موظفي المعابد لهذا البيت المجهز بكل سلعة: ٩٧٠ نسمة.

معبد «الأقصر» الصغير الذي أقامه «رعمسيس الثالث»: (٥) بيت «رعمسيس حاكم هليوبوليس» - له الحياة والفلاح والصحة - في ضيعة «آمون» في الجنوب والشمال تحت إدارة موظفين مجهز بكل أشياءه: ٢٦٢٣ نسمة.

معبد صغير أقامه «رعمسيس الثالث» بالأقصر: (٦) معبد «رعمسيس حاكم هليوبوليس» - له الحياة والفلاح والصحة - موحد في السرور في ضيعة «آمون» تحت

إدارة رئيس الكهنة ومجهز بكل حاجياته: ٤٩ نسمة.

خمسة قطعان لمعابد طيبة: (٧) قطع «وسرماعت رع» في ضيعة «آمون» الذي يُسمى «وسرماعت رع مري آمون» في ضيعة «آمون» ويُسمى «وسرماعت رع مري آمون» أسر الثوار، النيل العظيم: (١٣٢) رأسًا. (٨) قطع يُسمى «وسرماعت رع» قاهر «المشوش» عند ماء «رع» تحت إدارة البيت «بياي»: ٩٧١ نسمة (من المشوش).

(٩) قطع يُسمى «رعمسيس حاكم هليوبوليس» له الحياة والفلاح والصحة في ضيعة «آمون» - وهو نيل عظيم: ١٨٦٧ نسمة.

(١٠) قطع يُسمى «وسرماعت رع مري آمون» في ضيعة «آمون» الذي عمل للناس نيلاً عظيمًا تحت إدارة وزير الجنوب: ٣٤ نسمة.

(١١) قطع «رعمسيس حاكم هليوبوليس له الحياة والفلاح والصحة» في ضيعة «آمون» تحت إدارة المشرف على الماشية «كاي»: ٢٧٩ نسمة.

مقر الملك (٩) (١٣٣): (١٢) بيت «رعمسيس» حاكم هليوبوليس عظيم الانتصارات: المدينة التي أقامها الفرعون لك (آمون) في الشمال في زمام (١٣٤) ضيعة «آمون رع» ملك الآلهة قائلاً: «ليتك تصبح منتصرًا لأنك جعلتها تمكن سمردياً»: ٧٨٧٢ نسمة.

معبد «خنسو»: (١٣) رعمسيس حاكم هليوبوليس (له الحياة والفلاح والصحة) في ضيعة «خنسو»: ٢٩٤ نسمة.

الناس الذين أهداهم «رعمسيس الثالث»: (١٤) الناس الذين وهبهم إلى ضيعة «خنسو» في «طيبة» - «نفر حتب» (الراحة الجميلة)، «حور» سيد الفرح: ٢٤٧ نسمة. (١٥) سوريون ونوبيون من أسرى جلالته الذين منحهم بيت «آمون رع» ملك الآلهة، وبيت «موت»؛ وبيت «خنسو»: ٢٦٠٧ نسمة.

(١٦) رمة «وسرماعت رع» (له الحياة والفلاح والصحة)، مؤسس بيته في ضيعة «آمون» المستوطنون الذين وهبهم إلى هذا البيت: ٧٧٠ نسمة.

صفحة ١١

تماثيل معبد الكرنك العظيم^(١٣٥): الصور الحمية في قوارب، والتماثيل ومجاميع التماثيل التي يدفع لها الموظفون، وحاملوا الأعلام، والمراقبون، وأصحاب الأراضي ضرائب وهم الذين نصبهم الفرعون على أملاك بيت «آمون رع» ملك الآلهة من قبله ليحفظوها ويحموها لكل الأبدية وعددها:

٥١٦٤ رأساً	(٣) ٢٧٥٦ إلهاً - وعدد الأشخاص
٨٦٤٨٦ نسمة	(٤) والمجموع

جدول : أملاك مختلفة

٤٢٣٦٢	(٥) ماشية كبيرة، وماشية صغيرة متنوعة
٤٣٣	(٦) حدائق وخمائل
٨٦٤١٦٨ ستاتاً*	(٧) حقول مساحتها
٨٣	(٨) سفن نقل، وسفن مسطحة
٤٦	(٩) مصانع من خشب الأرز والسنت
٥٦	(١٠) بلاد مصر
٩	(١١) بلاد «سوريا» و«كوش»
٦٥	مجموع (البلاد)

* ستات يساوي من الفدان الإنجليزي.

(ب) الضرائب التي تُجبي من الرعايا: «دخل آمون»: (١) السلع، والضرائب، وإنتاج الناس، وكل التابعين لمعبد الملك «وسرماعت رع مري آمون» في ضيعة «آمون» في المدينة (يقصد بالمعبد هنا: معبد «رعمسيس الثالث» الواقع بالقرب من معبد «موت» كما ذكر ذلك «شادل Schaedel») ولمعبد «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» في ضيعة آمون (يقصد معبد الكرنك الصغير). ولمعبد «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» المتحد في السرور في ضيعة «آمون» (يقصد معبدًا مهتمًا «لرعمسيس الثالث» في الأقصر) التابع للأقصر، ولمعبد «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» في ضيعة «خنسو» (يقصد معبد خنسو في الكرنك)، ولخمسة القطعان التي حُفظت لهذا المعبد (أي كل ضيعة «آمون رع») ملك الآلهة. وهي (يقصد السلع والضرائب وإنتاج الناس التي ذُكرت في أول الفقرة) التي وضعها الملك «وسرماعت رع» الإله الأعظم هبة في بيوت المال، والمخازن، ومخازن الغلال على أنما جزيتهم السنوية (يقصد ضريبة الناس والتابعين الذين ذُكروا في السطر الأول).

دبن	قدت*
(٦) ذهب جميل	٢١٧ ٥
(٧) ذهب من جبل «فقط»	٦١ ٣
(٨) ذهب «كوش»	٢٩٠ ٨
(٩) مجموع الذهب اللطيف وذهب الجبل	٥٦٩ ٦
(١٠) فضة	١٠٩٦٤ ٩
(١١) مجموع الذهب والفضة	١١٥٤٦ ٨ (هكذا في الأصل)
(١٢) النحاس	٢٦٣٢٠

(١٣) الكتان الجنوبي وكتان «مك» وكتان ٣٧٢٢
الجنوب الجميل، والكتان الملون الجنوبي وملابس
مختلفة

(١٤) غزل دبن ٣٧٩٥

(١٥) بخور وعسل وزيت وأوان مختلفة ١٠٤٧

* يساوي ٩١ جرامًا، والقدت عشر الدبن.

صفحة ١٢ (ب)

دبن	قدت
٢٥٤٠٥	(١) شراب شدح ونيذ وجرار مختلفة
٣٦٠٦	(٢) فضة (وهي من ضرائب الناس وُهبت للقرايين المقدسة)
٣٠٩٩٥٠	(٣) شعير، وهو ضريبة فُرِضت على الفلاحين بالحقيبة
٢٤٦٥٠	(٤) حزم خضر
٦٤٠٠٠	(٥) حزم كتان
٢٨٩٥٣٠	(٦) طيور ماء من إتاوة الصيادين والسماكين
٨٤٧	(٧) ثيران وعجول مخصية، وعجلات وعجول وبقرات وهي ضريبة وماشية ثمنها ٣ قدت وماشية من قطعان مصر
١٩	(٨) ثيران وعجول مخصية وعجلات وعجول وبقرات وهي ضريبة أرض سوريا المجموع
٨٦٦	(٩) أوز حيّ من الضرائب

- (١٠) خشب الأرز: قوارب للجري وقوارب للعبور ٧٤٤
- (١١) خشب السنط، قوارب تجر، وقوارب ترع، ١١
- وقوارب لنقل الماشية، وسفن حربية وسفن «كارا»
- (١٢) مجموع السفن من الأرز والسنط ٧١
- (١٣) محاصيل الواحات (يقصد هنا الواحة ٨٢
- الشمالية) في قوائم كثيرة لأجل القربات المقدسة

صفحة ١٣ (أ)

(ج) منح الفرعون «السنوية»: (١) الذهب، والنحاس، والفضة، واللازورد الحقيقي، والفيروز الحقيقي، وكل حجر ثمين حقيقي، والنحاس، وملابس من الكتان الملكي، والكتان «مك»، (٢) وكتان الجنوب الجميل، وكتان الجنوب، والملابس الملونة، والأواني، والدجاج، وكل الأشياء التي أعطاها الملك «وسرماعت رع مري آمون» (له الحياة الخ) الإله العظيم. (٣) هدايا الملك لتموين بيت آبائه الفاخرين «آمون رع» ملك الآلهة، والإلهة «موت» والإله «خنسو» من السنة (٤) الأولى من حكمه حتى السنة الواحدة والثلاثين، أي في مدة إحدى وثلاثين سنة. (١٣٦)

دبت	دبت	قادت
٢١	(٥) ذهب «كتم» الجميل ٤٢ خاتماً	
٣	(٦) ذهب جميل مشغول بالبارز ٢٢ خاتم أصبع	٣
١	(٧) ذهب جميل مطعم ٩ خواتم	$\frac{1}{2}$ ٣
٢٢	(٨) ذهب جميل مشغول بالبارز وبالتطعيم من كل	٥
	حجر ثمين حقيقي وعاء عمود «آمون»	
٩	(٩) ذهب جميل مطروق (بوجه واحد)	$\frac{1}{2}$ ٥

٥	٥٧	(١٠) المجموع ذهب جميل مصنوع حليًا
$\frac{1}{2}$	٤	(١١) ذهب من الدرجة الثانية: صناعة بارزة ومطعمة
٥	٤٢	خاتم أصبع
٥	٣٠	(١٢) ذهب من الدرجة الثانية: إناءان
$\frac{1}{2}$	٣٥	(١٣) المجموع: ذهب من الدرجة الثانية
$\frac{1}{2}$	١٦	(١٤) ذهب أبيض ٣١٠ خاتم أصبع

صفحة ١٣ (ب)

قدت	دبن	
٤	٤٨٠	(١) ذهب أبيض ٢٦٤ خرزة
٨	١٩	(٢) ذهب أبيض مطروق ١٠٨ خاتم أصبع
		للإله
٢	٦	(٣) ذهب أبيض ١٥٥ تعويذة
$\frac{1}{2}$	٩٠	(٤) مجموع الذهب الأبيض
٥	١٨٣	(٥) مجموع الذهب الجميل من الدرجة الثانية
		والذهب الأبيض
٥ (هكذا)	١١٢	(٦) فضة: إناء حافته من الذهب بصناعة بارزة
٣	١٢	(٧) فضة: منخل للإناء
٧	٢٧	(٨) فضة: مصفاة للإناء
$\frac{1}{2}$	٥٧	(٩) فضة: أربع أوان
٤		
٤	١٠٥	(١٠) فضة: ٣١ سلة كبيرة بأغطية
٤	٧٤	(١١) فضة: ٣١ علبة بأغطية

٣	٣٠	(١٢) فضة: ٦ أوان للكيل «عرق»
$\frac{1}{2}$	١٩	(١٣) فضة مطروقة لوحة كتابة
$\frac{1}{2}$	٢٨٧	(١٤) فضة مطروقة لوحتان (عنو)
	١٠٠	(١٥) فضة مجزأة
$\frac{1}{4}$	٨٢٧	(١٦) المجموع: فضة في صورة أوانٍ وقطع

والصحيح = ٨٢٦ دين و قدت

صفحة ١٤ (أ)

دين	قدت	
١٠١٠	$\frac{1}{4}$	(١) مجموع الذهب والفضة المصنوعين أواني وقطعاً
١٤	$\frac{1}{2}$	(٢) لازورد حقيقي: قطعتان
٨٢٢		(٣) برنز مطروق: ٤ لوحات (عنو)
٥١٤٠		(٤) مر
٣ حق		(٥) مر
٢٠ هنا		(٦) مر
١٥		(٧) خشب مر قطع
١٠٠ كيل		(٨) ثمار المر بالكيل (إبت) (بالوبية)
٣٧ رداء		(٩) كتان ملكي: ملابس (دو)
٩٤		(١٠) كتان ملكي: ملابس فوقانية (دو)
٥٥		(١١) كتان ملكي: ملابس - هاومن
١١		(١٢) كتان ملكي: عباءات
٢		(١٣) كتان ملكي: لفائف حور
١		(١٤) كتان ملكي: ملابس

٦٩٠	(١٥) كتان ملكي: ملابس (إدجا)
٤٨٩	(١٦) كتان ملكي: قمصان
٤	(١٧) كتان ملكي لتمثال «آمون» الفاخر

صفحة ١٤ (ب)

دين	
١٣٨٣	(١) مجموع الملابس من الكتان الملكي المختلف الأنواع
١	(٢) كتان «مك»: ثوب واحد
١	(٣) كتان «مك»: عباءة
١	(٤) كتان «مك» غطاء: إزار لتمثال آمون الفاخر
٣	(٥) مجموع كتان «مك»: ملابس متنوعة
٢	(٦) كتان جميل من الجنوب: ملابس (دو)
٤	(٧) كتان جميل من الجنوب: ملابس (٤)
٥	(٨) ملابس خارجية (دو)
٣١	(٩) كتان جميل من الجنوب: ملابس «إدجا»
٢٩	(١٠) كتان جميل من الجنوب: قمصان
٤	(١١) كتان جميل من الجنوب: تنورة (سونتيان)
٧٥	(١٢) مجموع الملابس المختلفة من كتان الجنوب الجميل
٨٧٦	(١٣) كتان ملون: عباءات
٦٧٧٩	(١٤) كتان ملون: قمصان
٧١٢٥	(١٥) مجموع الكتان الملون والملابس المختلفة
	(المجموع هنا ينقص ٥٣٠)
٨٥٨٦	(١٦) مجموع الكتان الملكي، وكتان «مك» وكتان الجنوب الجميل
	وكتان الجنوب، والكتان الملون المنوع

دين	
٢١٥٩	(١) بخور أبيض: جرار «من»
١٢	(٢) بخور أبيض: جرار «من»
١٠٦٥	(٣) شهد: جرار «من»
٢٧٤٣	(٤) زيت مصر: جرار «من»
٥٣	(٥) زيت سوريا: * جرار «من»
١٧٥٧	(٦) زيت سوريا: جرار «من»
٩١١	(٧) شحم أبيض: جرار «من»
٣٨٥	(٨) دهن أوز: جرار «من»
٢٠	(٩) زيد: جرار «من»
†٩١٢٥	(١٠) مجموع الأواني المملوءة (إعع)
١٣٧٧	(١١) شدح (شراب) في جرار «من» ملونة
١١١١	(١٢) شدح: جرار «كابو»
٢٠٠٧٨	(١٣) نبيذ: جرار «من»
‡٢٢٥٥٦	(١٤) مجموع جرار الشدح والنبيذ من جرار «من» و«كابو»
١٨٥	(١٥) هرست (حجر): تعاويد العين المقدسة
٢١٧	(١٦) لازورد: تعاويد العين المقدسة

* في «برستد» جرار «سخاي» ولكن هذه اللفظة لا وجود لها في الأصل.

† المجموع الصحيح هو = ٩١٠٥.

‡ المجموع الصحيح هو = ٢٢٥٦٦.

صفحة ١٥ (ب)

دين	
٦٢	(١) يشب أحمر: جعارين
٢٢٤	(٢) فيروزج: جعارين
٢٢٤	(٣) شبه وحجر «مينو»: جعارين
٦٢	(٤) لازورد: جعارين
١٦٥	(٥) أحجار ثمينة مختلفة: تعاويذ العين المقدسة
٦٢	(٦) أحجار ثمينة مختلفة: أختام بمثابة صدریات
١٥٥٠	(٧) بللور صخري: أختام
١٥٥٠٠	(٨) بللور صخري: خرزات
١٥٥	(٩) بللور صخري مقطوع: جوار «هن»
٣١	(١٠) خشب مشغول: أختام
١	(١١) قطعة مرمر
٦	(١٢) خشب أرز «بيا-ني»
١	(١٣) خشب أرز «تبت»
٦١٠ دين	(١٤) خشب «نابيو» ثلاث قطع
٨٠٠ دين	(١٥) خشب سلامكة قطعة واحدة
١٧	(١٦) بوس: حزم

صفحة ١٦ (أ)

دين	
٢٤٦	(١) قرفة: مكيال (مستي)
٨٢	(٢) قرفة: حزم
٥٢	(٣) عنب: مكيال (مستي)

١٢٥	(٤) حصا لبان: مكيال (مستي)
١٠١	(٥) نبات «أيوفيتي»: مكيال (مستي)
٢٦	(٦) فاكهة الدوم (مهاي): مكيال (مستي)
٤٦	(٧) فاكهة: حقت
١٨٠٩	(٨) عنب: أقفاص
١٨٦٩	(٩) عنب: عناقيد
٣٧٥	(١٠) رمان: أقفاص
١٦٦٨	(١١) نبات «باكايا»: مكايل (إبت) (بالوية)
٢٩٧	(١٢) ماشية متنوعة
٢٩٤٠	(١٣) أوز حي
٥٢٠٠	(١٤) أوز «تربو» حي
١٢٦٣٠٠	(١٥) طيور مائية حية

صفحة ١٦ (ب)

دين	
٢٠	(١) أوز سمين من القطعان
٤٤٠٠٠	(٢) امتست (حجر الجمشت) قوالب
٤٤٠٠٠	(٣) ملح
١٨٠	(٤) ليف النخل: حبال
٥٠	(٥) ليف النخل: أحمال
٧٧	(٦) ليف النخل: مكيال «سرحت»*
٢	(٧) ليف النخل: حبال
٦٠	(٨) حصر (سبخن)
١٠١٥٠	(٩) كتان حصر

٦٠ (١٠) حصر

٥٠ (١١) ثوم: مكايل (مستي)

٧٥٠ (١٢) نبات «متزت» نقي: دين

* راجع ما كُتب عن هذا الحجر مصر القديمة الجزء الثالث.

(د) غلة القربان الخاصة بالأعياد: (١٣) حب للقرايين المقدّسة لأعياد السماء وأعياد أوائل الفصول، وهي التي أسسها الملك «وسرماعت رع مري آمون» الإله العظيم (١٤) لوالده «آمون رع» ملك الآلهة، وللإلهة «موت» وللإله «خنسو» وكل آلهة «طيبة» زيادة في القرايين المقدّسة، وفي القرايين اليومية لتكثير ما كان من قبل، من السنة الأولى حتى السنة الواحدة والثلاثين (من حكمه) أي في مدّة إحدى وثلاثين سنة: ٢٩٨١٦٧٤١٣٧ حقيقة.

صفحة ١٧ (أ)

(هـ) قرايين الأعياد: (١) قرايين الأعياد التي أسسها الملك «وسرماعت رع مري آمون» الإله العظيم لوالده (٢) «آمون رع» ملك الآلهة، و«موت»، و«خنسو»؛ وكل آلهة «طيبة» مدة العشرين يومًا لقرب العيد (المسمى) (٣) «وسرماعت رع مري آمون» (له الحياة الخ) جاعلاً «طيبة» في عيد «لامون» من الشهر الأول، من الفصل الثالث (الشهر التاسع) اليوم السادس والعشرون، حتى الشهر الثاني من الفصل الثالث (الشهر العاشر) اليوم الخامس عشر (٤) أي عشرين يومًا، ومن السنة الثانية والعشرين إلى السنة الثانية والثلاثين، أي مدة إحدى عشرة سنة، هذا بالإضافة إلى قرايين (٥) عيد «إبت» الجنوبية (الأقصر) من الشهر الثاني، من الفصل الأول، اليوم التاسع عشر - حتى الشهر الثالث من الفصل الأوّل (الشهر الثالث) اليوم الخامس

عشر، أي مدة سبعة وعشرين يومًا من السنة الأولى (٦) - حتى السنة الواحدة والثلاثين، أي واحد وثلاثين عامًا.

١٠٥٧	(٧) خبز ناعم: رغفان قربات كبيرة*
١٢٧٧	(٨) خبز ناعم: رغفان كبيرة «سيد»
١٢٧٧	(٩) خبز ناعم: رغفان كبيرة «بح»
٤٤٠	(١٠) خبز ناعم: رغفان كبيرة «زدمت حرتا»
٤٣٦٢٠	(١١) خبز قربان كبير
٦٨٥	(١٢) قلب البردي لبيت البخور
جرة تُركت فضاء	(١٣) جعة الدن ٤٤٠١
١٦٥	(١٤) خبز ناعم، ولحم، وفطائر، سلات (حطب) للزينة
٤٨٥	(١٥) خبز ناعم، ولحم، وفطائر: سلات (حطب) من الذهب

* وهذا يشبه كل الشبه ما كانت عليه الحال بالنسبة للأوقاف التي كانت تُصرف لرجال الدين بالأزهر إلى عهد قريب.

صفحة ١٧ (ب)

دبن	
١١١٢٠	(١) خبز ناعم، ولحم فطائر (رحس) سلات للأكل*
٩٨٤٥	(٢) خبز ناعم وفطائر (رحس) سلات (ثاي) لقم الأكل
٣٧٢٠	(٣) خبز ناعم ولحم وفطائر (رحس): أواني الأمير
٣٧٥	(٤) خبز ناعم خاص بالقرايين المقدسة: أواني من الذهب مجهزة
٦٢٥٤٠	(٥) خبز ناعم خاص بالقرايين المقدسة: رغفان (بيات)
١٠٦٩٩٢	(٦) خبز ناعم خاص بالقرايين المقدسة: رغفان (برسن)
١٣٠٢٠	(٧) خبز ناعم خاص بالقرايين المقدسة: رغفان بيضاء

٦٢٠٠	(٨) خبز ناعم: رغفان كبيرة (عق) † للأكل
٢٤٨٠٠	(٩) خبز ناعم: رغفان مسكرة (ساب)
١٦٦٦٥	(١٠) خبز ناعم: رغفان (عق) النار (أي يخبز على النار)
٩٩٢٧٥٠	(١١) خبز ناعم: رغفان (عق) كبيرة
١٧٣٤٠	(١٢) خبز ناعم: بوسا-عق من الحب
٥٧٢٠٠٠	(١٣) خبز ناعم: رغفان قربان أبيض
٤٦٥٠٠	(١٤) خبز ناعم: رغفان هرمية الشكل
٤٤١٨٠٠	(١٥) خبز ناعم: رغفان (كرشني)؟

* هذه الجمل تشير بطبيعة الحال إلى الرغفان (للأكل).

† يُحتمل أن تدل هذه العبارات على ما كان يؤكل في الأعياد.

صفحة ١٨ (أ)

دين	
١٢٧٤٠٠	(١) خبز ناعم: رغفان (ودنو-نت)
١١٦٤٠٠	(٢) خبز (كونك): رغفان بيض
٢٦٢٠٠٠	(٣) خبز ناعم: رغفان (بعث)
* ٢٨٤٤٣٥٧	(٤) مجموع الخبز الناعم، وخبز (عق) المتنوع
٣٤٤	(٥) فطائر (رحس) سلات ثمثم
٤٨٤٢٠	(٦) فطائر: بالوية
٢٨٢٠٠	(٧) فطائر (رحس): بالوية
٣١٣٠	(٨) أواني دقيق (ع)
٢٢١٠	(٩) شراب شدح: جوار (من)
٣١٠	(١٠) شراب شدح: جوار (كابو)
٣٩٥١٠	(١١) نبيذ: جوار (من)

٤٢٠٣٠	(١٢) مجموع جرار (من) و (كابو) من شدح، ونبيد
٢١٩٢١٥	(١٣) جعة: أوانٍ مختلفة
٩٣	(١٤) زيت حلو: جرار (من)
١١٠٠	(١٥) زيت حلو: هن

* المجموع الحقيقي هو = ٢٨٠٦٤٠٧ ولا يدخل في ذلك ٢٥٧١٠ مكيلاً الخ.

صفحة ١٨ (ب)

دبن	
٦٢	(١) بخور أبيض: جرار (من)
٣٠٤٠٩٣	(٢) بخور: مكاييل متنوعة بالويبة
٧٧٨	(٣) بخور للإحراق: جرار (من)
٣١	(٤) زيت أحمر: جرار (من)
٩٣	(٥) زيت (نحج): جرار (من)
١١٠٠٠٠	(٦) زيت (نحج): هن
٣١٠	(٧) شهد: جرار (من)
٩٣	(٨) شحم أبيض: جرار (من)
٦٢	(٩) زيتون: جرار (من)
١٥٥	(١٠) كتان الجنوب: ملابس (دو)
٣١	(١١) كتان الجنوب: ملابس (ردو)
٣١	(١٢) كتان ملون: ملابس (إفد)
٤٤	(١٣) كتان ملون: قمصان
٢٦١	المجموع

- (١٤) شمع: دبن ٣١٠٠
 (١٥) كل أنواع الفاكهة الجميلة: مكايل (كابوسا) ٦٢٠
 (١٦) كل أنواع الفاكهة الجميلة: مكايل (ثاي) ٦٢٠
-

صفحة ١٩ (أ)

- دبن
 ٥٥٩٥٠٠ (١) فاكهة: سلات (حطب)
 ٧٨٥٥٠ (٢) فاكهة: سلات (دنيث)
 ٣١٠ (٣) تين الإتاوة: بمكيال الويبة
 ١٤١٠ (٤) تين الإتاوة: بمكيال «مخا»
 ٥٥ (٥) تين الإتاوة: سلات (مستي)
 ١٥٥٠٠ (٦) تين الإتاوة: بمكيال الويبة
 ٣١٠ (٧) تين الإتاوة: بمكيال (ثاي)
 ٣١٠٠ (٨) فاكهة (مهيوت): فطائر (ساتا)
 ٢٢٠ (٩) قرفة: سلات (حطب)
 ١٥٥ (١٠) قرفة: سلات (مستي)
 ١٥٥٠ (١١) نبات (سعم): سلات (حطب)*
 ٦٢٠ (١٢) كرنب (حقت)
 ٣١٠ (١٣) كراث: حقت † =
 ٦٢٠٠ (١٤) كراث: حزم
 ١١٧ (١٥) عنب: سلات (مستي)
 ١٥٥٠ (١٦) عنب: سلات (ثاي)
-

* راجع: W. b. IV, p. ٤٥.

† راجع: W. b. III, p. ٣٥٤.

صفحة ١٩ (ب)

دين	
٨٩٨٥	(١) فاكهة الجنوب: (حقت)
٦٢٠	(٢) نبات عنبو: «حقيبة»
١٥١١٠	(٣) نعال من البردي المجهز
١٥١٥	(٤) ملح: بالحقيبة
٦٩٢٠٠	(٥) قوالب ملح (طوب ملح)
٧٥٤٠٠	(٦) قوالب امتست (جمشت)
١٥٠	(٧) كتان مغزول غزلاً سميكاً (ملابس دو)*
٢٦٥	(٨) كتان: جدائل (٤)
٣٢٧٠	(٩) أثل: حزم
٤٢٠٠	(١٠) غاب للسلات: حزم
٣٧٢٠	(١١) نعال من الجلد: أزواج
٤٤٩٥٠٠	(١٢) فاكهة الدوم بالوية
١٥٥٠٠	(١٣) رمان: بالوية
١٢٤٠	(١٤) رمان: أقفاص (بدر)
٣١٠	(١٥) زيتون: جرار (جاي)
٩٦١٠	(١٦) جرار وأوانٍ من مصب قناة «هليوبوليس»†

* راجع: W. b. I, p. 307.

† ربما يشير ذلك إلى المكان الذي صُنعت فيه هذه الأواني، كما يُقال في أيامنا: القلل القناوي.

صفحة ٢٠ (أ)

دين	
٣٧٨٢	(١) لب البردي: بالوبية
٩٣٠	(٢) نبدو (؟): بالوبية
٤١٩	(٣) ثيران
٢٩٠	(٤) عجول مخصية
	(٥) ثيران ذات قرون طويلة (نجا)
٢٨١	(٦) عجالات
١٨	(٧) ماشية سنها سنتان (نوع من البقر يختلف عن الأنواع الأخرى)
٣	(٨) عجول
٧٤٠	(٩) عجول مخصية (تبو)
١٩	(١٠) بقرات
١١٢٢	(١١) المجموع
٢٨٩٢	(١٢) ذكر الغزال
١	(١٣) غزال أبيض
٥٤	(١٤) ذكر الطباء (نراو)
١	(١٥) جحش الغزال
٨١	(١٦) المجموع
١٣٧	(١٧) مجموع الماشية المختلفة

صفحة ٢٠ (ب)

دين	
٦٨٢٠	(١) أوز حي (را)

١٤١٠	(٢) طيور حية (خت-عا)
١٥٣٤	(٣) أوز (تربو)
١٥٠	(٤) كراكي حية
٤٠٦٠	(٥) طيور حية للفقس
٢٥٠٢٠	(٦) طيور ماء حية
٥٧٨١٠	(٧) حمام
٢١٧٠٠	(٨) طيور (بعرت) حية
١٢٤٠	(٩) طيور (سا-عشا) حية
٦٥١٠	(١٠) بمام

*١٢٦٢٥٠	(١١) مجموع الطيور المتنوعة
٤٤٠	(١٢) جرار القناة مملوءة بالسّمك ذات أغطية من خشب
٢٢٠٠	(١٣) سمك أبيض
١٥٥٠٠	(١٤) سمك قطع (شنع)
١٥٥٠٠	(١٥) سمك مذبوح

* العدد هنا ينقصه ٤ ليكون صحيحًا.

صفحة ٢١ (أ)

دبن	
٤٤١٠٠٠	(١) سمك صحيح
١٢٤	(٢) أزهار من أزهار الإتاوة: مظاهرات*
٣١٠٠	(٣) أزهار: طاقات طويلة
١٥٥٠٠	(٤) أزهار من أزهار الإتاوة: عبير الحديقة (اسم نبات أو طاقة)
١٢٤٣٥١٠	(٥) نبات «إسي»: سلات (إبت)

٦٠٤٥٠	(٦) أزهار: أكاليل
٦٢٠	(٧) أزهار (كارا-حوتي)
١٢٤٠٠	(٨) أزهار زرقاء: حبال
٤٦٥٠٠	(٩) أزهار لليد
١١٠	(١٠) أزهار: أكوام
١٤٤٧٢٠	(١١) أزهار السوسن: لليد
٣٤١٠	(١٢) أزهار السوسن: طاقات
١١٠٠٠٠	(١٣) أزهار السوسن: لليد
٦٨٢٠٠	(١٤) زهر البردي: طاقات
٣٤٩٠٠٠	(١٥) بردي: سيقان

* كانت الملاحظات تعمل من النبات الأخضر والأزهار.

صفحة ٢١ (ب)

دين	
١٩١٥٠	(١) طاقات كبيرة من أزهار الإتاوة
٦٥٤٨٠	(٢) بلح: مكيال (مزايو)
٣١٠٠	(٣) بلح: مكيال (حنك)
٢١٧٠	(٤) خضر: سلات
٧٧٠٢٠٠	(٥) خضر: حزم
١٢٨٦٥٠	(٦) نبات إسي لليد
١١٠٠٠	(٧) قمح: باقات
٣١٠٠٠	(٨) سنابل القمح لليد (أي تحمل في اليد)
١٩٧٥٨٠٠	(٩) أزهار: طاقات

(ج) صور الآلهة: (١١) الكمية الخاصة بالسته والخمسين والسبعمائة والألفي تمثال وبالصور التي ذُكرت من قبل. (١٣٨)

دبت	دبن	
$\frac{1}{4}$	١٨٢٥٢	(١٢) ذهب جميل وفضة
٣	١٨٢١٤	(١٣) أحجار ثمينة حقيقية: قطع منوعة
	١١٢١٣٢	(١٤) نحاس أسود، ونحاس وقصدير (صفائح)
	٣٢٨	(١٥) خشب الأرز: قطع منوعة
	٤٤١٥	(١٦) شجر مستكة: قطع منوعة

صفحة ٢٢

التضرع الختامي

(١) ما أسعد من يعتمد عليك، يا هذا الإله يا «آمون» يا ثور أمه، ويا حاكم «طيبة»، أقدرني على أن أصل إليك في أمان راسياً في سكينه، (٢) وثاوياً في الأرض المقدسة مثل التاسوع، وليتني أختلط بأرواح «مانو» (جبل الغرب) الممتازين الذين يُشاهدون ضوءك في الصباح المبكر (٣) اصغ إلى تضرعي يا والدي، ويا سيدي، وإني أنا الوحيد بين التاسوع بجانبك. توج ابني ملكاً على عرش «آتوم»، وممكنه بوصفه (٤) ثوراً قوياً يا سيد الشاطئين (له الحياة والفلاح والصحة) ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين «وسرماعت رع ستين آمون» - له الحياة والفلاح والصحة - (٥) هو والنطفة التي خرجت من أعضائك، وإنك أنت الواحد الذي نصبته ليكون ملكاً، وعندما كان شاباً عينته ليكون (له الحياة والفلاح والصحة) حاكم الأرضين على الناس. امنحه حكماً ملايين السنين (٦) واجعل كل عضو من أعضائه سليماً في سعادة وصحة. مَكِّن

تاجك على رأسه وهو جالس على عرشه، وليت الصل يُوضع على حاجبيه، اجعله قديسًا أكثر (٧) من أي إله، وعظيمًا مثل حضرتك بوصفه سيد أهل «الأقواس التسعة». واجعل اسمه يزدهر فتياً يومياً في حين أنك تكون درعاً خلفه (٨) كل يوم، وَضَع سيفه ومقمعته على رعوس البدو (ستيو)، وليتهم يسقطون خوفاً منه مثل «بعل»، واجعل حدوده تمتد كما يرغب (٩) وليت الأراضي والممالك تخشاه رعباً منه. هبه مصر فرحة، وأبعد عنه كل شر ومصيبة وهلاك. (١٠) امنحه الفرح ممكناً في قلبه، والانشراح والغناء والرقص أمام وجهه الجميل، وضع الحب له في قلوب الآلهة والإلهات، والإشفاق والخوف منه في قلوب الناس (١١)، وأتم الأشياء الطيبة التي حدّثني عنها على الأرض لأجل ابني الذي على عرشي، فإنك أنت الواحد الذي خلقتة، ومكّن ملكه (١٢) لابن ابنه؛ لأنك حامٍ لهم ومجيب عنهم، وهم لك خدام، وعيونك نحوك، مؤدّين الإنعامات.

صفحة ٢٣

(١) لحضرتك أبدأ الأبدان

أما الأشياء التي أمرت بها فقد تم إنجازها ممكنة ثابتة، والأشياء التي تقولها وتدوم مثل الحجر الصلب (٢) لقد قضيت لي بحكم مائتي سنة. (١٣٩) فمكنها لابني الذي لا يزال على الأرض، واجعل (٣) حياته أطول من حياة أي ملك حتى يكرر الإنعامات التي أديتها لحضرتك، اجعله ملكاً بأمرك (٤) تَوَجَّه أنت، ولا تدعه ينكس ما فعلته يا رب الآلهة. امنحه فيضانات عظيمة غنية في زمنه (٥) ليمد حكمه بالأرزاق الوفيرة، وامنحه أمراء لم يعرفوا مصر محملة ظهورهم (٦) (بالجزية) لقصره الفاجر، ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين (وسرماعت رع ستين آمون) - له الحياة والفلاح والصحة - ابن «رع» رب التيجان: «رعسميس الرابع» حقا ماعت - مري آمون (له الحياة والفلاح والصحة).

هليوبوليس

مقدمة: لما كانت المعلومات الأثرية التي لدينا عن معبد «هليوبوليس» ضئيلة جدًا، فإننا سنكتفي هنا بسرد ما ذكر منها مما أقامه الفرعون «رعمسيس الثالث» أو عمله - كما حدث ذلك في معابد «طيبة» - وهذا نفس ما سنتبعه في مباني القسم المنفي، وفي المعابد الصغيرة. ومع ذلك فإن للإنسان الحق في أن يحدد مواضع كل المباني التي لم تصل إلينا عنها معلومات كتابية في مكانٍ بعيد عن دائرة «هليوبوليس» كما ذكر ذلك لنا «ركي»^(١٤٠) إذ يقول: إن في الرقعة التي تمتد في «معبد الكرنك» من البوابة الأولى في «معبد آمون» حتى البرج الشرقي للملك «نقطانب» ومن «معبد بتاح» حتى جدار السور الجنوبي «لمعبد موت» يمكن الإنسان أن يقول عنها - بدون أية صعوبة - إنها معابد هليوبوليتية، وقد أُقيمت فيها أماكن ثانوية فيما بعد، غير أنه ليس في استطاعتنا أن نعين مكانًا واحدًا منها على وجه التأكيد - اللهم إلا معبد «آتوم» الرئيسي.^(١٤١) وأسماء المعابد التي جاءت في القائمة الأولى هي:

(١) «معبد رعمسيس حاكم هليوبوليس في ضيعة رع» (ه/٣١/٣)، ولا بد أن هذا المعبد يشير إلى بناء جديد أقامه هذا الملك في «معبد رع» الكبير القائم في «هليوبوليس». وقد وُصف هذا البناء في متن المقدمة (ه/٢٥/٢ الخ)، وينبغي للإنسان هنا أن يعد العلاقة التي بين هذا المعبد الصغير الذي أقامه «رعمسيس الثالث» وبين المعبد الرئيسي كالعلاقة التي بين معبد الدولة الكبير للإله «آمون» صاحب «طيبة» وبين المعبد الصغير الذي أقامه «رعمسيس الثالث» في ردهة «بوسطة» بالكرنك، وقد تحدثنا عنه فيما سبق.

(٢) هذه البقعة لمعبد «رعمسيس الثالث» في ضيعة «رع» شمالي «هليوبوليس» (ه/٣١/٥). وقد ذهب كل من الأستاذين «برستد» «زيت» إلى أن المقصود هنا بهذا المعبد هو معبد «تل اليهودية»^(١٤٢) وقد جاء ذكر هذا المعبد في ورقة «هاريس» بالتطويل بإضافة نعت «بيت ملايين السنين» (ه/٢٩/٨).

(٣) معبد «رعمسيس» حاكم هليوبوليس في ضبعة «رع» (ه/٢٩/١٢): تدل ظواهر الأمور على أن هذا المبنى موحد مع الاسم الذي جاء في «هاريس» (٦/٣١) «منتزه الفرعون». وهذا المبنى لم يُذكر في القائمة الأولى على وجه عام. ولكن على حسب الجملة الإضافية التابعة لهذا الاسم وهي: «في هذا المكان» فإنه ينبغي لنا أن نبحث عن هذا القصر - أو هذا المنتزه - في «تل اليهودية». وعلى ذلك تكون العلاقة - أو وجه الشبه - بينه وبين المعبد الذي أُقيم في هذه الجهة كوجه الشبه أو العلاقة التي بين قصر مدينة «هابو» وموقعه في المعبد الرئيسي. (١٤٣)

(٤) معبدا «هليوبوليس» الكبيران: أثبت «ركي» في مقاله (Loc. Cit. ١٣ ff) أنه يوجد معبدان كبيران مختلفان في «هليوبوليس» أحدهما معبد «رع حوراخي» والآخر معبد «آتوم». وهذان الإلهان كما جاء في منظر ورقة «هاريس» ص ٢٤ كانا يُعبدان معًا. وقد زاد «رعمسيس الثالث» في عدد خدام كل منهما كما جاء في «هاريس» ص ٣١/٤: الناس الذين وهب ضبعة «آتوم» إياهم، سيد الأرضين الهليوبوليتي، كما قدمهم هبة إلى «رع حوراخي».

وهذه الجملة تدل - بلا نزاع - على أن الملك - خلافاً لمبانيه الجديدة - قد زاد في أملاك المعبد الكبير في «هليوبوليس».

والظاهر أن «رعمسيس الثالث» كانت له علاقة خاصة ببلدة «هليوبوليس» كما يدل على ذلك نعته في لقبه «حاكم هليوبوليس». وإنه لمن الصعب أن نعرف على وجه التأكيد الظروف أو الحوادث التي دعت إلى نعته بهذه الصفة. ومع ذلك فإنه يمكن بعد قراءة هذه البردية أن نقترح ما يأتي:

في مقدمة الجزء الخاص «بهليوبوليس» نجد أنه قد ذُكر عن قصد أن الملك قد طهر «هليوبوليس» أو بحيراتهما أو ثيرانهما (راجع هاريس ٢٥-١٠، ٢٧-٧، ٣-٣). ومن المدهش أن هذا التعبير لم يُذكر في الجزء الخاص «بطيبة» (ه/٤٧-٢).

والمواقع أننا نجد ذلك مذكورًا مرة أخرى في متن آخر، وذلك على لوحة مؤرخة بالسنة العشرين من حكم «رعمسيس الثالث». وقد وُجدت هذه اللوحة في الجدار الموصل بين البوابة الرابعة والبوابة السابعة في الكرنك، وقد جاء عليها ذكر أعمال الملك لأهنته فيقول: (Worterbuch zettel792): إن الفرعون قد طهر «هليوبوليس» لأجل الإله «آتوم» وعمل بيت «رع» في الأفق بما يتبعه من شعائر.

وكذلك جاء في نفس النقش (Worterbuch zettel793): لقد طهرت «هليوبوليس» من كل قذى.

ويدل الفعل الذي استعمله هنا للتعبير عن الطهور على أنها قد طُهرت من الدنس؛ لأنها نُظفت أو بُحرت من الأقداء المادية، وذلك كله يشعر بوقوع حادثة معينة قريبة العهد، وأن «رعمسيس» قد قام بأداء خدمة جليلة مما جعله يضيف إلى اسمه عبارة «حاكم هليوبوليس». والظاهر كما يقول «شادل» أن ذلك ربما يشير إلى أن «هليوبوليس» في عهد اضطراب العرش وهي الفترة التي تقع بين الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين وبخاصة في عهد حكم «إرسو» الأجنبي الذي دنس البلاد، وجعلها نجسة. ولم يقع على عاتق «ستنتخت» تجديد «هليوبوليس»، بل كان ذلك الواجب الأول الذي قام بعبئته «رعمسيس الثالث» كما يدل على ذلك تركيب اسمه. وقد قام به بقلب فرح ونفس منشحة. والخلاصة هي أن المعابد الجديدة التي أقامها «رعمسيس الثالث» في «هليوبوليس» أو بالقرب منها هي ما يأتي:

(١) معبد «رع» في هليوبوليس.

(٢) معبد تل اليهودية.

(٣) قصر في تل اليهودية.

أما ما ذكر في «ورقة هاريس» (٣١-٧): الأرض الجديدة «لرعمسيس» حاكم «هليوبوليس» «الذي يجعل الأرضين تعيشان».

فإن هذا اسم ضيعة أهداها الفرعون، وهي على أية حال ليست اسمًا لأي معبد.

هليوبوليس

الصورة الإيضاحية

«رعمسيس الثالث» يقف مصليًا أمام الإلهة «حوراختي» الإله العظيم رب السماء: والإله «آتوم» رب الأرضين الهليوبوليتي، والإلهة «أوس-عاس» سيدة «هليوبوليس»، والإلهة «حتحور» سيدة «حتبت».

كلام الملك: إني أنطق الصلوات، والمديح، والتعبد والثناء، والأعمال الجليلة، والإنعامات التي أديتها لك في حضرتك يا أيها الأمير العظيم.
صلاة للآلهة ويتبعها تعداد أهم المباني والهدايا.

صفحة ٢٥

(١) التضرعات، والثناء، والمدائح، والأعمال الجليلة، والإنعامات التي أداها الملك «وسرماعت رع مري آمون» (له الحياة والفلاح والصحة) الإله العظيم (٢) لوالده «آتوم» رب الأرضين الهليوبوليتي «رع حوراختي»، والإلهة «أوس-عاست» (ساوسس) سيدة «حتبت» (حتحور) وكل آلهة «هليوبوليس».

يقول الملك «وسرماعت رع مري آمون» (له الحياة والفلاح والصحة) الإله العظيم (٣) في مديح والده هذا الإله الفاخر «آتوم» رب الأرضين الهليوبوليتي «رع حوراختي»: الحمد له يا (رع-آتوم) رب الكل وخالق ما هو كائن، المشرق في (٤) السماء، ومضيء هذه الأرض بأشعته، ومن يلفت إليه وجوههم، والمخفيون الساكنون في الغرب (الأموات) يسرون برؤية جمالك، وكل الناس تنشرح عند النظر (٥) إليك، وإنك أنت الذي خلقت السماء والأرض، وإنك أنت الذي نصبتني ملكًا على الأرضين

وحاكمًا (بالحياة والفلاح والصحة) على عرشك العظيم وإنك قد وليتني على كل الأراضي إلى نهاية ما يحيط (٦) به «آتون» (قرص الشمس)، وإنهم قد خافوا وسقطوا لاسمي كما فعلوا لاسمك. ولقد كنت مجددًا في متابعة الإنعامات والأعمال (٧) العظيمة العديدة لبيتك.

المباني والمنح للمعابد: لقد زدت في جدارك (سورك) في بيت «رع» ومألت بيت ماله بحاصلات أراضي مصر، وأفعمت مخازن غلاله بالشعير والقمح، وهي التي كانت (٨) قد بدأت تقف مهدمة منذ الملوك (السالفين)، وقمت بتصميمات عظيمة لتمثيلك، وجعلتها تُثوى في محارب معبدك، ووضعت الأنظمة (٩) للكهنة المطهرين في بيت «رع» وجعلته أكثر قدسية مما كان عليه من قبل (١٠) ونظفت «هليوبوليس» لأجل تاسوعه المقدس، وبنيت معابدهم التي كانت محترقة، وسويت آلهتهم في صورها الخفية من الذهب^(١٤٤) والفضة وكل حجر (١١) غالي لتكون عملاً خالدًا.

محراب في معبد «هليوبوليس»: (١٢) وأقمت لك بيتًا فاخرًا في وسط معبدك مثل السماء ممكنًا وفيه صورة «آتون» (الشمس) أمامك مؤسسًا بالحجر الصلب مكسوًا بالحجر الأبيض الجميل وممكنًا.

صفحة ٢٦

(١) بالعمل الحسن الباقي باسمك وإنه أفق «حوراخي» العظيم الخفي، وعرشه العظيم من الذهب، والمصرعان من ذهب «كتمت»^(١٤٥) في حين أن أملك تُثوى (حبيت) في وسطه (٢) فرحة راضية عند رؤيته، وأعددت به بالشبان الذين دربتهم، وبالأملاك الشخصية والأراضي والقطعان التي يخطئها العد.

تمثيل ضخمة في معبد «هليوبوليس»: (٣) وأقمت لك آثارًا عظيمة في بيت «رع» من الحجر الصلب الذي سواه «آتوم» في صور عظيمة نُحتت بمجهود، وهي راسخة (٤) في أماكنها أبد الآبدين في بيتك الفاخر، وردتهك الأنيقة منقوشة باسمك

المقدس مثل السماء.

تعاويذ لتمثال «رع»: (٥) وصنعت لك تعاويذ فاخرة من الذهب الجميل مطعمة باللازورد والفيروز الحقيقي وعلقتها على جسمك في البيت العظيم لحفظك وبهاك (٦) في مكانك المقدس حتى تحمي أعضائك الفاخرة بمثابة تعاويذ سنوية لصورتك العظيمة الفخمة الجميلة.

محراب من الجرانيت: (٧) وصنعت لك محراباً سريعاً من الجرانيت وفيه يثوى الإلهان «آتوم» و«تفوت» ومصرعاه من النحاس ممّوهان (٨) بالذهب ومنقوشان باسم جلالتك العظيم سرمدياً.

لوحات نُقش عليها أنظمة المعبد: (٩) ووضعت لك مراسيم عظيمة لإدارة معابدك مسجلة في قاعة سجلات مصر، وصنعت لوحات خط عليها الأشكال (بالمداد) ثم نحتت بالمسحّل. (١٠) باقية لك أبداً فلا تحطم.

موازين المعبد: (١١) وصنعت لك موازين فاخرة من السام (٣٣٥ أ)) لم يُعمل مثلها منذ زمن الإله (يعني هنا الإله «رع»). وقد جلس عليها «تخوت» ١٤٦ بوصفه حارساً للموازين في صورة (١٢) فرد عظيم فاخر من الذهب المطروق، وإنك ترن فيه (المعبد) أمامك يا والدي «رع» عندما تقدر الذهب والفضة بمئات الألوف التي أُحضرت جزية.

صفحة ٢٧

(١) أمامك من خزائنهم (؟)، وأعطيت خزانتك الفاخرة في بيت «آتوم»، وقد أسست له (أي للميزان) قرباناً يومياً مقدساً ليمد مائدته في الصباح المبكر.

مخازن للأعياد: (٢) وأقيمت لك مخازن لأعياد الظهور مبنية على أرض بكر (طاهرة) في أرض «هليوبوليس» وهي قدسية في صناعتها، وأمددتها بعبيد حسان مختارين،

وبجب نظيف بعشرات الآلاف لميرتها.

مخازن لدخل المعبد: (٣) وأقمت لك مخزنًا نظيفًا يحتوي على قرابين مقدسة أكثر مما كان قبلي منذ عهد الملوك السابقين، وزودته بكل شيء ولم يعتوره أي نقص لإمداد قربانك في الصباح الباكر.

معبد خاص للقرب: (٤) وأقمت لك مخزن قربان لردتهك مفعماً بالقربات المقدسة والطعام الغزير، ويشمل قربات عظيمة من الذهب والفضة لتقدم إلى حضرتك يا سيد الآلهة وجهرتها (٥) وأتممتها بالشعير والقمح، وقد ملئت بالغنائم التي جلبتها من أهل الأقواس التسعة وكانت لحضرتك يا أيها السيد الأوحد، يا بارئ السماء والأرض حتى تضاعف أعياد أوائل الفصول أمامك.

حظيرة المشاية والدجاج: (٦) وأقمت لك حظائر مواشٍ معدة تحوي ثيرانًا وعجولاً مخصية، وكذلك بيوت تسمين جديدة تحوي أوزًا مسمناً.

تنظيف البحيرة المقدسة: (٧) وطهرت البحيرة المقدسة الخاصة ببيتك، فأزلت كل الأقداء التي كانت فيها، وقد كانت حالتها كذلك منذ خلقت الأرض، ولقد كان تاسوعك المقدس راضيًا في قلبه وفرحًا بها.

الكروم وحدائق شرح: (٨) وقدمت (شراب) «شدح» ونبيدًا بمثابة قربان يومي ليقدم لأرض «هليوبوليس» في مكانك السامي السري، وخمائل ورياضًا بنباتاتها جديدة، وإن أرباب أرض الحياة راضون بذلك؛ (٩) وغرست لك حدائق عظيمة مجهزة فيها خمائلها التي تحمل شراب «شدح» ونبيدًا في قصر «آتوم» العظيم وتاسوع آلهة هليوبوليس المقدس يتتهج بالأعياد ليرضي جمالك يوميًا.

أرض الزيتون: (١٠) وجعلت لك أراضي زيتون في بلدتك «هليوبوليس»، وأمددتها ببستانين وأناس كثيرين لصنع زيت نقي يكون أحسن ما في مصر لإيقاد المصباح في قصرك المفاخر.

خمائل وحدائق الأزهار: (١١) وصنعت لك حدائق أشجار تحتوي نخباً وبحيرات
مجهزة بأزهار البشنيين وأزهار البردي، وأزهار (اسى) وأزهار كل أرض، وأزهار «ردمت»
ومراً وأخشاباً حلوة عطرة لوجهك الجميل.

ضياح جديدة للمعبد: (١٢) وجعلت لك آلافاً من الأرض من جديد من الشعير
النقي، وزدت حقولهم التي كانت قد نقصت لأجل أن أزيد بمقدار عظيم القربان لاسمك
العظيم السامي المحبوب.

صفحة ٢٨

(١) وجعلت لك أراضي عديدة في الجزر الجديدة في المراكز الجنوبية والشمالية
بعشرات الآلاف، وعملت لها لوحات منقوشة باسمك ممكنة لك تحمل مراسيم سرمدية
(٢) وصنعت لك حظيرة دجاج تحوي طيوراً برية (راجع عن حظائر الطيور)،
وأجريت ١٤٧ برك الطيور إلى مدينتك (هليوبوليس) ليقدمها لحضرتك يا والدي، وقد
سيقت إليك إلى تاسوعك المقدس الذي يتبعك.

الموظفون والخدم والعبيد: (٣) ونصبت لك رماة ونحالين، وحاملي بخور ليقدموا
إتاواتهم السنوية إلى بيت مالك الفاخر (٤) ونصبت لك رماة صيادين ليصطادوا غزلاً
بيضا ليقربوها إلى حضرتك في كل أعيادك (٥) وجعلت لك نواقي ومشرفين من الرعايا
الذين دربتهم لجمع إتاوة الأرضين، وهي ضرائب الأرضين والإتاوة التي تُحصل لبيت
مالك في معبد «رع» لتضاعف قرايينك المقدسة أكثر من ألف ألف مرة (٦) ونصبت
عبيداً حرساً لمينائك لملاحظة قناة ميناء «هليوبوليس» في المكان الفاخر (المعبد). (٧)
ونصبت حراس أبواب من العبيد وأمددتهم برجال ليحرسوا ويراقبوا ردهتك (٨) وجعلت
عبيداً حراساً لإدارة القناة وحراساً للشعير النقي لأجلك أيضاً.

إصلاح مخازن الغلال: (٩) وأقمت لك مخازن غلال مُلئت بالحبوب وهي التي
كانت قد بدأت تنضب فأصبحت ملايين.

تمثال من ذهب: (١٠) وسويت لك تماثيل من الذهب المطروق راکعة على الأرض أمامك تحمل قرابين مقدسة، وسويت أخرى كذلك من الفضة الخالصة لأرضي صليک في کل وقت.

أواني العبادة للمعبد: (١١) وصنعت لك قاعدة آنية كبيرة في ردهتک، زجاجاتها من الذهب والفضة، تحمل أبريق شراب شذح، ومونة بالقربات الإلهية في قوائم عدة، لتقدم إلى حضرتک يا أيها الأمير العظيم (١٢) وصنعت لك أواني مائدة لا حصر لها من الفضة والذهب المطعم منقوشة باسمک، ومبخرة «نمست» (آنية نمست)، وأواني «دنبا» وأواني «عنخي»، وأواني «حسيوت»، وكنوسًا عديدة حملها إلى (١٣) حضرتک بقربان النبيذ، وكان تاسوعک المقدس راضيًا في قلبه، وفرحًا بها.

صفحة ٢٩

سفن المعبد: (١) وبنيت لك سفن نقل، وسفناً لحمل المتاجر مجهزة بالرجال لتحمل محاصيل أرض الإله (بنت) إلى بيت مالک ومخزنک.

إصلاح مقصورة «حور» وخميلتها: (٢) وأصلحت بيت «حور المشرف على المعبد» فأقمت جدرانها التي كانت مخربة. (٣) وجعلت الخميطة التي كانت في وسطه تنمو، وغرستها بالبردي في وسط مستنقعات الدلتا (على الرغم من) أنها كانت قد بدأت تقفر سابقًا. (١٤٨)

خميطة المعبد! (٤) وجعلت خميطة معبدک الطاهرة تنمو، وجعلتها في حالتها الملائمة عندما بدأت تقفر، وأمددتها ببستانيین لفلاحتها لتثمر قربانًا من شراب شذح في المكان الذي يعرفه (أي التمثال)، (٥) وجعلت لك قرابين أعياد عظيمة لردعتک زيادة عما كانت عليه الحال من قبل، منذ زمن الآلهة، ومؤنتها بالثيران والعجول المخصصة وماشية الجبل، والزيت، والبخور، والشهد، وشراب شذح (٦) والنبيذ، والذهب، والفضة، والكتان الملکی، والملابس العديدة، وكل الأزهار لوجهک الجميل.

قربان معبد «حعي» (النيل): (٧) وعملت لك قربان أعياد عظيمة في بيت «حعي»، وكل تاسوع «خرعحا» (مصر العتيقة) كانوا في أعياد.

معبد «رع» شمالي «هليوبوليس»: (٨) وأقمت لك بيتًا فاخرًا شمالي «هليوبوليس» ممكنًا ليكون عملاً أبدياً منقوشًا باسمك «بيت ملايين السنين لرعمسيس حاكم هليوبوليس» (بالحياة والفلاح والصحة) في بيت «رع» شمالي «هليوبوليس». وقد أعدته بالناس والمتاع ليحملوا إلى بيتك حدائق تحتوي أزهارًا لردهتك.

قطعان المعبد: (٩) وجعلت لك قطعًا (يُسمى): «صناع الإنعامات»، وأمددته بحيوانات جميلة لا حصر لها، لتقدم إلى حضرتك في كل أعيادك، وضاعفت شبابها (أي التابعين لها) التابعين لاسمك (١٠) وجعلت لك قطعًا آخر لبيتك الفاخر، لإمداد معبدك بذخيرة غزيرة، (وسميتة) «قطيع رعمسيس حاكم هليوبوليس في حياة وفلاح وصحة مضاعفًا القربان في ضبعة رع»، وملأته بالماشية والرعاة أيضًا، على أنهم لن يزولوا قط بوصفهم تابعين لحضرتك.

إصلاحات: (١١) وقمت لك بأعمال بواسطة عمال وقاطعي أحجار، لبناء معبدك ولإصلاح بيتك.

معبد^(١٤٩) «رع»: (١٢) وأقمت لك: «بيت رعمسيس حاكم هليوبوليس في ضبعة رع» مجهزًا بالناس والمتاع مثل الرمال.

صفحة ٣٠

معبد الآلهة «أوس-عا-س» (ساوس Saosis): (١) وأقمت لك معبدًا فاخرًا غربي قناة «هليوبوليس» لأملك «ساوسس» سيدة «هليوبوليس».

مستعمرة الأسرى الأجانب: (٢) وأقمت لك مستعمرة نظيفة من الشبان العديدين الذين أحضرت أولادهم إلى بيتك المسمى: «الاستيلاء على الآخرين»

(الأجانب).

النيران المقدسة: (٣) ونميت الماشية السوداء، والنيران العظام مطهرة من كل خبث في حقولها.

سفينة «أوس-عا-ست»: (٤) وبنيت سفينة كبيرة لابنتك العظيمة «أوس-عا-ست» سيدة «حطب» وسميتها «سب»^(١٥٠) في هليوبوليس» من خشب (٥) الأرز (نعر)، وهو أحسن ما في الضيعة الملكية، وكانت مصفحة بالذهب مثل سفينة «ملايين السنين».

القوائم: (٦) تأمل قائمتها (أي الأعمال الخيرية التي قام بها «رعمسيس الثالث») فإنها أمامك يا ولدي، ويا سيدي لتحديث التاسوع الإلهي بإنعاماتي.

صفحة ٣١: (ب) القوائم

ثروة المعابد: (١) قوائم بالأشياء، والماشية، والحدائق، والخمائل، والأراضي الزراعية، والسفن التجارية، ومصانع السفن، والمدن التي منحها الملك «وسرامعت رع مري آمون» (له الحياة والفلاح والصحة) الإله الأعظم (٢) لوالده الفاخر «آتوم» رب الأرضين الهليوبوليتي، وللإله «رع حوراخي» ملكية سرمدية.

التابعون للمعابد إلخ: (٣) بيت «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» في ضيعة «رع» تحت إشراف «أعظم الرانين» (عدة) موظفين في كل الفروع (الأشياء): ١٤٨٥ نسمة. (٤) الناس الذين^(١٥١) منحهم لمعبد «آتوم» رب الأرضين «هليوبوليس»، (ولمعبد «حوراخي»، وهم الذين في ملكية الضيعة (أي الضيعة الجديدة التي ذكرت قبل الآن) تحت إدارته: ٤٥٨٣ نسمة.^(١٥٢)

(٥) وهذه البقعة (٥) لمعبد^(١٥٣) «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» في ضيعة «رع» شمالي «هليوبوليس» تحت إشراف الكاتب، وكبير المفتشين «برحطب» مجهز بأملكه ٢١٧٧ نسمة.

(٦) قصر متنزه^(١٥٤) الفرعون (له الحياة والفلاح والصحة) الذي في هذا المكان، وهو الذي يديره الكاتب الأول «تختمس» والموظفون ١٧٧٩ نسمة.

(٧) ضيعة الأراضي الجديدة «لرعمسيس الثالث» (له الحياة والفلاح والصحة) الذي جعل الأرضين تعيشان وهي تحت إدارة الكاتب والمفتش الأول «حوري»: ٢٤٧ نسمة.

(٨) الضباط، وأولاد الرؤساء، والأشراف (مريانا)، والعبرو، وأهل المستعمرات الذين في هذا المكان: ٢٠٩٣ نسمة.

(٩) المجموع = (١٢٩٦٣) نسمة (ولكن المجموع الصحيح هو) = ١٢٣٦٤ نسمة.

صفحة ٣٢ (أ): أملاك متنوعة

٤٥٥٤٤	(١) ماشية متنوعة
٦٤	(٢) حدائق وثمانل
$١٦٠٠٨٤ \frac{1}{4}$	(٣) أراضي استات*
$٥ \frac{1}{2}$	(٤) مصانع سفن من خشب الأرز والسنتط
٣	(٥) سفن نقل، وسفن شحن
١٠٣	(٦) مدن مصرية

* ستات = ١٠٠٠٠ ذراعاً أو ٢٧٣٥ مترًا مربعًا أي نحو فداناً مصريًا.

ضريبة رعايا معابد «هليوبوليس»: (٧) السلع والضرائب وإنتاج الناس لمعبد «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» (له الحياة والفلاح والصحة) في ضيعة «رع» (٨)

ولمعبد «رعسميس» حاكم «هليوبوليس» (له الحياة والفلاح والصحة) في شمالي «هليوبوليس»، ولمعابد وقطعان هذا البيت (٩) التي تحت إدارة الموظفين بمثابة الجزية المفروضة عليهم سنوياً:

دبن	قدت
٥٨٦	$\frac{2}{3}$ ، $\frac{1}{4}$ ٢
(١٠) فضة	

صفحة ٣٢ (ب)

دبن	قدت
(١) نحاس	١٢٦٠
(٢) كتان ملكي، وكتان «ملك» وكتان الجنوب مضاعف الجودة، وكتان الجنوب الجميل، وكتان ملون، ملابس متنوعة	١٠١٩
(٣) بخور، وشهد، وزيت: أوانٍ مختلفة (إعع)	٤٨٢
(٤) شراب شدح، ونبيذ؛ أوانٍ مختلفة (إعع)	٢٣٨٥
(٥) فضة من سلع الإتاوة المفروضة على الناس للقربان المقدس	٤٥٦ $\frac{1}{2}$ ٣
(٦) حبوب نقية من ضرائب الفلاحين بالحقيبة (خار)*	٧٧١٠٠
(٧) خضر باقات	٤٨٠٠
(٨) كتان حزم	٤٠٠٠

(٩) طيور ماء من إتاوة الصيادين والسماكين ٣٧٤٦٥

(١٠) ثيران وعجول مخصية وعجلات وعجول ٩٨

وبقرات وماشية من القطعان

(١١) أوز حي من الإتاوة (هكذا؟) ٥٤٠ $\frac{1}{2}$

(١٢) خشب الأرز: قارب عبور ١

(١٣) سنط: سفن واسعة وسفن نقل ٧

(١٤) سلع الواحة في قوائم عدة للقرايين الإلهية

* خار = حقيبة: والحقيبة تسع أربع وبيات. والووية تحتوي أربعين «هنا»، وهو مكيال مصري مصنوع من الفخار أو المعدن وعلى ذلك تشمل الحقيبة ^(١٦٠) هنا. وقد عُثر على بعض مكاييل للهن ووجد أنه يسع ٠,٤٦ من اللتر؛ وعلى ذلك تكون الووية تسع ١٨,٤ لترًا والحقيبة تسع ٧٣,٦ لترًا. وقد حسب المستر «لوкас» حديثًا سعة الهن من مكاييل من عهد البطالمة ووجد أنه يسع ٠,٥٠٣ من اللتر؛ وعلى ذلك يكون سعة الووية ٢٠,١ لترًا وسعة الحقيبة ٨٠,٤ لترًا.

والآن يتساءل الإنسان كيف يمكن قرن هذه الأرقام بالقيم التي كان ينسبها علماء البردي الإغريقي للإردب وتقسيمه إلى أربعين شوينكس choinix؟ والواقع أن الووية بقيت مستعملة مكياً حتى العهود البيزنطية، غير أن سعتها كانت أقل من عهد الفراعنة. وكلمة إردب من أصل فارسي، وعلى أنه قد وُجد في العهد الإغريقي الروماني أن أحد قيم الإردب المتقلبة وقتئذ كانت ٤٠ شوينكس، وإذا أضفنا إلى ذلك أن معنى كلمة «شوينكس» يقرب جداً من معنى «الهن» المصري وهو «إناء» أو «مكيال» يجعل من المعقول لدينا من حيث الحجم أن الإردب كان يُقاس بالووية، وهو استعمال لا يزال حتى عهدنا الآن؛ إذ إن الإردب يساوي ست وبيات (راجع Wilbour Pap. II, p. ٦٤ -

(٥). ويُلاحظ أن في العهد البيزنطي كان الإردب يحتوي ثلاث وبيات كبيرة وست وبيات صغيرة؛ أي إن الوبية كانت تساوي من الإردب كما هي الحال في عهدنا (راجع Ibid p. ٦٥ note ١).

صفحة ٣٣ (أ): المنح الملكية

(١) الذهب، والفضة، واللازورد الحقيقي، والفيروز الحقيقي، وكل حجر فاخر غالٍ، والنحاس الأسود، (٢) والملابس من كتان «مك» ومن الكتان الملكي، وكتان الجنوب الجميل، وكتان الجنوب، والملابس الملونة، والجرار من كل شيء التي أعطاه (٣) الملك «وسرماعت رع مري آمون» (له الحياة والفلاح والصحة) الإله العظيم، هبة من الملك (له الحياة والفلاح والصحة) لتموين بيت والده الفاخر «آتوم» رب الأرضين الهليوبوليتي ولـ «رع حوراخي» (٤) من السنة الأولى حتى السنة الواحدة والثلاثين، أي مدة واحدة وثلاثين عامًا.

قدت	دين	
٩ $\frac{2}{3}$	١٢٧٨	(٥) ركيزة ذهب جميل، وذهب للموازين*
٣ $\frac{1}{2}$	١٩٨	(٦) ركيزة ذهب جميل من الدرجة الثانية، وذهب أبيض في صورة أوانٍ وحلي
٣	١٤٧٩	
$\frac{1}{2}$	١٨٩١	(٨) ركيزة فضة للموازين وفضة أوان
	٣٩٤	(٩) فضة مطروقة: لوحة واحدة
$\frac{1}{2}$	٢٢٥٥	(١٠) مجموع الفضة (المجموع هنا ناقص ٣٠)
٣ $\frac{1}{2}$	٣٧٣٤	(١١) مجموع الذهب والفضة

١	١	(١٢) لازورد حقيقي قطعة واحدة
٣٦		(١٣) لازورد وزمرد: جعران كبير العدد
٣	٦٧	(١٤) نحاس أسود للموازين
٣	٤٠٠	(١٥) نحاس مطروق: لوحتان

* أي الموازين التي ذكرت في ورقة «هاريس» ص (٤٦) سطر (١١) وفي ٢٧-١، ويبلغ الذهب الذي خُصص لها حوالي ٣١٣,٧٥ رطلاً.

† حوالي ٤٦٠ رطلاً.

صفحة ٣٣ (ب)

قادت	دين	
	١ ١٤١٦	(١) نحاس: أوان
٧	* ١٨١٩	(٢) مجموع النحاس بالدين
	١٨٧٩٣	(٣) كتان ملكي وكتان مك وكتان الجنوب الجميل وكتان الجنوب وكتان ملون وملابس مختلفة
	١٧٨٧	(٤) مر (دين)
٢		(٥) مر (حقت)
	٢٠	(٦) خشب مر: كتل (بالقطعة)
	١٠٠	(٧) ثمرة المر بالمكيال (إبت) ويبة
	٣٨٤٠	(٨) بنخور، وزيت، وشهد، وشحم أوان متنوعة (إعع)

١٠٣٥٥٠	(٩) شراب (شده) ونبيد: أوان متنوعة (إع)
٥٣٠	(١٠) بخور: قاراروتي (وزن) قاراروتي
٦٢	(١١) بخور: مكاييل كبيرة (ويبة)†
٣٠٠	(١٢) أسفلت جميل‡ من «بنت»: دين
١١	(١٣) حجر (وبات): أختام مركبة على ذهب
٥٠	(١٤) حجر (حرس): بالدين

* لقد حذف الكاتب العدد، والمجموع الحقيقي هو ١٨٨٣ دبناً و٧ قدتاً. (رجع فصل الملكة توسرت ملاحظة رقم ١).

† كان الإردب على حسب ما جاء في العهد البيزنطي يحتوي ثلاث وبيات كبيرة وست وبيات صغيرة.

‡ أسفلت يُجلب من بلاد «بنت» و«قفط» و«زاهي» ويُستعمل في التحنيط، وكذلك يُستعمل جزءاً رئيسياً في نوع من المسوح (W. B. II, p. ٨٢).

صفحة ٣٤ (أ)

دبن	
٥٠	(١) حجر أمازون أخضر: بالدين
٢٠٠	(٢) حجر يشب أحمر: بالدين
١	(٣) حجر ثمين: مائدة قربان
٢٠٠	(٤) حجر (وبات): أختام
٢١٩٥	(٥) بلور صخري وأحجار ثمينة، صدريات متنوعة

١٠	(٦) بلور صخري مقطع: بالهن
٢٢٤٥٠	(٧) بلور صخري: خرز (عدد)
١٧	(٨) عصي من القرفة: سلات (مستي)
٢٠٠٠	(٩) خشب عطري: دبن
٥	(١٠) شعير سوري: حقت
٥	(١١) كمون: حقت
٣١	(١٢) خشب مشغول طُبع عليه خاتم الملك
١	(١٣) خشب مرو مطعم بالأبنوس: قضيب
١	(١٤) خشب مشغول: قطعة للموازين
١	(١٥) خشب خروب: قطعة طولها أربع أذرع

صفحة ٣٤ (ب)

دبن

١	(١) شجرة «برسا» مقطوعة: قطعة طولها أربع أذرع
١	(٢) خشب مرا: عمود للميزان طوله ثلاث أذرع وأربعة أشبار
١	(٣) قطعة خشب ملونة ومزخرفة لتكون عصا
$٥٤ \frac{1}{4}$	(٤) أرض زيتون مجهزة: خميلة واحدة مساحتها: ستات
٢	(٥) حدائق من كل نوع من الأشجار مجهزة

(د) غلة قربان الأعياد والأيام العادية: (٦) حبوب خاصة بالقربان المقدسة لأعياد السماء وأعياد أوائل الفصول وهي التي أسسها الملك (٧) «وسرماعت رع مري آمون» الإله العظيم، لوالده الفاخر «آتوم» سيد الأرضين الهليوبوليتي و«رع حوراخي» زيادة على القرايين اليومية ليضاعف ما كان من قبل (٨) - له الحياة والفلاح والصحة - من السنة (٩) الأولى حتى السنة الحادية والثلاثين أي مدة إحدى وثلاثين سنة: (١٠٩٧٦٢٤ حقبة).

(هـ) قربان الأعياد القديمة: (١٠) تقديم قربان الأعياد التي أسسها الملك «وسرماعت رع مري آمون» إلخ. الإله العظيم لهذا البيت (١١) زيادة لقربان الأعياد السالفة من سنة لأخرى ابتداء من السنة التاسعة حتى الحادية والثلاثين أي مدة ثلاث وعشرين سنة.

(١٢) خبز ناعم: رغفان قرايين كبيرة ذهبية ٤٦٠

(١٣) خبز ناعم: وعاء (باح) أو مكيال (٤٢٢W. b. I, p.) ٤٦٠٠

صفحة ٣٥ (i)

دبن

(١) خبز ناعم: أوعية أو سلات «ودنو» كبيرة ٢٣٠٠٠

(٢) خبز ناعم: سلات «حتب» من خبز «ودن» ٨٠٥٠٠

(٣) خبز ناعم: رغفان «عق» (خُبزت على النار) ٩٢٠

(٤) خبز ناعم: رغفان «عق» كبيرة ٤٦٠٠٠٠

(٥) خبز ناعم: رغفان طويلة بيضاء ٨٠٥٠٠

٩٢٠٠٠٠	(٦) خبز ناعم: رغفان قربان بيضاء طويلة
١٠٣٥٠٠	(٧) خبز ناعم: رغفان بيضاء هرمية الشكل
٣٤٥٠٠	(٨) خبز ناعم: رغفان (كرشت)
٨٠٥٠٠	(٩) خبز ناعم: رغفان (ودنونت)
٨٠٥٠٠	(١٠) خبز «قونك»: رغفان بيضاء
*١٧٦٠٤٢٠	(١١) المجموع: الخبز الناعم: أرغفة «عق» المنوعة
٦٩٠٠٠	(١٢) فطائر على هيئة البقر
١١٥٠٠	(١٣) فطائر: رغفان «بيت»

* ويقول الأستاذ «برستد» إن هذا العدد قابل للقسمة على ٢٧؛ وعلى ذلك إذا أجرينا هذه القسمة في كل قائمة فإن خارج القسمة يكون: القربان السنوي في هذا العيد، غير أن هذا الزعم خاطئ؛ إذ تدل الترجمة التي أوردها الأستاذ «جاردنر» للنصوص على أنه قربان لسنة واحدة كما ذكرنا قبلاً. (راجع الفصل السادس أعمال رمسيس).

صفحة ٣٥ (ب)

دبن	
٢٨٧٥	(١) فطائر «رحسو»: رغفان مستديرة
٤٦	(٢) فطائر «رحسو»: مكاييل (ثشم)
١٩٨٢٦٠	(٣) جعة: مكاييل (تنف)
١٣٨٠	(٤) شراب شدح: جوار ملونة (من)

٢٩٩٠	(٥) شراب شدح: جرار (كابو)
١٦١٠٠	(٦) نبيذ: جرار (من)
٢٠٤٧٠	(٧) مجموع شراب شدح والنبيذ: في جرار «من» و«كابو»
٩٦٦	(٨) ثيران
١٨٨٦	(٩) عجول مخصصة
٧٠٣	(١٠) ثيران (نجا)
١٢٤٢	(١١) عجلات
١٢٤٢	(١٢) عجول
٥٩١١	(١٣) بقرات
١١٩٦٠	(١٤) مجموع الماشية المتنوعة
٢٣٠	(١٥) ذكور الوعل الأبيض

صفحة ٣٦ (أ)

دبن	
١١٥٠	(١) أوز حي
٢٣٠٠	(٢) طيور للإفراخ
٣٨٠٠	(٣) طيور ماء حية
١٧٢٥٠	(٤) مجموع طيور الماء الحية
٩٢	(٥) شهد: جرار (جاي)

- ٩٢٠٠ (٦) بخور: جرار (كا-حركا)
- ٤٦٠٠ (٧) بخور في أواني «ثابو انكاو» (٣٥٤ W. B. V, p.)
- ١١٥٠ (٨) بخور: في هيئة رغفان بيضاء طويلة
- ٣٤٥٠٠ (٩) بخور: سلات «حطب»
- ١٢٦٥٠٠ (١٠) بخور: في سلات (دنيت)
- ٢٦٥٠٠ (١١) بخور: جرار (إعع بو)
- ٣٤٥٠٠ (١٢) سلات بردي ملونة من الجزية لأجل البخور بمكيال
الويبة المنوع (٩)
- ٦٩٠ (١٣) فاكهة: سلات (زدمت)
- ٢٣٠٠٠ (١٤) فاكهة: سلات (ثاي)
- ٣٤٥٠٠ (١٥) فاكهة: مكاييل (حطب-خرتمت)

صفحة ٣٦ (ب)

دبن

- ١١٥٠٠٠٠ (١) فاكهة: مكاييل مختلفة (حطب)
- ٤٦٠٠ (٢) فاكهة: مكاييل (دواير)
- ٢٣٠٠٠ (٣) فاكهة: مكاييل (ديني)
- ٢٣٠٠٠ (٤) ورق بردي: مكاييل متنوعة (بالويبة)
- ٤٦٠٠ (٥) فاكهة (أبحقوقو) مكاييل «حطب»

٤٦٠٠	(٦) تين: أكوام هرمية الشكل
٢٣٠٠٠	(٧) فاكهة «كاثا» وأزهار «كاثا»: حقات
٤٦٠٠٠	(٨) زهور البشنين للبد (١٧٤ w. b. III p.)
٤٨٣٠٠٠	(٩) نبات «إسي»: مكاييل متنوعة (ويبة)
٢٣١٥٠٠	(١٠) نبات «إسي» للبد
٤٦٠٠٠	(١١) أزهار: أكاليل
٤٨٣٠٠٠	(١٢) أزهار البردي: طاقات

صفحة ٣٧ (i)

دبن	
٦٩٠٠	(١) بردي: برك واسعة
٩٢٠٠٠	(٢) نبات «سنر» مكيال «دد» (٥٠١ w. b. v, p.)
٦٩٠٠٠	(٣) نبات «إسي»: مكاييل (دد)
٢٦٥٠٠	(٤) نبات «منح»: بالويبة
٢٤١٥٠٠	(٥) بلح: مكيال (مزا)
٨٦٠٠	(٦) لبن: مكيال (جسر)
٩٢٠٠٠	(٧) فروع من العنب (زينة) في اليد
١١٥٠٠٠٠	(٨) أزهار: طاقات
١١٥٠٠٠٠	(٩) أزهار سلات: (حطب)

٤٦٠٠

(١٠) أعشاب باقات

٩٢٠٠٠

(١١) قرون الخروب

١١٥٠٠

(١٢) خشب حريق (قطع)

٢٣٠٠

(١٣) فحم بلدي: مكابيل (جسر)

صفحة ٣٧ (ب): قربان لإله النيل

(١) قربان لكتب ١٥٥ إله النيل وهي التي أسسها من جديد في بيت إله النيل، هذا بالإضافة إلى كتب (٢) إله النيل التي تُقدم في بركة «كبح» في بيت «حوراخي» (٣) وكتب إله النيل التي تُقدم في بيت «أنوبيس» رب التصميمات في «نرو» وهي - أي القربان - زيادة على عدد قربانهم التي كانت من قبل سنة فسنة (٤) من السنة الحادية والثلاثين - أي لمدة إحدى وثلاثين سنة.

القربان التي أسسها «رعسيس الثالث»: (٥) كتب إله النيل التي أسسها الملك «وسرماعت رع مري آمون» الإله العظيم مدة ثمانية وأربعين عامًا في إحدى وثلاثين سنة ١٥٦ وهي: اثنان وأربعون ومائة كتاب لإله النيل. والقربان هي:

٤٧٠٠٠٠

(٧) خبز ناعم للقربان المقدسة: رغفان متنوعة (بيات)

٨٧٩٢٢٤

(٨) خبز ناعم للقربان المقدسة: رغفان متنوعة (برسن) ورغفان بيضاء ورغفان (سشو)

١٠٦٩١٠

(٩) فطائر: بالوية المنوعة

٤٦٥٦٨

(١٠) خبز أبيض مستطيل الشكل من دقيق قونك وخبز «ودنوت»

٤٩٤٣٢

(١١) جعة: جرار متنوعة فيكون (نسي الكاتب تسجيل عدد الهنات هنا التي تحتويها هذه الجرار)

٦١١٧٢ $\frac{1}{2}$

(١٢) حب نقى بالحقائب

٢٩١

(١٣) ثيران

١٧

(١٤) ثيران مخصصة

صفحة ٣٨ (أ)

دين

٥١

(١) عجول

٢٥٦٤

(٢) بقرات

٢٩٣٢

المجموع

١٠٨٩

(٣) ماعز

١٩٢

(٤) أوز سمين

٣٩٣٨

(٥) أوز حي وطيور (خت عا)

٣٦٤

(٦) طيور للتفريخ

٢٦٥٣

(٧) طير ماء

٦٨

(٨) حمام

١٩٩٢٨

(٩) طيور (تا عشا)

٢٧١٤٣

(١٠) مجموع الطيور المنوعة

٢٠٩

(١١) شراب شدح: جرار (كابو)

٧١٥٤

(١٢) نبيذ: جرار (من)

(١٣) شحم أبيض: ٣٥١٣ جرة، وكل
 منها تحتوي على ربع هن المجموع *

(١٤) بصل مكيا ل (ع) ١٢٧١٢

* أخطأ الكاتب في الحساب؛ لأن ٣٥١٣ جرة كل منها ربع هن = هنا.

صفحة ٣٨ (ب)

دين

(١) خضر (سبر): جرار (ع) ١٢٧١٢

(٢) امتست جرار (ع) ١١٨٧٢

(٣) بلح مجفف: جرار (ع) ١١٨٧٢

(٤) مر مجفف: جرار (ع) ١١٨٧٢

(٥) معدن ثمين (وز) ١١٨٧٢

(٦) كحل جرار (ع) ١١٨٧٢

(٧) بخور للمباخر ٨٤٨

(٨) بخور إناء أو مكيا ل (سبت) ٤٢٤

(٩) بخور ٨٧٣٤٤ جرة (ع) تحتوي بخورًا: دين ٢٣٠٠٨

(١٠) بخور مكيا ل (دني ت) ٦٤٢٠

(١١) بخور جرار (ع) ٢٥٦٨

(١٢) بخور جرار (اع بو) ١٣٠٤

٨٥	(١٣) بخور أبيض: بالهن
٨٥	(١٤) زيت: بالهن
٢٥٤٢٤٠	(١٥) فاكهة: بوعاء (محت)

صفحة ٣٩

دين	
٢٦٧٢	(١) فاكهة: مكابيل (دنيث)
١١٨٧٢	(٢) فاكهة: جرار (ع)
١١٨٧٢	(٣) عنب: جرار (ع)
٩٦٠٠	(٤) زبيب
٥٢٠٠	(٥) أجود فاكهة: جرار (جاي)
١٠٤٠	(٦) شهد: ٢٨٠٠ جرة (بوجا) كل منها ربع هن
١٥٤٦٧٢	(٧) شهد: ١٠٤٠ جرة (محت) كل منها هن واحد
$٧٠٥٠ \frac{1}{2}$ ، $\frac{1}{15}$	(٨) شهد للفظائر: هن ،
$١٤١٩ \frac{1}{2}$ ، $\frac{1}{15}$	(٩) شحم أبيض للفظائر: هن ،
٣٠٣٦	(١٠) قرفة: قطع
٤٢٤	(١١) أجود زيت: ٨٤٨ جرة (ببا) كل منها نصف هن
٧٥٨	(١٢) أجود زيت: ٣٠٣٦ جرة (ع) كل واحدة منها ربع هن

دبن

- (١) زبيب: جزار (ع) ١١٨٧٢
- (٢) زبيب: بالوية ١٠٦٠٠٠
- (٣) قرون خروب بالوية ١٠٦٠٠٠
- (٤) أعشاب (أو خضر) باقات (خرش) ١٥٩٠٠٠
- (٥) أعشاب (أو خضر) باقات (حنب) ١١٨٧٢
- (٦) بردي الشاطئ لليد (٤) ٧١٢٠٠
- (٧) ليف: مكاييل (مستي) ٤٣٦٠٠
- (٨) فاكهة بيضاء: جزار (جاي) ٤٢٤٠
- (٩) عطر حديقة أخضر (اسم نبات) ١٠٦٠٠٠
- (١٠) ثمرة سنب: جزار (ع) ١١٨٧٢
- (١١) زبدة: جزار (نمست) ١٢٠٤٠
- (١٢) لبن: جزار (نمست) ١٢٠٤٠
- (١٣) لبن: قعب (مهن) ١٩٨
- (١٤) رمان: بالوية ٩٦٠٠٠٠
- (١٥) تفاح (دبخت): سلات (كارا-حوتي) ٨٤٨

دبن

- ٨٤٨ (١) نبات (اسي): مكايل (زدمت)
- ٨٤٨٠ (٢) نبات (اسي): لليد
- ٤٣٦٤٠ (٣) أزهار: أكاليل
- ٧٤٠٠٠ (٤) أغصان عنب لليد
- ١١٤٨٠٤ (٥) أزهار: فروع طاقات
- ١١٤٨٠٤ (٦) أزهار: فروع (حتيت)
- ٦٧٨٤ (٧) ذهب: تمثال لإله النيل (نوسا)*
- ٦٧٨٤ (٨) فضة: تمثال لإله النيل (نوسا)
- ٦٧٨٤ (٩) لازورد حقيقي: تمثال لإله النيل (نوسا)
- ٦٧٨٤ (١٠) فيروز زوج حقيقي: تمثال لإله النيل (نوسا)
- ٦٧٨٤ (١١) (حديد): تمثال لإله النيل (نوسا)
- ٦٧٨٤ (١٢) نحاس: تمثال لإله النيل (نوسا)
- ٦٧٨٤ (١٣) قصدير: تمثال لإله النيل (نوسا)
- ٦٧٨٤ (١٤) صفيح: تمثال لإله النيل (نوسا)
- ٦٧٨٤ (١٥) معدن (منيت-وز) تمثال لإله النيل (نوسا)

* حليلة؟

دين

- (١) حجر مينو: تمثال لإله النيل (نوسا) ٦٧٨٤
- (٢) حجر شزمت: تمثال لإله النيل (نوسا) ٦٧٨٤
- (٣) حجر الأمزون أخضر (نشمت): تمثال لإله النيل (نوسا) ٦٧٨٤
- (٤) مرمر: تمثال لإله النيل (نوسا) ٦٧٨٤
- (٥) يشب أحمر: تمثال لإله النيل (نوسا) ٦٧٨٤
- (٦) حجر (حريست): تمثال لإله النيل (نوسا) ٦٧٨٤
- (٧) حجر (كنمت): تمثال لإله النيل (نوسا) ٦٧٨٤
- (٨) حجر (مسدمت): تمثال لإله النيل (نوسا) ٦٧٨٤
- (٩) معدن «سهر»: تمثال لإله النيل (نوسا) ٦٧٨٤
- (١٠) معدن* «ثر»: تمثال لإله النيل (نوسا) ٦٧٨٤
- (١١) برونز: تمثال لإله النيل (نوسا) ٦٧٨٤
- (١٢) أحجار متنوعة غالية تماثيل للنيل (نوسا) ١٣٥٦٨
- (١٣) بلور صخري: أختام ١٠١٩٦
- (١٤) بلور صخري: قلادة ١٠١٩٦
- (١٥) بلور صخري: عقد رقبة ١٠١٩٦
-

* مادة معدنية تُستخرج من إلفنتين وتُستعمل لعمل التماثيل الصغيرة (راجع W. ٣٨٦b. v, p.).

دبن

٥٠٩٦

(١) خشب جميز: تماثيل لإله النيل

٥٠٩٨

(٢) خشب جميز: تماثيل لإلهة النيل

١٠١٩٦

(٣) كتان من الجنوب: قمصان

٣١٦٥٠

(٤) حجر: (وبا)

٥١٠

(٥) خشب حريق (قطع)

١٧

(٦) فحم بلدي: مكايل (جسرا)

الصلاة الختامية: «رعسيس» يصلي للنيل: (١) أتم لي أعمالي العظيمة التي أديتها لك يا أيها الوالد، لقد وصلت إلى الغرب (مكان الموتى) مثل (٢) «أوزير». هيئ لي أن أتسلم القربات التي تخرج أمامك، وأن أستنشق عبير المر مثل تاسوعك الإلهي، وهيئ لي أن يغمر ضياؤك رأسي يومياً، وأن يعيش روحي ويراك في الصباح المبكر، اعمل (٣) ما يرتاح إليه قلبي يا أيها الوالد الفاخر؛ لأني كنت منعماً لنفسك عندما كنت على الأرض، اصغ لتضرعي، واعمل ما أقوله، وما يعلنه الآلهة، وكذلك (٤) الناس لك، مكن ابني ليصبح ملكاً بمثابة رب للقطرين، حتى يحكم الأرضين بمثابة ملك (له الحياة والفلاح والصحة) مصر (٥) «وسرماعت رع ستين آمون»، (بالحياة والفلاح والصحة) الذي اخترته لنفسك ليكون وارثاً ليعظم اسمك، ثبت التاج الأبيض والتاج المزروع المقدس على رأسه مثل ما توجت (٦) على الأرض مثل «حور» صاحب الإلهتين (أي الصلين). اجعل كل عضو من أعضائه سليماً، وتمّ عظامه، واجعل عينيه تقويان عند نظر حب

الملايين^(١٥٧) له، واجعل مكثه (٧) على الأرض مثل النجم القطبي (أي ثابتًا)، واجعله مستعدًا مثل الثور القوي قابضًا على الأرضين. هبه أهل الأقواس التسعة مجتمعين تحت قدميه، مقدمين لاسمه (٨) التحية عندما يكون سيفه فوقهم. وإنك أنت الواحد الذي خلقتَه طفلًا، وقد وليته أميرًا وراثيًا على عرش «جب» (الأرض) المزدوج، وإنك تقول: «صيرَه ملكًا على عرش (٩) من أنجبه»، وإن الأشياء التي تأمر بها تحدث ممكنة ثابتة، امنحه حكمًا عظيمًا مديدًا، وأعيادًا ثلاثينية قوية مثل «تاتتن» (١٠) ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين «وسرماعت رع ستن آمون» (له الحياة والفلاح والصحة) ابن «رع» رب التيجان «رعمسيس الرابع» «حقا ماعت مري آمون» (له الحياة والفلاح والصحة).

منف

مقدمة: آثار «رعمسيس الثالث» في «منف» لم تحدثنا الآثار التي كُشف عنها حتى الآن عن مبانٍ دينية أقامها «رعمسيس الثالث» في «منف»؛ ولذلك سنكتفي هنا الآن بما ذكرته لنا ورقة «هاريس» عن آثاره، وتنحصر في بناءين جديدين هما: (١) معبد «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» في ضيعة «بتاح» (راجع ه/ص ٤٥-٣، ٥١-٣).

(٢) بيت «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» في ضيعة «بتاح» (راجع ه/٥١-٦): ولما كان عدد الخدم الذين يقومون بالخدمة في هذا البيت لم يتجاوز الستة عشرة فلا بد أنه كان محرابًا صغيرًا.

وتدل شواهد الأحوال على أن هذين البناءين قد أُقيما في «منف» في النصف الثاني من حكم هذا الفرعون، عندما ساد الأمن البلاد وازدهرت أحوالها، كما تدل على ذلك قصيدة «بركات بتاح» التي نقشها على جدران معبد مدينة «هابو» وهي التي كان يجب أن تتحدث عن مبانيه في «منف»، ولكن في الوقت الذي نجد فيه أن «رعمسيس الثاني» يقول قصيدة «بركات بتاح» القديمة؛ وهي التي نقشها على جدران معبد

«بوسمبل» في السنة الخامسة والثلاثين من حكمه: «لقد زدت في معبدك «منف»». نجد أن «رعمسيس الثالث» يقول في القصيدة التي تركها تقليدًا لجدّه، وهي التي نقشها في معبد مدينة «هابو» في السنة الثانية عشرة من حكمه: «لقد زدت في بيتك في مدينة «هابو»». وهو يشير هنا بذلك إلى محراب «بتاح-سكر» الذي أُقيم في معبد مدينة «هابو» الجنائزي وحسب. ومن ذلك نتأكد أنه حتى السنة الثانية عشرة من حكم «رعمسيس الثالث» لم يكن قد أقام بناء لهذا الإله في «منف» نفسها، وإلا لذكره في قصيدته «بركات بتاح»؛ ولذلك فالمعتقد أن البنائين اللذين ذُكرا في ورقة «هاريس» لا بد أنهما كانا قد أُقيما بعد السنة الثانية عشرة من حكمه أي بعد تأليف هذه القصيدة.

وكذلك نجد أن «رعمسيس» قد وهب ضياع معبد «منف» بعض خدم كما جاء في (هاريس ٥١ (أ) - ٧).

صفحة ٤٣

المتن الخاص بمنف: منظر: يُشاهد في بداية الجزء الخاص «بمنف» في ورقة «هاريس» صورة تمثل «رعمسيس الثالث» يقف مصليًا أمام الآلهة «بتاح» و«سخمت» و«نفرتم»، ومنهم يتألف ثالوث «منف»، والنقوش التي معهم هي: فوق الإله بتاح نقراً: «بتاح» العظيم جنوبي جداره رب «حياة الأرضين».

فوق الإلهة «سخمت»: «سخمت» العظيمة محبوبة «بتاح».

فوق «نفرتم»: «نفرتم» حامي الأرضين.

أمام الملك: إني أقول لك صلوات ومدائح وتعبداً وإطراء وأعمالاً عظيمة وإنعامات قمت بها لك في حضرتك يا «ساكن جنوبي جداره».

صفحة ٤٤ (أ)

صلاة للآلهة يتبعها تعداد أهم المباني والهبات: (١) الصلوات، والمدائح،

والتعبادات، والإطراءات، والأعمال الجيدة، والإنعامات التي عملها ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسرماعت رع مري آمون» الإله العظيم لوالده «بتاح» العظيم القاطن جنوبي جداره سيد حياة الأرضين، و«سخمتم» العظيمة محبوبة «بتاح» و«نفرتم» حامي الأرضين، وكل تاسوع «حكبتاح» (منف). ما قاله الملك «وسرماعت رع مري آمون» الإله العظيم (٣) لوالده، هذا الإله الفاخر «بتاح» العظيم القاطن جنوبي جداره، سيد «حياة الأرضين» «تاتن» والد الآلهة، الرفيع الريشتين، الحاد القرنين، الجميل الوجه، الذي على العرش العظيم: ^(١٥٨) «مرحبًا بك؛ عظيم أنت، ومبجل أنت يا «تاتن» يا والد الآلهة، ويا أيها الإله العظيم الأزلي، وأول الناس، وبارئ الآلهة، والبداية التي أصبحت أول كائن أزلي، ومن بعده حدث كل ما قد حدث، ومن برأ السماء على حسب عقله، ومن رفعها برفع الجو («شو» إله الهواء)، ومن أسس الأرض بما فعله هو، وأحاطها بالخيوط الأزلي (نون)، والبحر (الأخضر العظيم)، ومن خلق العالم السفلي، ومن أرضى الموتى، وجعل الشمس تأتي إليهم لينعموا بوصفه حاكم الأبدية، ورب الخلود، ورب الحياة، ومن يملأ الخلق، ويمنح كل خيشوم النفس، ومن يحفظ كل الناس أحياء بأرزاقه، ومن مدي الحياة والقدر والتربية تحت سلطانه، والناس تحيا بما يخرج من فمه، وصانع القربان لكل الآلهة في صورته «نون» العظيم، ورب الأبدية، ومن الخلود تحت سلطانه، وهو نفس الحياة لكل الناس. وقائد الملك إلى عرشه العظيم باسمه ملك الأرضين، وإني ابنك الذي نصبته ملكًا على عرش والده في سلام، وإني أتبعك وتصميماتك أمامي.

وفاة الملك: لقد ضاعفت الطيبات لي عندما كنت على الأرض، ولقد قدتني لأستريح بجانبك في السماء الغربية مثل كل آلهة العالم السفلي الخفيين، وإني مصاحب لتاسوعك المقدس في مكانك الخفي مثل العجل «أبيس» ابنك الفاخر الذي بجانبك. هب لي أن أكل طعامًا من قربانك المقدس، من خبز، وبخور، وجعة، وشراب شدد، ونبيد.

هب لي أن أعيش ثانية على الأرض المقدسة العالية (أي الجبانة)، وأن أراك كل يوم مثل تاسوعك الإلهي.

إنعامات الفرعون: وعندما كنت حاكمًا (بالحياة والفلاح والصحة) على الأرض سيدًا لمصر أُمِّ أُمِّلْ إليك بقلبي بشدة لكي أبحث عن كل الإنعامات لبيتك الفاخر حتى أقدمها إليك في مدينتك «منف»؟

معبد «بتاح» الجديد: (٣) وأقيمت لك معبدًا جديدًا في ردهتك، وهو مكان راحة قلبك عند كل ظهور لك (أي عند كل احتفال لك)، ويسمى معبد «رعمسيس» حاكم «هلبوبوليس» في ضيعة «بتاح» في قاعة العرش العظيمة (٤) السرية الخاصة بمن يقطن جنوبي جداره مؤسسة بالجرانيت، ومرصوفة بالحجر الجيري الأبيض (عيان)، وعوارض أبوابه تحمل عتبًا من جرانيت «إلفنتين»، والبواب العظيم الذي عليها من النحاس المخلوط بنسبة ستة أجزاء. والأبواب العظيمة من الذهب المطعم في الحجر، والمزاليج من النحاس الأسود الموشى بالذهب، عليه صورتان من ذهب «كتم» ومطعم بالذهب، وآثاره كانت منحوتة ومثبتة، وصناعاته متقنة، وأبراجه من الحجر تناطح السماء، ومكانها العظيم قد وسع مثل البيت العظيم، وله باب من الذهب مثل باب السماء المزدوج، ونقشت تماثلك الثاوي في محرابه بالذهب والفضة والحجر الغالي الحقيقي مثبتًا بالعمل الحسن.

وأمددته بالرعايا (العمال) في قوائم عديدة، وجعلت له حقولًا في الجنوب والشمال.

(١) وكانت بيوت ماله تفيض بالأموال الكثيرة من رماة بحريين، وجامعي الشهد، وكذلك توريد البخور، وتوريد الفضة (٢) وتجار يخطئهم العد، وضيعات^(١٥٩) لأجل الغلال تعد بعشرات الآلاف، وحدائق غزيرة من «الشده» والنبيذ، وكذلك حظائر

الماشية والثيران والعجول المخصية، وبيوت التسمين، ومحاصيل مصر، وأرض الإله (بنت) و«سوريا» و«كوش» وجعلتها أكثر عددًا من الرمل في بيت ماله الفاخر، والمخازن التي تحوي قربات مقدسة قد مُدَّت بالطعام دون نقص^(١٦٠) في أي مكان من أماكنها، وقد كانت ملكًا لحضرتك يا أيها السيد الأوحد الخالق كل كائن يا «بتاح» جنوبي جداره، يا حاكم الأبدية (٥) لقد وهبتك عشرين ألف حقيبة^(١٦١) من الحب لتحملها إلى بيتك كل سنة لتمييز معبدك بالقرايين المقدسة بالإضافة إلى قرايينك اليومية التي كانت من قبل.

(٦) وأصلحت معبد «بتاح» مقرّك العظيم، وجعلته مثل الأفق الذي فيه «رع» ومألّت بيوت ماله بالسلع العديدة، وأثقلت شوئها بالشعير والقمح.

تمثال العبادة ومحراه: وعملت تصميمًا من جديد لتمثال أحفالك (سشم خو) الخاص بمعبدك في بيت الذهب، وتمنّفته بالذهب والفضة المحلية، والفيروزج، وكل حجر فاخر غالٍ (٨) وجعلت محراه الفاخر مثل أفق السماء في وسط سفينتك ثاويًا عليها، وثبّت الخنءاته الكبيرة، وكان للمحراب سقف على عمودين و«كورنيش» علوي، وكانت من الذهب المشغول بالبارز بالحجر الحقيقي الغالي، وتمنّفت قضبانها العظيمة (التي يُحمل عليها) - [كان هذا التمثال يُوضع في قارب خاص في محراه ويُحمل عند الاحتفالات].

صفحة ٤٧

(١) وكسوتها الذهب الجميل منقوشة باسمك، وعندما تظهر بقلب فرح «إنب سبك»^(١٦٢) في صورتك العظيمة الخفية بوصفك الذي يقطن جنوبي جداره «بتاح»، فإنك تملأ مدينتك «منف» بنور أعضائك، والناس يُسرون لرؤية جمالك.

إصلاح «حكيتاح» (معبد منف): وطهرت «حكيتاح» مقرّك الفاخر، وبنيت معابدها التي آلت إلى الخراب، وسويت آلهته في صورهم الفاخرة من الذهب والفضة، وكل حجر غالٍ في بيوت الذهب.

لوحات من الفضة: (٣) وصنعت لك لوحات عظيمة من الفضة المطروقة والخفورة

والمنقوشة بالمسحل باسم جلالتك العظيم بالتعبدات والصلوات التي قدمتها أمامك،
وعليها المنشورات الخاصة بإدارة بيتك سرمدياً.

(٤) لوحات من البرنز: وصنعت لك لوحتين من مزيج بنسبة ستة أجزاء، لونهما
مثل لون ذهب الجبل الجميل منقوشتين ومزينتين باسمك، ومحفورتين بالمسحل بالمدائح
المتنازة التي قدمتها لحضرتك.

(٥) تعويذات: وصنعت لك تعويذات فاخرة لجسمك من ذهب «كتم» الجميل
ومن الفضة بشغل مطروق، وبصناعة بارزة مطعمة باللازورد الحقيقي لتضعها على
أعضاءك في «مقرنك العظيم»، وكان كل تاسوع بيت «بتاح» مسروراً بذلك.

محراب من حجر واحد: وصنعت لك محراباً خفياً من جرانيت «إلفنتين» مؤسساً
بعمل أبدي من قطعة واحدة، وله مصراعان من البرنز الممزوج بنسبة ستة أجزاء، ومنقوشاً
باسمك الفاخر سرمدياً يشوي فيه «بتاح» و«سخت» و«نفرتم» وبينهم تماثيل للملك
لتقدم قرباناً أمامهم، وأسسيت لهم قرباناً إلهياً مقدماً أمامهم باقياً لك أبد الأبدين أمام
وجهك الجميل (يقصد بتاح).

نظم المعبد: (٨) ودوّنت لك منشورات عظيمة بكلمات سرمدية مسجلة في قاعة
سجلات مصر في صورة لوحات من الحجر منقوشة بالمسحل لإدارة بيتك الفاخر
سرمدياً، (٩) ولإدارة مستعمراتك الطاهرة الخاصة بالنساء، وأحضرت أطفالها الذين
هجروا لأنهم من العبيد العمال الذين كانوا في أيدي آخرين، وقد وضعتهم لك في
الوظائف في بيت «بتاح» وعملت لهم منشورات سرمدية.

مخازن للأعياد: (١٠) وعملت لك مخازن لأعياد الظهور في بيتك المقدس وقد
أقيمت على رقعة المعبد، وأسسيت بجِدٍّ، وملاًهما بالعبيد الذين أحضرهم أسرى في خدمة
قرايبتك المقدسة، وهي مفعمة وطاهرة لتمون بيت «بتاح» بالطعام والذخيرة، ولتزيد ما
قد كان من قبلك يا «رسي أنيف» (السكان جنوبي جداره = بتاح)، وكان تاسوعك

المقدس فرح القلب ومبتهجًا بهم.

صفحة ٤٨

حظائر الماشية والدجاج: (١) وأقمت لك حظائر للماشية مفعمة بالثيران والعجول المخصية، وبيوت تسمين كذلك تحوي أوزًا سمينة، وحظائر دجاج ملأى ذات قيمة، وتحوي طيورًا برية لتقرب إلى روحك كل يوم.

الحصلون: (٢) وجعلت لك رماة، ومحصلي شهد، وموردي بحور، وعينت لك محصلي ضرائب؛ ليرشدوهم ويجمعوا إتاواتهم السنوية لبيت مالك الفاخر ليملئوا مخازن بيتك بسلع كثيرة لتكثير القرايين الإلهية لتقدم لحضرتك.

مخازن الغلال: (٣) وأقمت لك مخازن غلال مفعمة بالشعير والقمح، وتحوي كومات حب عديدة تناطح السماء لتموين معبدك يوميًا أمام معبدك المحبوب يا صانع السماء والأرض.

تماثيل الملك: (٤) وصنعت لك تماثيل الملك (له الحياة والفلاح والصحة) من الذهب المطروق، وأخرى من الفضة الخالصة المطروقة أيضًا راکعة أمامك، وحاملة أواني، ومائدة قربان تحوي قربات إلهية من خبز وجعة لتقدم أمامك يوميًا.

أدوات العبادة: (٥) وصنعت لك - بمجهود - قاعدة آنية عظيمة لردھتك بالذهب الجميل، وكانت أوانيها من ذهب وفضة محفورة باسمك، ومجهزة بالقربات المقدسة، وبكل شيء طريف لتقديمها أمامك في كل صباح مبكر.

سفن البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط: (٦) وبنيت لك سفن شحن في وسط البحر (الأخضر العظيم) يديرها نوابي في قوائم، لنقل محاصيل أرض الإله، وإتاوة أرض «زاهي» إلى بيوت مالك العظيمة في مدينة «منف».

قربات الأعياد: (٧) وعينت لك قرايين أعياد عظيمة بمثابة مؤسسات جديدة

لتقديمها إلى حضرتك عند كل ظهور لك، وكانت ممونة بالخبز، والجمعة، والثيران، والطيور، والبخور، والفاكهة، والخضر، وشراب شوح، والنبذ، والكتان الملوكى، وكتان «ملك» الكثير، وكتان الجنوب الجميل، والزيت (٨) والبخور، والشهد، والمر المجفف، وكل خشب عطر زكى حلو العبير أمام وجهك الحبوب يا سيد الآلهة.

عيد أوّل الفيضان: (٩) وأقمت لك أعياد قربان عظيمة لأوّل الفيضان لاسمك العظيم الفاخر الحبوب «بتاح نون» والد الآلهة العظيم، وكان الطعام موجوداً مثل الماء في ردهتك العظيمة الفاخرة المسماة (١٠) «إنب سبك» لكل صورك، ولتناسوع المياه السفلية، وقد فرضت لها الإتاوة من بيوت المال، والمخازن، والشون، وحظائر الماشية، وحظائر الدجاج سنوياً لإرضاء مجلس «نون» العظيم، وبذلك يصبحون راضين مبهجين في العيد عند رؤيتها.

السفينة المقدسة: (١١) وصنعت سفينتك الفاخرة يا سيد الأبدية؛ طولها ثلاثون ومائة ذراع على النهر، من خشب الأرز العظيم، من أجود ما في الضيعة الملكية، وكان «بيتها العظيم»^(١٦٣) من الذهب، ومن الأحجار الثمينة الحقيقية حتى سطح الماء، ومن الذهب على كل من جانبيها.

صفحة ٤٩

(١) وتحمل مقدمتها صقرين من الذهب الجميل مطعنين بكل حجر غالٍ أكثر جمالاً في الصنعة من سفينة الليل، والمؤخرة من الذهب الجميل. وصور آلهة مجدافي دفتها مشغولة بالذهب الجميل، وقد ظهر «بتاح» جميل الوجه القاطن جنوبي جداره ليثوي في «بيتة العظيم» مثل إله الأفق، في حين كان قلبه راضياً ومرحاً عند رؤيته مؤدياً سياحته الجميلة على الفيضان إلى ابنته سيدة شجرة الجميز «حتحور» (٣) في جنوبي «منف»، والعامّة وبنو البشر ينشرون عند رؤيته، وقد كان الابتهاج أمامه حتى (وصوله) إلى بيتة الفاخر.

الماشية المقدّسة: (٤) وحملت بقرها الأسود المقدس الخاصة بالعجل «أييس» ذكوراً وإناثاً، وهي التي كانت قد أهملت في قطعان كل بيت، وجعلتها كلها أكثر قدسية من بقرها الأسود المقدس، ومددت في حدودها حتى أماكنها الحقّة، وهي التي كانت قد استولى عليها الآخرون لحقوهم، وأقيمت لوحات حدودها منقوشة باسمك، وقد سننت لها مراسيم لإدارتها على الأرضين.

إمدادات من البخور: (٦) وأحضرت لك جزية وفيرة من المر لكي تعطر المعبد بعبير (بنت) لخيشوميك الفاخرين في الصباح المبكر، وغرست البخور، وشجر مر الجميز في ردهتك العظيمة الفاخرة في «إنب سبك» وهي التي أحضرتها يداي من بلاد «أرض الإله» لإرضاء الصليين اللذين على جبينك كل صباح.

أواني العبادة: وصنعت لك موائد أوانٍ «لمكانك العظيم» وتشمل مباخر وأواني «نمست»، وأواني موائد قربان، وأواني «جن» و«حيوت»، وأواني «عخو» و«عنخيو»، وأواني قربان عظيمة تحمل قربات مقدسة. وقد كانت من الذهب الجميل والفضة بالشغل المطروق ومطعمة بكل حجر ثمين لا حصر له لأجل أن تُقدّم لحضرتك كل يوم يا «بتاح» يا والد الآلهة وأول الناس.

العيد الثلاثيني الأول: واحتفلت لك بأول عيد ثلاثيني من حكمي في عيد عظيم للإله «تاتن»، وضاعفت لك ما كان قد عُمل في داخل مكان عرشك، وهناك قرب لك قربات عيد تحتوي على أنواع عديدة من خبز، ونبيد، وجعة، وشراب شدح، وخضر، وثيران، وعجول مخصية، وعجول بمئات الألوف، وبقرات بعشرات الألوف لا حصر لها، وهي محاصيل أراضي مصر التي كرمل الشاطئ، وآلهة الجنوب وآلهة الشمال قد اجتمعوا في وسطها، وأصلحت معبدك، وبيوت الأعياد الثلاثينية.

صفحة ٥٠

(١) التي كانت قد خربت منذ الملوك السالفين،^(١٦٤) ونمقت (صور) الناسوع

الإلهي أرباب الأعياد الثلاثينية بالذهب والفضة والأحجار الغالية كما كانت الحال من قبل (٢) وحكت لهم ملابس من الكتان الملكي وكتان «مك»، ومزجت لهم عطوراً للصل الذي على جباههم، وأسست قرباناً مقدساً لحضرته ثابتاً بمثابة قربات يومية لأنفسهم سرمدية.

قوائم: (٤) تأمل! لقد دونت (جمعت) الإنعامات التي عملتها لك يا «بتاح» جنوبي جداره (أي الساكن جنوبي جداره = «منف») حتى يعلم تاسوع بيت «بتاح» بإنعاماتي.

صفحة ٥١ (أ)

(أ) محتويات القوائم: (١) قائمة بالخاصيل، والماشية، والحدائق، والأراضي، والسفن، ومصانع السفن، والمدن التي منحها الملك (٢) «وسرماعت رع مري آمون» الإله العظيم لوالده الفاخر «بتاح» جنوبي جداره، رب «حياة الأرضين» بمثابة إرث إلى أيد الأبدين. (٣) معبد رعسميس حاكم «هليوبوليس» في ضيعة «بتاح» تحت إدارة الموظفين: ٦٠٩ نسمة.

(٤) قطعان^(١٦٥) «رعسميس» حاكم «هليوبوليس» تحت إدارة المشرف على القطعان «حوى»: ١٣٦١ نسمة.

(٥) بيت «وسرماعت رع مري آمون» المدينة التي على الطريق الغربية، والقناة الغربية تحت إدارة مدير البيت «بن-نستت-تاوي»: ٤٠ نسمة.

(٦) معبد «رعسميس» حاكم «هليوبوليس» في ضيعة «بتاح» تحت إدارة «حوى» رئيس البيت: ١٦ نسمة.

(٧) الناس الذين منحهم بيت «بتاح» العظيم جنوبي جداره، رب «حياة الأرضين»، وهم الذين كانوا لحساب المعبد تحت إدارة الكاهن الأعظم والموظفين: ٨٤١ نسمة.

(٨) «بتاح رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» الواجد مكانًا في بيت «بتاح» (اسم تمثال) في ضيعة «بتاح» تحت إشراف النائب «بتاح موسى»: ٧ نسمات.

(٩) السوريون، والنوبيون أسرى جلالته الذين أعطاهم بيت «بتاح»: ٢٠٥ نسمة.

(١٠) مجموع الرؤوس: ٣٠٧٩ نسمة.

جدول : ثروة منوعة

١٠٠٤٧	(١١) ماشية منوعة
٥	(١٢) حدائق وخمائل
٢	(١٣) سفينة نقل، وسفينة شحن

صفحة ٥١ (ب)

١٠١٥٤	(١) أراضي: ستات (= من الفدان الإنجليزي)
١	(٢) مدن

(ب) الضرائب التي تُجبي من الرعايا (دخل بتاح): (٣) السلع، والضرائب، وإنتاج الناس لمعبد «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» في ضيعة «بتاح»، (٤) ولماشية «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» في ضيعة «بتاح» وليبت «وسرماعت رع مري آمون» في المدينة الواقعة (٥) على القناة الغربية، وليبت «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» في ضيعة «بتاح»، ولمعابد هذا البيت، وهي التي - أي الضريبة التي كانت تُجبي من الناس - ووردت إلى بيوت (٦) ماله بوصفها ضريبتهم السنوية (أي ضريبة الناس ... الخ).

دبن قدت

٩٨	$\frac{2}{3}, \frac{1}{4}$	(٧) فضة
١٣٣ $\frac{1}{3}$		(٨) كتان الجنوب الجميل، والكتان الملون: ملابس متنوعة
٣٩٠		(٩) نبيذ: جوار (من)
١٤١	$\frac{1}{10}$	(١٠) فضة بمثابة سلع إتاوة الناس للقربان المقدس
٤٠٠	٣٧	(١١) حَب نقي من ضريبة الفلاحين: حقيبة
٦٠٠		(١٢) خضر: باقات
١٥ $\frac{1}{2}$		(١٣) ثيران وعجول، وبقرات، وثيران «قدت» وثيران (هكذا) «رن» للقطعان*

* راجع: Wilbour Pap. II, p. ١١٧.

صفحة ٥٢ (١)

- (١) أوز حي من الإتاوة ١٣٥
- (٢) سلع مصر، وطلع أرض الإله، وطلع «سوريا» وطلع «كوش»
و«الواحة»* للقرابين المقدسة في قوائم عديدة

* أي وللمعابد التابعة لنفس الإنعامات. Ibid p. ١١٧.

(ج) منح الفرعون للإله «بتاح»: (٤) الذهب والفضة، واللازورد، والزمرد الحقيقي، وكل حجر فاخر غالٍ، والنحاس الأسود، والملابس من كتان الملك، ومن كتان «ملك»، ومن كتان الجنوب الجميل، ومن كتان الجنوب والملابس الملونة، والأواني، والثيران والأوز وكل أنواع الأشياء التي أعطاه «وسرماعت رع» هبة لببت «بتاح» العظيم جنوبي جداره، «سيد حياة الأرضين»، وللمعابد التي يملكها من السنة الأولى حتى السنة الواحدة والثلاثين، أي مدة إحدى وثلاثين سنة.

قدت

دبن

٥ $\frac{1}{2}$	٢٦٣	(٨) ذهب جميل دفعتين، وذهب أبيض في هيئة أوانٍ وحلي
٧ $\frac{1}{2}$	٢	(٩) ذهب: حلبة الأمير
٥ $\frac{1}{2}$	٣٤٢	(١٠) فضة في هيئة أوانٍ وقطع
٨ $\frac{2}{3}$, $\frac{1}{6}$	١٧٣	(١١) فضة مطروقة: لوحة عظيمة طولها ذراع وستة أشبار في الطول، وعرضها ذراع وشبر وثلاث أصابع، وهي واحدة ،
٦	٥١٦	(١٢) مجموع الفضة من أوانٍ وحلي

صفحة ٥٢ (ب)

دبت	دبن	
١ $\frac{1}{2}$	٧٨٠	(١) مجموع الذهب والفضة من أوانٍ وحلي وقطع
٣		(٢) اللازورد الحقيقي المركب على ذهب؛ والمربوط بخيطين من الخرز = ١
٢	٣	(٣) لازورد حقيقي
	٢	(٤) فيروز حقيقي
	١٠	(٥) حجر الأمزون (نشمت)
	٣٦	(٦) لازورد فيروز حقيقي: جعارين مركبة ولها محور من ذهب
	٤٦	(٧) لازورد: جعارين كبيرة
	٤٦	(٨) فيروز: جعارين كبيرة
٢٤٥		(٩) برنز مطروق مزيج بنسبة ستة أجزاء: لوحة كبيرة
٦٥		(١٠) برنز مطروق مزيج بنسبة ستة أجزاء: لوحة كبيرة

- ١٧٠٨ (١١) برنز أوانٍ وقطع
- ٢٠١٨ (١٢) مجموع الأواني والقطع من النحاس
- ٧٠٢٦ (١٣) الكتان الملكي، وكتان «ملك»، وكتان الجنوب
المضاعف الجودة، وكتان الجنوب الجيد، وكتان الجنوب،
والكتان الملون: ملابس متنوعة.
- ١٠٣٤ (١٤) مر: دبن
- ١٠٤٦ (١٥) بخور أبيض، وشهد، وزيت، وشحم، وزبد: في
جرار متنوعة
- ٢٥٩٧٨ (١٦) شراب شذح، ونبيذ: جرار متنوعة
(إعع)

صفحة ٥٣ (i)

- دبن
- ٢٧٠٢٤ (١) مجموع الجرار المتنوعة (إعع)
- ١ (٢) عاج: أسنان الفيل
- ٧٢٥ (٣) خشب (ننيب) وهو خشب ذكي الرائحة، تؤخذ عصاراته لتحضير
العطور (٢٧٦W. b. II, p.)
- ٨٩٤ (٤) خشب سلامكة: دبن
- ٤٥ (٥) خشب قرفة: حزم
- ٢٨ (٦) عصى خشب قطن الذكي الرائحة وقرفة بمكيال (مستي) (W. b.)
(١٧٦v, p.)
- ٤٠ (٧) شعير سوري: حقت
- ٤٠ (٨) حصا لبان: مكاييل (مستي)
- ٨٠ (٩) نبات (أوفيتي): مكاييل (مستي)

١١	(١٠) نبات (سامو): مكايل (مستي)
١٤	(١١) فاكهة: حقت
٨	(١٢) خشب الأرز: ألواح
٥٠	(١٣) حجر الكحل: دين
٥٠	(١٤) أزهار (ددمت): سلات (دماو)
١٤٤٠٠	(١٥) امتست: دين

صفحة ٥٣ (ب)

دين	
٣١٠٠٠	(١) بلور صخري: خرز
٤٤١	(٢) بلور صخري مقطع: (هن)
٣٢٠٠	(٣) بلور صخري أختام
٣١	(٤) خشب مشغول: أختام
٩٧٩	(٥) ثيران، وعجول مخصصة، وعجلات، وعجول، وحيوانات متنوعة
٢٦٩	(٦) أوز حي
١٥٠	(٧) أوز (تربو) حي
١٠٣٥	(٨) طيور (أوردو) حية بمناقير ذهبية
٤١٩٨٠	(٩) طيور (أوردو) حية
٥٧٦	(١٠) طيور ماء حية
٤٤٠١٠	(١١) مجموع الطيور المتنوعة

(د) حبوب للأعياد: (١٢) حب نقي خاص بالقرايين المقدسة لأعياد السماء، وأعياد أوائل الفصول، وهي التي أسسها الملك «وسرامعت رع مري آمون» الإله العظيم لوالده «بتاح» العظيم القاطن جنوبي جداره، سيد حياة الأرضين بمثابة زيادة للقرايين

المقدسة، زيادة يومية للقربان مضاعفًا ما كان قبلي.

صفحة ٥٤ (أ)

(١) من السنة الأولى حتى السنة الواحدة والثلاثين أي مدة إحدى وثلاثين سنة:

٩٤٧٤٨٨ حقيقة.

(هـ) قربان النيل: (٢) كتب إله النيل التي وضعها الملك «وسرماعت رع مري

آمون» الإله العظيم لوالده الفاخر «بتاح» (٣) العظيم جنوبي جداره «سيد حياة الأرضين» من السنة التاسعة والعشرين حتى السنة الواحدة والثلاثين (أي مدة إحدى وثلاثين سنة):

٧٣٨٠٠

(٤) خبز ناعم للقربان المقدسة: رغفان (بيات)

١٩١١٤٢

(٥) خبز ناعم للقربان المقدسة: رغفان (برسن)

٦١٥٠

(٦) خبز ناعم للقربان المقدسة: رغفان هرمية الشكل

١٤٧٦٠

(٧) فطائر: رغفان هرمية

١٣٩٦

(٨) جعة: جوار (دس)

٢٣٩٦

(٩) بلح مجفف: جوار (ع)

ترك الكاتب المقدار

(١٠) بلح مكاييل (مزا) ٢٣٩٦ فيكون

٣٦٣٣

(١١) حب نقي بالحقيقة

٤١

(١٢) ثيران

١٦٤

(١٣) بقرات

٢٠٥

المجموع

صفحة ٥٤ (ب)

٢٠٥	(١) ماعز متنوعة
٥٧٤	(٢) أوز حي
٨٤	(٣) طيور حية (خت-عا)
١٦٤	(٤) دواجن حية للتفريخ
٢٨٧	(٥) طيور ماء حية
٣٠٢٥	(٦) طيور ساعشا
*.Sic	
٤٣٣٩	(٧) مجموع الطيور المتنوعة
٨٢٠	(٨) نبيذ: جرار (من)
٢٣٦٦	(٩) نبيذ: جرار (ع)
٢٣٦٦	(١٠) بصل: مكاييل (ع)
٢٣٦٦	(١١) فاكهة (؟) (سبر) مكاييل (ع)
١٦٤	(١٢) بخور بمكيال «ستحب»
٨٢	(١٣) بخور: مكاييل (سبرت)
١٩٨٩٢	(١٤) بخور: جرار (ع)
٤٤٦٩	(١٥) بخور: (دبن)

* المجموع الصحيح هو

صفحة ٥٥ (أ)

١٦٤	(١) أجود زيت: جرار (ببا)
٥٧٤	(٢) أجود زيت: جرار (ع)
٥٧٤	(٣) قرفة: قطع

٢٣٩٦	(٤) مر: جوار (ع)
٢٣٩٦	(٥) كحل: جوار (ع)
٢٣٩٦	(٦) معدن: (وز): جوار (ع)
٦٥٦	(٧) ذهب: تماثيل إله النيل
٦٥٦	(٨) ذهب: نوسا (زينة؟)
٦٥٦	(٩) ذهب: نوسا (ولا بد أن هذا تكرر من الكاتب)
٦٥٦	(١٠) فضة: تماثيل إله النيل
٦٥٦	(١١) فضة: نوسا
١٥٧٤٤	(١٢) كل حجر حقيقي ثمين: تماثيل لإله النيل
١٥٧٤٤	(١٣) كل حجر حقيقي ثمين: نوسا
٩٨٤	(١٤) خشب الجميز: تماثيل لإله النيل
٩٨٤	(١٥) خشب الجميز: تماثيل لآلهة النيل
٢٩٦٨	(١٦) بلور صخري: أساور
٢٩٦٨	(١٧) بلور صخري: أختام

صفحة ٥٥ (ب)

٢٩٦٨	(١) كتان الجنوب: قمصان
٦٦	(٢) شهد للقطائر: (هن)
١٦٤	(٣) شهد: جوار (محتت)
٣٢٨٠	(٤) شهد: جوار (بوجا)
٢٠٥	(٥) شحم أبيض للقطائر: (هن)
٥٧٤	(٦) شحم أبيض: جوار (ع)
٢٣٩٦	(٧) فول مقشر: جوار (ع)
٢٣٩٦	(٨) امتست: جوار (ع)

٢٣٩٦	(٩) عنب شجرة (سنب)
٢٢٩٦٠	(١٠) كل فاكهة جميلة: جوار (ع)
٢٣٩٦	(١١) لبن: جوار (نمست)
٢٣٩٦	(١٢) زبد: جوار (نمست)
٢٣٩٦	(١٣) أجود فاكهة: جوار (جاي)
٢٣٩٦	(١٤) فاكهة: جوار (جاي)
٤٥١٠٠	(١٥) فاكهة: جوار (محت)

صفحة ٥٦ (أ)

٢١٠٠٠	(١) زبيب (بالوية)
٢١٠٠٠	(٢) قرون خروب بالوية
٢٣٩٦	(٣) أعشاب: حزم (حبت)
١٤٣٥٠	(٤) نبات (جاي) الشاطئ لليد (زكي الرائحة)
٢١٠٠٠	(٥) رمان بالوية
٢١٠٠٠	(٦) أزهار شجرة (ستي) طاقات
١٦٤٠	(٧) نبات (إسي) لليد
٢٩٧٠	(٨) أزهار: أكاليل
٢١٠٠٠	(٩) براعم: طاقات
٢١٠٠٠	(١٠) براعم: فروع
١٥١٥٠	(١١) حجر: «وباء»
١٥١٥٠	(١٢) ليف: مكاييل (مستي)

(و) الصلاة الختامية

(١) أعزني عينيك وأذنيك يا أيها السيد «يا بتاح» يا والد الآباء، يا مكنون التاسوع، واسمع (٢) رجائي الذي أبسطه أمامك؛ إني ابنك العظيم الإنعامات، (٣) نصَّب ابني ملكًا، مكنه على عرشك حاكمًا لكل أرض على الناس: «وسرماعت رع ستين آمون» (له الحياة والفلاح والصحة) (٤) الطفل الذي خرج من أعضائك، هبَّه أن يُتوج على الأرض مثل ابن «إزيس» (حور) عندما تسلم التاج «أنف» - «وإرر» (٥) «هبه أن يجلس على العرش ملكًا على الأرضين مثل «حور» الثور القوي محبوب «ماعت» (العدالة) أعطه مملكتي على أن تجعل حياته سعيدة (٦) على الأرض بفرح، اجعل سيفه منتصرًا واجعل الأراضي والممالك تسقط (٧) تحت قدميه أبدئيًا، ودعه يستولي على مصر حاكمًا على الأرضين، واجعله إلهيًّا أمامك، متمتعًا بالخطوة سرمدئيًا، مدد له حدود الأقواس التسعة، واجعلهم يأتون بسبب قوته مقدمين الخضوع له (٩) وارزقه حياة راضية في أعضائه وصحة في جسمه في كل فصل (١٠) ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين «وسرماعت رع ستين آمون» (له الحياة والفلاح والصحة) ابن الشمس رب التيجان «رعمسيس الرابع» «حقا ماعت مري آمون» له الحياة والفلاح والصحة.

المعابد الصغيرة التي أقامها أو أصلحها «رعمسيس الثالث»

مقدمة: لم يقتصر نشاط «رعمسيس الثالث» على إقامة المعابد الكبيرة، بل امتد كذلك إلى إنشاء المعابد الصغيرة في طول البلاد وعرضها، كما أنه أراد في بعض المعابد التي من هذا الصنف أو أصلحها، وقد ذكر لنا نشاطه في هذه الناحية في ورقة «هاريس» (راجع هـ/٥٧-٦٦) وقد جاء ذكر هذه المعابد في القائمة الأولى (٦١ (أ)-١، ٦٢ (أ)-٥) على حسب ترتيبها الجغرافي من الجنوب إلى الشمال، ويلاحظ أن المقاطعة

الثامنة (مقاطعة طينة-العرابة) قد وُضعت قبل المقاطعة الخامسة أي مقاطعة «امبوس»؛ وذلك لأن الأولى كانت تجري فيها أعمال خيرية عظيمة للآلهة. أما مدن الوجه البحري التي جاء ذكرها في ورقة «هاريس» بمناسبة المعابد الصغيرة (راجع ه/٦٢ (أ)-١) فلم تُوضع حسب أي ترتيب جغرافي. وكذلك يُلاحظ في هذا القسم فرق ظاهر - كما في الأقسام السابقة - بين المباني الجديدة الحقيقية التي تشمل اسم الملك، والضياع التي لم يعمل لها الملك شيئاً غير منحها زيادة من الخدم، حيث نجد العبارة التالية: «الناس الذين وهبهم الملك لضيعة كذا»؛ ومن ذلك يُفهم أنه في المعابد الكبيرة، وكذلك في المباني الجديدة لم يُذكر فيها إلا عدد الأفراد لكل أملاك الإله؛ فمثلاً في (هاريس ص ٦١ (أ)-٤) نجد أنه قد ذُكر ستون ومائة رجل يتبعون ضيعة الإله «أنخور» وهو الإله الذي كان قد أسس له من قبل معبدًا يُدعى: «معبد رعمسيس حاكم هليوبوليس الذي يفصل (قاضي) في ضيعة أنخور» وهذا المثال يظهر بوضوح أولاً أننا نتحدث عن مبانٍ جديدة حقيقية، وثانياً أن ذلك لا يقدم لنا بآية حال كل ثروة هذا المعبد. والآن تتساءل ما الذي جعل الكاتب يقوم بعمل ذلك الفصل بين المعبد وممتلكاته من الخدم في حين أنه لم يكن هناك مبانٍ جديدة تدعو إلى هذا الفصل؟ ومن جهة أخرى لا يمنع ذلك تدوين كل خدام المعبد سوياً عند ذكر المعبد الذي رُكب باسم الملك وبذلك تكون لدينا كل ممتلكات المعبد في مكان واحد. وحقيقة الأمر هي ما يأتي: أن الفرعون قد أقام معابد في أماكن خاصة تحمل اسمه (راجع ه/٦١ (أ)-٧) مثل معبد «رعمسيس» في «امبوس»، ولكن في جهات أخرى نجد أنه بجانب مبناه الجديد قد زاد في ممتلكات المعبد بإضافة بعض خدم، وهذا المعبد لم يكن في الأصل معبدًا بل أعطاه ضيعة المعبد بواسطة مرسوم، وأخيراً نجد أن الفرعون في كثير من الأماكن لم يؤسس معابد، ولكنه زاد في بيت مال الإله بمنحه خدماً وحسب.

وفيما يلي نذكر بدون مناقشة أسماء الجهات التي أقام فيها «رعمسيس الثالث» مباني جديدة على حسب ما جاء في ورقة «هاريس»:

(١) طينة (المقاطعة الثامنة): (هاريس ٥٧-١١، ٦١ (أ)-٣).

(٢) العرابة (المقاطعة الثامنة): (هاريس ٥٨-٧، ٦١ (أ)-٥).

(٣) «أمبوس» (كوم أمبو) (المقاطعة الخامسة): (هاريس ٥٩-٥، ٦١ (أ)-٧).

(٤) أخميم (المقاطعة التاسعة): (٦١/هـ) (أ)-١٢).

(٥) أسيوط (المقاطعة الثالثة عشرة): (٦١/هـ) (أ)-١٢، ٦١ (ب)-٣، ٤).

(٦) مقر الرعامسة «قتير»: (٦٠-٢، ٦٢ (أ)-٣).

المعابد التي لم تُذكر في ورقة «هاريس»: لقد ذكر لنا «إرمان» أنه عندما ذُكرت المعابد الصغيرة في ورقة «هاريس» سقط منها بعض المعابد الهامة جدًا (zur Erklärung des Papyrus Harris. P. ٦٦٤) منها معابد «إلفنتين» و«إدفو» و«دندرة» و«الكاب» و«إسنا» و«هرمنتس» (إرمنت)، وأن ذلك كان ناتجًا عن سرعة تأليف الورقة وعدم الدقة. ولكن ردًا على هذه الفكرة التي كانت سائدة عن تأليف هذه الورقة والغرض منها، نؤكد أن ما قاله «إرمان» لا يتفق مع الواقع بأية حال، وإيضاحًا لذلك نقول: إن «رعمسيس الثالث» لم يذكر لنا أية هبة لتلك المعابد التي ذكرها «إرمان» (راجع Schaedel Ibid p. ٤١) وتعضيدًا لهذا الرأي نضع هنا قائمة بالمعابد - وبخاصة معابد «طيبة» - التي لم تُذكر في ورقة «هاريس». ولكن من جهة أخرى تدل الوثائق المكتوبة على أنها كانت مستعملة في عهد «رعمسيس الثالث». وعلى أية حال فمن في استطاعته أن يؤكد أن كاتب ورقة «هاريس» التي كُتبت بعناية قد أغفل أو نسي معبد «منتو» الخاص «بطيبة»!؟

وليس الغرض هنا أن نضع تقريرًا مفصلاً عن كل هذه المباني، ولكن سنكتفي بذكر بعض الأمثلة، وسأذكر أسماء المعابد التي لا يتطرق الشك في أنها ليست من عهد

«رعمسيس الثالث» أو تحمل اسمه، وهي التي كانت عند كتابة هذه الورقة لا تزال قائمة - هذا على زعم أن هذه الورقة كُتبت في عهد «رعمسيس الرابع».^(١٦٦) وهاك هذه المباني:

طيبة الشرقية

معبد «منتو»: نجد في المحراب المقام في الجدار الجنوبي نقشاً قصيراً (راجع Porter and Moss. II, p. ٥).

معبد «موت»: وُجد تمثال للكهنة «باكنخنسو» يرجع تاريخه إلى عهد «رعمسيس الثالث» والمقصود هنا هو «باكنخنسو الثالث» الكاهن الأكبر للإله «آمون» كما يقول «ليفبر»^(١٦٧) وكذلك تذكر لنا ورقة «هاريس» (١٠-١٥) «أسرى حرب وقع بعضهم من نصيب ضيعة «آمون».

معبد «بتاح»: جدد فيه «رعمسيس الثالث» الباب.^(١٦٨)

طيبة الغربية

محراب «حتحور» بالدير البحري: وُجد فيه تمثال «نرم» من عهد «رعمسيس الثالث» (راجع Porter and Moss. II, p. ١٢٩).

معبد «تحتمس الثالث» ومعبد «مرنبتاح»: ذُكرا في ورقة الإضراب في السنة التاسعة والعشرين من عهد «رعمسيس الثالث» ولكن لا نعلم على وجه التأكيد استعمال هذين المعبدتين في الوقت الذي وصف لنا فيه هذا الإضراب.^(١٦٩)

معبد مدينة «سيبي الأول» «بالقرنة» (Porter and Moss II, p. ١٤١): يوجد فيه نقش مؤرخ بالسنة السادسة من عهد «سيبي الثالث»، وكذلك يوجد متن إهداء له في القاعة العاشرة من هذا المعبد (Ibid p. ١٤٤).

معبد الرمسيوم: نجد فيه طغراء «رعمسيس الثالث» على عمود أوزيرى الشكل على عتب باب. (١٧٠).

معبد مدينة «هابو» الصغير: عندما رأى «رعمسيس الثالث» أن هذا المعبد الذي يرجع عهده إلى زمن الأسرة الثامنة عشرة قد آل إلى السقوط قام فيه بأعمال بناء جديدة (L. D. Text III, ١٦٣).

معبد الإله «خنوم»: لدينا قطعة من مرسوم أصدره «رعمسيس الثالث» للمحافظة على معبد أو معابد الإله المحلي «خنوم». وما بقي من هذا المرسوم يشير إلى الأرض الواقعة على حدود بلاد النوبة وهي التي عُرفت فيما بعد بإقليم «دودكاشونوس» (J. E. A. ١٣ f ٢٠٧p) أو إقليم الاثني عشر ميلاً، وفيه ضمن «رعمسيس الثالث» للمعبد معافاة الموظفين والرعايا من السخرة للحكومة على غرار ما عمل لمعبد «سيتي الأول» على حسب ما جاء في مرسوم «نوري» (راجع مصر القديمة ج ٦)؛ ولذلك يشك الإنسان فيما إذا كانت أراضي المعابد معفاة من الضرائب، وفي المعابد التي ذكرناها فيما سبق من عهد «رعمسيس الثالث» - وهي قليل من كثير - نجد أنه كانت تُقام فيها العبادات، وقد كانت لها كهنة وقرايينها كانت تُؤدى وكانت ذات أملاك حتمًا. على أنه ليس في استطاعتنا بأية حال الاعتراف بأن معبد الكرنك قد نسيه كاتب الورقة هنا. وكذلك نجد أن معبد الدولة الكبير قد اختفى من قوائم الورقة، وإن كان له ممتلكات مذكورة. ولكن في معابد «طيبة» الغربية قد يجوز أن تموينها كان من معبد مدينة «هابو»، وكذلك الحال مع معبد مدينة «هابو» الصغير. ومما سبق نفهم أنه عندما نجد اسم معبد «خنوم» إله «إلفنتين» قد سقط؛ فإن ذلك يعني هنا أنه من الأملاك القديمة، وأن الفرعون «رعمسيس الثالث» قد أقره فقط ولم يقدم له هبات جديدة كما يشير إلى ذلك «زيتة» حيث يقول: «إن هذا المرسوم قد يكون تجديدًا أو تثبيتًا لهبات قديمة» (Br. A. IV, § ١٧٨).

ومن ثم نصل إلى ما يأتي: ليس لدينا أي دليل نرتكز عليه على أن متن «ورقة

هاريس» قد ترك ذكر أي بناء ديني دون سبب، وبخاصة أنه لم يحدث أي إهمال من الكاتب من هذه الناحية في القسم الخاص «بطيبة»، وإذا كانت الحال كذلك فإنه من المستحيل أن يُذكر في متن هذه الورقة كل ممتلكات آلهة مصر، بل المفهوم أن تذكر فقط الأوقاف الجديدة التي وهبها الملك «رعمسيس الثالث» للآلهة. وهذا ما يتفق مع نص ما جاء في متن الورقة تمامًا (راجع هاريس ص ١٠ سطر ١).

متن المعابد الصغيرة: صلاة للآلهة، ويتبعها ذكر المباني والإنعامات التي منحها «رعمسيس الثالث» للمعابد.

صفحة ٥٧

مقدمة: (١) المدائح، والصلوات، والتعبادات، والثناء، والأعمال الجليلة، والإنعامات العديدة التي أداها الملك «وسرماعت رع مري آمون» الإله العظيم لأبنائه كل الآلهة والإلهات في الجنوب والشمال.

(٢) صلاة «رعمسيس الثالث»: قال الملك «وسرماعت رع مري آمون» الإله العظيم في مدح وتعظيم كل آلهة تاسوع الجنوب والشمال: (٣) مرحبًا بكم يا أيها الآلهة والإلهات، يا أرباب السماء والأرض والعالم السفلي (نو)، ومن قدمهم عظيمة في سفينة ملايين السنين بجانب والدكم «رع»، وإن قلبه لراضٍ عندما يرى جمالهم ليجعل أرض مصر سعيدة، جالبًا نيلًا يفيض من أفواههم (٤) قائدًا إياه من أفواههم ليأكل أرباب الأبدية والسرمدية. وتحت سلطانهم نفس الحياة، ومدى الحياة تحت خاتمهم، وهو الذي عمله عندما خرج من أفواههم. وإنه يفرح ويفرح عند رؤيتهم العظماء في السماء، (٥) والأقوياء على الأرض، والمعطون النفس للخياشيم التي كانت قد سُدت. إني ابنك الذي صورته يدك، وقد توجته حاكمًا على كل أرض، وإنك قد عملت لي أشياء طيبة على الأرض لا تسلم بها وظيفتي في سلام.

الإنعامات للآلهة: ألم يكن قلبي مثابرًا في البحث عن إنعامات عظيمة (٦)

لمعابدك؟! وقد أعددتها بمراسيم عظيمة منقوشة في كل قاعة سجلات بأهلها وأراضيها، وقطعائها، وسفنها التجارية، وسفن النقل على النيل، وقمت بإصلاح معابدهم (٧) التي كانت من قبل خرابًا، وأسست لكم قرابين مقدسة زيادة عما كان من قبل، واشتغلت لكم في بيوت الذهب في الذهب، والفضة، واللازورد، والفيروزج، ووضعت تصميمات لبيوت أموالكم، وأتممتها بأمالك عديدة (٨) فملأت شونكم بالشعير والقمح أكوامًا، وأقمت لكم بيوتًا ومعابد منقوشة بأسمائكم للأبد، وزودتها وملأتها بخلق كثير، ولم أستول على أناس بمثابة ضريبة عشر^(١٧١) (٩) من معابد أي آلهة منذ أولئك الملوك (أي لم يفرض عليّ رجال المعابد الذين قدمهم لها الملوك السابقون أخذ جنود للجيش) الذين عملوا ذلك ليجندوهم مشاة وفرسانًا. وأصدرت مراسيم لإدارتها على الأرض للملوك الذين سيكونون بعدي. وقد تمت لكم قرابين أماك (١٠) ممدودة بكل شيء طيب. وجعلت لكم بيوت مال «لعيد الظهور» وملأتها بأرزاق وفيرة، وصنعت لكم أواني موائد من الذهب والفضة والنحاس بمئات الألوف، وبنيت لكم سفنًا على النيل تحمل (١١) بيتًا عظيمًا (محرابًا) مغشي بالذهب. معبد «أنخور» «أنوريس» في «طينة». وأقمت بيتًا فخماً من حجر (عين) (محاجر طرة) في بيت والدي «أنخور-شو» ابن «رع» (يُسمى بيت «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» القاضي في ضيعة «أنخور»، وملأته بالناس والعبيد المختارين (١٢) وبيت ماله يشمل سلعا كثيرة، والشون تحوي حبوبًا، وأسست له قربانًا مقدسًا يوميًا ليقرب إلى روحك يا «شو» يا ابن «رع». وحطت بيت «أنخور» بجدار مؤلف من عشرين (مدماكًا) في أرض الأساس، وارتفاعه ثلاثون ذراعًا (١٣) وبه منزلقات، وأبراج وطوارات على كل جانب من جوانبه. وعوارض أبوابه وعتبه من حجر (عين)، وله أبواب من خشب الأرز مغشاة بالنحاس، مبعدة «الآسيويين» و«التحنو» الذين تعدوا الحدود القديمة.

صفحة ٥٨

معبد «تخوت» في «الأشمونين»: (١) وعملت إنعامات عدة في (حسرا) (١٧٢)

لوالدي «آمون» القاطن في «الأشمونين» (هرموبوليس) فأقامت له بيتًا جديدًا في ردهته، وكان محرابًا (٢) خفيًا للرب المسيطر، وأقامت له بيتًا آخر مسكنًا، فكان أفق السماء أمامه، وعندما كان يظهر يكون راضي القلب ليسكن فيها (٣) وكان فرحًا ومنشرحًا لمشاهدتها،^(١٧٣) وأمددتها بالأرزاق والذخيرة من محاصيل كل أرض، وبعيد كثيرين ممن أحضرتهم في الوظائف ليقوموا عليه (٤) وكثرت القرابين المقدسة المقدمة أمامه من بيت المال الخاص بعيد الظهور، وتحتوي مؤنًا. وعملت له قرب عيد، وتقدمت لأعياد أوائل الفصول لإرضاء صليبه (الذين على جبينه) (٥) في كل فصل، وأحطت بيت «تحت» بجدار مقام من عشرين مدمًا في أرض الأساس، وارتفاعها ثلاثون ذراعًا، وله منزلقات (٩)، وبروج (٩) وطوارات (٩) على كل جانب^(١٧٤) من جوانبه (٦) وعوارض أبوابه وعتبه كانت من حجر (عين)، وله أبواب من خشب الأرز مصفحة بالنحاس لتقصي «الآسيوين» و«التحنو» الذين داسوا حدودهم من قديم الزمان.

معبد «أوزير» في «العراة»: (٧) وأصلحت العراة وهي إقليم «أوزير» بإنعامات في «تاور» (مقاطعة العراة)، فبنيت بيتي (أي قصره، كما فعل في مدينة «هابو») من الحجر في وسط معبده مثل بيت «آتوم» (٨) العظيم في السماء، وعمرته بأناس يحملون وظائف عديدة من الأغنياء والفقراء من كل كائن. وعملت له قرابين مقدسة، وهي هدايا مائدة قربانه يا والدي «أوزير» (٩) رب «تاجسر» (جبانة العراة)، وعملت له تمثالًا للملك (له الحياة والفلاح والصحة) مقدمًا آثارًا وأواني مائدة كذلك من الذهب والفضة (كان التمثال يحمل في يده أواني قربات). وأحطت بيت «أوزير» (١٠) و«حور» بن «إيزيس» بجدار عظيم مشرف مثل جبل من الحجر الصلب، وله منزلقات وأبراج، ويحمل طوارات، وله عوارض أبواب من الحجر، وأبواب من خشب الأرز (١١) وبنيت سفينة عظيمة «لأوزير» مثل سفينة الليل التي تحمل الشمس.

معبد «وبوات» في أسيوط: (١٢) وأصلحت جدران معبد والدي «وبوات» الجنوب رب «سيوط» وقد أقمت بيتي فيه من حجر «عين» منقوشة ومحفورة بالمسحل

(١) وأتمته بأشياء طيبة من كل أرض، وخصصت له عبيدًا عمالًا في قوائم عدة، وأقامت محرابًا جديدًا يحوي قربانًا مقدسًا ليقدم لحضرته يوميًا، وبنيت له سفينة عظيمة (٢) تسمى «أول النهر» مثل سفينة المساء «لرع» التي في السماء، وأحطت بيته بجدار أسس بمجهود مؤلف من عشرين مدمًا في أرض الأساس، وارتفاعه ثلاثون ذراعًا، وله منزلقات (٣) (٤)، وأبراج (٥) وطوارات (٦) في محيطه كله، وله عوارض أبواب عظيمة من الحجر، وأبواب من الأرز مثبت فيها صفائح من البرنز الممزوج بنسبة ستة أجزاء منقوشة ومحفورة بالمسحل باسم جلالتك العظيم سرمديًا.

معبد «سوتخ» في «أمبوس» (كوم أمبو): (٤) وأصلحت معبد «سوتخ» سيد «نبتى» (كوم أمبو)؛ فبنيت جدرانه التي كانت قد خربت، وأعددت البيت الذي كان في وسطه باسمه الإلهي، وأقامته بصناعة ممتازة أبدية. (٥) وكان اسمه العظيم «بيت رعمسيس حاكم هليوبوليس في ضيعة سوتخ صاحب أمبوس»، وجهزته بعبيد، وهم الأسرى والناس الذين أوجدتهم. وخصصت له قطيعًا في الشمال (٦) ليقدم إلى حضرته يوميًا، وعملت له قرايين مقدسة جديدة زيادة عن القرايين اليومية التي كانت من قبل، ومنحته «أرضًا عالية» (١٧٥) وأرضًا بكرًا، (١٧٦) وجزرًا في الجنوب (٧) والشمال تحمل الشعير والقمح، وكان بيت ماله يُمار بالأشياء التي أحضرتها يداي لمضاعفة الأعياد أمامه يوميًا.

معبد حور في «أتريب» (بنها): (٨) ومنحت إنعامات عديدة من الماشية المقدسة أمام والدي «حور خنتي ختي»، وأصلحت جدران معبده وبنيتها فجعلتها جديدة (٩) مستوية مصقولة، وضاعفت القرايين الإلهية له فجعلتها قرًا يومية أمام وجهه المحبوب كل صباح، وأحضرت له جزية من العبيد والإماء ومن الذهب والفضة والكتان الملكي، وكتان الجنوب الجميل، وزيت (١٠) وبخور، وشهد، وثيران وعجول مخصبة، وجعلت له قطعانًا

جديدة تحوي ماشية عديدة، لتقدم لحضرته، الأمير العظيم، ونظمت إدارة بيته الفخم في البحر والبر بمراسيم (١١) عظيمة سُنت باسمه أبدًا، وعينت الكهنة والمفتشين لبيته عليهم ليديروا عمل العبيد، وليقتربوا إلى بيته.

خلع الوزير الثائر في «أترِب»: وخلعت الوزير الذي تدخل في (١٢) وسطهم، واستوليت على كل أتباعه الذين كانوا معه، وجعلت المعبد كالمعابد العظيمة في هذه الأرض محميًا وم محفوظًا سرمديًا، وأعدت (ثانية) كل أهله الذين كانوا قد طُردوا، فعين كل رجل.

صفحة ٦٠

(١) وكل مفتش ليقوموا بإدارة أعمالهم في بيته الفاخر.

معبد «سوتخ» في عاصمة الملك (قتير): (٢) وعملت معبدًا عظيمًا زيد فيه بمجهود في بيت «سوتخ رعمسيس مري آمون» مبنياً ومكسواً ومصقولاً ومنقوشاً بالأشكال، وله عوارض أبواب من الحجر (٣) وأبواب من خشب الأرز، وكان اسمه يُدعى أبدًا: «بيت رعمسيس حاكم هليوبوليس في ضيعة سوتخ». وخصصت به عبيدًا عمالاً من الناس الذين كَوْنَتْهم، وعبيدًا وإماء من الذين استوليت عليهم أسرى بسيفي (٤) وجعلت له قرايين مقدسة تامة وطاهرة لتُقدَّم لحضرته يوميًا. وملأت بيت ماله بأشياء لا حصر لها من مخازن حبوب بعشرات الآلاف، وقطعان ماشية مثل الرمل (٥) لتُقرَّب إلى حضرتك يا أيها العظيم في قوته.

أعمال طيبة لكل الآلهة والإلهات: (٦) وقمت بأعمال مجيدة، وإنعامات عظيمة العدد لآلهة، وإلهات الجنوب والشمال، وصنعت صورهم التي في بيوت الذهب، وبنيت ما كان قد سقط مخربًا (٧) في معابدهم، وأقمت بيوتًا ومعابد في ردهاتهم، وغرست لهم خُمائل، وحفرت لهم بحيرات، وأسست لهم قربًا إلهية من الشعير (٨) والقمح، والنبذ، والبخور، والفاكهة، والماشية، والطيور، وبنيت «ظلال رع» ١٧٧ لأجل الأقاليم ممكنًا

بالقرب المقدسة اليومية، ووضعت المراسيم العظيمة لإدارة معابدهم (٩) مسجلة في قاعات السجلات سرمدياً (١٠) تأمل: إن القائمة أمامكم يا هؤلاء الآلهة والإلهات لتعرفوا الإنعامات التي عملتها لحضراتكم.

صفحة ٦١ (أ)

(أ) ثروة المعابد: (١) قائمة بالسلع، والماشية، والحدائق، والأراضي الزراعية، والسفن، ومصانع السفن، والمدن، وكل شيء (٢) منحه الملك «وسرماعت رع مري آمون» الإله العظيم لآبائه الآلهة والإلهات أرباب الجنوب والشمال.

الناس التابعون للمعابد: (٣) معبد «رعمسيس» حاكم هليوبوليس القاضي في ضيع أنخور: ٣٥٧ نسمة. (٤) الناس الذين منحهم إلى بيت «أنخور» صاحب الريشتين العاليتين، القاطن في «طينة»: ١٦٠ نسمة.

(٥) معبد «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» في ضيعة «أوزير» رب العرابة: ٦٨٢ نسمة.

(٦) الناس الذين أهداهم إلى بيت والده الفاخر «أوزير» رب «العرابة»: ١٦٢ نسمة.
(٧) بيت «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» في بيت «سوتخ» رب «إمبوس» (نبتى): ١٠٦ نسمة.

(٨) الناس الذين منحهم بيت «مين» «حور» و«إزيس» وكل آلهة «قفط»: ٣٩ نسمة.
(٩) الناس الذين أهداهم إلى بيت «حتحور» سيدة «أفروديد توبوليس»: (١٧٨) ١٢ نسمة.

(١٠) الناس الذين أهداهم إلى بيت «سبك» رب «نشيت» (١٧٩) (المنشية): ٢٢ نسمة.

(١١) الناس الذين أهداهم إلى بيت «مين حور إزيس» آلهة «بانوبوليس»: ٣٨ نسمة.

(١٢) معبد «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» في ضيعة «مين» سيد «بانوبوليس» (كفر

إبو)، (أخميم) تحت إدارة «إنوشفي» قائد الجيش: ٢٠٣ نسمة.

(١٣) الناس الذين أهداهم إلى بيت «زيتي» رب «ثيو» (أبو تيج الحالية): ٣٨ نسمة.

(١٤) الناس الذين أهداهم إلى بيت «خنوم» سيد «شطب»: ١٧ نسمة.

(١٥) الناس الذين أهداهم إلى بيت «وبوات» الجنوب، مرشد الأرضين: ٤ نسمات.

صفحة ٦١ (ب)

(١) معبد «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» الظاهر في العيد الثلاثيني في ضيعة

«وبوات» تحت إدارة «تخوت محب» قائد الجيش: ١٥٧ نسمة.

(٢) معبد «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» «في هذا المعبد» تحت إدارة «إنوشفنو»

قائد الجيش: ١٢٢ نسمة.

(٣) معبد «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» في ضيعة «تخوت» سيد «الأشمنين»: ٨٩

نسمة.

(٤) بيت (بر) «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» في هذا البيت: ٦٦ نسمة.

(٥) الناس الذين منحهم هذه الضيعة: ٤٨٢ نسمة.

(٦) الناس الذين منحهم بيت «خنوم» «حتوت»: ^(١٨٠) ٣٤ نسمة.

(٧) الناس الذين منحهم بيت «آمون رع» رب «يرد»: ٤٤ نسمة.

(٨) الناس الذين وهبهم بيت «تخوت» في «باوزي»: ٦٥ نسمة.

(٩) الناس الذين وهبهم بيت «آمون» صاحب «موي خانت»: ^(١٨١) ٤٤ نسمة.

(١٠) الناس الذين وهبهم بيت «سبك» رب «آنشا»: ^(١٨٢) ٣٨ نسمة.

(١١) الناس الذين وهبهم بيت «أنويس» رب سيدو (?): ٧٨ نسمة.

(١٢) الناس الذين منحهم بيت «ست» رب «سبرمرو»: ^(١٨٣) ٩٩ نسمة.

(١٣) الناس الذين منحهم بيت «حرفشي» ملك الأرضين: ١٠٣ نسمة.

(١٤) الناس الذين منحهم بيت «سبك» صاحب «شدد حور» قاطن «تا-ش»
(القيوم): ١٤٦ نسمة.

(١٥) الناس الذين منحهم بيت «ست» رب «سو»: ٣٥ نسمة.

(١٦) الناس الذين منحهم بيت «آمون رع» رب تيجان الأرضين للأرض الخلفية: ٦٢
نسمة.

(١٧) الناس الذين منحهم بيت «حتحور» سيد «أطفيح»: ١٢٤ نسمة.

صفحة ٦٢ (أ)

(١) قطيع «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» صانع الإنعامات ١٥٣٣ نسمة
لأمه «باست»

(٢) الناس الذين وهبهم بيت «باست» سيدة «برست» على ١٦٩ نسمة
مياه «رع»

(٣) بيت (بر) «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» في بيت ١٠٦
«سوتخ» في «بررعمسيس الثاني» محبوب «آمون»

(٤) قطيع «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس» المنعم لوالده ١٢٤
«حرخني* خاتي» صاحب «أتريب» (بنها)

(٥) الناس الذين وهبهم: «موت» «خت-عيوي-ن-نترو» ٢٤ نسمة

(٦) المجموع ٥٨١١†

* هذا المكان - أو المعبد - لم يمكن تحديد موقعه حتى الآن كما ذكر «جاردنر»
and Gauthier, Dic. Geogr. I, p. ١٢٦) p. ١٩٣٣ (١٩J. E. A. Vol)
١٤٠) ويوجد في متحف «ليزج» لوحة (Inver No ٤٢٩) من عهد «تحتس الرابع»
يتعبد فيها لإلهة تُسمى «موت-خت-عوي-نترو» (الإلهة «موت» المشرفة على قرني

الآلهة)، وقد نشرها «هلشر» في آية (Das Grabmal des Konig Chephren)
 Leipzig ١٩٢٠ p. ١٤٠) وكانت قد وُجدت مع لوحات أخرى عند المدخل الجنوبي
 الشرقي لبرج معبد «خفرع» الجنائزي ليظهر العبادة «لبوهول». ويقترح الأستاذ
 «ستاندورف» أن معنى عبارة «قريي الآلهة» هو صخرة بالقرب من «بوهول» حُفر فيها
 محراب لعبادة هذه الإلهة. (٤١ Note ١).

† المجموع الحقيقي هو = ٥٦٨٦.

جدول : ثروة متنوعة

١٣٤٣٣	(٧) حيوانات متنوعة
٣٦٠١٢	(٨) حقول مقدرة بمقياس «ستات» (من الفدان الإنجليزي)
١١	(٩) حدائق
٢	(١٠) مصانع سفن

جدول : جزية الرعية

٧٣٢٥٠	(١١) حبوب نقية: حقيقية وتساوي (١٦) حقات = ٤٧٨٥
	لترًا*)
٣٣٠٠	(١٢) خضر: باقات
٣٠٠٠	(١٣) كتان: ربط (نعخ) تُستعمل بمثابة معيار

* وكذلك تساوي أربع وبيات.

هدايا الملك للآلهة

(١) ذهب، وفضة، ولازورد حقيقي وفيروز حقيقي، وكل حجر حقيقي

غالٍ.

(٢) ونحاس وملابس من الكتان الملكي، وكتان جميل من الجنوب، وكتان

الجنوب، وكتان ملون، ومر، وماشية، وطيور، وكل شيء (٣) يقدمه لهم الملك

«وسرماعت رع» الإله العظيم هدية ملكية. (٤) من السنة الأولى حتى السنة

الواحدة والثلاثين من حكمه.

نقدت	دب	
$٥ \frac{1}{2}$	١٧١٩	(٥) ذهب مصنوع أواني وحلياً وقطعاً
$٥ \frac{1}{8}$	٢٤٢٨	(٦) فضة صنعت أواني وقطعاً
٣	٤١٤٨	(٧) مجموع الذهب والفضة
	٤	(٨) ذهب مع بلور صخري: أطواق
	٤	(٩) ذهب مع بلور صخري: حلي
	١	(١٠) أكاليل ذهب للرأس
	١	(١١) فضة مغشاة بالذهب: عين مقدسة للإله
		«تخوت»
٦	١٠	(١٢) لازورد حقيقي
	$\frac{2}{3}, \frac{1}{6}$	(١٣) زمرد حقيقي (ترك فضاء)
	٣	(١٤) حجر «تمحي» من «واوات»
	٢	(١٥) نحاس أسود مصفح بالذهب: تمثال لأوزير *

(٤)

٢٦٠

(١٦) نحاس أسود

* راجع: W. b. III, p. ٤٠٢.

صفحة ٦٣ (أ)

قدت	دين	
٣	١٤١٣٠	(١) نحاس: أوان وقطع
	٢١٣٠	(٢) قصدير
	٧٨٢	(٣) بخور
	١٧	(٤) كتان ملكي: ملابس (دو)
	٢٥	(٥) كتان ملكي: ملابس ظاهرية (دو)
	٣	(٦) كتان ملكي: لفافات «حور»
	٥	(٧) كتان ملكي: عباءات
	٣٠	(٨) كتان ملكي: عباءات «ملابس»
	٢	(٩) كتان ملكي: عباءات ملابس «خنكي» (w. b. III, ٣٨٥b)
١٧٩		(١٠) كتان ملكي: ملابس «إدج» (w. b. I, p. ١٥٥)
١٦٨		(١١) كتان ملكي: قمصان
١٠		(١٢) كتان ملكي: ملابس متنوعة
٤٣٩		(١٣) مجموع الكتان الملكي: الملابس المتنوعة
٢		(١٤) كتان الجنوب الجميل: الملابس الظاهرية (دو)
٢		(١٥) كتان الجنوب الجميل: قمصان كبيرة
٢٣٤		(١٦) كتان الجنوب الجميل: ملابس (دو)

صفحة ٦٣ (ب)

٤٢٨	(١) كتان الجنوب الجميل: ملابس (إدج)
١	(٢) كتان الجنوب الجميل: (هاومن)
٣٩٩	(٣) كتان الجنوب الجميل: قمصان
٣٧	(٤) كتان الجنوب الجميل: تنانير
٤٤	(٥) كتان الجنوب الجميل: ملابس متنوعة
* ١٢١٦	(٦) مجموع كتان الجنوب الجميل من الملابس المصنوعة
٢٣	(٧) كتان الجنوب: عباءات
١	(٨) كتان الجنوب: ملابس
٢١٨	(٩) كتان الجنوب: ملابس (دو)
١٨١	(١٠) كتان الجنوب: ملابس (إدج)
٤٣	(١١) كتان الجنوب: قمصان
٤٩	(١٢) كتان الجنوب: ملابس (قزمر)
٢٣	(١٣) كتان الجنوب: تنانير
٤٠	(١٤) كتان الجنوب: ملابس (إفد)
† ٥٥٦	(١٥) مجموع كتان الجنوب من ملابس متنوعة
٦٠	(١٦) كتان ملون: عباءات
١٢	(١٧) كتان ملون: ملابس

* العدد الحقيقي =

† العدد الحقيقي =

١	(١) كتان ملون: ملابس (دو)
٤	(٢) كتان ملون: ملابس (إفد)
٥٦٧	(٣) كتاب ملون: قمصان
٩٢	(٤) كتان ملون: ملابس متنوعة
٧٣٦	(٥) مجموع الكتان الملون: ملابس متنوعة
*٣٠٤٧	(٦) مجموع الكتاب الملكي وكتان الجنوب والكتان الملون: ملابس متنوعة
٩٠٠	(٧) غزل: بالدبن
١٩	(٨) غزل: ربط متنوعة
٦٠١	(٩) بخور أبيض: جوار (من)
٥٦٧	(١٠) شهد: جوار (من)
٥١٣	(١١) زيت (نحج) مصري: جوار (من)
٥٤٢	(١٢) زيت (نحج) سوري: جوار (من)
١	(١٣) زيت (بق): جوار (من)
١	(١٤) زيت أحمر (بق) جوار (من)
٢٧٣	(١٥) شحم أبيض: جوار (من)
٤٤	(١٦) دهن أوز: جوار (من)
٣١	(١٧) زبدة: جوار (من)

* المجموع يزيد هنا عن

١	(١) زيت (سفت): جوار (من) وهو أحد الزيوت العطرية السبعة التي تُستعمل في الشعائر الدينية

٢٦٨٨ *	(٢) مجموع الجرار المملوءة
١٣٤	(٣) شراب شدح: جرار (من)
٢٨٧	(٤) شراب شدح: جرار (كابو)
٢	(٥) نبيذ: جرار (ماديدي)
٢٨٦٤	(٦) نبيذ: جرار («مرسو» و«من»)
†٣٢٤٧	(٧) مجموع الشدح والنبيذ: جرار مختلفة (إعع)
‡٤٩٧٥	(٨) مجموع: جرار متنوعة
١٢٤	(٩) خواتم (بابابا) مركبة على ذهب
٥٦٧٣	(١٠) أحجار ثمينة متنوعة: تعويذات أعين مقدسة
١٥٦٢	(١١) أحجار ثمينة متنوعة: جعارين
١٦٤٣	(١٢) أحجار ثمينة متنوعة: أختام وصدریات
٥٥٧	(١٣) أحجار ثمينة متنوعة: صور الملك (له الحياة والفلاح والصحة)
٦٢	(١٤) أحجار ثمينة متنوعة: تماثيل (Naophors) حملة بيت الذراع
٣٣١	(١٥) زمرد: خواتم وأصابع
٦٢٧٨	(١٦) حجر (وبات): أختام

* المجموع الحقيقي = ٢٥٧٤.

† المجموع الحقيقي = ٣٢٨٧.

‡ المجموع الحقيقي = ٣٢٨٧.

صفحة ٦٤ (ب)

٦٢	(١) بلور صخري: أساور
٤١٨٥	(٢) بلور صخري: أختام

٩٣٠	(٣) بلور صخري: جعارين
٦٥٨٣	(٤) بلور صخري: تعاويذ العين المقدسة
٨٢٥٨٤٠	(٥) بلور صخري: خرز
٣١	(٦) بلور صخري: خرز فروع في شكل الزهر
٤٢٤٧	(٧) بلور صخري: خواتم أصابع
٣	(٨) لازورد لامع
٣	(٩) زمرد لامع
٣١	(١٠) يشب أحمر: خواتم أصابع
٩٣	(١١) يشب أحمر: جعارين
١٩	(١٢) يشب أحمر
١٧	(١٣) معدن (واز)
٣٥	(١٤) حجر «أرر»: سمدة (خرز)
١٣٦	(١٥) بلور صخري: سمدة (خرز)
٢٨	(١٦) حجر (حرس): سمدة (خرز)
٧	(١٧) اليشب الأحمر: سمدة (خرز)

صفحة ٦٤ (ج)

١٦٠	(١) حجر (حمقم):* سمدة (خرز)
١٦٠	(٢) كل الأحجار الغالية: سمدة (خرز)
٤٩٦	(٣) خشب (مرو): سلات ومكايل (ثاي)
٣	(٤) خشب زكي الرائحة (قتني) بمكيال
٣٠	(٥) قرفة: بمكايل (مستي)
٣٧	(٦) قرفة: حزم
٢	(٧) نبات (إيوفتي): بمكيال «مستي»
٢	(٨) حصا لبان بمكيال «مستي»

٤	(٩) نبات (سمو): مكايل (مستي)
١٠٠	(١٠) بخور: «قدرتي»
١٠٠	(١١) حبوب «مهيوت» من خشب الأرز (?)
٢٢	(١٢) اسفلت (من بلاد «بنت» تُستعمل للتحنيط بمكيال متي)
٢٢	(١٣) عنب: بمكيال «مستي»
٢١٢	(١٤) فاكهة منوعة: (حقت)
٣	(١٥) حجر الشبة: بمكيال (مستي)

* حجر ثمين يُتخذ منه خرز العقود وغيرها.

صفحة ٦٥ (أ)

٢	(١) صموغ: حقت
٣	(٢) سليقون: جرار (من)
٣٨٠	(٣) ستي (خنتي؟): جرار (شني) (حجر نوبي يُستخرج منه لون خاص)
٧٢	(٤) شسا: مكايل (مستي) (مادة معدنية من بلاد النوبة تُستعمل للتلوين)
٣٢٥٠٠	(٥) شسا (دبن)
٢٥٤٨	(٦) فاكهة الدوم (سباط)
٤٦٠٤٠	(٧) خوص النخل: جريد
٣٢٠	(٨) خوص النخل: مكايل (بسا)*
٣٥١	(٩) حجر الطاحون وابنه (أي حجر الطحن؛ يعني الحجر الأعلى والأسفل)
٢٢٣١	(١٠) حب نقى بالحقيبة
٩٥	(١١) فاكهة الجنوب بالحقيبة

١١٤٢	(١٢) ماشية منوعة
٣٧	(١٣) جلود بقر
٣٣٦	(١٤) خشب أرز: قطع منوعة
٢	(١٥) خشب مارا: قضبان
١٠٠	(١٦) خشب سلامكة (دبن)

* راجع: .٨٢W. b. II, p.

صفحة ٦٥ (ب)

٣٨٤٢	(١) أمتست: قوالب
٦٢	(٢) أمتست: حقيبة (= ١٦ حقت)
٤٢٤٢	(٣) ملح: قوالب
١٦٦	(٤) ملح: حقيبة
١٣٥٢	(٥) زيتون: حقت
٩٧	(٦) أزهار (زدمت): مكاييل (تمامو)
٩٩	(٧) نبات (إنبو): مكاييل (تمامو)
٢٥٣	(٨) عنب: بمكيال «بدر» (قفص؟)
٨٠	(٩) عنب: أكاليل
٦٦	(١٠) رمان: بمكيال «بدر» (قفص)
* ٨٧,٥	(١١) فاكهة: بمكيال إبت = ويبة أي ربع حقيبة
٩٣	(١٢) كتان (يسن): بمكيال «سبخن»
١١٨	(١٣) حصير (إدنبو) (٩) (١٥٤w. b. I, p.)
١٩٨	(١٤) كتان (يسن): سجاد (بخن)
٣٩٠	(١٥) أتل: حزم

* راجع: .٦٣Wilbour Pap. II, p.

٤٦	(١) كتان الجنوب: سلات (حتب)
٣٧	(٢) حبال من نبات «وز» (٣٩٩w. b. I, p.)
٤	(٣) دهن أوز من قطيع الأوز
١٩٠	(٤) أوز حي
١٥٣	(٥) طيور مائية حية
١٩٢٠	(٦) طيور مائية مقطعة
٦٥٠٠	(٧) سمك مقطع
١٣١٠٠	(٨) سمك صحيح
٢٣٠٠	(٩) جريد نخل بالمعيار (؟)
٢٣٠٠	(١٠) ليف نخل
٢٠٠	(١١) خشب حريق: قطع
٥٠	(١٢) فحم بمكيال «جسري»
٢	(١٣) كروم
٢	(١٤) حدائق جميز
١	(١٥) بيت معد بالخشب (خق)
١٣٦١	(١٦) أرض زراعية مقدرة بمقياس (ستات)

قمح لقربان الأعياد

- (١) قمح نقي بالحققات لأجل القربات المقدسة (٢) لأعياد السماء،
وأعياد أوائل الفصول الذي أعطى إياهم (للآلهة والإلهات) زيادة على (٣)

القربان المقدسة. وكذلك زيادة على القربات اليومية، ليزيد ما قد كان من قبل من السنة الأولى حتى السنة الحادية والثلاثين، أي مدة إحدى وثلاثين سنة، مقدرة بالحقيقة (والحقيقة = أربع وبيات = ٢٥٣٢٦).

صفحة ٦٦ (ب)

صلاة ختامية

(١) اصغوا إليَّ أيها الناس الموقدون العظيم، وأنتم يا أيها الآلهة والإلهات! عوا في قلوبكم الإنعامات التي قمت بها حينما كنت لا أزال ملكاً على الأرض (٢) حاكماً على الأحياء. هبوا لي أن أكون مقدساً كواحد من أفراد الناس حتى أستطيع الروح والغدو بينكم في الأرض المقدسة (تاجسر)، (٣) وحتى أستطيع أن أذهب وأنا معكم أمام «رع»؛ وأستطيع أن أرى ضياء قرصه كل صباح. وهبوني أن أستطيع استنشاق الهواء مثلكم (٤)، وأن أتسلم الخبز من القربان التي أمام «أوزير»، ودعوا قلبي فرحاً، واسمعوا ما أقول (٥): مكنوا ابني ملكاً على عرش «حور»، فهو حاكم على الأرض بمثابة رب الأرضين، وضعوا التاج على رأسه مثل «الرب المسيطر» (٦) وضموا إليه الصل مثل «آتوم»، ودعوه يحفل بأعياد ثلاثينية مثل «تائنن» ويحكم طويلاً مثل صاحب الوجه الجميل «بتاح»، وليت (٧) سيفه ينتصر على كل الأراضي، وليتهم يأتون خوفاً منه حاملين جزيتهم. وضعوا (٨) حبه في قلوب الناس، وليت جميع الأرض تصفق له عند رؤيته، وليت مصر تفرح به (٩) بابتهاج متحدة تحت قدميه أبدياً: ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين: «وسرماعت رع ستين آمون» (له الحياة والفلاح والصحة) ابن (١٠) رع سيد التيجان مثل «آمون» «رعمسيس الرابع» «حقا ماعت مري آمون» له الحياة

والفلاح والصحة.

صفحة ٦٧

ملخص

ثروة المعابد: (١) قائمة بأشياء الآلهة والناس: من ذهب وفضة ولازورد حقيقي وفيروزج حقيقي وكل حجر غالٍ (٢) وماشية وحدائق وأرض وسفن ومصانع سفن ومدن، وقرب أعياد وقربان، وكتب إله النيل، وكل السلع التي عملها الملك (٣) «وسرماعت رع مري آمون» (له الحياة والفلاح والصحة) الإله العظيم لوالده الفاخر «آمون رع» ملك الآلهة، وللإله «آتوم» رب الأرضين الهليوبوليتي، «ولرع حوراختي»، وللإله «بتاح» (٤) «العظيم القاطن جنوبي جداره» (منف) سيد «حياة الأرضين» ولكل آلهة وإلهات الجنوب والشمال حينما كان ملكًا على الأرض. (٥) التماثيل المحفوظة في القوارب المقدسة، والتماثيل ومجاميع تماثيل «آمون رع» ملك الآلهة وعددها ٢٧٥٦ إلهًا.

نسمة

١١٣٤٣٣

(٦) عدد الناس

٤٩٠٣٨٦

(٧) ماشية متنوعة

١٠٧١٣٨٠

(٨) أراضي مقدرة بالاستات

٥١٤

(٩) حدائق وخمائل

٨٨

(١٠) سفن نقل وسفن بسطح واحد منخفضة

صفحة ٦٨ (أ)

١٦٠

(١) بلاد مصرية

٩

(٢) بلاد سورية

(٣) القيمة الخاصة التي تحتويها التماثيل والمجاميع التي يبلغ عددها

٢٧٥٦ وهي:

قدت	دين	
١	٧٢٠٥	(٤) ذهب جميل
	١١٠٤٧	(٥) فضة
	١٨٢٥٢	(٦) مجموع الذهب والفضة
٣	٤٧	(٧) اللآلئ واللؤلؤ الحقيقي
٨	١٠٠٠١	(٨) نحاس أسود
٣	٩٧١٤٨	(٩) نحاس: أوانٍ وقطع
	٤٨٩٦	(١٠) قصدير
	٩٥	(١١) صفيح

صفحة ٦٨ (ب)

١	١٨١٦٨	(١) أحجار غالية متنوعة بالويبة
	٣٢٨	(٢) خشب أرز: قطع متنوعة
	٤٤١٥	(٣) خشب برسن: قطع متنوعة

(٤) ضريبة الرعايا: السلع، وإنتاج الناس، وكل العبيد التابعين

للبيوت والمعابد والضيايع (٥) التي أعطاها إياهم الفرعون دخلاً سنوياً:

(٦) ذهب الجبل الجميل، وذهب من الدرجة الثانية ٢٢٨٩

في صورة أوانٍ وحلي وقطع

(٧) فضة: أوان وقطع ١٤٠٥٠

(٨) مجموع الفضة والذهب التي في هيئة أوانٍ وحلي وقطع ١٦٣٣٩

(٩) ذهب مركب على أحجار ثمينة: أطواق وأزرار وحبال ٩

(١٠) فضة مغشاة بالذهب: تعويذة عين مقدسة للإله «تخوت» ١

(١١) نحاس: دين ٢٧٥٨٠

(١٢) كتان ملكي وكتان «ملك»، وكتان الجنوب ٤٥٧٥
الجميل؛ وكتان الجنوب، وكتان ملون، وملابس متنوعة

صفحة ٦٩

(١) غزل: دين ٣٧٧٥

(٢) بخور وشهد وزيت: جرار مملوءة (اعع) ١٥٢٩

(٣) شراب شددح ونبيذ: جرار متنوعة (اعع) ٢٨٠٨٠

(٤) فضة من أشياء: ضريبة الناس مقدرة بالدين، ٤٢٠٨, $\frac{1}{2}$ ٧,

$\frac{1}{10}$

(٥) حب نقي من ضريبة الفلاحين بالحقيبة ٤٦٠٩٠٠

(٦) خضر: باقات ٣٢٧٥٠

(٧) كتان: بالربط (البالات) ٧١٠٠٠

(٨) طيور ماء من ضرائب الصيادين والسماكين ٤٢٦٩٩٥

(٩) ثيران وعجول مخصية، وعجلات وعجول ٩٦١

	وبقرات وماشية، وماشية من القطيع: ماشية مصر
١٩	(١٠) ثيران وعجول مخصصة وفحول وعجلات
	وعجول وبقرات من ضرائب بلاد سوريا ١٩
٩٨٠	المجموع
١٩٢٠	(١١) أوز حي ذو قيمة
١٢	(١٢) خشب أرز: قوارب جر، وقوارب عبور
٧٨	(١٣) خشب سنط: قوارب جر، وقوارب نزع،
	وقوارب نقل الماشية ومراكب صغيرة، وقوارب
	شحن

صفحة ٧٠ (أ)

- (١) مجموع خشب الأرز وخشب السنط: قوارب ٩٠
- (٢) سلع مصر و سلع أرض الإله، و سلع سوريا، و سلع بلاد «كوش»
والواحة لأجل القرابين المقدسة في قوائم عديدة.

هدايا الفرعون الخ:

(٣) الذهب والفضة واللازورد الحقيقي، والفيروز الحقيقي، وكل حجر غالٍ،
والنحاس والملابس.

(٤) المصنوعة من الكتان الملكي وكتان «مك» وكتان الجنوب الجميل، وكتان
الجنوب والملبس، والكتان الملون، والجرار (أي المملوءة خمراً وزيتاً وبخوراً ... الخ)
والطيور، وكل شيء أعطاه إليهم.

(٥) هدايا الملك (له الحياة والفلاح والصحة) والقرابين الاحتفالية، والقرب،

وكتب إله النيل، حينما كان ملكًا على الأرض.

قَدَت	دَبَن	
	١٦٦٣	(٦) ذهب جميل، وذهب من الدرجة الثانية، وذهب أبيض
		في أوانٍ، وحلي وقطع (مقدرة) بالدين
٨	٥٩٨	(٧) فضة (مصنوعة) أواني وقطعًا (مقدرة) بالدين
٨	٥٢٦١	(٨) مجموع الذهب والفضة في صورة أوانٍ وقطع مقدرة
		بالدين
٩ $\frac{1}{2}$	٣٠	(٩) لازورد حقيقي، فيروز حقيقي، وحجر فلدسبار أخضر
		حقيقي
	٧٢	(١٠) لازورد حقيقي، فيروز حقيقي: جعارين
٣		(١١) حجر تخني من «واوات»: مقدر بالقَدَت

صفحة ٧٠ (ب)

٩	٣٢٧	(١) نحاس أسود مقدر بالدين
	٢	(٢) نحاس أسود مصفح بالذهب: تماثيل «أوزير» (؟)
٧	١٨٧٨٦	(٣) نحاس مصنوع أواني وقطعًا بالدين
	٢١٣٠	(٤) قصدير: دين
	٧٠٠٩	(٥) مر: دين
	٥ $\frac{1}{2}$	(٦) مر: حقت
	١٠٥٩	(٧) خشب شجر المر (قطع)
	٢٠٠	(٨) فاكهة المر: بالوبية
	٥٠٨٧٧	(٩) كتان ملكي وكتان «مك» وكتان الجنوب الجميل،
		وكتان الجنوب وكتان ملون: ملابس متنوعة

- (١٠) بخور وشهد وزيت (نحج) وزيت (بق): جرار ٣٣١٧٠٢
 منوعة (اعم) بالويبة المنوعة
 ٣٥١٣٠ (١١) بخور (قاداري) بالويبة
 ٦٢ (١٢) بخور بالويبة الكبيرة
 ٢٢٨٣٨٠ (١٣) شراب «شدح» ونبيد: جرار (من) و(كابو)
 ٣٠٠ (١٤) أسفلت جميل من بلاد «بنت»: دبن
 ١٠ (١٥) أسفلت مكايل: (مستي)
 ١٠٧٥٦٣٥ (١٦) كل الأحجار الثمينة: تعاويد العين المقدسة
 والجعارين والأختام من مقاييس مختلفة

صفحة ٧١ (أ)

- (١) مرمر: قطعة واحدة ١
 (٢) غزل: مقدر بالدبن ٧٠٠
 (٣) غزل: ربط ١٩
 (٤) خشب مشغول: صناديق وأختام ٩٢
 (٥) خشب «مرو» * وخشب أبنوس: عصي ٤٩٧
 (٦) خشب مشغول: قطعة لكفتي الميزان ١
 (٧) خشب خروب: قطعة ١
 (٨) خشب برسا: قطعة طولها ذراعان ١
 (٩) خشب مرا عمود للميزان ١
 (١٠) خشب مرا أقطاب ٢
 (١١) خشب أرز: قطع منوعة ٣٥١
 (١٢) عصير خشب حلو الرائحة، وخيار شنبر (سلمكة): دبن ٣١٢٩
 (١٣) خشب زكي† الرائحة: حزم ومكايل (مستي) ٣٧

* خشب من سوريا لونه أحمر، وهو خشب جوز يُستعمل لعمل الأشياء الفنية والأثاث.

† كنتي: خشب زكي الرائحة (٥٤W. b. V, p.).

صفحة ٧١ (ب)

٤٥	(١) شعير سوريا: حقت
١	(٢) عاج: أسنان فيل
٥٠	(٣) كحل: دبن
١٦٧	(٤) حصى لبنان: مكيال (مستي)
١٨٣	(٥) نبات أفيقي: مكيال (مستي)
٣١٠٠	(٦) مهبوت: فطائر (ساتا)
١٧٦٤	(٧) نبات سامو: مكيال (حتب)
٢٣٨٢٦٥٠	(٨) فاكهة الدوم والعنب والتين والرمال والفاكهة المنوعة في أقفاص منوعة: بمكيل: ابت
٢٠٦٠٢	(٩) ثيران وعجول مخصية وفحول وعجلات، وبقرات وماعر
٣٦٧	(١٠) ظباء بيض وغزلان ذكور وإناث
٣٥٣٩١٩	(١١) أوز سمين وأوز حي وطيور ماء منوعة
١٨٤٣	(١٢) ملح وأمتست بالحقيقية (أربع وبيات)
٣٥٥٠٨٤	(١٣) ملح وأمتست: قوالب
٣٤٥	(١٤) حبال من نبات «وز»
١٩٤٤	(١٥) نبات (سبخي) حصر (يش) وحصر (إدنيو)؟

٧٨٦٠	(١) أثل
٤٦	(٢) كتاب الجنوب: مكيال (حطب)
١٦١٢٨٧	(٣) خبز ناعم: في سلات «ودن» الكبيرة وأكوام (سيد) وولات (باح) تُكال بالوبيات المختلفة
٢٥٣٣٥	(٤) خبز ناعم، ولحم، وفطائر (رحسي): في سلات كبيرة (حطب) للمكان المقدس (ما) وولات (حطب) من الذهب، وولات (حطب) للأكل، وولات (ثاي) للأكل
٦٢٧٢٤٢١	(٥) خبز ناعم: رغفان كبيرة (عق) للأكل، ورغفان حلوة (عق) ورغفان من كل حجم
٢٨٥٣٨٥	(٦) فطائر (رحسي) من كل خبز، ومكيال بالوبية
٤٦٨٣٠٣	(٧) جعة: أواني متنوعة (خنسو)
١٧٢٦	(٨) زيتون: جرار «من» و«جاي»
٣١٠٠	(٩) شمع: دبن
٣٩٠٢١٥	(١٠) كرنب، وفاكهة خيثانا، وفاكهة الجنوب: بالوبية وبالخزم
٨٦٦	(١١) نبات «ردمت» بالخزم وبالسلات (تامو)
١٥١١٠	(١٢) أحذية من البردي: مقدرة بالزوج
٢٦٧٨٢	(١٣) بردي مجهز ملون بالوبية
٩٣٠	(١٤) آلة (غربال) بالوبية
١٥٠	(١٥) نسيج سميك: ملابس (دو)

٣٧٢٠	(١) أحذية من الجلد: بالزوج
٩٦١٠	(٢) جرار وأوانٍ من مصب ترعة «هليوبوليس»
٤٩٤٨٠٠	(٣) سمك نوع

- (٤) جرار القناة مملوءة بالسمنك، ولها أغطية من الخشب ٤٤٠
- (٥) براعم، وأزهار، ونبات «إسي» وبردي، وأعشاب: مكاييل ١٠١٣٠٠٣٢
- (زدست)، وطاقات لليد
- (٦) أراضي زيتون معدة: قطعة واحدة مساحتها بالسنتات ١٠٠٠٣ $\frac{1}{4}$
- (٧) حدائق من كل (أنواع) الأشجار معدة ٦
- (٨) بيت مُعد بالخشب ١
- (٩) خشب حريق (قطع) ٣٢٦٠
- (١٠) خشب حريق بمكيال «جسرا» ٣٣٦٧
- (١١) بخور، وشهد، وزيت (نحج)، وأجود زيت، ودهن، وفاكهة ١٩٣٣٧٦٦
- وكل حجر غال، وقرفة، وخضر، ولبن: مكاييل (ع) من أحجام متنوعة
- (١٢) ذهب، وفضة، وكل حجر غالٍ حقيقي: تماثيل لإله النيل ٤٨٢٣٦
- (نوسا)
- (١٣) لازورد حقيقي، وفيروزج حقيقي، وكل حجر غالٍ، ١٩٣٣٧٠
- ونحاس، وقصدير، وأحجار غالية لامعة: تماثيل لإله النيل
- (١٤) خشب جميز: تماثيل لإله النيل، وتماثيل لإلهة النيل ١٢١٥٨
- (١٥) حجر «وبا» ٣١٦٥٠
- (١٦) «الشب مكيال» (مستي) ٦٠

صفحة ٧٤

- (١) سيلقون (أوأكسيد الرصاص): جرار (منت) ٣
- (٢) خنتي (مادة حمراء اللون): جرار (شني) ٣٨٠
- (٣) شسا (مادة معدنية من بلاد النوبة): مكاييل (مستي) ٤
- (٤) شسا (مادة معدنية من بلاد النوبة): دبن ٣٢٥٠٠

٤٦٠٤٠	(٥) ثمار شجر (ثاو) بالخرمة
٣١٠	(٦) ثمار شجر: بمكيال (بسا)
٣٥١	(٧) حجر الرحي وابنه، (أي الحجران العلوي والسفلي)
٣٧	(٨) جلود بقر
٢٣٠٠	(٩) فلولق نخل (؟)
٢٣٠٠	(١٠) ليف النخيل
	(١١) حبوب بالحقاب (مكيال) لأجل القرب المقدسة لأعياد السماء، وأعياد أوائل الفصول (أي الملك) لهؤلاء الآلهة
٥٢٧٩٥٥٢	(١٢) بمنابة زيادة للقرب الإلهية، وزيادة للقرب اليومية لأجل أن يضاعف ما قد كان من قبل: بالحقيقية

صفحة ٧٥

القسم التاريخي

مقدمة: (١) قال الملك «وسرماعت رع مري آمون» «رعمسيس الثالث»
 الإله العظيم للأمراء، وقواد البلاد، والمشاة، والفرسان، وجنود «شردانا»، والرماة
 العديدين، (٢) وكل موظفي أرض مصر. (راجع الباقي فصل رعمسيس الثالث)

صفحة ٧٧

حفر بئر في «عيان»: (٧) وحفرت بئرًا عظيمة جدًا في إقليم «عيان». وقد
 كانت محاطة بجدار كالجيل من الحجر الصلب تحتوي عشرين (مدماكًا) في أرض
 الأساس، وارتفاعه ثلاثون ذراعًا، وله طواري، وعوارض أبوابه، وأبوابه صنعت (٨)
 من خشب الأرز، وأقفالها من النحاس عليه تراكيب.

رحلة بلاد «بنت»: وبنيت سفنًا ذات سطح واحد، وزوارق أمامها، يقودها

نواقي عديدون، وأتباع كثيرون (٩) وكان ضباطهم البحريون معهم، ويصحبهم مفتشون، وصغار الضباط يعطونهم الأوامر. وقد كانت محملة بمنتجات مصر التي يخطنها العد، إذ كانت تُعد بعشرات الآلاف، وقد أرسلت إلى البحر العظيم ذي الماء المقلوب،^(١٨٤) (١٠) وقد وصلوا إلى بلاد «بنت» ولم يصيبهم أذى، سالمين، وحاملين الرعب (لكل من يعارضهم)، وقد حملت السفن والزوارق بمحاصيل أرض الإله (١١) من كل الأشياء العجيبة لبلادهم منها مر «بنت» الكثير محملاً بعشرات الآلاف مما يخطنها العد، وأولاد رؤساء أرض الإله، ساروا أمام جزيتهم (١٢) متقدمين نحو مصر. وقد وصلوا في سلام إلى مرتفع أرض «قفط» (صحراء قفط، ويشير هنا إلى أن البحر الأحمر نهاية طريق «قفط» حيث كانت تُفرغ البضاعة من السفن ومن ثم إلى طريق النيل) وقد رسوا في سلام حاملين الأشياء التي أحضروها، وكانت قد نُقلت عن طريق البر على حمير ورجال. وشُحنت في سفن (١٣) على النيل عند ميناء «قفط» وقد أرسلت في منحدر النهر قدما، ووصلوا في وسط الابتهاج، وأحضروا بعض الجزية أمام الحضرة الفرعونية بمثابة أعاجيب، وكان أولاد رؤسائهم.

صفحة ٧٨

في تعبد أمامي (١) مقبلين الأرض، ساجدين أمامي، وقد أعطيتهم لكل آلهة هذه الأرض لإرضاء الصلّين كل صباح.

الحملة إلى «عتاقة»^(١٨٥): وأرسلت رسلي (٢) إلى إقليم «عتاقة»، حيث مناجم النحاس العظيمة في هذا المكان، وقد حملتهم (رجال الحملة) سفنهم، وكان غيرهم على الطريق البحري على حميرهم (٣) ولم يُسمع بذلك منذ زمن حكم الملوك. ووجدت مناجمها مملوءة بالنحاس، وقد شُحن عشرات الآلاف من هذا النحاس في السفن، وقد (٤) أرسل قدماً إلى مصر، ووصل في أمان، وحُمِل وكُدس تحت الشرفه في هيئة قضبان من النحاس بمئات الآلاف، ولونه كلون الذهب من الدرجة الثالثة (٥) ثلاث مرات، وقد سمحت للناس أن يُشاهدوها لأنها أعاجيب.

رحلة إلى «سيناء»: وقد أرسلت سقاة، وموظفين إلى إقليم الفيروزج، إلى والدتي «حتحور» سيدة الفيروزج، وقد أحضر لها فضة، وذهب، وكتان ملكي، وكتان «ملك» وأشياء كثيرة (٧) في حضرتهما مثل الرمل. وقد أحضر إلى مدهشات من الزمرد الحقيقي في حقائب عدة أتى بها قدمًا إلى حضرتي، ولم تُر من قبل (٨) منذ زمن حكم الملوك (الأول).

أعمال «رعمسيس» الطيبة في داخل البلاد: وغرست كل البلاد بالأشجار والخضرة، وجعلت الناس يثوون تحت ظلالها، وجعلت (٩) المرأة في مصر تمشي بخطى واسعة إلى المكان الذي ترغب فيه، إذ لا يعاكسها غريب، أو أي فرد على الطريق، وجعلت المشاة والخيالة يسكنون (في وطنهم) (١٠) في زمني، فكان «الشردانا» و«القهيقي» في مدغم مضطجعين على ظهورهم، ولا يخامرهم خوف؛ لأنه لم يكن هناك عدو من «كوش» (١١)، أو مناهض من «آسيا». وقد ثوت أسلحتهم في مخازنها، وفي حين أنهم كانوا راضين وسكارى في ابتهاج. (١٢) وكانت زوجاتهم معهم، وأولادهم بجانبهم، ولم ينظروا خلفهم (خوفًا). وكانت قلوبهم واثقة؛ لأنني كنت معهم بمثابة درع وحماية لأعضائهم (١٣) وقد حفظت أهالي كل البلاد أحياء سواء أكانوا من الأجانب أم من عامة الشعب أم من المدنيين ذكورًا وإناثًا، وخلصت الرجل من مصيبتته، ومنحته النفس.

صفحة ٧٩

(١) وخلصته من العاشم الذي كان أقوى منه، وجعلت كل الناس آمنين في مدغم، وأبقيت على حياة آخرين في قاعة العالم السفلي (بالغرب) (٨) ومددت الأرض في المكان الذي كان قاحلاً، وكانت البلاد راضية عن حكمي، وعملت الخير للآلهة وللناس (٣) وليس لدي شيء قط خاص بآناس آخرين. وقد بسطت سلطاني على الأرض حاكمًا للأرضين، في حين كنتم أنتم خدمني تحت قدمي دون تقصير. وكنتم سارين تمامًا (٤) لقلبي لأنكم عملتم بامتياز، وكنتم غيورين على أوامري

ومصالحى.

موت «رعمسيس الثالث»: تأمل: لقد ذهبت لأستريح في الجبانة مثل والدي «رع» (٥) واختلطت بالآلهة العظام في السماء والأرض وفي العالم السفلي، وقد مكن «آمون رع» ابني على عرشي، وقد تولى وظيفتي في سلام بوصفه حاكم الأرضين جالسًا على عرش «(٦) حور» بمثابة رب الشاطئين، وأخذ تاج «أتف» مثل الإله «تاتن» بوصفه «وسرماعت رع مري آمون» (له الحياة والفلاح والصحة)، وبكر «رع» الذي ولد نفسه بنفسه: «رعمسيس الرابع» «حقا ماعت مري آمون» (٧) الطفل ابن «آمون» الذي خرج من أعضائه بمثابة رب الأرضين ولدا حقيقيًا مدح إكرامًا لوالده.

الحث على الإخلاص «لرعمسيس الرابع»: كونوا أنتم - يخاطب الشعب المصري - منضمين إلى نعليه (٨) وقبلوا الأرض في حضرته، وانحنوا له، واتبعوه في كل الأوقات، واعبدوه، وامدحوه، وعظموا جماله كما تفعلون (٩) «لرع» كل صباح، وقدموا له جزيبتكم في قصره الفاخر، وأحضروا له هدايا من الأرض والممالك، وكونوا غيورين على بعوثه (١٠) والأوامر التي تُلقى بينكم، وأطيعوا أوامره حتى تسعدوا بشهرته، واعملوا له بجهد كرجل واحد في كل عمل، فجروا له جبالًا، واحفروا له (١١) ترعًا، وأنجزوا له عمل أيديكم حتى تنعموا بحظوته، وتتمتعوا بميرته كل يوم. وقد قرر «آمون» له حكمه على الأرض، وقد ضاعف له مدى حياته (١٢) أكثر من أي ملك أعني ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسرماعت رع ستين آمون» - له الحياة والفلاح والصحة - ابن «رع» رب التيجان: «رعمسيس الرابع» «حقا ماعت مري آمون (له الحياة والفلاح والصحة) معطي الحياة سرمديًا».

أمالك المعابد التي وقفها «رعمسيس الثالث» في «ورقة هاريس»^(١٨٦): كانت الفكرة السائدة حتى الآن أن قوائم ورقة «هاريس» تقدم لنا مجموع ثروة المعابد في نهاية عهد «رعمسيس الثالث»، وقد تساءل الأستاذ «إرمان» قائلًا: لماذا لم نجد

السبعة والتسعين والمائتي ثور (هـ/١٦ أ) (أ) ١٣) التي في القائمة الثالثة من قوائم «ورقة هاريس» (وهي هبة ملكية) مذكورة مع الماشية التي يبلغ عددها ٤٢١٣٦٢ في القائمة الأولى (هـ/١٢ أ) (أ) ٥)، ولماذا عندما نذكر الهبات القيمة جداً من الهبات الملكية كانت تُقدر بالقيمة الذهبية؟ ومن هنا نشاهد أن الورقة تفصل الهبات الملكية؛ ولذلك لا بد من وجود فرق أساسي بين هاتين القائمتين. وخلافاً لما يدلي به «إرمان»^(١٨٧) من أن القائمة الأولى تذكر لنا مجموع الممتلكات أعتقد أن التفسير التالي أقرب إلى الصواب؛ وذلك أننا إذا لاحظنا كل حالة من هذه الحالات نجد أن المقصود هنا هو الوقف الجديد الذي أوقفه الفرعون على المعبد، وبذلك نجد فاصلاً بين هذا النوع من الهبات الذي أصبح ملكية دائمة للمعبد، وبين الهبة السنوية التي كان يقدمها الفرعون من ثروته الخاصة كل سنة، وهذا الوقف كان ملكاً خاصاً دائماً للمعبد، وكان من واجب كل ملك يخلف - على العرش - الملك الذي وهبه أن يرعى حرمة، ولا يمسّه بسوء. ومن جهة أخرى كانت الهبات السنوية قاصرة على الملك الحاكم، ولم يكن لازماً على خلفه أن يقوم بأدائها. وعلى ذلك كان من الواجب على «رعمسيس الرابع» أن يرعى هذه الالتزامات. وبعبارة أخرى كان من الواجب على هذا الملك الشاب أن يترك الماشية التي يبلغ عددها ٤٢١٣٦٢ رأساً دون أن يمسّها؛ لأنها من أملاك المعبد الدائمة. أما القطيع الذي كان يهديه «رعمسيس الثالث» سنوياً فكان له الحق في أن يحذفه، ومع ذلك فإنه أبقى عليه في تعداد الثيران التي كانت ترصد «لآمون» - هذا إذا فرضنا أن الورقة كتبت في عهده - والفرق الرئيسي بين هذه القائمة والقوائم الأخرى هو أن حق ملكية المعبد الدائمة قد غُبر عنها، في حين أن الهدايا السنوية لم تُمثل. وقد غاب كذلك عن «إرمان» أن الذهب قد ذُكر فقط في القائمة الثانية^(١٨٨) بوصفه هدية ملكية، وأنه كان يوزع هدايا سنوية على ضياع المعابد للقيام بالمشاريع الاقتصادية، وبذلك يكون تحت تصرف كل معبد. على أن ذلك لا يعني أن هذه كانت هبة دائمة، أو أن توزيعه يكسبه هذه الصفة. وهذا الإيضاح لا يتعارض في أن قوائم الهدايا السنوية الملكية في «هليوبوليس» (هـ

٣٤ ب سطر ٤، ٥) وكذلك الهدايا في المعابد الصغيرة (هـ/٦٥- سطر ١٣، ١٤، ١٦) التي كانت تشمل معًا ١٤١٤٢٥ «أرورا» وست حقائق، فكانت أملاً دائماً؛ وذلك لأن المعروف في عهد البطالمة أن الملك لم يكن يمنح فقط الأتبان، بل كان من حقه كذلك أن يمنح ريعها؛ إذ يقول في ذلك «برو Preaux»: إن ما كان ينزل عنه ملوك البطالمة للمقرّين لديهم، أو لوزرائهم لم يكن دائماً ضياعاً، بل كان كذلك دخل بعض الضرائب.^(١٨٩) ولا بدّ أن ما كان يحدث في عصر الرعامسة كان مشابهاً لهذه الحالة. وذلك أن الملك كان في الواقع قد أهدى أراضي للمعبد بأكملها هبة دائمة، كما أهدى لمعابد ضياع «هليوبوليس» وللمعابد الصغيرة، هذا خلافاً لتشمير ريع ست حقائق، و١٤١٤٢٥ «أرورا» من الأرض، على أن يكون ذلك الربيع لمدة حكمه وحسب. على أنه لا يمكننا الحكم الآن فيما إذا كان «رعمسيس الرابع» قد حذف هذا الربيع أو تركه كما كان عليه طوال مدة حكمه. ولذلك فإن الاستنباط القائل بأن ما جاء في القائمة الثالثة^(١٩٠) هو الهدايا الملكية الحقيقية أمر باطل من أساسه؛ لأن ضياع «آمون» التي لها منزلة ممتازة عند «رعمسيس الثالث» لم يكن لها نصيب من هذه الأرض على وجه عام.

وأرجو أن أكون قد أوضحت أن ما جاء في الجزء الطيبي الخاص بالمعابد يمكن توحيده بهذه الفكرة؛ أي إنها المعابد التي بناها «رعمسيس الثالث» نفسه. وفيما يلي تقدير لعدد الرعايا التابعين لهذه المعابد:

٦٢٦٢٦ نسمة

معبد مدينة «هابو»

٢٦٢٣ نسمة

معبد مدينة «الكرنك» الصغير

٩٧٠ نسمة

المعبد المقام في معبد الإلهة «موت»

٥٤١ نسمة

معبد «خنسو» (هـ/١٠-١٣، ١٤)

٤٩ نسمة

معبد «الأقصر» الصغير

ومما لا جدال فيه هنا أن ما أوردناه عن قرن المعابد فيما يتعلق بعدد أتباع كل منها يتفق مع حجم كل معبد على حسب ما جاء في «ورقة هاريس». ولا بد لنا هنا من تفسير عدد أتباع معبد مدينة «هابو» الذي يفوق حد المؤلف؛ إذ إن عدد خدامه يبلغ حوالي ثلاثة أرباع مجموع ما أهدى للمعابد كلها. هذا ولا نعلم مقدار ما حُبس على معبد الدولة الكبير، أي معبد «آمون» «بالكرنك» ليكون في مقدورنا قرنه بخدام «المعبد الجنائزي» الذي أقامه «رعمسيس الثالث» الذي نحن بصددده. وقد أوضحنا أن معبد الدولة لم يكن من الممكن تموينه من مدينة «هابو». ومن جهة أخرى لا يستطيع الإنسان أن يتصور أن المعابد الجنائزية التي نعلم بوجودها في عهد «رعمسيس الثالث» كان لكل منها عدد من الخدم كما كان لمعبد مدينة «هابو».

وأحسن تفسير لذلك هو أن تموين المعابد الجنائزية للملوك السابقين كان يؤخذ من مدينة «هابو»، وأن أملاك هذا المعبد قد ضمت إليها خدام المعابد الجنائزية الأخرى. ولكن كيف يمكن توافق ذلك مع فكرة الهبة الملكية؟ والعلاقة الصحيحة لذلك يمكن توضيحها بأن ملكية كل معبد جنائزي كانت تتول بعد موت الفرعون الذي أقامه إلى التاج الذي كان بدوره يتولى القيام بالعبادة والمحافظة على إقامة الشعائر فيه. وهذا له اتصال بما جرت عليه العادة من أن ممتلكات هذه المباني الخاصة بالإله «آمون» كانت بمقتضى الوقف تصبح معبدًا جنائزيًا جديدًا للفرعون الحاكم، وفي معظم الأحيان كان يُراد فيها.

هذا ولا يفوتنا هنا أن نذكر المقدار العظيم الذي فقده «آمون» من الأملاك في الجهة الغربية من «طيبة» في وقت الاضطرابات والقلق التي حدثت بين عهدي الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين، وقد جاء ذلك بسبب التراخي في موضوع الملكية كما يحدث مثل ذلك عند كل انقلاب. وعلى ذلك فإن إعادة ٦٢٦٢٦ رجلاً إلى ممتلكات «طيبة» الغربية كان عملاً خاصًا.

وكان معبد مدينة «هابو» كذلك يورد للمعابد التي أقامها «رعمسيس

الثالث» الواقعة على الشاطئ الشرقي. ولا أدل على ذلك من قوائم القربان الخاصة بمعبد «الكرنك» الصغير، فكانت تأخذ حبوبها من معبد مدينة «هابو». وقد جاء صراحة في مرسوم أوقاف دُون في السنة السادسة عشرة من «حكم رمسيس الثالث»^(١٩٠) أن توريد الغلال كان في شونة معبد مدينة «هابو». والدليل على أن هذا التوريد لم يكن من جهة واحدة ما نشاهده في متن تقويم أعياد مدينة «هابو» حيث نجد أن حدائق المعبد الصغير^(١٩٢) كان فيها خضر لتورّد قربانًا يوميًا إلى مدينة «هابو». وعلى هذا النسق كان معبد «الكرنك الجنوبي» المقام في معبد «موت» وهو الذي أقامه «رمسيس الثالث» إذ كان يمد المعبد الجنائزي بالقرب من قطعانه، وحدائقه، وألبانه، وأوزه، ونبيده، وخضره، ١٩٣ في حين أنه كان يأخذ ما يلزمه من الغلال من شون ضياع غربي «طيبة».

ونجد مذكورًا بجانب المعابد الفردية في القسم الطبي من «ورقة هاريس» خمسة قطعان (١٠/هـ - ٧، ١١) يحمل كل منها العلم الخاص به، وهذه القطعان تمثل ملكية معينة ثابتة أهداها «رمسيس الثالث». ويلاحظ أن اسم واحد منها يدل على حادثة تاريخية معينة وقعت في عهده وهو: قطع «وسرماعت رع مري آمون» الذي ضرب قوم «مشوش»، وهذه القطعان كانت ترعى كما هي الحال في أغلب الأحيان كما يقول المتن في مستتقات الوجه البحري.

وأخيرًا يذكر لنا القسم الطبي من الورقة كذلك ٧٨٧٢ نسمة تابعين لبيت «رمسيس الثالث» العظيم الانتصارات (١٠/هـ - ١٢) وهذا المكان هو العاصمة على ما اعتقد، وقد أسهب «ورقة هاريس» في وصفه (٨/هـ - ١٢).

ويقول «شادل» بعد بحث قصير: إن هذا المكان المذكور في «القسم الطبي» من «ورقة هاريس» في الوجه البحري وفيه ضيعة «لآمون». ثم يقول: «إنه لا يزعجنا أن نجد في الدلتا أماكن عدة تُسمى بمدينة «رمسيس» وبخاصة إذا فكر الإنسان في عدد المدن التي سُميت بالإسكندرية في الشرق الأوسط تخليدًا لذكرى الإسكندر

الأكبر.»

وفي النهاية نجد بجانب أسرى الحرب الذين وُزِعوا على ضياع المعابد (هـ/١٠-١٥) والمعقل الحربية أن نصيب معبد مدينة «هابو» كان ٥١٦٤ رجلاً يقومون بخدمة التماثيل الخاصة بإقامة العشائر للآلهة العديدين (هـ/١١-٣).

ومن كل ذلك يتألف أماننا العدد الهائل وهو ٨٦٤٨٦ نسمة حُبسوا على خدمة ضياع المعابد، وكلهم ممن وهبهم الفرعون «رعمسيس الثالث» لآمون. وليس من الضروري هنا أن نشير إلى أن هؤلاء الخدم لم يسكنوا كلهم في «طيبة» بل كانوا موزعين على كل جهات أرض الكنانة - كما يقول المتن - في الوجه القبلي والوجه البحري. أما في المعابد الأخرى فإن عدد رعاياها كان يتضاءل جدًّا أمام عدد رعايا معابد «آمون». وهاك عدد خدام معابد «هليوبوليس» و«منف» والمعابد الصغيرة:

١٢٣٦٤	هليوبولس
٣٠٧٩	منف
*٥٦٨٦	المعابد الصغيرة

* الأعداد هنا هي الصحيحة بعد تصحيح أخطاء الكاتب المصري.

وكذلك نجد توزيع الأراضي المنزرعة على حسب ما يخص كل قسم من المعابد كما يأتي:

٢٣٩٢ كيلومترًا مربعًا	طيبة
٤٤١ كيلومترًا مربعًا	هليوبوليس
٢٨ كيلومترًا مربعًا	منف
٩٩ كيلومترًا مربعًا	المعابد الصغيرة

وعلى ذلك يكون لدينا الأعداد التالية: زاد «رعمسيس الثالث» في أملاك المعابد في مملكته ١٠٧٦١٥ رجلاً و ٢٩٦١ كيلومتراً من الأرض. وقد وضعت هذين الرقمين متجاورين؛ لأنه من المحتم قيام علاقة بينهما، فمن بين أولئك الرعايا الذين ذكرناهم كان العدد الأكبر تابعاً للأرض لزراعة حقول الإله، وقد كان بطبيعة الحال ضمن أتباع المعبد مستخدمون وعمال ولكن كان معظمهم في الواقع من الفلاحين الدائمين (التملية). وإذا فرضنا أن ١٠٪ من رعايا المعابد ليسوا فلاحين، فإنه يكون عندنا ١٠٠٠٠٠ رجل لفلاحة ما يقرب من ٣٠٠٠ كيلومتراً من الأرض؛ أي إن نصيب كل رجل ٣٠٠٠ مترًا، وهذا ما يعادل ملكية تُقدَّر بحوالي سبعة أفدنة لكل فرد. وهذا يمثل بالنسبة لعصرنا الحالي في مصر ملكية محترمة لبيت من الطبقة الوسطى. وإذا علمنا أنه على حسب تعداد مديرية المنوفية عام ١٩٢٧ كان يوجد من بين ٢٧٣٩٤٩ نسمة ٢٠٥٩٣١ فلاحًا يملك الواحد منهم أقل من نصف فدان، فإن ذلك يضع أماننا صورة واضحة بأن ثروة معابد مصر في عهد الرعامسة كانت مقسمة ملكيات كبيرة موزعة بين مالكي الطبقة الوسطى على ما يظهر، وهي الملكيات التي كان يأكل منها رعايا المعبد، ويؤدون منها الجزية السنوية لمخازن معابد الآلهة.

وإذا سلمنا بأن مستوى حياة الرعايا لم يكن أعلى من مستوى^(١٩٤) الفلاح في عصرنا فإنه كان يورد من محصول أرض المعابد. هذا إذا فرضنا أن كل رجل يمكنه أن يعيش على محصول فدان من الأرض.

وقد ألقى «إرمان» السؤال التالي: ما الذي تفعله المعابد بدخلها الهائل من محصول الحقول؟ وقد حسب «لأمون» «طيبة» فقط محصول سنوي قُدِّر بأربعة ملايين هكتولتر من الغلال. ولا بد أن يبقى الجواب النهائي على ذلك السؤال مجهولاً لقلة المصادر. ومع ذلك فقد فكر «إرمان» في أن هذا الربح كان يُستعمل في تمويل مباني «رعمسيس الثالث» الجديدة، وعلى ذلك كانت هذه المحاصيل تُقدَّم هدية

للفرعون، وبذلك كان دخل المعابد يُوفّر. ولكن ينبغي أن نفرض هنا بحق أن ما كان يُجنى من المحاصيل الضخمة كان - قبل كل شيء - يستعمله كهنة «آمون» للوصول إلى سياسية اقتصادية كان الغرض منها في نهاية الأمر جعل كاهن الإله «آمون» الأكبر يزداد قوة على مر الأيام ليصبح في آخر الأمر قوة سياسية كبيرة في البلاد.

وتعدد لنا بعد ذلك القوائم حدائق وقرى وسفنًا ومعامل، وفي كل هذا يعوزنا الرأي الصحيح لتحديد قيمتها بالضبط. ويجب أن نلفت النظر بوجه خاص إلى ما يأتي: يوجد في القسم الخاص «بطيبة» فقط ممتلكات في الأقاليم الأجنبية هدية من الفرعون كما جاء في (هاريس/ ١١-١١) حيث تقول:

أماكن سورية ونوبية تسعة.

ومن هذه الحقيقة نعلم السبب في نقص مقدار الذهب المخصص لهدايا الملك السنوية «لطيبة» بكثير عما كان يُقدّم لضياح المعابد الأخرى. وهاك قائمة بذلك:

طيبة	١٨٣ ٥ من الذهب
هليوبوليس	١٤٧٩ ٣ من الذهب
منف	٢٥٦ ٥ من الذهب
المعابد الصغيرة	١٧١٩ ٨ من الذهب

ومن ذلك نفهم أن الفرعون بإهدائه هذه الأماكن الأجنبية التسعة لضياح معبد «طيبة» قد ضمن لها دخلاً ثابتاً من المعدن الثمين، ويثبت ذلك ما نشاهده في رسوم مقبرة «بوم رع»؛ حيث نجد صورة تمثل توريد هذا المعدن الثمين من البلاد الأجنبية إلى بيت مال «آمون» (راجع مصر القديمة ج ٤)، وكذلك نجد أن معبد «سيقي الأول» في «العرابة» كان له مناجم ذهب خاصة، وكذلك السفن التي تحمل إليه هذا

المعدن الثمين من بلاد النوبة، كما فصلنا ذلك عند الكلام على لوحة «نوري» (راجع مصر القديمة ج٦).

وأخيراً لا بد أن نشير هنا إلى موضوع غريب في بابيه جاء في القسم الخاص «بهيوبوليس» وهو أننا نجد أن مجموع ملكية المعابد فيها يشمل سفناً أقل من مصانع السفن، فقد كانت تملك خمسة مصانع وثلاث سفن (٣٢/هـ - ٤، ٥) ولا بد أن هذا المجموع لا يدل على المجموع الكلي لما تنتجه هذه المصانع كما هو المعقول.

وإذا أجرينا موازنة بين مجموع سكان مصر وحالة أملاكها في ذلك العصر أمكننا أن نصل من الأرقام الناتجة إلى العلاقة الصحيحة بين أملاك المعابد وأملاك الدولة وحالة البلاد بوجه عام.

والواقع أن حالة مصر منذ بداية القرن السالف تشعر تماماً بازدياد محس في عدد سكان مصر؛ فقد ذكر لنا «أين بول» في كتابه عن مصر^(١٩٥) أن البلاد المصرية حوالي عام ١٨٣٠م كان سكانها مليونين ونصف مليون، ولكن على حسب التعدادات التي أجريت فيما بعد نجد الأرقام التالية:

سنة	نسمة
١٨٨٢	٦٨٠٠٠٠٠
١٨٩٧	٩٧٠٠٠٠٠
١٩٢٧	١٤٢٠٠٠٠٠ (راجع التقويم المصري سنة ١٩٣٥ ص ٥٩)
١٩٣٧	١٥٩٠٤٥٠٠ (راجع J. Hall, Contribution to the Geography of Egypt p. ٢)

وإنه لمن الصعب جداً أن نصل إلى تقدير الأرقام المقابلة لذلك في عهد الرعامسة، ولكن يظهر أنه في عهد البطالمة كان عدد السكان حوالي سبعة ملايين نسمة (راجع Wilcken: Griechische Ostraka I, p. ٤٨٩ etc) ويعتقد بعض المؤرخين - وهو ما تشعر به شواهد الأحوال - أن مصر في عهد الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين كانت أكثر سكاناً^(١٩٦) مما كانت عليه في عهد البطالمة، ولذا

يظن أن عدد السكان وقتئذ كان يتراوح بين ثمانية أو تسعة ملايين.

ويلاحظ أن عدد الأنفس التي ذكرناها فيما سبق الخاصة بالمعابد وهو ١٠٧٦١٥ هم الرجال الذين أهداهم «رعمسيس الثالث» للمعابد، وهم من الأفراد الذين في مقدورهم القيام بالأعمال في أملاك الآلهة المختلفين، ومن ذلك نفهم أنه قد أغفل في ورقة «هاريس» ذكر عدد الأسرات التابعة لهؤلاء الرجال العاملين، فلم تذكر لنا إلا عدد الموظفين والعمال، والفلاحين الدائمين في زراعة الأرض، وينبغي علينا إذن لتكون الموازنة صحيحة أن نقدر عدد أفراد الأسرات مما نستنبطه من الإحصاءات الحديثة، فمن تعداد الأنفس الذي أُجري في ٣ مايو سنة ١٨٨٢ نجد أن النسبة في ألف هي ٥٠٧٦٨ من النساء، أي بنسبة النصف تقريباً، وعلى ذلك يكون عدد الأنفس في ضياع المعابد في عهد «رعمسيس الثالث» هو ٢١٥٢٣٠ نفساً على حسب ما جاء في ورقة «هاريس»، وإذا فرضنا أن أقل أسرة كانت تتألف من شخصين أو ثلاثة فإن مجموع العدد الكلي في ضياع المعابد يكون حوالي ٥٠٠٠٠٠ نسمة، وهؤلاء هم الذين رصدتهم «رعمسيس الثالث» لخدمة الآلهة؛ أي بنسبة ٦٪ من مجموع عدد السكان.

والواقع أن هذا التقدير تقريبي ولا يعطي فكرة صادقة، وبخاصة إذا علمنا أن الأوقاف العظيمة التي كان يملكها معبد الدولة الكبير «آمون» تعوزنا معرفتها ولم تُذكر في هذه الورقة، هذا فضلاً عن ضياع معابد «إلفنتين» و«إدفو» و«الكاب» و«إسنا» الخ، وحتى في الحالات الأخرى لم يُذكر منها سوى الأوقاف الجديدة التي أهداها «رعمسيس الثالث». ولا نكون بعيدين إذن عن الصواب إذا قدرنا أملاك المعابد كلها بثلاثة أضعاف الهبات والهدايا التي قدمها «رعمسيس الثالث» للآلهة، هذا بغض النظر عن الأملاك التي فقدتها المعابد في عهد الانحلال الذي جاء في أعقاب سقوط الأسرة التاسعة عشرة. والنتيجة العامة التي يمكن أن نستخلصها من كل ذلك هي: أن مصر في أواخر حكم «رعمسيس الثالث» كان عدد سكانها

يتراوح بين ثمانية إلى تسعة ملايين نسمة تقريبًا، وأن حوالي مليون ونصف مليون منهم، أي بنسبة ١٥-٢٠٪ من السكان كانوا تابعين للمعابد.

وكذلك إذا قررنا أملاك المعابد المهداة لها بالأراضي الزراعية نجد أن النسبة عالية، فإذا قدرت الأرض الزراعية بحوالي ٢٧٦٨٨ كم^(١٩٧) على حسب «التقويم المصري عام ١٩٣٥ م حوالي ٧٦٠٠٠٠٠ من الأفدنة أي ٣٢٠٠٠ كم» فإن «رعمسيس الثالث» يكون قد أهدى للمعابد المصرية ما يقرب من ١٠٪ من الأراضي الزراعية، وإذا أردنا هنا أن نعرف مقدار مجموع أملاك المعابد فلا بد من مضاعفة ما منحه «رعمسيس الثالث» ثلاثة أضعاف، وهذا يعادل ٩٠٠٠ كم من الأراضي وهي التي كانت في أيدي كهنة الآلهة المختلفين، والمظنون أن هذه الأطين كانت لا تدفع ضريبة، غير أن ذلك الرأي فيه بعض الشك كما سنوضح ذلك عند الكلام على محتويات ورقة «فلبور» التي تُنسب إلى عهد «رعمسيس الخامس»، وهذا القدر يعادل ٣٠٪ من الأراضي المصرية المثمرة، وهذه النسبة تظهر لأول وهلة عالية بدرجة تجعلها تكاد تكون خارجة عن الصواب، ولكن لدينا ما يقرب منها في عهدنا الحالي، فقد كانت الأرض الموهوبة لحو الدين المصري نحو ٤٣٠٠ كم «وتشمل أرض الدائرة السنية، وتقدر بنحو ٢٥٠٠ كم. ك. ١٨٠٠ كم»، على حين أن أرض الأوقاف المنوعة كانت نحو ٨٢٠ كم «وذلك يشمل الوقف الأهلي والخيري ووقف الحرمين»، وهذه الأراضي التي كانت تبلغ أكثر من نصف ما تُخصص لضبايع معابد مصر القديمة في عهد «رعمسيس الثالث» كلها مغفاة من الضرائب ظاهراً.

جمع الضرائب

القائمة الثانية: (راجع ه/ ١٢ أ ... الخ، و ٣٢-٧ الخ، و ٥١ ب-٣ الخ). تدل الضرائب التي كانت تُجمع من رعايا المعابد على أنها كانت متنوعة جداً، كما تدل على تنوع الأعمال في هذه الضبايع وطرق تشمير أراضيها، ويتضح ذلك جلياً من القوائم التي وضعناها لإظهار ذلك، ومعظم هذه الضرائب كانت تُورَد إلى بيوت

الأموال وشؤون الغلال الخاصة بالإله «آمون» في «طيبة» (راجع مقبرة «نفرر نبت»
poeter and moss, I, p. ١٥١)، وقد ذكرت لنا الورقة أن الدخل السنوي
«لطيبة» هو ٥٦٩ دبنًا و٦ قدات ونصف، لا ثمانية عشر دبنًا وثلاث قدات كما
يقول «إرمان» و«برستد» و«شادل» معتبرين أن هذا العدد هو مقدار الدخل في
إحدى وثلاثين سنة. وقد عارضهم في ذلك الاستنباط الأستاذ «جاردنر» في مقال له
كما أوضحنا ذلك من قبل. ولكن مع ذلك نجد أن بعض المعابد الأخرى لا يرد إليها
شيء من الذهب قط، وهذا يتوقف على منابع الذهب التي وقفها «رعمسيس
الثالث» على «طيبة» كما تحدثنا عن ذلك من قبل.

وعلى أية حال نجد أنه عندما قسم هؤلاء الباحثون المحصول من كل نوع على
إحدى وثلاثين سنة رأوا أن الدخل ضئيل جدًا لدرجة أنهم قالوا عنه: إنه مستحيل،
وأخذوا يبحثون عن موارد أخرى. وهكذا نجد أن القائمة التي وضعها كل من
«برستد» و«إرمان» لمدة إحدى وثلاثين سنة هي في الواقع لمدة سنة واحدة. وبذلك
تكون النتيجة معقولة، ولا تحتاج إلى البحث عن موارد أخرى لسد العجز في الدخل.

الهبات الملكية السنوية وأوقاف الأعياد^(١٩٨) (القائمة الثالثة)

ليس ثمة شك في أن محتويات هذه القائمة هي هدايا وقربات أعياد ملكية؛
ولذلك فليس من الضروري هنا أن نفصل القول فيها، ويلاحظ فقط أن ما تحتويه من
دفع هو الهبات الوحيدة التي كان يقدمها الفرعون، على حين أن الملكيات التي
تحتويها القائمة لا تُعدُّ بمثابة وقف من الفرعون بل يُعد أنه هو المُنبت لها وحسب،
وقد برهننا فيما سبق على أن ذلك مستحيل. والواقع أن ما ذُكر من دخل في هذه
القائمة الثالثة هو ما منحه الملك سنويًا عن طيب خاطر دون أن يقيد به من سيخلفه
على العرش؛ ففي المتن يُعبَّر عن الهبات (ه/١٣ أ-٣) بأنها «هدايا السيد»، وفي
القائمة الرابعة^(١٩٩) نجد أن الحبوب التي منحها الفرعون للقربان قد جُمعت معًا، أما
القوائم الباقية فقد ذكرت قربات أعياد خاصة فنجد:

في طيبة: للأعياد التي أطل مدتها «رعمسيس الثالث» وللعيد الذي أسسه في السنة الثانية والعشرين من حكمه (راجع ه/ ١٧ (أ) - ١) وهو عيد تتويج الملك (راجع The Oriental Institute Communications, ١٨, ٥٦, ٦٦).

في هليوبوليس: للعيد الذي أسسه الملك في السنة التاسعة وفي عيد قربان النيل^(٢٠٠) (راجع ه/ ٣٤ ب - ١٠ الخ).

وفي طيبة: لعيد قربان النيل من السنة التاسعة والعشرين من حكم هذا الفرعون وما بعدها (راجع ه/ ٥٤ أ - ٢ الخ). والقربات والمنح التي ذُكرت في هذه القوائم كانت تُؤخذ من بيت مال الدولة الذي كان للفرعون حق التصرف فيه. وهكذا نجد من الموازنة بين الهبات الملكية (القائمة الثالثة) والجزية التي كان يدفعها رعايا المعابد (القائمة الثانية) - عدا بعض الشواذ قليلة الأهمية - التشابه في العمل؛ مما يدل على أن سير العمل في كليهما كان على نسق واحد، فكما كان للمعابد ضياعها وهي التي كان يسكن فيها أتباعها ويوردون ما فُرض عليهم من جزية سنوية في مخازن غلالها، فكذلك كانت تفرض الحكومة على الملكيات الحرة ضرائب عينية؛ وبذلك كانت المخازن الحكومية في المبدأ تحتوي ما كانت تحتويه مخازن مؤن ضياع المعابد.

ولدينا مع ذلك ثلاثة أنواع من الواردات كانت تورّد كلية - على حسب قوائم ورقة «هاريس» - من قبل حكومة الملك لأُملاك المعابد وهي الأحجار^(٢٠١) نصف الكريمة وبخاصة اللازورد والملح^(٢٠٢) والأمستست^(٢٠٣). وهذا يدل على احتكار الحكومة لهذه السلع (راجع عن المواد الغفل واحتكار ملوك مصر لها Kees KuLtur P. ١٠٤ geschichte). ويُخيل إلَيَّ أنه كان للملح بين هذه المواد مكانة خاصة؛ إذ نجد وثيقة عن تجارة الملح فيما كتبه «كيس» أيضًا (راجع Ibid P. ١٠٢).

ولم تكن المعابد بطبيعة الحال تقتصر على ما كان يأتي إليها من هدايا الفرعون من هذه السلعة المحتكرة، بل كانت تشتريها من الحكومة من الأماكن المكلفة ببيع

هذه الأصناف،^(٢٠٤) وقد أشرنا فيما سبق إلى أنه في ضياع المعابد الطيبية في القائمة الثالثة كان لا يرد إليها إلا قليل من المعادن بالنسبة لضياع المعابد الأخرى. وهذا لا يتفق مع طريقة التوزيع، وعلى ذلك كان لا بد من موارد أخرى تأتي إليها منها هذه المعادن المرغوب فيها. كذلك نجد أن «طيبة» كانت في المرتبة الأخيرة بالنسبة للملابس التي كانت ترد إليها، كما توضح ذلك القائمة التالية:

قطعة	وقد صحت هذه الأرقام على حسب الواقع
طيبة	٩١١٦ في السنة
هليوبوليس	١٨٧٩٣ في السنة
منف	٧٠٢٦ في السنة
المعابد الصغيرة	٢٩٢٩ في السنة
فيكون المجموع	٣٧٨٦٤

وتدل شواهد الأحوال على أن الفرعون كان قد أجرى هذا التوزيع عن قصد تعويضاً لضياع معابد «هليوبوليس» و«منف» بزيادة هباته السنوية؛ لأن نصيبها في الممتلكات الموقوفة كان ضئيلاً بالنسبة لنصيب «طيبة» إذ الواقع أن «قرايين الإله» الخاصة «بآمون» كانت عظيمة جداً من الملابس التي يوردها أتباعه أكثر من كل المعابد الأخرى (راجع ه/١٢ (أ) سطر ١٣).

وهاك ملخص النقط التي بحثناها هنا في «ورقة هاريس»:

(١) القائمة الأولى تبحث فقط في مباني «رعمسيس الثالث» التي أقامها هو.

(٢) إن المنتجات التي تحتويها القائمة الأولى تمثل الملكيات التي أهداها «رعمسيس الثالث» وهي التي كان واجباً على خلفه أن يرعى حرمتها ولا يمسها.

(٣) إن عدد الرعايا الذين أهدهم «رعمسيس» للمعابد يمثلون ٦٪ من عدد سكان مصر، وأما الأطيان التي وهبها الفرعون فتعادل ١٠٪ من الأراضي الزراعية.

(٤) يبلغ مقدار كل ممتلكات المعابد في عهد «رعمسيس الثالث» حوالي ٢٠٪ من سكان البلاد، وحوالي ٣٠٪ من الأراضي الصالحة للزراعة.

(٥) القائمة الثانية تذكر لنا الضرائب الخاصة التي فرضت بواسطة الملك على أتباع المعابد.

(٦) يلاحظ أن ما جاء في القوائم الباقية من الإنتاج الذي وهبه بيت مال الفرعون لا يكفي بأية حال من الأحوال ما تستهلكه المعابد.

(٤) الآثار التي خلفها لنا «رعمسيس الثالث»

حدثنا «رعمسيس الثالث» في «ورقة هاريس» عن الأعمال الجليلة التي قام بها في عهده، وقد وضعنا ترجمة تامة لهذه الوثيقة الهامة. والآن سنعدد بعض الآثار الباقية التي تركها لنا، والتي لا تزال باقية حتى الآن ولم تُذكر أو تُوصف فيما سبق.

(٤-١) سرابة الخادم

ففي «سرابة الخادم» بشبه جزيرة «سينا» عُثر له على عتب باب، ولوحة باسمه. (٢٠٥) وكذلك وُجدت باسمه قطعة من إناء. (٢٠٦)

(٤-٢) تانيس

وُجد له في «تانيس» (صان الحجر) صورتان راكعتان، إحداهما من الحجر الرملي، والثانية من الجرانيت الرمادي. (٢٠٧)

(٣-٤) القنطرة (فاقوس)

وُجِدَت لوحة باسمه. (٢٠٨)

(٤-٤) تل اليهودية

أقام في هذه الجهة قصرًا، وقد تحدثنا عنه، (٢٠٩) وكذلك وُجد له في هذه الجهة تمثال، (٢١٠) وإناء من المرمَر. (٢١١)

(٤-٥) «هليوبوليس»: العجل «منفيس» (٢١٢)

وقد كان ضمن الكشوف التي عُمِلت في منطقة «هليوبوليس» مقصورة للعجل «منفيس»، (٢١٣) وكان قبر هذا العجل يبلغ حوالي ٢٥×١٩ قدمًا مزينة جدرانها بالمناظر الدينية، ووُجِدَت فيه بقايا العجل مهشمة، وكان قبره قد نُحِب في الأزمان القديمة، ولم يوجد من محتوياته إلا أواني الأحشاء، وبعض جعارين، ونُحَف صغيرة أخرى. وكذلك وُجد في هذا القبر لوحة لكاتب قربان يُدعى «تي». وقد نقلت مصلحة الآثار هذه المقصورة بأكملها إلى «المتحف المصري».

وكذلك جاء في نقوش «السرابيوم» ذكر دفن أحد عجول «أبيس» في السنة السادسة والعشرين من حكم هذا الفرعون. غير أنه ليس لدينا حقائق عن كنه هذا الأثر. (راجع Mariette Srapeum P. ١٤٧).

(٤-٦) أُلَظَاظَة

وعلى مسافة حوالي أربعة كيلومترات من مطار «أُلَظَاظَة» قام أحد المفتشين المصريين بعمل حفائر في هذه الجهة من الصحراء على حساب أحد طلاب الكنوز، والواقع أن هذه الجهة لم يكن في منظرها ما يبشر بوجود آثار قيمة، إذ لم يوجد على سطحها إلا بعض بقايا من قطع الخزف المزخرف، والجرانيت المختلف الألوان. وقد أسفرت نتيجة الحفر عن العثور على مجموعة مؤلفة من تماثيل من حجر

«الكوارتسيت» الأحمر، غير أن الجزء العلوي منها مهشم، وهي تمثل الفرعون «رعمسيس الثالث» وملكة، أو إلهة،^(٢١٤) ولا يمكن تحديد شخصيتها؛ لأن اسمها قد نُحِّي، ولا تدل النقوش الباقية على ما يوضح لنا كنهها. أما اسم الفرعون فهو «رعمسيس الثالث» وقد كتب اسمه على القاعدة، وألقابه مزدوجة. وقد حُفِر على قمة شعره جعران كبير، وهو رمز للإله «خبري» الذي وُحد معه هذا الفرعون كما تدل النقوش التي على التمثال أنه «خبري». والنقوش الهامة التي وجدت على هذا التمثال قد كتبت على القاعدة. وعلى ظهر العرش الذي يجلس عليه الفرعون. وسنذكر هنا أولاً هذه النقوش لغرابتها، ثم نتحدث عن ماهيتها وأهميتها وأصلها بين الوثائق الدينية المصرية في ذلك العصر وغيره من عصور التاريخ المصري، وعن السبب الذي أُقيم من أجله هذا التمثال في هذه الجهة.

الصيغة الأولى: (على الجهة اليسرى من العرش)

(٢)... «إغيت» الخارجة من «هليوبوليس» وابنة «نمسيث» (٣) وإني لن أحذف «سبرتوناس-سبرناستو» (اسم أحد زوجات «حور») انطقي بتعويذة لحفظ «حور» الشاب هذا حتى يذهب معافي نحو أمه بدم «تابيثت» = ملكة الشمال. وهي إحدى زوجات «حور» (عندما افتزعها «حور» ليلة ما). اطبعي على فم كل زاحفة يا «تابيثت» «تَهنهو» و«منيت» يا زوج «حور».

الصيغة الثانية

لقد ولدت «حور» على مياه «وعرت» (إقليم في السماء) أنثيان، وإني أحضر بشنينة طولها سبعة أذرع، وبرعومة طولها ثمانية أذرع لأبرد السم الناقع الخارج من جسم الإله الذي في جسم من لدغ. إن «حور» قد شُفي وأصبح كما كان بالأمس.

الصيغة الثالثة (على الجهة اليمنى من العرش)

صيغة للتعزيز على الثعبان ذي القرون: خرج «تخوت» من «هرموبوليس» وجمع الآلهة، وعندئذ غسلت فمي، ثم بلعت النطرون لأكون طاهرًا، واختلطت بتناسوع الآلهة وورقدت في حضن «حور» ليلاً، وسمعت كل ما قاله وهو يقبض بشدة في يده على ثعبان ذي قرون طوله ذراع، وبذلك علمت الكلام المعتاد منذ الأبد، أي منذ الوقت الذي كان لا يزال فيه «أوزير» عائشًا وها أنا ذا قد قضيت على ثعبان ذي قرون طوله ذراع بوصفي «حور» العالم بالقول (أي بالتعاونيد).

الصيغة الرابعة (على الجهة اليمنى)

تعويذة أخرى: تعالوا تعالوا يا أيها التناسوع. تعالوا على (سماع) صوتي، اقضوا على هذا المسيء عدو «حور» الذي يجبر الجندي على أن يقعد منحلاً، ويجعل عينيه مبللتين بالدمع، وقلبه خائراً، تعالى إليّ يا «إعشيخري» يا زوج «حور». إني الطيب الذي يريح الإله.

الصيغة الخامسة (على الواجهة الخلفية من التمثال من سطر ٦-١)

هذه الصيغة ممزقة، ولم يبقَ منها إلا بعض كلمات أهمها ما يأتي: ... (٤) مر مر يا «حور» مر مر مثل ... على الرغم من (القبح) الذي في جسم من قد لدغ ... (إن «حور» قد رُئي) معافى بوساطة أمه «إزيس».

الصيغة السادسة (الواجهة الخلفية من سطر ٦-١٢)

صيغة لحفظ الجسم من ثعبان لادغ: ... إن حماية السماء هي حمايته، وحماية الأرض هي حماية ... (٨) الفخذ إنه طارد الوارث، ومجدد الأحفال الخاصة بي ... ؟ الإلهة (قد يجوز أن يشير هنا إلى «ست» عندما طارد «حور» لإقصائه عن عرش والده «أوزير» وأنه لم ينبج بعد أطفالاً من البلاد؛ وذلك لأن أرواح

«هليوبوليس» لم تتوالد بعد، وإنه يجري بسرعة (٩) (١٠) وقدماه كانتا قدمي «وبوات» (فاتح الطريق)، وإنه يدخل مثله، ويخرج مثله. وإنه «حور» ملك الوجه البحري،^(٢١٥) وإن حمايته هي حماية السماء، وإن حمايته هي حماية الأرض من كل أفعوان، ومن كل أفعوانة، ومن كل زاحف ذكر. ومن كل زاحفة أنثى، ومن كل ميت، ومن كل ميتة في الجنوب وفي الشمال، وفي الشرق، وفي الغرب.

الصيغة السابعة (الجهة الأمامية من ١٢-١٧)

(١٢) صيغة أخرى لحتم فم كل ثعبان ذكر، وكل ثعبان أنثى (١٣) ملك الوجه البحري وملك الوجه القبلي: «وسرماعت رع مري آمون» السبع الممزق ومن قوته مدهشة، إنه الإله «شزمو» و«ماتي» (إلهة في صورة لبؤة تُعبد في جهة دير الجبراوي) وإنه نثر وإن وجهه يقع على وجهه. أنت يا من يأوي في حجره، لا تلدغ ابن «رع» «رعمسيس» حاكم «هليوبوليس»، إنه «رع» لا تلدغه إنه «خبري» لا تحضر إن فمك ضده! إنه الإله «حح» وإنه أبدي، والعظيم الذي كل صورة من صورهِ صورة إله، وإنه الأسد الذي يحمي نفسه. وإنه الإله ونظيره. وإن من يلدغه لن يعيش، وإن من يغضب فرأسه لن يُرفع؛ لأنه الأسد الذي جعل الآلهة والأرواح تفر منه، وإنه قد أهلك كل ثعبان ذكر، وكل ثعبان أنثى بَعْضَهُ من فمه. وبلدغة من ذيله في هذا اليوم، وفي هذا الشهر، وفي هذه السنة، وفي مدة حياته.

الصيغة الثامنة (الواجهة الخلفية من ١٨-٢٦)

هذه الصيغة تقابل الفصل الرئيسي من كتاب إقصاء الثعبان «أبو فيس» العدو الأكبر للإله^(٢١٦) رع.

الترجمة: صيغة أخرى

فلتسحقن يا «أبو فيس» يا عدو «رع» (تُكرر أربع مرات) نعم: ابتعد، وابقَ بعيداً

عمن في الخراب، ولتُخذل يا أيها النائر! خِرَّ على وجهك، وليعم وجهك! (١٩) وإذا هربت من مكانك فإن طرقت سُتَسَد، وسيلك سَتُغلق، وستبقى في مكانك بالأمس بدون قوة، والقلب حزين، والجسم هامد، وإنك تُجرح دون أن يكون في مقدورك أن تفلت، وستُقدَّم إلى المقصلة للجزارين ذوي المِدى الحادة، وإنهم يقطعون رقبتك ويفصلون رأسك، ويغلظون في معاملتك أيضاً، ويلقون بك في النار، ويسلمونك للهيبة وفي لحظة تأخذك وتأكل جسمك، وتلتهم عظامك وتهلكك، والإله «خنوم» قد انتزع صغارك منذ أبادت النار جسمك، ولم يصر لك بعد وارث على هذه الأرض، يا «أبو فيس» يا عدو «رع». إن «حور» الأكبر قد هزمك، وإنك لن تلد بعد، ولن يُولد لك، ولن تُعقب، ولن يعقب لك أحد، وذكراك قد محقتها النار، ولُعنَت روحك، ولن تنتزه على الأرض، ولن تجول في علا «شو» (الفضاء)، ولن تُرى بعد، ولن تبصر بعد، وإنك قد هلكت، ولم يعد لك ظل بعد يا «أبو فيس» يا عدو «رع» (اسجد) على وجهك يا أيها العاصي. إنك لم تُخلد ذكراك، ومن قد طعنك قد بصق على اسمك، وإن «رع» قد صب اللعنات عليك، وإن «إزيس» قد كبَلتكَ، و«نفتيس» قد غَلَّتكَ، وتعاوِذ «تحت» قد أهَلَّتكَ، وروحك لا يوجد بعد بين الأرواح، وجسمك لم يعد بعد بين الأجسام، وإن النار قد أكلتكَ، واللهيب قد التهمك، والحريق قد فعل مشيئته فيك يا «أبو فيس»، يا عدو «رع»، وإن «رع» جذل، و«آتوم» في سرور، و«حور» الأكبر راضٍ لأن المارد قد هلك ولم يعد له وجود قط، وليس له ظل في السماء ولا على الأرض، يا «أبو فيس» عدو «رع»، لتسقط مغشياً عليك، ولتهلك يا «أبو فيس».

الصيغة التاسعة (الجهة الخلفية من ٢٦-٢٨)

(٢٦) صيغة للتعزيم على الثعبان ذي القرون: يُغَشَّ عليك يا صاحب الوجه الأسود الأعْمى، وصاحب العين البيضاء الذي يتقدم ملتوياً.

أنت يا هذا النفس الخارج من بين فخذي «إزيس»، ومن لدغ ابني «حور»، تعال على الأرض واسمك معك.

ليت ابني «حور» يذهب نحو والدته.

الصيغة العاشرة (الجهة الخلفية سطر ٢٨)

(٢٨) صيغة أخرى: لا تدخل بالكتفين، لا تنهشَن في الرقبة، ولا

تستحوذَن على العينين! محط الحراسة لملك الوجه البحري والوجه القبلي «وسرماعت رع مري آمون» (الجملة الأخيرة تشير إلى الخط الذي أُقيم فيه هذا التمثال).

ولا شك في أن هذا الخط كان متعبداً أُقيم على الطريق الموصل بين «منف» و«هليوبوليس» من جهة، وبين «هليوبوليس» و«قناة السويس» من جهة أخرى، ومن ثم إلى بلاد «آسيا». وهذا المعبد الذي أقامه «رعمسيس الثالث» هو من صنف هذه المعابد التي أُقيمت على هذه الطريق على ما يظهر منذ الأزمان القديمة، وقد تحدثنا عن واحد منها وُجد أنه تمثل الملك «مرنبتاح». ولا نزاع في أن هذه المعابد الصغيرة كانت لازمة لرواد صحراء «السويس» التي كانت ذات شهرة سيئة؛ لما تحويه من ثعابين وحيات مؤذية ترحف في رمالها. وتدل شواهد الأحوال على أن هذا التمثال قد أُقيم في هذه الجهة لاتقاء شر هذه الزواحف بما نُقش من صيغ سحرية قبل كل شيء، مبטلة لسمومها، وقاضية عليها.

ويُلاحظ أن النقوش التي على هذا التمثال لم تحتوِ عقود ثناء ومدح للفرعون كما جرت العادة، بل نجدها قاصرة على التعاويذ التي كُتبت من أجلها. ويمكن قرن هذا التمثال باللوحة التي نقشها «رعمسيس الثاني» في السنة الثامنة من حكمه، وهي التي عُثر عليها في تلك الجهة، وقد جاءت خلوا من كل عقود المدح، وحدثنا عن الأغراض التي من أجلها نصبها الفرعون في هذا المكان (راجع مصر القديمة ج٦).

والواقع أن التماثيل الشافية. كما ينعتها رجال الآثار ٢١٧ التي من هذا الصنف قد ظهرت في عهد متأخر عن التمثال الذي نحن بصده الآن. هذا فضلاً عن أن هذه التماثيل كان المهدي لها أفراد من عامة الشعب لا ملك، ونقوشها تكسو كل أجزاء

التمثال، ومعظمها يُورَّخ ببداية العصر الإغريقي. ولما كانت هذه التماثيل تكثر في المعابد فإنها كانت تُوضع على قاعدة محفورة في حوض الغرض منه تجمع الماء الذي كان يُصب فوقها، وكان يُشرب من هذا الماء الذي جرى فوق الحروف التي تُولف التعاويذ السحرية لشفاء كل من لدغه ثعبان، أو نُهشته حشرة مؤذية. وبما في هذا الماء من قوة سحرية مكتسبة كان يُشفَى الملدوغ. ولدينا حتى الآن مثل هذه المعتقدات في كل أنحاء القطر، فكثيراً ما نشاهد المشعوذين يكتبون بعض آيات الذكر الحكيم، أو بعض تعاويذ خاصة، ويعطونها المرضى لِيُشفوا بها من عللهم، ولكن إذا فحصنا الأحوال التي تحيط بتمثال الملك «رعمسيس الثالث» وجدناه لا يستخدم بالطريقة السالفة؛ وذلك لأن حجم هذا التمثال، وتوزيع متنه الذي كُتب معظمه على ظهره، وعلى جانبي العرش لا يجعل صب الماء على كتابته أمراً عملياً، اللهم إلا إذا كانت له قاعدة قد اختفت، وهذا ما لا تبرره كيفية الكشف عنه. وفضلاً عن ذلك فإن متن هذا التمثال لم يُذكر فيه جملة «هذا الرجل المعذب باللدغ» وهي جملة خاصة بالصيغة الشافية. هذا بالإضافة إلى عدم وجود عبارة «هذا الرجل الذي يشرب هذا الماء» كما جاء على تمثال «متحف اللوفر» على أن ذلك لا يمنع وجود علاقة بين هذه التماثيل وتمثال «رعمسيس الثالث» إذ الواقع أن الكتابة التي عليه لم تكن لتُستعمل للشفاء، بل لمنع لدغة تلك الحشرات المؤذية، وذلك بقراءة التعاويذ التي نُقشت عليه - كما جاء في الصيغ الأولى، والثالثة، والتاسعة. ثم بالطبع على أفواهاها - كما جاء في الصيغة السابعة. ويجعلها غير قادرة على الحركة - كما جاء في الصيغة الثامنة. وبضربها - كما تدل على ذلك التعويذة الرابعة. ويحفظ جسم الشخص المهاجم - كما في التعويذة السادسة.

ومن ثم نعلم أن الغرض من التعاويذ التي جاءت على هذا التمثال هو أن تكون واقية. وهذا يدل على أن مجموعة تماثيل «رعمسيس الثالث» وقرايينه كان الغرض منها أن تقدم نوعاً من الوقاية للمسافرين من عامة الشعب، وعلى وجه أخص للجيش الذي كان لزماً عليه وقتئذ أن يقطع هذه الصحراء في سفره لمحاربة أعداء مصر، كما فصلنا القول في ذلك، وبخاصة إذا علمنا أن «رعمسيس» كان يسير على رأس هذا الجيش

بنفسه.

وقد أُشير إلى الجندي بنوع خاص في هذا المتن، فقد جاء فيه: تعالوا أيها الناسوع عند سماع صوتي، واقضوا على هذا المسيء عدو «حور» الذي يجبر الجندي على أن يقعد منحلاً، ويجعل عينيه مبللتين بالدمع، وقلبه خائراً.

ومن ثم نعلم أن «رعمسيس الثالث» كان غرضه الأول هو حماية جنده الذين كانوا يدافعون عن أرض الوطن من حشرات هذه الصحراء المخيفة التي تجعل الجندي يتقاعد عن السير، وتنحل قواه، وتخور عزيمته حتى يذرف الدمع خوفاً من التأخر عن متابعة السير، وعدم اللحاق بإخوانه لمنازلة العدو الأكبر الذي جاء لغزو بلاده.

على أن وضع هذا التمثال الواقعي في هذا الخط لم يكن ليقراه المسافرون، أو جنود الجيش؛ إذ كان السواد الأعظم منهم أمياً، بل تدل شواهد الأحوال على أن المفعول السحري لهذا التمثال كان يمكن الحصول عليه باللمس، فإذا ما لمس مسافر حُفظ من خطر زواحف الصحراء. ولا غرابة في ذلك فإن مثل هذه الطريقة لا تزال باقية بين ظهرانينا حتى الآن، فكم من أفراد يذهبون إلى أضرحة أولياء الله ويلمسونها تبركاً وتحزراً من الأمراض - وهكذا يفعل الحجاج عندما يستلمون «الحجر الأسود» «بمكة» المكرمة في الكعبة.

وما تجدر ملاحظته هنا أنه من بين مئات التماثيل الملكية التي عُثر عليها قبل هذا التمثال لا يوجد واحد منها يقدم لنا خاصية الوقاية من الشر التي يقدمها تمثال «رعمسيس الثالث»؛ ولذلك فإننا لا نكون مبالغين إذا قررنا هنا أن هذا التمثال يُعد كشفاً جديداً في تاريخ الأسرة العشرين حتى الآن من حيث إنه في تصميم نقوشه يحقق بكل الطرق حماية الشعب المصري التي كانت تُعتبر من أهم واجبات الفرعون الذي يحكم البلاد بوصفه ابن الإله.

وعلى أية حال فإن العناصر الثلاثة التي يتألف منها هذا التمثال، وهي: المتن،

وصورة الملك، والجعران الممثل للإله «خبري» تؤكد لنا قيمتها في تحقيق هذا الغرض الخارق لحد المؤلف. فالتون تحدد لنا قيمتها الخاصة، فتوحد لنا الملك بالإله «خبري» الذي يُعد مظهرًا من مظاهر الإله «رع» رب «هليوبوليس». وصورة الملك تبعث الحياة في هذه التون، فتسبغ عليها القوة الحقيقية الحية الخاصة بابن الآلهة. أما جعل «خبري» فإنه يضفي عليها الجلال السامي لأنها خارجة من فم الإله نفسه، وهي التي توحد بالملك. وبهذا التنسيق نجد أن شخصية الملك هي التي أضفت على التمثال قوة فعالة. أي إنه يُعد بمثابة كتاب سحر له قوته الدائمة النافذة المفعول، وفي الوقت نفسه له الهيبة.

ولكن نجد الحال مع التماثيل الشافية التي من العهد الإغريقي تخالف ذلك؛ إذ نجد أن القوة الإلهية تتمثل في «عمود Cippe» «حور» الذي يحمله أمامه، والتعاويد التي تكسوه لدرجة أن حوضًا واحدًا «حور» بمفرده له نفس قوة الإتيان بالمعجزات. والواقع أن صورة «حور» المنتصب في وسط الحوض هي التي تجلب مباشرة التأثير الإلهي الفعال كما تفعل التعويذة، وليس لشخصية المهدي أي نصيب في التأليف السحري في مجموعة ما. وإنه لم يُمثل إلا ليحفز أولئك الذين شفوا بالماء المقدس ليعترفوا بالجميل ويقوموا بصلاة شكر له. ومن ثم نفهم أن شخصية صاحب التمثال الشافي ليست إلا عارضة.

والواقع أن أصل استعمال لوحات «حور» التي كان الغرض منها إقامة شعيرة الغسل تُعد أقدم بكثير من موضوع ضمها مع صورة الفرد الذي يقدمها ويهديها باسمه.

وقد دلنا الكشف عن تمثال «رعمسيس الثالث» الواقفي في «ألماطة» على أصل هذه اللوحات، وهو أن تقديم الفرد لها جاء تقليدًا للتماثيل الواقية، أو المنعمة الخاصة بالملك، وهي التي كانت تُنصب في بعض محاط العبادة منذ الأسرة العشرين.

ولا نزاع في أن هذه الحقيقة ليس فيها ما يدعو إلى الدهشة في مدينة نجد في خلالها شعائر عدة، وتماثيل أخرى قد أُقيمت في الأصل للفرعون، ثم انتقل استعمالها إلى الأفراد - والناس على دين ملوكهم، والتقليد يأتي من أعلى إلى أسفل، فيصبح ما كان خاصًا بالملوك مشاعًا عند عامة الشعب. (٢١٨)

(٧-٤) الخصوص

وُجِدَ له في «الخصوص» قطعة حجر عليها اسمه. (٢١٩)

(٨-٤) السورارية

وُجِدَ فيها محراب عليه اسم «رعمسيس الثالث». (٢٢٠)

(٩-٤) طهنة

عُثِرَ له فيها على لوحة مُثل عليها الإلهان «سبك» و«آمون». (٢٢١)

(١٠-٤) العرابية

قاعدة تمثال واقف يمثل «رعمسيس الثالث» قابضًا على محراب صغير يحتوي صورة «أوزير». (٢٢٢) وفي المعبد الصغير وُجِدَت قطعة مُثل عليها «رعمسيس الثالث» يقدم النبيذ للإلهين «أوزير» و«حور». (٢٢٣)

(١١-٤) قفط

وُجِدَت له لوحة من الجرانيت مؤرخة بالسنة التاسعة والعشرين، ويُشاهد عليها واقفًا أمام الآلهة «مين» و«إزيس» و«حور» ابن «إزيس» وهي محفوظة الآن «بالمتحف المصري». (٢٢٤) وكذلك وُجِدَ له في هذه الجهة قطعة أخرى مُثل عليها تروّج عليه «الكا» (روحه)، وهي الآن في «متحف جامعة لندن». (٢٢٥)

(١٢-٤) قوص

عُثِرَ له على لوحة من الجرانيت مثل عليها يقود أسرى، والمتن مؤرخ بالسنة السادسة عشرة من حكمه. (٢٢٦)

(١٣-٤) المدمود

وُجد لهذا الفرعون في معبد «المدمود» لوحتان من الحجر الرملي مؤرختان بالسنة الثانية من حكمه، وُجدتا في مكانهما الأصلي مرتكزتين على السور الشمالي لردهة معبد الإمبراطور «أنتونيوس». (٢٢٧)

(١٤-٤) معبد «أرمنت»

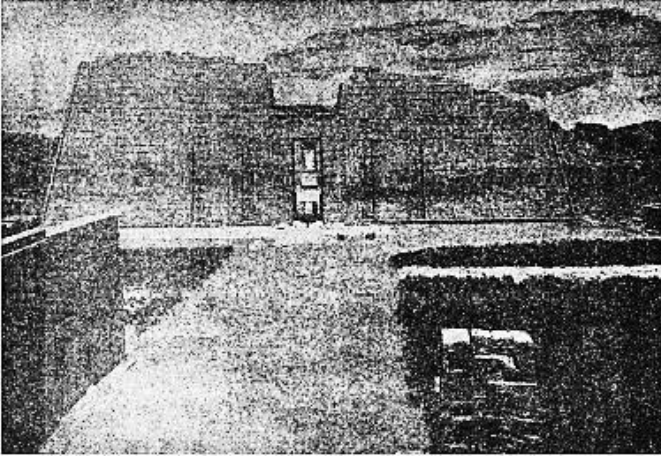
وُجد اسمه على قطعة من مسلة اغتصبها من «تحتس الثالث»، ويُحتمل أنها أُحضرت من بلدة «طود».

(١٥-٤) الكاب

بعض قطع عليها اسم هذا الفرعون. وكذلك كُتب اسمه بالهيراطيقي على باب محراب معبد «أمنحتب الثالث» في هذه الجهة.

(١٦-٤) معبد مدينة «هابو» (٢٢٨)

تحدثنا فيما سبق عن الأعمال الجليلة التي خلفها «رعمسيس الثالث» للتاريخ، وهي التي دوّنها كتابة على «ورقة هاريس» العظيمة، غير أنه لم يكتفِ بتدوين هذه الأعمال العظيمة في بطون الأوراق وحسب، بل قام بنقشها وتصويرها بتفصيل شائق - كما كان ديدن الفراعة - على معبده الجنائزي العظيم الذي أقامه على الضفة اليسرى للنيل، فجاء هذا البناء المنقطع النظير كأنه كتاب مصور لا لأعمال هذا الفرعون العظيمة وحسب، بل كذلك لحياته الداخلية وملاهيه، مما يندر وجوده في مثل هذه المعابد، حتى إن هذه الأعمال الموضحة لحروبه، وانتصاراته، وأعياده، وأحفاله، وطراده، وملاهيه في ساعات فراغه، ولأهنته، وما قدم لهم من قرايين، وما وقف عليهم من ضياع، وما أهداهم من متاع، وما أسيع على كهنتها من أرزاق وفيرة أصبحت مضرب الأمثال.



شكل ٥ : معبد مدينة هابو «رعسيس الثالث».

وهذا المعبد الذي لا تزال مبانيه شامخة الدُّرَّا هو المعروف الآن بمدينة «هابو»، ويضم بين جدرانه قصر الفرعون، ومحرايه، وحصنه، ومعبد الجنائزي. ويحيط بكل هذه المباني سور لا تزال تُرى حتى الآن بقاياه، وقد قاومت هذه المباني نكبات الدهر وغيره، ويرجع الفضل في ذلك إلى عناية بعض المستعمرين من الأقباط الذين أسسوا لأنفسهم فيما مضى مدينة مسيحية في وسط تربة هذه المباني العزيزة على الآلهة الأقدمين، وقد أقام هؤلاء المستعمرون الجدد كنائسهم، ويبيعهم في ردهة هذا المعبد، وقاعة عمدته.

وتدل شواهد الأحوال على أن هؤلاء المسيحيين المستعمرين قد غلَّتْ أيديهم عن تخريب هذا المعبد العظيم وتشويهه بعضُ اعتقادات خرافية؛ فاحترموا النقوش والزخارف التي على الجدران، ولم يجسروا على العبث بما فيها من فن ديني. وهكذا نجد أن روح الدين الجديد - وهو روح قوامه المحافظة - قد حمى لنا هذا المكان، فبقي في حالة جيدة، ولا نزاع في أن هذا الأمر يُعد موضع إعجابنا، كما سيبقى موضع إعجاب الأجيال القادمة ما زالت بقاياه في الوجود.

والمعبد بأكمله يمكن تقسيمه قسمين مميزين: أحدهما قديم، ويرجع تاريخه إلى عهد

الأسرة الثامنة عشرة. وقد تحدثنا عنه فيما سبق (راجع مصر القديمة الجزء الرابع). والآخر هو المعبد الرئيسي الذي أقامه «رعمسيس الثالث» وكان متصلاً بالقصور الملكية. وقد أحاط «رعمسيس» رقعته بجدار من اللبن يبلغ ارتفاعه حوالي ٥٩ قدماً - هذا إلى جدار خارجي محزز يبلغ ارتفاعه حوالي ١٣ قدماً.

يدخل الزائر من الجدار الخارجي إلى المعبد بوساطة بوابة سعتها ثلاث عشرة قدماً يكنفها حجرتان صغيرتان لسكنى الحارس، وخلف هذا الباب يواجه الزائر برجان عظيمان يشرفان على ردهة عظيمة، وهذان البرجان يشبهان الحصن، ويُسميان البوابة العالية. وهذا البناء كان يُعرف فيما مضى بسرادق «رعمسيس الثالث»، ويُعد المدخل لرقعة المعبد بدلاً من البوابة العادية الضخمة، والمداخل الشاخنة المقامة من الحجر التي نشاهدها في المعابد الأخرى. وهذا المبنى يقاطع الجدار العظيم الداخلي المقام من اللبن الذي يضم بين جوانبه كل المعابد داخل مستطيل، وكان متصلاً كذلك بالقصر الملكي الذي سنتحدث عنه فيما بعد. ومن ثم نعلم أن السرادق كان يؤلف جزءاً من القصور الملكية التي أُقيمت على مسافة قريبة منه، وحجرات هذا السرادق كانت أحياناً تستعمل مأوى يأوي إليه الفرعون، وخدوراً لنسائه. والنقوش التي على جدرانه تدل على هذا الغرض. ويمكن حتى الآن تمييز موقع الحجرات الملكية. وقد صور لنا المثال «رعمسيس الثالث» على الجدران مناظر إنسانية رائعة طبيعية لراحته وهو في مكان خلوته مع نسائه، فنشاهد الملك المؤله، والحاكم المستبد ينقلب إلى رجل رقيق الحاشية حلو الشمائل، يستمتع في هدوء وسلام بملاذ الحياة وأطاييبها. وتارة يمثل الفرعون في بيته الخاص في وسط ربات الجمال من نسائه الكواعب؛ فيها هو ذا قد ارتسمت على محياه ابتسامة تدل على الحلم ودمائة الأخلاق، مستلقياً على كرسي بتواضع، يحيط به هالة من رباب الجمال ذوات الحسن الرائع، فنشاهد بعضهن وقد ركعن أمامه مرسلات من أعينهن نظرات وسنى، وأخريات قد عملن على تسليته، وإدخال السرور عليه بالعزف على آلات الطرب. وتدل صورة الفرعون هنا على السعادة التي نشاهدها في ملامح أهل الحضر، عندما يجلسون للتمتع بأطاييب الحياة؛ فيها نحن أولاء نشاهد الفرعون يتأمل سراقده، وبصغي

بشغف إلى الألحان التي يعزفها نساء قصره، وقد استهوته أجسام الغانيات، واجتذبت به اجتذاباً، وأوقعته في حبائلهن، فانقلب هذا الإله إلى زير نساء؛ فينزل من عليائه حتى يصبح جليساً لهن، وصارت حركاته وسكناته لا تدل على الإله الذي يقول: إني أمر، أو أضحى للإلهة. بل يقول الآن: لابد للحب من ثمن، فلا عظمة ولا انكماش، ولا تباعد عن المخلوقات. وها هو ذا السيد المطاع أماننا يلقي بالرسميات والتقاليد جانباً، ويصبح حرّاً طليقاً يتمتع بالحياة كما يشاء وكما يرغب فيها. وها نحن أولاء نشاهده هنا يطلق لنفسه عنان حريتها فرحاً يمد يده ليرت على غادة، أو يداعب إحدى هؤلاء الحسان ذوات العيون النجل. فيا له من منظر مسلٍ قد أفلح مثله فلاحاً عظيماً في تصوير الماضي أماننا، وما أجملها من لوحة فريدة في نوعها؛ إذ الواقع أنها قد فاقت المعتاد من المناظر المصرية في عصر كانت الأمور الحربية والدينية فيه تغطي على كل شيء، وبخاصة لأنها تستعرض أماننا صورة رائعة للحياة الخاصة في قصر من قصور ملوك الأسرة العشرين.

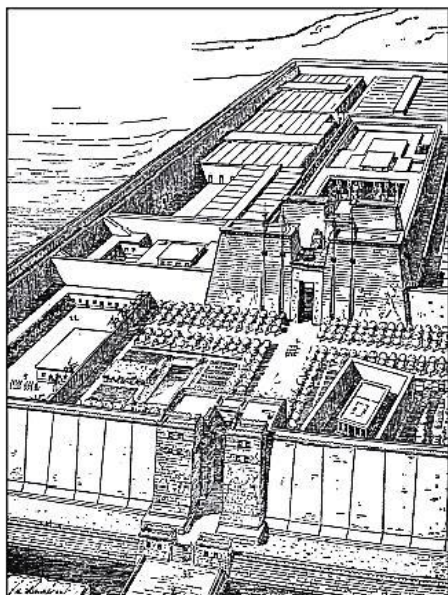
والنقوش التي على واجهة البرج الأيمن يُشاهد فيها الملك يضرب أعداءه في حضرة الإله «رع حوراخي»، وفي أسفل سبعة أمراء في الأغلال يمثلون الأقوام المهزومة، وهم: «حيتا» و«آمور» و«شكاري» و«شردانا» و«شكلس» أو الصقليون و«تورشا» (الأترسكانيون) و«بلست» (الفلسطينيون). وعلى واجهة البرج الشمالي صورة مماثلة «لرعمسيس الثالث» يضرب أهل النوبة وأهالي لوبيا أمام الإله «آمون رع».

وفي الردهة التي بين المجلدين أو البرجين يُشاهد فيها تمثالان للإلهة «سخت» وهي إلهة جالسة بجلال على عرش، وتحمل فوق كتفها رأس لبؤة وتحت ثوبها جسم امرأة، ويعلو رأسها قرص ضخم، وفي ضوء شمس الظهيرة يُشاهد الإنسان هذه الإلهة التي صُوِّرت في صورة لبؤة تمد خطمها المخيف الذي يملأ الجسم خوفاً وهلعاً، ووجهها الوحشي يحدث في النفس لوعة، وعيناها تتقدان شرراً، ويُخيل للإنسان في هذه اللحظة أن شفيتها الطاغيتين تتحفران للنطق، معترفة بحقيقة أمرها، وأصل وجودها في هذه القلعة،

وكأنها تقول: إني «سخمت» وأدعى إلهة الحرب، وأنت ترى حتى الآن أن محاولات الأمراء ورجال القانون والعدالة لم يفلحوا في إنزالني عن عرشي، وإني أحياء، وإني أستمّر، وإني أسيطر، وإن مذبأحي لا تزال قائمة على الرغم من المخالفات والمعاهدات، والمواثيق لقيام السلم، وإني أمثل أحد الأشكال السرمدية للحروب، وإني سلاح الفئة المختارة، ومنذ أن قتل «قابيل» «هابيل» سيقتل الأخ أخاه حتى نهاية الأجيال، وسيظل الإنسان محباً لسفك دم جاره، ولن يكتب التاريخ حوادثه إلا بظبا السيوف، فقد قتل «ست» أخاه «أوزير»، وتحرش الشرب بالخبر، وانقض الظالم على الحق، وسحق القوي الضعيف، وإني امرأة شؤم، فقد جعلت الأمهات والأزواج لا يتحابين، وإني أنا التي تبذر القحط والمذابح والخراب، وإني صديقة الموت، أحصد الكل في طريقي، وأشعل الحرائق فأبيد، وإني أنعم بتسميد الحقول بأكوام جثث القتلى، عند انطلاق صوت بوقي الجهنمي تنهض الأمم وتظهر كأنما تنهض بدافع مقدس في معمة القتال، وتحقق الأعلام في الهواء باسمي الذي يعني القتل والخراب، وبعد انتهاء الحرب يعقد بنو البشر فيما بينهم الإيمان المغلظة على صلح لا تنفصم عراه، ولكن لا يمضي طويل زمن حتى يتباغضوا ويتماقتوا فيما بينهم ثانية، فهم اليوم أحياء، وفي الغد أعداء، وهكذا ديدن الأمم، فعلى هذه الأرض تمد الشهوة الإنسانية أحييلها لتشبع رغباتها، وكذلك نشاهد كلاً من الكره والحب يغضب ويتحرش ويرتكب أفضع التخريب. والسلام السلام المثالي. وأسفاه عليكم يا بني البشر المساكين أين هو؟ إنه حلم، إنكم ستحققونه فقط في أمسية هذه الحياة في العالم العلوي حيث يسكن أهل النعيم!

وبفصل المعبد الكبير الذي أقامه «رعمسيس الثالث» عن البرجين مساحة شاسعة.. وقد أقيم هذا المعبد بنفس التصميم الذي أقيم على مقتضاه معبد «الرمسيوم» وقد أهدى كذلك إلى الإله «آمون». ويجب على الزائر أن يدخله ليرى تلك المجموعة البنائية التي تشمل عمائر مدينة ودينية، وهو في الواقع قد ضم بين دفتيه مدينة حيث كان يأوي إليها رجال الدين والأسرة المالكة والموظفون القائمون بأداء الشعائر الدينية، وحيث كان يرى الجم الغفير من العظماء، ورجال البلاط والخدم ذاهبين آيين.

والواقع أن هذا المبنى الضخم كان مأوى يجمع بين ما هو بشري وما هو إلهي، فقد كان المأوى الأخير الذي يسكن فيه قرين الفرعون - روحه - في النعيم المقيم، كما كان فيه قصره. وقد عبر «مسبرو» بحق عن مدينة «هابو» حين قال: «إنها تعبر بأدق صورة عن الآراء التي يكونها الكهنة الطيبون عن مقر الروح الفرعوني، وعن الطرق التي تضمن بها بقاءها». ويلاحظ أن الفن في هذا المبنى كان يسير في ركاب العقيدة، فكان مهندس العمارة يخضع لمقتضيات المذهب الديني، وكان يصغي للمقترحات الدينية، كما كان يخضع لرغبات الفرعون الذي كان مصيره أن يعيش في صحبة الآلهة على هذه الأرض وفي عالم الآخرة، غير أن المفتن كان له طريقته وسره وهي طريقة صادقة خاصة به، وتلك هي التنسيق والتوفيق، وكان يجمع بين الآراء الدنيوية والأخروية معًا، وبذلك تراه قد جمع في هذا المبنى بين المادية والروحانية، أو بعبارة أخرى مزج الاثنين معًا، ولا بد أن الأحجار التي أقام منها هذا البناء كانت فخورة بهذا المزيج حيث جمع بين التناسق والعظمة.



شكل ٦: معبد «رعمسيس الثالث» بمدينة «هابو».

ومن الأمور الهامة أن يكون للآلهة مسكن فسيح الأرجاء يأوون إليه وتُقام شعائرتهم، كما كان من الأمور الضرورية أن يكون للملك مثوى جميل يحيا فيه قرينه - روحه. وكذلك كانت تحوي مدينة «هابو» الهائلة قاعات أعياد، وبيوت كهنة على مقربة من الحجرات الملكية، كما كان فيها مساكن لجماعات الآلهة أُقيمت ملاصقة للمحاريب، حيث كان روح الإله - الفرعون - بعد الموت يذوق طعم الراحة ويتمتع بالاحترام. وهذا البناء الهائل لم يعتوره الارتباك ولا يشبه بأية حال المباني المعقدة التركيب؛ إذ نجد أن ردهاته وأماكنه ودهاليزه وأجزائه المختلفة قد وُزعت بتناسب في انسجام فخم رائع. فالعين لا تقع فيه إلا على مجموعة مباني لا عيب فيها مؤلفة من سلسلة حجرات ملكية، وقاعات عمد أُقيمت على طراز معلوم، وقصارى القول أنه لا تقع العين إلا على طائفة من المباني يتجلى فيها الروح الفني الذي اقتضاه الحال والزمان، ومع ذلك فإن مدينة «هابو» كما قلنا نسخة تطابق في تصميمها معبد «الرمسيوم» الذي أقامه «رعمسيس الثاني»، ولا فرق بينهما إلا أن الأقدار شاءت أن تحفظ لنا معبد «رعمسيس الثالث» وتقضي على الجزء الأعظم من معبد سلفه، والواقع أن «رعمسيس الثالث» لم يكن روحًا مخترعًا، وكان كتيبه ومهندسوه في عصره تنقصهم قوة الخيال والاختراع على ما يظهر، ومما يؤسف له جد الأسف أن العبقريّة في هذا العهد كادت تكون معدومة، ولا غرابة فإنه كان عهد خمول وانحطاط، وقد بدأت فيه ساعة خمول العصر الطيبي العظيم تدق دقات الخطر المنذرة بالنهاية العاجلة. ففي عهد الأسرة العشرين بدأت قوة الاختراع تختفي، وأخذ القوم يكتفون بالنقل والتقليد ما شاءوا، فكان المفتنون في ذلك الوقت يُشاهدون الأعمال الممتازة التي أنتجها عصر «رعمسيس الثاني» ويعيدون بناءها على حسب نماذجها، كما كانوا ينقشون من جديد على جدرانها الفخمة الصيغ والصور التي خلفها لهم العصر السابق دون أن تعتبر إلا اسم الملك وحسب.

وإذا استثنينا بعض التحف فإن الفن الذي خلفه لنا عهد مدينة «هابو» لا يمثل في الواقع مكانة تُذكر، ومما يؤسف له أن النسخ نفسه لم يكن يخلو من النقد، إذ نجد أن الشكل العام يعتوره شيء من الثقل والرخاوة الظاهرة، فالدهاليز قد فقدت طابع الرشاقة

التي تتناز بها دهايز «الأقصر» و«العرابة» والعمد فيها لم ترتفع بعد عن الأرض بتلك الخفة التي تكاد تكون كالهواء، ويرجع السبب في ذلك إلى الضعف الذي اعترى المفتن، فلم يعد يطبع عمله بتلك السمة المنتهية في الكمال، التي كان يتميز بها إنتاج الأسرة الثامنة عشرة، والكثير من إنتاج الأسرة التاسعة عشرة، إذ نجد أن العناية بأعماله كانت قليلة جدًّا، كما نجد أن إهماله كان يكشف غالبًا عن ضعف قوة اختراعه، وقد كانت أخطاؤه شاملة. كما أن الحشونة في العمل قد حلت محل المرونة والقوة، فعهود «تحتمس الثالث» و«سيتي الأول» قد انتهت، والعصر الذهبي للفن قد انقضى. ومع ذلك فإننا نمر في هذا المعبد العظيم بمزيد السرور والارتياح، إذ نجد في أرجائه بعض قطع فنية تسترعي النظر وتدعو إلى الإعجاب.

(١) وصف أجزاء طيبة

ونعود الآن إلى وصف أجزاء المعبد مبتدئين بالبوابة وقد غُطيت بالمناظر والنقوش التي تخلد أعمال الفرعون الحربية، فعلى جدار البرج الأيمن من جهة اليمين نشاهد الملك أمام الإله «آمون رع-حوراختي» قابضًا على طائفة من الأعداء من نواصيهم يضربهم بمقمع، في حين أن الإله الذي مثل برأس صقر يقدم له سيفًا معقوفًا، ويقود له بجبل الأراضي التي استولى عليها، وقد مُثلت بالطريقة المألوفة وهي صور جدران مستديرة نُقش في وسطها أسماء البلدان المقهورة يعلوها الأعداء المغلولون، وتحت هذا المنظر نشاهد صفين آخرين من أسماء البلاد المغلوبة على أمرها، وفي الجهة اليسرى نرى بين قناتين خفرتا لعمودي الأعلام منظرًا مشابهاً، ولكنه أصغر منه، وفي أسفله نُقش متن طويل يتحدث عن انتصارات «رعمسيس الثالث» في الحروب التي شنّها على «لوبيّا» في السنة الحادية عشرة من حكمه، وقد أوردناه فيما سبق. وفي الأسفل نشاهد الإله «آمون» جالسًا على اليسار، والإله «بتاح» واقفًا خلفه يكتب عدد سني حكم الملك على جريدة نخل، والملك راكعًا أمام «آمون» تحت الشجرة المقدسة يتسلم من الإله رموز الحكم الطويل مدلاة من جريدة نخل، وكذلك نشاهد الإله «تحتوت» يكتب اسم الفرعون بين

أوراق الشجرة، وبجانبه إلهة الكتابة، وبجانب الباب في أسفل لوحة مؤرخة بالسنة الثانية عشرة من حكم هذا الفرعون، تحدثنا عن «بركات بتاح» وهي تقليد للوحة التي أقامها «رعمسيس الثاني» في العام الخامس والثلاثين لنفس هذا الغرض في معبد «بوسمبل» (راجع جزء ٦) ويلاحظ أن جدران البرج الأيسر قد نُقش عليها مناظر مشابهة للتي على البرج الأيمن.

وبعد ذلك نصل من الباب الأوسط المزينة جدرانه من الداخل ومن الخارج بنقوش تمثل الفرعون يتعبد للآلهة إلى الردهة الأولى وهي تؤلف مربعاً مساحته ١١٥ قدماً، وجانب البوابة الداخلي مُحلى بمناظر تمثل حملة «رعمسيس الثالث» على بلاد لوبيا، وإلى الجنوب نشاهد موقعة حربية يساعد فيها جنود الشردانا المصريين وهم هميزون بقبعاتهم المستديرة الشكل، والمزينة بقرون. وإلى الشمال نشاهد أسرى اللوبيين مسوقين أمام الملك، وعليهم نقوش مفسرة، والردهة يكتنفها من اليمين ومن الشمال طرقات ذات عمد، وسقف الممر الذي على اليمين محمول على سبعة عمد مضلعة يرتكز عليها تماثيل ضخمة للملك في صورة «أوزير». أما الممر الذي على اليسار فسقفه محمول على ثمانية عمد بردية الشكل، والتيجان على هيئة غلاف الزهرة الخارجي. وهذه العمد الأخيرة خاصة بواجهة القصور الفرعونية التي أُقيمت في الجهة الجنوبية من المعبد، وتتصل بالردهة الأولى بوساطة ثلاث أبواب وشرفة كبيرة على هيئة نافذة، وعلى يمين وشمال هذه النافذة يُشاهد الفرعون واقفاً على طوار مقام من رءوس معادية وهم يقتلهم، وتحت النافذة نشاهد راقصين ومصارعين ومهرجين، وقد مُثلوا يرحبون بالفرعون عند ظهوره في النافذة مطلاً عليهم، والفرح يغمرهم بدرجة لا حد لها. (راجع مصر القديمة الجزء السادس).

أما المناظر التي على جدران الطرق ذات العمد فقد مُثل عليها حروب «رعمسيس الثالث» وانتصاراته وأسراه، كما فصلنا القول في ذلك عند التحدث على حروبه، وفي نهاية ذلك نشاهد الفرعون في طريقه إلى عيد الإله «مين» يسير في ركابه حاملو المراوح.

والنقوش والمناظر المحفورة على البوابة الثانية أهم من المسابقة؛ فعلى البرج الأيمن نقش طويل سُجل فيه الانتصار الذي أحرزه الفرعون في السنة الثامنة من حكمه على الحلف الذي كونه أهل البحار عليه، وقد هددوا مصر من طريق البحر والبر من جهة «سوريا»، وعلى البرج الشمالي يُرى الفرعون وهو يقود أمام الإلهين «آمون» و«موت» ثلاثة صفوف من الأسرى يمثلون المقهورين في هذه الحملة، وهؤلاء كانوا كانوا محلقين رؤوسهم ويلبسون قبعات غريبة محلاة بريش، وكانت ثيابهم المدببة محلاة بهدابات مما ميزهم عن المصريين، وتقول عنهم النقوش إنهم من قبائل «دنونا» و«برست» - الفلسطينيين.

ويؤدّي مدخل البوابة الثانية المصنوع من الجرانيت - ويصل الإنسان إليه بمنحدر - إلى الردهة الثانية، ويبلغ عمقها حوالي ١٢٥ قدمًا وعرضها ١٣٨ قدمًا، وهذه الردهة كما قلنا كانت قد حُوّلت إلى كنيسة في العهد المسيحي، وقد أزيلت بقاياها في العهد الحديث. وقد كانت بطبيعة الحال صورة مطابقة لردهة معبد «الرمسيوم» وحتى بعض رسوم السقف قد نُقل من هناك، غير أنها أكثر حفظًا في معبد مدينة «هابو». هذا ويُشاهد على كل الجهات الأربع لهذه الردهة طرقات ذات عمد. «والطرقتان» الشمالية والجنوبية محمولتان على عمد تيجانها برعومية الشكل، والشرقية عمدتها مربعة، ويرتكز عليها تمثال يبرز الفرعون في صورة «أوزير» وفي الغربية طوار يشمل ثمانية عمد أوزيرية، أُقيمت في الأمام ومثلها في الخلف. وقد مثل الملك على هذه العمد الأسطوانية والمضلعة وهو يقدم القربان للآلهة. والنقوش التي على الجدران الخلفية للطرق ذات العمد توضح لنا حوادث في حياة «رعمسيس الثالث»؛ فبعضها يمثل أعيادًا عظيمة اشترك فيها الفرعون، وأخرى تصور لنا أعمال الفرعون الحربية، وما أظهره جنوده من شجاعة.

عيد «مين»

ففي الطرقتين الشمالية، والشمالية الشرقية نشاهد مناظر في الصف الأعلى من العيد الكبير الذي كان يُقام للإله «مين» إله الحصاد، وحامي السباح ورواد الصحراء، فنشاهد في هذا المنظر الفرعون «رعمسيس الثالث» جالسًا على عرشه، تحت مظلة ثمينة

يحملة في محفة أمراء أقوياء السواعد على أكتافهم، ثم يخرج من قصره ويعطي الأمر ببدء السير إلى المصريين الذين كان يتألف منهم الموكب، حيث نشاهد كهنة يحملون بعناية صناديق ثمينة ويسرون في الطليعة، ويخطون بخطوات وثيدة متزنة تدل على الوقار والجلال. ويتبع هؤلاء مرتل الصلوات بصورة تدل على رجل مسيطر على حواسه وأفكاره، وهو يتقدم حملة المباخر التي يتصاعد منها عبير البخور الذي ينتشر ويتألف منه ضباب خفيف، وبعد ذلك يأتي الموسيقيون فينفخ بعضهم في بوق وآخرون يضربون على الطبول أو يحركون الصاجات. أما الجنود فكانوا يؤلفون وحدة متماسكة تسير في نظام عسكري يحلي شعورهم ريش ضخمة، وأخيراً نشاهد جمعاً من الإشراف ورجال البلاط، وبهم يُحتم الموكب. وعندئذ يسير الفرعون أمام التمثال الإلهي، وقد ظهر الإله في هيئة جامدة مستقيم الجسم مشدود الأعضاء، ويظهر من تحت لباس رأسه العالي المؤلف من ريشتين محياه النحيل، بعينين براقتين تنظران نظرة مبهمة. ويسير في ركابه حاملو المباخر، وخلف الصورة المقدسة يمشي أتباع يروّحون بمراوح طويلة من أوراق الشجر، والأعلام ترفرف في الهواء عليه، وعلى المذابح نشاهد أدوات إقامة الشعائر تتلألأ، كما كانت تشرق تماثيل الملك وأجداده. وفي اللحظة التي يصل فيها الفرعون بالضبط أمام وجه الإله «مين» نشاهد جماعة من الشبان في ميعة الصبا يطلقون حماماً يطير في الحال.

وعند هذه النقطة على ما يظهر ينتهي عيد مين الأصلي، وعلى ذلك فإن المشاهد التي نصفها بعد ذلك - وهي خاصة بعبادة الملك - قد أُلحقت بالاحتفال بالإله «مين» في عهد لا يمكن تحديده على وجه التأكيد، فنشاهد تشريفاتي القصر يقدم للفرعون محشة من النحاس الأسود مموهة بالذهب وحزمة قمح. وعندئذ ترتل مغنية وهي في الواقع الملكة «صبغة» دينية سبع مرات وهي متجهة نحو الفرعون الذي يقطع بدوره باقة القمح بالخشية، وبعد ذلك تُقدم الباقية للفرعون ثم للإله، وأخيراً تقدم سنبلة للملك، وفي أثناء هذا الاحتفال يرتل كاهن أنشودة، وفي خلال ذلك تقوم المغنية وهي الملكة برقصة دينية. والأنشودة تشيد بقوة الإله «مين» الخصب وهو الذي يسميه المتن «ثور أمه»، ويلاحظ أن الملك في أثناء القيام بهذه الشعيرة قد أُحيط بالثور الأبيض وبتماثيل أجداده، ولكن

هؤلاء قد أصبح عددهم الآن كما لاحظ ذلك «جاكوبسون» (راجع Jacobsohn, Dogmatische Stellung p. ٣٥) تسعة وهم: «تاسوع» الثور الأبيض. وبعد الاحتفال بقران السنبله يتعد الفرعون عن المعبد بوجهه متجهًا نحو الشمال، وبعد ذلك يلف حوله. وينتهي العيد في الواقع بشعيرة إطلاق أربعة طيور، وهي المفروض أنها تعلن في الأركان الأربعة للأفق تجديد الملكية.

معنى العيد الكبير للإله «مين»

يجد المؤرخ صعبًا كبيرة عندما يريد تفسير هذا العيد. ولا أدل على ذلك من صعوبة تتبع المشاهد التي يشملها الاحتفال به. وعلى أية حال فإنه مما لا جدال فيه أن الاحتفال بعيد «مين» يحتوي على ثلاثة فصول مميزة: أولها يمثل ظهور الإله ممثلًا بعضو التذكير منتشرًا في احتفال إلهي معروف، والثاني يمثل الفرعون وهو يشرف على عيد الحصاد بنفسه، وأخيرًا يظهر في شعيرة إطلاق الطيور الأربعة المعروفة الخاصة بعبادة الفرعون نفسه.

وتبتدئ الصعوبة عندما نشعر في الربط بين هذه المشاهد الثلاثة، فالواقع أن الإله «مين» يظهر في خلال عيده بوصفه «إله حصاد». ويكفي للدلالة على ذلك أنه كان - قبل كل شيء - إله خصب ونماء، وأن في مقدوره بخاصيته هذه أن يُعد إله التناسل والإكثار. غير أن هذا البرهان لم يرض جمهور علماء الآثار الذين درسوا مناظر مدينة «هابو»؛ إذ يعتقدون أن «مين» عندما يشرف على الحصاد يقوم بدور «أوزير» الذي ينسب إليه وحده قوة الخصب.

ولا نزاع في أن وجهة النظر هذه غير بعيدة عن جادة الصواب، فقد رأينا - في غير هذا المكان - أن الإله «مين» قد وُحد بالإله «حور» منذ عهد بعيد، وأنه كان يُعد في «قفط» ابن «إزيس» وزوجها، وأن هذه العلاقة المزدوجة هي التي جعلته يُنعت بلفظة «كاموتف» - أي فحل أمه. وسنرى فيما بعد أن لهذه الملاحظة أهميتها. غير أن دور

«أوزير» في هذا الشأن ليس بواضح - كما يزعم أصحاب هذا الرأي. وقد أجاز كثير من المؤلفين - مقتفين رأي الأستاذ «موريه» - أن الثور الأبيض كان يتقمصه «أوزير»، بل أضافوا إلى ذلك أنه يلبس لباس الرأس الذي كان يلبسه «أوزير» كذلك، ولكن هذا لا يطابق الواقع كما يقول «جاكوبسون» Ibid P. ٣١؛ إذ إن لباس الرأس هذا إنما هو للعجل «بوخيس».

والواقع أن قرص الشمس الذي يكنفه ريشتان لم يكن قط لباس رأس للإله «أوزير»، يُضاف إلى ذلك أن قربان باقة القمح كان يجب أن يكون - على حسب رأي «موريه» (Le mise à mort di Dieu en Egypte P. ٢٣) تمثيلية مقدسة تمثل قتل روح القمح والخصب في صورة باقة القمح والثور. والواقع أنه لا المتون ولا الرسوم في مدينة «هابو» تسمح بقبول مثل هذه النظرية. ومن جهة أخرى ذكر لنا الأستاذ «جاردنر» أن عيد الإله «مين» يتفق إقامته مع عيد إلهة الحصاد «إرنوت» وهو العيد الذي كان يُحتفل به في أجمة عظيمة في مصر في اليوم الأول من فصل الصيف (J. E. A. P. II, ١٢٥) وعلى الرغم من أن لوجه الشبه هذا أهمية كبرى، فإنه لا يدل - مع ذلك - على أن عيد الإلهة «إرنوت» تأثيراً ما على صبغة الإله «مين» البدائية. هذا فضلاً عن أنه كان لهذا الإله تأثير حسن على الحصاد بوصفه إله الإكثار. وقد بقي علينا الآن أن نفسر الدور الذي كان يلعبه الثور الأبيض في عيد الإله «مين»، وكذلك اشتراك الفرعون في هذا العيد، وهذا ما بحثه «جاكوبسون» بوجه خاص (Ibid P. ٢٩-٤٠) فهو يرى أن بسون الثور الأبيض ليس بصورة يتقمصها «أوزير»، بل هو موحد «بكاموتف» (فحل أمه) أي الإله «مين» بوصفه فحل أمه.

والنقطة المهمة في العيد نجدها في اللحظة التي يقدم فيها الملك للإله «مين» القرابين العظيمة التي تكلمنا عنها فيما سبق، وقد رأينا أنه كان يُنشد في هذا الاحتفال أناشيد يجدر بنا أن نقتبس منها الفقرة التالية: الحمد لك يا «مين»، أنت يا من أتيت والدتك، كم كان خفياً ذلك العمل الذي عملته في الظلمة!

ويظن «جاكوبسون» - بحق - أن الإله «مين» قد جدد في هذه اللحظة المحددة - اللحظة التي أتى فيها أمه - السر العظيم الخاص «بكاموتف». وعلى ذلك فإن الإله ذا العضو المنتشر هو ابن «أوزير» بوصفه «حور»، أما بوصفه زوج «إزيس» فإنه والد الملك الحاكم. وهو نفسه موحد «بحور» وعلى ذلك فإن تكرار قصة «كاموتف» ليس في ذاته إلا ولادة للملك من جديد، الملك الذي وُضعت فيه قوة جديدة مخصصة منتصرة. وتركيز الملك في صفاته المخصصة يصبح أهلاً لأن يقدم للإله باكورة الحصول. وهذا هو السر في أن باقة القمح تأتي مباشرة في مراسم الاحتفال بهذا العيد بعد مشهد مائدة القربان. وبعد ذلك تطلق أربعة طيور - كما كان يحدث في أيام التوبيج - لتعلن أركان الأفق الأربعة خبر تولية «حور» الحي الذي تصابي بالتمثيلية التي مُثلت على النمط السابق. وعلى حسب هذا التفسير الذي يلتئم مع المتن إلى حد بعيد نشاهد أن الدور الذي لعبه «أوزير» يكاد لا يكون شيئاً مذكوراً.

وخلاصة القول أننا نلاحظ أن عيد «مين» كان مشفوعاً بعيد للملك، أو بعبارة أدق بعيد روح (كا) الملك. والواقع أن الملك كان يتصل بروحه بأجداده وبالإله نفسه. وقد وجدنا في مشهد من أقدم المشاهد التي تمثل عيد «مين» أنه لا يتبع الملك إلا روحه (كا) التي تحل في الحفل محل الثور الأبيض، وكذلك شارات خدام «حور» وتماثيل الأجداد، وذلك يعني أن فيه قوة الإله وقد مُثلت في مدينة «هابو» في الثور الأبيض، وفي قوة كل شجرة الأجداد الذين كانوا يقومون في هذه الحالة - كما رأينا - بدور الوسطاء. وهذه القوة التي كانت توجد حقيقة في الروح (كا) قد حُددت بصورة ما فيما خفي من أمر «كاموتف» في اللحظة نفسها التي جُددت فيها الطبيعة أيضاً. وهذا التجديد للطبيعة كان قد نُسب - كما نُسب تجديد الملكية - إلى العمل العظيم القوة المنسوب لإله الخصب «مين كاموتف» بغشيانه أمه.

وعلى الجزء الأسفل من الجدارين الشمالي والشمالي الشرقي مناظر ليست على شيء من الأهمية، فعلى اليسار السفن المقدسة لثالوث «طيبة» - «خنسو» و«موت»

و«آمون» - والملك يقدم لهم القربان، وعلى اليمين الكهنة يحملون هذه السفن إلى خارج المعبد في حين كان الملك يقترب من خلف سفينة رابعة ليستقبل هذا الثلاث المقدس.

طرقات الأعمدة الواقعة في الجنوب والجنوب الشرقي

على جدران هذه الطرق ذوات العمود قد مثل عيد «بتاح سكر»، ويتبدى الحفل على يسار الباب بموكب مؤلف من كهنة يحملون سفناً مقدسة وتماثيل الآلهة وأعلاماً وأدوات معبد، وفي الخلف يقف الملك وعظماء بلاده. ثم يُشاهد بعد ذلك - على الجدار الجنوبي - رمز هائل للإله «نفرتم» ابن الإله «بتاح» يحمله ثمانية عشر كاهناً، ويمسك الفرعون بحبل يجره ستة عشر كاهناً، كما كان يُطلق البخور كاهنان أمام الملك، ويأتي بعد ذلك ستة عشر كاهناً آخرون يحملون قارب الإله «سكر» - إله الموتى برأس صقر - يتبعه الفرعون، ثم يضحي الفرعون أمام السفينة المقدسة، وأخيراً يضحي الفرعون أمام الإله «خنوم» الممثل برأس كبش، وإلهين آخرين، وأمام الإله «سكر-أوزير» الذي مثل برأس صقر، ويقدم له طبقاً عليه خبز. وفي أسفل هذا المنظر مناظر حربية، فالمنظر الأول منها - وهو على الجدار الجنوبي الشرقي - يُرى فيه الفرعون مهاجماً اللوبيين بفرسانه رامياً عن قوسه. أما المشاة فكانوا يحاربون في معمة وحشية، وكان يساعد المصريين جنود «الشردانا» المرتزقة في الصف الأسفل. والمنظر الثاني يمثل عودة الفرعون من حومة الوغى، يسوق عربته، ويتبعه ثلاثة صفوف من أسرى اللوبيين، والأغلال في أعناقهم مسوقين أمامه. وخلفه اثنان من حاملي المراوح. والمنظر الثالث يمثل الفرعون يقود الأسرى من اللوبيين أمام الإله «آمون» وزوجه «موت»، وعلى الجدار الجنوبي منظر يمثل الملك قاعداً في عرشه، وظهره إلى الخيل مستقبلاً الأسرى اللوبيين - لوهم أحمر خفيف - وقد ساقهم إليه في صفوف أربعة أولاده وأشراف آخرون، وكانت الأيدي وأعضاء الإكثار التي قُطعت من جثث القتلى تُحصى أمامه، والجزء الأعظم من هذا الجدار يشغله متن مؤلف من خمسة وسبعين سطراً في وصف حوادث الحرب؛ وقد ترجمناها فيما سبق.

والجدار الخلفي للممر الغربي الذي على الطوار مُثل عليه ثلاثة صفوف من المناظر، ففي الصفيين العلويين يُرى «رعمسيس الثالث» يتعبد لآلهة متنوعة، وفي الصف الأسفل - كما هي الحال في الرمسيوم - مُثل أولاد الملك وبناته، وتدل شواهد الأحوال على أن الأسماء التي وُضعت بجانب هؤلاء قد أُضيفت في عهد «رعمسيس الرابع». والحجرات الباقية التالية لم يبقَ من جدرانها وعمدها إلا الجزء الأسفل فتدخل أولاً قاعة العمد الكبرى، وكان سقفها يُحمل في الأصل على أربعة وعشرين عمودًا نُسقت في أربعة صفوف، كل منها ستة عمد، ويُلاحظ أن ثمانية العمد التي في الوسط أكثر كثافة من العمد الأخرى. ويُشاهد على الجدران مناظر للفرعون في حضرة آلهة مختلفين. ومن النقوش الهامة التي على الجدار الجنوبي صور أواني الذهب التي يقدمها «رعمسيس الثالث» للآلهة «آمون» و«موت» و«خنسو» الذين يتألف منهم ثالوث «طيبة».

وينتقل الإنسان بعد ذلك إلى ثلاث قاعات صغيرة متتالية، منها اثنتان في كل منهما أربعة عمد اسطوانية، وفي الثالثة أربعة عمد ذات أضلاع. وفي القاعة الثانية من هذه مجموعتان من الجرانيت الأحمر. فالتي على اليسار تمثل «آمون» و«ماعت»، والتي على اليمين تمثل الفرعون والإله «تخوت» في صورة الطائر «أبيس»، أما الحجرات الأخرى التي في الحلف فقد أُهديت لآلهة مختلفين، فالحجرات التي على يسار الحجرة كانت مخصصة للإله «أوزير». ويُلاحظ أن إحدى الحجرات لها سقف مقبب عليه مناظر فلكية، ومن حجرة خاصة يصعد سلم إلى حجرات أخرى في الدور العلوي، ويتصل بقاعة العمد الكبرى كذلك من جانبيها الشمالي والجنوبي سلسلة حجرات (PL. ١١-١) وتؤلف التي في الجهة الجنوبية منها بيت مال المعبد أو خزانته، والمناظر التي على جدران حجرات الخزانة تشير إلى الطرائف التي أُودعت فيها، ففي الحجرة الأولى نشاهد الملك يقدم «لآمون» مقابض بردي أمسك بها أسود تمثل رعوسها رأس الفرعون، أو أشكالاً راکعة للفرعون، وفي الحجرة الثانية يقدم الفرعون للإله «آمون» أواني ثمينة، وصناديق أغطيتها على هيئة كباش أو «بوهول» أو رعوس حباش وصقور، أو ملوك. وفي الحجرة الثالثة يقدم الملك «لآمون» حقائب مملوءة بالأحجار الكريمة. وفي الحجرة الرابعة يهدي

الملك «لآمون» أدوات مائدة ثمينة، وحليًا وأعوادًا من الذهب والفضة والقصدير. وفي الحجرة الخامسة يقدم الملك أكوامًا من الذهب ومعادن أخرى ثمينة. وفي الحجرات السادسة حتى الحادية عشرة نشاهد الملك يقدم قربانًا لآلهة مختلفين. وفي الحجرة السابعة يقدم الأمراء والأميرات هدايا للملك والملكة. وفي الحجرة العاشرة يُرى تمثال ضخمة من المرمر للإله «بتاح» فقد رأسه، ويرجع تاريخه إلى عهد الملك «أمنحتب الثالث» وقد عُثر عليه في الردهة الأولى.

وفي الجهة الجنوبية من المعبد نشاهد بقايا قصرين، وقد كشف عن جزء صغير منهما «هنري برتن Henry Burton» في عام ١٩١٣. وكشف عن بقاياهما تمامًا بعثة «شيكاغو» بقيادة الأستاذ «هلشر»، وقد كان أحد هذين القصرين مبنياً فوق الآخر وكلاهما أقامه «رعمسيس الثالث». وحجرة العرش توجد في أحد هذين القصرين، ولا تزال تشتمل على القاعدة المصنوعة من المرمر التي كان يُوضع عليها العرش، ويصل إليها الإنسان بسلم يتألف من ثلاث درجات، وعلى اليسار حجرة نوم الفرعون وبها طوار مرتفع للسرير في كوة. وعلى اليمين حجرة الحمام وحجرة ملابس الفرعون، وفي الجهة الغربية حجرات الحرم الملكي، وبها مكان لعرش الفرعون وحمام. وخلف ذلك من جهة الجنوب ثلاث مجاميع من الحجرات الخاصة بالحريم، كل منهن لها حجرتان خاصتان بالاستقبال وحمام وحجرة للزينة. وفي الجهة الغربية من القصر بئر يصل إليها الإنسان بسلم، ولوحة البئر تمثل آلهة النيل يمنحون المياه، و«رعمسيس الثالث» يصب عليه الماء كل من الإلهين «تحتوت» و«حور»، وكذلك الملك في حضرة الإله «خنسو نفر حتب».

والمناظر التي على الجدران الخارجية للمعبد لها أهمية عظيمة، إذ قد نُقش معظمها تخليدًا لذكرى الحروب التي شنها «رعمسيس الثالث» على الأقوام الذين أرادوا دخول مصر عنوة واستيطانها. كما تصف لنا مغامرات الفرعون في الصيد والقنص.

ونبتدئ هنا بوصف مناظر الصيد والقنص التي تركها لنا على الجدار الجنوبي للبوابة الأولى. فنشاهد الملك في أعلى الجدار يصطاد في عربته حيوان الصحراء، ونراه يطارد

تيوسًا برية، مظهرًا قوّة ومرونة في تتبع فريسته وإردائها قتيلة، مضرجة بدمائها.

وقد فُسر هذا المنظر بالمتن التالي: إن الملك لجميل في حظيرة صيده مثل «ست» رفيع السلاح (القوس) شجاع مهلك الماشية البرية، ومقتحم في وسطها كالصقر الذي يتربّط الطير الصغير، وبذلك تحرّ مكدسة أكوامًا في مكانها كأكوام إضمامات القمح، ويدها اليمنى واليسرى تستوليان دون خطأ، ومجلس الثلاثين ورؤساء الممالك الأجنبية يُشاهدون آيات شجاعته. أما أهل الأرض قاطبة فإنهم يفرحون عند انتصاراته، فساعده ضخم قوي يصطاد الأقواس التسعة، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين: الخ (Historical Records Text P. ١٤٤).



شكل ٧: «منظر صيد» الفرعون يطارد ثيرانًا برية.

هذا ونرى الفرعون في منظر آخر راكبًا عربته، ومظهرًا مهارته في طراد ثيران بريّة، وفي ركابه أمراء يصطادون معه، على حين نجد جنودًا يقومون بالطعان له، فنشاهد المطاردين ينقضون في أنحاء السهل إلى أن يصلوا بالقرب من مكان مستنقع، وهنا يلمحون بعض الحيوانات، فينقضون عليها وهي ترعى في أدغالها، وعندئذ ينتصب الفرعون بجسمه الجبار في عربته، ويصوب سهامه بساعده القوي فيصيب الهدف، ويقتل فريسة ثم يجرح أخرى، فتسقط على الأرض فاغرة خرطومها وقوائمها متصلة، ونرى ثلاثة ترخي لساقها العنان في وسط مستنقع يسبح فيه السمك وتطير في أعشابه طيور الماء، وقد اشترك رجال الحاشية في هذا الطراد بجراحهم وسيوفهم، وقد أخذوا يهرولون في وسط الأعشاب الملتفة بنشاط وحركة عظيمة، وقد ساعدوا الفرعون بقلب فرح وحرارة في متابعة طراده وإصابتها إصابة قاتلة. وعلى الرغم من وجود بعض الأخطاء الفنية في هذه المناظر فإنها مقبولة في جملتها؛ إذ كان مؤلفها حريصًا على جمع عناصرها، كما أنه عرف كيف يعالج هذا النوع، بحيث يجعل الأشخاص تحيا فيه بما أوتي من قوة الإخراج، ومع أن طريقة الإخراج لا تدل على يد مفتن قدير فإنها تشعر بأنه كان قوي الملاحظة، هذا إلى أن الروح الفني لم يكن ينقصه، وإن كان غير ناضج تمامًا. ولا نزاع في أن الإنسان مع ذلك يقدر في هذه الصورة هبة المفتن الذي يجيد إخراج المناظر الريفية والحيوانية، ويشعر بأنه يحب الطبيعة بإخلاص مما جعله يترجم بأمانة ما وقع عليه نظره إلى درجة لا يُستهان بها في ذلك العصر.

وقد نُقش تفسيراً لهذا المنظر المتن التالي (Historical Records ibid) (١٤٥): حور القوي، قاهر القوى، وإنه ينظر إلى الثيران والأسود كأها مجرد أولاد آوى، وهو الواحد القوي المعتمد على ساعده، الشاعر بقوته، والطارد قطعاً من الثيران البرية كأنه في حرب معها وجهًا لوجه، ممسكًا عن يمينه، وقابضًا عن يساره، وإنه مثل «متنو» ثور جبار عندما يغضب مدبحًا أراضي «الأسويين» ومبيدًا بذرتهم، وجاعلاً العدو يولي الأدبار.

وعلى الجزء الغربي من الجدار الجنوبي تقويم أعياد «رعمسيس» وهو يحتوي على

قائمة طويلة مملوءة بالضحايا المعينة التي يقدمها هذا الفرعون للمدة ما بين السادس والعشرين من شهر بشنس، وهو يوم تتويج «رعمسيس الثالث» واليوم التاسع عشر من شهر طوية. وفي أسفل هذا التقويم موكب من الكهنة يحملون أطعمة، وعلى اليمين والشمال نافذة شرفة القصر التي يصل إليها الإنسان بدرج سلم، ويظهر الملك فيها وهو يذبح الأسرى، وفي كوة النافذة يُرى الملك وحاشيته ذاهبين إلى الشرفة.

وعلى الجدار الغربي مناظر من الحروب التي شنها الفرعون على السود من أهل السودان. وأول سلسلة من المناظر التي تمثل الحروب على اللوبيين يُشاهد على الجزء الجنوبي من الجدار الفرعون في الواقعة، يلي ذلك واقعة نصر يُساق فيها أسرى من السود، ثم نرى تقديم الأسرى أمام الإله «آمون».

وعلى النصف الشمالي من الجدار «منظر حرب لوبية»، يُشاهد الملك الذي يقف خلفه الإله «تحت» أمام «آمون» و«خنسو»، وبعد ذلك يُرى الملك والإله «منتو» ممثلاً برأس صقر وأربعة كهنة يحملون رموز أصنام على رءوس قضبان، وأخيراً يُرى الفرعون في عربته الحربية يصحبه حرسه.

وعلى الجزء الغربي من الجدار الشمالي عشرة مناظر من مناظر الحروب التي شنها الفرعون على اللوبيين، ومنظر موقعة بحرية انتصر فيها الفرعون على أقوام أمم البحار، وفي الجزء الشرقي من الجدار مُثلت الحروب السورية، وهاك مختصر ما جاء على هذا الجدار:

في النصف الغربي يُشاهد أولاً الجيش المصري يتحرك وبجانب عربة الفرعون يمشي أسد، وفي عربة أخرى أمام عربة «رعمسيس» حُمل علم الإله «آمون» برأس كبش - رمز الإله آمون. والمنظر الثاني يمثل واقعة مع اللوبيين. وفي الثالث يُرى الفرعون يخطب في خمسة صفوف من الجنود الذين يسوقون أسرى من اللوبيين، وكذلك يُحصى أمامه الأيدي وأعضاء الإكثار التي تبلغ ١٢٥٣٥. وفي المنظر الرابع يُرى الفرعون في شرفة قصره يشرف على تجنيد الجيش، فتحضر الأعلام، وتوزع الأسلحة على العساكر. والمنظر الخامس: يُشاهد فيه الفرعون يتحرك نحو سوريا، ويسير أمامه جنود بالحرايب والأقواس.

وفي أسفل جنود «شردانا» المرتزقون. والمنظر السادس يمثل موقعة مع قبائل البحار الجائلين في فلسطين، ويُشاهد الفرعون وهو في عربته يفوق سهامه على الأعداء من أهل «تكر» الذين يُميزون ببقعاتهم الغربية، وقد كان أطفال العدو ينتظرون نتيجة الموقعة في عرباتهم التي تجرها الثيران. وفي المنظر السابع: الملك في طراد أسود، حيث يُشاهد أحد الأسود محتبئاً في أحد الأدغال، وقد اخترق جسمه حربة الفرعون وسهامه، كما يُشاهد آخر خائفاً على الأرض تحت سنابك جواد الفرعون. وفي أسفل ذلك يسير جيش من الجنود المصريين والمرتقة. والمنظر الثامن يمثل واقعة بحرية شنها أقوام البحر الأبيض المتوسط الذين قابلهم الأسطول المصري عند مصب النيل، ويُشاهد الفرعون يفوق سهامه على أسطول الأعداء.

وترى إحدى سفن العدو قد انقلبت في الماء، وتميز سفن الأسطول المصري بصورة الأسد التي على مقدمتها، ويلاحظ أن واحدة منها - على الجهة اليمنى من أسفل - فيها عدد عظيم من البحارة، وتحتوي على أسرى من قوم «تكر» مغلولة أعناقهم، وفي الصف الأسفل نشاهد أسرى آخرين يساقون والملك نفسه يطأ على أسرى الأعداء، وأمامه بعض الرماة، كما نشاهد فوقه إلهة الوجه البحري ترفرف في صورة نسر. وفي المنظر التاسع يُشاهد الفرعون وقد نزل من عربته مستقبلاً من شرفته العظماء الذين يقودون له الأسرى، وفي الصف الأسفل ترى الأيدي المقطوعة تُحصى. وعلى اليسار تقف العربة الملكية، وفوق ذلك صورة قلعة «رعسيس»، ومن المحتمل أنها تمثل قصر مدينة «هابو».

وفي المنظر العاشر يقدم الفرعون صفين من الأسرى: الأعلى يمثل قوم «تكر»، والأسفل من اللوبيين لثالوث «طيبة» «آمون» و«موت» و«خنسو».

أما النصف الشرقي من الجدار الشمالي فيشمل عدة صور طريفة، فعلى الجدران الخارجية للردهة الأولى يُشاهد في الصف الأعلى من الشمال إلى اليمين؛ أولاً: «رعسيس الثالث» يهاجم قلعة سورية. ثانياً: يرى الملك ينزل من عربته بعد النصر ويطعن سوريا بحربته. ثالثاً: يتسلم الفرعون الأسرى. رابعاً: يقدمهم ومعهم أوانٍ فاخرة

للإلهين «آمون» و«خنسو».

وفي الصف الأسفل من نفس الجدار من الشمال إلى اليمين يُرى؛ أولاً: «رعمسيس الثالث» يهاجم قلعة لوبية. وثانياً: نشاهد أسرى لوبيين. وثالثاً: يُقدّم للفرعون ثلاثة صفوف من الأسرى على يد ضباطه. ورابعاً: منظر يمثل عودة الفرعون بالأسرى وتحية العظماء للفرعون. وخامساً: منظر تقديم الأسرى من اللوبيين للإلهين «آمون» و«موت».

وعلى البوابة ثلاثة مناظر؛ الأول: وهو في الصف الأعلى يمثل الفرعون يهاجم قلعة يدافع عنها جنود «خيتا». والثاني: منظر تحت السابق يمثل الملك وقد نزل من عربته الحربية، ووضع الأغلال في أعناق اللوبيين.

هذا وصف مختصر لما نشاهده على المعبد الجنائزي الذي أقامه بنفسه هذا الفرعون في «طيبة» الغربية على غرار ما كان يفعله أجداده في عهد الدولة الحديثة ليكون مقرأً لروحه، والآن نتحدث عن المكان الذي أقامه ليكون مثوى لجثمانه.



شكل ٨: موميّة «رعمسيس الثالث».

(٤-١٧) مقبرة «رعمسيس الثالث»

تدل شواهد الأحوال على أن المقبرة التي حفرها «رعمسيس الثالث» لنفسه، قد بُدئ فيها في عهد والده «ستنتخت» وهي المعروفة الآن برقم ثلاثة، غير أنه على ما يظهر قد تركها بعد موت والده، واغتصب المقبرة التي كان والده قد حفرها لنفسه، وأتم جزءاً كبيراً من نقوشها. ويُقال إن «ستنتخت» قد ترك مقبرته هذه لأن سقفها قد تصادم مع مقبرة الملك «أمنمس» وأن «ستنتخت» اغتصب مقبرة «توسرت» ليدفن فيها؛ ولذلك غير كل ما كان عليها من نقوش وجعلها باسمه، كما ذكرنا من قبل، ويُقال إن «ستنتخت» بدأ هذه المقبرة، وأكمل النقوش حتى الحجرة الثالثة، ولا تزال طغرائته في الأماكن التي سقط ملاطها ظاهرة حتى الآن (راجع Baedeker p ٣٠٦). وعلى أية حال فقد أتم «رعمسيس الثالث» حفر هذا القبر وتزيينه، وهو في الواقع قبر تظهر عليه سيما العظمة، والظاهر أنه قد فُتح في العهود الإغريقية، ولا تزال بعض النقوش الإغريقية عالقة بجدرانها، وقد أعاد فتحه الرحالة «بروس» حوالي عام ١٧٦٩م ومن أجل ذلك يُعرف بقبر «بروس» كما يُعرف كذلك بقبر الضارب على العود؛ إذ وُجد بين الرسوم التي على جدرانها صورة ضارب على العود يغني للإلهتين «أنخور» و«حوراختي» كما سنذكر ذلك في مكانه.

ولا يفوق هذا القبر في الحجم إلا مقبرتا الملكة «توسرت» والفرعون «سيتي الثاني»، أما من حيث نقوشه الغائرة فإنها لا تُعد من الطراز الأول، غير أن تنوعها جعل للقبر قيمة أخرجته عن حد المألوف من مقابر الفراعنة، ولا تزال ألوانه حافظة لبهجتها حتى الآن.

ويقع هذا القبر في الجهة اليسرى من الطريق الحالية في أبواب الملوك، ويمتاز عن بقية مقابر الملوك باحتوائه على عشر حجرات جانبية، حُفرت في ممريه الأولين وبخاصة ما جاء فيها من نقوش ومناظر لم تؤلف من قبل في قبور ملوك هذا العهد فهي فريدة في بابها. ويصل الإنسان إلى مدخله بالسلم المعتاد المائل في وسطه الذي نراه في المقابر

الأخرى، وعلى كلا جانبيه عمودان مربعان مزينان برأسي ثورين، وهنا يُلاحظ الإنسان لأول وهلة التقدم العظيم الذي نشأ في أسلوب زينة المدخل، فهو أكثر فخامة من مقبرة «مرنبتاح» الذي لم ينقُص على عهده إلا سنون قلائل. ويُرى على عتب الباب منظر مُثلت فيه الإلهتان «إزيس» و«نفتيس» تتعبدان لقرص الشمس الذي يحوي في داخله جعلاً، وإله الشمس برأس كبش.

وفي الدهليز الثاني يُشاهد على اليمين وعلى الشمال من المدخل إلهات راكعات تمثل آلهة العدالة تحمي الداخلين بأجنحتها. وعلى الجدار الأيسر يُشاهد الملك أمام الإله «حوراختي» يتبعه عنوان أنشودة إله الشمس، وكذلك تُرى الشمس وثمان وثمان وأساسا غزالين، وبعد ذلك يأتي متن أنشودة الشمس ويستمر على الجدار الأيمن، ثم تقابلنا الحجرات الجانبية العشر التي ذكرناها من قبل؛ فعلى جدران الحجرة الأولى - وتقع على اليسار - بعض مناظر من المطبخ الملكي. وفي الحجرة الثانية على اليمين نشاهد صفين من السفن، ففي الصف الأعلى نرى أشرعة سفن قد طُويت، وفي الصف الأسفل نرى سفناً نشرت أشرعتها. والحجرة الثالثة على اليسار نشاهد فيها في الصف الأعلى مبتدئين بجدار المدخل من جهة اليسار؛ إله النيل راكعاً، ومائلاً خيراته لسبعة آلهة للخصب، وعلى رأس كل منهم سنبل قمح، وعلى الجدار المقابل مبتدئين من المدخل على اليمين نشاهد كذلك إلهة الحصاد «نبرت» التي صُوِّرت في هيئة امرأة برأس ثعبان، وخمسة أصلال مرتدية ميدعات «مرايل» وإلهين للخصب. وفي الصف الأسفل المهشم من جهة اليسار نشاهد إله النيل للوجه البحري أمام الإلهة «نبرت» (القمح) وثلاثة أصلال. والحجرة الرابعة يمكن أن يُطلق عليها «مكان تسليح الفرعون»؛ لأن جدرانها مزينة برسوم أسلحة، وأعلام، وزرد. وفي الحجرة الخامسة يُشاهد إله النيل والحقول يجلب قرباناً من الأزهار والفاكهة والطيور. وفي الحجرة السادسة على اليمين وهي بيت مال الفرعون قد صُوِّر على جدرانها أدوات وأثاث منزلي منوع؛ ففيها أوانٍ، وجرار، وزجاجات - ومن بينها الأواني ذوات الرقبة الكاذبة التي كانت تُجلب من جزر بحر إيجة - وأسنان فيلة، وقلاذات، وكراسي، ومقاعد وثيرة عليها وسادات، يرقى إليها الإنسان بوساطة درج.

والحجرة السابعة - على اليسار - يجد الإنسان فيها على كلا جانبي المدخل الروح الحارس للملك يحمل قضيبًا ينتهي بصورة رأس الملك. وعلى الجدران الأخرى صفان من صور مجاديف مع ثعبانين وحيوانات مقدسة، والصف الأسفل مهشم. وفي الحجرة الثامنة على اليمين نشاهد صور حقول مقدسة يجري فيها الحرث والبذر والحصاد، والملك يسبح في قناة.

وفي الحجرة التاسعة على اليسار نشاهد ضاربًا على العود يغني للإلهين «أنحور» و«حوراخي» الذي مثل برأس صقر، وعلى اليمين صورة ماثلة للصورة السابقة غير أنها مهشمة، ومتن الأغنيات قد نُقش على جدران المدخل وقد كان حداثتها: استقبلوا «رعسيس» المنعم.

الحجرة العاشرة - على اليمين - يُشاهد على جدرانها عشر صور مختلفة للإله «أوزير»، وقد جرت العادة قبل ذلك العهد ألا تُرسم أشياء مادية على جدران المقابر الملكية، غير أن «رعسيس الثالث» قد ضرب بهذا التقليد عرض الحائط؛ لأنه - كما يظهر - لم يكن يرغب في الاعتماد كلية على إلهيته في إسعاد روحه بعد الموت، بل أراد أن يفعل ما يفعله أفراد الشعب في مقابرهم، فصور على قبره كل ما يلزمه لذلك. ويؤدي هذا الدهليز الذي يحتوي هذه الحجرات الصغيرة إلى حجرة تقابل في العادة الدهليز الثالث، وعند هذه النقطة كان لا بد للعمال الذين يعملون في المقبرة من الانحراف في سير العمل في حفر المقبرة إلى جهة اليمين تفاديًا للقبر المجاور وهو قبر «أمنمس» كما ذكرنا من قبل. ويُشاهد على الجدار الخلفي لهذه الحجرة إلهة تمثل الجنوب ترفع جرة ماء. ويظهر الفرعون على الجدران الأخرى لهذه الحجرة مقدمًا للقران لآلهة مختلفين.

ننتقل بعد ذلك إلى الدهليز الرابع فنجد ممثلًا على الجدار الأيسر سياحة الشمس في عالم الآخرة في أثناء الساعة الرابعة من الليل، وكذلك سياحتها في الساعة الخامسة على الجدار الأيمن، وذلك من كتاب «ما يوجد في العالم السفلي». وعلى حسب هذا الكتاب قُسم العالم السفلي اثني عشر إقليمًا يقابل كل منها ساعة من ساعات الليل، وقد

فُسِّم الوصف الذي جاء في هذا الكتاب كذلك اثني عشر فصلاً، وفي كل من هذه الأقسام مُثل النهر الذي يحمل سفينة الشمس في الوسط، وفي وسط هذه السفينة نرى إله الشمس ممثلاً في صورة إنسان برأس كبش يحيط به حاشيته، جالِباً معه لمدة قصيرة النور والحياة في الإقليم الذي يخترقه، وقد مُثل من أعلى ومن أسفل شاطئنا هذا النهر مزدحمين بكل أنواع الملائكة والشياطين والوحوش التي ترحب بإله الشمس وتقضي عنه أعداءه.

وفي الحجرة الخامسة نشاهد صور آلهة، وهذه الحجرة تؤدي إلى الحجرة السادسة وهي ممر منحدر له أروقة جانبية وترتكز على أربعة عمد ذات أضلاع مُثل عليها الفرعون أمام آلهة مختلفين. وعلى الجدران اليسرى من عند المدخل نشاهد صورة تمثل سياحة الشمس في الساعة الرابعة من الليل في العالم السفلي، وهي تقابل الفصل الرابع من كتاب البَوَابَات. وهذا الكتاب كسابقه في الفكرة؛ حيث نجد أن سياحة الشمس في عالم الظلام مختَرقة الأقاليم الاثني عشر لعالم الآخرة تمثل ثانية، ويفصل كل إقليم عن الآخر بَوَابَات ضخمة يحرس كلاً منهما ثعابين هائلة، وكل ثعبان من هذه الثعابين يحمل اسماً معروفاً لإله الشمس. ولا بد للمتوفى أن يعرفه أيضاً. ويحرس كل باب إلهان وأفعوانان ينبعث من أفواههما نيران تحرس إله الشمس، وتُبعد عنه كل من يريد الاقتراب منه.

وفي الصف الأسفل صورة أربعة أشخاص يمثلون أجناس العالم الأربعة؛ فواحد منهم يمثل الجنس الآسيوي بذقن مدببة وقميص ملون، والثاني - وهو أسود اللون - يمثل الجنس الزنجي، والثالث يمثل الجنس اللوي، ويتميز بالريشة التي على رأسه وجسمه الموشوم، والرابع هو المصري.

وقد مُثلت على الجدران اليمنى سياحة الشمس في الساعة الخامسة من الليل، من كتاب البَوَابَات. وعلى الجدار الخلفي من اليسار إلى اليمين مُثل الملك في حضرة «أوزير».

وفي الحجرة السابعة نجد على جدار مدخلها من اليمين الملك يقوده الإلهان:

«تحت» و«حور خنتي خاتي» الذي مثل برأس صقر وجسم إنسان، وعلى الجدار الأيسر مثل الملك مقدّمًا «لأوزير» صورة العدالة. وعلى المساحات الباقية مثلت مناظر من كتاب «ما في عالم الآخرة» وآلهة تقطع أشجارًا ... الخ.

أما الحجرات الباقية فقد هشم معظمها،^(٢٢٩) والحجرة العاشرة منها كانت تحتوي على تابوت هذا الفرعون، وهي تركز على ثمانية عمد مضلعة، ولها حجرات جانبية يؤدي بعضها إلى البعض الآخر، وقد نقش على جدرانها مناظر خرافية وفلكية.

والحجرات^(٢٣٠) الجانبية رُسم عليها الماشية المقدّسة، وأشكال «أوزير» ومملكة «أوزير» ومتن هلاك الإنسانية، وبعد هذه الحجرة الكبيرة ثلاث حجرات^(٢٣١) صغيرة مثل على جدرانها صور حيات، وتابوت هذا الفرعون ليس في مكانه الأصلي، بل يوجد في «متحف اللوفر». أما الغطاء فيوجد في «متحف فتروليم» بكمبريدج. وحوض التابوت قد صُنع من الجرانيت الوردي على صورة طغراء ملكية، وهو جميل الصنع، وقد كان ضمن مجموعة «صولت» واشتراه «متحف اللوفر» عام ١٨٢٦م. وقد نُقل من مكانه الأصلي، وكان بطبيعة الحال يحتوي على التوابيت الصغيرة الأخرى الخشبية كما نشاهد ذلك في تابوت «توت عنخ آمون». وقد صُوِّرت الإلهة «نفتيس» راکعة عند رأسه، والإلهة «إزيس» راکعة عند قدميه، وقد نشرتا أجنحتهما على التابوت لحماية الفرعون. والنقوش التي على هذا التابوت خاصة بالسياحة التي تقوم بها سفينة الشمس في أثناء الليل في العالم السفلي، وهذه السياحة قد مثلت بطريقة سهلة بوجه خاص على الجهة الجنوبية التي كانت ظاهرة للمتفرج. وقد مثلت الحوادث عليه في ثلاثة صفوف عمودية بعضها فوق بعض. ولكن يجب أن نتصورها في أذهاننا بتصميم أفقي - والصف الأعلى هو أبعداها. فالصف الذي في الوسط يمثل النهر السفلي الذي تسبح فيه سفينة الشمس، وقد اتخذ إله الشمس مكانه في هذه السفينة ومعه أتباعه، وبقي واقفًا في شكل إله برأس كبش في محراب يحرسه الثعبان «مجن» بطياته. وكانت السفينة تُجر بالأمراس، ويسبقها العلامة الهيروغليفية «شمس» مكررة تسع مرات. وهذه العلامة لا تمثل على حسب رأي «لوريه»

متاع بدوي وهي عبارة عن نسيج خيمة ملفوف، وعصا معقوفة، وسكينة من الطران وتذكرنا بذكرى أقدم الفاتحين لمصر، بل تمثل في الواقع على حسب رأي «زيتة» المقصلة المصرية كما سنرى بعد، ويأتي بعد ذلك أربعة كباش تمثل أرواح «أوزير» الأربعة تمشي في مقدمة الموكب. والصفان: الأعلى والأسفل يمثلان شاطئ النهر، وهذان الشاطئان مقسم كل منهما خمسة أقاليم، يقابل كل منها ساعة من ساعات الليل «ويلاحظ في الصورة بوضوح المصراع الذي يفصل كل باب عن الآخر»، وكل إقليم يسكنه ملائكة مختلفون يظهر أن وظيفتهم هي الترحيب بإله الشمس عند مروره بالأقاليم السفلية، وكذلك القضاء على أعدائه.

والمناظر الممثلة على الجهة اليمنى خاصة بلحظات أخرى للسياحة. وفي الصف الأوسط يُساق للشمس الواقفة دائماً في وسط السفينة الثعبان «أبو فيس» عدوها مقيداً، ومطعوناً بخمسة سيوف. أما خمس النسوة اللاتي يتبعنه مسلحات بمدى فإنهن الحارسات الأربع للصناديق الأربعة واللاتي دفنَ جسم الإله تحت كومة من الرمل. وفي الصف الأعلى نشاهد انتصار «أوزير» على أعدائه، وهذا هو رمز انتصار النور على الظلمات. وهذا الانتصار قد مثل مجموعتين من الناس يتألف كل منهما من ثلاثة رجال قُطعت رءوسهم، وهذا هو السبب في وجود علامة «شمس» التي تستعمل لفصل الرأس. (٢٣٢) ويُشاهد هنا في يد الإله «أوزير» ثعبان يندلع من فمه لهيب نار على أحد رجال المجموعة الأولى. وأخيراً نشاهد في الصف الأسفل موكبين يتألف كل منهما من اثني عشر شخصاً كل منهم يلتفت في جهة مضادة.

والموكب الأوّل على حسب رأي «مسبرو» يمثل نجوماً متجهة نحو الإله «حور» الذي مثل برأس صقر. أما الموكب الثاني فيتألف من اثني عشرة امرأة وهو موكب الاثني عشرة ساعة التي يتألف منها الليل، وتسير نحو التمساح الذي يحرس رأس الإله «أوزير». (٢٣٣)

(١٨-٤) محاجر السلسلة

وُجد له في «محاجر السلسلة» لوحات مُثل عليها ثالوث طيبة - «آمون» و«موت» و«خنسو»^(٢٣٤) وكذلك وُجد له لوحات مُثل عليها الإلهان «آمون» و«سبك» وثمانية أعمدة.^(٢٣٥) وأخرى مُثل عليها الإلهان «بتاح» والإله «سخت».^(٢٣٦) وفي «السلسلة» الغربية وُجدت له لوحة مُثل عليها الآلهة «آمون» و«حور» و«حبي» (النيل) مؤرخة بالسنة السادسة من حكمه.^(٢٣٧) وكذلك نقش مؤرخ بالسنة الخامسة، وآخر بالسنة الثالثة.^(٢٣٨)

(١٩-٤) سمنة

وُجدت طغرائاته على المعبد يتبعد له موظف.^(٢٣٩)

(٢٠-٤) عمارة غرب

وفي معبد «عمارة غرب» نقش «رعمسيس الثالث» اسمه على بعض عمد قاعة الأعمدة؛ كما وُجدت فيه لوحتان عليهما اسمه، وقد أُرخت الأولى بالسنة الخامسة، والثانية بالسنة الحادية عشرة، وقدمهما للفرعون نائب «كوش» المسمى «حوري». والظاهر أن «حوري» هذا هو «حوري الثاني» كما ذكر ذلك الأستاذ «ريزير» (J. E. ١٧, No. ٤٨, p. ٦A). وبهذه المناسبة يقول الأستاذ «فرمان» عن نواب «كوش» في عهد الأسرة العشرين: أما عن نواب الفرعون فإن النتيجة الرئيسية يمكن تلخيصها فيما يأتي:

(١) كان «حوري» بن «كاما» - الذي يسميه «ريزير» «حوري الأول» - يشغل هذه الوظيفة في عهد «ستنتخت». والظاهر أن: (٢) خليفته في هذا المنصب هو «حوري الثاني» كما يسميه «ريزير» وهو الذي ذكر اسمه على اللوحتين المؤرختين بالسنة الخامسة والسنة الحادية عشرة من حكم «رعمسيس الثالث». (٣) ولدنا نائب ملك

جديد يُدعى «سا إزيس» كان في عهد «رعمسيس السادس». (٤) أما نائب الملك «نوات» - وهو على ما يظهر - «ونتوات» الذي ذكره «ريزنر» فيرجع عهده إلى حكم الفرعون «رعمسيس التاسع» وكان أبوه «تاححر» كذلك نائبًا لبلاد «كوش» غير أنه لم يلحظ من قبل (Ibid ٥١ No. ٢٠). (٥) وقد ظهر النائب «رعمسيس نخت» على مدخل «معبد عمارة» ومعه طغراءات الفرعون «رعمسيس السادس»، غير أنه قد لا يكون معاصرًا له لأنه قد ظهر ثانية في عهد «رعمسيس الحادي عشر» اللهم إلا إذا كان الأخير نائبًا آخر يحمل نفس الاسم (راجع J. E. A. Vol ٢٥ p. ١٤٣).

(٥) نهاية عهد «رعمسيس الثالث»

كانت خاتمة الحروب التي خاض «رعمسيس الثالث» غمارها على الأمم المعادية لبلاده، في السنة الثانية عشرة من حكمه. وتدل كل الظواهر على أنه لم يمتشق الحسام بعدها قط، بل قضى البقية الباقية من سني حكمه في هدوء تام وسلام مستمر، والظاهر أنه كان خلال هذه الفترة التي تلت تلك الحروب الطاحنة يعمل على إسعاد شعبه، كما حدثنا عن ذلك في نقوشه وبخاصة ما جاء في ورقة «هاريس» عن أعماله السلمية، وقد كان عزمه الأكيد وغرضه الوحيد أن يسود النظام الشامل كل أنحاء المملكة، وأن توزع العدالة في أرجائها دون محاباة؛ إذ كان يرى أن أي فرد يجحد عن الحق، أو يلحق بالناس أذى أو ظلمًا لا بد أن يدفع ثمن ظلمه مهما كانت منزلته، فإذا كان من كبار الموظفين حُرْمَ وظيفته، ونُصِبَ مكانه من يعطي العدالة حقها والوظيفة احترامها ومكانتها، ولا أدل على ذلك مما فعله مع وزيره الثائر كما ذُكر من قبل. ولقد يفاخر «رعمسيس الثالث» في ورقة «هاريس» بما فعله مع رعيته من الفقراء والمساكين؛ لراحتهم وإسعادهم في المدن، كما تفعل الحكومات المتمدينة في أيامنا، وقد أنشأ المنتزهات وغرسها بالأشجار الوارفة حتى يستظل بظلالها، ويستمتع بهوائها من ليس لهم حدائق خاصة ولا ضياع مشمرة، وكذلك نراه يطلق شرطته في أنحاء المدن والقرى حتى تأمن النساء شر أولئك الأشرار الذين يتسكعون في الطرقات، ويضايقون ربات الحجال في عدوهم ورواحهن. فأصبحن

في عهده لا يجسر أحد على سبهن أو معاكستهن في الطرقات، وقد أصدر الأوامر للجنود المرتقة من الشردانا واللوبيين وغيرهم من الأجانب الذين كانت تزخر بهم البلاد أن يلزموا داخل حصونهم، وفرض العقوبات الصارمة على كل من يتعدى أوامره منهم حتى آلت الحالة إلى انعدام أية شكوى من هؤلاء الجنود غلاظ القلوب، الذين استوطنوا البلاد منذ زمن يرجع إلى ما قبل عهد «رعمسيس الثاني».

وتدل النقوش على أن هؤلاء الجنود كان لهم مدن خاصة لسكناهم، هذا ويقول لنا «رعمسيس» في هذه المناسبة نفسها: ولقد حفظت كل سكان البلاد أحياء يُرزقون، سواء أكانوا أجانب أم من عامة الشعب أم من أهل المدن ذكوراً أم إناثاً، وخلصت الرجل من مصيبتة، ومنحته الحياة، وخلصته من الغاشم الذي اضطهده، وضمنت لكل الناس سلامة في مدعهم.

(راجع ه/٧٨، ٧٩-١ ... الخ).

حقاً إن هذا الوصف مبالغ فيه، ولكن هذه نعمة نعرفها في ملوك مصر وحكامها عندما يريدون أن يتحدثوا عن أنفسهم، وما فُطروا عليه من حب العدالة والإحسان إلى الناس الذين يقومون عليهم، غير أن شواهد الأحوال في عهد «رعمسيس الثالث» وبخاصة ما كانت عليه البلاد قبله من فوضى وسوء نظام تجعلنا لا نكذب كل ما قاله، وعلى أية حال لم يكن الفرعون على ما يظهر في حالة يُحسد عليها كما سنرى بعد.

(١-٥) الاحتفال بالعيد الثلاثين

وقد كان آخر مظهر من مظاهر الفرح والسرور الذي تمتع به «رعمسيس الثالث» قبل وفاته هو الاحتفال بعيد الثلاثيني، وقد أرسل وزيره «تا» في السنة التاسعة والعشرين من حكمه ليقوم بمهام هذا العيد، وعمل اللازم للاحتفال به، ويُحتمل أنه أقيم في نفس هذا العام، وفي هذه الحالة يكون «رعمسيس» قد نُصب ولياً للعهد قبل موت والده «ستخت»، وهذا يتفق مع التاريخ الوحيد الذي نعرفه عن عهد «ستخت». وإذا كان

هذا الزعم صحيحًا فلا بد أن الوزير «تا» قد ترك عاصمة الملك «قنتير»، وذهب جنوبًا ليقوم بالاستعدادات كما يدل على ذلك الفقرة التالية من ورقة «تورين»: (٢٤٠)

السنة التاسعة والعشرون، الشهر «الأول» من الفصل الثالث، اليوم الثامن والعشرون، ألقع الوزير بعد أن كان قد حضر ليأخذ آلهة الجنوب للعيد الثلاثيني «سد».

وقد ذكر لنا الكاهن الأكبر للإله «نخت» بمدينة «الكاب» المسمى «ستاو» على جدران قبره زيارة الوزير - بوصفها إحدى الحوادث الهامة في حياته - بمناسبة رحلة الوزير جنوبًا، وزيارته له في أثناء هذه الرحلة. (٢٤١)

وهاك النص:

السنة التاسعة والعشرون، في عهد جلالة الملك «رعمسيس الثالث» أول احتفال بالعيد الثلاثيني. لقد أمر جلالته بتكليف عمدة المدينة الوزير «تا» ليقوم بتنفيذ التعليمات العادية في بيوت العيد الثلاثيني ليذهب إلى بيت «رعمسيس» محبوب «آمون» (رعمسيس الثاني) الإله الطيب.

استقبال مقدمة السفينة الخاصة باليد المقدسة (كاهنة كبيرة للإله «آمون») عندما كان في المدينة الجنوبية (طيبة). والعبرة الأخيرة مرتبكة وغامضة Br. A. R. IV & ١٥ d ٤١٥ Note .,

(٢-٥) المؤامرة التي دُبرت داخل القهر لقتل «رعمسيس الثالث»

وتدل الأحوال على أن آخر عهد «رعمسيس الثالث» بمظاهر السرور كان في عيده الثلاثيني الذي تحدثنا عنه الآن. وتشعر الحوادث التي وقعت وقتئذ أنه لم ينل من السعادة القسط الذي كان يسعى لإغداقه على شعبه؛ لأننا نرى من جهة إضراب العمال يعكر صفو الأمن، كما كانت المؤامرات في قصره تُحاك له من وراء ستار لما كان بين نسائه من تحاسد وتباغض مما عكر صفو شيخوخته الفانية. فانقلبت أيامه الأخيرة المعدودات

بؤساً وجحيماً، فدفع ثمن تلك الأيام الحلوة التي كان ينعم بها في قصره بين العيد الحسان في متنزهه الذي أقامه هن في مدينة «هابو». وتحدثنا وثيقة من الوثائق التي أبقى لنا الدهر منها على صورة مبتورة بعض الشيء أن إحدى هؤلاء النسوة اللائي كن من الممتنعات بعطفه وحبه على ما يظهر - وإن لم تكن زوجته الرسمية - قد أخذت تسعى في أن يكون الملك لابنها وزينت لابنها سوء عملها، فاندفع وراء إغرائها، وقام بالمؤامرة على قتل والده حتى يخلو له الجو ويتربع على عرش الكنانة، وساعده على ذلك نفر قليل، غير أن المؤامرة أجبطل وانكشف سرها، ونجا الفرعون بعد أن كان على وشك لقاء حتفه على يد ابنه وعصابته.

والوثائق التي لدينا عن هذه المؤامرة - على الرغم من أنها ممزقة - تضع أمامنا لوحة عابرة عن الدسائس والمؤامرات التي كانت تُحك في قصر الملوك منذ ما يقرب من اثنين وثلاثين قرناً مضت من الزمان. وهذا أمر من الأهمية بمكان؛ لأننا لم نعتد أن نرى عن هؤلاء الملوك إلا المسرح الذي تمثل فيه حياة الفرعون والاحتفالات الرسمية المحملة التي كان يحتفل بها لابن «رع» منذ ولادته حتى يطير إلى السماء، وهناك ينضم إلى والده.

وليس لدينا في التاريخ المصري في الواقع إلا إشارات عابرة عن أمثال هذه المؤامرات وبخاصة تلك التي جيك في قصر أحد ملوك الأسرة السادسة، وكان القاضي فيها هو القائد «ويني» (راجع مصر القديمة ج ١). هذا بالإضافة إلى المؤامرة التي دبرها حرس «امنمحات» لقتله (راجع الأدب المصري القديم ج ١) - وقد اعتبرها البعض خرافة.

وقد تضاربت الأقوال في صحة هذه المؤامرة، وجاء هذا التضارب من اختلاف وجهات النظر في ترجمة متن القصة الذي وصل إلينا في قطعتين من البردي، وكانتا إصمامة واحدة - على ما يظهر - وتُدعى الأولى «الورقة القضائية» وهي محفوظة في «متحف تورين»، والثانية تُدعى «ورقة تي» «ورقة رولن».

وقد بقيت الترجمة التي وضعها الأستاذ «برستد» الترجمة المعتمدة حتى عهد قريب

(راجع Br. A. R. IV, ٤٢٣ ff. ثم كتب «ستروف Struve») عن ورقة «هاريس» الكبرى.^(٢٤٢) وأراد أن يظهر أنها كُتبت في عهد «رعمسيس الرابع» لا في عهد والده «رعمسيس الثالث»، وأنها كُتبت لمصلحة الأول، وأن «رعمسيس الثالث» يخاطب الآلهة والناس من قبله لفائدة ما لا بوصفه واضع هذه الورقة، ولذلك عدَّ «ستروف» أن هذه القصة التي نحن بصدددها الآن حديث خرافة، اعتماداً على ما جاء في ترجمة «برستد»؛ إذ قد لاحظ فعلاً أن وثيقة «لي» التي لها علاقة بهذه المؤامرة نفسها مثلها مثل الورقة المسماة «الورقة القضائية» التي تشير إلى «رعمسيس الثالث» بوصفه ملكاً متوفى، إذ يُدعى فيها «الإله العظيم» وهو نعت لا يُعطاه قط ملك عائش في هذا الوقت، وكذلك رأى «برستد» في الصفحتين الثانية والثالثة من الورقة القضائية تنبؤاً بأن الفرعون لم يكن يأمل أن يرى المحكمة التي كانت تجري مع المتآمرين، فيقول «برستد» في هذا الصدد: يظهر تقريباً أنه أحس أن أيامه كانت معدودة عندما أعطى التعليمات لمحكمة المتآمرين ... على أن المؤامرة كادت تفلح في تنفيذها لدرجة أن الفرعون قد لحقه بعض الأذى، وأنه عاش بعد الإصابات التي لحقته إلى أن وجه التحقيق مع القتلة، إلا أن ذلك غير محتمل، بسبب إشارة جاءت في الوثيقة بأن «رع» لم يسمح بنجاح هذه الخطة المعادية، ولكن يمكن أن نفهم بسهولة أنها قد عجلت نهاية الملك المسن حتى لو كان قد نجا سالمًا، ولا نزاع في أن اعتراض «برستد» ليس من القوة بمكان. حقًا إن هذه العبارة تدل على أن المؤامرة لم تفلح في النهاية، ومع ذلك فلو نجح المتآمرون وجرح الملك أو قُتل، لما كان تنويع «بنتاور» واستحواذ أنصاره على السلطة أمرًا ممكنًا، وقد خطا «ستروف» في مقاله السالف خطوة أخرى لم يكن «برستد» على استعداد للخوض فيها، إذ أعلن أن الموقف كله الذي تنبأت به هذه الصفحات ما هو إلا من نسج الخيال، إذ يقول: والواقع أن «رعمسيس الرابع» قد أمر بتأليف المحكمة، ولكن كان له في ذلك فكرة ماهرة لجعل كل الموضوع يصدر عن والده المتوفى. وعلى ذلك تكون سلطة الملك المتوفى هي التي أوحى بذلك مساعدة لابنه العائش، وبهذه الطريقة أفلت «رعمسيس الرابع» من المقت والكراهية التي قد تنجم عن بداية حكمه بمثل هذه القصة الدامية.

وقد قابل المؤرخون رأي «ستروف» باستحسان عظيم، فمثلاً نجد «إدورد مير» يقتبس من مقاله باستحسان^(٢٤٣) لا حد له، ولا بد من الاعتراف بأن «ستروف» قد كسب القضية بحق على شرط أن تكون ترجمته التي استنبط منها رأيه صحيحة، وهي في الواقع لا تخرج عن ترجمة الأستاذ «برستد».

غير أن الأستاذ «دي بك» قد تناول ترجمة الورقة القضائية من جديد، ووجد أن الترجمة التي اعتمد عليها «ستروف» في استنباطاته خاطئة في كثير من النقط وبخاصة في النقط الهامة في موضوعنا، مما جعله يضع ترجمة جديدة لهذه الورقة، واستنبط الحوادث التاريخية الصحيحة منها. (٢٤٤)

وقبل أن نبدأ ترجمة هذه الورقة يجدر بنا أن نعطي ملخصاً لها حتى يمكننا أن نتبع الترجمة على الوضع الصحيح كما وضعها «ديك».

تآمرت إحدى زوجات الفرعون «رع ميسيس الثالث» للقضاء على حياة ذلك الملك المسن لتولي مكانه على عرش الملك ابنها «بنتاور»، وقد كان رئيس الحجرة المسمى «بييككامن»، وساقى الملك المسمى «مسد-سورع» هما المشتركان الأساسيان معها، وقد استحوذ أولهما من المشرف على ماشية الفرعون المسمى «نبجو ابن» على عدد من التماثيل السحرية التي تمثل صور آلهة ورجال. وكان يعتقد في مفعولها السحري، وأنها تضعف أو تشل أعضاء الناس وقد قدم شخصان آخران تماثيل أخرى مثل السابقة، وهربت إلى داخل الخدور الملكية، ويمثل هذه الأشياء ظن المتآمرون أنه سيكون في يدهم قوة يستطيعون بها أن يشلوا قوة الحرس الملكي أو تفاديهم على الأقل، وقد كان الخوف منهم أن يكشفوا المؤامرة، وبذلك يعرضونهم للموت المحتم.

وقد استطاع كل من «بييككامن» و«مسد-سورع» أن يحصلوا على معاونة عشرة من موظفي الحرم يشغلون وظائف متنوعة، منهم أربعة سقاة ملكيين، ومشرف على الخزانة يُدعى «اب رع» وضابط مرماة نوبي يُدعى «بنموسي» الذي كان قد طُبع على قلبه بتأثير أخت له في الحرم الملكي، هذا إلى «بييس» وهو قائد جيش، وثلاثة كتبة ملكيين يشغلون

وظائف متنوعة. ثم مساعد «بيبككامن» وغير هؤلاء من صغار الموظفين. وكما كان معظم هؤلاء في خدمة الفرعون الشخصية فإن المؤامرة كما هو واضح كانت غاية في الخطورة، وقد حصل المتآمرون على مساعدة ست من نساء ضباط بوابة قصر الحريم لضمان توصيل المراسلات. أما خارج القصر فكان للمتآمرين أقرباء مشتركون في المؤامرة لم يذكروا بالاسم. وقد أرسلت أخت «بنموسي» له خطابًا يحض الأهلين على عصيان الفرعون، وقد كانت كل الخطابات التي خرجت من الحريم ترمي إلى هذا الغرض. ولا نزاع في أن المقصود من ذلك هو أن تقوم ثورة خارج القصر، في نفس الوقت الذي يضربون فيه ضربتهم لقلب العرش في داخل الحريم. والواقع أنه لم يأت ذكر القضاء على الفرعون في المخاطبات التي خرجت من القصر، ولكن ذلك كان أمرًا بدهيًا لا يحتاج إلى ذكر أو إيضاح. وقبل أن تُنفذ المؤامرة تمامًا كشف أمر المتآمرين بطريقة ما وحصل على براهين قاطعة عن الجريمة التي أرادوا تنفيذها. وقد أمر الفرعون بمحاكمتهم غير أنه مات قبل انتهاء المحاكمة، والظاهر أنه كان يشعر بدنو أجله عندما أصدر التعليمات لمحاكمة المتآمرين؛ وذلك لأنه عند الانتهاء من تأليف أعضاء المحكمة الخاصة التي ستحاكم المجرمين استعمل العبارات التالية: استمروا في محاكمتهم ... الخ، في حين أُنِي محمي ومحفوظ سرمديًا عندما أكون بين الملوك العاديين، الذين أمام «آمون رع» ... وأمام «أوزير» حاكم الأبدية (عالم الآخرة) - أي عندما أكون بين آبائي المتوفين.

ولا نزاع في أن المتآمرين قد أفلحوا في مؤامرتهم لدرجة أنهم قد جرحوا الفرعون، وأنه عاش بعد ذلك إلى أن وجه أمر محاكمة الذين أرادوا قتله غيلة.

وقد تلقت المحكمة المكلفة بمقاضاة المتآمرين تعليماتها من الفرعون مباشرة، ولم تكن قد أعطيت الحرية المطلقة في النطق بالحكم وحسب، بل كان كذلك في يدها القوة النهائية في تنفيذ العقاب الذي يصدره أعضاؤها، ٢٤٥ وقد كان ذلك - في غير هذه الحالة - في يد الفرعون وحده بعد انتهاء المحاكمة. وقد حث «رعمسيس الثالث» في الوقت نفسه القضاة على أن يكونوا متأكدين من ارتكاب الجريمة باتباع الطريقة التي يُسار

عليها في أية قضية، وألا يعاقبوا قط غير المذنب.

والحكمة التي ألفت كان في يدها السلطة المعتادة، وكانت مؤلفة من أربعة عشر موظفًا، وهم: اثنان يحملان لقب «المشرف على الخزانة»، واثنان من حاملي الأعلام للجيش، وسبعة من «سقا الفرعون»، و«حاجب ملكي»، وكاتبان. وقد كان من بينهم نوبي وآخر من أهالي «ليسيا» وثالث سوري يُسمى «ماهر بعل»، وكذلك كان فيهم أجنبي لا تُعرف جنسيته يُدعى «قد نونا». ومن تأليف أعضاء هذه المحاكمة يظهر لنا سوء الأحوال في بلاط «رعمسيس الثالث»، فقد كان الفرعون لا يعتمد في بلاطه إلا على سقا ومديرين لبيتته من الأجانب الذين اشترى بطبيعة الحال إخلاصهم، غير واثق فيمن حوله من أبناء الكنانة، وقد ظهرت رخاوة أخلاقهم وتذبذبها من جهة، وخطورة شدة مقاومة المتآمرين من جهة أخرى. نلاحظ ذلك من أن اثنين من القضاة وهما الساقى «بيس» والكاتب «ماي» - وذلك بعد تعيينهما - ومعهما ضابطان آخران، كان المجرمون في حراستهما قد استقبلوا في منازلهم بعض النساء المتآمرات والقائد «بيس» وعاقروا بنت الحان سويًا، وهذان القاضيان، وكذلك الضابطان ومعهم قاضٍ آخر، وحاملو العلم قد قبض عليهم للمحاكمة لما ارتكبوه من سوء تصرف، وحُكم على الأربعة الأول بجدع أنوفهم وقطع آذانهم، ولكن عند تنفيذ الحكم انتحر «بيس» وقد وُجد «حوري» بريئًا. أما مصير الملكة «تي» فلا يُعلم عنه شيء؛ لأن الوثائق المحفوظة لم تحتو على موضوع محاكمتها. وقد حفظت لنا سجلات أربعة محاكمات مختلفة، ولم يكن كل القضاة حاضرين في هذه المحاكمات الأربع، وقد قام ستة منهم بالمحاكمة الأولى، وأدانوا واحدًا وعشرين شخصًا، ومن بينهم رؤساء المؤامرة «بيسكامن» و«مست-سورع» و«بنموسي Binemwese» ضابط الرماة في بلاد النوبة و«بارع» المشرف على الخزانة، هذا خلافًا لزوجات ضباط بوابة الحرم الست، ولم تُعين العقوبة التي وقعت عليهن غير أنها كانت على وجه التحقيق الموت. أما المحاكمة الثانية التي لم يُسمَّ قضاؤها فكانت نتيجتها إدانة ستة أشخاص من بينهم «بيس» قائد الجيش، وقد سمح لهم أن ينتحروا أمام المحكمة. وقد قام بمحاكمة الطائفة ثلاثة من سقا الفرعون، وكانت تتألف من أربعة من

المتآمرين من بينهم الأمير الصغير المجرم المسمى «بنتاور». وقد وُجد أن الأربعة مدانون، وُسِّحَ لهم أن يقضوا على حياتهم بأنفسهم. وبهذه المحاكمات الثلاث تنتهي القضايا الهامة في هذه المؤامرة، أما المحاكمة الرابعة فكانت خاصة بأولئك القضاة الذين أساءوا استعمال سلطتهم، وكذلك حُوكِمَ معهم صاحباهم.

... هذا هو ملخص هذه المؤامرة. وتدل شواهد الأحوال على أن بعض أسماء الذين اشتركوا في هذه المؤامرة كانت أسماء مخترعة تدل على قبح جرماتهم؛ فمثلاً اسم «مسد-سو-رع» يعني «رع يمثته»، واسم «بنموسي» يعني «الشقي في طيبة». ولكن اسم «بنتاور» ليس اسماً مستعاراً لابن الملك بل هو اسمه الحقيقي كما يقول «دي بك»، وأن عبارة «الاسم الآخر» التي يُشار إليها في القضية ربما تشير للقلب الملكي الذي كان قد منحه إياه المتآمرون عندما أعلنوه ملكاً على البلاد.

والوثيقتان اللتان سنضع هنا ترجمتهما سنجد في أولاهما وهي «ورقة تورين» أن البراهين حُذفت، وبذلك لا تُعد سجلاً كاملاً للمحاكمات، بل تكون فقط خلاصة تُوضع في ملفات السجلات الملكية. أما الوثيقة الثانية - وهي التي تتألف من ورقتي «لي» و«رولن» فأقل بكثير من السالفة في منظرها الخارجي إلا أنها أتم منها، ومن المحتمل أنها كانت تُؤلف جزءاً من الوثيقة التي دون فيها الكاتب المحاكمة.

(أ) ترجمة ورقة «تورين»

الصفحة الأولى ممزقة، ولم يبقَ منها إلا كلمات متناثرة، ومن المحتمل جداً أن الجزء الممزق كان يحتوي على بعض كلمات كالتي نجدُها في «ورقة هاريس» الأولى (ص ٣ س ٢، ٤٤ س ٢، ٥٧ س ٢، ٧٥ س ١). ومن المحتمل جداً أن هذا كان هو محتويات الصفحة الأولى من الورقة.

وعلى أية حال فإنه من المستحيل أن يحدس الإنسان - من البقايا الضئيلة - ما كانت تحتويه هذه الصفحة على وجه التأكيد. ومن الجائز أن الملك قد أعطى هنا ملخصاً

مختصرًا عن أعماله الخيرية لصالح الآلهة والناس - أي أعطى هنا مضمون ورقة «هاريس» الأولى في كلمة - وذلك بمثابة مقدمة لموضع هذه الورقة، وهو أقل جاذبية من الجزء الثاني منها، إذ يُعد في الواقع الإجراءات الصارمة التي اتخذها ضد الموظفين المنكرين للجميل، الذين تأمروا على حياته.

صفحة ١

(الملك «وسرماعت رع مري» آمون له الحياة والفلاح والصحة ابن «رع»:
 رعمسيس) حاكم هليوبوليس (له الحياة والفلاح والصحة قال) ... (٢) ...
 الأرض ... (٣) ... كل الأرض ... (٤) ... ماشيتهم ...
 (٥) ... ليحضرهم ... (٦) ... كل ... أمامهم ... (٧)
 ... ال ... (٨) ... الناس قائلين ... (٩) ... وكانوا (صفحة
 ٢ سطر ١) لعنة الأرض.

صفحة ٢

وقد كلفت المشرف على الخزانة (المسمى) «منتومتاوي»، والمشرف على الخزانة
 «بفروى Pefrowe»، وحامل العلم «كارا» والساقى «بايبيسي»، والساقى «قدندنا»،
 والساقى «بعل ماهر» (٣) والساقى «بيرسوني»، والساقى «تحت رخ نفر»، ومساعد
 الفرعون «بنرنوتي»، والكاتب «ماي»، وكاتب السجلات «برع محاب»، وحامل العلم
 للمشاة «حوري» (٥) قائلًا: أما عن الأمور التي تأمر عليها الناس - ولا أعلم من هم -
 فاذهبوا وافحصوها (٦)؛ وقد ذهبوا وفحصوها، وقد جعلوا من أرادوا أن يموتوا أن
 ينتحروا على الرغم من أني لم أعرف من هم، وكذلك عاقبوا الآخرين على الرغم من أني لم
 أعرف من هم (٨) ولكني كلفتهم قائلًا بشدة: خذوا حذرکم، واعتنوا لئلا تجعلوا بعض
 الناس يُعاقب خطأ على يد موظف ليس مسيطرًا عليهم، وهكذا تحدثت إليهم المرة بعد
 المرة.

أما عن كل ما قد حدث فإنهم هم الذين اقترفوه (٢) وليت (المسئولية عن) كل ما فعلوه تقع على رؤسهم (٣) في حين أني مقدس ومعافى أبدئاً، وفي حين أكون (٤) بين الملوك العدول الذين أمام «آمون رع» ملك الآلهة، وأمام «أوزير» حاكم السرمدية.

قائمة المتهمين الأولى

(١) الأشخاص الذين أحضروا هنا بسبب الجرائم الكبرى التي ارتكبوها، ووضعوها في ساحة المحاكمة أمام الموظفين العظام الخاصين بساحة المحاكمة ليحاكموا على يد المشرف على الخزانة «منتومتاوي»، والمشرف على الخزانة «بفروى» وحامل العلم «كارا» والساقي «بابييسي» وكاتب السجلات «ماي» وحامل العلم «حوري»، وقد قاضوهم فوجدوا أنهم مذنبون، وجعلوا عقابهم يُوقع عليهم، وقد قبضت عليهم جرائمهم. (٢) والمجرم الأول هو «بييككامن» الذي كان وقتئذ رئيس الحجرة، وقد أحضر (أي أنهم) لأنه كان متآمراً مع «تي» ونساء الحرم، وقد تحالف معهن، وقد أخذ في إذاعة كلماتهن لأمهاتهن وإخوتهن اللاتي كن هناك قائلات: هيجوا الشعب، حرضوا على العداء لشباب فتنة على سيدهن! وقد وُضع أمام الموظفين الخاصين بساحة المحاكمة، وفحصوا جرائمهم، ووجدوا أنه قد ارتكبها، وجعلوا عقابه يُوقع عليه.

(٤) والمذنب الكبير «بنوك» الذي كان وقتئذ رئيس الحرم في الحاشية قد أحضر لأنه تآمر مع «بييككامن» ليقوم بثورة على سيده، فوُضع أمام الموظفين العظام الخاصين بقاعة المحاكمة، وفحصوا جرائمهم فوجدوه مذنباً، وجعلوا عقابه يُوقع عليه.

(٥) والمذنب الكبير «بندوا» الذي كان وقتئذ كاتب الحرم الملكي في الحاشية قد أحضر لأنه تآمر مع «بييككامن» و«مسد-سو-رع»، وهذا المجرم الآخر - ربما يقصد

«بنوك» - الذي كان وقتئذ مشرفاً على الحرم الملكي، وكذلك مع نسوة الحرم للقيام بمؤامرة معهن لإثارة العصيان على سيدهم. وقد وُضع أمام موظفي قاعة المحاكمة، وقد فحصوا جرائمه فوجدوا أنه مذنب، وجعلوا عقابه يُوقع عليه.

(٦) المجرم الكبير «بتونت آمون» الذي كان وقتئذ مفتش حريم في الحاشية، وقد أُحضر لأنه سمع الأمور التي تآمر عليها الرجال مع نساء الحرم ولم يبلغها، وقد وُضع أمام الموظفين العظام الخاصين بقاعة المحاكمة، وفحصوا جرائمه، ووجدوه مذنباً، وأمروا بتوقيع عقابه عليه.

(٧) المجرم الكبير «كربس» الذي كان وقتئذ مفتشاً للحريم في الحاشية، وقد أُحضر بسبب الأمور التي سمعها، ولكنه أخفاها، وقد وُضع أمام موظفي قاعة المحاكمة، فوجدوه مذنباً، وأمروا بتوقيع عقابه عليه.

(٨) المجرم الكبير «خعموي» وقد كان وقتئذ مفتش حريم في الحاشية، وقد أُحضر بسبب الأمور التي سمعها، ولكنه أخفاها، وقد أُحضر أمام موظفي قاعة المحاكمة، وقد وجدوه مذنباً فأُمرُوا بأن يُوقع العقاب عليه.

(٩) المجرم الكبير «خعممال» الذي كان وقتئذ مفتش حريم في الحاشية، وقد أُحضر بسبب الأمور التي سمعها وأخفاها، وقد وُضع أمام موظفي قاعة المحاكمة ووُجد مذنباً، وقد أُمرُوا بأن يُوقع عليه العقاب.

(١٠) المجرم الكبير «سيتوي امبرتحتوي» الذي كان وقتئذ مفتش حريم في الحاشية، وقد أُحضر بسبب الأشياء التي كان قد سمعها ولكنه أخفاها، وقد وُضع أمام موظفي قاعة المحاكمة فوجدوه مذنباً، وأمروا بأن يُوقع عقابه عليه.

(١١) المجرم الكبير «ستيو يمر آمون» الذي كان وقتئذ مفتش حريم في الحاشية وقد أُحضر بسبب الأمور التي كان قد سمعها، ولكنه أخفاها، وقد وُضع أمام موظفي قاعة المحاكمة فوجدوه مذنباً، وأمروا بأن يُوقع العقاب عليه.

(١٢) الجرم الكبير «ورن» الذي كان وقتئذ ساقياً، وقد أُحضر بسبب أنه قد سمع أموراً من رئيس الحجرة الذي كان معه، ولكنه أخفاها، ولم يبلغ عنها.

(١٣) الجرم الكبير «عشا حبسد» الذي كان وقتئذ الساعد «بييككامن» وقد أُحضر بسبب أنه سمع الوقائع من «بييككامن» الذي تأمر معه، ولكنه لم يبلغ عنها، وقد وُضع أمام موظفي قاعة المحاكمة فوجدوه مذنباً، وقد جعلوا عقابه يلحق به.

(١٤) الجرم الكبير «بلوكا» (من بلاد لوكا أي «ليسيا») الذي كان وقتئذ ساقياً وكتائباً للخزانة، وقد أُحضر بسبب أنه يتآمر مع «بييككامن»، وكان قد سمع الوقائع منه ولكنه لم يبلغ عنها، وقد وُضع أمام موظفي قاعة المحاكمة، فوجدوه مذنباً، وجعلوا عقابه يلحق به.

(١٥) الجرم الكبير «أيني» الذي كان وقتئذ ساقياً، وقد أُحضر بسبب تأمره مع «بييككامن» وكان قد سمع الأمور الجارية منهم ولكنه لم يبلغها، وقد وُضع أمام موظفي قاعة المحاكمة فوجدوه مذنباً، وجعلوا عقابه يلحق به.

صفحة ٥

(١) نساء رجال بوابة الحرم اللاتي اتحدن مع الرجال الذين دبروا المؤامرة وهن اللاتي وُضعن أمام موظفي قاعة المحاكمة، وقد وُجدن مذنبات، وجُعل عقابهن يلحق بهن. (٦ نساء).

(٢) الجرم الكبير «باي إري» ابن «روما» الذي كان وقتئذ مشرفاً على الخزانة، وقد أُحضر لأنه كان متآمراً مع الجرم الكبير «بنحو ييوين»، وقد تحالف معه ليشير العداء، وليقوم بثورة على سيده. وقد وُضع أمام موظفي قاعة المحاكمة فوجدوه مذنباً وجعلوا عقابه يلحق به.

(٣) الجرم الكبير «بنمواست» الذي كان وقتئذ ضابط رماة بلاد النوبة، وقد

أُحضِرَ لأن أخته كانت في الحرم في الحاشية، وقد كتبت له قائلة: حرض الناس، أنْزُ البغضاء وُعِدْ لتقوم بثورة على سيدك. وقد وُضع أمام «قدندنا» و«بعل ماهار» و«برسوني» و«تخوت رخ نفر»، فحققوا معه ووجدوه مذنبًا، وجعلوا عقابه يلحق به.

قائمة المذنبين الثانية

(٤) الأشخاص الذين أُحضروا بسبب جرائمهم؛ لأنهم كانوا متآمرين مع «بييكامن» و«باييسي» و«بتاور»، وقد وُضعوا أمام موظفي قاعة المحاكمة للتحقيق معهم، فوجدوهم مذنبين، وقد تركوهم لأنفسهم في قاعة التحقيق، فقبضوا على حياة أنفسهم - انتحروا - ولم يُوقع بهم أي ضرر.

(٥) المجرم الكبير «بايس» الذي كان وقتئذ قائدًا للجيش، والمجرم الكبير «مسوى» الذي كان وقتئذ كاتب الجامعة، والمجرم الكبير «برع كامنف» الذي كان وقتئذ ساحرًا، والمجرم الكبير «إروى» الذي كان وقتئذ المشرف على كهنة «سخمت»، والمجرم الكبير «نب زفا» الذي كان وقتئذ ساقيًا، والمجرم الكبير «سعد مازسر» الذي كان وقتئذ كاتب الجامعة. المجموع ستة.

قائمة المتهمين الثالثة

(٦) الأشخاص الذين أُحضروا بسبب جرائمهم إلى قاعة المحاكمة أمام «قدندنا» و«بعل ماهار» و«بيرسوني» و«تخوتي رخ نفر» و«مرتو سيامون»، وقد حُقق معهم بخصوص جرائمهم، ووجدوهم مذنبين، وتركوهم حيث كانوا، فقبضوا على حياتهم بأنفسهم - انتحروا.

(٧) أما «بتاور» الذي كان قد أُعطى ذلك الاسم الآخر (أي لقب الملك) فقد أُحضِرَ؛ لأنه كان متآمرًا مع «تي» والدته عندما دبرت المؤامرة مع نساء الحرم بخصوص إثارة فتنة على سيده، وقد وُضع أمام السقاة ليُحقق معه ووجدوه مذنبًا، وتركوه حيث

كان فقبض على حياة نفسه - انتحر .

(٨) المذنب الكبير «هنوتن آمون» وقد كان وقتئذ ساقياً، وقد أُحضر بسبب جرائم نساء الحرم اللائي كان بينهن، وقد سمعن ولكن لم يبلغ عنهن. وقد وضعوه أمام السقاة للتحقيق معه فوجدوه مذنباً، وقد تركوه حيث كان، وقد قبض على حياة نفسه - انتحر .

(٩) المجرم الكبير «آمون خعو» الذي كان وقتئذ نائب الحرم في الحاشية، وقد أُحضر بسبب جرائم نساء الحرم اللائي كان بينهن، وهن اللائي كان قد سمعن ولكن لم يبلغ عنهن، وقد وُضع أمام السقاة للتحقيق معه، وقد وجدوه مذنباً، فتركوه حيث كان، فقبض على حياته بنفسه - انتحر .

(١٠) المجرم الكبير «بيثري» الذي كان وقتئذ كاتب الحرم الملكي في الحاشية، وقد أُحضر بسبب جرائم نساء الحرم اللائي كان بينهن، وقد سمعن ولكن لم يبلغ عنهن. وقد وُضع أمام السقاة للتحقيق معه، وقد وجدوه مذنباً فتركوه حيث كان، وقبض على حياة نفسه - انتحر .

صفحة ٦

القائمة الرابعة بأسماء المتهمين

(١) الأشخاص الذين عُوقبوا بجدع أنوفهم، وقطع آذانهم؛ لأنهم نبذوا التعليمات الطبية التي أعطوها، والنساء قد ذهن، وقد وصلن إليهم عند المكان الذي كانوا فيه، وقد سكروا معهن ومع «باييس» وقد استولت عليهم جرماتهم.

(٢) المجرم الكبير «باييسي»^(٢٤٦) الذي كان وقتئذ ساقياً، وهذا العقاب قد نُفذ فيه؛ إذ تُرك منفرداً وقبض على حياة نفسه.

(٣) المجرم الكبير «ماي» الذي كان وقتئذ كاتب سجلات.

(٤) المجرم الكبير «تاي نخت» الذي كان وقتئذ ضابطاً في المشاة.

(٥) المجرم الكبير «ناني» الذي كان وقتئذ ضابط الشرطة.

القائمة الخامسة بأسماء المتهمين

(٦) شخص كان متصلاً بهم. لقد وُبح بشدة بكلمات سيئة، وقد ترك وحده ولم يلحق به أي أذى.

(٧) المجرم الكبير «حوري» الذي كان وقتئذ حامل العلم للمشاة.

وقبل أن نترجم الجزء السحري الخاص بهذه القصة يجب أن نقف لحظة وننظر بعين فاحصة إلى محتويات هذه الوثيقة؛ لنصل إلى مقدار التأثير الذي أحدثته هذه الترجمة الجديدة في معنى هذه القصة. فالنقطة الجديدة المستحدثة هي - بطبيعة الحال - أن الاسم المتفق عليه لهذه البردية وهو «الورقة القضائية» يظهر أنه اسم خاطئ؛ إذ ليست هذه الورقة وثيقة قضائية قط، بل قصة، كما تدل الترجمة السابقة. وهي تحدثنا عن قصة واضحة متماسكة الأطراف، ومحتوياتها يمكن تلخيصها في كلمات قليلة وهي:

إن الملك المتوفى يقدم لنا بياناً عن تصرفاته مع المشتركين في المؤامرة؛ فيخبرنا كيف أنه كلف المحكمة التي أُلْفها للتحقيق معهم، وهو في ذلك يشدد تشديداً كبيراً على القضاة بأنه ليس مسئولاً عن العقاب الذي سيوقع؛ إذ إنه قد كلفهم - بكل ما أوتي من قوة - أن يكونوا يقظين ملفتين في أحكامهم؛ لأنهم سيكونون هم المسئولين - لا هو - عن أي غلطة يرتكبونها في أحكامهم.

والآن يتساءل الإنسان: هل هذه القصة تطابق الواقع، أو أنها من نسج الخيال؟ إن اتجاه محتويات الورقة يوحى بأن «رعمسيس الثالث» قد مات نتيجة مؤامرة، أو أنه كان ينتظر أن يموت في القريب العاجل عندما وقعت الواقعة. ولكن هل عاش مدة كافية ليعين المحكمة كما يقول هو إنه قد عين أعضائها؟ أو أن ذلك مجرد اختراع؟ والواقع أنه

ليس هناك ما يدعو لفرض عدم وقوع هذه القصة، وليس هناك شيء مستحيل، أو خارج عن المنطق السليم في الموقف كما تكشف عنه الورقة لأي عقل بعيد عن التحيز، وأنه قد يكون من الصعب، بل ربما من المستحيل إقناع إنسان ما عقد عزمًا على أن يكون متشككًا مهما كلفه ذلك، ولكن رجحان البراهين سيقع على عاتق هؤلاء الذين لا يرون بديلاً من الأخذ بالرأي القائل إنها كلها وهم اخترعه «رعمسيس الرابع». حقًا قد يكون هذا الملك في شدة الفرح بأن تكون محكمة المتآمرين قد أمر بها والده، وأن أمر عقابهم لم يكن من أعماله حتى يستطيع أن يبدأ حكمه طاهر اليدين. وعلى ذلك قد يكون من الجائز أنه عن «لرعمسيس الثالث» بعض الأسباب السياسية جعلت من المرغوب فيه ومن الحكمة أيضًا أن يدون سير هذه القضية. وعلى أية حال فإنه من الجائز كذلك ألا يكون للوثيقة غرض سياسي قط، وأنها كُتبت لتكون تبرة «لرعمسيس الثالث» أمام المجلس الإلهي حتى يمكنه أن يظهر هناك بضمير نقي. وعلى ذلك يكون واثقًا من أنه سيكون أحد الملوك المبرزين أمام «آمون رع» و«أوزير» في عالم الآخرة. وفي الحق كان كل من «رعمسيس الثالث» وابنه «رعمسيس الرابع» متدينًا جدًا، وفهم هذه الورقة على هذه الطريقة يتفق تمامًا مع ما يمكن أن نتصوره عن عقلهما وعن تفكيرهما النفسي.

وأخيرًا يمكن الإنسان أن يتساءل عن الضوء الذي تلقى هذه النتيجة على مسألة ورقة «هاريس» العظيمة المتصلة بوثيقتنا، وفي الحق يجب أن يغير رأي «ستروف» الذي كُون عن هذه الورقة؛ إذ من المحتمل أن ورقة «هاريس» الكبرى لم تكن خرافة أملاها حب النفس، أو اخترعها «رعمسيس الرابع»؛ لأنه من الجائز أن تكون الصلوات البارزة الجليلة التي دُفنت في هذه الورقة لفائدة هذا الملك تعبيرًا حقيقيًا صدر عن رغبة الوالد وحبه لابنه. هذا إلى أن البيانات الطويلة المفصلة التي ذكرها «رعمسيس الثالث» عن إنعاماته للآلهة يظهر أنها تبرهن على أن هذا الكتاب كان الغرض الأول منه الحصول على حظوة الآلهة وعطفهم عليه، ومساعدتهم لابنه في حكم البلاد، فلم يكن القصد من هذه الصلوات إلا إحراز سعادته في الدار الآخرة، ونجاح والده على الأرض. ولا نزاع في أن من الأمور المعقولة أن يأمر «رعمسيس الثالث» بنفسه بتأليف خطاب المقدمة الطويل

لآلهة العالم السفلي في الفترة القصيرة التي بقيت له من عمره، وتنحصر بين اللحظة التي عرف فيها على وجه التأكيد بأنه سيحل به الموت قريبًا ويوم مماته - وهي فترة قد استغلها بكل نشاط لينظم فيها أموره الدنيوية والأخروية.

نعود الآن إلى الجزء الثاني الخاص بهذه القصة، وهو ورقة «رولن»، وهو الجزء الخاص بالأشخاص الذين لعبوا دورًا سحريًا في هذه المؤامرة، أو بعبارة أخرى سهلوا للمتآمرين مهمتهم. والباقي من الورقة لا يحتوي الجزء الافتتاحي منها، بل يبدأ كما يأتي: حالة السحر الأولى: (١) وقد بدأ يعمل إضمامات سحر لأجل المنع والتخويف، ولعمل بعض آلهة من الشمع، وكذلك بعض الناس لإضعاف أعضاء الناس (٢) وسلمها ليد «بييككامن» الذي لم يجعله «رع» رئيسًا للحجرة وللمجرمين الآخرين الكبار قائلًا: خذوها إلى الداخل. وقد أخذوها (٣) إلى الداخل، والآن عندما بدأ يقوم بالأعمال الشريرة التي عملها وهي ما لم يسمح «رع» بنجاحها حقق معه. (٢٤٧) وقد وجدت الحقيقة في كل جريمة وفي كل عمل سيء قد دبره عقله لتنفيذه. وقد كان صدقًا أنه قد عملها كلها ومعه كل المجرمين الكبار الآخرين، وقد كانت جرائم قتل كبيرة، والأمور التي ارتكبها هي اللعنة العظمى للبلاد. ولما علم بجرائم القتل الكبرى التي ارتكبها (أي لما علم بالجرائم التي كلف بها) انتحر (قبض على حياة نفسه).

حالة السحر الثانية (العمود الأول وهو بداية ورقة «لي»): ... (١) الملك (له الحياة والفلاح والصحة) لتموين (... ..) أي ... لمكان سكني ولأي شخص في الدنيا، والآن عندما قال له «بنحويين» الذي كان وقتئذ مشرفًا على الماشية: أعطني إضمامة تمنحني القوة والسلطان فإنه أعطاه إضمامة سحر «وسرماعت رع مري آمون» «رعسيس الثالث» - له الحياة والفلاح والصحة - الإله العظيم سيده (له الحياة والفلاح والصحة)، وأخذ يستعمل قوى إله سحرية على الناس. وقد وصل إلى جانب (٤) الحریم وهو ذلك المكان الآخر العميق - أي وصل إلى مكان منعزل ليعمل سحره - وأخذ يصنع أشخاصًا من الشمع مكتوبًا عليها - أي مكتوب عليها أسماء

الأشخاص الذين يريد أن يسحرهم - حتى يمكن حملها إلى المفتش «آريم» فيعوق بذلك جماعة ويسحر الآخرين حتى يمكن توصيل بعض الكلمات إلى الداخل، ويؤتى بأخرى خارجاً - يقصد بذلك سحر الحراس حتى يمكن قيام المخابرات بين داخل القصر وخارجه - وعندما حُقق معه بسببها ظهر الحق في كل جريمة، وفي كل عمل سيء وقد صمم قلبه على إتيانه وقد كان صدقاً أنه عملها كلها بالاشتراك مع المجرمين الكبار الآخرين، وهم لعنة كل إله وكل إلهة جميعاً. وقد نُفذت فيه عقوبات الإعدام الكبيرة، وقد قال عنها الآلهة: نفذوها فيه (أي العقوبات).

حالة السحر الثالثة (العمود الثاني من ورقة «لي»): (١) ... في ال
على المقياس، وقد ذهب بعيداً وضعفت يداها - يشير هنا إلى شخص ممن أجرى عليهم السحر، واسمه ووظيفته في الجزء المهشم والآن عندما حُقق معه بخصوصها وُجد أن كل جريمة وكل عمل سيء كان قد صمم في قلبه على إتيانه قد تحقق، وكان حقاً أنه عملها كلها بالاشتراك مع المجرمين الكبار، وهم لعنة كل إله وكل إلهة جميعاً. وقد كانت جرائم موت كبيرة، وهي الأمور التي أتاها، وهي اللعنات الكبرى للأرض. والآن عندما علم بجرائم الموت الكبرى التي ارتكبها قبض على حياة نفسه - انتحر. ويقصد هنا الاسم الجاهل الذي أُشير إليه في بداية العمود الأول من هذه الورقة. ولما عرف الأشراف الذين كانوا يحققون معه أنه انتحر (٥) «رع» جميعاً والتي تقول عنها الكتابات المقدسة: نفذوا فيه. وعلى الرغم من ... (انتهى المتن).

هذا ما جاء في ورقتي «لي» و«رولن». ومضمون ما فيهما يشير إلى هذه القصة قطعاً، ويؤلف جزءها الهام الذي بُنيت عليه. إذ كان لا بدّ للمتأمرين في داخل القصر من الاتصال بأعوانهم خارجه حتى تُحبك المؤامرة، وهنا لعب السحرة دورهم بإضعاف الحراس بتعويذهم السحرية المكتوبة على تماثيل من الشمع، وقد كان مفعولها شديداً، وبذلك أمكن المتأمرين الذين كانوا داخل القصر وخارجه أن يتصل بعضهم ببعض الآخر، وقد رأينا فيما سبق أن سر المؤامرة قد كُشف في اللحظة الأخيرة على ما يظهر، أو بعد

تنفيذها من غير نجاح حاسم؛ إذ قد عاش الفرعون حتى اقتصر بالعدل من الجناة جميعاً، ولكن يظهر مع ذلك أن أفراد عصابة المؤامرة كانوا من القوة بمكان حتى إنهم استطاعوا أن يتصلوا ببعض قضاة المحكمة الذين اختارهم الفرعون بنفسه، وأغروهم بالنساء والخمر، وربما بالمال؛ ومع ذلك قد كشف أمرهم أيضاً. وهكذا نجد أن الفساد قد بدأ يدب في جميع نواحي الحياة المصرية منحدرًا من أعلى الطبقات إلى أسفلها، وأن هيبة الفرعون وعظمته قد أخذت تتلاشى حتى في أعين عامة الشعب الذين كانوا يؤلهونه، ومع هذا كله نجد أن الفرعون نفسه كان يحافظ على رسالته، وقانونه الذي سنه له والده «رع» عندما بدأ حكم العالم ذلك القانون الذي قوامه العدل والحكم بين الناس بالقسطاس المستقيم، ولعل تربة مصر تجود يومًا بهذه القصة كاملة غير مبتورة، فتقدم لنا مأساة من أروع القصص التي مثلت في قصور الملوك المؤهلين، وعلى أية حال فإن ما وصل إلينا منها يُعد تمثيلية ممتعة كأحسن التمثيليات التي تُعرض على مسارح الأمم الراقية التي تجذب الأنظار إليها، وتسترعي الأسماع بحوادثها الإنسانية المخصصة، التي تضع أمامنا صورة عن خلق الإنسان وأطماعه وغرائزه التي لن يتخلى عنها أبدًا.

(٦) خاتمة حياته

لم يعمر «رعمسيس الثالث» طويلاً بعد المؤامرة التي دبرتها «تي» زوجته، وابنه «بتناور» الذي كان يريد أن يكون خلف والده العظيم، وعلى أثر خيبة هذه المؤامرة على ما يظهر جمع «رعمسيس الثالث» في السنة الثانية والثلاثين من حكمه عظماء رجال الجيش والإدارة، وقدم لهم كالمعتاد ابنه ووارثه على العرش «رعمسيس» الذي أصبح فيما بعد «رعمسيس الرابع»؛ وذلك خوفاً من وقوع مؤامرة أخرى، ووضع فوق رأسه التاج المزدوج، وأجلسه على عرش «حور»، وقد كانت هذه فرصة «لرعمسيس الثالث» أن يعدد لشعبه الأعمال الجليلة التي قام بها مدة حكمه البلاد، وبخاصة انتصاراته على اللوبيين وأقوام البحار، والإنعامات الغزيرة التي أغدقها على معابد الآلهة في كل أنحاء مملكته، وفي النهاية حض الناس على أن يكونوا مخلصين لابنه الذي اختاره هو، وأن

يخدموه كما خدموا والده من قبل.

(٧) موازنة بين موميتي «رعسيس الثاني والثالث» وحكمهما

وقد وُجدت مومية «رعسيس الثالث» في خبيئة الدير البحري، وكانت لا تزال سليمة، غير أنها كانت قد وُضعت في تابوت «نفرتاري» المصنوع من الخشب، وقد جُددت لفافاته في عهد الملك «بينرم الأول»، وقد كُتب عليها تاريخ نقلها إلى هذا المخبأ، وهو السنة الثالثة عشرة من حكم هذا الفرعون.

وتدل مومية «رعسيس الثالث» على أنه لم يكن قد تخطى الستين من عمره بكثير عندما لاقى حتفه، وتدل موميته على أنه كان لا يزال قويًا مفتول العضلات، غير أنه كان قد أصبح بدينًا ثقیل الجسم، وقد حلل النطرون عند التحنيط شحمه، وقد ترهل جلده مدة حياته حتى تحول إلى تجاعيد رخوة ضخمة وبخاصة عند القفا وتحت الذقن، وعلى الفخذين وعند المفاصل، ويدل رأسه الحليق وخداه على عدم وجود شعر أو لحية. كما تدل جبهته التي ليست بالعريضة ولا بالعالية على أنها أكثر تناسبًا عن جبهة «رعسيس الثاني»، وكذلك كانت تجاعيد قبة العين أقل ظهورًا، وعظمتا الخدين أقل بروزًا، والأنف أقل احديديًا، والذقن والفك أقل ضخامة، ويُحتمل أن العينين كانتا أوسع، غير أنه لا يمكن إعطاء حكم على ذلك؛ لأن الجفنين قد أزيلا وحُشي محجر العينين بخرق، أما الأذنان فلم يكونا منتصبين ومنفصلتين بعيدًا عن الرأس كأذني «رعسيس الثاني» غير أنهما كانتا مثقوبتين للأقراط، وكان فمه واسعًا بالطبيعة، وقد زادت عملية التحنيط من اتساعه لعدم مهارة المخطط الذي قطعه حتى الخدين من الجانب. وشفتاه الرقيقتان ساعدتا على رؤية أسنانه البيض الحسنة التنظيم، ويظهر أن «رعسيس الثالث» على وجه عام صورة مصغرة من «رعسيس الثاني» مع الفارق بينهما؛ وهي أنها أكثر دقة ورشاقة، ويدل وجهه على أنه كان ألطف قسمات، وأحد ذكاء، ولكن أقل منه نبلاً، على حين نجد أن قوامه لم يكن معتدلاً، وأن منكبیه ليستا عريضتين «كرعسيس الثاني» كما كانت قوته العضلية أقل.

وكان فيه شبه عابس يشبه صورة الأسد الهزيلة التي مُثل بها الفرعون في ورقة الهجاء.

وما قيل عن شخصيته يمكن أن يقال عن حكمه؛ إذ الواقع أنه كما هو ظاهر للعيان كان مقلداً لحكم «رعمسيس الثاني» غير أنه كان تقليداً لم يصل إلى حد الإتقان لعدم كفاية الموارد في الرجال والمال. وإذا لم يكن «رعمسيس الثالث» قد أفلح كل الفلاح في وضع نفسه بين أعظم الملوك الطيبين، فإن ذلك لم يكن لنقص في نشاطه أو ضعف في قدرته، بل إن أحوال مصر المحزنة الفاسدة في ذلك الوقت قد حُدَّت من نجاح مساعيه، وجعلته يخفق في الوصول إلى مقاصده ومراميه، على أن العمل الذي أنجزه لم يكن لهذا السبب أقل عظمة من غيره من الملوك البارزين، فقد كانت مصر عند توليته عرش البلاد كما ذكرنا من قبل في حالة تعسة؛ فقد عزاها اللوبيون من الغرب، وهددتها أقوام البحار بجيوشها المتوحشة من الشرق، وليس له جيش، ولا أسطول، ولا موارد في خزانته، ولكن لم تمضِ خمس عشرة سنة حتى نجده قد قضى على جيرانه المغيرين، ونظم جيشاً وبنى أسطولاً، وأعاد سلطانه في الخارج، وأقر النظام الإداري في داخل البلاد على أسس متينة، مما جعل البلاد مدينة له بالسلام الذي تمتعت به زمنًا طويلاً في ظل اسمه وقوة نفوذه.

(٨) أسرة «رعمسيس الثالث»

يدل ما لدينا من آثار على أن والدة «رعمسيس الثالث» كانت تُدعى «تي مرن است»، وقد وُجد اسمها على قطعتين اغتصبهما «رعمسيس الثالث» ثانية في معبد «أوزير»، وقد صُوِّرت في الأولى مع «رعمسيس الثالث»، وهي محفوظة الآن بالمتحف المصري.^(٢٤٨) والأخرى وكانت كذلك مستعملة مثل عليها «رعمسيس الثالث» أمه «تي مرن است»، والرأس مهشمة وهي محفوظة الآن في «متحف بروكسل».^(٢٤٩) ويظهر أن «رعمسيس الثالث» كان له أكثر من زوجة، غير أننا لا نعرف منهن على وجه التأكيد إلا واحدة وهي الملكة «است أماسرت».^(٢٥٠) والظاهر أن اسمها مركب من اسم مصري «است» (إزيس)، وآخر سوري «أماسرت». وقد ظهرت مصورة على تمثال من تماثيل

زوجها. وقبر هذه الملكة رقم ٥١ مهشم، وليس فيه إلا بعض مناظر عادية، وقد وُجدت بقايا تابوت على رقعة حجرة دفنها وتدل على أنها كانت جميلة الصنع.

ويقول «بيري»: إنه من المحتمل جدًا أنها الملكة «است» (إزيس) المدفونة في المقبرة رقم ٥١ بأبواب الحرم بوصفها الأم الملكية العظيمة في عهد «رعمسيس السادس»^(٢٥١) غير أن هذا الرأي خاطئ. وكذلك نجد اسمها على لوحة «أمنمأبت» في «برلين»^(٢٥٢).

(٨-١) الملكة «حومازري Humazery

ذُكر اسم هذه الملكة في هذا العهد (L. D. T. II, ١٠١) وتدل شواهد الأحوال على أن «رعمسيس الثالث» كان له أكثر من زوجتين، وبخاصة أننا نعرف واحدة منهن قد تآمرت على قتله، غير أنها على ما يظهر لم تكن إلا زوجة ثانوية.

(٨-٢) أولاد «رعمسيس الثالث»

هذا فضلًا عن أن له أولادًا كثيرين؛ مما يدل على أنه قد أنجبهم من أكثر من ملكة واحدة على الأقل، ومما يؤسف له أنه ليس في استطاعتنا نسبتهم إلى أمهاتهم، وقد تولى بعضهم الحكم بعد «رعمسيس الثالث» وتوفي بعضهم وهم لا يزالون حديشي السن على رأي بعض المؤرخين، وقد تضاربت الأقوال في القوائم التي وُجدت على جدران مدينة «هابو» بأسماء أولاده، فهل هم أولاده أم بعضهم أولاده وبعضهم أولاد غيره من ملوك هذه الأسرة؟ وعلى أية حال فقد عُثر على مقابر بعض أولاده على وجه التأكيد وهم:

(١) الأمير «ست حرخبش»: وقبره في «وادي الملكات»، ويتألف من دهليزين ضيقين يؤديان إلى حجرة أوسع، مجاورة لحجرة صغيرة، والنقوش التي تزين الجدران تمثل الأمير والملك يتعبدان لآلهة مختلفين، ويقومان بأداء شعائر دينية منوعة، وعلى الجدار الخلفي لآخر حجرة يُشاهد الإله «أوزير» على اليمين وعلى الشمال، في حين نشاهد

على الجدران الجانبية آلهة آخرين مختلفين مصفوفين صفين.

(٢) الأمير «خعمواست»: وقبره في «وادي الملكات» كذلك (رقم ٤٤)، ونقوشه محفوظة. ويُشاهد في الممر الأوّل المتوفى ووالده «رعسيس الثالث» أمام آلهة مختلفين، ويتصل بهذا الممر حجرتان جانبيتان عليهما صور الأمير في حضرة الآلهة، وعلى الجدار الخلفي يُشاهد «أوزير» و«إزيس» و«نفتيس». والنقوش التي على الجدران في الممر الثاني تمثل الملك والأمير أمام بوابات وحرس حقول المنعمين، وبجانب ذلك اقتباسات من كتاب الموتى. وفي الحجرة النهائية يُشاهد الفرعون أمام آلهة مختلفين.

(٣) الأمير «آمون خرخبشف» (رقم ٥٥): والنقوش التي على جدران هذه المقبرة لا تزال حافظة لرونقها بصورة تلفت الأنظار، ونشاهد في الحجرة الأولى على اليسار الفرعون «رعسيس الثالث» تضمه الإلهة «إزيس»، وبعد ذلك نرى «رعسيس الثالث» يرافقه الأمير مقدّمًا البخور للإله «بتاح» كما نشاهد الملك ممثلاً أمام آلهة مختلفين: «بتاح تن»، ثم الإله «دواموتف» برأس كلب، والإله «أمست»، والاثنتان الأخيران من حراس أواني الأحشاء في القبر، ثم الإلهة «إزيس» التي تمسكه بيدها. وعلى اليمين صور مماثلة؛ فالملك تضمه «إزيس»، والملك والأمير يحرقان البخور أمام الإله «شو» - إله الجو - كما نشاهد الإلهين «كبح سنوف» و«حاي» - وهما من حراس الأحشاء - و«إزيس» ممسكة بيد الملك. أما الحُجر الجانبية فخالية من الرسوم. والممر الذي يليها مزين بصور من «كباب البوابات» وفي الحجرة النهائية تابوت الأمير المصنوع من الجرانيت. (٢٥٣)

(أ) الأمير «برع-حروتمف» (رقم ٤٢)

وهو ابن «رعسيس الثالث» ويُشاهد في الدهليز الأول للمقبرة الفرعون يقدم ابنه للآلهة، ويؤدّي هذا الدهليز إلى قاعة تتركز على أربعة عمد، غير أن النقوش مهشمة. (٢٥٤)

وهؤلاء هم أولاد «رعمسيس الثالث» على وجه التأكيد. وقد وُجدت قائمتان مُثل فيهما أولاد وبنات «رعمسيس الثالث» على معبد مدينة «هابو».^(٢٥٥) وقد وُجد من بينهم أسماء ماثلة للذين ذكرناهم من قبل، ولذلك اعتقد بعض المؤرخين أن الأسماء الباقية وعددها ستة لأولاد «رعمسيس الثالث» أيضاً،^(٢٥٦) وأنهم قد تعاقبوا على عرش مصر، وقد تناول الأستاذ «إرك بيت» هذا الموضوع بالبحث، ووجد أن الأسماء التي وُضعت لهؤلاء الأمراء قد أُضيفت فيما بعد، وأن أول من عمل هذه الإضافات هو «رعمسيس السادس»؛ ولذلك يعتقد أنهم أولاده. وهاك الأسماء التي وُجدت في القائمتين اللتين على جدران معبد مدينة «هابو».

(١) «رعمسيس»: (في طغراء) ولم يوجد أي اسم بعد ذلك.

(٢) «رعمسيس»: (بدون طغراء) ثم «نب ماعت رع مري آمون» في طغراء.

(٣) «رعمسيس آمون حرخبشف نترحق إيون»: (في طغراء).

(٤) «رعمسيس ست حرخبشف»: (بدون طغراء) ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسرماعت رع أختامون» (في طغراء) وهذا الاسم كما جاء في القائمة الأولى. أما في القائمة الثانية فقد كُتب: «ست حرخبشف» (بدون طغراء) ابن «رع» رب الظهور.

(٥) «برع-حروغف».

(٦) «منتو حرخبشف».

(٧) «رعمسيس مري آتوم»: (كما جاء في القائمة الأولى) «مري آتوم» (كما جاء في القائمة الثانية).

(٨) «رعمسيس خعمواست».

(٩) «رعمسيس آمون حرخبشف».

(١٠) «رعمسيس مري آمون».

وإذا ألقينا على هذه القائمة نظرة سطحية وجدنا أن بعض الأسماء مكرر مثل ٣، ٩، ويمكن الإجابة على اعتراض من يقول إنهم ليسوا أولاد «رعمسيس الثالث» كلهم بأن «رعمسيس الثاني» كان له ولدان يحملان اسمًا واحدًا، وقد اتضح أن واحدًا منهما قد مات في صغره، وسمى والده بالاسم نفسه بعد مماته. (راجع مصر القديمة الجزء السادس).

وكذلك قد اعترض على أن «برع حرونمف» كان يحمل لقب الابن الأكبر مع أنه قد وُضع ترتيبه هنا الخامس، وهذا الاعتراض يمكن الإجابة عليه بأنه يجوز أن الملك كان متزوجًا بأكثر من امرأة، وأن بكرها بالنسبة لها يُعد الابن الأكبر. غير أن الاعتراض الهام هنا هو أن بعض هؤلاء الأمراء قد وُجدت مقابرهم وقد دُفِنوا فيها، وأنهم ماتوا قبل تولي العرش، مع أن أسماءهم تُوجد بين ملوك هذه الأسرة، وقد أجاب على ذلك «إرك بيت» عندما تكلم عن الأمراء الأربعة الذين ذكرناهم بأنهم أولاد «رعمسيس الثالث» على وجه التأكيد. (٢٥٧)

وهاك ما كتبه في هذا الصدد باختصار ردًا على رأي «بيري» القائل بأن هذه الأسماء التي جاءت في القائمتين هي لأولاد «رعمسيس الثالث» فيقول: «حقًا إن هؤلاء الأمراء الأربعة هم أولاد «رعمسيس الثالث». وبخاصة إذا لاحظنا الدور الهام الذي كان يشغله والدهم «رعمسيس الثالث» في مناظر قبورهم بالإضافة إلى الألقاب التي كان يحملها هؤلاء الأمراء، فقد كان «ست حرخبشف» يُلقب «أسن أولاد الملك ومحبوه»، و«ابن الملك من صلبه»، يُضاف إلى ذلك أنه كان يحمل لقب «سائس الإصطبل». ولا

نعلم بالضبط العلاقة بين لقب «أسن أولاد الملك» وبين لقب «ابن الملك الأول لجلالته» الذي كان يحمله الأمير «برع حرونغف»، ومن المحتمل أن الأخير كان أسن أولاد الملك، وأنه بعد مماته المبكر خلفه «ست حرخبشف» لهذا المركز، ولم يجد الأثري «سكابري» كاشف مقبرة «ست حرخبشف» فيها تابوتًا، وليس لديه دليل ما على أن هذا الأمير قد دُفن في هذا القبر؛ ولذلك يظن أنه فيما بعد قد تولى عرش الملك، ودُفن في مقبرة من مقابر «وادي الملوك».

ومقبرة «خعمواست» ماثلة للسالفة، وقد وُجد فيها غطاء تابوت. وكان هذا الأمير يحمل الألقاب التالية: الكاهن «سم» للإله «بتاح»، ويحمل نفس اللقب في قائمة مدينة «هابو»، وابن الملك من صلبه، ومحبوه، وأسن أولاد الملك.

وقبر «آمون حرخبشف»

قد ذُكر في نقش أنه أُهدي بعطف الملك «رعمسيس الثالث» للأطفال الملكيين العظام؛ مما يدل على أنه كان قد أُعد لأكثر من أمير، ومن المحتمل أن «رعمسيس الثالث» كان وقتئذ قد مل الإنفاق على إقامة مقبرة لكل أمير، وهذا الأمير كان يُلقب «ولي العهد» على رأس الأرضين، و«ابن الملك من صلبه ومحبوه»، والذي وضعته زوج الإله الأم الملكية، والزوجة الملكية العظيمة. ومما يؤسف له أن اسم الملكة قد فُقد، ولكن لا بد أنها كانت من زوجات «رعمسيس الثالث» المعترف بهن، ويحتمل أنها «إزيس»، وهذا الأمير يحمل فضلًا عن ذلك الألقاب التالية: الرئيس العظيم، والمشرف على خيل جلالته في إدارة خيالة «رعمسيس الثالث».

ويحتوي القبر على تابوت من الجرانيت، غير أن «سكابري» لم يكن على استعداد للقول بأن الأمير قد دُفن فيه. والواقع أن هذه الكشف التي وصل إليها «سكابري» من حيث أسماء أولاد الفرعون «رعمسيس الثالث» قد تجعل الكفة راجحة إلى جانب نظرية «بترى»، أي إن هؤلاء الأمراء وهم الذين كُتبت أسماؤهم على جدران معبد مدينة «هابو»

كلهم أولاد «رعمسيس الثالث»، ويمكن القول هنا بحق أن «رعمسيس الثالث» كان له أولاد أسماؤهم: «آمون حر خبشف» و«ست حرخبش» و«خعموا ست»، وهؤلاء الثلاثة قد وردت أسماؤهم في قائمة معبد مدينة «هابو». هذا بالإضافة إلى أن الألقاب التي كان يحملها «آمون حر خبشف»: المشرف على الخيل متفقة في كلا الحالين، وكذلك قد وُصف «ست حر خبشف»: المشرف على الخيل، وفي نقوش مدينة «هابو» لُقّب «بسائس الإصطبل» في قبره. وأخيراً قد سُمي «خعموا ست» في كل: الكاهن «سم» للإله «بتاح». ولكن يقول «إرك بيت» إنه على الرغم من هذه الاتفاقات المقنعة فليس من المستحيل أن كلاً من «رعمسيس الثاني» و«رعمسيس السادس» كان له أولاد يحملون نفس الأسماء. ومن جهة أخرى نجد أن أسماء أولاد «رعمسيس الثالث» الذين كشفت مقابرهم ليست إلا تقليدًا محسناً لأسرة «رعمسيس الثاني». وقد بولغ في هذا التقليد حتى في الألقاب، كما نجد ذلك في لقب «خعمواست» بن «رعمسيس الثالث»: الكاهن «سم» للإله «بتاح»، وهو نفس اللقب الذي كان يحمله «خعمواست» ابن «رعمسيس الثاني»، فإذا أخذنا بهذا المبدأ فإن التشابه بين الأسماء والألقاب التي على مقابر الأمراء الذين كشف عن قبورهم «سكابارلي» وبين الأمراء المصوّرين على جدران مدينة «هابو» يصبح لا قيمة له؛ وذلك لأنه إذا كان «لرعمسيس السادس» أولاد فإنه من الطبيعي أن يسير في تسميتهم وألقابهم على نمج تقاليد الأسرة. هذا وتدل مقابر هؤلاء الأمراء الذين مثّلوا في مقابرهم في ريعان الصبا، وبخاصة خصلة الشعر الجانبية التي كان يتحلّى بها الشباب على أنهم قد ماتوا وهم صغار ولم يتولوا قط عرش الملك.

أما البراهين الدالة على أن «رعمسيس الخامس» قد جاء بعد «رعمسيس الرابع» الذي نعلم أنه على وجه التأكيد كان ابن «رعمسيس الثالث» فهي كما يأتي: لا بد أن «رعمسيس الخامس» قد سبق «رعمسيس السادس» الذي اغتصب قبره كما سنرى، ولا بد أن «رعمسيس الرابع» كان قبل «رعمسيس السادس» الذي محا أكثر من مرة اسمه من الآثار ووضع اسمه مكانه، وكما قلنا كان «رعمسيس الرابع» على أية حال الخلف المباشر «لرعمسيس الثالث». ولم يبقَ علينا الآن إلا أن نضع «رعمسيس

الخامس» بين «رعمسيس الرابع» والسادس. وإذا كان هناك ملك آخر جاء بينهما فليس له حتى الآن أي أثر باقٍ. وعلى هذا الأساس رتب الأستاذ «بيت» الملوك الذين أتوا بعد «رعمسيس الخامس» على أنهم ليسوا من أولاد «رعمسيس الثالث»، وستحدث عن كلٍّ في حينه.

(٩) الموظفون والحياة الاجتماعية في عهد «رعمسيس الثالث»

(٩-١) الوزراء في عهده

(أ) الوزير «تا»

كان «تا» وزير الفرعون «رعمسيس الثالث»، غير أننا لا نعرف قبره حتى الآن، وهو الذي أرسله «رعمسيس الثالث» ليحتفل بعيدة الثلاثيني في السنة التاسعة والعشرين من حكمه، غير أنه توجد آثار تدل على أنه كان يشغل هذا المنصب في السادسة عشرة^(٢٥٨) من حكم هذا الفرعون. وقد جاء ذكره على عدة أوراق من البردي، وكذلك على عدد من الاستراكا، وقد جمعها كلها «فييل» في كتابه عن وزراء مصر،^(٢٥٩) وكان يحمل الألقاب التالية: «عمدة المدينة، والوزير، وحامل المروحة على يمين الفرعون، ومدير الأعمال في أفق الأبدية في ضبعة الأوقاف».

(ب) حوري

كان يشغل منصب وزير في عهد «رعمسيس الثالث»؛ فقد وُجد اسمه يحمل هذا اللقب على نقش في صخر خلف مدينة «هابو».^(٢٦٠) ويلاحظ أن المصدر الذي أشار إليه «فييل» في ورقة الإضراب^(٢٦١) وهو أن هذا الوزير كان يشغل وظيفته هذه في السنة التاسعة والعشرين من حكم هذا الفرعون لا تنطبق على الواقع، وهو يحمل الألقاب التالية: «الأمير الوراثي، والسمير الوحيد، وعمدة المدينة، والوزير».

(٩-٢) كهنة آمون الأول في عهد «رعمسيس الثالث»

(أ) «باكنخنسو»

كان «باكنخنسو الثاني» - على أحدث الأقوال - (راجع مصر القديمة الجزء السادس) أول كاهن أعظم افتتحت به الأسرة العشرون على ما نعلم. وقد وُجد له حتى الآن أربعة تماثيل محفوظة في «المتحف المصري»، وقد عُثر عليها كلها في خبيثة «الكرنك» ومعبد «موت»؛ واحد منها مؤرخ بعهد الملك «ستنتخت» (١٢٠٥-١٢٠٤ ق.م) وأُرخ منها اثنان بعهد «رعمسيس الثالث». أما الرابع فليس مؤرخاً، ولا نزاع في أن هذه التماثيل ليست من القطع الفنية الممتازة التي أُخرجت في هذا العهد، وقد وصفها بحق «لجران» بأن أسلوبها رخو وأقل من المتوسط، ويُشتم من صناعتها رائحة الانحطاط الفني. (٢٦٢)

وعلى أية حال فإن كثرة عدد تماثيل هذا الكاهن تدل على أهميته، وتشعر بأن صاحبها قد عاش قبل عهد الفرعون «رعمسيس الثالث»، حتى إن بعض الأثرين يعتقد أن هذا الاسم قد حمّله واحد لا ثلاثة (راجع مصر القديمة الجزء السادس)، وقد ذكرنا من قبل أن «رعمسيس الثالث» قد احتذى في كل أعماله وتصرفاته حذو سلفه «رعمسيس الثاني»؛ ولذلك فلا بد أنه قد وضع الكهنة الأول في عهده في المنزلة التي وضعهم فيها هذا الفرعون العظيم. والواقع أننا لا نرى «باكنخنسو» هذا يحمل أي لقب مدني، اللهم إلا لقب «الأمير الوراثي»، كما أن سلطانه الديني لم يتعدّ دائرة «طيبة» وقد نشأ وترعرع في «معبد الكرنك» حيث كان والده «أمنمأبت» يشغل وظيفة «رئيس الجنود» و«رئيس المجندين» بضيعة «آمون»، وكانت ألقابه الدينية قليلة وقد نُقشت على تماثيله، فقد جاء عليها: قربان يقدمه الملك «لآمون رع حوراخي-آتوم سيد الكرنك» ليعطي الخبز والنفس الذي يحيي قريته، والبخور، والملابس، والنبذ، واللبن؛ لروح الأمير الوراثي والكاهن الأول «لآمون باكنخنسو».

وجاء على تمثال ثانٍ لأجل روح الأمير الوراثي، والد الإله المحبوب، ورئيس كل

كهنة الآلهة، والكاهن الأول «لآمون باكنخنسو».^(٢٦٣)

وجاء على تمثال ثالث: لأجل روح (كا) الأمير الوراثي، رئيس الأسرار في السماء، وعلى الأرض في العالم السفلي، الكاهن الأوّل للإله «آمون» صاحب «الكرنك» «باكنخنسو».^(٢٦٤)

أما النقوش التي دُوّنت على تمثال معبد الإلهة «موت»^(٢٦٥) وهو التمثال الرابع فتسميه كذلك «والد الإله»، صاحب اليدين الطاهرتين، الذي يفتح أبواب السماء (أي قدس الأقداس) لكي يرى الأعجوبة (التي فيه)، والكاهن الأكبر «سم» في طيبة، أي المعبد الرئيسي في «طيبة» التابع لمعبد «بتاح» في «منف».^(٢٦٦)

وكان «لباكنخنسو» هذا ابن سُمي جده «أمنمأبت»، وقد انخرط كذلك في سلك الكهانة، وكان يشغل وظيفة «كاهن والد الإله»، وكاهن «آمون» لمعبد «الأقصر».^(٢٦٧)

(ب) إيوحما

ولا نعلم على وجه التأكيد من احتل عرش كهانة «آمون» في المدة الباقية من عهد «رعمسيس الثالث»، وربما كان من الصواب أن نرتب هنا الشخصيات التي ينسبها «فرشنسكي» إلى قائمة كهنة هذا العصر خطأ، وأوهم «إيو حمكا»،^(٢٦٨) وقد وُجد اسمه على تمثال مجيب صغير من البازلت، ويحمل اللقب التالي: الكاهن الأول «لآمون رع» الذي يوجد بين الناسوع الإلهي.

(ج) سارمن

وكذلك ذكر لنا «فرشنسكي» أن «سارمن» قد خلف «إيو حمكا» بوصفه الكاهن الأوّل «لآمون»، والواقع أنه لم يشغل هذه الوظيفة. ومومية هذا الكاهن وتوايته موجودة في «متحف بيزانسون» من أعمال «فرنسا». وقد كان أول من أعطاه هذا اللقب خطأ «شاباس» لسوء ترجمة المتن.^(٢٦٩) وبعد فحص المتن وُجد في متن التوايت أن «سارمن» كان يحمل الألقاب التالية: الكاهن المظهر أمام «موت»، والكاهن الأكبر

المطهر، والكاهن الداخل في (محراب) «آمون» - كاهن «آمون»، ومدير الأشغال الخاصة بآثار الثالوث الطبي، والسكرتير الحقيقي للملك، ومحبوبه، ورئيس المجندين - أو الجنود - «لطبية» «آمون رع» ملك الآلهة؛ ورئيس الماشية المخصصة لمائدة القربان الفاخرة «لآمون». حقاً إن كثيراً من الألقاب والوظائف المدنية التي كان يحملها «سارمن» كانت من التي يحملها كثيراً في هذا العهد رئيس كهنة «طبية»، غير أننا نجد أنه من حيث الوظائف الدينية لم يرتفع إلى أكثر من درجة كاهن بسيط «لآمون».

(د) آمون حريمشع

وكذلك نجد أن كلاً من «بركش» و«دفيريا» قبل «فرشنسكي» قد أراد أن يتخذ من هذه الشخصية كاهناً أكبر للإله «آمون»، غير أنهم قد أخطئوا كذلك في قراءته ألقابه. وقد نقل «لبيسوس» ألقاب هذا الكاهن على الوجه الصحيح،^(٢٧٠) ومنتته منقوش على صخور «وادي الحمامات»، وكان أعلى لقب حمله هو «الكاهن الثاني للإله آمون»، وكان قد بدأ حياته بوظيفة كاهن رابع، فكاهن ثالث، ثم كاهن ثان. وعلى أية حال فإن سلسلة نسب هذا الكاهن تدل على أنه لم يعيش في عهد الأسرة العشرين، بل في أواخر الأسرة الواحدة والعشرين، وعلى ذلك فهذا الكاهن لا محل له في الأسرة العشرين.^(٢٧١)

(هـ) أمنمأيت

كاهن «آمون» وقبره في «ذراع أبو النجا»، ويُشاهد المتوفى يقدم قرباناً على جدران مزار قبره.^(٢٧٢) وفي الصف الثالث من هذا المنظر يُرى أقارب المتوفى في وليمة.^(٢٧٣)

(و) إبي

المشرف على كتبة الخيل، وُجد اسم هذا الموظف في منظر في مقصورة «جبل السلسلة» التي حفرها «حور محب» في الصخور هناك وأصبحت بعده سجلاً للملوك والعظماء الذين جاءوا بعده ينقشون عليها تذكارات زيارتهم لهذه الجهة. وهذا المنظر قد

نُقش على باب المقصورة، وقد مُثل فيه «رعمسيس الثالث» يتبعه «إي»، ويقدم الملك صورة «ماعت» للآلهة «آمون رع» و«موت» و«خنسو» و«سبك»^(٢٧٤)

(ز) مرسى آتف

وُجد له لوحة في «العرابة» وهو كاهن الملك «ستتخت»، ويُشاهد عليها مع «رعمسيس الثالث» واقفين أمام الآلهة في الصف الأعلى، وكذلك نشاهد «مرسى آتف» نفسه في الجزء الأسفل من اللوحة أمام الملك «ستتخت»^(٢٧٥).

(ح) «وسرحات» الكاهن الأول للإله «ست»

وُجد في معبد الإله «ست» بطوخ (نبت) عتب باب في الركن الشمالي الشرقي من الردهة باسم هذا الكاهن، ويُشاهد عليها واقفًا أمام الإله «ست» مما يدل على انتشار عبادة هذا الإله في تلك الفترة^(٢٧٦).

(ط) «وسرحات» رئيس كيالي الغلال

وقبره في جبانة «ذراع أبو النجا»^(٢٧٧) ويشك «بترى» في أنه هو نفس الشخص السالف الذكر هنا، ويشير إلى ما جاء عنه فيما كتبه «نافيل».

(ي) أهوري

قائد حربي وُجدت له لوحة محفوظة «بمتحف القاهرة»^(٢٧٨).

(ك) باحن-تتر

حارس الخيل، وُجد اسمه على عتب باب^(٢٧٩) محفوظ الآن «بالمتحف المصري».

(ل) ثاي

كاتب القربان^(٢٨٠)

وقد ذكرنا بعض الموظفين في سياق الحديث عن هذا الفرعون، غير أننا لم نجد لهم

آثاراً معينة باقية حتى الآن.

(١٠) الحياة الاجتماعية في عهد «رعسيس الثالث»

يجد المؤرخ صعباً كبيرة تعترضه عندما يريد أن يكتب شيئاً عن الحياة الاجتماعية في مصر القديمة، وبخاصة عندما نعلم أن كل ما وصل إلينا من هؤلاء القوم جاء عن طريق مقابرهم وما كانت تحتويه من أثاث جنازي، وما تركوه لنا من مناظر، وما دونه الملوك على معابدهم التي شيدوها لأنفسهم ولأهنتهم، ولكن مع ذلك فإن ما عُثر عليه في هذه المقابر والمعابد يسهل علينا أحياناً معرفة أحوال أولئك وحياتهم وما كانوا عليه من نعيم وشقاء وبخاصة في العهد الذي بدأ فيه عامة الشعب يدونون أعمالهم في الجبانات الملكية على قطع الاستراكا، وتكثر فيه الأوراق البردية التي تحتوي ما كان يجري من أمور في أنحاء البلاد. وقد وصل إلينا عدة أوراق وآلاف من الاستراكا كشفت لنا الغطاء إلى حد لا بأس به عن كثير مما كان يجري في قصور الفراعنة وأكواخ العامة.

لعبت جبانة «طيبة» دوراً هاماً في الأوراق البردية التي كُشف عنها في عهد الأسرة العشرين، وهي الخاصة بأحوال معيشة الشعب وما كان يرتكبه القوم من جرائم سرقة، ويدبرونه من إضرابات، وعن سير الأعمال والمعتقدات الدينية الشعبية. والواقع أننا إذا تحدثنا عن جبانة «طيبة» في هذا الوقت فإنما نصف أهم ناحية في الحياة المصرية في ذلك العصر لأنها كانت تحتوي قبور الملوك والعظماء، والقرى التي كان يسكن فيها العمال الذين يقومون بالعمل في هذه الجبانة التي تُعد في نظر القوم جزءاً لا يتجزأ من العاصمة، كان يسكن فيها الملوك والكهنة في المعابد الجنائزية التي أقاموها هناك، وشيدوا لأنفسهم فيها البيوت الفاخرة، والقصور الشائخة كما يدل على ذلك ما جاء في ورقة «هاريس» الكبرى، وآثارهم الباقية فعلاً.

واسم هذه الجبانة في المتون المصرية هو «الجبانة العظيمة النبيلة لملايين السنين للفرعون في غربي طيبة». وهذا الاسم الذي كانت تُصدَّر به الأوراق الرسمية كان مطوّلاً؛ لذلك نجده قد اختُصر إلى «جبانة الفرعون». والعبارة الدالة على كلمة جبانة «باخر» في

الأوراق البردية الخاصة بهذا العصر كانت تشمل الجبانة الملكية، ومقابر وجهاء القوم الهامة المقامة في غربي «طيبة» وعلى الضفة اليمنى من النيل، وذلك لا يشمل سلسلة المقابر الملكية الخاصة بالأسرتين الحادية عشرة والسابعة عشرة الواقعة عند سفح تلّال «ذراع أبو النجا» وحسب، بل يشمل كذلك مقابر «وادي الملوك» ومقابر الملكات والأمراء الواقعة في «وادي الملكات». ولا بد أنه كان لكل من أجزاء هذه الجبانة البعيدة اسم خاص يُميّز به. فمثلاً كانت مقابر الملكات تُدعى «مثنوى الجمال»، وهو المكان المعروف الآن باسم «وادي الملكات» (Pap. Abott, II ff 4,). ويؤكد صحة هذه التسمية عبارة جاءت في يوميات ورقة «تورين» حيث أرسلت لجنة لفحص مقبرة الملكة «إزيس» - ويحتمل أنها الملكة التي أُشير إليها في ورقة «آبوت»: «وقد ذهبت إلى «مثنوى الجمال».» ويتضح على ما يظهر من ورقة «آبوت» كذلك أن نفس هذا المكان كان يُسمى «الوادي العظيم» (Ibid, ٥, ٥).

والمستغرب فيما جاء في الأوراق البردية التي وصلت إلينا حتى الآن أنه لم يذكر لنا اسم «وادي الملوك» بالمصرية. والواقع أننا لا نعرف لهذا المكان اسماً غير اسم «الوادي» وقد وُجد على استراكا عُثر عليها هناك فعلاً، غير أن ذلك لا يعني أنه يدل على اسمه الكامل. (٢٨١)

ولدينا اسم آخر يدل على جزء خاص من جبانة «طيبة». وهو «مكان الصدق» أو «المكان الحق» وقد قال عنه «مسبرو»: «إنه الجزء الشمالي من الجبانة العامة الواقع حول معبد «القرنة» و«ذراع أبو النجا».» أما «شرني» فإنه يعتقد أن عبارة «خدّام بيت الصدق» موحدة بأهل الجبانة دون تخصيصها بمكان؛ وذلك لأن العبارة المذكورة لا تكاد توجد إلا على الآثار التي عُثر عليها في جبانة «دير المدينة» حيث دُفن العمال (Ibid P. ١٦٠) وقد وجدنا في ورقتين (Br. Museum, ١٠٠٥٣ No. ٨, ٧ No. ٨) (Ibid, ١٠٠٥٢, ٧) شخصين كل منهما يُدعى صانع مكان الصدق.

ويقول «إرك بيت»: إذا كان هذا الاسم يُطلق على كل الجبانة فإنه من المدهش

ألا نجد بين الألقاب التي في هذه الأوراق البردية إلا اسمين خُصصا بمكان الصدق. وفضلاً عن ذلك فإنه وُجد على ظهر ورقة مصور مناجم الذهب المحفوظة الآن بمتحف «تورين» متن مهشم جاء فيه أن الفرعون أرسل الشريف العظيم ليحضر ... من محاجر حمامات ... إلى مصر. وقد وضعوها - أي الأحجار - في مكان الصدق بالقرب من معبد «رعمسيس الثاني».^(٢٨٢)

ولا نعرف على وجه التأكيد في أي تاريخ بالضبط أصبحت هذه الجبانة مؤسسة حكومية. وتدل شواهد الأحوال على أنه منذ أن بدأ ملوك الأسرة الحادية عشرة يدفنون فراعينهم في غربي «طيبة» كانت تكلف طائفة من الناس بحراسة هذه المدافن، والسهر على العناية بها، وما تحتاج إليه من خدمات. وفي عهد الأسرة السابعة عشرة نجد أن الجبانة الملكية أخذت تشغل مساحة عظيمة.

ولا بدّ أن اختيار «تحتمس الأول» لـ «وادي الملوك» ليكون مقراً لجثمانه - هذا بالإضافة إلى زيادة حجم المقابر وفخامتها وعظم النفائس التي كانت تُوضع داخلها - قد اضطر الملوك إلى إيجاد نظام دقيق لتجهيز هذه المقابر، والحفاظة عليها بدرجة كبيرة، نظام يحوطه الكتمان أحياناً، حتى يخيل إلى الإنسان أنه لا يقترب من المقابر إلا نفر خاص.

هذا وقد ذُكر في مكان آخر (راجع مصر القديمة الجزء الرابع) ما كان للملكة «نفرتاري» زوج «أحمس الأول» وابنها «أمنحتب الأول» من مكانة مقدسة خاصة بين عمال الجبانة، وأن تمثاليهما كانا يقومان بالفصل في الخصومات بين طوائف العمال، وبين العامل وأخيه في كل المنازعات بواسطة الوحي الذي كان يوحيه التمثال. ولا نزاع في أن ذلك يعني أن هذين الشخصين كان لهما فضل كبير في وضع نظم الجبانة على أسس رسمية متينة؛ ولذلك أصبحا إلهين في عين الشعب.

وقد لاحظ «بروير» في كتاباته عن هذه الجبانة أن كثيراً من لبناتها التي استعملت في بناء قرية العمال في هذه الجهة كانت تحمل طغراء «تحتمس الأول»، فكل ذلك يؤكد لنا إقامة نظم الجبانة في باكورة الأسرة الثامنة عشرة على أسس متينة، وقد ظلت تسير في

سبل التقدم من خلال هذه الأسرة ثم الأسر التي تلتها حتى نهاية الأسرة العشرين. ومنذ ذلك الوقت أخذت المادة الأثرية التي تحدثنا عن سير العمل في هذه الجبانة تتلاشى، ويرجع السبب في ذلك إلى أن الملوك قد أعرضوا عن دفن جثثهم في جبانة «طيبة»، ولا بد أن هذا العمل كان ضربه قاصمة لسلطان «طيبة»، وبخاصة إذا علمنا أنه منذ الأسرة التاسعة عشرة كان قد أخذ سلطانها يضعف من الناحية السياسية بنقل عاصمة الملك السياسية إلى «برعمرسيس» - قنتيرا الحالية، هذا ولا يدل نقل الموميات الفرعونية وغيرها التي لم تهشم - من مقابرها الأصلية إلى مكان خفي بالقرب من «الدير البحري» في أوائل الأسرة الواحدة والعشرين، على أن الغرض من ذلك المحافظة عليها من عبث العابثين بما وحسب، بل يظهر لنا جلياً تخلي الحكومة كلية عن العمل في المحافظة على صيانة الجبانة العظيمة الفاخرة التي كانت مقرّاً لأعظم الملوك.

وقد أظهر كل من الأستاذين «شريفي» و«بروير» في كتاباته في مواضع كثيرة، ومناسبات عدّة أن المكان الذي كان يسكن فيه عمال الجبانة فعلاً هو القرية التي كُشف عنها في السنين الأخيرة،^(٢٨٣) وهي التي تقع جبانته في التلال المشرفة عليها. ولا نزاع في أن هذه القرية كانت تُعد مكاناً مناسباً وطبيعياً للعمال الذين كانوا يشتغلون في جبانة «وادي الملكات» وهي مسافة معقولة من معبد «رعمرسيس الثالث» الجنائزي الذي كان يُعد مركزاً فعلياً لإدارة الجبانة في عهد الأسرة العشرين، كما تشير إلى ذلك الوثائق الخاصة بهذه الجبانة، وكما تشير كل المؤسسات الدينية التي أقامها «رعمرسيس الثالث» كما أوضحنا ذلك في مكانه، على أن هذه القرية لم تكن كذلك بعيدة بالنسبة للعمال الذين كانوا يعملون في «وادي الملوك»؛ لأن العامل كان لا يقطع إلا نصف ميل على التلال ليصل إلى أبواب الملوك.

(١٠-١) إضراب العمال في عهد «رعمرسيس الثالث»

ويمكن الباحث أن يستخلص بعض التفاصيل الجغرافية بالنسبة للجبانة من متون أوراق البردي، وبخاصة من ورقة إضراب العمال، وهو ذلك الإضراب الذي حدث

في السنة التاسعة والعشرين من حكم «رعمسيس الثالث».^(٢٨٤)

وكان العمال وقتئذ قد أظهروا سخطهم لقلة الجرايات التي تُصرف لهم، ويُقال إنهم بسبب ذلك كانوا في مناسبات عديدة قد اخترقوا جدران الجبانة الخمسة، واتجهوا نحو المعابد الجنازية الكبيرة احتجاجًا، فذهبوا إلى معبد «تحتمس الثالث»، وإلى معبد «مرنتاح»، وإلى معبد «رعمسيس الثاني»، وفي مناسبة واحدة ذهبوا إلى معبد «رعمسيس الثالث». وقد أرخت هذه الورقة التي يُطلق عليها «ورقة الإضراب» بالسنة التاسعة والعشرين من عهد هذا الفرعون. وتدل شواهد الأحوال من هذه الفقرات على أن العمال قد غادروا الجبانة التي كانت محاطة بخمسة جدران ودخلوا هذه المعابد التي كانت خارجها، وكذلك يحق لنا أن نستنبط من بعض ما جاء في هذه الوثيقة (P. and R. ٩XLV) أن حصن الجبانة كان على شاطئ النهر، وعلى ذلك فإن لم يكن هذا الحصن منعزلًا تمامًا عن الجبانة نفسها فلا بد إذن أنها كانت - الجبانة - تمتد حتى النهر، وعلى ذلك يدخل في حيزها المعابد الجنازية، وأن هؤلاء المضربين عندما تخطوا الجدران الخمسة كانوا قد دخلوا الجبانة لا أنهم غادروها. والواقع أننا نقرأ في إحدى فقرات هذه الوثيقة (VP. and R. XLIII) ما يأتي: إن العمال قد تعدوا الجدران وجلسوا في الجبانة.

ولا بد أن هذه الجدران كانت مقامة بالقرب من قرية العمال؛ لأنه جاء في نفس الورقة (P. and R. XLIV ١١): لقد ذهب العمال ليعبروا الجدران التي خلف القرية.

وعلى أية حال فإن هذا موضوع غامض حتى الآن، وربما تكشف عنه الحفائر القائمة في هذه الجهة. وقد كان العمال يشتغلون لحساب الدولة. ويدل ما لدينا من معلومات حتى الآن على أنهم لم يتسلموا أجورًا، بل كانت الحكومة تقدمهم بالجرايات كما لاحظنا ذلك في حالة العمال الذين كان يستعملهم «رعمسيس الثاني» في قطع الأحجار من محاجر الجبل الأحمر، فكان يمدهم بكل ما يلزمهم من طعام وملبس - حتى العطور (راجع مصر القديمة الجزء السادس).^(٢٨٥) وعلى أية حال فإن هذه المواد كانت في العادة تحتوي على حبوب تُصرف من مخازن الغلال يوزعها الفرعون بوساطة الوزير، وكذلك

السّمك والخضر والزيت والملابس الخ. وتوزيع هذه المواد كان يجري بطريقة منظمة في الأوقات العادية التي لا يسودها قلق أو اضطراب. ولكن في عهد الأسرة العشرين الذي خرجت فيه البلاد من حروب طاحنة، وسبقها احتلال أجنبي كان توزيع الجرايات فيه مختلفاً؛ إذ كان يُصرف تارة وتارات ينقطع. وقد كان جواب العمال الذين ليس لهم مصدر رزق إلا هذه الجرايات هو التوقف عن العمل والإضراب حتى تأتيهم أرزاقهم، وقالوا: ليس لدينا ملابس ولا زيت ولا سمك ولا خضر، أرسلوا للفرعون سيدنا العظيم بخصوص هذه الأشياء، وكذلك أرسلوا للوزير رئيسنا حتى يمدنا بما نعيش به. (٢٨٦)

وقد كانت أمثال هذه الشكاوى تُقابَل في العادة بصرف بعض ما يستحقه العمال، فكان ذلك يهدئ من ثورة العمال لبضعة أيام ثم يعودون إلى الإضراب عن العمل إذا جاعوا. وقد تسبب عن ذلك أن ضاعت على الحكومة عدة أيام بدون عمل بسبب جوع العمال إلى درجة تجعلهم في غاية الضعف عن القيام بأي عمل. وقد زاد في ضياع الوقت والارتباك الداخلي وجود عناصر أجنبية معادية في البلاد، وبخاصة «النوبيين» و«اللوبيين» و«المشوش» الذين كانوا قد بدءوا يعيشون في الأرض فساداً، ويضطهدون الأهليين، ويستولون على أمتعتهم اغتصاباً. (٢٨٧)

وقد كان من واجبات كتاب الجبانة أن يقيدوا في يوميات محفوظة عندهم الحوادث الهامة، وقد وصلت إلينا أجزاء من هذه اليوميات يرجع تاريخها إلى الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين. ومن هذه اليوميات والأوراق الخاصة بالسرقات التي وصلت إلينا نستطيع أن نكوّن فكرة لا بأس بها عن نظام هذه الجبانة وحياة العمال فيها.

وكانت طائفة العمال على ما يظهر تتألف من عشرين ومائة عامل في العادة، وكانوا يُقسمون قسمين: قسم اليمين، وقسم الشمال. وكان كل قسم تحت سلطة رئيس عمال، وكان لكل كاتب وظيفته وهي حفظ سجل للحسابات، ولا نعرف أصل هذا التقسيم، غير أنه كان شرطاً أساسياً، وكانت أمور كل قسم محفوظة على حدة تماماً. وكان لكل قسم وكيل ربما كان يحل محل الرئيس إذا غاب، وكذلك كان للعمال مفتشون كان

لهم على ما يظهر عمل معين؛ إذ نجد في ورقة الإضراب عاملاً يقول لأحد الكتبة ولأحد رؤساء العمال: إنكم رؤسائنا، وأنتم مفتشو الجبانة.

وكان بعض العمال يوصفون بالألقاب التي تدل على واجباتهم الخاصة؛ فمثلاً نجد من بينهم من يُميزون بأنهم نحاتون، أو حفارون، أو صنّاع، أو قاطعو أحجار، أو صنّاع جبس وهم الذين يُعتبرون أحياناً بنائين، أو صانعي فخار.

وكان يقوم بعمل الشرطة في الجبانة جنود المازوي، وكانوا في قديم الزمان من النوبيين، غير أنهم في نهاية الأمر أصبحوا من المصريين كما ذكرنا من قبل (راجع مصر القديمة الجزء الخامس)، وكان على رأسهم ضابطان.

وكانت وظيفة كل من رئيس العمال والكاظم من الأهمية بمكان في الجبانة، ولهما ميزات خاصة؛ فمثلاً نجد في توزيع الجرايات أنه كان للواحد منهما ضعف^(٢٨٨) ما للعامل العادي أحياناً. ولدينا ورقة من الأوراق قد سُجل فيها تقسيم زيت، فقد تسلم رئيسان «هنأ» لكل منهما، في حين أن سبعة عشر رجلاً كان نصيب الواحد منهم (٢,٥ هنأ) من الزيت، وثمانية آخرون كل واحد منهم تسلم هنأ ونصف هن.

وتدل شواهد الأحوال على أن وظيفة الكاظم كانت وراثية؛ إذ في مقدورنا تتبع وراثة هذه الوظيفة في هذه الجبانة الملكية بدون انقطاع في خلال الأسرتين العشرين والواحدة والعشرين.

ويجدر بنا بهذه المناسبة أن نذكر شيئاً عن هذه الأسرة، إذ هي في الحقيقة تمثل لنا صفحة من تاريخ هذا العصر الغامض، وبخاصة في هذه الجبانة وما جرى فيها من أحداث جسام. كان الكاظم «بوتهامون» بن «تحتمس» الموجودة موميته وتابوته في «متحف بروكسل» الآن من أسرة كتبة مكلفين بملاحظة وإدارة العمال الذين كانوا ينحتون في الصخور في «وادي الملوك» مقابر ملوك الدولة الحديثة. ويرجع الفضل في الوقوف على معرفة ستة من أعضاء هذه الأسرة المرتبين ترتيباً تاريخياً إلى «تحتمس» هذا؛ فقد نقش

أسماءهم على صخرة، وهؤلاء كانوا على التوالي كتبة للقبر الملكي في عهد الأسرة العشرين. وكل هؤلاء معروفون لنا من الكتابات التي تركوها إما على البردي، وإما على الاستراكا. وهذه الوثائق تمكننا من تتبع تاريخ هذه الأسرة. وعلى الرغم من أنه هزيل في كثير من تفاصيله يلقي ضوءًا على الحوادث الكبيرة والصغيرة التي وقعت في جبانة «طيبة» وتصف لنا ما تقلب فيه عمالها من أحداث.

وأول عضو معروف لنا في هذه الأسرة يحمل لقب كاتب هو «موت نخت» وقد عاصر الفرعون «رعمسيس الثالث» وأخلافه المباشرين. أما والده «إبوي» الذي كان يُذكر غالبًا في المتون فلم يحمل ألقابًا قط. وعلى ذلك لم يكن كاتبًا. ومن المحتمل أنه موحد مع العامل الذي كان يحمل نفس الاسم، وهو الذي صادفنا اسمه بين العمال العاديين للقبر الملكي في نهاية الأسرة التاسعة عشرة وبداية الأسرة العشرين. أما توحيد مع «إبوي» صاحب المقبرة الجميلة التي تقع في «دير المدينة» (رقم ٢١٧) فأمر فيه شك كبير. وقد عُيِّن «آمون نخت» كاتبًا للقبر الملكي في السنة السادسة عشرة من عهد «رعمسيس الثالث» بقرار من الوزير «تا»، وقد أظهر «آمون نخت» اعترافه بالجميل لهذا الوزير دائمًا لهذا التعيين حتى إنه سمى ابنه «تا» عرفانًا وولاء لوزيره. ونعرف من أسرة هذا الكاتب غير ابنه «تا» اسم زوجته «تاورت محب» وابنه «حورشرى» الذي ورث والده في وظيفة كاتب، وكذلك نعرف ابنة نجلهم اسمها غير أنها قد عُرفت بأنها سارقة لجلباين، وقد كشف عن سر هذه السرقة وحي تمثال الإله في السنة الخامسة على ما يُظن من عهد الفرعون «رعمسيس الرابع» خلف «رعمسيس الثالث» على العرش. وقد كان «آمون نخت» يظهر غالبًا بوصفه شاهدًا في الخصومات والمعاملات التجارية التي تجري بين العمال، وقد لعب دورًا هامًا في الاضطرابات التي حدثت في السنة التاسعة والعشرين من عهد «رعمسيس الثالث» حيث كان العمال يتسلمون جراياتهم التي يعيشون عليها بطريقة مرتبكة غير منظمة كما ذكرنا، مما أدى في نهاية الأمر إلى الإضراب عن العمل، فقد ترك العمال أعمالهم وتجههوا على مقربة من المعابد الملكية الجنائزية. وقد بذل «آمون نخت» كل ما في وسعه لتهدئة خواطرهم مع إظهار عطفه على قضيتهم، كما

أظهر ولاءه في الوقت نفسه لرئيسه الوزير. وقد كانت السنين الأولى من حكم «رعمسيس الرابع» يعتمدها الاضطراب والقلق بسبب صعوبات داخلية، وعندما ساد السلام وعاد النظام إلى ربوعه وجدنا «آمون نخت» يرحب بهذا العهد الجديد في قصيدة وصلت إلينا منقوشة على قطعة خزف (استراكا) محفوظة الآن في «تورين»، وقد وجدنا أن «آمون نخت» كان لا يزال على قيد الحياة في السنة الثانية من عهد «رعمسيس الخامس»، ويظهر أنه ودع هذه الحياة في السنة السابعة من حكم ملك لم يسم باسمه، ويحتمل أنه «رعمسيس السابع»؛ لأن تركته في هذه السنة قد قُسمت بين المواطنة «تاورت محب» وزوجه وبين أولاده. وقد ورث «حورشرى» والده «آمون نخت» في وظيفة كاتب القبر الملكي، وقد كان في حياة والده يعمل رسامًا، وكان عمله الهام رسم وتلوين المناظر والنقوش على جدران القبر الملكي، وكذلك نعلم أنه قد أنجز أعمالاً مختلفة للعمال وغيرهم من سكان جبانة «طيبة» فكان يصنع - ويلون على وجه خاص - التوابيت الخشبية. ولا يزال لدينا عدة قوائم حساب للكاتب «حورشرى» تظهر أن عمله كان مصدر دخل عظيم جدًا له، وقد وجدنا أنه طلب رشوة في مرة من والد كان يرغب في ترقية ابنه. وفي السنة السادسة عشرة من حكم الفرعون «رعمسيس التاسع» نجد «حورشرى» وزميلًا له يقومون بنشر فضيحة عظيمة في «طيبة» وذلك برفع تظلم أمام عمدة «طيبة» الشرقية المسمى «باسر» بخصوص سرقات ارتكبت في المقابر الملكية في غربي «طيبة»، وقد سمع «باسر» لما قالوا وألقى المسؤولية على عمدة «طيبة» الغربية «باورا» الذي كان يكرهه. وقد استمرت القضية مدة طويلة، والوثائق التي وصلت إلينا تظهر أن الرأي كان يميل إلى إخفائها والتغاضي عنها. وقد تظلم «باورا» من هذين الكاتبين لأنه كان الواجب عليهما أن يقدمتا تقريرهما لرئيسهما المباشر وهو الوزير لا إلى عمدة «طيبة» الشرقية. ولا نزاع في أن «حورشرى» وزميله كانا مخطئين، غير أن اتهامهما له كان حقًا؛ ولذلك لم يجسر أحد على إلحاق أي ضرر بهذين الكاتبين. وقد استمر «حورشرى» يشرف في سلام على أمور عمال القبر الملكي في السنة السابعة عشرة من عهد «رعمسيس التاسع» ونرى بجانبه ابنه «خعمحزت»، وقد كان يشرف فعلاً مع

رئيسي العمال على فرقة عمال القبر الملكي. وبعد ذلك نجد «خعمحزت» هذا يظهر وحده في السنة الثالثة من عهد «رعمسيس الثالث»، غير أن معلوماتنا عنه ليست وافية؛ لأن ما لدينا عنه من وثائق قليل جداً، أما الوثائق التي عن ابنه «تحتمس» فهي على العكس، مهمة نسبياً، وكثيرة.

فقد كان «تحتمس» في صباه يشتغل عاملاً عادياً في فرقة العمال قبل أن يصبح كاتباً، وفي السنة الثانية عشرة من عهد «رعمسيس الحادي عشر» نجد أنه قد ارتقى إلى وظيفة كاتب للقبر الملكي، وجباية العشر من الحصول عند الفلاحين في الإقليم الواقع جنوبي «طيبة». وفي السنة الثامنة عشرة من حكم هذا الفرعون نقرأ أنه كان يشرف على التجارين الذين كانوا يشتغلون في قارب الوزير مرات عديدة. وقد دُوِّن اسم بيت «تحتمس» في بردية محفوظة الآن «بالمتحف البريطاني»، وتحتوي هذه القائمة على أسماء بيوت «طيبة» الغربية. وكان هذا البيت واقعاً بجوار معبد مدينة «هابو» حيث كانت قد نقلت وقتئذ قرية عمال القبر الملكي، أما مكانها الأصلي القديم في «دير المدينة» الحالية فلم يكن في مأمن بسبب الغزوات التي قام بها «اللوبيون» في عهد «رعمسيس التاسع». وقد ذكر «تحتمس» هذا مرات عدة في سلسلة وثائق هامة مؤرخة بعهد النهضة - الذي يؤلف جزءاً من عهد «رعمسيس الحادي عشر» - ولها علاقة بالسراقات الجديدة في جبانة «طيبة». وقد كان «تحتمس» هذا وزميله الكاتب الثاني للقبر الملكي المسمى «نسامنموي» حاضرين عند التحقيق مع اللصوص، وكانا أحياناً يوجهان أسئلة للمتهمين لتوضيح تفاصيل كان يُخيل إليهما أنها غامضة.

وعلى أثر موت «رعمسيس الحادي عشر» أعلن الكاهن الأكبر «حريحور» نفسه ملكاً على مصر، ونصب ابنه «بيعنخي» وزيراً؛ وبذلك أصبح «بيعنخي» رئيس «تحتمس» وابنه «بوتهامون» الذي شغل مدة وظيفة كاتب القبر الملكي في وقت واحد مع والده، وقد كان كل منهما على اتصال وثيق مع «بيعنخي» ووالدته الملكة «نرمت»، وكانا غالباً ما يكلفاهما بأموريات سرية. وقد استقينا معلوماتنا عن اتصالاتهما مع

«بيعنخي» ووالدته من سلسلة رسائل تتألف منها الرسائل التي كتبها «تحتمس» - الذي كان يُسمى أحياناً «زروى» - ومن رسائل «بوتهامون». ومن المحتمل أن هذه الرسائل المشتتة الآن في متاحف العالم كانت في الأصل في بيت «بوتهامون» القائم حتى يومنا هذا خلف معبد مدينة «هابو» على مقربة من جدار السور العظيم. وقد ترك لنا كل من «تحتمس» و«بوتهامون»، وبخاصة الأخير منهما عدداً كبيراً من النقوش على صخور جبل «طيبة». ونجد أن الكاتب عادة كان يكتفي بذكر اسمهما، وأحياناً يضيف لنا التاريخ وسبب الزيارة أو يحفر لنا صلوات قصيرة.

وقد قام «بوتهامون» بنقل الموميات الملكية إلى الخبيئة التي أمر كهنة «آمون» العظام بنقلها فيها حفظاً لها من اللصوص الذين كانوا لا ينفكون يحفرون قبور الفراعنة طلباً للكنوز، وإفلاق راحة الأموات.

والسنة الثالثة عشرة كما هو المظنون من عهد الملك «يسونيس الأول»، وقد وُجدت مكتوبة على لفائف الملك «رعمسيس الثالث»، هي آخر تاريخ تصادف فيه اسم الكاتب «بوتهامون». وكان ابنه يُدعى «عنخفنامون» وهو الذي خلف في وظيفة كاتب للقبر الملكي. ولكن ليس لدينا من الوثائق عنه إلا نقش كتبه على جدار قبر «بدير المدينة» وهذا النقش يحتوي صلاة لوالده المتوفى، والكاتب «عنخفنامون» هو آخر عضو نعرفه في هذه الأسرة، وقد عاش في النصف الأخير من الأسرة الحادية والعشرين.

وقبل أن نختم كلامنا عن جبانة «طيبة» نجد لدينا سؤالاً واحداً تجب الإجابة عنه، وهو: من هم الموظفون الخارجون عن دائرة الجبانة الذين نسمع عن علاقتهم بها في ورقة الإضراب؟ والواقع أننا إذا حكمنا عليهم من ناحية الاسم فقط أمكننا أن نقول على وجه الحسب إنهم كانوا أشخاصاً أخذوا بنصيب من العمل في الجبانة أو الحياة فيها، وفي الوقت نفسه قد لا يكونون متصلين أو عائشين في نفس الحي، أو أنهم قد أتوا بهم تحت رعاية موظفي الجبانة لتوزيع الجرايات أو لحفظ النظام. وهذه النظرية تتفق تماماً مع الحقائق المعروفة عن هؤلاء الأفراد، والكلمة المصرية «سمدت» يظهر أنها تعني هيئة موظفين

لمؤسسة. ولا بد أنه كان هناك نظرياً هيئة داخلية، كما كان هناك هيئة خارجية. والواقع أنه كان هناك هيئة غير أنها لم تكن معروفة بهذا الاسم، بل كانت تُعرف بكلمة تدل على طائفة عمال وحسب. وورقة الإضراب تحتوي يوميات هامة لها علاقة بهذه النقطة، فقد جاء فيها: ٢٨٩ السنة التاسعة والعشرون، الشهر الثالث من فصل الفيضان، اليوم الثاني (٩) تفصيل عن تشغيل طائفة عمال الجبانة.

ثم تأتي بعد ذلك اليومية التالية: «طائفة العمال بأكملها.» ويتبع ذلك العنوان حملة الماء ويُذكر معهم ستة أشخاص، ثم «حملة الخضر» ويُذكر ستة أسماء كلهم يُلقبون بستانيين أو نواب بستانيين. وبعد ذلك «جالبو سمك» ويُذكر أربعة أسماء.

ومن ذلك يظهر أن كل هيئة العمال كانت من القرية نفسها وليسوا غرباء وكانوا يقومون بتوريد الماء والخضر والسمك.

هذه نظرة عامة عن الحياة في جبانة «طيبة» الغربية التي كانت تُعد في الواقع بمثابة جزء من مدينة «طيبة» الكبرى. وسنرى في عهد الملوك الذين خلفوا «رعسيس الثالث» تفاصيل عن بعض الموضوعات التي ذكرناها هنا باختصار على أن الحياة التي كانت تدب في أنحاء هذا البلد الأمين أخذ مصباحها ينطفئ دفعة واحدة وهجرت، ولم يعد الملوك يخفرون مقابرهم فيها، أو يشيدون معابدهم في ربوعها، ومن ثم انتقل عمال القبر الملكي إلى مكان آخر، أو استغنى عنهم، وقد كان من جراء ذلك أن اختفت عن أعيننا أسرة الكتبة، وكذلك العمال الذين أحيوا تاريخ «طيبة» وجبانته التي كان المصري يسميها «بيت الحياة» مدة قرن ونصف قرن. وقد انتقلت هذه الأبهة، وهذه العظمة إلى الشمال في «تانيس» العاصمة الدينية حيث حفر الفراعنة قبورهم التي كُشف عنها حديثاً. (٢٩٠)

(١٠-٢) صناعة الكتابة

ولا غرابة في أن نجد صناعة الكتابة من أعلى الصناعات وأحبها إلى المصري في ذلك العهد من التاريخ، ولقد كانت الأحوال تستدعي التمسك بها والمحافظة على

تعلمها؛ ففضلاً عن أنها كانت تقف المرء على الحياة الاجتماعية والعادات والتقاليد كما هي وظيفتها اليوم، فقد كانت - إذا ما قيست بغيرها من الصناعات والمهن - أشرفها وأعلاها، وإذا صدّقنا ولو بعض الشيء الصورة التي كان يصورها لنا الكاتب عن الصناعات الأخرى وبخاصة حرفة الفلاحة وقفنا منها على ما كان يعانيه الفلاح المصري من يؤس وشقاء من ذلك الخطاب النموذجي الذي صُوّر بصورة تذكرنا بما كان يجري في عهد المماليك عندما أخذوا يعيشون في الأرض فساداً، وبظلمون الفلاحين، ويستنزفون دماءهم قبل تولية مُحمَّد علي. فاستمع لما جاء في هذا الخطاب الذي كتبه والد لابنه عندما سمع أنه ترك تعلم الكتابة لانخراطه في سلك فلاحية الأرض وتنميرها: لقد بُنيت أنك قد أقلعت عن صناعة الكتابة، وانغمست في اللهو واللعب، ووليت وجهك نحو العمل في الحقول، فهلا تذكر حالة الفلاح وهو يواجه بتسجيل ضرائب المحصول عندما تكون الحية قد قضت على نصف الغلة، والنهم جاموس البحر البقية الباقية؟ والفقران تنتشر في الحقول، ويحيط عليها الجراد والماشية فيلتهم محصولها، والطيور تأتي بالمصائب على المزارع، وكل ما يبقى بعد ذلك على رقعة «الجرن» يؤتى عليه؛ إذ يقع غنيمة باردة في يد اللصوص، ويغرم الفلاح بعد ذلك أجرة الماشية التي استأجرها (للحرث والدرس).

وزوج الثيران ينفق وهو يدرس الأرض ويحرثها.

والآن يرسو الكاتب عند شاطئ النهر، ويسجل ضريبة المحصول، وعندئذ يُشاهد البوابون حاملين عصيهم، والنوبيون وبأيديهم جريد النخل قائلين: «سلم الغلة». في حين أنه لم يبقَ منها شيء. فيضرب الزارع في كل مكان من جسمه، ويشد وثاقه ويلقي به في البئر رأساً على عقب. أما زوجه فتوثق كذلك أمامه، ويغل أولاده، وإذ ذاك يهجرهم جيرانهم ويولون الأدبار. وهكذا تطير غلتهم.

أما الكاتب فهو فوق كل شيء، فإن من يتخذ الكتابة صناعة له لا تفرض عليه ضريبة ولا يدفع جزية ما، فالتفت إلى ذلك جيداً.

وهذا الخطاب على الرغم مما فيه من مبالغة يشعرنا بأن الضرائب كانت تُجبي

بفظاظة وقسوة، وقد كانت هذه الحال هي السائدة - على ما يظهر - في مصر حتى القرن التاسع عشر الميلادي.

ولدينا خطاب آخر من هذا النوع يصور لنا نفس الحالة مع بعض تفاصيل أخرى: كن كاتبًا، ضع هذه المهنة في قلبك، ولا تُعرض عنها، وإلا أجبرتكَ على أن تكون مزارعًا تُلزم بدفع ثلاثمائة حقيبة غلال، وتُكلف القيام على عدة حقول ثلاثها مملوءان بالأعشاب الضارة، وهذا القدر أكثر من الغلة نفسها، وبذلك يدب اليأس في قلبك، فلا تبذر البذر (في الأرض) فتتركها تسقط على الأرض، وتُهرز رأسك مستسلمًا قائلاً: سأفعلها (أي سأبذرهما)، ثم يأتيك زمن الحصاد فتري ما قمت به، وحينئذ تجد أنهما حمراء وعالقة بالأرض، أو قد أُلصقت بالحجر، وكذلك تجد أن زوج الثيران الذي أحضرته للحرث قد سقط في الوحل - يقصد الثورين اللذين قد استأجرهما للحرث - وعندئذ يأتي الراعي ليأخذهما ثانية فتقف مبهوتًا، ثم يأتي المشرف على الماشية في جولته التفتيشية، وعند ذلك يضطرك الموقف للإجابة (بأنهما ليسا هنا)، وعلى ذلك تغرم البقرتين، ويُنتزع منك عجلاهما. افهم ذلك جيدًا.

وهكذا نشاهد أن الفلاح المصري منذ خمسة آلاف سنة لا يزال هو هو بعينه الآن يحمل أعباء الحياة التي يتمتع بها غيره ممن يحترفون المهن الأخرى وبخاصة رجال الدواوين والمصالح الحكومية وأصحاب رءوس الأموال الذين أسعدهم الحظ بتعلم القراءة والكتابة، غير أن بؤس الأحوال وما حدث في العالم من تطور يشعر بقرب تغير هذه الحالة المرذولة إلى ما هو أحسن.

(١٠-٣) الصور الهزلية

والواقع أن شواهد الأحوال تدل على أن الحياة في مصر في ذلك العهد كانت آخذة في التدهور، وبخاصة بعد الحروب الطاحنة التي قاست خلالها البلاد البؤس والشقاء؛ مما دفع أصحاب الأقلام إلى وصفها بأبشع الصور، كما أخذ المفتنون يصورونها لنا في صور هزلية رمزية، ولا غرابة؛ فقد كان المصري ميالاً بطبيعته إلى الرسوم الهزلية،

حتى إنه استعملها في كثير من الأحوال لتدل على النقد اللاذع، والتهكم المشين، وأبرز للعالم أفكاره مصورة في هيئة حيوانات دلالة على ما يرمي إليه، وقد تناول في ذلك موضوعات كثيرة تمثل الظلم والعدل على السنة الحيوانات؛ مما يعيد إلى أذهاننا قصص كليلة ودمنة، ولم يفلت من يد الملفن المصري أحد حتى الفراعنة أنفسهم؛ فقد أظهرهم في صوره الهزلية التي تدل على السخرية والامتهان، ولا أدل على ذلك من تلك المناظر التي سخر فيها كُتَّاب هذا العصر من رجال الجندية ووظائفهم ومجدوا الكتاب والكتابة شعراً ونثراً، فقد أخذ المصورون يمثلون الحروب ومناظرها في عهد «رعمسيس الثالث» وغيره بصور حيوانات بدلاً من الرجال، وقد يكون سبب ذلك ملل الناس من الحروب في هذه الأوقات، فسخروا منها كما سخروا من رجال الجندية، وإنا لنجد في أحد الأوراق المحفوظة الآن في «متحف تورين» صورة هزلية رائعة، مثل فيها فرعون كل الفران ممثلياً عربته التي تقودها الكلاب السلوقية، وهو يهاجم بشجاعة وبطش جيشاً من القطط، على حين تدوس جياده الساقطين من الأعداء تحت أقدامها، وقد كانت فرقته في الوقت نفسه تتقدمه مهاجمة حصناً يدافع عنه جيش عظيم من القطط، وقد مثل هؤلاء الفران وهم يهاجمون هذا الحصن بنفس الحمية والشجاعة والإقدام التي تظهرها الجنود المصرية عندما كانوا يهاجمون حصناً سورياً، وهكذا نرى أن الصور الهزلية التي نقتبسها الآن عن المجلات الإفرنجية ليست إلا اقتباساً توارثته الأجيال منذ آلاف السنين مما كان عند المصريين. وهكذا نرى أن المصري كان يهاجم حتى الفرعون نفسه عندما تشتد به الحالة، وتعضه الحروب الطاحنة بأنبيائها حتى يسأمها؛ فيظهر ما تخفيه نفسه بالصور الهزلية المعبرة التي تعبر عما في ضميره أكثر من الألفاظ.

والواقع أن الحيوانات احتلت مكانة عظيمة في تمثيل المناظر الهزلية أو المسلية العالمية، فكان ينسب إليها كل الانفعالات والهناات الإنسانية، وقد كان القاص يجعل السبع أو الفأر أو ابن آوى ينطق بأحاسيس إنسانية يُستخلص منها عظات عالمية، ولا نزاع في أن «لافونتين» كان له أسلاف على شاطئ النيل لم يعرف عنهم إلا القليل، وقد كان الممثل المصري يضع آلته تحت قاص الخرافات بصوره الهزلية التي كان يبرزها؛ مما كان

يضفي على سخرية القصة من الروعة والنقد اللاذع أكثر مما تعبر به الألفاظ، فحيث نجد المؤلف قد ذكر باختصار أن ابن آوى والقط قد أجبرا فريستهما من الحيوانات التي يريدان التقامها؛ أن يقوم على خدمتهما ورعاية شئونهما لتكون غذاء شهياً في أوقات فراغهما نجد أن المثال قد صور ابن آوى والقط مجهزين بوصفهما فلاحين على ظهر كل منهما حقيبة، وعلى كتف كل منهما عصا، ويمشيان خلف قطيع من الغزلان أو من الأوز المسمن، وإنه لمن السهل أن يتنبأ الإنسان بمصير تلك الفريسة المنكودة الحظ. وفي مكان آخر نجد ثوراً يجلب أمام سيده قطعاً قد غشه، وقد كان نصيبه بما عُرف عنه من البلادة أن يوقع عليه العقاب لسوء فعلته؛ لما ارتكبه من تصرف مشين مع القط إذ اتهمه زوراً وبهتاناً.

وقد كان لألفاظ القط الماكر المعبرة بدقة أمام القاضي الذي مثل برأس حمار يمسك عصا الحكم، ويرتدي ملابس شريف من عظماء القوم؛ تأثير في القصة على القاضي، وهذه القصة تذكرنا بالمناظر التي تُشاهد في قاعة العدل التي كان يعقدها رب «طيبة».

وفي مكان آخر نجد قصة مثل فيها حمار وأسد وتمساح وقرد تمثل كلها جوقة موسيقية يضرب كل منها على آلة خاصة، وفي منظر ثالث نشاهد سبعمائة وغزالاً يلعبان الضامة معاً، وكذلك نشاهد قطعة أنيقة وضعت زهرة في شعرها، وقد حدث بينها وبين إوزة خلاف، فتضاربا معاً، وقد تقهقرت القطعة إلى الوراء مذعورة حين خافت على نفسها. وهكذا نرى كثيراً من الصور والرسوم الرمزية التي وضعها مؤلفوها لتدل على مقاصد معينة أبرزوها في صور خفية في عهدهم كما فعل في كتاب كليلة ودمنة (راجع Maspero, The Struggle of the Nations p. ٤٩٩ ff).

(١١) الحياة الدينية

سارت الحياة الدينية في مجراها الطبيعي الذي كانت تسلكه بعد الانقلاب الديني الذي وقع عقب موت الفرعون «إخناتون» وهو الذي به عادت ديانة «آمون» والآلهة الآخرين سيرتها الأولى بعد أن كان «إخناتون» قد قضى عليها جملة، فأصبحت العبادات في ظاهرها وكأن الإصلاح الذي قام به هذا النبي لم يحدث، وقد ذكر أنفاً ما كان لدين

«إخناتون» المنطوي على عبادة إله واحد من أثر عميق في نفوس القوم وبخاصة ظهور الورع الشخصي، ومناجاة الفرد ربه، واتكاله عليه في كل أعماله وتصرفاته، والالتجاء إليه في كل الشدائد التي تتنابه والمصائب التي كانت تنزل به.

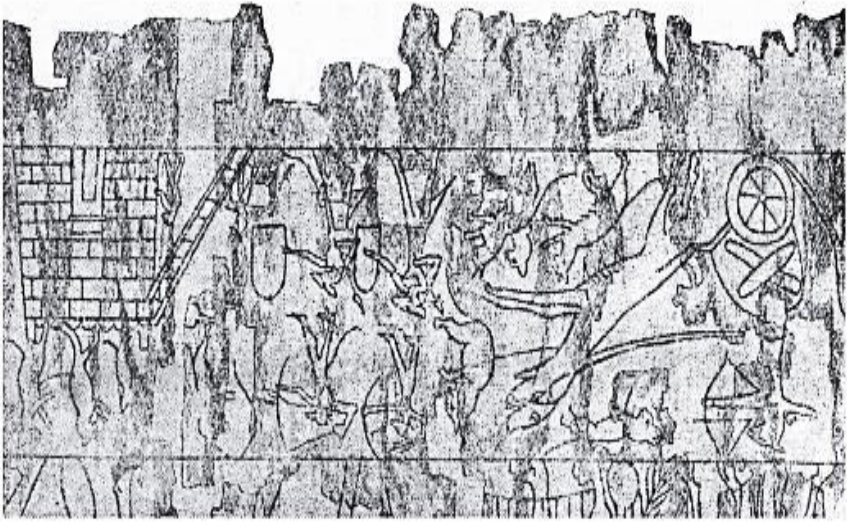
ولكن من جهة أخرى نشاهد أنه كان من أثر عودة عبادة «آمون» والآلهة الآخرين إلى ما كانوا عليه من قبل؛ مبالغة القوم وبخاصة رجال الدين يؤازرهم رجال الحكومة في الحفاوة بالآلهة وتقديسهم بإقامة الشعائر اليومية الطويلة بصفة رسمية منظمة أكثر مما كانت تُقام من قبل، هذا بالإضافة للأعياد التي كانت يُحتفل بها في مناسبات عدة فقد زيد في عدد أيامها.

(١١-١) الشعائر اليومية

وقد ترك لنا «سيتي الأول» على جدران الخراب الست^(٢٩١) التي أقامها في معبد العرابة للآلهة «أوزير» و«حور» و«إيزيس» و«آمون» و«حرمخيس» و«بتاح» مناظر تمثل الشعائر التي كانت تُقام يوميًا للإله «آمون». وقد وصل إلينا غير هذه المناظر عن هذه الشعائر اليومية ثلاث برديات دُوِّنت عليها الأحفال التي كانت تُقام يوميًا للآلهة، وكلها محفوظة «بمتحف برلين»^(٢٩٢) ويرجع عهدها على ما يظهر إلى الأسرة الثانية والعشرين، وهذه المصادر وغيرها تدل محتوياتها على أنه كانت في مصر وحدة عظيمة منظمة لإقامة الشعائر الإلهية اليومية للإله.

والواقع أن ما جاء في مناظر معبد «سيتي» وما دُوِّن على الأوراق البردية السالفة الذكر يصف لنا جزءًا من الشعائر التي تُقام للإله يوميًا، وهذا الجزء خاص باللباس الإله، أو بعبارة أخرى تمثاله وتزيينه وتضميخه ثم إعادته إلى محرابه. ولدينا شعيرة أخرى كانت تُقام للإله تُعد مكملية للسابقة، وهي خاصة بتقديم الطعام له بعد نهاية الجزء الأول. وقد نشر لنا الأستاذ «جاردنر» جزءًا عظيمًا من هذه الشعائر بعنوان شعائر الفرعون «أمنحتب الأول المؤله» (راجع Gardiner, Hieratic Papyri in the British

(٦١-٥٠ and Vol II, pls. ١٠٦-٧٨Museum Third series Vol, I, pp.
وقد أضاف إلى هذا المصدر الأستاذ «نلسون» مصادر جديدة أُجريت نُقشت على
جدران بعض المعابد، أهمها مناظر «الكرنك» التي تركها لنا «سيتي الأول» على الجدار
الشرقي لقاعة العمود. ومناظر من عهد «رعمسيس الثالث» في معبد «مدينة هابو» على
الجدار الشمالي للردفة الأولى (راجع Journal of Near Eastern Studies July ١٩٤٩ No. ٣ P. 201ff).



شكل ٩: صورة هزلية تمثل حرباً بين الفران والقطط (أي بين مصر وسوريا) في عهد
«رعمسيس الثالث».

وستحدث هنا أولاً عن شعائر العبادة الإلهية اليومية، ثم نورد بعد ذلك ملخصاً
مختصراً لرءوس الموضوعات الخاصة بإطعام الإله.

من المعلوم أن الملك كان في الأصل صاحب الحق الأول في إقامة الشعائر للإله
بوصفه الكاهن الأول، غير أنه كان بطبيعة الحال ينيب عنه كاهناً كبيراً أو أحد عظماء

رجال الدين لأداء تلك الشعيرة وغيرها. وقد كانت الشعائر تُقام لتمثال الإله الذي كان يُوضع عادة في محراب صغير يُصنع في معظم الأحيان من الخشب المموه بالذهب والمزخرف بالألوان والمطعم بالأحجار الثمينة. ولما كان التمثال من الخشب فقد كان سهل الحمل على الكهنة في أيام الاحتفال التي كان يُحمل فيها الإله في المواكب. وكان محراب الإله أو عبارة أخرى قدس الأقداس في المعبد مغلقاً بباب ذي مصراعين مقفل مزلاجه بإحكام ومختوم. والفريضة التي سنفحصها الآن على حسب ما جاء في ورقة «برلين» قد قسمها المصريون أنفسهم ستة وستين فصلاً، ونختصرها هنا بعض الشيء في فصول قليلة.

ويبتدئ الاحتفال بالعنوان التالي: بداية فقرات الأحفال الخاصة التي تُقام يومياً في معبد الإله «آمون رع» ملك الآلهة بوساطة الكاهن العظيم المطهر الذي يكون في خدمته في يومه.

وتتلخص الشعيرة فيما يأتي:

(أ) (أولاً) الأحفال الافتتاحية

كان على الكاهن قبل أن يقترب من قدس الأقداس أن يطهر نفسه ويرتدي ملابس الكهانة الخاصة بهذا الحفل. ويلاحظ أن البردية لا تتحدث عن المراسيم التجهيزية التي تحدث عادة في بيت الصباح، غير أنه لدينا متون أخرى من بينها لوحة «بيعنخي» تشير إلى ذلك. ومن جهة أخرى نشاهد أن المناظر التي على جدران المعابد تمثل غالباً شعيرة التطهير التي كان يقوم بإنجازها الإلهان «حور» و«ست»، وغالباً ما نرى بدلاً من «ست» الإله «تحت»؛ فنرى الإلهين يرفعان فوق رأس الملك إناءين خاصين بهذه الشعيرة ويصبان منهما الماء المطهر على رأسه. ويُفهم من الكلمات التي يوجهانها للملك أنه قد تسلم التقديس الملكي الذي بوساطته يكون له الحق وحده في الاحتفال بالخدمة الإلهية. وبعد أن يتخلص الكاهن بهذه الكيفية من كل أقدائه الجسمية يُختر بالمبخرة

ويتقدم مطهرًا بعقيق البخور الأماكن التي يمر فيها وهو متجه نحو الإله.

(ب) فتح المحراب

تشمل هذه الشعيرة سلسلتين متوازيتين من الأحفال. وعلى الرغم من أن المتون لا تقدم لنا أية تفاصيل عن كنه هذا الموضوع فإنه في استطاعتنا أن نقترح مع الأستاذ موريه (Le rituel du Culte divin Journalier en Egypte p. ٣٠-١) أن هذا التوازي يقابل تقسيم مصر التقليدي مملكتين. وعلى ذلك يكون لدينا على التوالي الشعائر التي تُقام للوجه القبلي والشعائر التي تُقام للوجه البحري. وعلى أية حال فإنه على أثر إنجاز الكاهن الطهور الشعيري يقترب من المحراب ويكسر الخاتم المصنوع من الطين ويشد المزلاج، والصيغ الدينية التي يرتلها خلال هذه الأحفال مستعارة مباشرة من أسطورة «حور»: إن ما يحمله إلى الإله هو «عين حور»، وكذلك فإن المزلاج نفسه موحد بإصبع الإله «ست»؛ لأنه يقوم بمثابة عقبة في سبيل إنجاز الخدمة الإلهية، وإن المزلاج هو الذي يفصل الكاهن من الإله المغلق عليه في محرابه، وعلى ذلك فإن شد المزلاج وفتحه يعني إحراز نصر على العدو الأبدي للإلهين «أوزير» و«حور».

(ج) التعبد للإله

وعلى إثر شد المزلاج يفتح الكاهن «أبواب السماء ويكشف وجه الإله»، ثم يركع أمام التمثال مرتلاً الدعوات الصالحات التي تشبه بعض الشيء صيغ الاعتراف بالبراءة (راجع مصر القديمة الجزء الخامس). ومن جهة أخرى تشير هذه الدعوات الصالحات إلى التمثيلية العظمى التي على وشك الإنجاز لإعادة الحياة للإله ثانية، وبعد ذلك ينهض الكاهن ويرتل أناشيد التعبد وينشر العطور على التمثال، ويجعل عقيق البخور يرتفع أمامه ويغمره.

وعند هذه النقطة يستأنف الشعيرة بعنوان: «فصل دخول المعبد» وهو الأحفال الأولى الخاصة بالعبادة مع تلاوة أسطورة «عين حور» بصورة بارزة، وهذه الأسطورة على

حسب أقدم رواية - وقد دخل عليها بعد بعض التحريف والفساد بوساطة أسطورة «أوزير» - مشتقة بلا شك من أصل نجمي جملة. وقد كان لها فيما بعد مقابل شمسي: فقد حُكي أن السيد العالمي كان عند بداية الخليقة قد حُرِم عينه لسبب لا نعرفه، وكُلف الإلهان «شو» و«تفنوت» بالبحث عنها وإحضارها له، ولكن طال غياب الإلهين حتى إن «رع» قد اضطر أن يضع بدل تلك العين الجاحدة أخرى. وعندما أُحضرت العين في نهاية الأمر بوساطة الإلهين «شو» و«تفنوت» استشاطت غضباً لما رأت أن مكانها قد احتل. ولكن «رع» رغبة في إرضائها وتهدئة خاطرها حولها إلى «صل» ووضعه على جبينه رمزاً لقوته. هذا فضلاً عن أنه كلفه بجراسته من الأعداء، فبيعت النار والدمار في وجه كل من يقترب منه، وهو الصل الذي نراه في تاج الملك على جبهته.

(د) تقبيل الإله

وعندما يصل الكاهن إلى مدخل المحراب، يتلو كلمات مهدئة تطمئن خاطر الإله، ويجب أن يعرف الإله تمام المعرفة أن الكاهن الذي يقترب منه ليس عدواً له، بل حاميّه. ثم يذكر الكاهن أنه قد دخل السماء، أي المحراب، ليُشاهد «آمون» وليقترب منه في ساعة بؤسه، وفي هذا القول إشارة إلى خسوف الشمس الذي كان من جرّاءه الهجمات الشديدة المستمرة التي كان يقوم بها «ست» إله الشر، ولكن عين «حور» يؤتى بها إلى الإله لترد له الحياة. وهذه هي اللحظة الفاصلة في إقامة هذه الشعيرة، والنقطة النهائية في تمثيل هذه الدراما.

(هـ) فتح المحراب للمرة الثانية

لم يذكر لنا المتن شيئاً عن كيفية انسحاب الكاهن بعد ختام الجزء الأول من تأدية خدمة الإله. والأحفال التي تصحب فتح المحراب للمرة الثانية لا تختلف عن سابقتها في شيء إلا في نقطة واحدة، وذلك أن الكاهن بدلاً من إحضار عين «حور» للإله، يقدم له تمثالاً صغيراً يمثل الإلهة «ماعت» إلهة العدل والحق والصدق. ونعلم من المتن الطويل الذي

يفصل القول في هذه القربات الموحدة هنا بالإلهة «ماعت» - لا في كنهها المعنوي وهو العدالة - بل في معناها المادي وهو القربان الذي يجعل الإله يسترد حياته الجسمية فيقول المثن: إن عينك اليمنى هي «ماعت»، وعينك اليسرى هي «ماعت»، وجسمك هو «ماعت»، وأعضاءك هي «ماعت»، وملابسك التي تستر أعضاءك هي «ماعت»، وإنك تتغذى من «ماعت» وتشرب «ماعت»، وخبزك هو «ماعت»، وجعتك هي «ماعت»، والبخور الذي تشمه هو «ماعت»، ونفس أنفك هو «ماعت». (Moret op. cit. p. ١٤١).

ومن ثم نعلم أن «ماعت» كانت تلعب نفس الدور الذي كانت تلعبه عين «حور»، لدرجة أنه - بغض النظر عن المظاهر الخارجية - لا توجد فروق رسمية بين الأفعال الشعائرية التي تتوج عمليتي فتح المحراب المتتابعين.

(و) ملابس الإله

وبعد أن تدب الحياة ثانية في أعضاء الإله ويصبح حيًا كان من الواجب أن يتدلى بالباسه ملابس، وكان يقتضي ذلك إخراج التمثال من محرابه وإحضار الصندوق الذي يحتوي على أدوات زينتته المقدسة، وبعد ذلك يأخذ الكاهن في تطهير التمثال مرتين بالماء وأخرى بالبخور، ثم يضع على جسمه أربع قطع من النسيج: واحدة بيضاء لتمثل الإلهة «نخت» وهي الإلهة الحامية للوجه القبلي، وقطعة حمراء وأخرى خضراء لتمثل الإلهة «وازيت» الإلهة الحامية للدلتا، وأخيرًا قطعة نسيج قرمزية اللون عادة وتمثل إلهة النسيج «تايت» (راجع Excavations at Giza Vol. VI, Part II, P. ٢١٦)، وعند فراغ الكاهن من لباس الإله يأخذ في تزيينه وترجيجه وتعطيره بكل أنواع العطور والزيوت المختلفة ذات الأريج الجميل، وبعد ذلك يُوضع التمثال ثانية في محرابه، غير أن المثن الذي في متناولنا لا ينص على ذلك صراحة.

(ز) الأحفال النهائية

وأخيراً كان ينشر الكاهن الرمل أمام التمثال، وقد قرَّب الأستاذ «موريه» بين هذه الشعيرة وشعيرة إرساء حجر الأساس في الاحتفال بإقامة المعابد العريقة في القدم (راجع No. I ٢٠٢ Ibid p. وبعد ذلك كان يُطهر الإله بالنطرون، وهذا الطهور كان الغرض منه فتح فم التمثال وعينه (راجع مصر القديمة الجزء الرابع)، وعلى أثر ذلك تعمل عملية التطهير الأخيرة بالماء والبخور وبذلك ينتهي الاحتفال بهذه الشعيرة. وبعد ذلك يغلق الكاهن باب الخراب ويُحكم بالمزلاج ثم ينسحب، وفي خلال هذا الانسحاب يمحو بمكنسة سحرية أثر قدميه من على الأرض، وكذلك يطرد الشيطان الرجيم وبخاصة إله الشر الذي قتله من الخراب (راجع JE. A Vol. ٣٥ ٦ ٨٢-٨٦) وفي هذه الحالة كان يقوم الكاهن بدور الإله «تحت» إله السحر. ويذهب الأستاذ «نلسون» إلى أن الكاهن عندما كان يطرد إله الشر كان يمثل نفسه وهو خارج من الخراب في حالة سرية خفية.

(ح) أهمية هذه الشعائر

لم نحاول في معظم الأحيان ترجمة المتون التي تصحب هذه الشعائر، والواقع أنها من الأهمية بمكان، لأنها تظهر لنا أثر ديانة «أوزير» في الشعائر المقدسة؛ فالإشارات فيها لعين «حور» كثيرة جداً، وقد رأينا من جهة أخرى مشابحات عدة بين الخدمة الإلهية والخدمة الجنازية، التي تعمل للأفراد الذين كانوا يعتنقون المذهب الأوزيري وشعائره، ومن ذلك يمكننا أن نستخلص بحق أن عبادة «أوزير» تُعد من أقدم العبادات التي أسست في مصر، وأنها هي العبادة التي أثرت بقوة على خيال الشعب المصري، غير أنه من الصعب جداً إمكان معالجة مثل هذا الموضوع (Blackman J. E. A. Vol V, p. ١٤٨-١٦٥). ومع ذلك فإنه كان يوجد في مصر مذهب ديني آخر يضارع في قدمه مذهب «أوزير» وشعائره، وأعني بذلك المذهب الشمسي أو عبادة «رع». ولا يمكننا أن ننكر أن عبادة «رع» كانت تلعب دوراً هاماً في الأحفال الخاصة بالخدمة الإلهية، غير أن هذا الدور كان ضئيلاً، ومع ذلك يظهر بوجه خاص في الدور الذي تلعبه «ماعت» في القربان. ومن

المعلوم أن «ماعت» هي بنت الإله «رع»، وبذلك تدخل ضمن المذهب الشمسي من غير جدال، ونلاحظ أنها كانت تذكر في إقامة الشعائر موازية لعين «حور» أو موحدة بها كما ذكرنا من قبل. ويجب إذن أن تمثل التيار الشمسي، كما تمثل عين «حور» التيار الأوزيري. وهذان الرمزان «ماعت» و«عين حور» يلعبان دوراً آخر؛ إذ يحلان محل القربان المادي، وإذا فسرنا المتون الخاصة بذلك حرفياً يدهش الإنسان من عدم وجود مثل هذه القربان جملة، والواقع أن الشعيرة لا تقدم لنا بوضوح القائمة المفصلة عن الهبات الطيبة التي عملت للإله، غير أنه ليس هناك أي شك في أن هذه الهبات قد وُجدت فعلاً، وانتشار صيغة القربان العظيم هو البرهان الوحيد الذي في متناولنا، هذا بالإضافة إلى الصور التي لا تُحصى المصورة على جدران المعابد، ويُشاهد فيها الفرعون يذبح الضحايا أمام الإله. ويتساءل الإنسان الآن لماذا حلت الرموز محل هذه القربان؟

ولا شك في أن سبب ذلك يرجع إلى الرغبة في أن يكون هناك وجه شبه محفوظ إلى حد بعيد بين إقامة الشعائر والأساطير الإلهية، فالشعائر كانت تُقام على حسب ما جاء في الأساطير ومن وحيها. فنعلم مثلاً أن «حور» عندما وجد ثانية العين التي انتزعها منه الإله «ست» في أثناء الشجار الذي قام بينهما، أهداها بوصفها رمزاً صالحاً بنوياً لوالده «أوزير»، وبها استرد الأخير حياته، فعين «حور» أصبحت من ذلك العهد رمزاً للقربان، وبخاصة في الأحوال الدينية الجنازية؛ إذ نجد أنه يُنسب إليها إحياء المتوفى ثانية، ويدل الدور الذي تلعبه العين في العبادات الإلهية على أن الإله الممثل في الحراب في صورة تمثال كان ميتاً، وبعبارة أخرى كان يُعد «أوزير» آخر، وهكذا نجد على حسب الأسطورة أن «إزيس» قد وجدت ثانية جسم «أوزير» مقطّعاً أربع عشرة قطعة على يد «ست»، وكان أول ما عنيت به هو جمع أعضاء زوجها، ويقول المتن على حسب ما جاء في هذه الشعيرة: إن عين «حور» قد رتبت عظام آمون وجمعت أعضائه.

وفي متون أخرى نجد إشارة إلى إنجاز هذا العمل الصالح نحو الإله الذي ضحى بجسمه. وقد قال «موريه» في هذا الصدد ما يأتي: إن الشعائر التي يُفرض فيها تضحية

الإله «أوزير» قد تُركت جانباً في بداية العهود التاريخية، وعلى ذلك حل محل توضحية الإله التوضحية له، غير أن المضحى به كان مقدساً أيضاً. وما كان يضحى كان بطبيعة الحال هو عدو الإله الذي تسبب في قتله وهو الإله «أوزير»، أو بتعبير آخر كانت الضحية حيواناً يتقمصه الإله «ست». راجع (Moret Ibid p. ٢٢٤).

أما قربان «ماعت» فقد ذكرنا من قبل أنه شعيرة ماثلة لقربان عين «حور». ومن المحتمل أن بين لفظة «ماعت» ومعناها «يقدم» ولفظة «ماعت» ومعناها «العدالة» تورية في الاسم فقط مع اختلاف معناه، وعلى ذلك تكون كلمة «ماعت» بمعنى «يهدى أو يقدم» قد استُعملت هنا في صيغة اسم المفعول «المهدى». وعلى ذلك لا ندهش من الإشارة الرمزية التي يقوم بها الكاهن، وهي التي تنجح الاحتفال الذي يقوم به عند فتح المحراب في المرة الثانية.

وفي استطاعتنا أن نفرض أن الفعل «ماع» بمعنى «يقدم» مشتق من الفعل «ماع» الذي يعني «عدل أو صدق أو حقق». والقربان ليس في الواقع على هذا الفرض إلا الوسيلة التي بها يرجع الإنسان ثانية إلى الحياة أي إلى الحقيقة (راجع Moret Ibid p. ١٤٨-٥٠).

غير أنه ليس في مقدورنا أن نؤكد دقة مثل هذه النظرية التي يترتب عليها - إذا كانت صحيحة - أن قربان «ماعت» أقل انتساباً إلى المذهب الشمسي منه إلى العقيدة الأوزيرية، أي إن المذهب الأوزيرى يميل إلى المادية على حين أن المذهب الشمسي يميل إلى الروحية.

وطعام الإله يمثل في الشعيرة بالرمزين اللذين تكلمنا عنهما، وقد كانا يُقدّمان له فعلاً يومياً، ويوضعان على أطباق تُحضر بطريقة فنية إذا حكمنا على ذلك بما نشاهده من مناظر على جدران المعابد. ويلاحظ أن الكاهن كان يرفع على هذه القربان مقمعة كأنه يريد أن يضحى بها أمام الإله، وهذه الشعيرة ترجع إلى عهد كانت فيه القرايين وبخاصة الحيوانات تُضحى حقيقة أمام الإله.

ونعلم من جهة أخرى أن القرايين التي تُقدم للإله، وهي التي يستفيد منها بعض المقريرين من الملك، كان محبوساً عليها دخل غذائي للمعبد، وبخاصة لأولئك الذين فازوا بإقامة أحد تماثيلهم الجنازية في محراب الإله.

(١١-٢) تقديم وجبة الإله

وتدل شواهد الأحوال على أنه بعد إغلاق باب المحراب وختمه كانت تنتهي هذه الشعيرة ثم تبدأ شعيرة أخرى كانت تُقام على ما يظهر يوميًا وهي خاصة بتقديم الطعام للإله، فكان يُفتح باب المحراب مرة ثالثة ويُهيأ الطعام على موائد للإله ليتناول منه وجبته، وبعد ذلك يؤخذ نفس الطعام ويُقدم منه للكهنة وخدمة المعبد، ولا نزاع في أن هذه الشعيرة بالذات كانت ذات أهمية عظيمة في نظر رجال المعبد لما كان يعود عليهم منها من خير عميم وطعام وفير يوميًا. ولذلك كانت العناية بإقامتها من الأهمية بمكان، وقد وُجدت الصور الممثلة لها على جدران المعابد وبخاصة في معبدي «الكرنك» ومدينة «هابو» في عهدي كل من «سيتي الأول» و«رعمسيس الثالث» على التوالي، كما وُجدت مدونة على أوراق بردية كما سبقت الإشارة لذلك. وقد كتب الأستاذ «هارولد ولسون» مقالاً رائعاً عن هذه الشعيرة جمع فيه كل المشاهد التي كانت تُؤدَّى والتعاويد التي كانت تُتلى، وقد حصرها في نحو اثنتين وستين، شعيرة غير أن بعضها وُجد مهشمًا وبخاصة في البداية، والواقع أن شعيرة تقديم الوجبة للإله أو المتوفى على وجه عام يرجع عهدها إلى أقدم العهود، وقد ظهرت بصورة واضحة منذ الأسرة الثالثة، ثم أخذت في النمو شيئًا فشيئًا في عهد الأسرتين الرابعة والخامسة، وبلغت أوجها في عهد الأسرة السادسة كما نشاهد ذلك في قوائم قربان الملوك والأفراد، وقد ورد ذلك في المؤلف الذي وضعته خاصة عن مائدة القربان في عهد الدولة القديمة (Excavations at Giza Vol. IV, part II, The offering list in the Old Kingdom). وتوجد بعض فروق اقتضتها الأحوال وسنن التطور بين وجبة الدولة القديمة ووجبة الدولة الحديثة، وسنكتفي هنا بذكر بعض المشاهد والتعاويد التي كانت تحتتمها إقامة هذه الشعيرة، وقد

ذكرنا الجزء الأول منها وهو الخاص بإلباس الإله وتطهيره واستعداده لتناول الوجبة فيما سبق.

(أ) المشاهد من ٨-١

وتدل النقوش على أن المشاهد الثمانية الأولى قد خُصصت لتحضير وتقديم الشواء، وتبتدئ بمتم مهشم يتبعه تجهيز إناء مائدة لإحراق القربان على قاعدة، ثم في خلال اشتعال النار كان يُوضع عليها بخور ودهن، وبعد ذلك تُوضع اللحمية منظومة في سفافيد، ولأجل أن تجعل النار مشتعلة كان يُروح عليها بمروحة وتُتلى لذلك تعويذة خاصة، وينتهي هذا المنظر المؤلف من سبعة مشاهد بمشهد ثامن خاص بتقديم قربان من الجعة، وكان يُقرأ عند تمثيل كل مشهد من هذه المشاهد تعويذة خاصة؛ فمثلاً عند وضع البخور على النار كانت تُقرأ التعويذة التالية - تعويذة لوضع البخور على النار - «لآمون رع» رب عروش الأرضين و«لآمون رع» فحل أمه: خذ لنفسك «عين حور»، وإن عطورها يأتي إليك هدية من الملك رب الأرضين من «ماعت رع» (سبي الأول) معطي الحياة.

وعند تقديم الجعة تُقرأ التعويذة التالية: إن «عين حور» قد أُنعشت من أجله، وإن خصيتي «ست» قد أُنعشت من أجله، وكما أن «حور» منشرح بعينه، و«ست» منشرح بخصيتيه، فإن «آمون رع» المشرف على الكرنك منشرح بقطع اللحم هذه المنتخبة هدية لك من الملك رب الأرضين «سيتي» الخ.

ويلاحظ أنه على الرغم من أن عنوان التعويذة خاص بالجعة فإن موضوعها خاص بالشواء.

(ب) المشهد الثاني عشر

ويتلو هذه التعاويذ ثلاث تعاويذ: واحدة لتقديم الخبز الأبيض، وواحدة لتقديم

الفطير، وأخرى لتقديم الجمعة. ثم يأتي بعد ذلك تعويذة لتقديم الخمر، ويدل متنها على أنها ليست تقديم نبيذ وحسب، بل كان الغرض منها جعل الحدايق تثمر أيضاً، وهاك نص التعويذة: «تعويذة لتقديم نبيذ لتصير الحدايق مثمرة لهذا الإله»، اتل: إن الحدايق تثمر والإله ينشرح، وتفيض مأكولاته. وإني أملأ «عين حور» بالنبيذ الصافي ومشروبات «بتاح-سكر» القاطن جنوبي جداره صافية. وإن أبواب السماء مفتوحة، وأبواب الأرض مفتوحة بالقربان «لبتاح-سكر» القاطن جنوبي جداره في داخل معبد «سيتي»، وإن الإله «تحت» على ذراع حعي (النيل)، والإله «حوراخي» يجعل «بتاح-سكر» القاطن جنوبي جداره يشرب قربانه ونبيذه، وماؤه مثل قوة جب (إله الأرض) في اليوم الذي تملك فيه الأرضين. ليت وجهك يكون نضراً يا «بتاح-سكر» القاطن جنوبي جداره، وإني آتي أملك اليوم بعد أن عملت لك هذه الأشياء، التي عملها «حور» لوالده في داخل بيت «سيتي».

(ج) المشهد السادس عشر

ويأتي بعد تقديم النبيذ تعويذة خاصة بتقديم اللبن، (١٤) وثانية خاصة بتطهير القربان بالماء والبخور. ثم يقفو ذلك ثلاثة مشاهد (١٥، ١٦): الأول والثاني خاصين بقربان سائل، (١٧) والأخير خاص بإطلاق البخور. ويلاحظ في رسوم التعويذة السادسة عشرة الخاصة بتقديم القربان السائل أن الملك يقف أمام الإله ويصب سائلاً في بركتين من إناءين في كل يد إناء. وهاك نص التعويذة التي كُتبت مع هذا المشهد: «ما قاله الفرعون»: لقد أحضرت لك هذه القربات التي ترفعها تحت «العرش العظيم» وهي القربات التي نبتت من «إلفنتين» حتى ينتعش بها قلبك باسمك الخارج من «كبحو» (المكان الذي يُظن أن النيل يخرج منه في أسوان)، وقلب «آمون رع» رب عروش الأرضين الذي يسر به ما يخرج من نون (المحيط الأزلي)، لقد أحضرت لك قرباتك هذه حتى تسر بها، ولتكون عظيمًا أمام «حعي» (النيل). ليت يديه تحب الفيضان مطهرًا «آمون» رب عروش الأرضين.

(د) المشهد السابع عشر، تعويذة للتحية بإناء «نمست»

تُمثل هذه الشعيرة في النقوش عادة بصورة الملك يحمل في يديه إناء واحدًا ممتدًا نحو الإله، وفي غالب الأحيان يمثل الملك راكعًا. ويدل المتن على أن الملك يصب الماء على التمثال لإحيائه بعد التئام أعضائه جسمه. وهاك بعض النص: يا «آمون»، تسلم رأسك، ضم إليك عينيك، لقد أحضرت لك ما يخرج من «نون» (المحيط الأزلي)، وأحسن ما يخرج من «آتوم» باسمك إناء «نمست». يا «آمون»، تسلم رأسك، ضم لنفسك عظامك، وثبت لنفسك عينك في مكانها، يا «آمون»، تسلم قلبك، ضم لنفسك رأسك حتى يتم ما هو خاص بك. يا «آمون» تسلم «عين حور» التي أكلت منها باسمها هذا إناء «نمست» فيها. يا «آمون»، يا رب عروش الأرضين بكل أسمائه. الحمد لله يا «آمون» يا رب عروش الأرضين الذي يوجد في الأرض الجنوبية، والذي يوجد في الأرض الشمالية، وفي كل مكان ترغبه روحك، التي تعيش أبدئيًا. إن الواحد الفاخر يأتي، إن الواحد الفاخر يأتي، إن إناء «نمست» يأتي، إن إناء «نمست» يأتي، إن التاج الأبيض يأتي، إن التاج الأبيض يأتي، إن «عين حور» تأتي وهي التاج الأبيض، إن رائحة الخيشومين تأتي وهي التي في «هليوبوليس» والتي في «منف» نقية، نقية بمثابة هدية الملك رب الأرضين «سيتي» معطى الحياة مثل «رع».

وهذه الشعيرة تختلف عن شعيرة فتح الفم التي تؤدي بواسطة أربع أواني «نمست»

(راجع J. N. E. S. Vol. VIII. ٩٤٩ No. ٣ ٢١٨p. ff).

(هـ) المشهد الثامن عشر

تأدية شعيرة التبخير. ويظهر فيها الفرعون يصب قربانًا ولا يحرق بخورًا مما يدل على إهمال المصور الذي نقش المنظر. وهاك نص التعويذة «ما قاله الفرعون»: إن البخور يأتي، إن عطور الإله تأتي، إن عطره تأتي إليك، إن عطور «عين حور» لك، وهو عطور الإلهة «نخبث» الذي يأتي من الكاب، إنه يغسلك ويزينك ويتخذ مكانه على يديك،

مرحبًا بك يا أيها البخور الإلهي، يا أيها البخور الإلهي. مرحبًا بك يا بخور «منور» الذي في أعضاء «عين حور»، والذي أنشره لك باسمك هذا (كرات من البخور)، يا «آمون رع» إني أعطيك «عين حور» وعطورها يأتي إليك.

(و) المشهد التاسع عشر

وبأني بعد المنظر الأخير منظر يظهر فيه الفرعون واقفًا أمام الإله «آمون» وبينهما مائدة قربان وحاملان، وعنوان التعويذة هو: «عمل التضميخ بالمر». ويمد الفرعون يديه أمامه، إحداها تحمل مبخرة، والثانية ممدودة براحتها إلى الأمام في حالة تعبد، وهاك ترجمة إجمالية لهذه التعويذة: عمل التضميخ بالمر في داخل القصر الفاخر. يُتلى: إن «آمون رع» فحل أمه طاهر في المكان العظيم، وإن روح «آمون» رب عروش الأرضين طاهر بما يعطي رب الأرضين «وسرماعت رع».

يا أيها الواحد الخاص بالمساء، إن ذراعيك للأرض، يا أيها الواحد الخاص بالأرض، إن ذراعيك للسماء؛ إن الملك قوي الحياة، وإنك طاهر ومتيقظ وفتي ومبجل؛ لما فيك من قناعة، وبما يمنحك ابنك «رعسيس الثالث»، وإن «تحت» يعلن عن ذلك. أما عن حجي (الليل) فإنه يقدم طعامًا مما يتجشؤه، وهي القرايين المقدسة للإله «آمون رع» سيد الآلهة على حسب الكتابة التي دوّنها «تحت» في بيت الكتابات المقدسة بوصفها طاهرة «لآمون رع» على المكان العظيم، وتحتوي على ألف من الخبز، وألف من الجعة، وألف من الماشية، وألف من الطيور، وألف من النسيج، وألف من الكتاب، وألف من البخور، وألف من العطور، وألف من القرب، وألف من الأغذية، وألف من كل شيء جميل، وألف من كل شيء حلو طاهر، طاهر للملك «أمنحتب الأول» المنتصر في كل مقعد وفي كل مكان توجد فيه روحه.

وهذه التعويذة كما يظهر من ألفاظها خاصة بتقديم القرايين، وقد أعلنها «تحت» الذي دوّنها كتابة في بيت السجلات المقدسة على حسب إعلان «حجي» أي الفيضان

الذي يجلب الخيرات ويتجشؤها بما ينتج من فيضانه الذي لا بد منه لكثرة محاصيل الحدايق والحقول.

أما الإشارة للواحد الذي في السماء ويده نحو الأرض وبالعكس فقد يجوز أن تكون إلى الإله «جب» إله الأرض الذي ينمو عليه الزرع والضرع، الذي يسببه «حعي» (النيل).

(ز) المشهد العشرون

عند نهاية تقديم القربان والتبخير على النحو المذكور في المشاهد السالفة كان الكاهن يتقدم بإحدى يديه مرفوعة وممتدة نحو الأمام، والثانية مبسوطة على فخذه، ويتلو قائمة الطعام اليومية (٢٠) وهي القائمة التقليدية التي كانت تُقرأ تقليدًا وتُقدم للإله كل يوم (راجع Excavations at Giza Vol VI, part II). وكان يتبعها بالصيغة التالية قربان يقدمه الملك (٢١) وهذه الصيغة كانت تأتي عادة بعد تلاوة قائمة الطعام، وتدل شواهد الأحوال على أنها كانت جزءًا من هذه القائمة. وبعد ذلك كانت تُرتب القربان على المائدة بوساطة الكاهن. (٢٢) وعلى هذا النمط كانت تُنظم وجبة الإله لتناولها. وعلى أثر إعداد كل شيء كان يُصب قربان (٢٣) ويُحرق عطور المر (٢٤) وعندئذ يطلب الكاهن إلى الإله أن يأتي للوليمة (٢٥)؛ وهذا المشهد الأخير كان يُمثل كثيرًا على جدران المعابد، ويظهر فيه الملك واقفًا، وينادي الإله ليأتي لتناول الوجبة المجهزة والتمتع بها. وهاك المتن: تعالَ جسمك يا «آمون رع»، تعالَ عندما تُدعى، تعالَ عندما تُطلب، تعالَ لجلالتي خادمك «وسرماعت رع مري آمون» الذي لا ينسى نصيبه في أعيادك وفي قرباتك. أحضر قوتك، وسحرك وشرفك لحبزك هذا الساخن، ولجعتك هذه الساخنة ولشواتك هذا الساخن وهي قلوب الثائرين.

والظاهر أنه عند هذه النقطة في هذه الشعيرة كان مفروضًا أن يدخل الإله في تمثاله إذ يقول المتن: «تعالَ إلى جسمك» وفي متن آخر يقول: «وأحضر روحك». ومن ثم

نفهم أن التمثال أصبح بعد هذه الخدمات الطويلة التي عُمِلت مستعداً ليحتله الإله. والظاهر أن اتصال التمثال المباشر بالإله هو الذي كان يمكنه من أن يشاطر في تناول الطعام اللازم لقوائم الآلهة والأموات والأحياء على السواء، وقد كان الهدف الرئيسي والسبب في القيام بهذه الخدمة اليومية في المعبد.

(ح) المشاهد ٢٦-٣١

بعد دعاء الإله لتناول وجبته والتمتع بها تأتي ستة مشاهد بها تُختتم الخدمة اليومية العادية وتنتهي بإغلاق أبواب المحراب، ويُلاحظ أن أربع الشعائر الأولى منها كان يتلوها الكاهن المرتل أو الكاهن خادم الإله على التوالي؛ فالشعيرة الأولى (٢٦) تعويذة لإحضار الحياة للإله، والثانية (٢٧) لإحضار القلب للإله، والثالثة (٢٨) يُحتمل أنها كانت تُستعمل في عيد خاص من الأعياد الشهرية، والتعويذة الأخيرة (٢٩) كانت تسبق المقدمة التالية: مرحباً بك عند جانب الباب حيثما يقولون (؟) إن الكاهن في الداخل يتلو ... إناء في يده ويرش الماء على الجدار (؟) في جنوبي وشمالي وغربي وشرقي هذا البيت، ثم يتلو ذلك على ما يظهر ما كان يتلوه الكاهن عندما كان يقوم بعملية الرش.

وبعد هذه المشاهد الأربعة يأتي المشهدان ٣٠ و ٣١ وهما الخاصان بطرد الشيطان من المحراب وإغلاقه بالمرلاج.

ويُلاحظ في نقوش مدينة «هابو» أنه يوجد منظر خاص بثلاثة شعائر منفصلة غير أنها متصلة بعضها ببعض الآخر، والأخيرة منها خاصة بإغلاق المحراب عند نهاية الوجبة، وتجدر أن جزءاً من النقوش هو التعويذة الخاصة بالمشهد السادس والعشرين أو إعادة تمثال الإله للمحراب، أما ما يقوم به الملك في هذا المنظر فهو المشهد الثلاثون، ويعبر عن تنظيف المعبد من الأرواح الشريرة التي يمكن أن تكون قد تسربت إلى المحراب في الوقت المناسب الذي تُرك فيه مفتوحاً. والجزء الباقي من المتن خاص بالمشهد الواحد والثلاثين وهو الإغلاق النهائي وإقفاله بالمرلاج بعد ذهاب الملك إلى الخارج.

والتعويذة الخاصة بالمشهد السادس والعشرين هي:

إحضار الحياة للإله. ما يتلى: إني «حور» يا والدي «أوزير»، وإني أقبض على ذكر «ست» في يدي، والإله يبقى في قصره (محرابه) كما بقي «حور» في حصن والده «أوزير». وجمال لك يا «آمون». وإن والدك «أوزير» قد وضعك بين ذراعيه باسمه الأفق الذي يدور حوله «رع»، وإن الحياة قد أعطيتها في حضرة والدك أوزير. وعندما يأتي إليك «تحت» يحضر لك «عين حور» ليكون لك قوّة بما ولتكون مسرورًا بها وستكون حيًّا أبدًا.

إلى هنا يكون الإله قد أتم وجبته. ويلاحظ في الأحفال التي قد أقيمت له في الخطوات الأولى أن تمثال الإله قد نُقل من محرابه بالشعيرة التي يُعبر عنها بالعبارة: «وضع اليمين على الإله»، والظاهر أن التمثال كان يبقى خارج المحراب في أثناء تناول الوجبة، وليس لدينا أية شعيرة تعبر عن عودته إلى المحراب إلى أن نصل إلى المشهد السادس والعشرين، والألفاظ التي نقرأها في هذه التعويذة تدل على ذلك، فالكاهن أو الملك يتبدى بقوله: إني «حور» يا والدي «أوزير». ومن ثم نعلم منذ بداية التعويذة أصلها، وبوضع التمثال في المحراب، ويقول الكاهن إنه قبض على ذكر «ست»، ويُحتمل أنه يعني بذلك مقبض الباب، كما أن مزلاجي الباب كان يُعبر عنهما بإصبعي «ست» عندما كان يفتح الباب عند بداية الخدمة. ثم يقول بعد ذلك الكاهن: إن «آمون» يأوي في قصره أي في محرابه كما يرتاح «حور» بين ذراعي والده «أوزير»، ويُحتمل أن هذه العبارة قد تُلبت بعد وضع التمثال في المحراب. وبعد ذلك يضيف إلى ما سبق قوله أن ولدك «أوزير» قد وضعك في داخل ذراعيه. والمقصود من الذراعين على ما يُظن هو المحراب الذي يضم التمثال. وعلى ذلك يصبح الإله متأكدًا أنه قد أنعش من جديد وصار جميلًا في حضرة «أوزير»، وذلك نتيجة لهذه الشعيرة الطويلة التي تشمل الوجبة النهائية التي تناولها التمثال. وفي النهاية يقول الكاهن للإله: إن «تحت» قد أحضر له «عين حور» التي تسبغ عليه القوة والشرف والحياة السرمدية. ونشاهد في كل هذا الاحتفال الشعائري

أن الإله «آمون» قد عُومل كأنه فرد مات، وأنه قد جُهِز للحياة في العالم الأوزيري، وليس بوصفه الإله العظيم الذي يظهر في غير هذا المكان في العبادة.

(ط) المشهد الثلاثون

هذا المشهد خاص بشعيرة إحضار القدم وقد تكلمنا عنها فيما سبق.

(ي) المشهد الحادي والثلاثون

بعد طرد كل روح شرير من الخراب حتى يصبح خاليًا من كل شيء خبيث فيه يغلق الكاهن الباب ويقفل المزلاج، وعندما يكون الكاهن قائمًا بهذه العملية يقرأ الكاهن المرتل صيغة هذا مجملها: تأمل! «إني أغلق بابك ب... إن بابك قد أغلق بوساطة «حور»، وإن بابك قد أقفل بوساطة «بتاح» و«تخوت» وهما وكيلا «رع».

(ك) نقل القربان

المشاهد من ٣٤ - ٤٠

يأتي بعد التعاويذ الخاصة بالشعائر النهائية للخدمة اليومية التي جاءت في المشهد الحادي والثلاثين مشهدين: الثاني والثلاثون، والثالث والثلاثون، وكل منهما يحتوي على تعويذتين: واحدة للبخور، والأخرى للقربان السائل، ويعقب ذلك سبعة مشاهد خاصة بنقل القربان، وذلك يعني أن تُنقل القربان التي كانت قد وُضعت أمام الإله في أثناء الاحتفال بالمشاهد من ١ - ٢٥ لتُستعمل لأغراض أخرى بعد أن أكل الإله منها كفايته.

وشعائر نقل القربان تنحصر في المصادر التي في متناولنا فيما يأتي: (١) شعائر يؤديها الملك على مائدة قربانه، وتُعد بمثابة مقدمة لكل سلسلة التعاويذ. (٢) نقل القربان من على مائدة قربان «آمون» وحملها إلى مكان آخر. (٣، ٤) صب القربان وإحراق البخور. (٥، ٦) إشعال الشعلة وإطفائها. (٧) احتفال لضمان استمرار

القربان.

وليس لدينا ما يؤكد أن هذه كانت كل الشعائر التي تُقام لنقل القربان من مائدة الإله إلى جهات أخرى.

المشهد الرابع والثلاثون

والواقع أن المتن الخاص بهذا المشهد هو وصف لمجموعة الشعائر التي ستأتي بعد. وهاك النص: ما يؤدي على مائدة قربان الملوك للإله «آمون رع» رب عروش الأرضين ولروحه و«آمون رع» فحل أمه ولروحه، وللتاسوع الذين في «ابت إسوت» (الكرنك) ولأرواحهم ولروح الملك رب الأرضين صاحب القوة من «ماعت رع بن رع سيد المظاهر سبتي الأول». والشعائر التي نتحدث عنها هنا كانت تؤدي في معابد «طيبة»، ولها صلة بعدد من الملوك السابقين المختلفين، وكانت تؤدي على موائد قربانهم سواء أكان ذلك في معبد الكرنك نفسه أم في محاريبهم الخاصة التي أُقيمت على الشاطئ الغربي. وقد دلت البحوث الحديثة على أن عددًا من هذه المحاريب الخاصة بالملوك السالفين كانت تُقام فيها الشعائر حتى عهد «رعمسيس الخامس».

(راجع Gaardiner, Wibour Pap. II, p. ١١-١٢ ff).

المشهد الخامس والثلاثون

في هذا المشهد يظهر الفرعون رعمسيس الثالث وقفًا أمام الإله «آمون» قابضًا بيده على المكنسة «هدن» مما يوحي بأن نقل القربان قد حدث مباشرة بعد انسحاب الكاهن من المحراب الذي كانت تلعب فيه شعيرة المكنسة «هدن» دورًا بارزًا. وهاك نص التعويذة: يا «آمون رع» رب عروش الأرضين، إن عدوك ينسحب من أجلك. إن حور يلفت نفسه لعينه، باسمها نقل القربان. وإن عطورككم لكم يا أيها الآلهة، وعرقكم لكم يا أيها الآلهة، وإني الملك «وسرماعت» محبوب «آمون». ولقد أتيت لأنجز ما يُعزى

«لرعسيس الثالث». يا «آمون رع»، لقد لفت نفسك لقرباتك المقدسة. فتسلمها على ידי الملك «وسرماعت رع» محبوب «آمون» آه، ليت «عين حور» تثري لك أمامك.

ولا يمكن أن نفهم من هذا المتن إذا كانت هذه التعويذة قد استُعملت عندما نُقل القربان من مائدة «آمون» أو عندما وضعه على مائدة قربان الملوك السابقين ليأخذوا نصيبهم منه. وعبرة: «إن عدوك ينسحب من أجلك»، التي جاءت في أوائل التعويذة يمكن أن تشير إلى إزالة قربان اللحم التي كانت على مائدة «آمون» لأنها أحياناً كانت تُوحد بقلوب الثائرين، أما الآلهة والإلهات الذين حُوطبوا فيُحتمل أنهم - خلافاً لآمون - الذين ذُكروا في المشهد الرابع والثلاثين بما فيهم الملوك السابقون وروح الملك الحاكم.

المشهد السابع والثلاثون

تعويذة لصب القربان بعد نقل القربانين

يا «آمون» تسلم قربانك (السائل) الذي في هذه الأرض، وهي التي تنتج كل الأشياء الحية وكل شيء يأتي منها حقاً، وهي التي «تعيش عليها وتوجد فيها».

عمل البخور بعد نقل القربانين

إن هذا هو التاج الأبيض «لرع»، وهذا البخور الذي يطهرك. والطعام يضع نفسه على رأسك، وإنه يطهرك، مرحباً بك يا «بتاح»، مرحباً بك يا «تخوت» يا وكيلي «رع». والظاهر أن الكاتب الذي نقل هذه التعويذة خلط في نقلها؛ فبعد أن كتب تعويذة القربان السائل نقل من مكان آخر في البردية التي أمامه تعويذة عن البخور كما يُلاحظ ذلك من المتن. ويظهر الفرعون في هذا المشهد راکعاً ويصب القربان أمام الإله «آمون» في صورة «مين». وفي المنظر الثاني يُشاهد وهو يحرق البخور أمام الإله «آمون».

المشهد الثامن والثلاثون

يأتي بعد مشهدي صب القربان والتبخير تعويدتان: إحداهما لإيقاد الشعلة اليومية، والأخرى لإطفائها. ويظهر في رسوم الكرنك - رسم شعلة كل يوم - الملك راکعاً أمام «آمون» وقابضاً على شعلتين، وعنوان التعويذة هو: «تعويذة لعمل الشعلة اليومية»؛ أي إيقادها. وهاك نص التعويذة: إن الشعلة تأتي إلى روحك «يا آمون رع». إن ما يعلن الليل بعد النهار يأتي. وإن عين «رع» تظهر بفخار في «ابت إسوت» (الكرنك)، وإني آتي إليك، وإني أجعلها تأتي، وعين «حور» قد علت فوق جبينك، ومثبتة على حاجبك لأجل روحك يا «آمون رع»، وإن عين حور هي حمايتك السحرية.

ولا نزاع في أن المشاعل كانت تُستعمل يومياً في المعابد كما يدل على ذلك متون التعاويذ التي دُونت لاستعمالها، وكذلك بالمواد التي كانت تُقدم لصنعها كما جاء في النصوص التي تركها لنا «تحتس الثالث» و«رعمسيس الثالث» (راجع Urk Iv. P. ٧٧١, Madinet Habu III, p. ١٤٦).

المشهد التاسع والثلاثون

تعويذة لإطفاء الشعلة

يُرى في المنظر الذي يمثل هذا المشهد الملك راکعاً أمام «آمون» وبإحدى يديه شعلة منكسة نحو الأرض حتى تكاد تلمسها، وهذا يدل على أنه كان يريد إطفاءها بحكها في الأرض أو بغمسها في سائل خاص كما يُشاهد في صورة أخرى. وهاك نص التعويذة: تعويذة لإطفائها - أي الشعلة. اتل:

إن هذه هي «عين حور» التي أصبحت عظيماً بها، وإنك تثري بها، وأصبحت ذا قوة فيها يا «آمون» رب عروش الأرضين، إن هذه هي «عين حور» التي أكلتها، والتي بها أصبح جسمك مسحوراً. وما هي لك - تعويذة قتل الشريط - إن العين «وازيت»

(السليمة) قد دخلت «مانو» - أي غابت في الأفق خلف الصخور الغربية - وإن القربان المقدسة ملكها. وإنها تأتي وإنها تأتي: «عين حور» في سلام.

المشهد الأربعون

تعويذة لجعل القربان المقدسة تبقى

هذه التعويذة التي تُعد الأخيرة في شعائر نقل الطعام من أمام الإله ليوضع لاستعمال الآخرين، الغرض منها هو ضمان بقاء القربان أبدًا، أو أنها لا تتلف عند نقلها من مائدة قربان إلى أخرى. ويُشاهد الفرعون راكمًا أمام مائدة قربان موضوعة أمام الإله «آمون» والفرعون يمد يديه على القربان كأنه يباركها. وتوضح التعويذة بشدة أن القربان سيبقى كبقاء اسم هذا الإله أو هذه الإلهة في معبد. وهاك نص التعويذة: تعويذة لجعل القربان الإلهية تبقى

مرحبًا بك يا «آمون»، مرحبًا بك يا «خيري»، لقد أتيت إلى الوجود على التل الأزلي، وإنك تضيء على الهرم الصغير في «حت بتو» (في هليوبوليس)، وإنك تسفل مثل «شو» و«تفنوت»، وإنك تضع ذراعيك حول الملك «من ماعت رع» معطي الحياة سرمديًا، وإن اسم «آتوم» رب الأرضين في «هليوبوليس» يبقى كما تبقى القرب الإلهية، وهي منحة ابن رع «سيتي مري آمون» للإله «آمون» والتاسوع، باقية إلى الأبد، وكما يبقى اسم «شو» في «متست العليا» في «هليوبوليس» وبقية سرمديًا، وكما يبقى اسم «تفنوت» في «متست السفلى» في هليوبوليس باقية إلى الأبد، وكما يبقى اسم «جب» في عيد «عزق الأرض» في «هليوبوليس» مخلدًا إلى الأبد، وكما يبقى اسم «توت» (آلهة السماء) في «حت شيت» في «هليوبوليس» مخلدًا إلى الأبد، وكما يبقى اسم أوزير «ختي امتي» في العراة مخلدًا إلى الأبد، وكما يبقى اسم «إزيس» في «نتيرو» إلى الأبد، وكما يبقى اسم «ست» سيد «مبوس» باقية إلى الأبد، وكما يبقى اسم نفتيس في «حت» في هليوبوليس مخلدًا إلى الأبد، وكما يبقى اسم «با»^(٢٩٣) رب «زدوت» (منديس) مخلدًا

إلى الأبد؛ وكما يبقى اسم «تخوت» في «هرموبوليس» (الأشمونين) إلى الأبد.

قربان يقربه الملك للإله «جب» (إله الأرض)، وهو قطع مختارة للآلهة وسيكون لديهم أرواحهم، وسيكون لديهم شرفهم، وسيكونون يقطين، وسيعطون قرباناً يقدمه الملك مشتملاً على قربات إلهية بمثابة هدية الملك «من ماعت رع» (سيتي الأول) معطى الحياة سرمدياً.

المشهد الثاني والأربعون

هذا المشهد يُطلق عليه اسم قائمة المأكولات لأجل عيد «آمون» سيد «أبت» (الأقصر) و«آمون رع» رب عروش الأرضين في بردية «المتحف البريطاني». أما في بردية القاهرة فيُطلق عليه اسم «عيد آمون» وحسب، ويختلف المشهد الذي على جدران معبد الكرنك عن الاثنين السالفين في أنه ليس له عنوان ولا يحتوي إلا على تسعة عشر لوناً، «الأول من ألوان» الطعام بدلاً من التسعة والثلاثين لوناً التي تذكرها أوراق البردي، ومن المحتمل أن المشهد الذي صُوِّر على جدران الكرنك الخاص بهذه الشعيرة هو قائمة ألوان الطعام لعيد «آمون»؛ لأنه يحتوي نفس ألوان الطعام التي نجد مثيلها في القوائم الأخرى. وهاك ما جاء في هذا المشهد خاصاً بألوان الطعام والشراب: يا «آمون»، تسلم «عين حورالتي» تفتح بما عينك: آيتان من الحمر.

يا «آمون»، تسلم لنفسك ماء الثدي الذي في ثدي أمك «إزيس»! آيتان.

يا «آمون»، تسلم رأسك: آنية واحدة من فطير (شنس).

يا «آمون»، المس لنفسك بفمك خبز (حثا): آنية واحدة.

يا «آمون»، تسلم لنفسك «عين حور»، وامنع أن تصير ضعيفاً بسببها: آنية واحدة من خبز (بس).

يا «آمون»، تسلم لنفسك عين حور التي ذاقها (دبت): إناء واحد من خبز

«دبت».

يا «آمون»، تسلم لنفسك عين حور فإنها لن تفصل (شمس) منك: عشرون آنية من فطير (شعت).

يا «آمون» تسلم لنفسك «عين حور» الحلوة لقلبك: شهد أبيض آنية واحدة.

يا «آمون»، تسلم لنفسك من «حور» السليمة (وزاو) التي جهز بها فمك (حتم) رعوس بصل (حزو): أربع أوانٍ.

يا «آمون»، تسلم لنفسك ثدي حور الذي تذوقه (دب) الإلهة: آنيتان من التين (دب).

يا «آمون»، تسلم لنفسك «عين حور» أي كلماتك (مدو): آنيتان من لحم (ميدا).

يا «آمون»، تسلم لنفسك «عين حور» (؟): آنيتان من العنب (إرت).

يا «آمون»، تسلم لنفسك عين حور التي احتبلت (عج): آنيتان من فاكهة وعج.

يا «آمون»، تسلم لنفسك «عين حور» التي لعقوها (نيس) لأجله: آنيتان من فاكهة نيس (نبق).

يا «آمون»، تسلم لنفسك السائل (حنك) الذي يخرج من (أوزير): إبريقان من الجعة (حنق).

يا «آمون»، تسلم لنفسك عيني الواحد العظيم (ور): آنية من خبز (ور).

يا «آمون»، تسلم لنفسك أولئك الذين يثورون عليك (نزر): جانب من اللحم البقري (زروو)، آنية واحدة.

يا «آمون»، تسلم لنفسك عين حور التي تضمها (سخن): لحم سخن آنية واحدة.

ويلاحظ أنه عند تقديم كل لون من هذه الألوان كان على الكاهن المرتل أن يقرأ

تعويذة كل لون. ولا يخفى على القارئ بعد قراءة محتويات هذه القائمة أن المصري كان مغرمًا بالتورية في ألفاظه عند تقديم كل لون، فيأتي بفعل يشبه اللون الذي يقدمه في الصوت. وقد فصلت القول في الألوان التي كانت تُقدم للمتوفى على وجه عام في كتاب مائدة القربان. (راجع: Excavations at Giza, Vol VI, Part II, The offering (list in the Old Kingdom).

المشهد الرابع والأربعون

تعويذة لحمل القربان (أو لرفعها)

بعد تلاوة قائمة الطعام في المشهد الثاني والأربعين كان على الكاهن المرتل أن ينادي الكاهن «سم» ليتلو صيغة القربان المعروفة: «قربان يقدمه الفرعون «لآمون»». في صورة الثلاث. ثم يضيف ملخصًا للصيغة: «تعالَ إلى خبزك هذا»، ومن ذلك يتألف المشهد الثالث والأربعون، وهذا المتن كان يُقرأ عادة بعد تلاوة قائمة طعام الإله السالفة الذكر.

وبعد ذلك تأتي شعيرة «حمل القربان لعيد آمون». ويلاحظ أنه في نقوش المعبد نجد أن حمل الطعام يُعد من المناظر التي كانت تُرسم كثيرًا جدًّا في العبادة ويُحتمل أنها كانت تؤلف جزءًا من الشعائر التي تصحب تقديم طعام وجبة الإله اليومية أو وليمته التي كانت تُقام في أيام أعياد خاصة.

وهاك نص التعويذة:

تعويذة حمل القربان

تعالَ أيها الملك وارفع القربان أمام وجه الإله. ارفع القربان «لآمون رع» رب عروش الأرضين. إن كل الحياة تخرج منه، وكل حظ سعيد ينبعث منه مثل «رع» سرمدًا. وكانت المائدة التي يرفعها الفرعون عادة على يديه تحتوي على عينات من كل لون من ألوان الطعام التي كانت تُقدم لمائدة الإله: الخبز واللحم والفطائر والفاكهة والخضر،

وأحياناً نجد أن هذه المائدة في المناظر المفصلة كان يعلوها طاقات أزهار، ومن ذلك نفهم أن الطبق أو المائدة التي كان يرفعها الفرعون بين يديه تمثل ألوان الطعام الموجودة في قائمة الوجبة التي تلاها الكاهن فيما سبق.

المشهد السابع والأربعون

بعد الصبح التي تصحب رفع القرابين نجد في المتون ثلاثة أناشيد، وتُعد المشاهد الثلاثة التي تتلو المشهد الرابع والأربعين، وهذه الأناشيد موجهة للإله «آمون» في العيد الذي تتحدث عنه المشاهد من ٤٢ إلى ٤٤. ثم يأتي بعد ذلك المشهد السابع والأربعون وعنوانه: ما يُقال لهذا الإله بعد قراءة المقطوعتين اليومييتين، وهما اللتان تُشددان عند القيام بخدمة الإله الصباحية.

المشهدان الثامن والأربعون والتاسع والأربعون

يمثل المشهد الثامن والأربعون تقديم طاقة الأزهار الخاصة بعيد اليوم الأول من الشهر القمري. ويمثل المشهد التاسع والأربعون تقديم طاقات أزهار للملك والأمراء ورجال الحاشية بمناسبة عيد اليوم السادس من الشهر القمري. ومما تجدر ملاحظته هنا أن التعويذتين الخاصتين بمذبحين المشهدين لا تختلف إحداهما كثيراً عن الأخرى في الألفاظ. وهاك النص:

تعويذة لتقديم طاقة عيد اليوم الأول (أو السادس)

قدم طاقة للملك والأمراء ورجال الحاشية في البيت، واجعل «آمون» يُخلِّق فوقها بمثابة حماية سحرية، وإنك تعيش مثل «رع» كل يوم في الحياة، وليت «آمون» يفعل كما تحب بسبب حبك في «إبت إسوت» يا «من ماعت رع» (سبقي الأول) وليتك تكون صاحب حظوة يا من رعاك «آمون» في كل أعمالك العظيمة، وليته يقربك ويمكنك ويهزم أعدائك سواء أكانوا أحياء أم أمواتاً.

والمفهوم من هذه التعويذة أنها خاصة بالملك لا بالإله، وكلمات المتن تُعد تضرعاً

لحماية وحظوة الإله للفرعون، ويلاحظ هنا أن الكاهن عند تأدية هذه الشعيرة كان يخاطب الملك لا الإله. وبذلك تختلف عن كل الشعائر السابقة. والظاهر أن الطاقات كانت من موائد قربان معبد «آمون»؛ لأننا نعلم أنها كانت تُقدم لأصحاب الخطوة وتُنقل إلى المقابر والمزارات في الجبانة من معبد «آمون» في أعياد خاصة.

المشاهد من ٥١-٥٤

يشتمل المشهد الخمسون على قائمة ألوان الطعام الخاصة بعيد اليوم السادس من الشهر، ومتنه مهشم. أما المشاهد الأربعة الأخرى (٥١-٥٤) فخاصة بعيد رأس السنة العظيم كما كان يُقام في معبد «آمون» بالكرك. وقد حُفظت لنا ثلاث تعويذات من هذه المشاهد الخاصة بهذا العيد الذي يُعد من أهم الأعياد المصرية.

المشهد الثاني والخمسون

يدل ما تبقى من متن البردية الخاصة بوجبة الإله على أن المشهد الواحد والخمسين كان أنشودة تُنشد في صبيحة يوم رأس السنة.

أما المشهد الثاني والخمسون فهو تعويذة خاصة بالشعلة التي كانت تُستعمل في عيد رأس السنة في الليلة السابقة ليوم أول السنة الجديدة، وكان النور يلعب دوراً هاماً في هذا الاحتفال. والمتن الخاص بذلك مأخوذ من متون الأهرام ويحتوي بعض جمل نُقشت على جدران المقابر عند التحدث عن «النور اليومي»، ويلاحظ أنه في هذه المتون الأخيرة كما هي الحال هنا كانت تُعد الشعلة بمثابة «عين حور» التي تنير طريق الإله أو المتوفى أينما ذهب. وهاك نص التعويذة:

تعويذة لشعلة السنة الجديدة

مرحباً بك يا هذه الشعلة الجميلة «لآمون رع» رب عروش الأرضين، مرحباً بك يا «عين حور» التي ترشد في طريق الظلمة، والتي تقود «آمون» رب عروش الأرضين في كل مكان ترغب فيه روحك عائشاً سرمدياً... شعلة «آمون» رب عروش الأرضين وهي من

الشحم الجديد ونسيح الغسال بمثابة هديتك، وإن والدك «جب» وأمك «نوت» و«أوزير» و«إزيس» و«ست» و«نفتيس» يغسلون وجهك ويمسحون دموعك ويفتحون فمك بأصابعهم اللامعة. وإنك قد أعطيت الأرض وحقول «يارو»^(٢٩٤) ملكك في هذا الليلة يا مؤسس الشهر وسيد الشمس، وبذرة الآلهة الفتية وبذرة المطهرين الفتية أيضًا والنجوم التي لا تنفى (النجمة القطبية). وإن هذه الشعلة «لآمون» بمثابة هدية الملك من «ماعت رع» (سيقي الأول).

ويلاحظ أن علاقة النصف الأخير من تعويذة شعلة عيد السنة الجديدة غامضة، أما أصلها في الأدب الجنائزي فظاهر ويفسر كيف أن موقف «آمون» والموتى كان دائمًا مرتبًا في الشعائر الدينية. وعلى الرغم من أن «آمون» قد عُرف بأنه مؤسس الشهر وسيد الشمس وبذرة الآلهة الفتية، فإنه لا يزال موعودًا بعناية وحفظ الآلهة كما كان يفعل للموتى عندما كانوا يدخلون عالم الذين رحلوا عن هذا العالم.

المشهد الثالث والخمسون

تعويذة لجعل الشعلة تبقى متقدة

يُشاهد في الصورة الفرعون راكمًا أمام «آمون» ورافعًا الشعلة تجاه الإله. وهاك نص التعويذة: إن هذه الشعلة تبقى مشتعلة «لآمون رع» سيد عروش الأرضين، كما يبقى اسم الإله «آنوم» رب الأرضين في «هليوبوليس»، وكما يبقى اسم الإله «شو» في «منست العليا» في «هليوبوليس»، وكما يبقى اسم الإلهة «تفنوت» في «منست السفلى» في «هليوبوليس»، وكما يبقى اسم «جب» روح الأرضين في «هليوبوليس»، وكما يبقى اسم الإلهة «نوت» في «حت شنيت» في «هليوبوليس»، وكما يبقى اسم «أوزير خنتي أمتي» في «العراية»، وكما يبقى اسم الإله «ست» صاحب «نبت» في «امبوس»، وكما يبقى اسم «تفنوت» في «حت» في «هليوبوليس»، وكما يبقى اسم «حور» في بلدة «ب»، وكما يبقى اسم «بوتو» في بلدة «دب» وكما يبقى اسم الإله

«با» (الكبش) في «زددت» (منديس)، وكما يبقى اسم «تخوت» في «هرموبوليس» ...
... في القارب. وإنما لن تفنى (أي لن تُطفأ).

والظاهر أن هذه التعويذة كان الغرض منها أن تضمن عدم إطفاء الشعلة قبل
أوانها عندما كانت تُستعمل؛ وذلك لأن مصر في معظم السنة تهب فيها رياح شديدة
وبخاصة في الليل، وكانت قاعات المعبد الكبيرة وردهااته عرضة لتيارات هواء. والغرض من
التعويذة قد لخص في الجملة الأخيرة منها: «إنها لن تُطفأ عرضاً».

المشهد الرابع والخمسون

تعويذة لإثارة البيت

يُرى الفرعون راکعاً أمام «آمون» وقابضاً في كل من يديه على شعلة. وهاك نص
التعويذة: إن هذا البيت قد أُضيء «بآمون» رب عروش الأرضين عندما تفتتح الشعلة سنة
طيبة مع «رع» وعندما تحضر الليل مع «تخوت» (القمر)، وهي الشعلة المصنوعة من
شحم أبيض ونسيج الغسال. إن هذا البيت قد أُنير «بآمون رع» فحل أمه عندما تفتتح
سنة طيبة، وكذلك «ببتاح» رب حياة الأرضين عندما يفتتح سنة طيبة، وكذلك بالإله
«تخوت» رب «هرموبوليس» عندما يفتتح سنة طيبة، وكذلك بالإلهة «موت» سيدة
«إشرو» وسيدة الآلهة التي في «إبت-إسوت» (الكرنك) عندما تفتتح سنة طيبة، وكذلك
بالملاك الحارس «عحع نفر» لبيته عندما يفتتح سنة طيبة، وكذلك بالإلهة «رننوت» (إلهة
الخصاد) صاحبة هذا البيت عندما تفتتح سنة طيبة. إن جسم الملك «سيتي الأول» مملوء
وغني بطعام عيدك.

ومما يلفت النظر هنا أن هذه العشيرة يقوم بأدائها آلهة مختلفون، فيلاحظ أنهم
ليسوا مؤلفين من ثلاث طيبة وحسب، بل فضلاً عن «آمون» في صورته نجد الآلهة
العظام «هليوبوليس ومنف»، و«تخوت» الذي يلعب دوراً يأتي مباشرة في أهميته للإله
«آمون» في خدمة المعبد، هذا إلى الإلهة «موت» زوج «آمون» وثنعابين حارسين للمعبد

ولمخزن الغلال.

وعيد السنة الجديدة كان فرصة لإعادة تطهير المعبد وإهدائه من جديد على غرار عيد إهدائه عند إتمام بنائه: «إعطاء البيت لسيدة» وعندئذ كانت شعلة السنة الجديدة تلعب دوراً هاماً، وإذا قرنا بين هذه الشعلة والشعلة التي جاء ذكرها في شروط الوقف بأسبوط نجد شبهاً كبيراً (راجع الجزء الثالث). وقد كانت الشعلة بمثابة هدية الفرعون تجلب السنة الجديدة مع «رع» (الشمس)، وفي الليل مع «تحت» (القمر). فالقمر كان يظهر في الليل عندما كانت الشعلة تضيء الظلمة.

المشهد الخامس والخمسون

تعويذة لتقديم التحيات بوساطة إناء «نمست»

وهذا المشهد يشبه سابقه رقم ١٧، ويجب ألا يُخلط بينه وبين شعيرة التطهير التي كانت تعمل بوساطة أربع أواني نمست وهذه الشعيرة كانت تُقام بمناسبة إحياء التمثال كما تحدثنا عن ذلك من قبل.

المشهد السابع والخمسون

تعويذة لعمل البخور للإلهة «موت»

يُشاهد الفرعون في هذا المنظر راکعاً أمام الإلهة «موت» التي صُوِّرت في صورة إنسان برأس لبؤة، وهي هنا موحدة مع الإلهة «سخمت» ربة القوة ويُقدم البخور بالوضع التقليدي. وقد عُنون هذا المنظر هكذا: عمل البخور لموت سيدة السماء ليصبح (الملك) معطى الحياة مثل «رع» كل يوم.

وهاك نص التعويذة: أشريقي في فخار يا أيتها «الواحدة الظاهرة» يا «بوتو» التي تسر بالظهور فيه (البخور) عالية. وإن التاسوع الأكبر والتاسوع الأصغر قد سروا بشذى

عبيرها وسعدوا بما فعلته «عين حور» اللامعة. وإن الآلهة قد أتوا إلى الوجود من دموعها، والإله «آتوم» قد أنعش في لحمها، وإن هذا البخور «لموت» بمثابة هدية للملك «من-ماعت-رع» بن «سيتي الأول» معطى الحياة والثبات والحظ السعيد مثل «رع».

ويلفت النظر في هذه التعميدة أنها تنسب إلى هذه الآلهة صيغة سماوية؛ أي إنها توحيها بالشمس. هذا بالإضافة إلى أن المتن يُعد تمجيداً لهذه الآلهة عندما تظهر في عيدها النهري الذي كان يُحتفل به كل عام في الأقصر.

هذه نظرة عاجلة عن حياة الإله اليومية وما كان يُقام له من أحفال يومية، وقد حاولنا أن نقتصر هنا بقدر المستطاع تفادياً من التفصيلات التي لا تهم إلا الأثري وحسب.

(١١-٣) عبادة الثور

تحدثنا فيما سبق عن الإله الذي كان يُمثل في الخشب والحجر وعن حياته اليومية والشعائر التي كانت تُقام لخدمته يومياً لإلباسه وإطعامه، والآن ننتقل إلى الكلام عن عبادة الحيوان في تلك الفترة، وبخاصة الثور في أشكاله المختلفة، ونخص بالذكر أولاً العجل «أبيس» (حب).

والواقع أن عبادة الثور كانت ظاهرة مشتركة في كل تاريخ الجنس البشري (راجع A. b. Cook Zeus Vol, I, Cambridge). والسبب في وجود هذه العبادة ظاهر، وليس هناك ما يدعو إلى وجود أية علاقة ثقافية بين شعبين يعتنقان هذه الديانة في وقت واحد. فالثور يمثل الخصب من ناحيتين: فهو رمز للقوة الكريمة في نظر العقل البدائي وعلى ذلك أصبح موضوعاً للمنافسة، وهو كذلك من ينابيع الخصب الممتازة في الزراعة بوصفه سيد الماشية التي تنتج اللحم واللبن والزبد والجلد وبوصفه حارثاً للأرض؛ وبهذه الكيفية أصبح رمزاً للرياسة والملكية، ولا أدل على ذلك من أننا نرى الملك في مصر القديمة يوصف بالثور القوي كما تُطلق في اللغة العربية لفظة الثور على سيد القوم.

وكذلك نجد أن الرؤساء في إقليم بحيرة «شاد» كانوا يُدفنون ملفوفين في جلد ثور، وأقدم مثال «بلفت النظر من الوجهة الدينية» للثيران عند قدماء المصريين يرجع إلى عصور ما قبل الأسرات في جهة «الحمامية» في المكان الذي حفرتة مس «كيتون تمسون»؛ حيث وجدت أكواماً من عظام الثيران مرتبة بنظام ورءوسها على قممتها، وبحوار هذه الجهة عثر المستر «برنطون» على مدفن حيوان يُحتمل أنه عجل ملفوف في حصيرة من عهد البداري. وتمثيل الملك بمثابة ثور على لوحة الملك «نعرمر» (مينا) العظيمة المصنوعة من الأردواز من الأشياء المعروفة تماماً، وقد جاء ذكر العجل «أبيس» على حجر «بلرمو» ولذلك فلا بد أنه عُبد في زمن الأسر الأولى، وقد ذكر «مانبتون» أن عبادته ترجع إلى الأسرة الثانية، والواقع أنه قد وُجد فعلاً في عهد الأسرة الأولى (Emery, The Tomb d & pl. 19 of Hemaka p. 40). ولدينا وثائق قليلة يرجع عهدها للدولة القديمة تحدثنا أن العجل «أبيس» كان يعيش وقتئذ في «منف» وأنه كان يُحتفل تكريمًا له منذ أقدم العهود بعيد سنوي كان له علاقة من وقت مبكر بالعيد الملكي. ولدينا برهان غير مباشر على أنه كان يُقام منذ الأسرة الأولى ويُفهم ذلك من تركيب اسم هذا العجل في أسماء الأسرة المالكة. والواقع أن اسم «أبيس» (حب) يدخل في تركيب اسم أم الملك «أثوتيس» التي تُدعى «خنت حب» (راجع Ott Untersuchungen XIII, p. 14) وفي اسم أم الملك «زوسر» المسماة «ني ماعت حب». ولكن من جهة أخرى لا نعرف تفسير اسم «أبيس» على وجه التأكيد. والواقع أنه يوجد نوع من البط مشهور بقوته التناسلية، وقد كان المصريون يسمونه «حب» (راجع Sefhe, pyr 1313) وليس ببعيد أن يكون المصريون قد أطلقوا اسمه على العجل «أبيس» الذي كان يعجب القوم بقوته التناسلية كما يفسر ذلك الأستاذ «زيتنه» (راجع Sitzungsber. Preus. Akad. Phil- 13, hist kl 1934). وهذا التفسير يمتاز بأنه يشرح لنا وجود رسم بطة بمثابة «مخصص» تتبع كثيراً اسم ثور «منف». وقد كان للعجل «أبيس» كهنته الذين كانوا يُسمون في عهد الدولة القديمة عصياً أي مربين للعجل «أبيس». وفي عهد الأسرة الخامسة ذهب الملك «نوسر رع» في العيد الثلاثيني إلى محراب العجل «أبيس» مما يدل على وجود عبادة لهذا

الحيوان في ذلك العهد، يُضاف إلى ذلك أن لدينا متناً من بين متون الأهرام (راجع Sefhe, pyr 1998) يوحي بوجود جبانة (في العهود القديمة جداً) للعجل «أبيس» في «منف».

هذا كل ما نعلمه تقريباً عن عبادة العجل «أبيس» في العصور الموعلة في القدم، ولكن منذ بداية الدولة الحديثة أصبحت الوثائق عن عبادة هذا الحيوان كثيرة ودقيقة بدرجة عظيمة. وأقدم مقابر معروفة للعجل «أبيس» يرجع عهدها للفرعون «أمنحتب الثالث» في منتصف الأسرة الثامنة عشرة،^(٢٩٥) وأحدث مقابر معروفة لدينا من نهاية عصر البطالمة؛ إذ الواقع أن جبانة العجل «أبيس» في العهد الروماني لم يُعثر عليها بعد على الرغم من أن عبادته كانت موجودة في عهد «جولييان» الكافر في عام ٣٦٢ ميلادية. وبين هذين العهدين - أي عهد «أمنحتب الثالث» ونهاية عهد البطالمة - كانت سلسلة مقابر هذا العجل تختفي من وقت لآخر. وقد كان لكل عجل قبره الخاص حتى عهد الأسرة التاسعة عشرة، وكان يعلوها مزاره الخاص. ومنذ عهد «رعمسيس الثاني» أُقيم مدفن عام وهو الذي كشف عنه «مريت» (راجع Prat. Ancient Egypt p. 362) وهو المعروف باسم السرايوم (مصر القديمة الجزء الخامس)، وهو يحتوي على سلسلة دهاليز طويلة تحت الأرض قد حُفرت في جوانبها كوات لتكون مدافن. وكانت هذه الكوات تُسد بجدران بعد الدفن. وقد تُبنت على الجدران الخارجية لهذه المدافن لوحات عدة بعضها ملكي وبعضها من وضع الأفراد، وهذه اللوحات تقدم للباحثين تواريخ ثمينة، والقليل منها يقدم معلومات عن عبادة العجل نفسه. ومع ذلك فإن هذا القليل مضافاً إلى قطعة من الشعائر الجنائزية «لأبيس»، وكذلك ما رواه لنا المؤرخون الأقدمون ينير لنا الطريق بوجه عام في تتبع مجال حياة الثور المقدس في «منف». ولا يتبدى تاريخ حياته عند ولادته بل عند بداية أعياد التسويج التي كان يُحتفل بها في «منف»، وكان يرأسها الكاهن الأكبر للإله «بتاح»، وكان العجل يزور أولاً محراب الإله «حعبي» (النيل) في جزيرة الروضة، وبعد ذلك يقلع إلى «منف» في الوقت الذي كان يتبدى فيه طلوع القمر. أما العيد الحقيقي فكان يُحتفل به في «منف» نفسها عند اكتماله

بدرًا. وكان هذا رمزًا لعهد جديد يُفتتح بحكم «أبيس» جديد. وبعد تتويج الثور كان يخرج من الباب الشرقي - أي الجهة التي تشرق منها الشمس - للمعبد ليظهر للناس، وبعد ذلك كان يُقتاد إلى معبده «الأبيون» (راجع Urk II, p, 186) الذي كان لا يخرج منه إلا ليشارك في الأحفال. وفي هذا المكان كان يتقبل تكريمات المخلصين له، وفي هذا المكان كان كذلك بدلي بالوحي عندما يُسأل. وعند موت العجل «أبيس» كان القوم يعتقدون أنه ذهب إلى السماء بروحه، أما جسمه فكان يُدفن على حسب الشعائر الأوزيرية، فكان يتدلى بوضع اللفائف والمسوح والتضميخ المعتادة عليه ثم يُوضع في تابوته الذي كان في بادئ الأمر يُصنع من الخشب ثم من الجرانيت في عهد «أحمس الثاني» من عهد الأسرة السادسة والعشرين. وبعد ذلك كانت تمر المومية بالباب الغربي - أي في الجهة التي كانت تغرب فيها الشمس - وتُحمل حتى «بحيرة الملوك» تصحبها نائحتان - إزييس ونفتيس - وكهنة إله النيل «حعبي»، وفي أثناء سياحة المومية على البحيرة كانت تُقرأ تسع شعائر أوزيرية الصيغة. وبعد تأدية الشعائر الجنائزية التي كانت لا تستمر أقل من سبعين يومًا ينزل التابوت في مخدعه. وكان للعجل «أبيس» المتوفى مثل كل ميت أوزيرى المذهب أوانٍ لأحشائه وقمائيله الجيبية وكانت تُمثل غالبًا برأس ثور وجسم إنسان.

وقد كان لكل «أبيس» قطيع من البقرات المقدسة يكرم نتاجها تكريماً خاصاً. وتدل شواهد الأحوال على أنه كان من النادر جداً أن يولد «أبيس» من «أبيس» آخر، بل في معظم الأحيان لم يكن هذا العجل من أصل منفى، وكان يُمثل حاملاً بين قرنيه قرص شمس محلى بصل. والعلامات التي كانت تميزه بأنه ثور مقدس كانت ظاهرة جداً؛ وهي مثلث أبيض على الجبين، وعلامة بيضاء في صورة هلال على كلا جانبيه، وصورة نسر على رقبته. وقد كان الثور «أبيس» في الأصل أسود اللون وفيه علامات بيضاء، وقد فُسرَت هذه العلامات فيما بعد بأنها رموز الآلهة الذين كانوا يتقمصون «أبيس».

وكان العجل «أبيس» من الوجهة اللاهوتية يُعد إلهًا منتخبًا، كما كان يمثل القوة والإكثار، وهذه الصفة البدائية كما ذكرنا قد بقيت له على مر الأجيال، ولا أدل على

ذلك من علاقته الوثيقة بالفيضان (راجع Otto Untersuchungen XIII, p. 25) من جهة، ومن جهة أخرى علاقته بالآله «أوزير» إله النبات. والواقع أنه يوجد سبب آخر كان يربط العجل «أبيس» بـ «أوزير»؛ وذلك أنه كان في الحقيقة مثل البشر عرضة للموت، فكان يُدفن مثلهم أيضاً. وفي ذلك ما يكفي أن يجعله يُعد أوزيراً. والظاهر أن البعض قد اعتقد في بادئ الأمر بوجود تمييز بين «أبيس-أوزير» أي الثور الحي، و«أوزير-أبيس» أي الثور الميت، غير أن هذا التمييز الذي يشعر بوجود فرق بين الحيوان العائش والحيوان الميت كان قد نشأ عن عقيدة لم تلبث أن تُركت ظهرياً بسرعة. ومع ذلك فإن الإغريق قد عادوا لوضع فرق بين «سرايس» (أبيس الميت) و«أبيس» الحي، وبعبارة أخرى قد وضعوا تمييزاً بين «سرايس» الذي يمثل تعدد الثيران المتوفاة و«أوزير أبيس» الذي يمثل كل فرد ميت من هذا الحيوان. والواقع أن توحيد «أبيس» بـ «أوزير أبيس» كان أصلاً لتقدم لاهوتي هام؛ وذلك أن «أبيس» بسبب أنه كان «أوزيراً» قد أصبح بطبيعة الحال إلهًا جنازياً، فكان يحمل لقب «أول أهل الغرب» (خنتي إمنتي) أي الأموات، كما أنه يُوحد أحياناً بالآله «سكر» - إله الموتى في منف - وكذلك كان يُعد إلهًا قمرياً، فقد رأينا أن أعياد التتويج للعجل «أبيس» كانت تُقام عند اكتمال القمر، كما أن «أبيس» كان يحمل على جانبيه علامة بيضاء على هيئة هلال، هذا فضلاً عن أن القرص القمري قد حل في العهد الروماني محل القرص الشمسي بين قرني العجل «أبيس». وقد كان كذلك يوحد الثور «أبيس» بالآله «حور»؛ فقد ذكرت الأسطورة أنه عند فرار «إزيس» و«حور» من وجه «ست» كانا قد تحولوا إلى البقرة «سخت حور» والثور «أبيس» (راجع and Dumichen Oasen der libyschen Wüste pl. 6 Brugsch A. Z. 17 p. 19 (1879)) وكذلك كان الملك المتوفى يُوحد مع «أوزير»، وعلى ذلك فإن الثور «أبيس» الحي كان يصبح «حوراً» مع بقاءه «أوزيراً». وقد كان في مقدور المصري أن يقبل هذه الفكرة التي لا تتماشى مع المنطق السليم. ومن جهة أخرى كان الثور «أبيس» بطبيعة الحال ذا علاقة وثيقة «بحور» وكذلك بالملك كما يُشاهد في أعياد تتويجهم. فلما كان صاحب سلطان هكذا كان لزاماً أن يكون «حوراً»؛ لأن كل

سلطان عند المصريين كان منبعه حور.

وإنه من الصعب جداً أن يفسر الإنسان العلاقات القديمة التي كانت بين «أبيس» والإله «بتاح». والظاهر أن «أبيس» كانت دائرة نفوذه تتفق مع دائرة نفوذ «بتاح» ولهذا السبب وحده أصبح «أبيس» متصلاً بجاره القوي، على أن هذا الاتصال لا يمكن أن يكون إلا وضعياً. ويرجع السبب فيه بلا نزاع إلى كهنة الإله «بتاح» وكهنة أبيس الذين كانوا لا يرون في هذا إلا تحالفاً ينجم عنه فوائد تعود على «بتاح» ببعض ما «لأبيس» من شهرة وعلى «أبيس» الحي بعض ما «لبتاح» من فخار. وأهم لقب كان يحمله هذا العجل المقدس هو: «أبيس الحي» حاجب «بتاح»، والذي يجعل الحق يعلو حتى الإله صاحب الوجه الجميل - أي بتاح - وهذا اللقب قد يكون له علاقة بالدور الذي يلعبه الثور «أبيس» في الوحي. وقد كان يُسمى هذا الثور كذلك «روح بتاح». وعلى وجه خاص «ابن بتاح»، ومما يجدر ذكره هنا أن الثور «أبيس» كان له علاقات وثيقة بعض الشيء بالإله «آتوم» إله الشمس في «هليوبوليس». فهنا كذلك نلاحظ أن تقارب موطني هذين الإلهين وهما «منف» و«هليوبوليس» لا بد كان في الأصل منبع صلة حسنة بينهما، وعلى أية حال فإن الصيغة الجنازية التي يمثلها كل منهما متقاربة، فقد كان العجل «أبيس» مظهرًا «لأوزير» كما كان «آتوم» مظهرًا لإله الشمس عند الغروب، أي إن كليهما كان يمثل إله الحياة في الآخرة. وأخيراً يمكن أن يُعد القرص الذي كان يحمله «أبيس» بين قرنيه بمثابة شاهد على صنعته الشمسية.

هذه هي الشخصية المركبة للإله الذي يسميه المصريون أحياناً «أوزير - أبيس - آتوم - حور». وقد كان بلا نزاع يُعد بين الحيوانات المؤهلة في العصر التاريخي ومن أكثرها شهرة وأعظمها انتشاراً.

(أ) العجل «منفيس»

كانت «هليوبوليس» مدينة عبادة الشمس الشهيرة مركزاً لعبادة عجل مقدس آخر غير «أبيس». ولكنه كان مثله إلهًا قديماً للنبات. والدور الذي لعبه هذا الإله في خلال التاريخ المصري في تقديم القربان برهان كافٍ لإثبات ذلك. وهذا الثور كان يدعى «مر-ور» (منفيس) وقد ظهر هذا الاسم للمرة الأولى في عهد العمارنة في زمن «إخناتون» غير أن شواهد الأحوال تدل على أن عبادته لا بد كانت أقدم من هذا العهد بكثير، وقد حرف اليونان اسمه إلى «منفيس»، ويُحتمل أن كلمة «مر-ور» كانت تُنطق «منوى» (راجع Sethe. Deutsche Mogenlandische Gesellschaft, 77 (191)(1923p).

وهذا الثور كان لونه أسود يظهر على كل جسمه وذيله أشكال سنابل، وهذه كانت علاماته المميزة. وهذا الثور له رمز مقدس خاص وهو مقعد يعلوه رأس ثور أسود وهو الذي اختلط من زمن بعمود «هليوبوليس» المقدس لدرجة أن رأس الثور في غالب الأحيان لم يكن محمولاً على مقعد بل على العمود «إيون»، وقد كان العجل «منفيس» مثل العجل «أبيس» له قطيع مقدس، وكانت بقراته وعجوله تُدفن معه. ومما يؤسف له أن جبانة العجل «منفيس» لا يُعلم عنها شيء يُذكر؛ إذ لا نعرف منها إلا قبرين يرجع تاريخهما إلى عهد الرعامسة. (٢٩٦)

ومما وُجد فيهما نعلم أن الشعائر الدينية التي كانت تُقام له كانت ذات صبغة أوزيرية، وكان العجل «منفيس» من الوجهة اللاهوتية يتصل كلية بالإله العظيم «رع آتوم» رب «هليوبوليس». ويدل على ذلك صراحة لقبه الغالب عليه «حاجب رع»، ومن يجعل الحق يصعد حتى «آتوم»، وعبادته على وجه التقريب كانت مشابهة لعبادة «أبيس».

(ب) العجل «بوخييس»

كانت مدينة «أرمنت» تقدس نوعاً من الثيران منذ أقدم العهود، وسيظل موضوع

شك إذا كان الفرعون «نخت حور حب» (نقطانب) قد عمل مجهودًا جديدًا لعبادة عجل «مدمود» باسمه الجديد «بوخيس» أو أن نفس هذا الفرعون قد جهزه بدفن جديد على غرار كل من العجل «أيس» والعجل «منفيس» السالفين، وإذا كان الفرض الأخير هو الصحيح فما ذلك إلا لأن هذا الفرعون كان يريد أن ينال حظوة أهل الجنوب؛ إذ كان غريبًا عنهم. والواقع أن الفروق بين العجل «بوخيس» من جهة، وبين العجلين «أيس» و«منفيس» من جهة أخرى دقيقة جدًا حتى إنه لا يمكن استنباط شيء منها، وسواء كان هناك عجل متمص في «أرمنت» قبل حكم الفرعون «نخت حور نب» (نقطانب) أو لا فإن التغييرات التي حدثت في تقديسه كانت أساسية، حتى إنه أصبح من المسلم به أن نعدَّ عهد هذا الفرعون بداية تاريخ الثور «بوخيس».

وكان «بوخيس» يُنتخب من بين عجول متوسطة العمر على أن يكون فيه علامات تميزه عن الماشية الأخرى.

وهذا الثور لم يكن له في بادئ الأمر أية علاقة بالاله «منتو» الممثل في صورة صقر ومن أصل نجمي غير أنه كان قد اندمج منذ عهد مبكر في شخصية جاره القوي. فكانت عبادة «منتو» وكذلك عبادة «بوخيس» منتشرتين جنبًا لجنب في بعض جهات مقاطعة «طيبة» وبخاصة في «طود» و«المدمود»، وفي عهد متأخر كذلك في «الكرنك»، هذا إلى أنه كان يوجد محراب للعجل بالقرب من مدينة «هابو». على أن تنويع الثور «بوخيس» لم يُحتفل به منذ بداية «بطليموس السابع» في «طيبة»، غير أن الثور لم ينقطع عن سكناه في «أرمنت» التي لم يكن يتغيب عنها إلا لزيارة سنوية لمحاريبه الثلاثة الرئيسية، وكان يُدفن بعد موته في جبانة العجول العامة في «أرمنت» وهي التي تُسمى عند اليونان «بوخيوم». ولما أراد المصريون أن يظهروا التأثير الذي تركته العبادة «الهليوبوليتية» على عبادة «أرمنت» سمو هذه الجبانة «قصر آتوم»، وقد كُشف عنها حديثًا، وتحتوي على مقابر يتراوح تاريخها بين حكم «نقطانب الثاني» والإمبراطور «دقلديانوس» (راجع Vol Mond. The Bucheum Vol. 3). أما المقابر التي هي أقدم من هذا العهد

فليست معروفة، وقد قدم لنا معبد «البوخيوم» مثل «السرايوم» عددًا عظيمًا من اللوحات تشمل معلومات تاريخية ثينة، وكان الثور «بوخيس» يوحى بتكهنات في «المدمود». وقد وُجد فيها كذلك مساح كانت تقوم فيها منازلات لم تصل إلينا عنها تفاصيل بكل أسف.

وكان الثور «بوخيس» أبيض اللون برأس أسود، ويحمل بين قرنيه قرص شمس يعلوه ريشتان، والواقع أن صبغة عجل «أرمنت» اللاهوتية مركبة جدًا؛ فقد تأثرت عن طريق الإله «منتو» الذي يتصل صلة وثيقة بالإله «آمون» جاره في «طيبة» وكذلك بالإله «رع»؛ ونحن نعلم من جانبنا أن إله «أرمنت» كان قد تأثر بالمذهب الشمسي منذ زمن مبكر، وكان يُعبد باسم «منتو. رع»؛ وقد ذكرنا من قبل أن «البوخيوم» كانت تُسمى «قصر آتوم»، وكان الثور «بوخيس» نفسه يحمل ألقابًا هليوبوليتية، فكان يُسمى «روح رع»، وحاجبه. ولدينا حقائق كثيرة تؤهل ثور «أرمنت» ليكون بين دائرة آلهة «آمون» وبخاصة علاقات حسن الجوار التي كانت توجد بين «منتو» و«آمون» وكذلك صبغة الإله «آمون» بوصفه إله النبات والتناسل بعد أن وُحد بالإله «مين». وقد حاول رجال «اللاهوت» أن يضعوا علاقات بين «بوخيس» و«آمون» باعتبارهما أعضاء في جماعة ثمانية الآلهة، فأربعة آلهة كان يُسمى كل واحد منهم «منتو» في «أرمنت» و«طود» و«المدمود» و«الكرنك» على التوالي قد وُحدوا بأربعة الآلهة المذكورين في مجموعة الآلهة الثمانية. وقد كان «بوخيس» نفسه يُعد ابن «نون» (الحيط الأزلي). وقد وُحد هذا الإله كذلك بالإله «بتاح تاتن» في دوره بوصفه ثعبانًا خالقًا للأرض ولكن من جهة أخرى كان يُعد ابنه؛ لأن «بتاح» كان يُعد كذلك والد الآلهة الأزلية. وكان «آمون» الأقصر يأتي كل عشرة أيام إلى «أرمنت» ويحمل لثور «منتو» الموحّد بالآلهة الأزليين قربانًا، كما كان يحملها إلى محراب مجموعة ثمانية الآلهة الواقع على مقربة من مدينة «هابو» على أن هذه التخيلات التي لم يكن لها أي أثر على المعتقدات الشعبية تمثل لنا بصورة واضحة الحالة النفسية التي كانت سائدة في هذا العهد في دائرة رجال «اللاهوت» والمعلقة أمام العامة (راجع Otto Untersuchungen XIII, Leipzig 1938).

(ج) عبادة الكبش

ومن أهم الحيوانات المقدسة لدى المصريين التي لا تقبل في انتشار عبادتها عن النور الكبش الذي كان يُعبد في «منديس». ومما تجدر ملاحظته هنا أن اسم هذه البلدة بالمصرية «زدت» كان يشبه على وجه التقريب كتابة اسم بلدة «بوصير = زدو». وتدل شواهد الأحوال على أنه كانت توجد صلة قديمة بين هذين البلدين (راجع Kees 165 p. Gotterglaube). وعلى أية حال فإن الإلهين «أوزير» و«الكبش» كانا قد وُحدا منذ الأزمان المبكرة، وهذا ما يؤكد العلاقة الموعلة في القدم بين البلدين اللذين كان يُعبد فيهما هذان الإلهان، والعمود الذي نجده يدخل في كتابة كل من اسم البلدين كان في بادئ الأمر رمزاً شمسياً كما يفهم ذلك من بعض متون الأهرام (Kees Tohenglauban 389 L. pyr 219, pp. b).

وهذه الأحوال المختلفة يُحتمل أنها أصل لاتفاق كان لا بد أن يحتل مكانة ذات حظوة عظيمة في العصر المتأخر؛ فقد حُكي أن روجي «أوزير» و«رع» قد تقابلا في «منديس» وقد اتحدا سوياً اتحاداً وثيقاً حتى إنهما أصبحا يؤلفان وحدة لا انفصام لها مظهرها «كبش منديس» (راجع Kees Totenglauben 220 p. 1 and 165 p. Gotterglauben).

وقد ذكر لنا «مانيتون» أن عبادة الكبش كانت معروفة في مصر كعبادة كل من العجلين «أبيس» و«منفيس» منذ بداية الأسرة الثانية، غير أن «مانيتون» على ما يظهر لم يكن لديه معلومات أكيدة عن هذا الموضوع كما ذكرنا ذلك من قبل، وعلى ذلك فإنه من الجائز أن عبادة الكبش ترجع إلى عهد ما قبل الأسرة الثانية بل وإلى ما قبل التاريخ، وعلى أية حال فإن بلدة «منديس» يظهر أنها كانت من أقدم محارب الدلتا المقدسة، ويمكن عدّها من بين المدن المقدسة التي كان يحج إليها الموكب الجنائزي لملوك «بوتو» في تنقلاتهم الطويلة إلى مدن مصر المقدسة التي كان لزاماً عليهم أن يحجوا إليها قبل الدفن (راجع Junker, Mit. Kairo IX, p. 1-39).

والمعلومات التي لدينا عن كبش «منديس» على الرغم من أنها نادرة فإنها كافية لتوضح لنا أن النظام «اللاهوتي» الذي كانت تسير عليه عبادته كان كذلك مركبًا كنظام عبادة الثيران المقدسة في «منف» و«هليوبوليس» و«أرمنت».

والواقع أن هذه الحيوانات المقدسة على ما يظهر كانت تؤلف همزة وصل بين نظامين كل واحد منهما في أصله مختلف عن الآخر.

والاعتقاد الذي لا ريب فيه هو أن كهنة العصر المتأخر - وهم الذين كانوا يُعدون أساتذة في فن التوفيق بين الصفات المقدسة الإلهية لم يترددوا في أن يؤلفوا بكل جرأة على حسب القواعد التي تبيح اتصاف الآلهة بأوصاف واحدة في وقت واحد؛ أن يطبقوها بكل وسيلة تسمح بها عبادة الحيوانات المقدسة التي كانوا يعبدونها؛ فكان لا يوجد لديهم أي مانع في أن يتصف الكبش بكل الصفات التي كان يتصف بها أي ثور مقدس.

(١٢) السحر والحياة المصرية

ذكرنا في سياق الحديث عن المؤامرة التي حيكت لاغتيال الفرعون «رعمسيس الثالث» أن السحر كان له شأن كبير في الوصول إلى تنفيذ هذه المكيدة التي باءت بالفشل؛ ولذلك آثرنا أن نذكر هنا شيئًا عن السحر في عقائد القوم في هذه الفترة وما قبلها من تاريخ مصر بعد أن تكلمنا عن الحياة الدينية.

والواقع أن الدين والسحر قد اختلطا اختلاطًا كبيرًا في عقائدهم حتى أصبح من الصعب الفصل بينهما في حياة المصري العادية كما سنوضح ذلك فيما يلي.

ف نجد أن الإنسان قد اعترف بأنه في كل مكان وزمان كان محوًطًا بقوى خفية خارجة عن نطاق فهمه، ولم يكن في استطاعته أن يقاومها بما في متناوله من وسائل. وقد حاول أن يستميل هذه القوى بالتضرع تارة، وبالفن تارة أخرى. والواقع أن الدين والسحر هما وليدا هذا الجهد الإنساني المزدوج، ولما كانا وليدي ضرورة واحدة بعينها أصبح من الطبيعي إذن أن يتقابلا في نقط عدة، فهما يُستعملان في غرض واحد؛ لأن

الإنسان في حال يؤسه يلجأ غالبًا إما إلى السحر أو إلى الدين تضرعًا أو خيفة، رغبة أو رهبة.

وعلى ذلك فإنه من العيث أن نبحت فيما إذا كان السحر وليد الدين، أو الدين وليد السحر. فالاعتقادان قد ظهرا في وقت واحد أملاهما مظهر العالم والطبيعة. وعلى الرغم من أن الآلهة يُعدون أصحاب قوة عظيمة فإنهم كانوا يلجئون أحيانًا إلى الحيلة. وقد عرفنا من قبل أن الأساطير الإلهية كانت مفعمة بمشاهد سحرية، ومن ثم نلاحظ كثيرًا ذلك التضامن الوثيق بين الدين والسحر وبخاصة في المعتقدات الجنازية؛ فقد كان مصير المتوفى الهلاك العاجل في عالم الآخرة المخيف الذي كان لزامًا عليه أن يخترقه إذا لم يكن تحت تصرفه الصيغ السحرية الثمينة التي كان يؤلفها له السحرة الماهرون. وإذا كان السحر أمرًا ضروريًا لعالم الآخرة فإنه لم يكن أقل ضرورة في هذا العالم حيث الأخطار والآلام دائمًا متوفرة.

وهذا الدور الذي يلعبه السحر في الحياة اليومية هو ما سنحاول درسه هنا. فالسحر ينطوي على الاعتقاد في قوة خارقة للطبيعة تكون عادة منتشرة ولكنها قابلة في أحوال خاصة لأن تتركز في أشخاص معينين، أو أشياء خاصة. وقد كان المبدأ - على الأقل - أن دور الساحر هو أن يسيطر على هذه القوة، وبعد ذلك يستعملها لفائدته، أو لفائدة الآخرين. والساحر يصدر الأوامر لقوى الطبيعة، وهو لا يخشى الآلهة كما أنهم لا يخيفونه، فإنه لم يكن يصدر إليهم الأوامر فقط، بل كان في مقدوره تهديدهم. فمن أين أتت هذه الجرأة؟ والمعتقد أنه يشعر في أعماق نفسه أن في حوزته قوة كان لزامًا على الآلهة أنفسهم أن يخضعوا لها. وعلى أية حال فإنها كانت قوة يحافظ عليها جيدًا، وبها كان يكشف للناس عن الطبيعة وأسرارها. وقد كان يكمن في هذه القوة كل السر الخفي الذي كان يحيط به نفسه، ولكن الحقيقة كانت شيئًا آخر بالمرّة. فالسر الخفي لم يكن إلا شيئًا ظاهرًا، والسحر - في الواقع - علم تجريبي قد انتظم في عدد معين من الرُقَى كانت الصدفة فيها هي العامل الأكبر، فقد كان أول ما يجب عمله هو ملاحظة ما يدور في

العالم، وتدوين الأحوال الخارجية التي توجه الحادث إلى جانب السعادة، أو إلى جانب النحس. وقد كان يكفي أن يوجد الإنسان بين هذا أو ذاك علاقة السبب الفعال للحصول على عناصر رقية سحرية. والحادث الذي كان يريد الإنسان إثارتة؛ يحدث لا محالة إذا أمكن أن يهوى حوله الجو الذي كان يحيط به في المرة الأولى لحداثته. والسحر - كما سبق - علم تجريبي ينمو بمضي الزمن عليه، والرقى الموغلة في القدم هي التي كانت تُعد أكثر تأثيراً، فقد جُربت أكثر من غيرها على وجه عام. وقد كان السحرة كثيراً ما يتفاخرون بقدم وصفاتهم السحرية التي كانوا يعرضونها على من يقصدهم، وهذه هي ناحية إذاعة السحر.

وكانت الصفات التي حُصل عليها بهذه الكيفية في خلال القرون المتعاقبة تُجمع في كتاب، وكانت معرفة مثل هذه المجموعة ذات فائدة لا تُحصى، غير أنه ليس لدينا هنا إلا جزء من علم السحر. ولدينا فرع متصل بالدين مباشرة، فنحن نعلم أن الآلهة قد جربوا على الأرض معيشة تشبه كثيراً معيشة الناس، وأهم كانوا عرضة لنفس الأخطار التي تصيب بني البشر، غير أنهم تغلبوا على هذه الأخطار. ومن أجل ذلك يلجئون إليهم ليتغلبوا على الصعاب التي كانوا قد قهروها. وفي هذه الحالة كان الساحر يوحد قاصده بالإله الذي تغلب على نفس المشكلة من قبل، ويعمل على إبعاد الشيطان الرجيم عنه، وذلك بالإيحاء إليه بأن ليس أمامه إنسان عادي، بل الإله الجبار الذي أنزل به فيما مضى هزيمة ساحقة. وأخيراً كان يمكن أن يوحد في مفعول الصيغ السحرية باستعمال أشياء خاصة مثل العصا السحرية والتمائيل الصغيرة المصنوعة من الشمع وبخاصة التعاويذ التي تقدمت تقدماً عظيماً في الوصول إلى الغاية المنشودة.

وقد كان المصريون - قبل أن يصبح علم السحر مركباً ومعقداً بازدياد الصفات التي أتت عن طريق التجربة - يلجئون إلى السحرة، ولكن هل كان هؤلاء يُعدون أكثر استعداداً من غيرهم ليستوعبوا وينقلوا الجاذبية السحرية؟ هذا جائز، غير أنهم كانوا يُعدون علماء على أية حال. فقد كان يمارس صناعة السحر الكاهن المرتل، وكذا الطبيب، أي

علماء مدربون على كتب قديمة. والواقع أنهم كانوا ينهلون علمهم من هذه المصادر التي كانت كافية فيما يبدو. ولم يكن من الضروري أن تتوفر لهم تلك القوة الخارقة للعادة التي كان المصريون يعتقدون بوجودها لديهم؛ لأنهم كانوا يعتمدون فيها على العلم إلى حد بعيد. وقد يبدو غريباً أن يُرجع الإنسان القوة السحرية إلى علم لم يكن بد من أن يولد بدونها. غير أن مثل هذا الموقف الذي يبدو أنه غير منطقي لأول وهلة يمكن تفسيره بسهولة؛ إذ لا يغيب عن الذهن أن أعظم الآلهة قد أوجدوا في آخر الأمر بني البشر في هذا العالم، وأن المصريين ينظرون إليهم على أنهم مجتمع منظم وفق طبقات مختلفة يشتركون إلى جانب الأصل الإلهي وقوة الخلق؛ في تسلطهم على القوى الخارقة للطبيعة التي تحيطهم. وعلى ذلك يجد كل إنسان في نفسه قوة مستوعبة تسهل العمل السحري، وبعبارة أوضح كان الساحر مميزاً عن غيره من الناس، لا بطبيعته فقط بل بعلمه أيضاً، وقد كان الساحر قبل كل شيء عالماً يعرف التعاويذ، وكان قادراً بعلمه أن يوجد تياراً بين قوى الطبيعة الخفية الخارقة في الصيغة السحرية وقوة الاستيعاب الطبيعية التي في الإنسان. وكان الإنسان يستعين بالسحر في مختلف أحوال الحياة؛ فحين يقف أمام صعوبة لا يمكنه التغلب عليها بالطرق الطبيعية كان يلجأ إلى تذليلها بطريقة سحرية. وسنضع أمام القارئ - بدون خوض في التفاصيل - التطبيقات الأكثر شيوعاً في هذا العلم.

(١٢-١) المحافظة على الجسم

من الطبيعي أن يخشى الإنسان المرض، ويسعى من أجل ذلك للمحافظة على نفسه منه، ويستعمل لذلك التعاويذ التي كانت من أهم الصناعات الرائجة في مصر القديمة، وبخاصة في العهد المتأخر من تاريخ البلاد، وقد كانت تُصنع من الحشب والبرنز ومن الفخار المطلي، ومن الهمتيت، ومن الكرنالين، ومن اليشب، ومن حجر الفلدسبات، ومن أحجار أخرى نصف كريمة. وقد كان بعضها خشن الصنع، وفي متناول الفقراء من المصريين، وكان البعض الآخر يُعد من القطع الفنية الدقيقة التي كانت وفقاً على الأغنياء وعلية القوم. وقد كانت كل هذه التعاويذ - مع ذلك - مفعمة في ظن القوم بقوة

سحرية، وكانت كل واحدة منها تقوم بأداء دور معلوم، وبعضها يمثل علامات هيروغليفية تدل على صفات معنوية: كالحياء، والقوة، والسعادة، والبقاء، والثبات، والجمال... الخ. وهذه نعوت كان يستحب التمتع بها بنوع خاص. وبعضها تماثيل إلهية؛ وذلك لأن الآلهة في الواقع تملك قوة سحرية بالغة. وكان من المعتقد أن أشكالها تحتفظ ببعض هذه القوة الخارقة للطبيعة. وقد كان القوم يضعون هذه التعاويذ في القلائد والأساور وغيرها.

وأحياناً يقوم حبل بسيط معقود سبع مرات - وبه لوحتان صغيرتان مكتوب عليهما صيغ سحرية - مقام قلادة من التعاويذ التي كانت تُوجد حول الجسم سائلاً واقياً يحفظ المرضى - بدون شك - من الحوادث، بيد أنها لم تكن تمنعها. وعندما يحل بالإنسان الأذى كان الملجأ إلى القضاء عليه هو السحر.

وكثيراً ما كان يختلط الطب بالسحر لما نلاحظه من أن الدواء لم يكن يعدو بعض أوصاف سحرية. وكان «بيت الحياة» - يعني المدرسة - كلية للطب ومدرسة للسحرة في آن واحد، كما كانت كتب الطب - ولا سيما في العهد المتأخر - تكاد تكون مجرد مجموعات ووصفات سحرية، وكان المرض غالباً ما يُنسب إلى تأثير أشباح مؤذية؛ ولذلك كان المعتقد أن المريض يمكن أن يبرأ ويتعد عنه شبح المرض بوساطة بعض الصيغ السحرية. وقد وضع هذا الاعتقاد بصورة ظاهرة في كتاب يرجع عهده إلى الدولة الوسطى جُمع فيه صيغ متنوعة الغرض؛ منها وقاية الطفل من أخطار تحيط به، وكان الساحر يخاطب الأشباح المؤذية ويعمل على طردها بالرجاء مرة، وبالتهديد أخرى.

وكثيراً ما كان الإنسان يخاف انتقام الموتى، هذا الخوف الذي كان سبباً في تلك الخطابات الغريبة التي كانت تُكتب للموتى في عهد الدولة الوسطى وتُوضع معهم في القبور. (راجع Gradeier, Letters to the Dead).

وفيما عدا المرض كان يوجد خطر آخر يخشاه المصريون ويخافونه ويتهددهم في كل يوم؛ إذ كان يعرضهم للموت. وأعني بذلك الثعابين والعقارب والتماسيح. وقد كان السحر سلاحاً فعالاً لدفع هذا الخطر على الدوام، فيلجأ المصريون إلى الآلهة - عن طيب

خاطر - لمقاومة هذا الخطر، لما كانوا يعتقدون من أن هؤلاء الآلهة حين عاشوا على الأرض كانوا عرضة لمثلها، فينبغي أن تأخذهم الرأفة بهؤلاء التعساء الذين حاق بهم الألم الذي ذاقوا مرارته من قبل.

ويمثل أماننا تأثير الأساطير الإلهية في الصيغ السحرية تدريجًا كلما أوغل الإنسان في العصر المتأخر من تاريخ البلاد. ويظهر ذلك التأثير بشكل واضح في متون نقوش اللوحات التي يطلق عليها «لوحات «حور» على التماسيح» (6 A. Z. - 1868 P. 99). (106).

وهناك فرق كبير بطبيعة الحال بين صيغ الأهرام الدينية القصيرة، وبين المتون الطويلة التي دُوت في العصر المتأخر على هذه اللوحات؛ وهذا دليل على تطور السحر. ففي الأزمان القديمة - كما يقول «موريه» - كانت القوة السحرية في الصيغة نفسها، وهي التي تسبب الشفاء. ولكن لم يعد للصيغة - فيما بعد - قيمة إلا أن تجذب بصورة سحرية حماية بعض الآلهة الذين كانوا يقومون بالدور الأصلي في المعجزة. وعلى ذلك فلم يكن إصدار الأوامر إليهم شيئًا مستساغًا؛ بل كان يحل محله الرجاء والتضرع بدلًا من التهديد. وهذا التطور يماثل ما رأيناه في الديانة الشعبية التي تحدثنا عنها فيما سبق (مصر القديمة ج ٦). فقد رأينا أن الورع الشخصي قد سار في تقدم مطرد في عهد الدولة الحديثة؛ إذ نشاهد الإنسان قد أخذ يشعر بالتواكل على الإله باطراد، ونتج عن ذلك أن توجه إليه في ثقة، وتضرع إليه في كل الأحوال.

لقد كان لعواطف القلب دائمًا عند الرجل أهمية بالغة، ولقد برهنت حوادث عاطفية عدة على أن الحب قوة خفية متقلبة لا يمكن السيطرة عليها. والمظنون أن السحرة قد تفاخروا فيما بينهم في هذا المضمار الذي اختفت فيه الجهود الإنسانية المحضة. والطرق التي استعملوها لم تكن طرقًا مبتكرة؛ فجرعة الساحر الخاصة بالحب، وأحلام العشق، وتماثيل الشمع؛ هي في الواقع جزء من السحر العالمي. وستكلم عنها بشيء من الاختصار، فمن الجائز أنه كان يوجد عدد عظيم من جرعات شراب الحب،

غير أن كل ساحر قد اعتقد أنه لا بد أن يكون لديه وصفته الخاصة به. ويمكننا أن نؤكد - على حسب بعض المعلومات التي وصلت إلينا حتى الآن - أن الخيال كان يلعب دوراً كبيراً في تركيب الجرعات التي يتناولها المحب أو المحبوب، فنجد أن مما يصعب فهمه مثلاً: لماذا كان لدم بنصر اليد اليسرى، أو دم القراد المأخوذ من كلب أسود تأثير حسن جداً على المرأة التي يريد الإنسان أن يستميل قلبها؟! فإذا كانت هذه المرأة قد أحبت رجلاً آخر تعين على المرء قبل أن يستهوئها لنفسه أن ينتزعها ممن تحب أولاً؛ ولهذا كان الساحر يستعمل تماثيل الشمع، فيجري أعمالاً سحرية على تماثيل صغيرة صُورت في شكل المنافس. فإذا حدث من مفعولها الشقاق والانفصال بين العاشقين صنعت - حينئذ - جرعة مزيج للحب، أو كُتبت بعض صيغ سحرية تحدث عند المرأة أحلاماً غرامية يظهر فيها العاشق في صورة خلافة تخضع الحبوية لسلطانها، وتجعلها تهيم به. على أننا لا نعلم عن مقدار تأثير تلك الحيل سوى أنها كانت عظيمة الانتشار، عريقة في القدم في المتون المعروفة باسم «كتاب الطريقين» الذي تحدثنا عنه طويلاً في الجزء الثالث من مصر القديمة، فقد ذُكر فيه أن مجرد تلاوة صيغة بسيطة كان كافياً لكي تقع المرأة في هوى قارئها.

وقد استعمل السحر من جهة أخرى لإشباع مطامع الشخص وطموحه، فالواقع أن الإنسان يجد أعمق لذة في حياته في إشباع مطامعه، وأحسن متعة في الوصول إلى مركز مرموق في المجتمع، ويعمل على الحرص عليه عندما يناله، ويجد في هذه الرغبة حافزاً عظيماً لتنمية نشاطه، وسبباً من الأسباب الهامة للحياة الرغيدة. ولكن من المؤسف له أن ما يتصف به من صفات محمودة قد لا يكون موضع التقدير ممن يحيطون به، على أنه لا يوجد من يوقن بخروجه منتصراً من معركة الحياة القاسية، فيتغلب على مطامع مناهضيه الذين يكونون أحياناً أقوىاء. وليس الأمر في هذا الصراع خاصاً بالتغلب على الشياطين الخفية، أو على حيوانات خطيرة، بل على صراع إنسان من البشر يعده - خطأ أو صواباً - عدواً له. وفي مثل هذه الحالة يقدم السحر للرجل الذي يظن نفسه مضطهداً مساعدة قوية عن طريق عمل تماثيل سحري صغير من الشمع يلجأ إليه الإنسان في مثل هذه

الأحوال. وهذه الطريقة السحرية تعتمد على القانون الذي يقول بأن بين الصورة وبين الإنسان الذي تمثله نوعاً من الاتصال النفسي Sympathy، وكان على الساحر - لكي يسيطر على العدو - أن يصنع له تمثلاً خشناً من الشمع أو من الطين، ومن ثم يمكنه أن يتلو عليه بعض تعاويذ تجعله في حالة خضوع تام، وكان يكتب على هذه الصورة كذلك اسم العدو المفروض أنها تمثله، كما يكتب اسمي والديه حتى لا يكون هناك خطأ في الشخص المقصود. كان الاسم حقاً يلعب دوراً هاماً في السحر، فقد كان - كما يظن - يشمل شخصية الرجل، وفي مقدوره في حالات خاصة أن يحل بنفسه محل صورة سحرية. وكان الساحر رجلاً عالمًا بأسماء الرجال الذين يريد أن يصل إليهم، كما كان يعرف بخاصة الاسم الحقيقي لكل إله من الآلهة (راجع قصة هلاك الإنسانية في كتاب الأدب المصري القديم ج ١) وفي هذا يكمن سر قوته وبطشه. ومهما يكن من أمر فإننا نجد - إذا رجعنا إلى الصور السحرية - أن استعمالها كان شائعاً في مصر القديمة عند جميع طبقات الشعب، ولم يكن الملك نفسه يترفع عن استعانتها على أعدائه، ففي «متحف برلين» كمية من الاستراكا المصنوعة من الفخار الأحمر كُتب عليها صيغ لعنات على كل أعداء ملك لم يُسمَّ، غير أن شواهد الأحوال تدل على أنه عاش في عهد الأسرة الثانية عشرة، وقد ذُكرت أسماء أعدائه الذين لم يكونوا من المصريين فحسب، بل كانوا من الآسيويين واللوبيين أيضاً (Sethe, Achtung). ولدينا كذلك من عهد الدولة الوسطى صيغ لعنة أخرى كُتبت بالمداد الأحمر على أشكال خشنة تمثل أسرى ركوعاً وأذرتهم موثقة من خلاف، وتُعد هذه الأشكال أحدث - قليلاً - من استراكا «برلين»، وهي محفوظة بمتحف «القاهرة» و«بروكسل» و«بيلجيكا»، وقد نُقشت كلها على نمط الكتابات التي على استراكا «برلين» وهي تمدنا - كالاستراكا - بمعلومات عن أجناس البشر، ومعلومات أخرى جغرافية، وتظهر لنا إلى أي حد تطور فن صناعة الأشكال السحرية في هذا العهد.

ويبدو أن الساحر كان يتلو على هذه الأشكال صيغاً تجعل هؤلاء الأعداء عاجزين، لا حول لهم ولا قوة، وتُدفن بعد ذلك وفق شعيرة خاصة.

وقد وُجد بعض هذه الصور أحياناً في تواييت صغيرة مصنوعة من الخشب. وكان الملك بموت أعدائه السحري يعتقد أنه قد تخلص من الخطر الدائم الذي كان يحيط به بسببهم. وقد بقيت هذه الطريقة مستعملة حتى نهاية التاريخ المصري. وفي العهد المتأخر كذلك كانت تُصنع صور تمثل أعداء الملك، ولكيلا تكون مؤذية كانت تُختم أعضاؤها ثم تُساق إلى العذاب بعد أن يُكتب اسم المعذب بكل عناية على البردية التي يُعطى بها الشكل، ويكتب عليها اسم والديه.

وقد كان المظنون أن المصري - كما يعتقد هو - محاط بقوى سحرية؛ ولذلك كان ميالاً - بطبيعة الحال - إلى الاعتقاد في الخرافات، وقد حفظ لنا الأدب المصري البرهان على ذلك؛ إذ وصل إلينا تقويمات عن أيام السعد وأيام النحس في حياة القوم، لأن أيام السنة كانت تنقسم ثلاثة أقسام: الأيام السعيدة، وأيام النحس، والأيام المتوسطة بين السعد والنحس. على أن الخبرة في ذلك لم يكن للإرادة دخل فيها، وإنما كانت مبنية على حسب حوادث الأساطير الإلهية الهامة التي وُضعت طبقاً لترتيب تواريخها.

وكان على المصريين أن يرجعوا إلى هذا التقويم كلما أرادوا أن يقوموا بعمل، أو يقدموا على تجارة.

والتقويمات التي وصلت إلينا من العهد الفرعوني من أيام السعد وأيام النحس تنحصر فيما يأتي:

(١) ورقة من عهد الدولة الوسطى تُعرف «بورقة اللاهون» غير أن التقويم الموجود

بها ينحصر في شهر واحد، وليس بها أي تفصيل (راجع Hieratic Papyri from Budge, Hieratic Papyri In the (Kahun pl. 25).

(٢) ورقة «ساليه» الرابعة: وعلى الرغم من أنها تنقص عدة أشهر من الأول ومن

الآخر، وأنها محشوة بالأغلاط فإنها كانت - حتى زمن قريب جداً - المصدر الهام الذي يُعتمد عليه في هذا النوع من الوثائق (راجع Budge, Hieratic Papyri In the

(٣) عُثر على بعض الاستراكا في «الدير البحري» ذُكر عليها بعض أيام من التقويم الكامل؛ مما يدل على أن للكاتب فائدة خاصة في هذه الأيام (راجع M. Malinine, Nouveaux Fragments du Calendrier Egyptien des Jours Fastes et Jours Nefastes In Melanges Maspers p. 879–898).

(٤) استراكون رقم (٤٦١٥): بمتحف «تورين»: وتذكر أعياد النصف الأول من الشهر الأول من السنة.

وقد بقيت معلوماتنا عن هذا التقويم ناقصة إلى أن كشف عن ورقة جديدة تامة لهذا التقويم يقوم بحلها وشرحها الآن «الدكتور عبد المحسن بكير» وقد كتب عنها ملخصاً نقتبس بعضه فيما يلي (A. S. XLVIII p. 426).

(١٢-٢) محتويات المتن الهامة

تحمل الورقة الجديدة عنوان بداية الخلود - بالنسبة للزمن - حتى نهاية السرمدية - بالنسبة للأبدية - وهي منظمة على غرار «ورقة ساليه الرابعة»؛ مما يدل على وجود طراز من التقويم في ذلك الوقت مستعمل نُسخ منه عدة صور. وقد كان الأساس الذي بُني عليه هذا الطراز من التقويم هو «السحر الجاذبي»؛ لأنه كان يُعتبر أن ما يجري في الحياة اليومية ليس سوى صدى مباشر لحوادث مماثلة حدثت في حياة الآلهة في نفس هذا اليوم. وبعبارة أخرى: كان لدى المصريين فكرة خيالية بمقتضاها كانت كل الحوادث التي وقعت في ماضي حياة الآلهة هي التي تحدث - في كل زمان ومكان - مستقبل بني البشر. وعلى ذلك فإن الثلاثمائة والستين يوماً قد ذكر كل منها بالإشارة إلى حادثة معينة في تاريخيدل ما لدينا من آثار هؤلاء الآلهة.

والورقة التي نلخص محتوياتها الآن ذات أهمية فريدة، لأنها تقدم تفسيرات مفصلة للحوادث الخرافية التي تحدث طبيعة ذلك اليوم. وهذا الأصل الخرافي يظهر أن للوثائق التي

نتحدث عنها صبغة شعبية، وأنها لا تتصل بأية حال بالمعتقدات الدينية الرفيعة الخاصة بالمعابد العظيمة في مصر. وفضلاً عن ذلك فإن هذه الورقة لا تحتوي إلا على حلقة ضيقة من المعتقدات الدينية المصرية التي ترجع في أصلها إلى المذهب المنفى. أو المذهب الهليوبوليتي؛ مما يدل على أن التقاليد القديمة كانت لا تزال راسخة في عقول الشعب.

وما لدينا من المصادر الأخرى الخاصة بهذا الموضوع حتى الآن لا تحتوي على الآلهة إلا على «آمون» و«ثالوث طيبة»؛ مما يدل على أن هذه التقويمات ترجع إلى عهد موغل في القدم. فضلاً عن أن لغة الورقة ليست لغة الدولة الحديثة. وعلى ذلك نعلم أن أقدار أعضاء تاسوع «هليوبوليس» كانت هي العوامل الفاصلة التي تحقق لنا طبيعة كل يوم من أيام السنة. وسنذكر هنا بعض الأمثلة التي لم يكن من المستطاع استنباطها من ورقة «ساليه» الرابعة السالفة الذكر:

(١) العلاقة الخرافية الوثيقة التي وجدت فيما ذكرته الورقة، وقصة «حور» و«ست» وبخاصة حادثة العراك الذي نشب بين الإلهين، وتدل على أن «إزيس» كانت في جانب «حور» (راجع الأدب المصري القديم ج ١).

والواقع أن تركيب جمل التقويم هو نفس تركيب جمل قصة «حور» و«ست» تقريباً. كما جاء في ورقة «شستريتي»؛ مما يدل على أنها كانت معلومة لأولئك الذين كانوا يستعملون التقويم.

(٢) ومن أوجه الشبه بين الورقة التي نحن بصدها وبين ورقة «شستريتي» الخاصة بقصة «حور» و«ست» حادثة الإله «عنتي» ومعاملاته مع «إزيس». وهذا يؤكد التحريم الهام لاستعمال الذهب في بلدة «عنتي» في كل من الورقتين.

(٣) وصيغة المتن السحرية تظهر في العناوين التي صيغت على حسب عناوين صيغ المتون السحرية الأخرى المعروفة لنا في غير هذه الورقة. مثال ذلك (Vs, XVI. 2-3): يتلى هذا على صورة «أوزير» وصورة «حور» وصورة «ست»، وصورة مؤنثة تمثل «إزيس»

و«نفتيس» على شريط من الكتان معلق على رجل. وقد وُجدت مفيدة ألف ألف مرة.

كلمات تُتلى بعدها عندما تنتهي أيام النسيء الخمسة. راجع (Vs. XI, 2).

(٤) إن نوع النبوءات، أو التحذيرات التي ذكرت في الوثيقة تتمشى مع عقلية رجل الشارع، وهي من طراز أغرب مما جاء في ورقة «ساليه» الرابعة. مثال ذلك: (rt. VI, 9-11) (في يوم كذا) لا تحرق بخوراً للإله في هذا اليوم، ولا تستمع إلى الغناء أو تشاهد الرقص فيه.

وكذلك: (3-rt. XIII, 2) (في يوم كذا): لا تترك النور يسقط عليك حتى تغيب الشمس في أفقها.

وكذلك: (rt. IV, 11) ... لا تنتظر إلى ثور، ولا تنكح فيه - أي في هذا اليوم.

وأحياناً نصادف نبوءات، مثال ذلك: (rt. I, 6) ... إذا شكك إنسان ألماً في بطنه فإنه لن يعيش.

وكذلك: (rt. III; 9) أيما إنسان وُلد في هذا اليوم فإنه سيموت بالتمساح.

أو كما جاء عن يوم آخر: يموت في هذا اليوم بالعمى.

وكانوا يعتقدون كذلك أن الأحلام تطوف بهم لتقدم إليهم إرشادات ثمينة للمستقبل. ولا أدل على ذلك من قصة «يوسف»، وتفسيره للرؤيا معروف لا يحتاج إلى بيان.

ويرجع تاريخ الوثائق المصرية الخاصة بتفسير الأحلام إلى العصر الإغريقي - على وجه التقريب. ويوجد لهذا الفن - مع ذلك - مصادر منذ عهد الدولة الوسطى، وقد نقل عنها تلاميذ الدولة الحديثة، ولدينا من هذا العهد كتاب غريب نشره حديثاً الأستاذ «جاردنر»، وقد ذكر فيه سلسلة أحلام هامة مع تفسيرها. ومن المدهش أن نوع تفسير

هذه الأحلام ينطبق على ما جاء في كتاب «تفسير الأحلام» لابن سيرين. ولا تزال هذه التفسير شائعة في مصر حتى الآن.

ويلاحظ أن الأحلام السعيدة كانت تُسمى «أحلام أتباع «حور» إله الخير» والأحلام السيئة «أحلام أتباع «ست»». وقد كُتب هذا العنوان بالمداد الأحمر علامة على الشر (راجع Hieratic Papyrus in the British Museum Vol I, Text p. 9 ff). أما الأحلام السعيدة فكانت تُكتب بالمداد العادي.

هوامش

- (١) راجع: ff Br. A. R. IV §, 40 77—Harris Pap. I, pl. 76.
 - (٢) يجب أن تكون هنا «آبائي» أو «محضرة آبائي»؛ لأن «آمون» أعظم الآلهة هو الذي كان يُتوج الملك في حفل رائع في الدولة الحديثة.
 - (٣) بالقرب من «بوقير»؟
 - (٤) هؤلاء قبائل من أهل «لوبييا» لا تُعرف مواطنهم بالضبط.
 - (٥) راجع: and Translation Historical Records of Ramses III, Vol I, pl. 9. 1 ff p. وسنشير إلى هذا الكتاب في كل حديثنا عن حروب «رعمسيس الثالث»؛ إذ يُعد أحسن وأحدث وثائق مُجمعت حتى الآن.
 - (٦) وفي «ورقة هاريس» يشير إلى أنه كان هناك خطر من جهة «بلاد النوبة»، كما كان من جهة آسيا؛ إذ يقول في نهاية حكمه عن جنوده: ولم يكن بداخلهم الخوف؛ لأنه لم يُوجد عدو من «كوش» ولا من سوريا.
- (راجع Harris pl. 78, Br. A. R. IV, § 410).

(٧) راجع: Ibid pl. 14.

(٨) راجع: Ibid pl. 16. Historical Records

(٩) راجع: Ibid pl. 18.

- (١٠) راجع: Ibid pl. 22.
- (١١) راجع: Ibid pl. 23.
- (١٢) راجع: Ibid pl. 24.
- (١٣) راجع: Ibid pl. 26.
- (١٤) راجع: Ibid pls. 27–28.
- (١٥) الرعان: «رع» إله الشمس، و«رع» الملك نفسه.
- (١٦) كان أول من اتبع هذه الخطة «تحتمس الثالث» (راجع الجزء الرابع من مصر القديمة).
- (١٧) إتر: مقياس مصري لا يمكن تحديد طوله.
- (١٨) راجع: Möller, Dic. Aegyptier und Ihre Libyschen Nachbarn p. 52.
- (١٩) راجع: Gauthier Di. Geogr. V, p. 156.
- (٢٠) راجع: and Trans p. 13 Historical Records I, pls. 22.
- (٢١) راجع: and Trans p. 61 Ibid, pl. 70.
- (٢٢) وهي المسافة الواقعة بين البلدين.
- (٢٣) راجع: Oric Bates, ibid p. 221.
- (٢٤) راجع: ff Historical Records ibid p. 13.
- (٢٥) راجع: 24–Historical Records Trans. p. 23.
- (٢٦) راجع: and Trans p. 49 Ibid, pl. 46.
- (٢٧) راجع: Historical Records pls. 29–43.
- (٢٨) على الجدار الشمالي الخارجي للمعبد الكبير.
- (٢٩) راجع: Ibid, pl. 32.
- (٣٠) راجع: Ibid, pl. 37.

(٣١) على الجدار الخارجي الشمالي في المعبد الكبير.

(٣٢) راجع: Ibid, pl. 42.

(٣٣) على الجدار الشمالي الخارجي للمعبد الكبير.

(٣٤) المنظر على الجدار الخارجي الشمالي في غربي البوابة الثانية.

(٣٥) راجع ما كتبه «كابار» (Chronique D'Egypte (1936) p. 416) حيث

يقول: إن في المناظر والمتمون الخاصة بالواقعة البحرية العظيمة يعترضنا بعض الصعاب في فهمها. فأين كانت مقابلة الجيش الفاصلة؟ فالتون تحدثنا بأن العدو كان متجهًا نحو مصر، وتحدثنا عن تجمع جيوش في بلاد «آمور». فالجيش المصري يذهب نحو «زاهي»، ولكن من جهة أخرى نجد ذكر مصبات النيل مرات عدة.

ومن السهل نسبيًا أن نفسر ذلك التضارب الظاهري، وذلك أن الفرعون (Historical Records, pls p. 54) نظم حدوده حتى بلاد «زاهي» في حين أنه حصن مصابَّ النيل، والعدو الذي كان معظم أسطوله يرافق على الساحل جيش الغزو قد فصلت عنه بعض قطعه التي كانت تدبر هجومًا مفاجئًا على مصابَّ النيل لتحدث الذعر خلف الجيش المصري الذي كان يتقدم في «آسيا»، ولكن الفرعون كان قد فطن لكل ذلك.

(٣٦) راجع: Ibid, pls. 80-83.

٣٧ راجع: Ibid pl. 80.

(٣٨) راجع: Ibid, pls. 72-79.

(٣٩) ويجب أن نذكر القارئ هنا أن «المشوش» قبيلة سكنت غربي «لوبياء»، وقد ظهروا فقط في التاريخ المصري عرضًا حتى الآن، واندفعوا وراء وعود أولاد عمهم اللوبيين، وحاولوا أن يستوطنوا أرض الدلتا الخصبة. ولا نعلم على وجه التأكيد إذا كان لهم حلفاء رسميون في هذا المسعى أم لا، وقد ذكر معهم في هذه

الحروب «التمحو»، وقد تحركوا نحو مصر، وفي ذلك الوقت ضربوا ونهبوا أهالي «التحنو» الذين كانوا يميلون إلى السلام، وهم الذين كانوا يسكنون غربي الدلتا بالضبط على الحدود. وتدل شواهد الأحوال على أن هجوم «المشوش» كان على الحد الغربي للدلتا (راجع No. 1. b. cf. pap. Harris I, Ibid, pl. 70 LXXVI, 11, LXVII, 2) وقد هُزموا وأُسر منهم عدد عظيم، وقد عُدَّ المتن المصري هؤلاء الأسرى، ومن بينهم ابن الرئيس، ونساؤهم، وأطفالهم، وأسلحتهم وماشيتهم.

والواقع أن الغرض من هذا الهجوم كان هجرة حقيقية، وقد استعمل الأسرى عبيدًا لخدمة المصريين. وإنه من المحتمل أن نكون مبكرين جدًا في تحديد القوى الاقتصادية التي ينطوي عليها هجوم «المشوش» على مصر، ولا نزاع في أنه كان للهجرة علاقة بحركة عدم الاستقرار في شرقي البحر الأبيض المتوسط في هذا الوقت، وهي التي تشمل هجرة «أقوام البحار» وتخطيط دولة «خيتا» وحصار «طروادة» وسعي اللوبيين السابق لاستيطان مصر.

(٤٠) «التحنو»: تقع على الطريق بين «مشوش» ومصر.

(٤١) أي طبيعة «رعسميس» مثل طبيعة «رع».

(٤٢) أي من يجتهد في التلکؤ في المؤخرة فإنه يُجر إلى الأمام بدون شفقة.

(٤٣) أي نعمل السيئات.

(٤٤) أي إن المعتدي على الحدود في طريقه إلى الجبابة.

(٤٥) لم يذكر قوم «سبد» في هذا المتن إلا في هذه المرة.

(٤٦) كالثور عندما ينطح بقرنيه يتحفز.

(٤٧) راجع: ff p. 64 Ibid, pl. 75.

(٤٨) راجع: Ibid pl. 72.

(٤٩) راجع: Ibid pl. 102.

- (٥٠) راجع: .Ibid p. 62, Wresz. Atlas II, pl. 132
- (٥١) راجع: .Ibid p. 68, Wresz. Atlas II, pl. 140
- (٥٢) راجع: ., Wresz. Atlas II, 140–1٧ • Ibid p.
- (٥٣) راجع: .J E A V, P. 134
- (٥٤) راجع: .Ws.rez Atlas 136–8 Ibid pl. ;72
- (٥٥) راجع: .J. E. A. Vol V Ibid
- (٥٦) راجع: .ff Schaedel, p. 17
- (٥٧) راجع: .a Historical Records pl. 73; Wresz II, 141
- (٥٨) راجع: .Ibid, pl. 78; Wresz II, 143
- (٥٩) راجع: .Gardiner, Onomastica I, p. 120
- (٦٠) راجع: .Holscher, Libyer and Aegyptier p. 65
- (٦١) راجع: .Note 1 Wresz. II, 153
- (٦٢) راجع: .a, 5 Harris Pap. I, 51
- (٦٣) راجع ما كتبه «شادل» في هذا الموضوع (Schaedel, Die Listen des)
- (Grossen Papyrus Harris pp. 17–20).
- (٦٤) راجع: .Historical Records Ibid pl. 87
- (٦٥) راجع: .Ibid pl. 88
- (٦٦) راجع: .6–Historical Records Trans. p. 95
- (٦٧) راجع: .Ibid pl. 90
- (٦٨) راجع: .Ibid pl. 91
- (٦٩) راجع: .Ibid pl. 92
- (٧٠) راجع: .Ibid, pl. 94

(٧١) راجع: Ibid, pl. 96.

(٧٢) راجع: Ibid, pl. 98.

(٧٣) راجع: Ibid, pl. 99.

(٧٤) راجع: Ibid, pl. 101.

(٧٥) راجع: Ibid, pl. 101.

(٧٦) راجع: Chicago Oriental G. loud, Megiddo II, Seasons of 1953–39) p. Institute Vol. LXII) = Chronique D’Egypte No. 48. Juillet 1949
280.

(٧٧) راجع: Ibid pl. 105–106.

(٧٨) هل يعني بذلك: إني أتحرك بحزة رأسي بما أوحى به؟

(٧٩) راجع: f p. 72 Gardiner, J. E. A. Vol 27.

(٨٠) راجع: Br. A. R. IV, § § 15–81; Erman, zur Erklärung des Pap.

.ff Harris in Sitzungsab. Berlin (1903) p. 456

(٨١) راجع: Herbert, D. Schaedel, Die Listen des grossen Papyrus

.Harris. Ihre Wirtschaftlichen und Politischen Ausdeutung

(٨٢) راجع: a, 1–5 Harris I, 12.

(٨٣) اسم المعبد العظيم لمدينة «هابو».

(٨٤) اسم المقصورة التي أقامها «رعمسيس الثالث» في الأقصر، وهي مخربة الآن.
(Ibid 24, 6).

(٨٥) اسم معبد «خنسو» بالكرنك.

(٨٦) يشير هنا إلى الناس والتابعين الذين ذُكروا في السطر الأول من هذا النص.

(٨٧) وقد أشار الأستاذ «جاردنر» إلى ما جاء في هذه الورقة في أثناء فحصه ورقة
«فلبرو» مما سنذكره هنا (راجع Gardiner; Wilbour Papyras Vol II).

- (٨٨) راجع : ff pp. 114 A. Z. 73
- (٨٩) راجع : Struve, Ort des Herkunft und Zwick des Papyrus Harris in
ff Aegyptus 1926) p. 3
- (٩٠) راجع : ff pp. 109 A. Z. Vol 72
- (٩١) راجع : ff Borchardt, A. Z. Vol 73. pp. 114
- (٩٢) راجع : (Erichsen, Papyrus Harris (bib. Aegyptiaca V
- (٩٣) راجع : Br. A. R. IV, § 176–180
- (٩٤) راجع : Ibid § 176
- (٩٥) راجع : Ibid § 177
- (٩٦) راجع : Ibid § 195; Harris 1, 5, 4
- (٩٧) راجع : a, 2 Br. A. R IV, § 223, 227, Harris 10, 4; 12
- (٩٨) راجع : J. E. A. 5, p. 134
- (٩٩) راجع : p. 263 Geschichte. Aegyptens Phaidon Ausgabe 1936
- (١٠٠) راجع : W. B. III, 379
- (١٠١) راجع : Note a Br. A. R. IV §§ 179, 195
- (١٠٢) راجع : Br. Ibid, 223, 227
- (١٠٣) راجع : Br. Ibid, 177
- (١٠٤) راجع : Medinet Habu, 140
- (١٠٥) راجع : Schaedel Ibid, p. 22
- (١٠٦) راجع : Schaedel, Ibid, p. 29
- (١٠٧) راجع : Porter & Moss, II. P. 45
- (١٠٨) راجع : Ibid p. 51

(١٠٩) راجع: Ibid p. 57.

(١١٠) راجع: A. S. IV, p. 5.

(١١١) راجع: A. S. XXIV, p. 83.

(١١٢) راجع: Porter & Moss, II, p. 66.

(١١٣) راجع: Ibid II, p. 83.

(١١٤) وقد استمر أخلافه في بنائه حتى تولية «حريحور» الكاهن الأكبر عرش مصر (راجع Note. e Br. A. R. IV § 214).

(١١٥) لأن العاصمة كانت في «برعسميس» (فتير الحالية) من أعمال الدلتا الشرقية.

(١١٦) اسم لمعبد «رعسميس الثاني» الجنازي والقصر الذي بناه فيه.

(١١٧) وهذا البناء يُعد أحسن نموذج لمعبد بسيط باقٍ حتى الآن بين المعابد المصرية التي بُنيت بطريقة متناسبة ومتناسقة، ويبلغ سبعين ومائة قدم طولاً، وبوابة هذا المعبد ومدخله قد أصاب نهايتهما ضرر بليغ، وقد أُقيم على جانبي البوابة تمثالان للملك. ويُشاهد على خارج جدار البرج الشمالي الفرعون «رعسميس الثالث» لابساً التاج المزدوج يضرب طائفة من الأعداء بمقمعته، والإله «آمون» أمامه يقدم له سيف النصر، كما يقدم له ممثلي البلاد المقهورة في صفوف مكبلين بالأغلال، وفي الصفين العلويين من نفس الجدار نشاهد أمم الجنوب المغلوبين، وفي الصف الثالث أمم الشمال، وعلى جدار البرج الأيمن نشاهد منظرًا مماثلاً، غير أن الفرعون هنا يرتدي تاج الوجه البحري. وفي المدخل نرى «رعسميس الثالث» يتسلم علامة الحياة من الإله «آمون». وبعد البوابة ردهة مكشوفة يكتنفها ممرات مسقوفة، وترتكز سقفوف كل ممر من هذه الممرات على ثمانية أعمدة يستند على كل منها تمثال «لرعسميس الثالث» في صورة «أوزير»، وعلى الجدران الخلفية للبوابة في اتجاه الردهة نشاهد صورة

«لرعمسيس الثالث» يتسلم من الإله «آمون» الرمز الدال على العيد الثلاثيني مشعرة بأن الفرعون سيحتفل بأعياد ثلاثينية كبيرة. وقاعدة العمد مزينة بنقوش، فعلى جدران الممشى الشرقي نشاهد موكب سفينة «آمون» المقدسة، وعلى جدران الممشى الغربي نشاهد موكبًا لتمثال «آمون» بعضو الإكثار منتشرًا يحمله كهنة، ويتبعه حاملو الأعلام، وعلى الخارجات نقرأ نقوش تقديم المعبد التي يقول فيها «رعمسيس الثالث»: «إنه أقام هذا الأثر تكريمًا لوالده آمون». ويلاحظ باب في قاعة العمد في الجهة اليسرى يؤدي إلى الرواق البويطسي، وتتصل ردهة هذا المعبد بدلهيزه الذي ترتفع رفعتة قليلًا، ويرتكز هذا الدهليز من الأمام على أربعة أعمدة في هيئة «أوزير» ومن الخلف على أربعة أعمدة تاج كل منها في هيئة زهرة لم تتفتح بعد. وهذه العمد متصل بعضها ببعض بواسطة ستائر من الحجر مزينة بالنقوش، وفي نهاية الدهليز باب يؤدي إلى قاعة فيها ثمانية أعمدة تيجانها على هيئة الزهرة المقفلة، ويتصل بها ثلاث مقاصير مهداة إلى «آمون» في الوسط، وعلى يساره «موت» وعلى يمينه «خنسو» وفي كل منها صورة الملك يقرب القربان لسفينة كل إله من هؤلاء الآلهة على التوالي، وبجانب مقصورة «خنسو» حجرة أخرى، وبجانب مقصورة «موت» سلم في حين أنه يوجد خلف مقصورة «آمون» حجرة على كلا جانبي المقصورة (راجع Baedeker's Egypt p. 283).

(١١٨) وقد قال برستد (Note Ibid IV § 195): إن هذا المعبد يقع أمام معبد الكرنك الكبير، غير أن هذا الرأي خاطئ كما برهن على ذلك «شادل» (راجع Schaedel, Ibid, p. 26. ff).

(١١٩) إذا تأملنا معنى الفقرة كلها، وجدنا أن المقصود هنا معبد جديد أقامه «رعمسيس الثالث» في الأقصر (راجع Schaedel, Ibid, p. 24. ff).

(١٢٠) لم يفهم «برستد» هذه الجملة؛ ولذلك خلط في تفسير هذا المعبد (راجع Schaedel, Ibid p. 29) إذ يقول في ترجمتها: وقد مكنت ثمانية آثارك في طيبة

المنتصرة مكان راحة قلبك بجانب وجهك إلخ.

(١٢١) عيد يظهر فيه الإله محمولاً في حفل.

(١٢٢) كان الملك والكاهن الأكبر «لأمون» هما اللذان يُسمح لهما بالدخول في هذا المكان، وهما اللذان كانا يعرفانه فقط.

(١٢٣) يقصد هنا بلفظة المعبد معبد مدينة «هابو» (راجع J E A Vol XXXVI p. 180)).

(١٢٤) وعلى ذلك كان معبد الكرنك هو المكان الذي تُودع فيه سجلات المعبد لكل عصر كما كان معبد «آمون» هو العاصمة الدينية.

(١٢٥) هذا المخلوط المركب من أجزاء غير واضح في المتن، وهو يشير بطبيعة الحال إلى نسبة السبيكة. ووزن هذه اللوحات قد ذُكر في هـ ١٤ (١) سطر ٣ بأنه دبناً؛ وقد كان أربع منها يزن مجموعها معاً ٨٢٢ دبناً.

(١٢٦) وقد ذُكر وزن هذه الأواني الخاصة بالتصفية إلخ في هـ ١٣ (ب) ٦-٨.

(١٢٧) الواقع أن عبارة «سشم-خو» معناها الصورة المحمية، وتشير هنا إلى تمثال محفوظ من نظر العامة إليه، وكان يُوضع في محراب داخل قارب يُحمل على الأكتاف، وقد أصبحت هذه العبارة تدل على القارب نفسه الذي كان يُحمل في الأبحاث (راجع ff Wilbour, Pap. II, p. 16). ولا نعلم هنا إذا كانت هذه الزينة خاصة بالتمثالين فقط أو كذلك بالقارين.

(١٢٨) توجد عادة صورة رأس كبش في هذه السفينة عند المقدمة وعند المؤخرة ولكن في هذه الحالة توجد هذه الرؤوس في حجرة المحراب.

(١٢٩) هذا الاسم يُطلق على القسم الشرقي من طيبة أو على جزء منه ويُحتمل أنه هو الكرنك Br. A. R. Vol. IV, p. 120.

(١٣٠) اسم يطلق على جزء من «فلسطين» و«فينيقيا» أي فلسطين شمالاً حتى «لبنان».

(١٣١) كان «رعمسيس» في عاصمة ملكه في «الدلتا» المسماة «بررعمسيس» (قنتير الحالية).

(١٣٢) هذا القطيع كان لا يزال موجودًا في عهد «رعمسيس الرابع».

(١٣٣) ويقول «شادل» إنه لا يتفق مع «جاردنر» بأن هذه هي العاصمة بل اسم بلدة في الوجه البحري (50). (Schaedel, p. 50).

(١٣٤) ويقول جاردنر (Wilbour, Pap. II, p. 117) إن الموظفين والعمال في مقر الدلتا كانوا يتقاضون أجورهم من الدخل القديم لمعبد الكرنك لا من دخل معبد «رعمسيس الثالث» الجديد في مدينة «هابو» ولا من معاينه التي أقامها في داخل الكرنك أو في الجزء الغربي من طيبة.

(١٣٥) راجع ترجمة هذه الفقرة وما كتبه عنها جاردنر Wilbour, Pap. II, P. ٧.

(١٣٦) ويلاحظ هنا أن القائمة الآتية عن كل سنة فقط، أما الإحدى والثلاثون سنة فهي مدة حكمه فقط التي وُزعت فيها هذه الهبات سنويًا.

(١٣٧) هذه القيمة تساوي ٦٣٦٠٩٠٨ بوشل.

(١٣٨) ذُكرت في الملخص النهائي (هـ ٦٨ (١) ٣-٦) نسب الذهب والفضة ٧٢٠٥ دبنًا وقدتا واحدًا من الذهب، و١١٠٤٧ دبنًا من الفضة وربع دبن، أي بنسبة جزئين من الذهب وثلاثة من الفضة، وهي نسبة معدن السام المعتادة، ومنها صُنعت التماثيل على ما يُظن.

(١٣٩) لا بد أن ذلك على حسب وحي من الإله «آمون»، والآن يرجو «رعمسيس الثالث» تحقيق هذا الوعد لابنه «رعمسيس الرابع».

(١٤٠) راجع: 71 A. Z. p. 111 (1935) ff.

(١٤١) راجع: Ibid. p. 126.

(١٤٢) راجع: Note 2 Br. A. R. Vol. IV, § 274.

(١٤٣) راجع: Note c Ibid. 281.

(١٤٤) نوع من الذهب يُجلب من إقليم «ههنت» ببلاد النوبة (راجع W. B. V, p. 145).

(١٤٥) نوع من الذهب يجلب من إقليم ههنت ببلاد النوبة (راجع W. B. V, p. 145).

(١٤٦) صُوِّرَت صورة الإله «تخوت» بوصفه إله الموازين عند لسان الميزان ليزن بالقسطاس المستقيم.

(١٤٧) أي وجعلت البرك تُسحب إلى مدينتك، وهذا لا يشير إلى محصول ما بل يقصد أن طيور البرك كانت تُجلب بهذه الكيفية.

(١٤٨) هل يشير هنا إلى المكان الذي يُقال إن «حور» قد وُلد فيه في منافع الدلتا؟

(١٤٩) هذا هو المعبد الذي أقامه «رعمسيس الثالث» في «تل اليهودية» لا معبد

«رع» في «عين شمس» كما يقول «برستد» (راجع note: Br. A. R. IV, 278) «a»^(?).

(١٥٠) يمكن أن تكون هذه السفينة للإله «سب».

(١٥١) ذكر «ركي» أنه يُوجد في «هليوبوليس» معبدان مختلفان عظيمان، أو

ضيعتان. واحد منهما للإله «رع حوراخي» والثاني للإله «آتوم»، وهذان

الإلهان يُوجدان هناك معًا (Harr. 24)، وقد زاد «رعمسيس الثالث» في هبات

كل منهما في الأنفس التابعة لهما، فقد جاء في صفحة (٣١) سطر (٤): الناس

الذين أهدوا لضبعة معبد «آتوم» سيد الأرضين، و«رع حوراخي». وهذا يدل

صراحة على أن الملك فضلاً عن مبانيه الجديدة زاد في أملاك المعابد الكبيرة.

(راجع Schaedel Ibid pp. 33).

(١٥٢) يعتقد جاردنر أن هؤلاء الناس كانوا يعملون في الملكيات القديمة غير أنهم

كانوا يتناولون أجورهم من الدخل الذي وضعه «رعمسيس الثالث» تحت

تصرف مؤسسته الجديدة (راجع Wilbour. Pap. II, p. 117).

(١٥٣) هذا المعبد يقع في «تل اليهودية» كما جاء في ورقة «هاريس» (٨/٢٩)، وقد عثر الباحثون عن السداد حوالي عام ١٨٧٠ على بعض مباني «تل اليهودية»، وكذلك كشفت عنها مصلحة الآثار، غير أنها تركت لأيدي العابثين، ولم يُوضع أي تصميم لهذا المبنى العظيم، وقد بقي نوبة لطالبي أحجار المرمر مدة عشر سنوات، ومنجمًا للباحثين عن القوالب المطعمة تطعيمًا جميل النقش، ولم يبقَ من كل ذلك إلا بعض قطع عليها صور أسرى، ومئات الزهيرات المطعمة، وهي محفوظة الآن بالمتحف البريطاني. هذا إلى أن هذا المكان لم يُوصف إلا وصفًا مختصرًا T. S. B. A. VII, p. 177 وتدل العلامات التي على القوالب الصغيرة على أن الأجانب كانوا يستعملون في صنعها (Petrie Hist. III, p. 160). ويقول «مسبرو» عن هذا المعبد ما يأتي (The Struggle of the Nation p. 476): وقد أقام كذلك في المكان المسمى الآن «تل اليهودية» قصرًا ملكيًا من الحجر الجيري والجرانيت والمرمر لم يُعرف له طراز قبل ذلك العهد (لم يكن كُشف عن بقايا «قنتير» وقتئذ) إذ كان يُعد فريدًا في بابه بين كل المباني المصرية، فلم تكن جدرانها وعمده مزينة بالحفر العادي في الأحجار، بل كانت زخرفته سواء أكانت نقشًا أم مناظر تتألف من لويحات من الخزف المنمق المثبت في الجص، وكانت صور الرجال، والحيوان، وخطوط النقوش الهيروغليفية تمثل في نحت بارز من رقعة مرصوفة بالخزف الملون، مما جعلها تؤلف قطعة فسيفاء ضخمة ذات ألوان مختلفة، والقطع القليلة الباقية حتى الآن يظهر فيها صفاء التصميم والدقة المتناهية في تناسق الألوان. ولا بد أن كل علم الرسامين المصريين، وكل المهارة الفنية التي أوتيها صناعهم في الخزف قد أُفرغت في إخراج مثل هذه الزينة المتزنة المتناسقة؛ لما يُشاهد فيها من حرية في اختيار الخطوط والألوان، وآلات الزهيرات، والمربعات، والنجوم، والأزرار المصنوعة من عجينات مختلفة ألوانها.

(١٥٤) هذا المكان لا بد أنه كان نفس المعبد الذي ذُكر في ورقة «هاريس» ص ٣٩

سطر ١٢ ، وربما كانت العلاقة بينه وبين المعبد الكبير كالعلاقة بين معبد مدينة «هابو» الكبير والقصر الذي فيه.

(١٥٥) كتب إله النيل كانت قوائم قربان تقدّم له مرتين كل عام، وأول تسجيل لهذه القربان في عهد الفرعون «رعمسيس الثاني» الذي أسس عيداً نصف سنوي لإله النيل في بلدة «السلسلة»، وقد سُجل هذا الحادث في أنشودة لإله النيل على صخور السلسلة (راجع Stern. A. Z. 1873 pp. 129-35) وقد أعاد «مرنبتاح» هذين العيدين، كما احتُفل بهما في عهد «رعمسيس الثالث» وقد نقل كل من هذين الملكين الأخيرين لوحة «رعمسيس الثاني» المنقوشة بجوار لوحتهما، وكانت الكتب يُلقى بها في النيل وكذلك بالقربان نفسها التي كانت تحتوي هذه الكتب على قوائم منها، وقد أُرخت لوحة «رعمسيس الثالث» بشهر «برمودة» من السنة الثالثة من حكمه، وقد احتفل مثل «رعمسيس الثاني» بالعيدين في الخامس عشر من «توت» والخامس عشر من «أبيب»، ولما كانت هذه القربان تحتوي على بعض تماثيل يُلقى بها في النيل كما يُلاحظ في القوائم فقد نشأت من هنا خرافة «عروس النيل».

(١٥٦) هذه العبارة مضطربة في تركيبها، والظاهر أن «رعمسيس الثالث» بعد أن كان قد قرر قرباناً خاصاً بإله النيل مدّة حكمه الذي بلغ (٣١ سنة) أضاف في السبعة عشر عاماً الأخيرة قرباناً جديدةً يعادل في كل سنة من هذه السبع عشرة ما كان يدفع كل سنة من سني حكمه؛ وعلى ذلك قدر الزيادة بالسنين لا بالكمية، فجمع $١٧ + ٣١ = ٤٨$ سنة. أما عبارة «إحدى وثلاثين سنة» فقد تكون تكراراً لنفس العبارة التي جاءت في السطر الرابع كتبها الناسخ خطأ.

(١٥٧) حرفياً ملايين حب.

(١٥٨) تشير هنا عبارة «الذي على العرش العظيم» إلى صدى احتفال كان يجلس فيه الملك الحاكم على عرش الإله «بتاح» (راجع ما كُتب عن ذلك في ورقة فلبور Wilbour, Pap. Vol II, p. 13).

(١٥٩) راجع: Wilbour Pap. p. 111.

(١٦٠) أي دون أن يقال «ليت لي» أي دون زيادة لمستزيد.

(١٦١) ما يعادل إردبًا من القمح.

(١٦٢) أي جدار الإله «سبك» وهو محراب في «منف» حيث كان يُحمل إليه الإله في المحراب في وسط الشعب المبتهج.

(١٦٣) محراب خاص بالإلهة «نخت» صاحبة «الكاب» وهي في صورة رخمة، وكان محرابها في مدينة «الكاب» الحالية، ويُقصد به هنا المحراب الذي كان يُوضع في السفينة وفيه صورة الإله «بتاح» (راجع 30 J. E. A. Vol 27 p. 2 note).

(١٦٤) راجع ما كُتب عن الاحتفال بهذا العيد في «منف» في ورقة فلبور (Wilbour Papyrus Vol, II, p. 13).

(١٦٥) راجع: Wilboir Pap. II, p. 22 حيث نجد الكلام عن هذه القطعان وقيمتها بالنسبة لهدايا الفرعون الأخرى.

(١٦٦) الواقع أن المعابد كانت لا تُستعمل مدة طويلة، ولا أدل على ذلك مما نشاهده فيما قام به «سبي الأول» من إصلاح معابد كثيرة للفرعون «أمنحتب الثالث» على حين نرى أن «مرنبتاح» وكذلك «رعمسيس الثالث» فيما بعد قد استعملوا معبد «كوم الحيطان» وهو معبد «أمنحتب الثالث» الجنائزي بمثابة محجر لإقامة معبده هو (20 Rec. Trav. 61 p. 37 & A. Z., 37 ff (1926)). (f)

(١٦٧) راجع: f Lefebvre, Histoire des Grands Pretres p. 1163.

(١٦٨) راجع: 3 A. S. 64 (1902).

(١٦٩) راجع: 42, 15 Papyrus Turin 1880. p. Tur. P. U. R. af. 46, ..

(١٧٠) راجع عن نشاط «رعمسيس الثالث» فيما يخص المعابد التي لم يكن قد أقام فيها مباني جديدة أو وهبها هبات خيرية. Wiedemann Aegyptische

(١٧١) هذه العبارة تدل على أنه كان مفروضاً على العمال التابعين للمعابد أن يؤخذ للجيش منهم واحد عن كل عشرة رجال ويفخر «رعمسيس الثالث» هنا بأنه ألغى هذا الإجراء، وقد كان معمولاً به من قبل (راجع Wilbour, Pap. II, p. 202).

(١٧٢) جباية الأشمونين.

(١٧٣) أي المباني التي أُقيمت له.

(١٧٤) هذه أجزاء من السور لم يُعرف كنهها على وجه التأكيد.

(١٧٥) يقول الأستاذ جاردنر عن هذه الأرض إنها حقول زراعية بدرجة جيدة لا بأس بها، ولا أدل على ذلك من أن كلمة «كايت» أي الأرض العالية قد أصبحت في القبطية «كوى» ومعناها الحقل، وفي العهد الإغريقي الروماني كانت الحقول العالية تُطلق على الأرض التي تنتج الغلة وهذا النوع من الأراضي يقابل عندنا الأرض التي تروى سنوياً بالحياض (Wilbour, II, p. ٢٨).

(١٧٦) هذا النوع من الأرض يُسمى «نخب» بالمصرية، ومعناه الأرض البكر أو الجديدة بالنسبة لنوع آخر من الأرض يُسمى «تنى» الأرض المتعبة أو المستعملة، وقد كانت تؤخذ ضريبة عن كل «أرورا» من الأرض من هذه الأنواع الثلاثة كالأتي؛ الأرض الجديدة يؤخذ عن كل أرورا عشرة مكابيل، والأرض المستعملة والمتعبة ميكال، والأرض الزراعية العادية أو العالية يؤخذ منها خمسة مكابيل (راجع ff Wilbour, II, p. 28).

(١٧٧) «شوت-رع»: نوع من المحارِب. تسمى هكذا، وقد جاء ذكرها قبل عهد إخناتون. ومن صور تل العمارنة يظهر أنها محارِب صغيرة ذوات عمد على الدوائر وتقام خارج حدود المعبد المحلي الرئيسي (راجع Wilbour Pap. II, p.

- (١٧٨) هي بلدة «هو» الحالية بمديرية «قنا» مركز «نجع حمادي».
- (١٧٩) بلدة في المقاطعة الثامنة من مقاطعات الوجه القبلي، وقد عُربت بلفظة «المنشية». (راجع: Gauthier Dic. Geogr. Tom III, p. 105).
- (١٨٠) وهي «هور» أو «نصر حور» الحالية في شمال «تونة الجبال». (Gauthier Dic. Geogr. IV, p. 58).
- (١٨١) ومعناها «الجزيرة الداخلية» وتقع في منطقة «آت ناشا» السالفة الذكر في مصر الوسطى. (Ibid p. 6).
- (١٨٢) ويقول جاردنر (Wilbour, Pap. II p. 53) إنها لا تبعد كثيراً عن «طهنة» وينطقها «أنشا» ومعناها جزيرة «نشا».
- (١٨٣) تقع بين «أهناسية المدينة» و«البهنسا».
- (١٨٤) الماء المعكوس - أو المقلوب - هو نهر الفرات، وعلى ذلك يكون البحر العظيم ذو الماء المقلوب هو المحيط الهندي الذي يكون الخليج الفارسي جزءاً منه.
- (١٨٥) إقليم غير مؤكد الموقع يمكن الوصول إليه بالبحر والبر من مصر، ومن المحتمل أنه في «سيناء» إذ كان يحصل منه على نحاس كثير.
- (١٨٦) راجع طيبة ه ١٠-١١، ١١-١١، وهليوبوليس ه ٣١-١، ٣٢ أ سطر ٦، ومنف ه ٥١ أ، ٥١ ب-٢، والمعابد الصغيرة هي ٦١ أ-١، ٦٢ أ-١٠.
- (١٨٧) راجع: ff Erman: Erklarung. p. 467.
- (١٨٨) راجع ه/١٢ (أ) ٦ الخ.
- (١٨٩) راجع: Preaux: Les Ostraca Grecs de la Collection Charles Edwin
- . Wilbour (Brussel 1935) Ostrakon Wilb-Bok p. 18
- (١٩٠) راجع ه/١٢ (أ) ١ الخ.

(١٩١) راجع: ff Schaedel, Ibid p. 48, (Orientel Institute, Karnak, 108, 8).

(١٩٢) راجع: Schaedel Ibid p. 49.

(١٩٣) راجع: Schaedel, Ibid.

(١٩٤) أقرن ذلك بما ذكره كيس (ff Kees Koltur geschichte p. 63) حيث نجد معلومات عن سير الحياة في مصر، فيقول إن ثلاثة رغفان وإبريقين من الجعة تكفي لغذاء متواضع في مصر. وقد كان الخبز والبيرة يُعدَّان في القائمة الأولى من الغذاء الشعبي (راجع Memoires Ruffer: Food in Egypt Cairo 1919) (Presentés à l'Institut Bd 1).

(١٩٥) راجع: Lane: An account of the Manners and Customs of the (p. 26, f Bd 1 Modern Egyptians (London 1871).

(١٩٦) راجع: Ibid p. 29.

(١٩٧) راجع: 1, p. 50 Berlin 1895 V. Fircks: Agypten 1894.

(١٩٨) راجع طيبة هـ/١٣ أ- الخ، وهليوبوليس هـ/٥٢ أ-٤، ومنف هـ/٦٢ ب- ١ الخ.

(١٩٩) راجع «هاريس» ١٦ ب- ١٣ الخ، هـ/٣٤ ب- ٦ الخ، هـ/٥٣ ب- ١٢، هـ/٦٦ أ- ١... الخ. والملاحظة في المتن: زيادة على قربان الإله وزيادة على جراية القربات اليومية تدل على أن الغلال لم تكن فقط للأعياد، بل كذلك للقربات اليومية، وعبرة القربات الإلهية تعني هنا فقط.

(٢٠٠) راجع عن أعياد للنيل أخرى. (Note 4 Kees, Kultur geschichte. 28).

(٢٠١) راجع (هـ/١٤ أ- ٢، ١٥ أ- ١٥، ٢١ ب- ١٣)، وهذا في الجزء الطبي من الورقة فقط.

(٢٠٢) راجع (هـ/١٦ ب- ٣، ١٩ ب- ٤) الخ. ولا وجود له في الجزء الخاص «بـهليوبوليس» و«منف».

- (٢٠٣) راجع (هـ/١٦ ب-٢، ١٩ ب-٦).
- (٢٠٤) كانت كذلك في العهد القبطي في السنة السابعة بعد المسيح تجارة الفلفل محتكرة تباعه شركات مختلفة في «إدفو». (60 Crum. A. Z. 103 p. (1925)).
- (٢٠٥) راجع: 9-137 Well. Rec. Inscript.
- (٢٠٦) راجع: c Br. Museum No 4803
- (٢٠٧) راجع: Petrie, Tanis II, p. 11
- (٢٠٨) راجع: Naville, Goshen IX, f
- (٢٠٩) راجع: Soc. Biblical Arch. Proceeding IV, p. 89; Rec. Trav. III, p.
- ٦٢ & 338 & Maspero Guide p. 159
- (٢١٠) راجع: S. B. A. IV, 89
- (٢١١) راجع: Br. Museum, No 32071
- (٢١٢) ومما تجدر ملاحظته هنا أن الشعائر الدينية التي كانت تُعمل للحيوانات المقدسة كانت كالتي تُعمل للإنسان؛ فقد كان كل من العجل «أبيس» والعجل «منفيس» يُحنط مثل الإنسان، كما كان كل جهازه الجنائزي - بما في ذلك التابوت والهدايا الجنائزية - لا يختلف كثيرًا عن التي كانت تُعمل للملوك والأشراف، فنعلم في خلال الأسرة الثامنة عشرة أن قطة عُملت لها أواني أحشاء (Rec. Trav. XIV P. 174) وأن العجل «أبيس» في الأسرة التاسعة عشرة كان يُعمل له أواني أحشاء وتماثيل مجيبة ليقوم مكانه بالعمل الشاق في الحياة الآخرة (راجع مصر القديمة الجزء السادس) وكذلك وُجد للعجل «منفيس» جعل قلب كُتب عليه: «قلبك ملكك يا «أوزير»». وكان العجل «منفيس» في هذه الحالة يُدعى «أوزير» خلافًا «لمنفيس» الحي الذي كان يُطعم في محراب «منفيس» في بلدة «هليوبوليس». وعلى ذلك فلا بد أن هذا الجعران كان خاصًا بمومية العجل «منفيس» الذي كان يحتاج بعد الموت إلى هذا

السلح السحرى فى عالم «أوزىر» كما كان يحتاج إله بنو. ولا نزاع فى أن هذا
الجعل قد أتى به من جبانة «السرايوم» للعجل «منفىس» القائمة بالقرب من
«هلىوبوليس».

(٢١٣) راجع: J. E. A, Vol XIV, p. 12.

(٢١٤) يُحتمل أن تمثل الأنثى التى مُثلت مع الفرعون هو تمثل الإلهة «إزىس» التى
تذكر غالبًا فى المتون بوصفها حامىة لابنها حور (الملك). Wilbour Pap. II, p. 17
Note 8.

(٢١٥) يقصد هنا «حور» الطفل الذى كان يحكم فى مستنقعات الدلتا عندما كان
«ست» يحتل عرش مصر، و«حور» هذا هو زوج «تابىث» ملكة الشمال التى
دُكرت من قبل.

(٢١٦) راجع: Faulkner, The Payrus Bremner Rhind British Museum No 10188. Passage XXVI, L. 12–20.

(٢١٧) راجع: Lacau Statues Guerisseuses dans l'Ancienne Egypte -Fondation Eugène Piot, Monuments et memoires XXV (Paris 1921
p. 189–209 (22).

(٢١٨) راجع: ff A. S. XXXIX, p. 57.

(٢١٩) راجع: Naville, Tell el yahudiyeh p. 67.

(٢٢٠) راجع: السورارىه a L. D. III, p. 207.

(٢٢١) راجع: Murray, Guide to Egypt p. 404.

(٢٢٢) راجع: Porter and Moss V, p. 71.

(٢٢٣) راجع: (5 (2, 5 Marriette, Alydos p. 4.

(٢٢٤) راجع: Petrie Koptos pl. XVIII, 2) cf. p. 16.

(٢٢٥) راجع: fig. 18 London University College Ancient Egypt (1924 p. 23).

(٢٢٦) راجع: Champ. Notices II, p. 292.

(٢٢٧) راجع: (5413) fig. 8, 68—p. 27 Rapport Medamound (1930) fig. 14
(4741) cf. p. 6 p. 67 45.

(٢٢٨) كان يُدعى معبد مدينة «هابو» أحياناً «المعبد» فقط كما تُدعى الآن مدينة الرسول «المدينة» وحسب وكما كانت تُدعى مدينة «طيبة» المدينة فقط. ولا غرابة في ذلك؛ فقد كان هذا المعبد أهم معبد في طيبة الغربية في عهد الأسرة العشرين، إذ كان يُعد حصناً للجهة الغربية من طيبة، ففي داخل جدرانها المحمية كان يسكن معظم موظفي الجبانة، كما كان يحتوي على كل الإدارات، فكان بمثابة قلعة تحفظهم من غارات اللويين الذين اجتاحوا العاصمة في أواخر الأسرة العشرين (8—J. E. A. 12, 257). يُضاف إلى ذلك أنه قد حدث في عهد «رعمسيس العاشر» (راجع: Botti-Peet II, Giornale della Necropole de Tebe pl. 53, 116) أن العمال الذين كانوا يشتغلون في حفر مقبرة الملك في أبواب الملوك قد أضربوا عن العمل؛ لأن صاحب الشرطة المسمى «نسامون» - وذلك على حسب أمر موظف كبير - أخبرهم: لا تعملوا، وابقوا في المعبد - أي معبد مدينة «هابو». وفي عهد متأخر عن ذلك بلغ كاتب مقبرة الملك وكاتب الجيش لمعبد الملك «وسرماعت رع مري آمون» في ضيعة آمون، موظفاً كبيراً: إننا هنا مآكلون في المعبد. (راجع: J. E. A Vol ٢٦, p. ١٣٠).

(٢٢٩) راجع: ff ff; Weigall, Guide p. 206 Baedeker (192) p. 205.

(٢٣٠) راجع: ff; T. S. B. A. VIII, p. Petrie. History, Egypte III, p. 159.
412.

(٢٣١) راجع: Miss. Archeologic Fr. (Cairo) III, p. 87—120.

(٢٣٢) راجع: p Excavations at Giza VI, Port 1.

(٢٣٣) راجع: 110—Boreux Guide. Catalogue Vol I pp. 109.

- (٢٣٤) راجع: & Rosellini. Mon. Religious Del culto Champ. Mon. p. 120
- (٢٣٥) راجع: Champ. Mon, p. 106
- (٢٣٦) راجع: Rosellini Ibid p. 33, 2
- (٢٣٧) راجع: a and A. Z. XI, p. 12 L. D. III, 218
- (٢٣٨) راجع: & L. D. IV, 277 L. D. IV, 23, 6, 8; Brugsch Hist. II, 144
- (٢٣٩) راجع: a L. D. III, 47
- (٢٤٠) راجع: f Spiegelberg. Rec. Trav, 68, 69. From Pap. Turin 44, 18
- (٢٤١) راجع: Brugsch, Thesaurus V, 1129. L. D. Text IV, 49, Champ. Notices I, 271
- (٢٤٢) راجع: Struve, V: Ort der Herkunft und Zweck des Papyrus
- ff (1926) p. 3 V Harris in Agyptus
- (٢٤٣) راجع: p. 600 Ed. Meyer Gesch. II, 1
- (٢٤٤) راجع: ff p. 152 J. E. A. 23
- (٢٤٥) راجع: Br. A. R. VI, § 541
- (٢٤٦) هؤلاء الرجال الثلاثة كانوا أعضاء في المحاكمة.
- (٢٤٧) ليس من المؤكد إذا كانت هذه الملاحظة تشير إلى خيبة كل المؤامرة، أو إلى الجزء الذي قام به هذا الرجل، وتدل شواهد الأحوال على أن المراد هنا أن كشف جزء من المؤامرة معناه فضيحتها كلها.
- (٢٤٨) راجع: (cf. pp. 19, 36^ Petrie. Abydos II, pl. XXXV,)
- (٢٤٩) راجع: Brussels Musées Royaux du Cinquantenaire. E 584, Capart, Les Antiquités Egyptiennes p. 58, fig. 8; Cortouches; (280 speleers. Rec. Des Insc. Egypt. 68
- (٢٥٠) راجع: G L. D. III, 207

- (٢٥١) راجع : a Ibid 224 .
- (٢٥٢) راجع : J. E. A. XIV, p. 157 .
- (٢٥٣) راجع : 4-Baedeker, Egypt (1928) p. 343 .
- (٢٥٤) راجع : Weigall, Guide p. 288 .
- (٢٥٥) راجع : J. E. A. Vol XIV p. 54 .
- (٢٥٦) راجع : Petrie, Hist. III, p. 145 .
- (٢٥٧) راجع : J. E. A. Vol XIV, p. 52-73 .
- (٢٥٨) راجع : p. 248 Chronique D'Egypte 21, Jan. 1936 .
- (٢٥٩) راجع : ff Viziere des Pharaone. Reichs (Arthur Weil) p. 1127 .
- (٢٦٠) راجع : d L. D. III, 206 .
- (٢٦١) راجع : Papyrus. Turin, facsimiles par. F. Rossi de Turin et publies .
- (Lyden 1869 par, W. Plyte de Leide 47, 10)
- (٢٦٢) راجع : Legrains. Cat. gen. No. 42159, 42160, 42161 .
- (٢٦٣) راجع : texte d Ibid No. 42160 .
- (٢٦٤) راجع : Ibid No. 42161 .
- (٢٦٥) راجع : Benson-Gourlay. The Temple of Mut p. 343 .
- (٢٦٦) راجع : Lefebvre. Hist Grands Pretnes p. 135 .
- (٢٦٧) راجع : texte, b Legrains, Ibid No. 42160, texte, e and 42161 .
- (٢٦٨) راجع : p. 103 Lonet. Rec. Trav. IV, 1883 .
- (٢٦٩) راجع : Revue Archilologique V, 1862, p. 370 .
- (٢٧٠) راجع : a L. D. III, 275 .
- (٢٧١) راجع : Lefebvre Ibid p. 173 .

- (٢٧٢) راجع: Wresz I, 350.
- (٢٧٣) راجع: Ibid I, 349.
- (٢٧٤) راجع: Porter and Moss V, p. 20.
- (٢٧٥) راجع: Mariette, Abydos II, pl. 52.
- (٢٧٦) راجع: Petrie and Quibell, Naqada and Ballas pl. LXXIX, p. 70.
- (٢٧٧) راجع: Petrie, History III, p. 165.
- (٢٧٨) راجع: Petrie, Ibid p. 165.
- (٢٧٩) راجع: Maspero, Guide p, 160.
- (٢٨٠) راجع: Rec. Trav, XXV, p. 35.
- (٢٨١) راجع: Cairo Ostracon, No. 25302, and Cerny en Bull Inst. Fr.
- d'Archeologie, Orientale, XXVII, p. 186
- (٢٨٢) راجع: The Great Tomb Robberies of the XXth Dy p. 10.
- (٢٨٣) راجع: etc 3—Rapport sur Les Fouilles de Dier el Medineh 1922.
- (٢٨٤) راجع: Gardiner Ramesside Administrative Documents p. XIV—
- XVII, and pp. 45–58
- (٢٨٥) راجع كذلك ما عمله «سيقي» لعماله الذين كانوا يذهبون لقطع الأحجار
(مصر القديمة الجزء السادس).
- (٢٨٦) راجع: P. and R. pl. XLIII.
- (٢٨٧) راجع: J. E. A. Vol. XII, p. 257.
- (٢٨٨) راجع مصر القديمة الجزء السادس؛ حيث نجد الفرق بين عصري «سيقي
الأوّل» و«رعمسيس الثالث» من حيث المأكل والملبس ومعاملة العمال
ورؤسائهم.

- (٢٨٩) راجع: ff P. R, 37, 2.
- (٢٩٠) راجع: p. 247 Chronique D'Egypte 21, Jan. 1936.
- (٢٩١) راجع: The Temple of Sethos I, At Abydos Vol, I, and Vol, II, to .pl. 27
- (٢٩٢) راجع: Moret, Le ritual du culte divin Journalier en Egypte; Hieratisch Papyrus aus den Koniglichen museen zu Berlin, Band .I, Rituel fur den Kultus des Amun und fur den Kultus der Mut
- (٢٩٣) «با» اسم للكباش الذي كان يُعبد في «منديس» - تل الربع العالية.
- (٢٩٤) حقول في عالم الآخرة.
- (٢٩٥) راجع مصر القديمة الجزء الخامس.
- (٢٩٦) مصر القديمة الجزء السادس.

مختصر المصادر الإفرنجية

List of Abbreviations

- J. S. L: "The American Journal of Semetic Languages and Literatures". (Chicago, 1884).
- Albright: From the Stone Age Mo Christianity.
- Am: Kundtzon, "Die El-Amarna Talflen". (Leipzig, 1907–1915).
- Arundale and Bonomi, "Gallary": Arundale and Bonomi, "Gallary of Antiquites Selected from the British Museum". (London).
- S: "Annales du Service des Antiquities de l'Egypte". (Cairo, 1901).
- Z: "Zeitschrift für Agyptische Sprache und Altertumskunde". (Leipzig, 1863).
- Baikie, "History": Baikie, "A History of Egypt". (London, 1929).
- A. S. O. R: "Bulletin of Schools of Oriental Research". (South Hadly, Mass, 1919).
- Bates: Oric, Bates: The Eastern Libyans.
- Benson and Gourlay "Temple of Mut": Benson and Gourlay, "The Temple of Mut in Asher". (London, 1899).
- I. F. A. O: "Bulletin de l'Institut Française d'Archeologie Orientale". (Cairo, 1901).
- Birch, "Pottery": Birch, "History of Ancient Pottery, Egyptian, Assyrian, Greek, Etruscan and Roman". (London, 1858).
- Bisson de la Roque "Medamoud": Bisson de la Roque, "Les Fouilles de Medamoud". (Cairo).
- Boeser, "Leyden": Boeser and Holwerda, "Beschreibung der Aegyptischen Sammlung des Niederlandischen Reichmuseums der Altertumer in Leiden". (Copenhagen, 1908–1918).
- Borchardt, "Statuen": Borchardt, "Statuen und Statuetten von Konigen und Privalueten". Catalogue General des Antiquities Egyptien du Musee du Caire, (Berlin, 1911–1925).
- Breasted, A. R: Breasted, "Ancient Records of Egypt." (Chicago, 1906–7)..

- Brugsch, “Thesaurus”: Brugsch, “Thesaurus Inscription um Aegyptiacarum”. (Leipzig, 1883–1891).
- Brugsh, “Recueil”: Brugsch and Dumichen, “Recueil de Monuments Egyptiens”. (Leipzig, 1865–1885).
- Budge, “Guide”: Budge, “A Guide to the Egyptian Collections in the British Museum”. (London, 1909).
- Budge, “Sculpture”: Budge, “A Guide to the Egyptian Galleries (Sculpture)”, (London, 1909).
- Budge, “The Book of Kings”: Budge, “The Book of the Kings of Ehypt”. (London, 1908).
- Budge, “History”: Budge, “A History of Egypt from the End of the Neolithic Period to the Death of Cleopatra VII, B. C. 30”. (London, 1902).
- Champollion, “Notices”: Champollion, “Notice Descriptive des Monuments Egyptiens du Musee Charles X.” (Paris, 1827).
- Davis, “Tomb of Hatschepsut”: Davis, “Excavations at Biban el Moluk. The Tomb of Hatschepsut” (London, 1906).
- Dumichen Historische Inschriften.
- Erichsen: Papyrus Harris (Bibliothèque Aegyptiaca V).
- Erman: Zur Erklärung des Papyrus Harris in Sitzungsab. Berlin, (1930).
- Evans, “Palace of Minos”: Evans, “The Palace of Minos at Knossos”. (London, 1921).
- Fraser Coll: Fraser, “A Catalogue of the Scarabs Belonging to G. Fraser”. (London, 1900).
- Gardiner: Admonitions of an Egyptian Sage.
- Gardiner, “Onomastica”: Gardiner, “Ancient Egyptian Onomastica” (Oxford, 1947).
- Gardiner and Peet, “Sinai”: Gardiner and Peet, “The Inscriptions of Sinai”. (London, 1917).
- Gauthier, “Dict. Geog”: Gauthier, “Dictionnaire des Noms Géographiques Contenus dans les Textes Hiéroglyphiques”. (Cairo, 1925).
- Griffith, “Kahun Papyri”: Griffith, “Hieratic Papyri from Kahun and Gurob”. (London, 1898).
- Hall, “Catalogue of Scarabs”: Hall, “A Catalogue of Scarabs in the British Museum”. (London, 1913).
- Hall, “Ancient History”: Hall, “The Ancient History of the Near East”. (London, 1920).

- Hölcher: Wilhelm Hölcher: Libyer und Agypter.
- J. E. A: "The Journal of Egyptian Archeology". (London, 1914–1947).
- J. P. O. S: "The Journal of the Palestine Oriental Society" (1923).
- Keith, Seele: Coregency: The Coregency of Ramses II, With Seti I and the Date of the Great Hypastyle Hall at Karnak.
- Helk: Hans Wolfgang Helk; Der Einfluss Militarführer In der 18 Agyptischen Dynastie.
- Historical Records: Historical Records of Ramses III.
- Lanzone, "Cat. Turin": Lanzone, "Catalogo generale dei Musei di antichità: Regio Museo di Torino."
- L. D: Lepsius, "Denkmaler aus Aegypten und Aethiopien. (Berlin, 1894).
- Legrain, "Statues": Legrain, "Statues of Statuettes de Rois et de Particuliers" Catalogue General des Antiquities Egyptiens du Musee du Caire. (Cairo, 1906–1914).
- Legrain, "Repertoire": Legrain, "Repertoire Genealogique et Onomastique du Musee Egyptien du Caire". (Geneva, 1908).
- Lepsius, "Auswahl": Lepsius "Auswahl der wichtigsten Urkunden des agyptischen Altertums" (Leipzig, 1842).
- Lepsius, "Letters": Lepsius, "Letters from Egypt. Ethiopia and the Peninsula of Sinai". (London, 1853).
- Leiblien, "Dict. Noms": Leiblien, "Dictionnaire des Noms Hieroglyphiques en Ordre Genealogique et Alphabetique". (Christiania, 1871).
- Lucas: Ancient Egyptian Materials & Industries.
- Macailister, "Gerza": Macailister, "The Excavation of Gerza". (London, 1912).
- Mariette, "Abydos": Mariette "Catalogue General des Monuments d'Abydos Decouverts pendant les Fouilles de cette Ville". (Paris, 1880).
- Mariette, "Abydos II.": Mariette, "Abydos. Description des Fossiles Executees sur l'Emplacement de cette Ville" (Paris, 1869–1880).
- Mariette, "Monuments": Mariette, "Monuments Dileurs Recueilles en Egypt et en Nubie". (Paris, 1889).
- Maspero, "Bib. Egypt": Maspero, "Bibliothèque Egyptologique", OVII. (Paris, 1904).

- Maspero, “Temple Immerges”: Maspero, “Les Temples Immergés de la Nubie Rapports relatifs à la Consolidation des Temples”. (Cairo, 1909–1911).
- Maspero, “Guide”: Maspero, “Guide du Visiteur au Muse du Caire”. (Cairo, 1915).
- Maspero, “Momies Royales”: Maspero, “Les Momies Royales de Deir el Bahari”. (Paris, 1889).
- Maspero, “Melanges d’Arch”: Maspero, “Melanges d’Archeologie Egyptien.”
- Massi, “Description”: Massi, “Description des Musees de Sculpture Antique Greque et Romaine. Musée du Vatican”. (Rome, 1891).
- Mem. Miss. Franç: Memoires Publiés par les Membres de la mission Archeologiques Française au Caire.
- Mercer, “Amarna”: Mercer, “The Tell el Amarna Tablets”. (Toronto, 1939).
- Meyer, “Gesch”: Meyer, “Geschichte des Altertums”. (Stuttgart, 1928).
- Meyer, “Hist. de l’Antiq.”: Meyer, “Histoire de l’Antiquite”. (Paris, 1912–1926).
- M. M. A: “The Bulletin of the Metropolitan Museum of Art”. (New York, 1909).
- Môller: Die Agypter und ihre Libyscher Nachbarn.
- Morgan (De), “Cat. Mon.”: Morgan (De), “Catalogue des Monuments et Inscriptions de l’Egypte Antique”. (Vienna, 1894–1909).
- Murray, “Handbook”: Murray, “Handbook for Travellers in Egypt” (London, 1880)
- Newberry, “Timins Collection”: Newberry, “The Timins Collection of Ancient Egyptian Scarabs and Cylinder Seals”. (London, 1907).
- O. I. P: “The Chicago University. The Oriental Institute. The Oriental Institute Publications”. (Chicago, 1924)..
- “Paintings”: Davies, “Paintings from the Tomb of Rekh-mi-Re at Thebes”. (New York, 1935).
- Petrie, “Scarabs”: Petrie, “Scarabs and Cylinders”. (London, 1917).
- Petrie, “Six Temples”: Petrie, “Six Temples at Thebes, 1897”. (London, 1897).

- Petrie, "Illahun": Petrie, "Illahun, Kahun and Gurob". (London, 1890).
- Petrie, "Hist. Scarabs": Petrie, "Historical Scarabs". (London, 1927).
- Petrie, "History": Petrie, "A History of Egypt". (London, 1927).
- Petrie, "Season": Petrie, "A Season in Egypt, 1887". (London, 1888).
- Petrie, "Kahun": Petrie, "Kahun, Gurob and Hawara". (London, 1890).
- Petrie, "H. I. C": Petrie, "Hyksos and Israelite Cities". (London, 1906).
- P, E. F. Q. S: "The Palastine Exploration Fund Quarterly Statement". (London, 1869).
- Piehl, "Recueil": Piehl, "Inscriptions Hieroglyphiques recueillies en Europe et en Egypt". (Stockholm, 1886–1903).
- Pierret. "Rec. d'Inscriptions": Pierret, "Recueil d'Inscriptions Inedites du Musee Egyptien du Louvre". (Paris, 1874–1878).
- Porter and Moss, "Bibliography I": Porter and Moss, "Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Inscriptions, Texts, Reliefs and Paintings", I. "The Theban Necropolis". (Oxford, 1921).
- Porter and Moss, "Bibliography II": "The Theban Temples". (Oxford, 1929).
- Porter and Moss, "Bibliography III": "Memphis" (Oxford, 1931).
- Porter and Moss, "Bibliography IV": Lower and Middle Egypt. (Oxford, 1934).
- Porter and Moss, "Bibliography V": "Upper Egyptian Sites". (Oxford, 1937).
- P. S. B. A: "The Proceedings of the Society of Biblical Archaeology". (London, 1889–1918).
- R. E. A: "Revue de l'Egypte Ancienne". (Paris, 1929).
- Rec. Trav: "Recueil de Travaux Relatifs à la Philologie et à l'Archeologie Egyptiennes et Assyriennes". (Paris, 1870–1923).
- Rev d'Arch: "Revue d'Archeologie."
- Rouge (De), "Monuments": Rouge (De), "Notice des Monuments Exposés dans la Galerie d'Antiquities Egyptiennes au Musee du Louvre. (Paris, 1885).
- S. A. O. C: "Chicago University. The Oriental Institute. Studies in Oriental Civilization". (Chicago, 1931).
- Schaedel: Schaedel Die Listen des Grossen Papyrus Harris Ihre

Wirtschaftlichen und Politischen und ausdeutung.

- Schafer, "Aeg. Insch. Berlin": Schafer, "Aegyptische Inschriften aus den Koniglichen Museen zu Berlin". (Leipzig, 1924).
- Schiaparelli, "Catalogue": Schiaparelli, "Catalogo Generale dei Musei di Antichita di Firenze". (Rome, 1887).
- Sethe, "Untersuchungen": Sethe, "Untersuchungen zu Geschichte und Altertumskunde Aegyptens". (Leipzig, 1896–1917).
- Sethe, "Urkunden IV, or Urk. IV": Sethe, "Urkunden des Agyptischen Altertums". (Leipzig, 1906–1914).
- Sethe, "Pyramidentexte": Sethe, "Die Altagyptischen Pyramidentexte". (Leipzig, 1908–1922).
- Sethe, "Achtung": Sethe, "Die Achtung feindlicher Fursten Volker und Ding auf altagyptischen Tongeffasscherben des Mittlereu Reiches". (Preussische Akademie der Wissenschaften Philos-Hist. Klass, 1926).
- Struve: Ort des Herkunft und zwick des Harris papyrus in Aegyptens 1926).
- W. B: Erman and Grapow, "Wörterbuck der Aegyptischen Sprache". (Leipzig, 1925).
- Weigall, "Guide": Weigall, "A Guide to the Antiquities of Upper Egypt". (London, 1913).
- Weigall, "History": Weigall, "A History of the Pharaohs". (London, 1925).
- Weigall, "Lower Nubia": Weigall, "A Report on the Antiquities of Lower Nubiain 1906–1987". (Oxford, 1907).
- Weil, "Veziere": Weil, "Die Veziere des Pharaonenreiches". (Leipzig, 1908).
- Wiedemann, "Geschichte": Wiedemann, "Agyptische Geschichte". (Gotha, 1884).
- Wiedemann, "Kleinere Agypt. Insc.": Wiedemann, "Kleinere Inschriften aus der XIII–XIV Dynasie". (Bonn, 1891).
- Wilkinson, "Thebes": Wilkinson, "Topography of Thebes and General View of Egypt". (London, 1835).
- Winlock, "Dier el Bahri": Winlock, "Excavations at Dier el Bahri". (1943).
- Wreszinski, "Atlas": Wreszinski, "Atlas zur Altagyptischen Kulturgeschichte". (Leipzig, 1923–1936)
- W. D. V. O. G: "Deutsche Orient-Gesellschaft, Berlin Wissenschaftliche Verofentlichungen". (Leipzig, 1999).

الفهرس

تمهيد ٥

الأسرة التاسعة عشر

عهد «مرنبتاح» ونهاية الأسرة التاسعة عشرة ١٥

سيقي مرنبتاح ٢٢٣

الفرعون «أمنمس» ٢٥٤

الملك «مرنبتاح سبتاح» والملكة «تاوسرت» ٢٥٨

الملكة «توسرت» ٢٧١

الأسرة العشرون

الملك ستنخت ٢٧٦

رعمسيس الثالث ٢٨٤

مختصر المصادر الإفرنجية ٦٧٠